

تَفْسِير

# الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ

لِلْعَلَّامَةِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ  
عَامِرِ الدِّينِ السَّخَاوِيِّ الْمِصْرِيِّ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ  
(ت ٦٤٢ هـ)

مُحَقَّقٌ وَمُتَمَلِّقٌ

الدكتور

أشرف محمد عبد الله الرفاعي

دار العلوم جامعة المنيا

الدكتور

موسى اعلى موسى مسعود

دار العلوم جامعة القاهرة

الجزء الثالث



دار النشر للجامعات

كار ابن حزم

تفسير  
القرآن العظيم

١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَفْسِيرُ

# الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ

لِلْعَلَّامَةِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الصَّامِدِ  
عَامِ الدِّينِ السَّخَاوِيِّ الْمِصْرِيِّ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ

(ت ٦٤٢ هـ)

تَحْقِيقٌ وَتَعْلِيقٌ

الدكتور  
أشرف محمد عبد الله القصاصي

دارالعلوم - جامعة المنيا

الدكتور  
موسى على موسى مسعود

دارالعلوم - جامعة القاهرة

بجزء واحد



دار النشر للجامعات

## بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية  
إدارة الشؤون الفنية

السخاوي، علي بن محمد بن عبد الصمد، ١١٦٣ - ١٢٤٥ م  
تفسير القرآن العظيم / لأبي الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد  
علم الدين السخاوي المصري الشافعي؛ تحقيق وتعليق موسى علي  
موسى مسعود، أشرف محمد عبد الله القصاص. - ط ١ - القاهرة:  
دار النشر للجامعات، ٢٠٠٨.  
تدمك X ٢٨٠ ٣١٦ ٩٧٧  
١ - القرآن - تفسير  
أ - مسعود، موسى علي موسى (محقق ومعلق).  
ب - القصاص، أشرف محمد عبد الله (محقق ومعلق).  
ج - العنوان  
٢٢٧

تاريخ الإصدار: ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

حقوق الطبع: محفوظة للناشر

رقم الإيداع: ١٦٧٥٧ / ٢٠٠٨ م

الترقيم الدولي: X - ٢٨٠ - ٣١٦ - ٩٧٧ ISBN:

الكوود: ٢ / ٢٠٠

تحذير: لا يجوز نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب  
بأي شكل من الأشكال أو بأية وسيلة من الوسائل  
(المعروفة منها حتى الآن أو ما يستجد مستقبلاً)  
سواء بالتصوير أو بالتسجيل على أشرطة أو  
أقراص أو حفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن  
كتابي من الناشر.



دار النشر للجامعات

ص.ب (١٣٠ محمد فريد) القاهرة ١١٥١٨

ت: ٢٦٣٤٧٩٧٦ - ٢٦٣٢١٧٥٣ ف: ٢٦٤٤٠٠٩٤

E-mail: darannshr@link.net

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### نبذة عن تفسير السخاوي

- ١- تفسير القرآن العظيم للعلامة أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد الشهير بعلم الدين السخاوي المصري الشافعي (ت ٦٤٣هـ) رحمه الله .
- ٢- لعله من أوائل التفاسير التراثية لمفسر مصري إن لم يكن أولها . ولم تسبق طباعته . للبس في نسبه وقد أثبتنا النسبة بأدلة قوية والحمد لله .
- ٣- تفسير لغوي أثري .
- ٤- اهتم السخاوي فيه بـ :
  - \* الجانب اللغوي والنحوي وفيه شواهد شعرية كثيرة .
  - \* التفسير بالمأثور (بالقرآن -- والحديث -- والأثر) .
  - \* ذكر أسباب النزول .
  - \* يتعرض لمسائل فقهية وكلامية وبلاغية بطريقة السؤال والجواب .
- ٥- جمع الأقوال في تفسير الآية .
- ٦- يرجع بين الأقوال .
- ٧- يعتني بالقراءات القرآنية عناية فائقة ويوجهها .
- ٨- ينبه على المكي والمدني من السور .
- ٩- متعدد المصادر .
- ١٠- ينسب الكثير من الأشعار .
- ١١- خال من الإسرائيليات إلا قليلا .
- ١٢- يرد على الزمخشري في الآراء الاعتزالية .

### للتفسير نسختان :

- ١- بدار الكتب المصرية - مكتبة أحمد تيمور رقم (١٥٩) عددها ٣٥١ ورقة - كشف الظنون ص ٤٤٨ .
- ٢- بمكتبة ولي الدين - السليمانية - تركيا - رقم (١١ - ١٦٦) - ٦٠٠ ورقة - فهارس آل البيت (١ / ٢٤٨) .

## تقديم

للشيخ العلامة عبد السلام بن محمد بن حبوس (رحمه الله)

(عضو المقارئ المصرية ورابطة القراء)

ومدرس القراءات وعلم السند بوزارة الأوقاف بدولة الكويت)

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، جعل من تيسير فهم القرآن الكريم إعانة على حفظه وحفاظه مصداقا لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١﴾ ﴾ [الحجر] ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، قال في كتابه العزيز: ﴿ كَتَبْنَا نُزْلَهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا لِيَذَّبُوا عَنْ بَنِيهِمْ وَيَلْتَدَكَّرُوا أَوْلِيَاءَ الْأَنْبِيَاءِ ﴾ [ص: ٢٩] ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله الذي أنزل عليه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [إبراهيم: ٤] فما أكرم وما أبرك مما فهمه أصحاب رسول الله ﷺ مما عرفوه ودرروه من قدوتهم خاتم الأنبياء وسيد المرسلين ، اللهم فصلِّ وسلِّم وبارك وأنعم على هذا النبي الكريم ، والرسول السيد السند العظيم، سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

## أما بعد:

فمن يوم أن أعطت ثمارُ الدعاء المبارك لحبر الأمة الصحابي الجليل ابن عباس - رضي الله عنهما : « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » ، من يومها وجاء بعد القطر سيل ، فجاء مجاهد بن جبر - رحمه الله - بتفسيره وكان من أوثق أصحاب ابن عباس؛ ولذا اعتمد عليه الإمامان الشافعي والبخاري - رضي الله عنهما .

ثم جاء الإمام ابن جرير الطبري وكتب تفسيره بأسانيده عن ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبیر ، والحسن البصري ، وعكرمة ، والضحاك ، وعن جماعة من الصحابة منهم: عبد الله بن مسعود ، وأبو هريرة ، وابن عمر وغيرهم .

وبعد ابن جرير الطبري اشتهر جماعة من المفسرين منهم أبو الليث السمرقندي والثعلبي والواحدي والماوردي وابن كثير الدمشقي وآخرون - رحمهم الله جميعا .

واليوم تُشرق علينا شمسُ مشرقة الضياء لتفسير آيات الله للحافظ العلامة فريد دهره ، ودرة عصره ، وقمر المفسرين وإن كثروا بعد ذلك ، المفسر الماهر والقارئ المسند أبو الحسن

٧ **تفسير السخاوي**

علي بن محمد بن عبد الصمد علم الدين السخاوي المصري الشافعي المتوفى سنة (٦٤٣هـ) رحمه الله تعالى.

أطلعني الشيخان الوقوران من خيرة الأئمة في عصرهما صاحب الفضيلة سعادة الدكتور موسى علي موسى مسعود ، وصاحب الفضيلة سعادة الدكتور أشرف محمد عبد الله القصاص ، والنقيب الأول (الدكتور موسى علي) قد تشرفتُ بأن قرأ عليّ القرآن الكريم عن ظهر قلب برواية حفص عن عاصم ، وحضر معي شرح أصول القراءات السبع من الشاطبية للإمام القاسم بن فيرة - رحمه الله .

اطلعت على عجالة على بعض تحقيقهما لهذا السفر العظيم في تفسير القرآن الكريم وأول ما شدني في مقدمتهما قولهما : « بدأنا العمل في هذا الكتاب منذ ما يزيد على سبع سنوات » وطول المدة خاصة من المتخصصين تستوجب التدقيق والتوثيق ، فكانا كما قالنا بحمد الله - تعالى - فخرج الكتاب في صورة مرضية بفضل الله - تعالى - وأعجبتني ما كتبا عن فضل التفسير ومكانته ومراتب المفسرين ، وما ذكرا من ترجمة للإمام السخاوي ، وعصره ، ومصنفاته القيمة ، ومكانته العلمية - رحمه الله تعالى رحمة واسعة - ثم ذكرا من الأدلة القطعية التي لا تحتمل الرد ما يثبت نسبة التفسير كله لمصنفه السخاوي ، كما اطلعت على الصور المخطوطة لأصل هذا التفسير ، وقرأت مقدمة السخاوي لتفسيره على قلة حروفها وكثرة معانيها .

**وبعد :**

فإني أبشّر الأمة الإسلامية بهذا السّفَر الجليل ، وهذا التفسير العظيم كما ذكره صاحبه ، وأسأل الله - تعالى - أن يجعل هذا العمل المُنْصِي الذي بذله المحققان في إخراج هذا الكتاب في ثوبٍ قشيبٍ يغني مَنْ طالعه عن طلب غيره ، أسألُ الله - تعالى - أن يجعل ذلك في صحائفهما وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يحشرنا مع أهل التفسير الصادقين ، وأن ينور قلوبنا ، وأن يجعلنا وإياهم في الفردوس الأعلى مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ، والحمد لله رب العالمين .

**كتبه بقلمه فضيلة الشيخ العلامة عبد السلام بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن حبوس المصري الشافعي (عضو المقارئ المصرية ورابطة القراء).**

في الكويت ٢٥ جمادى الأولى ١٤٢٧ هـ - ٢٠ يونيو ٢٠٠٦ م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي جعل كتابه المبين كافلاً ببيان الأحكام ، شاملاً لما شرعه لعباده من الحلال والحرام ، مرجعاً للأعلام عند تفاوت الأفهام وتباين الأقدام وتخالف الكلام ، قاطعاً للخصام ، شافياً للسقام ؛ فهو العروة الوثقى التي من تمسك بها فاز بدرك الحق القويم ، والجادة الواضحة التي من سلكها فقد هدي إلى الصراط المستقيم ، فأبي عبارة تبلغ أدنى ما يستحقه كلام الحكيم من التعظيم ، وأي لفظ يقوم ببعض ما يليق به من التكريم والتفخيم .  
والصلاة والسلام على من نزل إليه الروح الأمين بكلام رب العالمين محمد سيد المرسلين ، وخاتم النبيين ، وعلى آله المطهرين وصحبه المكرمين .

وبعد.....

فإن شرف العلوم على قدر شرف المعلوم ، وإن علم كتاب الله - تعالى - أمتن العلوم حباً ، وأرسخها حباً ، وأجملها آثاراً ، وأسطعها أنواراً ، وهو العلم الذي جعل للشرع قواماً ، وصارت كل العلوم له خداماً .

وإن من أجل علوم القرآن ما يؤدي إلى فهم معانيه ، ويكشف عن مقاصده ومرامييه ، ويبين للناس بعض أسرارِهِ ، ويظهر شيئاً من وجوه إعرابه وأنواره .

من أجل ذلك عقدنا العزم وشحننا الهمم - مستعينين بالله تعالى - على تحقيق هذا السفر العظيم في تفسير الذكر الحكيم ، للعلامة الشيخ أبي الحسن علم الدين السخاوي - رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

وقد بدأنا العمل في هذا الكتاب منذ ما يزيد على تسع سنوات ، كان يتخللها بعض الفترات أحياناً ، وبعض الانشغال في أعمال أخرى ، حتى يسر الله - تعالى - إتمامه ، وها هو يخرج بفضل الله تعالى في صورة - إن شاء الله تعالى - مرضية لاثقة بموضوعه وبمصنفه ؛ ليكون إضافة جديدة مفيدة للمكتبة العربية والإسلامية ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

وقبل أن نتحدث عن المصنف وتفسيره وقيمه ومنهجه في التفسير نقدم موجزاً عن فضل التفسير ومكانته ومراتب المفسرين فنقول وبالله التوفيق :

يقول الله - عز وجل : ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

قال أبو العالية رحمه الله : الحكمة : الفهم في القرآن . وقال قتادة : الحكمة : القرآن

والفقه فيه . وقال غيره : الحكمة : تفسير القرآن <sup>(١)</sup> .

وذكر علي بن أبي طالب عليه السلام جابر بن عبد الله فوصفه بالعلم ، فقال له رجل : جعلت فداك ، تصف جابراً بالعلم وأنت أنت ؟ فقال : إنه كان يعرف تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ <sup>(٢)</sup> .

وقال الشعبي : رحل مسروق إلى البصرة في تفسير آية ، فقيل له : إن الذي يفسرها رحل إلى الشام ، فتجهز ورحل إليه حتى علم تفسيرها <sup>(٣)</sup> .

وقال إياس بن معاوية : مثل الذين يقرؤون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلاً وليس عندهم مصباح فتداخلتهم روعة لا يدرون ما في الكتاب ، ومثل الذي يعرف التفسير كمثل رجل جاءهم بمصباح فقرأوا ما في الكتاب <sup>(٤)</sup> .

وقال مجاهد : أحب الخلق إلى الله أعلمهم بما أنزل . وقال الحسن : والله ما أنزل الله آية إلا أحب أن يعلم فيمن أنزلت وما يعني بها <sup>(٥)</sup> .

وقال الحسن : أهلكتهم العجمة ، يقرأ أحدهم الآية فيعيب بوجوهها حتى يفتری علياً فيها . وكان ابن عباس يبدأ في مجلسه بالقرآن ثم بالتفسير ثم بالحديث .

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام : ما من شيء إلا وعلمه في القرآن ولكن رأي الرجل يعجز عنه <sup>(٦)</sup> .

### الجرأة في تفسير القرآن ومراتب المفسرين :

روي عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت : « ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر من كتاب الله إلا آياً بعدد علمه إياهن جبريل » <sup>(٧)</sup> .

قال ابن عطية الأندلسي : ومعنى هذا الحديث : في مغيبات القرآن ، وتفسير مجمله ، ونحو هذا مما لا سبيل إليه إلا بتوقيف من الله - تعالى - ومن جملة مغيباته ما لم يُعلم الله به كوقت قيام الساعة ونحوه ، ومنها ما يستقرأ من ألفاظه ؛ كعدد النفخات في الصور ، وكرتية خلق السماوات والأرض .

(١) روى ذلك ابن جرير الطبري في تفسيره (٨٩ / ٣) .

(٢) سورة القصص ، الآية ( ٨٥ ) والأثر ذكره القرطبي في مقدمة تفسيره ( ٥٩ / ١ ) .

(٣) ذكره الشوكاني في مقدمة تفسيره فتح القدير ( ٢٠ / ١ ) .

(٤) ذكره الشوكاني في مقدمة تفسيره فتح القدير ( ٢٠ / ١ ) .

(٥) ذكره الشوكاني في مقدمة تفسيره فتح القدير ( ٢٠ / ١ ) .

(٦) ذكر ذلك ابن عطية في مقدمة تفسيره المحرر الوجيز .

(٧) ذكره القرطبي في مقدمة تفسيره ( ٦٦ / ١ ) .

## مقدمة التحقيق

وكان كبار العلماء من السلف كسعيد بن المسيب ، وعامر الشعبي ، وغيرهما ، يعظمون تفسير القرآن ويتوقفون عنه تورعاً واحتياطاً لأنفسهم ، مع إدراكهم وتقدمهم ، وكان جلة من السلف كثير عددهم يفسرونه ، وهم أبقوا على المسلمين في ذلك - رضي الله عنهم .

فأما صدر المفسرين والمؤيد فيهم فعلي بن أبي طالب عليه السلام ، ويتلوه عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - وهو تجرد للأمر وكمله وتبعه ، وتبعه العلماء عليه ؛ كمجاهد ، وسعيد ابن جبير ، وغيرهما ، والمحفوظ عنه في ذلك أكثر من المحفوظ عن علي بن أبي طالب عليه السلام .

وقال ابن عباس : ما أخذت من تفسير القرآن فعن علي بن أبي طالب <sup>(١)</sup> . وكان علي ابن أبي طالب يثني على تفسير ابن عباس ويحث على الأخذ عنه .

وكان عبد الله بن مسعود يقول : « نعم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس » <sup>(٢)</sup> .

وهو الذي يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم فقهه في الدين » <sup>(٣)</sup> وحسبك بهذه الدعوة . وقال عنه علي بن أبي طالب : « ابن عباس كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق » <sup>(٤)</sup> ، ويتلوه عبد الله بن مسعود ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهم أجمعين .

ومن المبرزين في التابعين الحسن بن أبي الحسن البصري ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعلقمة ، ويتلوهم عكرمة ، والضحاك بن مزاحم ، وإن كان لم يلق ابن عباس ، وإنما أخذ عن ابن جبير . وأما السدي - رحمه الله - فكان عامر الشعبي يطعن عليه وعلى أبي صالح ؛ لأنه كان يراهما مقصرين في النظر ، ثم حمل تفسير كتاب الله - تعالى - عدولاً كل خلف ، وألف الناس فيه ؛ كعبد الرزاق ، والمفضل ، وعلي بن أبي طلحة ، والبخاري ، وغيرهم .

ثم جاء محمد بن جرير الطبري - رحمه الله - فجمع على الناس أشتات التفسير ، وقرب البعيد وشفى في الإسناد . ومن المبرزين في المتأخرين : أبو إسحاق الزجاج ، وأبو علي الفارسي فإن كلامهما منخول ، وأما أبو بكر النقاش ، وأبو جعفر النحاس ، فكثيراً ما استدرك الناس عليهما . وعلى سننهما مكي بن أبي طالب - رحمه الله تعالى - وأبو العباس المهدي - رحمه الله - وكلهم مجتهد مأجور ، رحمهم الله ونضر وجوهم ، وألحقنا بهم في الصالحين .

(١) ذكره القرطبي في مقدمة تفسيره (٦٦/١) .

(٢) ذكره القرطبي في مقدمة تفسيره (٦٦/١) .

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (١٤٣) ، ومسلم رقم (٢٤٧٧) .

(٤) ذكره القرطبي في مقدمة تفسيره (٦٦/١) .

وبعد هذا الموجز نعرفُ بصاحب هذا الكتاب في إيجاز أيضا في ثلاث نقاط :  
 أولاً. علم الدين السخاوي ( ٥٥٨ هـ - ٦٤٢ هـ )<sup>(١)</sup> من المولد إلى الوفاة :

\* اسمه ولقبه وكنيته ونسبه :

هو الشيخ الإمام العلامة شيخ القراء والأدباء علم الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد بن عبد الأحد بن عبد الغالب بن غطاس الهمداني المصري السخاوي الشافعي نزيل دمشق .

فأما ( الهمداني ) ؛ فنسبة إلى همدان بن مالك بن زيد بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

وأما ( السخاوي ) فنسبة إلى مسقط رأسه ( سخا ) وهي بليدة بكفر الشيخ من محافظات مصر ( وقدما كانت تتبع محافظة الغربية ) .

ولقبه ( علم الدين ) ، وكنيته أبو الحسن وقلما يذكر لقبه دون كنيته أو العكس .

\* مولده : ولد بـ ( سخا ) من قرى محافظة كفر الشيخ إحدى محافظات مصر سنة ثمان وخمسين وخمسمائة من الهجرة ( ٥٥٨ هـ ) وقيل : سنة تسع وخمسين .

\* عصره<sup>(٢)</sup> :

أولاً. الحالة السياسية :

عاش علم الدين السخاوي في أواخر القرن السادس الهجري إلى منتصف القرن السابع الهجري .

وشهدت هذه الفترة الزمنية عصرين من عصور التاريخ الإسلامي وهما عصر الأيوبيين

(١) تنظر ترجمته في: إنباه الرواة للقفطي ( ٢ / ٣١١ ، ٣١٢ ) ، البداية والنهاية لابن كثير ( ١٣ / ١٧٠ ) ، بغية الوعاة للسيوطي ( ٢ / ١٩٢ - ١٩٤ ) ، حسن المحاضرة للسيوطي ( ١ / ٤١٢ - ٤١٣ ) ، الذيل على الروضتين لأبي شامة ( ١٧٧ ) ، سير أعلام النبلاء للذهبي ( ٢٣ / ١٢٢ - ١٢٤ ) ، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ( ٥ / ٢٢٢ / ٢٢٣ ) ، طبقات الشافعية للإسنوي ( ٢ / ٦٨ ، ٦٩ ) ، طبقات الشافعية للسبكي ( ٨ / ٢٩٧ ) ، طبقات المفسرين للداودي ( ١ / ٤٢٥ - ٤٢٨ ) ، غاية النهاية لابن الجزري ( ١ / ٥٦٨ - ٥٧١ ) ، معجم البلدان لياقوت الحموي ( ٣ / ١٩٦ ) ، وفيات الأعيان لابن خلكان ( ٣ / ٣٤٠ ، ٣٤١ ) .

قال ابن خلكان : وقياسه : سخوي ، لكن الناس أطبقوا على النسبة الأولى .

(٢) ينظر : تاريخ العصر الأيوبي للدكتورة أمينة بيطار ( ص : ٣٩ - وما بعدها ) ، ط . دار الطباعة الحديثة - دمشق - ١٩٨١ م ، الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي ، للدكتور عبد اللطيف حمزة ( ص : ١٥٠ - وما بعدها ) ، ط ٢ . دار الفكر العربي - القاهرة - ١٩٦٨ م .

وعصر المماليك . واتسم هذان العصران بكثرة الفتن الداخلية والخارجية؛ تمثلت الفتن الداخلية في الخلاف والصراع على تقاسم السلطة بين أبناء صلاح الدين بعد موته ، مما أدى إلى سقوط دولتهم في نهاية الأمر سنة ٦٤٨ هـ . وقامت على إثرهم دولة المماليك ، التي لم تخل أيضا من القلاقل والفتن والخلاف حول تولي السلطة والحكم بين الأمراء والسلاطين ، حتى وصل الأمر إلى التقاتل والصراعات التي أودت بحياة البعض منهم .

أما الفتن الخارجية فقد تمثلت في الخطرين الرهيبيين اللذين أهدقا بالأمة في ذلك العصر وهما : الخطر الصليبي الأوربي ، وما نتج عنه من حروب شديدة طاحنة عرفت في التاريخ ( بالحروب الصليبية ) ، وقد استمرت زمنا طويلا ، وانتهى الأمر إلى الهزيمة الشديدة للصليبيين على يد البطل المسلم صلاح الدين الأيوبي في موقعة حطين الخالدة سنة ٥٨٣ هـ وأعاد الأقصى وبيت المقدس للمسلمين بعد احتلال زاد على تسعين عاما تحت أيدي الصليبيين .

ثم جاء الخطر الثاني وهو خطر التتار الذين هجموا هجمة شرسة على العالم الإسلامي ، واستولوا على عاصمة الخلافة الإسلامية آنذاك بغداد وقتلوا الخليفة العباسي ، واتجهوا نحو الاستيلاء والسيطرة على العالم الإسلامي كله ، ولكن الله - تعالى - رد كيدهم في نحورهم ، وهياً من الأمة من يرد هذا الخطر الرهيب ، وظهر القائد البطل المصري المظفر قطز الذي وحد بين جيش المسلمين في مصر والشام ، وتصدى للتتار وألحق بهم هزيمة منكرة في موقعة ( عين جالوت ) سنة ٦٥٨ هـ .

### ثانياً. الحالة الاجتماعية والاقتصادية :

إن الحالة الاجتماعية والاقتصادية في أي عصر تكون تابعة للحالة السياسية ، وقد انعكس ذلك الأمر في تلك الفترة التي عاشها السخاوي فقد عاش في الشام ومصر ، وكانت البلاد في القطرين تمرّ بظروف متشابهة اجتماعياً واقتصادياً ؛ فاجتماعياً كان المجتمع يتألف من مجموعة من الطبقات وهي :

- الحكام وأعوانهم : وكانوا يعيشون في مجبوحة من العيش والترف والبذخ ، وظهر في هذه الطبقة بعض المظالم والمفاسد .

- العلماء والفقهاء : وكانوا حلقة الوصل بين الحكام والعامّة ، وكان الناس يُجلبونهم ويحترمونهم لا سيما أهل الحق والشجاعة منهم ، الذين لا يخافون في الحق لومة لائم كعلم الدين السخاوي - رحمه الله - وأمثاله فيناصحون الحكام وينكرون عليهم المنكر الذي يظهر منهم . وكان منهم مجموعة من المداهنين للحكام فلا يأمرونهم بمعروف ولا ينهونهم عن منكر ، مما أظهر بعض الخلاف بين الفريقين من العلماء .

- العامة : وهم أصحاب المهن والحرف والتجار والزراع وغيرهم من العاملين والكادحين .

- أهل الذمة : وهم اليهود والنصارى الذين يعيشون في الدولة الإسلامية ، وكانوا يشاركون في تقدم البلاد ، ولهم دور مهم في التجارة والأعمال الحرفية ، وبرز منهم كثير من الأدباء وأصحاب الأموال والأعمال .

### ثالثاً. الحالة العلمية :

لم يؤثر الوضع السياسي للدولة الإسلامية في عصر السخاوي على الوضع العلمي، بل على العكس لقد نشطت الحياة العلمية نشاطاً ملحوظاً ، وذلك لاهتمام الحكام والأمراء بالعلم والعلماء ، وتقريبهم لهم ، وتشجيعهم لطلبة العلم بإعطائهم المكافآت ، وبناء المدارس ، وخزائن الكتب ، ومساكن الطلاب . واشترك في ذلك السلطان نور الدين زنكي، وسلاطين الأيوبيين وعلى رأسهم صلاح الدين ، وسار سلاطين المماليك في الدولة المملوكية على نهج الأيوبيين . وأبرز هذا النشاط العلمي العديد من العلماء والجهابذة في شتى مجالات العلم وكان من أشهر علماء عصره :

- ١ - فخر الدين الرازي المفسر ت ( ٦٠٦ هـ ) .
- ٢ - ابن الأثير الجزري اللغوي ت ( ٦٠٦ هـ ) .
- ٣ - ابن قدامة ت ( ٦٢٠ هـ ) .
- ٤ - الرافعي ت ( ٦٢٤ هـ ) .
- ٥ - عز الدين بن الأثير المؤرخ ت ( ٦٣٠ هـ ) .
- ٦ - السهروردي ت ( ٦٣٢ هـ ) .
- ٧ - جمال الدين الحصري الحنفي ت ( ٦٣٧ هـ ) .
- ٨ - ابن العربي المالكي ت ( ٦٣٨ هـ ) .
- ٩ - أبو عمرو بن الصلاح ت ( ٦٤٣ هـ ) .
- ١٠ - العز بن عبد السلام ت ( ٦٦٠ هـ ) .
- ١١ - أبو عمرو بن الحاجب النحوي المالكي ت ( ٦٤٦ هـ ) .
- ١٢ - مجد الدين بن تيمية ت ( ٦٥١ هـ ) .
- ١٣ - ابن مالك النحوي صاحب الألفية ت ( ٦٧٢ هـ ) وهو من تلامذته .
- ١٤ - محيي الدين النووي ت ( ٦٧٦ هـ ) .

وغيرهم كثيرون من شيوخ السخاوي وتلامذته الذين سيأتي ذكرهم في هذا التعريف الموجز له .

### \* أخلاقه :

وصفه الكثيرون من معاصريه ومن جاءوا بعده وأثنوا على أخلاقه ومن هؤلاء :  
قال السيوطي في نعته : « طويل الباع في الأدب ، مع التواضع في الدين والمودة وحسن الأخلاق ، من أفراد العالم ، وأذكيا بني آدم ، مليح المجاورة ، حلو النادرة ، حاد القريحة ، مطرح التكلّف »<sup>(١)</sup>.

وقال ابن الجزري بعد تعداد العلوم التي برع فيها السخاوي : « وكان مع ذلك ديناً خيراً متواضعاً ، وافر الحرمة ، كبير القدر ، محبباً إلى الناس ، ليس له شغل إلا العلم والإفادة »<sup>(٢)</sup>.

### \* منزلته العلمية :

كان الإمام علم الدين السخاوي إماماً في العربية ، بصيراً باللغة ، فقيهاً ، مفتياً ، عالماً بالقراءات وعللها ، مجوداً لها ، بارعاً في التفسير ، صنف وأقرأ وأفاد ، وروى الكثير وبعده صيته ، وتكاثر عليه القراء . فهو إمام في القراءات ، والحديث ، والتفسير ، واللغة ، والأدب .

قال الإمام الذهبي : « كان إماماً كاملاً ، ومقرئاً محققاً ، ونحوياً علامةً ، مع بصره بمذهب الإمام الشافعي رحمه الله ومعرفته بالأصول ، وإتقانه للغة ، وبراعته في التفسير ، وإحكامه لضروب الأدب ، وفصاحته بالشعر ، وطول باعه في النثر »<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن خلكان : « ورأيت بدمشق والناس يزدحمون عليه في الجامع لأجل القراءة ولا يصح لواحد منهم نوبة إلا بعد زمان ... ولم يزل مواظباً على وظيفته إلى أن تُوفي بدمشق »<sup>(٤)</sup>.

ونقل السيوطي قول بعضهم : « كان إماماً عالماً مقرئاً محققاً مجوداً بصيراً بالقراءات وعللها ، إماماً في النحو واللغة والتفسير ، عارفاً بالفقه وأصوله ، طويل الباع في الأدب »<sup>(٥)</sup>.

(١) بغية الوعاة ( ٢ / ١٩٢ ) .

(٢) غاية النهاية ( ١ / ١٩٢ ) .

(٣) معرفة القراء ( ص ٥٠٤ ) ، بغية الوعاة ( ٢ / ١٩٢ ) .

(٤) وفيات الأعيان ( ٣ / ٣٤٠ ) .

(٥) بغية الوعاة ( ٢ / ١٩٢ ) .

وليس أدلّ على مكانته العلمية من مصنفاته وتلاميذه وآثاره ؛ فقد نقل ابن الجزري العلوم التي برع فيها السخاوي ، ثم قال : « أتقن هذه العلوم إتقاناً بليغاً ، وليس في عصره من يلحقه فيها ، وكان عالماً بكثير من العلوم غير ذلك ، مفتياً ، أصولياً ، مناظراً » .  
وقال أيضاً : « أقرأ الناس نيفاً وأربعين سنة بجامع دمشق عند رأس يحيى بن زكريا - عليهما السلام - ثم بتربة أم الصالح ، ولأجله بُنيت وبسببه جعل شرطها على الشيخ أن يكون أعلم أهل البلد بالقراءات ، فقصده الطلبة من الآفاق ، وازدهموا عليه ، وتنافسوا في الأخذ عنه » <sup>(١)</sup> .

وذكر الإسنوي أنه « كان فقيهاً على مذهب الإمام الشافعي ، إماماً في القراءات والتفسير والنحو واللغة » <sup>(٢)</sup> . وقول الإمام الذهبي الذي ترجم له في أكثر من كتاب يشير إشارة صريحة إلى إمامة السخاوي وتفوقه على أقرانه حيث قال : « وانتهت إليه رئاسة الإقراء والأدب في زمانه بدمشق ، وقرأ عليه خلق لا يحصيهم إلا الله ، وما علمت أحداً حمل عنه القراءات أكثر مما حمل عنه وله تصانيف متقنة » <sup>(٣)</sup> .

### \* شيوخه وتلاميذه :

#### أولاً - شيوخه :

أخذ علم الدين السخاوي العلم عن جماعة كبيرة من جِلَّة العلماء في مصر والشام نذكر منهم :

#### - من شيوخه في مصر :

- ١ - الحافظ أبو الطاهر السِّلْفِي <sup>(٤)</sup> : صدر الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن سَلِفة الأصبهاني ، أحد الحفاظ الكثيرين ، رحل في طلب العلم والحديث ولقي أعيان المشايخ ، وكان شافعي المذهب ، تُوفي بالإسكندرية سنة ٥٧٦ هـ .
- ٢ - صدر الإسلام أبو الطاهر بن عوف بن إسماعيل بن مكّي بن إسماعيل بن عيسى بن عوف الزهري الإسكندراني المالكي <sup>(٥)</sup> ، تُوفي سنة ٥٨١ هـ .
- ٣ - أبو الجيوش عساكر بن علي الشافعي <sup>(٦)</sup> : فقيه مقرئ كامل ، وإمام صادق صالح ، تُوفي ٥٨١ هـ .

(١) غاية النهاية (١/٥٦٩) .

(٢) طبقات الشافعية (٢/٦٨) .

(٣) العبر في خبر من غير (٥/١٧٨) .

(٤) تنظر ترجمته في: وفيات الأعيان (٢/١٠٥) .

(٥) تنظر ترجمته في: شذرات الذهب (٤/٢٦٨) .

(٦) تنظر ترجمته في: غاية النهاية (١/٥١٢) .



## مقدمة التحقيق

٤ - أبو القاسم البوصيري<sup>(١)</sup> : هبة الله بن علي بن مسعود بن ثابت بن هاضم بن غالب ابن ثابت الأنصاري الخزرجي المعروف بالبوصيري ، كان أديباً كاتباً ، له سماعات عالية ، وروايات تفرد بها ، وألحق الأصغر بالأكابر في علو الإسناد ، ولم يكن في آخر عصره في درجته مثله ، تُوفي سنة ٥٩٨ هـ .

٥ - الشاطبي<sup>(٢)</sup> : هو الإمام أبو القاسم - وقيل أيضاً : أبو محمد القاسم بن فيرة بن أبي القاسم خلف بن أحمد الرعيني الشاطبي الضرير المقرئ صاحب (حز الأمانى) في القراءات، وكان عالماً بكتاب الله - تعالى - قراءةً وتفسيراً ، ومحدث رسول الله ﷺ مبرزاً فيه عالماً بالنحو واللغة ، وتصدر للإقراء بمصر ، فعظم شأنه ، وبعد صيته ، وانتهت إليه الرئاسة في الإقراء ، تُوفي سنة ٥٩٠ هـ وهو من أكبر أساتذة السخاوي ، ومع ذلك فقد قيض الله - تعالى - لقصيدته في القراءات أن تذاع على يدي تلميذه ، وكأنه كان يخصه بذلك حينما قال : « يُقَيِّضُ اللَّهُ لَهَا فَتَى يَشْرَحُهَا » .

لازمه السخاوي مدة وقرأ عليه القرآن بالروايات ، وتلقن منه ، وقرأ عليه النحو واللغة . ثم شرح قصيدته المشهورة بالشاطبية في كتابه العظيم ( فتح الوصيد في شرح القصيد ) .

٦ - أبو الجود اللخمي<sup>(٣)</sup> : هو غياث بن فارس بن مكي المقرئ النحوي العروضي الضرير شيخ القراء بديار مصر ، تُوفي سنة ٦٥٠ هـ .

٧ - الشهاب الغزنوي<sup>(٤)</sup> : محمد بن يوسف بن علي ، أبو الفضل الغزنوي ، المقرئ الفقيه النحوي ، نزيل القاهرة ، تُوفي سنة ٥٩٩ هـ .

## -ومن شيوخه في دمشق :

٨ - ابن طبرزد<sup>(٥)</sup> : أبو حفص عمر بن أبي بكر بن معمر بن أحمد بن يحيى بن حسان المحدث المشهور البغدادي ، كان عالي الإسناد ، وأفاد أهلها ، وألحق الأصغر بالأكابر ، وطبق الأرض بالسماعات والإجازات ، وامتدت له الحياة فخلا له العصر ، وكان فيه صلاح وخير ، تُوفي ببغداد سنة ٦٠٧ هـ .

٩ - حنبل بن عبد الله الرصافي<sup>(٦)</sup> أبو بكر عبد الله المكبر المحدث راوي المسند بكماله عن

(١) تنظر ترجمته في: وفيات الأعيان (٦ / ٦٧) .

(٢) تنظر ترجمته في: وفيات الأعيان (١ / ٧٤) .

(٣) تنظر ترجمته في: معرفة القراء الكبار (٤٧٠) .

(٤) تنظر ترجمته في: معرفة القراء الكبار (٥٦٢) .

(٥) تنظر ترجمته في: وفيات الأعيان (٣ / ٤٥٢) .

(٦) تنظر ترجمته في: شذرات الذهب (١٢/٥) .

ابن الحصين ، وسمع المسند في نيف وعشرين مجلساً بقراءة ابن الخشاب ، تُوفي سنة ٦٠٤ هـ .  
 ١٠ - أبو اليُمْن الكندي<sup>(١)</sup> : هو زيد بن الحسن تاج الدين أبو اليمن الكندي البغدادي  
 التاجر المقرئ النحوي الحنفي ، شيخ القراء والنحاة بدمشق ، كان عالي الإسناد في القراءات  
 والحديث ، تُوفي سنة ٦١٣ هـ .

عاود السخاوي قراءة القرآن الكريم عليه بالروايات ، ولازمه وقرأ عليه جملة من  
 سماعته في الأدب وغيره ، قال عنه في المفضل : « لقيت جماعة من أهل العربية منهم الشيخ  
 الفاضل أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي - رحمه الله - وكان عنده في هذا الشأن ما لم يكن  
 عند غيره ، وأخذت عنه كتاب سيويه ، وقرأت عليه كتاب ( الإيضاح ) لأبي علي الفارسي  
 مستشراً ، وأخذت عنه كتاب ( اللمع ) لأبي الفتح بن جني ، وكان واسع الرواية وافر  
 الدراية . كما أخذ عنه ( الحجّة ) لأبي علي الفارسي ، وذكره في سفر السعادة في مواضع  
 متعددة من الكتاب ، كما ذكره في المفضل مادحاً ونقل عنه كثيراً من آرائه<sup>(٢)</sup> .

### ثانياً. تلاميذه :

قال الذهبي : « وقرأ على السخاوي خلق لا يحصيهم إلا الله ، وما علمت أحداً في  
 الإسلام حمل عنه القراءات أكثر مما حمل عنه ، وله تصانيف متقنة ، وكان له حلقة بجامع  
 دمشق يقرأ عليه فيها القرآن الكريم والعربية والحديث ، فإذا خرج من الجامع إلى قاسيون  
 ركب حماراً ، والطلبة يقرؤون عليه القرآن في الطريق »<sup>(٣)</sup> .

ومن هنا فإن تلاميذه يفوقون الحصر نذكر هنا بعضهم على سبيل التمثيل :

١ - ابن مالك<sup>(٤)</sup> أبو عبد الله ، جمال الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن  
 مالك الطائي الجبالي الشافعي النحوي ، نزيل دمشق . الإمام العالم النحوي الذي طبقت  
 شهرته الآفاق ، ولد ببيان سنة ٦٠٠ هـ وتُوفي سنة ٦٧٢ هـ .

قال ابن الجزري بعد أن ترجم له : وأشهر هؤلاء الشيوخ الذين كان لهم الفضل الكبير  
 في نبوغه في النحو والقراءات أبو الحسن السخاوي ، وابن يعيش الحلبي .

٢ - أبو شامة<sup>(٥)</sup> : شهاب الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي

(١) تنظر ترجمته في : معرفة القراء الكبار للذهبي (٤٦٧) .

(٢) سفر السعادة وسفير الإفادة للسخاوي ، تحقيق الأستاذ محمد أحد الدالي (١٥ / ١) .

(٣) تنظر ترجمته في : مرآة الزمان لليافعي (٧٥٨ / ٨) .

(٤) تنظر ترجمته في : بغية البغاة (١ / ١٣٠) ، شذرات الذهب (٥ / ٣٣٩) .

(٥) تنظر ترجمته في : البداية والنهاية (١٣ / ٢٥٠) ، شذرات الذهب (٥ / ٣١٨) .

ثم الدمشقي الشافعي المقرئ النحوي ، الإمام الحافظ العلامة ، صاحب ( إبراز المعاني ) في شرح قصيدة الشاطبي في القراءات ، ولد سنة ٥٩٩ هـ ، وتوفي سنة ٦٦٥ هـ .

٣ - أبو الفتح محمد بن علي بن موسى<sup>(١)</sup> ، شمس الدين الأنصاري الدمشقي ، أجل أصحاب السخاوي ، قرأ عليه السبع ، إفراداً وجمعاً .

٤ - أبو الفداء إسماعيل بن عثمان المعلم<sup>(٢)</sup> ، إمام عالم بالقراءات قرأ بالروايات على السخاوي توفي سنة ٧١٤ هـ .

٥ - جمال الدين أحمد بن عبيد الله بن شعيب التميمي الصقلي<sup>(٣)</sup> ، ولد سنة ٥٩٠ هـ ، ولازم السخاوي مدة وأتقن القراءات عليه . توفي سنة ٦٦٧ هـ .

وغير هؤلاء الكثير من العلماء والمشهورين في علوم القراءات واللغة .

### \* مذهبه في العقيدة والفقہ والنحو :

#### أولا - مذهبه في العقيدة :

كان السخاوي - رحمه الله - يقول بقول الأشاعرة في مسائل الإيمان والاعتقاد لاسيما في القول في صفات الله - تعالى - التي كانت مثار الجدل والخلاف بين طوائف المسلمين من حيث كيفية الإيمان بها .

فمنهم من أثبتها كما وردت في القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تشبيه ولا تعطيل ، ويُمرونها كما أتت على مراد الله - تعالى - في إطار قوله - تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] ، ونفوا عن الله - تعالى - ما لم يثبت له نفسه ، مراعين تنزيه الله - تعالى - عن مشابهة خلقه في صفاته ، كما لا يشبهه أحد في ذاته . وهذه هي عقيدة الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة المشهورين: أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد - رحمهم الله . وهي أيضا عقيدة الإمام أبي الحسن الأشعري - رحمه الله تعالى - كما جاء في كتابه : ( الإبانة عن أصول الديانة ) ، و ( مقالات الإسلاميين ) ، وهما آخر ما كتب الشيخ أبو الحسن الأشعري - رحمه الله تعالى .

وهناك طائفة أخرى خالفوا هذا المنهج في الإيمان بصفات الله - تعالى - وأدى بهم إعمال عقولهم بطريقة مُبالغ فيها إلى نفي الكثير من صفات الله - تعالى - بدعوى التنزيه . وقام على إثر هذا الخلاف طوائف أخرى كالمعتزلة والجهمية والمعطلة وغيرهم ، وكان المذهب

(١) تنظر ترجمته في : طبقات القراء ( ٢ / ٢١١ ) .

(٢) تنظر ترجمته في : طبقات القراء ( ١ / ١٦٦ ) .

(٣) تنظر ترجمته في : الذيل على الروضتين ( ٢٣٥ ) .

الأشعري في بعض الأوقات يعده البعض مذهب أهل السنة والجماعة لردهم على المذاهب الأخرى وخاصة المعتزلة الذين بالغوا في تعطيل كثير من الصفات بجانب تبنيتهم لآراء جديدة تتعلق بالتوحيد والقدر وموقف أهل الكبائر من المسلمين وغيرها . وقد أعجب السخاوي - رحمه الله - بآراء الأشاعرة في هذه الأمور والتزم مذهبهم وأقوالهم .

وقد صنف السخاوي - رحمه الله تعالى - بعض المصنفات في العقيدة منها : الكوكب الوقاد في الاعتقاد في أصول الدين ، كما سيأتي في ذكر مصنفاته وآثاره . وظهر مذهب العقدي واضحاً في هذا التفسير ؛ فأول صفات الله - تعالى - على النحو الذي يليق بها - من وجهة نظره - بحيث تنتفي أي شبهة أو إيهام بتشبيه صفات الله تعالى بصفات المخلوقين ، كما ردّ على المعتزلة في العديد من الأمور ، والمتبع لتفسيره يرى ذلك واضحاً جلياً ، وقد علقنا على ذلك في الحاشية وبيننا مذهب السلف الصالح من أهل السنة والجماعة في تلك الأمور .

### ثانياً - مذهب الفقهي :

تقدم الحديث عن مكانته العلمية ومما ذكر في علومه أنه كان مهتماً بالفقه عالماً بأصوله ومفتياً ومناظراً كما قال الذهبي : « مع بصره بمذهب الإمام الشافعي رحمته ومعرفته بالأصول » . وذكر الإسنوي أنه « كان فقيهاً على مذهب الإمام الشافعي » . ونقل السيوطي قول بعضهم : « كان إماماً عالماً مقرئاً محققاً مجوداً بصيراً بالقراءات وعللها ، إماماً في النحو واللغة والتفسير ، عارفاً بالفقه وأصوله » . ونقل ابن الجزري العلوم التي برع فيها السخاوي ثم قال : « أتقن هذه العلوم إتقاناً بليغاً ، وليس في عصره من يلحقه فيها ، وكان عالماً بكثير من العلوم غير ذلك ، مفتياً ، أصولياً ، مناظراً » . وقد كان مبدأً اشتغاله بالفقه على مذهب الإمام مالك بمصر ، ثم انتقل إلى مذهب الإمام الشافعي - رحمهم الله جميعاً . وقد ظهر اهتمامه بالفقه ومسائله في تفسيره من خلال إيراد الكثير من المسائل والأحكام المستنبطة من الآيات القرآنية ، ومن خلال نقله لآراء العديد من الفقهاء ، وذكر بعض كتب الفقه ، وكان واضحاً من خلال عرضه لذلك اتباعه لمذهب الشافعي - رحمه الله تعالى .

### ثالثاً - مذهب النحوي :

كان علم الدين السخاوي إماماً في النحو واللغة والأدب ، وهذا أمرٌ جليٌّ في ضوء كتبه ومصنفاته ، وحسبه كتابه ( المفضل في شرح المفصل ) ، ويعد السخاوي من نخبة القرنين السادس والسابع الهجريين ، وكان النحو في هذه الفترة قد وصل إلى مرحلة النضج ، وأصبح علماً متكاملًا شامخاً البنيان مكتمل الأركان ، مما جعل دور نخبة هذه الفترة يغلب عليه الترجيح والاختيار والشرح والتحليل والتبويب والتنظيم لمصنفات السابقين وآرائهم ،

ومع ذلك فقد أبدع النحاة في تلك الفترة في جمع آراء وأقوال العلماء المتقدمين ، من خلال كتبهم ، وعرضها مع المناقشة والترجيح والاختيار ، على أساس الدليل القوي والحجة على ما يختارونه - وامتاز نحاة هذه الفترة بالمنهجية في التأليف والإبداع في التنظيم والتبويب والشرح والتحليل .

- وقد دارت معظم المصنفات والمؤلفات في تلك الفترة في فلك شروح مصنفات المتقدمين ، ومن أبرزها : ( كتاب سيويه ) ، ومصنفات أبي علي الفارسي ، وغيرهما .

- وكان الاتجاه الغالب في تلك الفترة على النحاة عدم التقيد بمذهب نحوي معين ، بل قام مذهبهم على الاختيار والانتقاء من كل مدرسة ما يرونه صواباً ، مستنداً على الأدلة والشواهد التي تؤيد هذا الرأي أو ذاك . وهو ما كان يمثل اتجاه المدرسة البغدادية<sup>(١)</sup> ، مع وجود طائفة أخرى من النحاة كانوا يتقيدون بمذهب معين من المذاهب النحوية المعروفة .

وكان علم الدين السخاوي - الذي عاش في تلك الفترة - يذهب مذهب غالب نحاة عصره ، وهو اتجاه المدرسة البغدادية ، مع ميله بصورة أكثر إلى المدرسة البصرية .

- وكان اتجاه البغداديين يقوم على الأخذ من المدرستين الأصليتين مدرسة الكوفة ومدرسة البصرة - هو المذهب الغالب على نحاة تلك الفترة ، من أمثال : الزمخشري ( ت ٥٣٨ هـ ) ، وابن الشجري ( ت ٥٤٢ هـ ) ، وأبو البركات بن الأنباري ( ت ٥٧٧ هـ ) ، وأبو البقاء العكبري ( ت ٦١٦ هـ ) ، وابن يعيش شارح المفصل ( ت ٦٤٣ هـ ) ، وغيرهم<sup>(٢)</sup> .

- والحق أن السخاوي - رحمه الله - لم يصرح بمذهبه النحوي في مصنفاته وكذلك لم يصرح بميله وانتمائه إلى مدرسة نحوية معينة ، ولكن ما دعانا إلى الحكم ببغداديته في النحو ما استنبطناه من خلال مصنفاته وتفسيره ، ويمكن إجمال الأدلة والشواهد على ما ذهبنا إليه في النقاط التالية :

١ - مصادره .

٢ - موقفه من المدارس النحوية ومسائل الخلاف .

٣ - اختياراته ومخالفاته .

٤ - مصطلحاته<sup>(٣)</sup> .

(١) ينظر : المدارس النحوية للدكتور شوقي ضيف ( ص : ٢٤٥ ) .

(٢) ينظر : المدارس النحوية ( ص : ٢٧٧ ) .

(٣) ينظر : تفصيل ذلك في : السخاوي وجهوده النحوية من خلال تفسيره للقرآن العظيم ( ص : ٣٤١ وما بعدها ) للدكتور أشرف محمد عبد الله . رسالة ماجستير - بدار العلوم - المنيا .

## \* وفاته :

قال أبو شامة أحد تلاميذ الإمام السخاوي : « وفيها - أي في سنة ٦٤٣ هـ - ليلة الأحد ثاني عشر من جمادى الآخرة تُوفي شيخنا علم الدين أبو الحسن علي بن محمد السخاوي - رحمه الله - علامة زمانه ، وشيخ عصره وأوانه بمنزله بالتربة الصالحية . وصُلِّي عليه بعد الظهر بجامع دمشق ، ثم خُرج بجنازته في جمع متوفر إلى جبل ( قاسيون ) ، فدفن بتربته التي في ناحية تربة بني صصري خلف دار ابن الهادي . حضرت الصلاة عليه مرتين بالجامع وخارج باب الفرج ، وشيعته إلى سوق الغنم ، ثم رجعت لضعف كان من أثر مرض قريب العهد وكان يوماً مطيراً وفي الأرض وَحْلٌ كثير ، وكان على جنازته هَيْبَةٌ وجلالة ورُقَّة وإخبات . وختم بموته موت مشايخ الشام يومئذٍ . وفقد الناسُ بموته علماً كثيراً ، ومنه استفدت علوماً جَمَّةً ؛ كالقراءات والتفسير وعلوم العربية ، وصحبه من شعبان سنة أربع عشرة ، ومات وهو عني راضٍ ، والحمد لله على ذلك - رحمه الله - وجمع بيننا وبينه في جنته آمين » (١) . اهـ .

## ثانياً - آثاره ومصنفاته :

- ذكر المترجمون له العديد من المصنفات نذكر منها :
- ١ - الإفصاح وغاية الإشراف في القراءات السبع (٢) .
  - ٢ - أقوى العدد في القراءة (٣) .
  - ٣ - التبصرة في صفات الحروف وأحكام المد (٤) .
  - ٤ - تحفة الفراض وطريقة المرتاض (٥) .
  - ٥ - تفسير القرآن العظيم : وهو الذي بين أيدينا ، وسيأتي حديث مستقل عنه إن شاء الله تعالى .
  - ٦ - تنوير الظلم في الجود والكرم (٦) .
  - ٧ - جمال القراء وكمال الإقراء وهو مطبوع (٧) .

(١) الذيل على الروضتين ( ١٧٧ ) .

(٢) ينظر : كشف الظنون ( ١ / ٨١ ) ، هدية العارفين ( ١ / ٣٧٨ ) .

(٣) ينظر : كشف الظنون ( ١ / ٨١ ) ، هدية العارفين ( ١ / ٣٧٨ ) .

(٤) ذكر بروكلمان أن منه نسخة في الأصفية رقم ( ٢٦٦ ) .

(٥) ينظر : كشف الظنون ( ٢ / ١١٧١ ) ، هدية العارفين ( ١ / ٣٧٨ ) .

(٦) ينظر : كشف الظنون ( ١ / ٥٠١ ) ، هدية العارفين ( ١ / ٣٧٨ ) .

(٧) مطبوع بمطبعة المدني - مكة المكرمة - تحقيق : د . حسين علي البواب - ١٩٨٧ م .

- ٨ - الجواهر المكملة في الأخبار المسلسلة<sup>(١)</sup> .
- ٩ - ذات الحلل ومهارة الكِلل<sup>(٢)</sup> : ذكره ابن الشعار، ومنه نسخة في دار الكتب المصرية، ونسخة مصورة عن دار الكتب المصرية بمعهد المخطوطات العربية، وقد ألحقها الأستاذ الدالي بكتاب سفر السعادة .
- ١٠ - سفر السعادة وسفير الإفادة<sup>(٣)</sup> .
- ١١ - شرح مشكاة المصابيح للبغوي<sup>(٤)</sup> .
- ١٢ - شكوى الاشتياق إلى النبي الطاهر الأخلاق<sup>(٥)</sup> .
- ١٣ - الطود الراسخ في المنسوخ والناسخ في القراءة<sup>(٦)</sup> .
- ١٤ - عمدة المفيد وعدة المجيد في معرفة التجويد : منظومة في أحكام التجويد، وهي مضمنة في كتاب ( جمال القراء )، وأفاد منها من بعده كثيراً<sup>(٧)</sup> .
- ١٥ - فتح الوصيد في شرح القصيد<sup>(٨)</sup> : شرح فيها قصيدة الإمام الشاطبي المسماة بـ ( حرز الأمانى ووجه التهاني ) .
- ١٦ - القصائد السبع، في المدائح النبوية : ذكره ابن الجزري وحاجي خليفة<sup>(٩)</sup> .
- ١٧ - الكوكب الوقاد : ذكره بروكلمان، باسم ( الكوكب الوقاد في الاعتقاد في أصول الدين )، وذكره السيوطي في البغية باسم ( الكوكب الوقاد في أصول الدين )، وفي هدية العارفين : الكوكب الوقاد في تصحيح الاعتقاد<sup>(١٠)</sup> .

(١) ينظر : كشف الظنون ( ١ / ٦١٧ )، هدية العارفين ( ١ / ٣٧٨ ) .

(٢) ينظر : كشف الظنون ( ١ / ٦١٧ )، هدية العارفين ( ١ / ٣٧٨ ) .

(٣) مطبوع - مجمع اللغة العربية بدمشق بتحقيق الأستاذ محمد أحمد الدالي . ط . ١٩٨٣ م .

(٤) ينظر : كشف الظنون ( ٢ / ٦٩٨ )، هدية العارفين ( ١ / ٣٧٨ ) .

(٥) ينظر : هدية العارفين ( ١ / ٣٧٨ ) .

(٦) ينظر : كشف الظنون ( ٢ / ١١١٨ )، هدية العارفين ( ١ / ٣٧٨ ) .

(٧) ينظر : كشف الظنون ( ٢ / ١١٧١ )، هدية العارفين ( ١ / ٣٧٨ ) .

(٨) مطبوع بدار البيان - الكويت - تحقيق : د. أحمد عدنان الزغبى - ٢٠٠٢ م .

(٩) ذكره البغدادي في هدية العارفين بأكثر من اسم منها: ذات الأصول في مدح الرسول - ذات الأصول والقبول في مفاخر الرسول - ذات الدرر في معجزات سيد البشر .

ينظر : هدية العارفين ( ١ / ٣٧٨ ) ومنه نسخة في برلين ( ٧٧٥٢ ) .

(١٠) ينظر : تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ( ١ / ٧٢٨ )، كشف الظنون ( ٢ / ١٥٢٣ )، هدية العارفين ( ١ / ٣٧٨ ) .

- ١٨ - لواقح الفكر في أخبار من غير<sup>(١)</sup> .
- ١٩ - مراتب الأصول وغرائب الفصول في القراءة<sup>(٢)</sup> .
- ٢٠ - المفاخرة بين دمشق والقاهرة : ذكره ابن الجزري ، وهو من كتب السخاوي المفقودة .
- ٢١ - المفضل في شرح المفصل :
- ذكره أكثر من ترجم للسخاوي والكتاب حُقق في عدد من الرسائل العلمية<sup>(٣)</sup> .
- ٢٢ - منازل الإجلال والتعظيم في فضائل القرآن العظيم<sup>(٤)</sup> .
- ٢٣ - مناسك الحج : ذكره ابن الشعار باسم ( تحفة الناسك في معرفة المناسك )<sup>(٥)</sup> .
- ٢٤ - منهاج التوقيف في القراءة<sup>(٦)</sup> .
- ٢٥ - منير الدياتجي في تفسير الأحاجي : ذكره الذهبي وابن الجزري وابن الشعار ، وذكره السخاوي في كتابه سفر السعادة ، وسماه السيوطي في البغية بـ ( شرح أحاجي الزمخشري )<sup>(٧)</sup> .
- ٢٦ - نثر الدرر في ذكر الآيات والسور<sup>(٨)</sup> .
- ٢٧ - هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب في نظم متشابه الكتاب منظومة في متشابه كلمات القرآن الكريم<sup>(٩)</sup> .
- ٢٨ - الوسيلة إلى كشف العقيلة<sup>(١٠)</sup> : هو الشرح الشهير على قصيدة الإمام الشاطبي ، ذكره ابن الجزري ، والذهبي والسيوطي ، وابن قاضي شعبة وابن العماد الحنبلي

(١) ينظر: هدية العارفين (١/٣٧٨) .

(٢) ينظر: كشف الظنون (٢/١٦٥٠) ، هدية العارفين (١/٣٧٨) .

(٣) منها: رسالة دكتوراه - كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر - القاهرة - يوسف محمد محمود - ١٩٨١م - رقم (٢٦٧٨) ، رسالة دكتوراه - كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر - القاهرة - محمود السيد الدريني - ١٩٩٢م - رقم (٢٨٥٥) .

(٤) ينظر: كشف الظنون (٢/١٨٢٧) ، هدية العارفين (١/٣٧٨) .

(٥) ينظر: كشف الظنون (٢/١٨٣٠) ، هدية العارفين (١/٣٧٨) .

(٦) ينظر: كشف الظنون (٢/١١٧١) ، هدية العارفين (١/٣٧٨) .

(٧) حققه الدكتور سلامة عبد الغفور المراقي بالسعودية .

(٨) ينظر: كشف الظنون (٢/١٩٢٧) ، هدية العارفين (١/٣٧٨) .

(٩) ينظر: كشف الظنون (٢/١١٧١) ، هدية العارفين (١/٣٧٨) وهي مطبوعة محققة .

(١٠) ينظر: كشف الظنون (١/١١٥٩) ، هدية العارفين (١/٣٧٨) ومنه نسخة في تركيا - مكتبة سليم أغا رقم (٢٢) .



وحاجي خليفة .

- ومن نظمه وشعره:

- ١ - منظومة في نظم الأحاجي تعقيباً على أحاجي الزمخشري .
- ٢ - منظومة في نظم متشابه آي الكتاب . وهي هداية المرتاب .
- ٣ - منظومة في نظم علم التجويد وأحكامه .
- ٤ - منظومة في نظم الأدب واللغة المسماة بـ ( ذات الحلل ) وهي منظومة عدة أبياتها ثلاثة وأربعون بيتاً ومائتا بيت ، جمع فيها ثمانية وسبعين لفظاً ومائتي لفظ مما اتفق لفظه ، واختلف معناه ، ويظهر فيها مقدرته الفائقة وسيطرته على نواصي اللغة ، ومع غرابة موضوعها وطرافته وصعوبته إلا إنها نظم رقيق على نغمة بحر جميل - البسيط - تؤنس السماع وتمتعه ويصعب على من بدأ قراءتها ألا يتمها ؛ لما لها من عذوبة وجرس وكذا لما تضمنته من فوائد لغوية وأدبية ... إلخ . وله عليها شرح جميل استوفى فيه الألفاظ الغريبة فيها .

٥ - وذكر أن له قصيدة في مدح السلطان صلاح الدين ، وأخرى في مدح الأديب الفارقي .

وذكر السيوطي في البغية للسخاوي نظماً متناثراً . وله قصيدة نونية جمع فيها فضائل شيخه أبي اليمن الكندي ، رواها تلميذه أبو شامة <sup>(١)</sup> ، وعدة أبياتها أربعة وعشرون بيتاً . وله أيضاً أبيات متناثرة من إنشائه في سفر السعادة . وأنشد له في مرآة الزمان أحد عشر بيتاً من ميمية له طويلة في مدح الرسول ﷺ .

وقال السيوطي عن نظمه في بغية الوعاة : ( ونظمه في الطبقة العليا ) .

ومن شعره ما نقلته لنا مصادر ترجمته عندما حضرته الوفاة قال [ من السريع ] :

قالوا : غداً نأتي ديار الحمى	وينزل الركاب بمغناهم
وكل من كان مطيعاً لهم	أصبح مسروراً بليقاهم
قلت : فلي ذنب فما حيلتي ؟	بأي وجه أتلقاهم
قالوا : أليس العفو من شأنهم ؟	لا سيماً عمئ من ترجأهم <sup>(٢)</sup>

(١) ينظر : الذيل على الروضتين ( ٩٦ ) .

(٢) ينظر : معجم الأدباء ( ٦٥ / ١٥ ) .

ومما نسب إليه وليس له : نظم الضوابط النحوية . وهو مما نسب إلى السخاوي وليس له <sup>(١)</sup> .

### ثالثاً - السخاوي في مصنفات الآخرين :

السخاوي عالم موسوعي برز وتقدم في علوم كثيرة ، ومن أكبر الأدلة على هذا كثرة مصنفاته وتنوعها في علوم الشريعة واللغة والأدب كما سبق من ذكر مصنفاته .  
ومما يدل على شهرته وإمامته أيضاً ما نقله عنه الآخرون من العلماء في مصنفاتهم وقد أشار بعض الباحثين إلى آثار السخاوي في بعض المصنفات وإلى تأثيره في كثير من العلماء ومن تلك الدراسات :

- ١ - أثر السخاوي في ابن يعيش وشرحه على المفصل <sup>(٢)</sup> .
- ٢ - أثر السخاوي في الزنجاني وكتابه ( الكافي شرح الهادي ) <sup>(٣)</sup> .
- ٣ - أثر السخاوي في المزهري للسيوطي <sup>(٤)</sup> .
- ٤ - أثر السخاوي في المصباح المنير للفيومي <sup>(٥)</sup> .
- ٥ - أثر السخاوي في ( شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل ) لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي <sup>(٦)</sup> .

(١) هو مخطوط يقع في ثمانى ورقات ، قال الدكتور عبد الكريم جواد كاظم : ولم أجده للسخاوي ، ونسبه الدكتور أحمد هريدي للمهلي ولم يترجم له . والحق أن معظم أبيات هذه المنظومة نسبها السيوطي في الأشباه والنظائر للمهلي وهو مهلب بن حسن بن بركات البهنسي ، ينظر ترجمته في : البغية ( ٣٠٤ / ٢ ) ، والكتاب يسمى ( نظم الفرائد وحصر الشرائد ) ، قال الدكتور عادل خلف : لم يذكر صاحب البغية في ترجمته لقب ( المهلي ) ، وذكره بروكلمان ( ٣٠٤ / ٥ ) أنه تلميذ ابن بري وقال الدكتور عادل خلف : لم يحدد السيوطي ولا بروكلمان تاريخ حياته . ينظر دراسة في مصادر السيوطي في الأشباه والنظائر الدكتور عادل خلف ( ٦١ ) .

(٢) قدم الدكتور عبد الكريم كاظم أدلة قطعية على تأثر ابن يعيش بالسخاوي من خلال شرحيهما على المفصل وكذا الدكتور محمود السيد الدريني في مقدمة تحقيقه للجزء الرابع من كتاب المفصل .

(٣) الزنجاني : عز الدين بن عبد الوهاب بن إبراهيم وقيل : هو تاج الدين عبد الوهاب بن إبراهيم بن عبد الوهاب الزنجاني أقام بالموصل ثم انتقل إلى بغداد وتوفي بها سنة ٦٦٠ هـ ألف كتاب ( الهادي لذوي الألباب في علم الإعراب ) ثم شرحه وسمى الشرح ( الكافي شرح الهادي ) وقد حقق الشرح الدكتور محمود فحال يوسف في رسالته للدكتوراه بكلية اللغة العربية بالأزهر . ينظر تفصيل ذلك في قسم الدراسة من المفصل وأثره في الدراسات النحوية للدكتور عبد الكريم جواز كاظم .

(٤) ينظر تفصيل ذلك في مقدمة تحقيق سفر السعادة للدكتور أحمد هريدي .

(٥) ينظر المصدر السابق .

(٦) ينظر المصدر السابق .

٦ - أثر السخاوي في ابن الجزري <sup>(١)</sup>.

ونذكر هنا نقل بعض المفسرين عن علم الدين السخاوي :

١- السخاوي في البحر المحيط لأبي حيان :

أ - نقل أبو حيان في البحر المحيط عن السخاوي رأياً فقهياً تفسيرياً حول الصلاة الوسطى فذكر أنه قيل: إنها الوتر . قال : « واختاره أبو الحسن علي بن محمد السخاوي النحوي المقرئ » <sup>(٢)</sup>.

ب - كما احتج أبو حيان بقول السخاوي عند تعرضه لقوله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ أَتْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ [المائدة: ١٠٦] ، فنقل عن السخاوي قوله بإشكال هذه الآية .

قال أبو حيان : « وقال أبو الحسن السخاوي : لم أر أحداً من العلماء تخلّص كلامه فيها من أولها إلى آخرها » <sup>(٣)</sup>.

ج - كما نقل عنه أيضاً رأيه في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾ [الأنعام: ١٢١] بأن ظاهر الآية العموم في المعاصي كلها قال: قال السخاوي: « قال مكحول : وروي عن أبي الدرداء وعبادة بن الصامت مثل ذلك » <sup>(٤)</sup>.

٢ - السخاوي في تفسير ابن كثير :

ذكر الحافظ ابن كثير علم الدين السخاوي وذلك عند تفسير سورة التوبة عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ﴾ [التوبة: ٣٦].

فقال : ذكر الشيخ علم الدين السخاوي في جزء جمعه سماه المشهور في أسماء الأيام والشهور أن المحرم سمي بذلك لكونه شهراً محرماً ، وعندني أنه سمي بذلك تأكيداً لتحريمه لأن العرب كانت تتقلب به فتحله عاماً وتحرمه عاماً .

قال : ويجمع على محرمات ومحارم ومحاريم . وصفر سمي بذلك لخلو بيوتهم منهم حين

(١) ينظر : مقدمة تحقيق جمال القراء وكمال الإقراء للدكتور علي حسين البواب (ص : ٨) وما بعدها ، طيبة النشر لابن الجزري ( ٩٧/١ ) .

(٢) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ( ٢٥٠/٢ ) تحقيق الشيخ علي محمد معوض وآخرين ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٣ م .

(٣) البحر المحيط ( ٤٣/٤ ) ، وكذا نقله السمين الحلبي في الدر المصون ( ٦٢٤/٢ ) .

(٤) البحر المحيط ( ٢١٤/٤ ) .

يخرجون للقتال والأسفار ، يقال : صفر المكان إذا خلا ويجمع على أصفار كجمل وأجمال وشهر ربيع الأول سمي بذلك لارتباعتهم فيه والارتباعت الإقامة في عمارة الربيع ويجمع على أربعاء كنصيب وأنصباء وعلى أربعة كزغيف وأرغفة . وربيع الآخر كالأول . جمادى سمي بذلك لجمود الماء فيه قال : وكانت الشهور في حسابهم لا تدور وفي هذا نظر إذ كانت شهورهم منوطة بالأهلة ، فلا بد من دورانها فلعلهم سموه بذلك أول ما سمي عند جمود الماء في البرد كما قال الشاعر [ من البسيط ] :

وليلة من جمادى ذات أندية لا يبصر العبد في ظلماتها الطنبا

لا ينبح الكلب فيها غير واحدة حتى يلف على خرطومه الذنبا

ويجمع على جماديات كحبارى وحباريات وقد يذكر ويؤنث فيقال جمادى الأولى والأول جمادى الآخر والآخرة . رجب من الترجيب وهو التعظيم ويجمع على أرجاب ورجاب ورجبات . شعبان من تشعب القبائل وتفرقها للغارة ويجمع على شعابين وشعبانات . رمضان من شدة الرمضاء وهو الحر يقال : رمضت الفصال إذا عطشت ويجمع على رمضانات ورماضين وأرمضة ، قال : وقول من قال إنه اسم من أسماء الله خطأ لا يعرج عليه ولا يلتفت إليه . شوال من شالت الإبل بأذنانها للطراق قال : ويجمع على شواول وشواويل وشوالات . القعدة بفتح القاف قلت : وكسرهما لعودهم فيه عن القتال والترحال ويجمع على ذوات القعدة . الحججة بكسر الحاء قلت : وفتحها سمي بذلك لإقامتهم الحج فيه ويجمع على ذوات الحججة .

أسماء الأيام أولها الأحد ويجمع على آحاد وأوحاد ووحد ، ثم يوم الاثنين ويجمع على اثنين ، الثلاثاء يمد ويذكر ويؤنث ويجمع على ثلاثاوات وأثالث ، ثم الأربعاء بالمد ويجمع على أربعاوات وأربيع ، والخميس يجمع على أخمسة وأخامس ، ثم الجمعة بضم الميم وإسكانها وفتحها أيضا ، ويجمع على جمع وجماعات ، السبت مأخوذ من السبت وهو القطع لانتهاء العدد عنده . وكانت العرب تسمي الأيام أول ثم أهون ثم جبار ثم دبار ثم مؤنس ثم العروبة ثم شيار<sup>(١)</sup> .

٣ - السخاوي في تفسير روح المعاني للألوسي<sup>(٢)</sup> :

(١) تفسير ابن كثير ( ٢ / ٤٦٥ ) .

(٢) تجدر الإشارة إلى أن المفهرس لطبعة دار الكتب العلمية قد خلط بين علم الدين السخاوي المفسر النحوي وبين شمس الدين السخاوي المحدث المشهور صاحب ( المقاصد الحسنة ) وغيرها وذكرهما معا تحت: السخاوي .

ذكر الألوسي علم الدين السخاوي في مواضع متعددة من التفسير في اللغة وأسباب النزول، كما استعان برأيه في قضايا تفسيرية ، ومن ذلك :

أ - عند قوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ ﴾ [البقرة: ٧١] ذكر بعض التوجيهات واختار منها توجيهاً ونسبه إلى السخاوي وغيره .

قال الألوسي :

﴿لَا ذَلُولٌ﴾ صفة ﴿بَقَرَةٌ﴾ ، وهو من الوصف بالمفرد ، ومن قال : هو من الوصف بالجملة فقد أبعده عن الصواب ، و﴿لَا﴾ بمعنى ( غير ) وهو اسم على ما صرح به السخاوي وغيره ، لكن لكونها في صورة الحرف ظهر إعرابها فيما بعدها ، ويحتمل أن تكون حرفاً كإلا التي بمعنى غير في مثل قوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء: ٢٢]<sup>(١)</sup> .

ب - وعند قوله تعالى : ﴿ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ [الكهف: ٩٤] .

قال الألوسي في اشتقاق يأجوج ومأجوج : « وقال أبو الحسن علي بن عبد الصمد السخاوي : الظاهر أنه عربي وأصله الهمز وتركه على التخفيف ، وهو إما من الأجة وهو الاختلاف كما قال تعالى : ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾ [الكهف: ٩٩] ، أو من الأج وهو سرعة العدو قال تعالى : ﴿ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٦] أو من الأجة وهي شدة الحر أو من أج الماء يأج أجوجا إذا كان ملحاً مرّاً ، انتهى »<sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

(١) وينظر : روح المعاني ( ١ / ٢٩٠ ) ط دار الفكر .

(٢) روح المعاني ( ١٦ / ٣٩ ) .

### تفسير القرآن العظيم لعلم الدين السخاوي

وبعد هذه الجولة مع المصنف وحياته ومصنفاته وذكره في كتب الآخرين نركز الحديث هنا عن التفسير ونبدأ بأهم نقطة في هذا الأمر ، وهي توثيق نسبة التفسير لعلم الدين السخاوي فنقول - وبالله التوفيق :

ذكر المترجمون لعلم الدين السخاوي أن له تفسيراً وصل فيه إلى سورة الكهف<sup>(١)</sup> . وكان ياقوت الحموي هو أول من أشار إلى ذلك<sup>(٢)</sup> ، ثم تبعه في قوله من جاء بعده ممن ترجم لعلم الدين السخاوي . وقد كانت هذه النقطة سبباً من أسباب تأخرنا وترددنا في إخراج هذا السفر العظيم ، وبعد البحث وتتبّع أقوال المترجمين للسخاوي تبين لنا أن ( تفسير القرآن العظيم ) لعلم الدين السخاوي تفسير كامل وهو الذي نقدمه كاملاً إلى المكتبة الإسلامية ، وقد بنينا هذا الرأي على عدة أدلة نوجزها في النقاط الآتية :

أولاً- الحصول على نسخة مخطوطة كاملة للتفسير من أول المقدمة وسورة الفاتحة حتى سورة الناس آخر القرآن الكريم ، في مجلدين ، وجاء على غلاف كل مجلد منهما ( تفسير القرآن العظيم للشيخ الإمام العالم العامل ، العلامة ، فريد دهره ، ووحيد عصره ، علم الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي تغمده الله برحمته آمين ) .

ثانياً- اعتمد القائلون بأن السخاوي توقف عند الكهف ولم يتمّ تفسيره على ما ذكره ياقوت الحموي عند ترجمته للسخاوي ، وتابع كل من ترجم للسخاوي ياقوت الحموي في كلامه ، وهو قول نجزم - بعد البحث والتحقيق - بعدم صحته وذلك بناء على مجموعة أمورٍ من أهمها :

١ - أن ياقوت الحموي الذي ذكر هذا القول تُوفي ( ٦١٩ هـ ) أي في حياة العلم السخاوي الذي تُوفي ( ٦٤٣ هـ ) والفارق الزمني بين وفاتيهما ربع قرن من الزمان تقريباً ، وهي فترة كفيّلة بأن يتمّ السخاوي تفسيره ؛ بل ويكتب تفسيراً آخر غير هذا الذي بين أيدينا على ما سنبين لاحقاً .

٢ - وجود التفسير كاملاً - كما تقدم - متحدداً في أسلوبه وطريقة تصنيفه ومنهجه في تفسيره وآرائه ، من أول التفسير إلى آخره ، وسيأتي ذكر أمثلة على ذلك في هذه المقدمة .

(١) ينظر : كشف الظنون لحاجي خليفة ( ١ / ٤٤٨ ) ، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل باشا البغدادي ( ١ / ٣٧٨ ) .

(٢) ينظر : معجم البلدان لياقوت الحموي ( ٣ / ١٩٦ ) .

٣ - تطابق آراء السخاوي في تفسيره مع آرائه في مصنفاته الأخرى ، كالمفضل في شرح المفصل ، وغيره وقد أشرنا إلى ذلك في مواضع من التحقيق ، ومن ذلك مثلاً ما عرضه السخاوي حول الواو في إعراب قوله تعالى في سورة الجاثية : ﴿ وَأَخْلَفَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ [الجاثية: ٥] الآيات <sup>(١)</sup> .

وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ [سورة ص] أورد اعتراضاً على الزمخشري وذكر رأي الزجاج وهو بنصه في المفضل أيضاً <sup>(٢)</sup> .

ثالثاً- من أهم ما يمكن ذكره أن المصنف ذكر في سورة الكهف <sup>(٣)</sup> رأي كل من القاضي الفاضل وأبي الجود حول مسألة نحوية ، والذي يعنينا هنا أن كلا منهما شيخ المصنف وكثيراً ما ذكرهما في مصنفاته ، والأكثر أهمية أن ذلك في الجزء الذي قال الزاعمون إن السخاوي لم يفسره .

رابعاً- وردت إشارات من المصنف في تفسير السور من سورة الكهف إلى آخر القرآن الكريم يقرر أنه تقدم كلامه في السور التي قبل سورة الكهف وهذا من أقوى الأدلة على أن التفسير الذي بين أيدينا هو تفسير كامل لمصنفه علم الدين السخاوي - رحمه الله تعالى - ومن ذلك :

ونبه قبل ذلك أن المصنف - رحمه الله - له عبارة في النصف الأول من تفسيره - وهو الجزء الذي لم يشك أحد في نسبه إليه - عبارة تدل على أنه - رحمه الله - كان في تفسيره عازماً على استكمال كنهه ، وهذه العبارة وردت في سورة الأنعام ، حيث قال المصنف - رحمه الله تعالى - عند قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَمَعَشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْرَثُوا مِنَ الْإِنْسِ ۗ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ ﴾ [الأنعام: ١٢٨] .

قال السخاوي : واتخذتموهم أتباعاً . وقيل : المراد : استعاذة الإنس بالجن على ما يأتي شرحه في سورة ﴿ قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ ﴾ [الجن: ١] <sup>(٤)</sup> .

- أما إشارات المصنف في الجزء الثاني والذي يبدأ من سورة الكهف إلى آخر القرآن الكريم وهو الجزء محل الشك - لدى من يشكون - فقد كانت كثيرة سنكتفي بذكر بعضها

(١) وينظر : المفضل في شرح المفصل للسخاوي ( ١ / ٢٠٨ ) فقد ورد هذا النص في كتاب المفضل ( ج٢ / الورقة ظ من المخطوط ) .

(٢) المفضل في شرح المفصل للسخاوي ( ٢ / ١٩٥ ) .

(٣) وذلك عند قوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ [الكهف: ٢٢] .

(٤) أي : سورة الجن ، الآية (١) وقد فصل المصنف ذلك هناك . وفي ذلك إشارة منه - رحمه الله - أنه بصدد تفسير القرآن الكريم كله ، حيث تقع سورة الجن في الجزء التاسع والعشرين .

على سبيل التمثيل لا الحصر، وهي تشير إلى ما سبق وتقدم تفسيره وذكره في الجزء الأول، وفي بعضها تكرار لتفسيرات وردت في بعض الآيات التي يتكرر ذكرها في القرآن الكريم في عدد من السور وسنشير إليها عند ذكرها ومن تلك الإشارات :

\* عند قوله تعالى : ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ ﴾ [الكهف: ٣٢].

قال السخاوي - رحمه الله : « ( مَثَلًا ) و ( رجلين ) مفعولان لـ ( اضرب ) ومعناها : صير ؛ كقولك : ضربت الطين لبنا ، وقد سبق أن الزمخشري قال : إن الجنة من النخل <sup>(١)</sup> .

\* وعند قوله تعالى : ﴿ قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي ﴾ [مريم: ٤٧] .

قال السخاوي : هي الموعدة التي وعد بها إبراهيم أباه ، وقد بسط عذره وشرح قصته في سورة التوبة <sup>(٢)</sup> .

- وعند قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾ [الأنبياء: ٦٧].

قال السخاوي : ﴿ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا ﴾ إن سألتموه النفع ﴿ وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾ إن تركتم عبادته ( أف لكم ) مذكور في ( سبحان ) <sup>(٣)</sup> .

- وعند قوله تعالى في سورة الحج : ﴿ لَتَبْلُغُنَّ أَشَدَّكُمْ ﴾ [الحج: ٥] قال السخاوي : « تفسير الأشد مذكور في سورة يوسف <sup>(٤)</sup> » .

خامسا : يوجد كلام للسخاوي في تفسيره لسور ما قبل سورة الكهف تطابق مع كلامه في تفسير بعض سور ما بعد سورة الكهف ومن ذلك على سبيل التمثيل :

- في سورة النساء عند قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِنَحِيَةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾

[النساء: ٨٦] قال السخاوي : « وابتداء السلام سنة ، وجوابه فرض كفاية ، إذا قام به بعض سقط عن الباقي ، وإذا التقى رجلان ، أو قال أحدهما للآخر : سلام عليكم ، وقال الآخر كذلك في وقت واحد ، وجب على كل واحد منهما الرد على صاحبه . وسلام المتاركة لا يقتضي جوابا لقوله : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٣] ، ﴿ فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ ﴾ [الزحرف: ٨٩] ، وكذلك إذا انصرف عن جماعة فقال: سلام عليكم . لم

(١) وذكر ذلك في تفسير سورة الرعد ، الآية ( ٤ ) .

(٢) وذكر ذلك في تفسير سورة التوبة ، الآية ( ١١٤ ) .

(٣) سورة الإسراء ، الآية ( ٢٣ ) حيث قال السخاوي هناك : « أف : كلمة يتضجر بها » .

(٤) سورة يوسف ، الآية ( ٢٢ ) عند قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ﴾ حيث قال السخاوي هناك : « قويت قواه وهو جمع شد ، وشدُّ النهار: وسطه ؛ لأن ضوء الشمس فيه أقوى » .



يستحق جواباً .

- وقال في سورة مريم عند قوله تعالى: ﴿ قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ ﴾ [مريم: ٤٧]: « سلام موادعة ومفارقة »، وقال بعض أصحاب الشافعي: « إن سلام المتاركة لا يجب جوابه على السامع ».

- وعند قوله تعالى: ﴿ وَنَدَبْتَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾ [مريم].

قال السخاوي: « وقال - سبحانه وتعالى - في حق فرعون: ﴿ فَأَلْيَوْمَ نُنَجِّكَ بِدُنُوكَ ﴾ [يونس: ٩٢] أي: نلقيك على مكان مرتفع عن الماء، وكانت بنو إسرائيل قد قالوا بعد غرق فرعون: ما يموت فرعون أبداً؛ لما ثبت في قلوبهم من الرعب منه، فألقاه الموج على شاطئ البحر، وكان عليه درع من ذهب معروفة لا يلبسها إلا هو، فعرفوه وتحققوا موته، فقلوه: ﴿ نُنَجِّكَ ﴾ أي: نرفعك على مكان عال، وإلا ففرعون ما نجا .

- وقد ذكر السخاوي هذا الكلام في تفسير سورة يونس فقال: ﴿ نُنَجِّكَ ﴾: نلقيك على نجوة مكان مرتفع من الأرض؛ لأن بني إسرائيل قالوا: ما غرق فرعون؛ لما ثبت في قلوبهم من الرعب منه. فألقاه البحر على مكان مرتفع، وكان عليه درع من ذهب، فرآه بنو إسرائيل وعرفوه، وأيقنوا بموته .

- وفي سورة يونس عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَيَبْطِلُهُ ﴾ [يونس: ٨١] قال السخاوي: « يدل على أن السحر حق؛ لأنه وعد بإبطاله بسين الاستقبال ولو كان باطلا لاستحال إبطاله؛ لأنه تحصيل الحاصل. وقد سحر رسول الله ﷺ. ومذهب الشافعي أن من قتل بسحر يقتل غالباً - يجب عليه القصاص ».

- وقال عند قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾ [الفلق]: « النفاثات: النساء السواحر، أو النفوس، أو الجماعات السواحر، وأنكر الحنفية تأثير السحر، وقالوا: هو تخييل؛ لقوله - تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ بِخُلُقِهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنهَا نَسَى ﴾ [طه: ٦٦]. واحتج الشافعي على تأثير السحر بقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَيَبْطِلُهُ ﴾ [يونس: ٨١] فجعل إبطاله مستقبلاً، فدل على تحققه قبل الإبطال وبأن النبي ﷺ سحر، كما جاء في الحديث الصحيح ».

- ومما تطابق فيه كلام السخاوي ما ذكره في سورة هود عند قوله - تعالى: ﴿ فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ ﴾ [هود: ٧١] حيث قال السخاوي - رحمه الله: « وفيه دليل على أن الذبيح إسحاق؛ لأن الذبيح هو المبشر به؛ لقوله: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ ﴾ [الصافات: ١٠٢] ولم تبشر إلا بإسحاق، ومن ذكر أنه إسماعيل قال: لو كان الذبيح إسحاق لما شك إبراهيم في أنه لا يذبح؛ لأن الله قد بشره بأن يولد من إسحاق ولد اسمه يعقوب، فكان يعلم أنه لا يموت حتى يرزق الولد ».

- وفي سورة الصافات بعد تفسير الآيات التي تناولت قصة الذبيح<sup>(١)</sup> قال الشيخ علم الدين السخاوي - رحمه الله : « فإن قلت : من الذبيح ؟ قلت : فيه قولان :

أحدهما : أنه إسماعيل وبه قال ابن عباس وابن عمر ومحمد بن كعب القرظي وجماعة من التابعين محتجين بأن الكبش والذبيح كانا بمكة، ولم ينقل أن إسحاق وصل إلى مكة ، بل إسماعيل ، وبني هو وأبوه البيت .

والقول الثاني : أنه إسحاق وبه قال علي بن أبي طالب ، وابن مسعود ، والعباس وعطاء ، وعكرمة ، وأن المذبح هو المبشر به ؛ لقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا بَلَّغَ مَعَهُ السَّعَى ﴾ [الصافات: ١٠٢] .

وقد قال تعالى : ﴿ فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ ﴾ [هود: ٧١] وقد ثبت أن المذبح هو المبشر به، ولأن الله - تعالى - ما ذكر نبياً في هذه السورة إلا سلم عليه ، أو بارك ، وقد بارك على إسحاق بقوله : ﴿ وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ۚ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾ [الصافات: ١١٣] ، ولأن الله بشر إبراهيم بولد ، وبأن ذلك الولد يعيش إلى أن يولد له ولد ، فلو كان الذبيح إسماعيل لكان يقول : إن الله وعدني أن يعيش هذا حتى يرزق ولداً ، ولم يرزق بعد ولداً ، وأكثر العلماء على أن الذبيح إسحاق .

سادساً - يوجد تطابق في تسمية بعض السور في التفسير مع تسمية السخاوي لها في كتبه الأخرى؛ كما في تسمية سورة الشورى مع تسميته في جمال القراء وكمال الإقراء له<sup>(٢)</sup> .

سابعاً- جاء مخطوط تفسير السخاوي الذي اعتمدنا عليه في التحقيق في مجلدين ، وكان من المفترض أن ينتهي المجلد الأول عند سورة الكهف - كما قد يفهم من كلام ياقوت الحموي ومن تبعه في ترجمته لعلم الدين السخاوي - وهذا لم يحدث ؛ بل بدأ المجلد الثاني بسورة النمل إلى آخر سورة الناس ، وقد حمل غلاف المجلد الثاني العنوان الآتي : « الجزء الثاني من تفسير القرآن العظيم للشيخ الإمام العالم العلامة فريد دهره ووحيد عصره علم الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي تغمده الله برحمته آمين » .

- أمّا قول ياقوت الحموي إن السخاوي وصل في تفسيره إلى سورة الكهف فيمكن أن نفسره بما يلي :

لعل الحموي اعتمد في ذكر ما قال على ما وُجِدَ مكتوباً عند أول سورة الكهف على

(١) سورة الصافات ، الآيات ( ١٠٠ - ١١٣ ) .

(٢) ينظر : جمال القراء وكمال الإقراء للسخاوي ( ص : ٢١٥ ) حيث سماها سورة ﴿ حمّ ﴿ ١ ﴾ عسق ﴾ ، وكذا ورد اسمها في التفسير الذي بين أيدينا ، وهذا للتمثيل .

لسان محمد بن منصور ، وهو ناسخ هذه النسخة وهو أحد تلاميذ الشيخ علم الدين السخاوي ؛ حيث قال : « إلى هنا انتهت قراءتي على المصنف من أول الكتاب من النسخة التي نقلت هذه منها ، كتبه محمد بن منصور مالكاها »<sup>(١)</sup>.

ومن كلام الناسخ يمكن أن نؤكد أن الذي لم يتم هو قراءة الناسخ - الذي هو تلميذ المصنف - التفسير عليه ، لا أن التفسير لم يتم ، وهذا بينٌ جداً من سياق الكلام ، كما لا يُستبعدُ - في نظرنا - أن الحموي وغيره لم يدققوا في هذه العبارة ، وسار المتأخرون على ما ذكر المتقدمون في هذا الأمر .

\* وهناك احتمال آخر قد نفسر به كلام ياقوت ومن اتبعه وهو احتمالٌ قويٌّ كذلك ، وهو أننا من خلال قراءتنا لترجمة السخاوي وأخباره وقفنا على أن للسخاوي تفسيراً آخر مطوّلاً ومن الممكن أن هذا التفسير المطوّل هو الذي لم يتم ، أو أن المصنف وصل فيه إلى سورة الكهف ؛ ويؤيد هذا أن بعضهم نقل عن السخاوي آراء في التفسير لم نجدها في تفسيره الذي بين أيدينا نحققه ، ومن ذلك ما أورده أبو شامة ( وهو من كبار تلاميذ السخاوي ) في تاريخه عند الحديث عن فتح بيت المقدس ؛ حيث قال أبو شامة : « رأيت أنا في كتاب تفسير القرآن لأبي الحكم بن برجان<sup>(٢)</sup> ذكر في تفسير أول سورة الروم أن بيت المقدس استولت عليه الروم عام سبع وثمانين وأربعمائة ، وأشار أنه يبقى بأيديهم إلى تمام خمسمائة وثلاث وثمانين سنة .

وهذا الذي ذكره أبو الحكم الأندلسي في تفسيره من عجائب ما اتفق لهذه الأمة المرحومة ، وقد تكلم عليه شيخنا أبو الحسن علي بن محمد في تفسيره الأول ؛ فقال : « وقع في تفسير أبي الحكم الأندلسي في أول سورة الروم إخبارٌ عن فتح بيت المقدس ؛ وأنه ينزع من أيدي النصارى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة . قال : ولم أره أخذ ذلك من علم الحروف وإنما أخذه فيما زعم من قوله : ﴿ اَلَمْ غَلِبَتِ الرُّومُ ﴾<sup>(١)</sup> فِي آدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ<sup>(٢)</sup> فِي بَضْعِ سِنِينَ<sup>(٣)</sup> [الروم : ١-٤] فبنى الأمر على التاريخ كما يفعل المنجمون ، فذكر أنهم يغلبون في سنة كذا وكذا ويغلبون في سنة كذا وكذا على ما تقتضيه دوائر التقدير .

(١) ينظر : تفسير السخاوي الورقة ( ١٠٥ ) من المخطوط .

(٢) هو عبد السلام بن عبد الرحمن بن أبي الرجال محمد بن عبد الرحمن أبو الحكم اللخمي الإفريقي ، ثم الإشبيلي المشهور بابن برجان . كان من أهل المعرفة بالقراءات والحديث والكلام والتصوف مع الزهد والاجتهاد في العبادة ، ومن مصنفاته : تفسير القرآن و شرح الأسماء الحسنى . تُوفي سنة ست وثلاثين وخمسمائة . تنظر ترجمته في : طبقات المفسرين للسيوطي ( ١ / ٥٧ ) .

ثم قال: وهذه نجابة وافقت إصابة إن صح ، قال ذلك قبل وقوعه وكان في كتابه قبل حدوثه قال: وليس هذا من قبيل علم الحروف ولا من باب الكرامات والمكاشفات ولا ينال في حساب. قال: وقد ذكر في تفسير سورة القدر أنه لو علم الوقت الذي نزل فيه القرآن لعلم الوقت الذي يرفع فيه . قلت : ابن برجان ذكر هذا في تفسيره في حدود سنة ثنتين وعشرين وخمسمائة ، ويقال : إن الملك نور الدين أوقف على ذلك فطمع أن يعيش إلى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة لأن مولده في سنة إحدى عشر وخمسمائة فتهاياً لأسباب ذلك حتى إنه أعد منبراً عظيماً لبيت المقدس إذا فتحه والله أعلم <sup>(١)</sup> .

- ولأبي شامة نص آخر في ترجمة كمال الدين الدزماري يقول فيه : « وهو الذي ذكره شيخنا السخاوي في خطبة تفسيره وأثنى عليه ، وكان ملازماً حلقة شيخنا وقت سماع التفسير وفي أيام ختمات الطلبة » <sup>(٢)</sup> .

ولم يرد ذكر لذلك في مقدمة التفسير الذي بين أيدينا .

ومن يقرأ ويمعن النظر - بقليل من الدقة - في هذين النصين لأبي شامة وهو من أقرب الناس لشيخه السخاوي وأدراهم بمصنفاته يمكن أن يقف على الحقائق الآتية :

- أن للسخاوي تفسيراً آخر ، وهو ما عبّر عنه أبو شامة بقوله : « تفسيره الأول » ، ويحتمل أنه المقصود في كلام ياقوت بأن السخاوي لم يتمه ووصل فيه إلى الكهف . والله تعالى أعلم .

- أن الذي بين أيدينا تفسيرٌ كاملٌ للسخاوي ؛ لما تقدم ذكره منذ قليل .

وإذا أضيف إلى كل ما سبق أن القارئ والمحقق لن يجد فرقاً بين أول التفسير وآخره من حيث المنهج وطريقة العرض والآراء الفقهية واللغوية وكذا مذهب المصنف الفقهي والعقدي والنحوي كما سبق بيانه ؛ فهو شافعي يذكر مذهب الشافعي ويؤيده من أول التفسير إلى آخره ، وكذا فهو في العقيدة يتبنى رأي أصحاب التأويل لا سيما في الآيات التي تتناول صفات الله تعالى التي قد يوهم ظاهرها - وهذا في رأي السخاوي ومدرسته - تشبيهاً

(١) ينظر كلامه في : الروضتين في تاريخ الدولتين النورية والصلاحية لأبي شامة ( ٣ / ٣٩٤ - ٣٩٥ ) ط . مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٩٩٧ م - تحقيق إبراهيم الزبيق . وذكر ذلك ابن كثير في البداية والنهاية ( ١٢ / ٣٢٦ ) نقلاً عن أبي شامة .

(٢) نقله عن أبي شامة ابن السبكي في طبقات الشافعية الكبرى ( ٨ / ٣٠ ) ، وابن قاضي شعبة في طبقات الشافعية ( ٢ / ١٠٠ ) ، وذكره الدكتور عبد الكريم جواد كاظم في مقدمة رسالته للدكتوراه ( ص : ٩٤ ) من الدراسة ، بعنوان : ( المفضل للسخاوي وأثره في الدراسات النحوية في القرن السابع الهجري ) كلية اللغة العربية - الأزهر - القاهرة رقم ( ١٤٠٧ ) نقلاً عن أبي شامة .

لله تعالى بخلقه .

وقد بينا في غير موضع من التفسير عند تعليقنا على كلام السخاوي - رحمه الله - المذهب الذي نراه أحق بالاتباع ، وهو أيضا أسلم وأحكم وهو مذهب أهل السنة والجماعة من السلف والخلف .

وقد استمر السخاوي على مذهبه هذا في تفسيره كله في النصف الثاني كما هو في النصف الأول .

كما أن هناك ملمحاً عاماً في التفسير كله وهو العناية بآراء الزمخشري والتعليق عليها .  
وأخيراً : كتبت عدة دراسات علمية موثقة وقد ذكرت نسبة التفسير إلى السخاوي كاملاً ومن هذه الإشارات والدراسات :

\* التفسير في القرن السابع الهجري <sup>(١)</sup> .

\* مقدمة تحقيق كتاب سفر السعادة <sup>(٢)</sup> .

\* الاتجاهات الأدبية في تفسير السخاوي <sup>(٣)</sup> .

\* السخاوي وجهوده النحوية من خلال تفسيره للقرآن العظيم <sup>(٤)</sup> .

\* السخاوي وجهوده اللغوية من خلال تفسيره للقرآن العظيم <sup>(٥)</sup> .

ومجمل القول وخلاصته التي يمكن أن تقال بعد هذا الاجتهاد منا : إننا لم نجد مسوغاً ينفي نسبة ما بعد سورة الكهف لعلم الدين السخاوي إلا ما قدمناه من ترجمة ياقوت ونقل التابعين قوله بلا برهان غير ما ذكرناه من الفهم الخاطيء لعبارة الناسخ .

وبعد ... فإن التراث العربي المحقق زاحراً بمصنفات غير منسوبة أو مختلف في نسبتها إلى أصحابها ، ولم يقلل ذلك أو ينقص من قيمة المصنفات ؛ بل ظلت مصدر نفع وخير للقراء ، وهذا أمرٌ يفوق الحصر ، يكفي التمثيل لذلك بإعراب القرآن المنسوب للزجاج ، وكذا الحدائق في النحو لمجهول ، وبعض مصنفات الخليل ؛ كالجمل والمنظومة النحوية وغير ذلك من الكتب . وهذا لا يعني أن لدينا شكاً في نسبة النصف الثاني من تفسير السخاوي ؛ بل فقط نقول : تبقى مادة الكتاب معبرة عن قيمته ، ولو لم يُنسب ، فما بالناسخ وقد ثبت لدينا بما

(١) رسالة دكتوراه - بدار العلوم - جامعة القاهرة .

(٢) للدكتور أحمد عبد المجيد هريدي رسالة دكتوراه بكلية الآداب - جامعة القاهرة .

(٣) رسالة ماجستير للدكتور أحمد عثمان أحمد - بكلية دار العلوم - جامعة المنيا .

(٤) رسالة ماجستير للدكتور أشرف محمد محمد عبد الله - بدار العلوم - جامعة المنيا .

(٥) رسالة دكتوراه للدكتور أحمد طه - دار العلوم - جامعة القاهرة - فرع الفيوم - ٢٠٠٣م .

ذكرنا من أدلة صحة نسبة التفسير كله للعلامة علم الدين السخاوي .

**وبعد :**

فهذا ما أدى إليه اجتهادنا المتواضع والله يعلم أننا بذلنا ما في وسعنا للوصول إلى الحق، فإن وفقنا فمن الله تعالى وله الحمد والمنة ، وإن كانت الأخرى فحسبنا أننا اجتهدنا ونسأل الله بفضله ألا يحرمنا الأجر الواحد وإنما به راضون ، والباب مفتوح لمن لديه رأي يخالفنا أو يؤكد ما ذهبنا إليه أو يضيف جديداً لما ذكرنا ، ونسأله ألا يبخل علينا برأيه ، فالعلم رحم بين أهله، والدال على الخير كفاعله، هذا والله أعلم ، وهو المستعان ، وعليه التكلان، والحمد لله رب العالمين .

ولا ننسى في الختام أن نتقدم بخالص الشكر والتقدير لكل من أعاننا في إخراج هذا التفسير ، ونخص منهم: فضيلة الشيخ العلامة الشيخ عبد السلام بن محمد بن حبوس الذي قدم للتفسير ، والأخ الدكتور أحمد طه الذي أعاننا في الحصول على النسخة المخطوطة، والأخ الدكتور محمد عبد الكريم الذي أشرف على طباعة جزء من التفسير، والأخ الأستاذ محمد شتا ، والأستاذ المستشار ممدوح الشريف ، والأستاذ المحامي وائل غنيم ، وجميع الزملاء والباحثين وطلاب العلم ، وكل من أسهم في إخراج هذا الكتاب، ونسأل الله أن يجعله نافعاً للمسلمين وأن يرزق الجميع الإخلاص في القول والعمل .

\* \* \*

### منهج السخاوي في تفسيره

أشار الإمام علم الدين السخاوي إلى منهجه في مقدمة تفسيره وذلك في قوله - رحمه الله : « فالعلوم المتعلقة بالقرآن كثيرة لا تحصى ، وأجلها ما يبحث فيه عن ألفاظه ومعانيه ويستقصى ، والمصنفات فيه بين أمرين ؛ طويلة لا تنضبط للآمل ، وقصيرة لا يحصل منها ذو الأرب على طائل ، فاستخرت الله - تعالى - في سلوك طريق متوسط ، لا بالطويل الممل ، ولا بالقصير المخل ، ساعياً في تهذيب الألفاظ وتحريرها ، وإيجازها وتيسيرها ، مشيراً إلى عيون القصص بأحسن إشارة ، متوخياً في الإعراب والأقوال وغيرهما أوجز عبارة ، وهو عمدة لمن اعتمد عليه ، والله أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه ، موجباً للفوز لديه ، وهو حسبي ونعم الوكيل . »

ومن خلال تحقيقنا لتفسير السخاوي واستقرائه يمكن إجمال منهجه في ( تفسيره للقرآن العظيم ) في النقاط الآتية :

١ - الاعتماد على التفسير بالمأثور ( بالقرآن الكريم - والحديث النبوي الشريف - والأثر عن الصحابة والتابعين ) .

٢ - جمع الأقوال في تفسير الآية الواحدة والترجيح والاختيار منها .

٣ - الاعتناء بالقراءات عناية فائقة ، وتوجيهها ، وإسنادها إلى أصحابها أحياناً .

٤ - التنبيه على المكي والمدني من السور .

٥ - ذكر أسباب النزول .

٦ - الاعتناء بالجانب اللغوي والنحوي ؛ فكان يورد الأصل اللغوي للكلمات واشتقاقها واستعمالاتها ، ويعتني بالقضايا النحوية ، والإعرابية ، ويناقشها ، ويقوم بالاختيار والترجيح في بعضها ، والمخالفة والاعتراض في البعض الآخر .

وأورد على ذلك شواهد شعرية كثيرة وكان ينسب الكثير منها لأصحابها .

٧ - ذكر بعض المسائل الكلامية والأصولية والرد على معارضيه أو مخالفيه كالزنجشري وغيره في الآراء الاعتزالية ، وفي بعض الأحيان كان يشتد إنكاره عليهم .

٨ - عرض المسائل الفقهية والكلامية والبلاغية بطريقة السؤال والجواب .

٩ - تعدد المصادر ونسبة الأقوال إلى أصحابها .

١٠ - عدم إيراد الإسرائيليات إلا في مواضع قليلة مع التنبيه على ضعفها .

والقارئ للتفسير سيقف على جوانب هذا المنهج وستتضح له هذه الأمور ويمكن الاستدلال على ذلك أيضاً من خلال ما ورد في الفهارس من ذكر القراءات والأحاديث والأشعار والأقوال اللغوية والأعلام والكتب .

## نُسَخُ الْكِتَابِ وَأَمَاكُنُ وُجُودِهَا وَمَنْهَجُنَا فِي التَّحْقِيقِ

لتفسير القرآن العظيم لعلم الدين السخاوي نسختان :

١ - نسخة بدار الكتب المصرية - مكتبة أحمد تيمور رقم ( ١٥٩ تفسير ) عدد أوراقها ٣٥١ ورقة ، وهي التي اعتمدنا عليها في التحقيق .

٢ - نسخة بمكتبة ولي الدين - السليمانية - تركيا - رقم ( ١١ - ١٦٦ ) - ٦٠٠ ورقة - كما جاء في فهرس آل البيت ( ١ / ٢٤٨ ) - الأردن<sup>(١)</sup> .

- وأما عملنا في التحقيق فقد قمنا بما يلي :

- نسخ المخطوط الذي اعتمدناه في التحقيق ، وهو نسخة دار الكتب المصرية .
- مقابلة النسخة المخطوطة بكتب التفسير الأخرى ، وعلى رأسها النكت والعيون للماوردي ، والكشاف للزمخشري ، وذلك لإتمام ما كان فيه من بياض أو سقط ، وذلك لكثرة نقل المصنف السخاوي عنهما .
- ذكرنا نسبة السورة - مكية أو مدنية - فيما لم يذكره المصنف؛ زيادة في الفائدة .
- تخريج الآيات القرآنية والقراءات القرآنية وضبطها .
- تخريج الأحاديث النبوية والآثار .
- تخريج الأشعار والأمثال والأقوال اللغوية .
- ترجمة الأعلام غير المشهورين .
- توثيق النقول من أماكنها .
- توثيق المسائل الفقهية الخلافية والتعليق على بعضها .
- توثيق القضايا الكلامية والتعليق عليها .
- تفسير الغامض من الكلمات والمصطلحات .
- التعليق على المسائل النحوية وتوثيقها من مراجعها المعتمدة .

(١) حاولنا الحصول على هذه النسخة من المكان المشار إليه في تركيا ، وبعد بحث وعناء أخبرنا أخونا وصديقنا الدكتور أحمد طه أنه حصل على هذه النسخة عن طريق أحد الأفاضل بالرقم المثبت هنا في المكتبة بحسب إشارة فهرس آل البيت ، لكن وجد أن النسخة ، وإن كتب على غلافها علم الدين السخاوي ، ليست له ؛ فقد احتوت ذكر بعض العلماء من القرن العاشر الهجري أي بعد علم الدين السخاوي ، وغير ذلك مما يقطع بأنها لغيره ، وهذا شائع في فهرس المخطوطات ، فاكفينا بنسخة دار الكتب المصرية التي اعتمدناها ، والحمد لله .



- ضبط النص وتقسيمه إلى فقرات وترقيمه بعلامات الترقيم المناسبة ومنها :
- ( ) القوسان الهلاليان للآيات المفسرة ولأرقام الحواشي ، ولأسماء الكتب والبلدان .
- [ ] المعقوفان لما زاد على النص من كتب التفسير في المواضع غير الواضحة أو ليست في النسخة المخطوطة . ولبحور الشعر للآيات الشعرية الشواهد في التفسير أو في الحواشي .
- / ( ) الخط المائل والقوسان الهلاليان علامة انتهاء الصفحة المخطوطة ورقمها .
- " " علامتا التنصيص للنقول .
- - الشرطتان الأفقيتان للجمل الاعتراضية .
- بالإضافة إلى العلامات الأخرى المعروفة كالنقطة ، والفاصلة ، والفاصلة المنقوطة ، وعلامتي التعجب والاستفهام ، وغيرها .
- عمل فهرس عامة ، وشملت :
- فهرس القراءات القرآنية .
  - فهرس الأحاديث والآثار .
  - فهرس الأشعار والأمثال .
  - فهرس الأعلام المعروفة .
  - فهرس الأماكن والبلدان .
  - فهرس المحتويات .

### وصف النسخة المخطوطة وعرض نماذج لبعض صورها

تقع نسخة دار الكتب المصرية - التي اعتمدها في التحقيق - في ثلاثمائة واثنين وخمسين ورقة ( ٣٥٢ ) ، في كل ورقة صفحتان ، وأسطر الصفحة الواحدة واحد وعشرون سطرا ( ٢١ ) ، في مجلدين :

بدأ المجلد الأول بصفحة العنوان كتب عليه : ( تفسير القرآن العظيم للشيخ الإمام العالم العامل العلامة فريد دهره ووحيد عصره علم الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي تغمده الله برحمته أمين ) .

ثم بدأ بمقدمة للمصنف - رحمه الله تعالى - ثم شرع في التفسير من أول سورة الفاتحة إلى سورة الشعراء في مائة وستين ورقة ( ١٦٠ ) في كل ورقة صفحتان كتب بخط واضح ، وبه

بعض السقط والبياض القليل .

ثم بدأ المجلد الثاني بصفحة العنوان كتب عليه : ( الجزء الثاني من تفسير القرآن العظيم للشيخ الإمام العالم العامل ، العلامة ، فريد دهره ، ووحيد عصره ، علم الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي تغمده الله برحمته آمين ) .

ثم بدأ بتفسير سورة النمل إلى سورة الناس وجاء في مائة وتسعين ورقة ( ١٩٠ ) في كل ورقة صفحتان . كتب بخط واضح ، وجاء في آخره : « وليكن آخر الكلام الحمد لله رب العالمين ، والصلاة على أشرف السابقين والمصلين ، محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين » .

\* \* \*

# المصورات

كتاب تفسير القرآن المبين للشيخ الإمام العالم الامام في الاسلام  
 فريد من هجره ووجهه عصمه صلوات الله عليه وعلى آله  
 وعلى بن محمد بن علي العتيق السخاوي

ادق في اوله  
 والاعمال  
 في اوله  
 في اوله

الكتاب  
 في اوله  
 في اوله  
 في اوله

في اوله  
 في اوله  
 في اوله

صفحة العنوان من الجزء الأول من تفسير الإمام العلامة السخاوي





الجزء الثاني من تفسير القرآن العظيم  
 للسيد الإمام العالم العلامة منير بن محمد بن محمد بن محمد  
 بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الصمد  
 السخاوي تخرجه الله بدمه الطاهر (مبين)

الملك فضل الدين بن علي  
 السخاوي  
 من مخطوطات دار الكتب  
 وحفظها

لا يوجد راجح

الأكبر لزلزال والبراديه الشيعيات التي بالمفسر وكأنيده وسوقه في نفسه  
 التي وبتة وبرواس للملح المناس الذي عادته ان كونه في شالي  
 المنوي انما ذكر لايسا اني ربه خبيثا في آخر واذا فعل وسوس  
 الذي يوسوس في مخون في حال البركات البركات والحرى والروح  
 والبصق على الشتم ويحيى ان نطق القارى على المناس في الشيطان  
 طار اني انسى وحتى وقيل من الحسنة والمناس بيان  
 والناس ينطق على الايشي راجح وقيل الذي يوسوس تارة  
 يكون جنيدا ما كان تعالى شياطين الانس والجن يوسوس الي  
 الخبيث وخريف القول عن ران ولو كان اسم الناس ينطق على الناس  
 في ذلك وتلك لو كان مناس انفسه القوان ويوسوس  
 في التحقيق فتبين بقوله من الجنة والناس انما الله تعالى في بيان  
 التنكيات دون سائر الخلق  
 ولا يوسوس في الكلام المحذوف في العالمين  
 في الدعوة على اشرف المذنبين والتمسك  
 محمد وآل وصحب الطيبين الطاهرين

### سند المحقق للعلامة علم الدين السخاوي

أقول أنا محقق هذا الكتاب - العبد الفقير إلى عفو ربه الغفور الودود - موسى بن علي بن موسى بن مسعود : « لقد منَّ اللهُ عليَّ فجعلني في نظم سلسلة نورانية مباركة تبدأ من العبد الفقير بسندي المتصل عن فضيلة الشيخ العلامة المسند حسنة العصر ، وفريد الدهر الشيخ عبد السلام بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن حبوس إلى رسول الله ﷺ وذلك بقراءتي ختمة كاملة للقرآن الكريم حفظاً وتلاوة على الشيخ عبد السلام حبوس ، فأجازني بالقراءة والإقراء والإجازة برواية حفص عن عاصم .

ثم كان من تمام المنة أن وُصِلتُ بسند إلى الشيخ الإمام علم الدين السخاوي ، حيث أخبرني شيخني الشيخ عبد السلام بن محمد بن حبوس قال : أخبرنا شيخنا الشيخ عبد الله ابن محمد الصديق الغماري ، عن الشيخ أحمد بن رافع الطهطاوي ، عن الشيخ محمد بن مصطفى الخضري الدمياطي ، عن الشيخ محمد السمباوي الشهير بالأمير الكبير . ( ح ) قال : وأخبرنا الشيخ أبو الفيض محمد بن ياسين الفاداني إجازة عامة وإجازة خاصة فقال : أخبرنا الشيخ عمر بن حمدان المحرثي قال : أخبرنا شيخاي الشيخ السيد علي الوتري المدني ، والشيخ محمد بن سليمان حسب الله المكي كلاهما عن الشيخ أحمد منة الله العدوي المالكي عن الشيخ الأمير الكبير .

( ح ) قال : وأخبرنا شيخ مشايخنا الشيخ أحمد بن رافع الطهطاوي بالإجازة العامة لأهل العصر ، عن الشيخ محمد بن مصطفى الدمياطي ، عن الشيخ الأمير الكبير قال : أخبرنا الشيخ محمد بن عقيلة المكي ، عن الإمام نور الدين علي بن محمد الأجهوري ، عن العلامة شمس الدين محمد بن أحمد الرملي ، عن شيخ الإسلام قاضي القضاة زكريا الأنصاري عن الحافظين نجم الدين عمر بن فهد ووالده العمدة الرحلة تقي محمد بن النجم محمد فهد المكي قال : أخبرنا الحافظ قاضي القضاة أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري شيفأها عن أبي العباس أحمد بن الحسين الحنفي قال : أخبرنا به والدي سماعاً قال : أخبرنا الإمام أبو القاسم عبد الرحمن أبو شامة ، عن الشيخ علم الدين السخاوي بما له من مصنفات .



## ( مقدمة المصنّف )

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صلى الله على نبيه محمد وآله وصحبه وسلم ، الحمد لله الذي جعل القرآن أشرف الكتب المنزلة، وأدل دليل على رسالة نبيه وأكملة، وخصه بالتراكيب البديعة، والأساليب المنيعة، وأودعه من المعاني ما يقصر عن الإحاطة بها أهل الأرض ، وجعله أفضل عدة مدخرة ليوم العرض .

أحمده على أن جعلنا من أهله ، ومنّ علينا بحمله ونقله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة من جعل القرآن شفيعه ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ذو الدرجة العالية الرفيعة ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تتجدد بمر الزمان ولا تبلى ، ما دامت الآيات المنزلة عليه تحفظ وتتلّى .

أما بعد : فالعلوم المتعلقة بالقرآن كثيرة لا تحصى ، وأجلّها ما يبحث فيه عن ألفاظه ومعانيه ويستقصى ، والمصنّفات فيه بين أمرين؛ طويلة لا تنضب للآمل ، وقصيرة لا يحصل منها ذو الأرب على طائل ، فاستخرت الله - تعالى - في سلوك طريق متوسط ، لا بالطويل الممل ، ولا بالقصير المخل ، ساعياً في تهذيب الألفاظ وتحريرها ، وإيجازها وتيسيرها ، مشيراً إلى عيون القصص بأحسن إشارة ، متوخياً في الإعراب والأقوال وغيرهما أوجز عبارة ، وهو عمدة لمن اعتمد عليه ، والله أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه ، موجباً للفوز لديه ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

## تفسير سورة الفاتحة [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ  
وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ  
عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على<sup>(١)</sup> ما وصل إلى الحامد ، وعلى ما لم يصل إليه . والشكر : على ما وصل .

وقيل : هما سواء ؛ لقوله : الحمد لله شكراً .....<sup>(٢)</sup>

(١) في الأصل : «إلى» والصواب ما أثبتناه ؛ لأن الحمد ومشتقاته يتعدى إلى مفعولين ، أولهما بنفسه ،  
وثانيهما بواسطة حرف الجر «على» دون غيره .

(٢) هذا صدر بيت ذكره الحافظ العراقي في تاريخ بغداد ( ١٤ / ٣٢٢ ) ط . دار الفكر - بيروت - بدون  
تاريخ ، لأبي نصر يوسف بن عمر بن محمد القاضي في أبيات له ومنها :

يا محنة الله كفي	إن لم تكفي فخفي
ما أن أن ترحمينا	من طول هذا التثفي
ذهبت أطلب بختي	ف قيل لي : قد توفي
كم من عالم في الثريا	وعالم متخفي
الحمد لله شكرا	على نقاوة حرفي

واختلف العلماء في «الحمد والشكر» هل هما من المترادف أو من المتباين على قولين :

الأول - قول من يقول : هما بمعنى واحد مستدلين بقولهم : فشكراً الحمد لله شكراً نائب عن المصدر  
«الحمد» في باب المفعول المطلق ، والتقدير : الحمد لله حمداً ، وهو قول ابن جرير ونصره القرطبي .

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ( ١ / ٢٣ ) : « وهذا الذي ادّعاه ابن جرير فيه نظر ؛ لأنه اشتهر عند  
كثير من العلماء من المتأخرين أن الحمد هو الثناء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية، والشكر  
لا يكون إلا على المتعدية ويكون بالجنان واللسان والأركان » .

الثاني - قول من يقول : هما متباينان .

واختلفوا في الفرق بينهما على أقوال :

الأول - الحمد يكون باللسان وحده ، بينما الشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح ومنه قوله -

تعالى : ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ [سبأ : ١٣] وقول الشاعر [من الطويل] :

وما كان كيريش وافيأ بنوالكم ولكنني حاولت في الجهد مذهباً =

## تفسير سورة الفاتحة

( الرب ) : السيد أو المالك أو المصلح ؛ يقال : رب الأديم : إذا أصلحه أو من التربية .  
﴿ الْعَلَمَاتِ ﴾ : قيل إنه من كل موجود سوى الله تعالى <sup>(١)</sup> .

= أفادتكم النعماء مني ثلاثةٌ يدي ولساني والضمير المحجبا  
فيكون بين الحمد والشكر عموم وخصوص ؛ إذ الشكر أعم من الحمد متعلقا ؛ لتعلق الشكر باللسان  
والجنان والأركان ، في حين يتعلق الحمد باللسان فقط ، ويكون الشكر أخص من الحمد سبباً ؛ لأن  
سبب الشكر نعمة مسداه إلى الشاكر لا إلى غيره ، بينما سبب الحمد نعمة مسداه إلى الحامد أو إلى غيره .  
وهذا هو العموم والخصوص الوجهي .

وقيل : إن الحمد : هو الثناء على الجميل الاختياري بقصد التعظيم سواء أسدي الجميل إلى الحامد أو إلى  
غيره . أما الشكر : فلا يكون إلا على جميل مُسدى إلى الشاكر .

الثاني : قيل : بينهما عموم وخصوص مطلق ؛ فالحمد هو الثناء على الله - تعالى - بالفضيلة .  
وقالوا : المدح أعم من الحمد وهو - أي الحمد - أعم من الشكر ؛ إذ المدح يقال فيما يكون من الإنسان  
باختياره وبغير اختياره ، فقد يمدح الإنسان بطول قامته وصباحة وجهه ، كما يمدح ببذله ماله وشجاعته  
وعلمه . أما الحمد فيكون فيما يكون من الإنسان باختياره سواء وصلت النعمة إلى الحامد أو إلى غيره .  
والشكر يكون في مقابلة نعمة وصلت إلى الشاكر لا إلى غيره ، فكلُّ شكرٍ حمدٌ ، وليس كلُّ حمدٍ شكراً ،  
وكلُّ حمدٍ مدحٌ وليس كلُّ مدحٍ حمداً . وهذا هو العموم والخصوص المطلق .

وقيل : الحمد مقلوب من المدح ، وينقل هذا عن ثعلب ، وليس بسديد ؛ فقد أورد عليه أن المقلوب أقل  
استعمالاً من المقلوب منه . وهذان مستويان في الاستعمال ، فليس ادعاء قلب أحدهما من الآخر أولى  
من العكس فكانا مادتين مستقلتين بينهما عموم وخصوص مطلق ، كما سبق بيانه . وأيضا فإنه يمتنع  
إطلاق المدح حيث يجوز إطلاق الحمد ، فلا يقال : مدحت الله ، ويقال : حمدت الله . فلو كان مقلوبا  
منه لما امتنع ذلك .

الثالث : قيل : بين الحمد والشكر مباينة ، فالحمد هو الثناء على الله - تعالى - بأوصافه بما لا اختيار  
فيه .

والشكر : هو الثناء على الله - تعالى - بأوصافه .

وينظر في ذلك : تفسير ابن جرير الطبري ( ١ / ٦٠ ) ط ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ ، تفسير  
ابن كثير ( ١ / ٢٢ ، ٢٣ ) ط ، مكتبة مصر الفجالة ، القاهرة ، الدر المصون للسمن الحلبي ( ١ / ٦٣ ) ط  
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٤ م ، تحقيق : على محمد معوض وآخرون .

(١) عاقلاً أو غير عاقل ، فيصح أن يكون «عالمون» جمع عالم جمع سلامة ؛ لأن العالم يطلق على ما سوى الله  
- تعالى - سواء كان عاقلاً أو غير عاقل ، فيكون الجمع قد جرى على مفرده ، وهذا ظاهر كلام  
الراغب ، وصححه السمن الحلبي . ينظر : الدر المصون للسمن الحلبي ( ١ / ٦٨ ) ، معجم ألفاظ  
القرآن الكريم للراغب الأصفهاني ( ص : ٣٥٧ ) ط . دار المعرفة ، بيروت ، تحقيق : محمد سيد  
كيلاني .

وقيل : من يعقل خاصة وهم الجن والإنس والملائكة<sup>(١)</sup> .  
 والخلاف : أنه مأخوذ من العلم أو من العلامة ؛ لأنه دليل على خالقه وموجده .  
 ( الملك ) : من اتسع ملكه . و(المالك) : ينطبق على من ملك قليلا أو كثيرا<sup>(٢)</sup> .  
 و ﴿ أَلَدِينِ ﴾ : الجزء ( ٢ / أ ) .  
 و( العبادة ) : غاية الذلة والخضوع ، ويخص استعمالها بالخضوع لله - تعالى - فيقال :  
 ذلت لزيد وخضعت له ، ولا يقال : عبدته .  
 ﴿ أَلَصِرَاطِ ﴾ : الطريق . والمنعم عليهم : الأنبياء . وقيل : النبيون والصديقون والشهداء  
 والصالحون .  
 ﴿ أَلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ : اليهود .  
 و ﴿ أَلضَّالِّينَ ﴾ : النصارى .

(١) فيكون «عالمون» على هذا القول اسم جمع ، لا واحد له من لفظه ، إنما واحده من معناه كالناس ، ولا يجوز أن يكون جمعا لـ «عالم» ؛ لأن الصحيح في «عالم» أنه يطلق على كل موجود سوى الباري - سبحانه وتعالى - لا اشتقاقه من العلامة ، بمعنى أنه دال على صانعه . و «عالمون» بصيغة الجمع لا يطلق إلا على العقلاء دون غيرهم ، على هذا القول ، فاستحال أن يكون «عالمون» جمع عالم ؛ لأن الجمع لا يكون أخص من المفرد ، وهذا نظير ما فعله سيبويه في أن أعراباً ليس جمعا لـ «عرب» ؛ لأن «عربا» يطلق على البدوي والقروي ، و«أعرابا» لا يطلق على البدوي دون القروي .

ينظر : الدر المصون للسمين الحلبي ( ١ / ٦٨ ) .

(٢) قرأ « مَلِكٍ » أبو عمرو ، ونافع ، وابن كثير ، وابن عامر ، وحمة ، وأبو جعفر ، من العشرة ، وقرأ باقي العشرة : عاصم والكسائي ويعقوب وخلف «مالك» . وقرأ « مَلِكٌ » بلفظ الفعل الماضي ونصب «يوم» علي عليه السلام وأبو حيوة وأبو حنيفة وجبير بن مطعم وأبو عاصم عبيد بن عمير الليثي ، والحسن وعاصم الجديري ويحيى بن يعمر .

وتنظر القراءات في : إعراب القرآن للنحاس ( ١ / ١٧٢ ) ط . عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت ، تحقيق : الدكتور زهير غازي زاهد ط ٢ ، ١٩٨٥ م ، إملاء العكبري ( ١ / ٤ ) ط . مكتبة الدعوة ، القاهرة ، البحر المحيط ( ١ / ٢٠ ) ط . دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٣ م تحقيق : علي معوض وآخرون ، وط . دار الفكر ، بيروت ١٩٨٣ م ، الحجة لابن خالويه ( ص : ٦٢ ) ط . مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٠ م ، تحقيق : عبد العال سالم مكرم ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ١ / ٧١ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ١٠٤ ) ط . دار المعارف ، القاهرة ، تحقيق : شوقي ضيف ، ١٩٨٨ م ، الكشف للزمخشري ( ١ / ٥٧ ) ط . دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٤٧ م . وط . دار المعرفة ، بيروت ، المحرر الوجيز لابن عطية ( ١ / ٦٨ ) ط . مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ١٩٩٢ م .

## سورة البقرة [مدنية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْم﴾ ١ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ٢ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ٣ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ٤ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٥ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٦ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٧ ﴿﴾

﴿الْم﴾ والحروف التي في أوائل السور أسماء السور . وقيل : أسماء القرآن .

وقيل : من أسماء الله - تعالى . وقيل : هي حروف لو جمعت حصل منها معنى مقصود لأنك لو جمعت ﴿الر﴾ ، و﴿حم﴾ ، و﴿ت﴾ صارت "الرحمن" .

الريب: قلق يحصل عند الشك والتردد ومنه : ﴿رَيْبَ الْعَمُونَ﴾ [الطور : ٣٠] .

وقيل: إنه من القلق . والوقوف على قوله ﴿فِيهِ﴾ . وقيل : على قوله ﴿لَا رَيْبَ﴾ .

التقوى: الحظر والتشمير . وسأل عمر بن الخطاب [كعب الأحبار] <sup>(١)</sup> عن التقوى فقال : يا أمير المؤمنين ، هل سلكت طريقا فيه شوك ؟ قال : نعم . قال وكيف صنعت ؟ ، قال: حذرت وشمرت ، قال : كذلك التقوى <sup>(٢)</sup> وقيل : يدخل فيه عمل الطاعات واجتناب المعاصي وقيل : تخص باجتنب المعاصي .

والغيب: ما لا يطلع العباد عليه إلا بالوحي كالصراط والميزان والجنة والنار . أما ما

( ١ ) هكذا ثبت في المخطوط والصواب - كما في تفسير ابن كثير والكشاف للزمخشري - أن المسؤول أبي بن كعب ، وليس كعب الأحبار كما وقع هنا ، فلعله اختلط على الناسخ ؛ لاشتراكهما في اسم "كعب" ينظر : تفسير ابن كثير (١/ ٤٠) .

( ٢ ) زاد الحافظ ابن كثير بعده فقال : وقد أخذ هذا المعنى ابن المعتز ، فقال [من مجزوء الكامل] :

خيل الذنوب صغيرها وكبيرها سا ذاك التقسى  
واصنع كماش فوق أرض الشوك يحذر ما يرى  
لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى

أخفاه الله من غيره ، فلا يسمى غيباً<sup>(١)</sup> .

وقوله : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ ﴾ مبتدأ مرفوع ، أو مجرور ، صفة لـ «المتقين» أو منصوب بإضمار «أعني» . « وإقامة الصلاة » : الإتيان بها بأركانها وشروطها وآدابها . وقيل : تقيم الأمة شعارها . وقيل : سميت باسم القيام الذي هو جزء منها ، كما سميت «قرآنا» في قوله : ﴿ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ ﴾ [الإسراء: ٧٨] . وتسيحاً في قولهم : «سبحة الضحى»<sup>(٢)</sup> .

وقوله ﴿ يُفْعُونَ ﴾ : يريد به النفقات الواجبات . وقيل : إلى الواجبات والتطوعات .

وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ [يجوز أن يكون] مبتدأ ، وخبره : ﴿ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى ﴾ ، ويجوز أن يكون معطوفاً على ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ في هذه الثلاثة<sup>(٣)</sup> . وقيل : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ لمن آمن من عبدة الأوثان ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ لمن أسلم من اليهود والنصارى . والفلاح : البقاء ؛ كقول الشاعر [من الكامل] :

لو كان حيٌ مدرك الفلاح      أدركه ملاعبُ الرماح<sup>(٤)</sup>

(٢/ب) فمعنى ﴿ الْمُفْلِحُونَ ﴾ الباقون في الجنة . وقيل : معناه : الفوز بالمطلوب .

وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ﴾ عام أريد به الخاص ، وهو من علم الله أنه لا يؤمن ، وإلا فكثير من الكفار قد نفع فيهم الإنذار ، وآمنوا بالله الواحد القهار .

(١) كذا بالأصل وذكر المناوي في كتاب التوقيف في مهمات التعاريف (١/٥٤٣) أن الغيب : « ما غاب عن الحس ولم يكن عليه علم يهتدي به الفعل فيحصل به العلم » .

(٢) رواه مسلم في صحيحه رقم (٣٣٦) ، وأبو داود رقم (١٢١٠) ، وابن ماجه رقم (١٣٢٣) من حديث أم هانئ بنت أبي طالب : « أنه لما كان عام الفتح أتت رسول الله ﷺ وهو بأعلى مكة ، قام رسول الله ﷺ إلى غسله ، فسترته عليه فاطمة ، ثم أخذ ثوبه ، فالتحف به ، ثم صلى ثمان ركعات ، سبحة الضحى » . وهذا لفظ مسلم في صحيحه .

قال النووي في شرح مسلم (٢/٢٦٥) : « والسبحة : هي النافلة سميت بذلك للتسيح الذي فيها » .

(٣) أي : ما وصف الله به المتقين بقوله : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُفْعُونَ ﴾ .

(٤) البيت للبيد ينظر في : ديوانه (ص: ٣٣٣) ، الدرر اللوامع على همع الهوامع ، لأحمد بن الأمين

الشنقيطي ، ط . مؤسسة الرسالة ، بيروت ط ٢ . ١٩٩٤ م - تحقيق : الدكتور عبد العال سالم مكرم

(١/١١٥) ، لسان العرب (لعب) ، مغني اللبيب لابن هشام (١/ ٢٧٠ ، ٤٣٥) همع الهوامع للسيوطي

(١/١٣٨) ويروى : لو أن حيا .....

الإندار : الإخبار بما يخاف منه .

وقوله : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾<sup>(١)</sup> استعارة للاشتقاق من منع الشيء لما يقفل عليه ؛ قال الله تعالى : ﴿ أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَآ ﴾ [محمد : ٢٤] أو يطبع عليه بطابع ، أي : يختم عليه بختم ، كقوله تعالى : ﴿ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾ [النساء : ١٥٥] .

وقوله : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ﴾ هذا وقف على قوله : ﴿ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ﴾<sup>(٢)</sup> والغشاوة مخصوصة بالأبصار ، كما قال تعالى : ﴿ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً ﴾ [الجاثية : ٢٣] .

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(٨)</sup> يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾<sup>(٩)</sup> فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾<sup>(١٠)</sup> وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾<sup>(١١)</sup> إِلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾<sup>(١٢)</sup>

العذاب يكون تارة عظيماً ، وتارة مهيناً كمن ضرب رئيساً ضربات يسيرة في محفل .

وتارة يكون أليماً مؤثراً في الجلد . والعذاب موصوف بهذه الصفات الثلاث في الكتاب العزيز .

قدم الله - سبحانه وتعالى - ثلاث آيات في وصف المتقين ، وآيتين في الكفار المطبوع على قلوبهم ، ثم ثلث بذكر المنافقين الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر بقوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ﴾ الآيات . واقتصر على الإيمان بالله وباليوم الآخر ؛ لأن الإيمان بالله أول الواجبات ، واليوم الآخر من آخر الواجبات في الوجود .

والخداع : إظهار ما يسر المخاطب مع قصده ضرره في الباطن ؛ فليل : أصله من الإخفاء ، ومنه المخذع يخفى فيه ما لا يشتهي إظهاره من الزوجات والأموال .

وقيل : أحوال الفساد ؛ كقول الشاعر [من الرمل] :

( ١ ) بالأصل بدل ما بين المعقوفين : « ختم على قلوبهم وقلبه وجعل على بصره غشاوة » والصواب ما أثبتناه .

( ٢ ) وهو وقف تام ، كما قاله العلامة أحمد بن محمد بن عبد الكريم الأشموني في كتابه (منار الهدى في بيان الوقف والابتداء) (ص : ٣٢) ط . مصطفى الحلبي ، القاهرة ، ١٩٧٣ م .

طيبُ الريقِ إذا الريقُ خدعٌ<sup>(١)</sup>

والله - تعالى - لا يخادع ولا يخادع فيما معاملته معاملة الخادع. وأما المؤمنون فلا يخادعون ولكنهم قد يُخدعون ، وما رجع الخداع إلا على المخادع .

والشعور : العلم بالحواس ، فهم لفرط جهلهم بعد عنهم العلم بالمحسوسات .

﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ أي : آلام من استقامة أمور الدين ، أو في قلوبهم مرض من اعتقاد

الحق .

والفساد في الأرض : العمل بالمعاصي ، ويطلق كثيرا في سفك الدماء ، وإفساد الزراعات ؛ كقوله : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ [البقرة : ٣٠] وقوله : ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا ﴾ [البقرة : ٢٠٥] .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامِنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمُّ بَكْمٌ عُمَىٰ فَهَمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

وهؤلاء قد اعتقدوا أن ما يفعلونه صلاح (أ/٣) لا فساد وهو جهل مركب . وقد حقق الله كذبهم بدخول «ألا» التي للتنبيه ، و«إن» المؤكدة ، ودخول «هم» التي هي فصل أو عماد، ودخول الألف واللام في الخبر .

قوله : ﴿ كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ ﴾ أي : رسول الله والمؤمنون . وكذلك أكد سفههم بما أكد فسادهم من دخول «ألا» ، و«إن» ، و«هم» ، وتعريف الخبر .

وقوله : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامِنُوا قَالُوا ءَامَنَّا ﴾ مغاير لقوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ؛ لأن هذه في صفة اعتقادهم مع المؤمنين ، وتلك في صفة

(١) هذا عجز بيت لسويد بن أبي كاهل وصدره : أبيض اللون لذيذ طعمه .....

ينظر في : ديوانه (ص: ٢٤) ، تاج العروس (خدع) ، ديوان الأدب (٢/٢٠٨) ، شرح اختيارات

المفضل (ص: ٨٦٨) ، لسان العرب (خدع) ، مقاييس اللغة لابن فارس (٢/١٦١) .



## تفسير سورة البقرة

اعتقادهم في أنفسهم ، ومخالفة قولهم فعلهم ، وقد أكدوا بهذه الآية جوابهم للمشركين بقولهم : ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ وقالوا في جواب المؤمنين : ﴿ ءَأَمَنَّا ﴾ غير مؤكد ويسمى الشيء باسم مقابله ؛ كقوله : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ [الشورى: ٤٠] . ﴿ فَمَنْ أَعَدَّى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ ﴾ [البقرة: ١٩٤] . ﴿ وَمَكْرُؤًا وَمَكْرًا لِّلَّهِ ﴾ [آل عمران: ٥٤] ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [التوبة: ٦٧] كذلك ها هنا ﴿ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ (١٤) ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ .

الطغيان : مجاوزة الحد ؛ كقوله : ﴿ لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلَتُ كُرْسِيَّ الْجَارِيَّةِ ﴾ [الحاقة: ١١] ﴿ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ [النازعات: ١٧] .

والعمه : التردد والحيرة ، ولا يستعمل إلا في البصيرة . وأما العمى فإنه يطلق على فقد البصيرة ، وفقد البصر . ﴿ أَشْتَرُوا ﴾ استبدلوا ، ولما سمي الاستبدال شراء ، استعار له الريح في قوله : ﴿ فَمَارِجَتْ بِجَرَّتُهُمْ ﴾ .

والمثل : صفة ، فقوله : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ ﴾ أي : صفتهم كصفة الذي استوقد ناراً .

«استوقد» و«أوقد» بمعنى ، و«أضاء» يستعمل لازماً ومتعدياً ؛ ف «ما» من قوله : ﴿ مَا حَوْلَهُ ﴾ يجوز أن تكون مفعولة ؛ كقول الشاعر [من الطويل] :

أعد نظراً يا عبد شمسٍ فرُبما أضاءت لك النارُ الحمارَ المقيداً<sup>(١)</sup>

ويجوز أن تكون ظرفاً ؛ لأن ما حول المستوقد أماكن . ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ بمعنى : أذهبه بخلاف قوله : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ ﴾ [يوسف: ١٥] ؛ لأن المراد هناك : استصحبوه .

و«ترك» بمعنى : صير ، فيتعدى إلى مفعولين أحدهما : الضمير ، والثاني : المجرور ، قال

(١) البيت للفرزدق ، ينظر في : ديوانه (١/١٨٠) ، الأزهرية في الحروف للهروي (ص : ٨٨) مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٣٩١ هـ - تحقيق : عبد المعين الملوحي ، الدرر اللوامع (٢١/٢٠٨) ، شرح شواهد الإيضاح (ص: ١١٦) ، شرح شواهد المغني (ص: ٦٩٣) ، شرح المفضل لابن يعيش (٨/٥٧) ، وبلا نسبة في : رصف المباني (ص: ٣١٩) ، شرح شذور الذهب لابن هشام (ص: ٣٦١) ، قطر الندى لابن هشام (ص: ١٥١) مغني اللبيب لابن هشام (ص: ٢٨٧ ، ٢٨٨) ، همع الهوامع للسيوطي (١/١٤٣) ويروى الشطر الأول : أعد نظراً يا عبد قيس لعلماء ..... والشاهد فيه : ورود الفعل «أضاءت» متعدياً .

عنتره [من الكامل] : فَتَرَكَتُهُ جَزَرَ السَّبَاعِ يُنْشِنُهُ ..... (١) .

وقوله : ﴿ صُمُّ بَكْمٍ عُمَى ﴾ إخبار عن مبتدأ محذوف تقديره : المنافقون صم بكم عمي ؛ لأنهم لما لم ينتفعوا بأبصارهم في النظر في ملكوت السماوات والأرض صاروا (٣/ب) كالأعمى ، ولما لم ينطقوا بألسنتهم بالثناء على الله جعلوا بكماً ، ولما لم يسمعوا ما أنزل الله سماع مقبل كانوا صمًا ؛ لفوات المقصود الأعظم من هذه الخواص ، قال الشاعر [من الكامل] :

فكأنهم خلِقوا وما خلِقوا

خلِقوا وما خلِقوا لمكرمة

فكأنهم رزِقوا وما رزِقوا (٢)

رزِقوا وما رزِقوا سماح يد

(١) البيت من معلقته ، وعجزه : ..... يَقْضِمِينَ حُسْنَ بِنَائِهِ وَالْمَعْصَمِ

ويروى : فَتَرَكَتُهُ جَزَرَ السَّبَاعِ يُنْشِنُهُ ما بين قلة رأسه والمعصم

ينظر في الأغاني للأصفهاني (١/٢٦٢) ، جهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي (ص : ٢٢٦) ، روح المعاني للألوسي (٢٠/١٣٣) ، الكشاف للزمخشري (١/٧٥) .

وجزر السباع أي : قتيلا تتابه السباع ، وإنما سموها جزرة ؛ لأنها تجزر أي : تقطع أوصالها وتفصل ، وأصل الجزر القطع ومنه جزر الماء وهو انقطاعه بعد المد ، ولذلك سميت البقاع المرتفعة التي لا يغمرها الماء وسط البحور جزائر . وقلة الرأس : أعلاه . ينظر : غريب الحديث للخطابي (٢/٣٩٠) .

(٢) البيتان من الشواهد على نوع من أنواع البديع وهو طباق السلب وهو الجمع بين فعلي مصدر واحد مثبت ومنفي أو أمر ونهي كقوله - تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٦) يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿ فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَأَخْشَوْنَ ﴾ وقول الشاعر :

وننكر إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول

وقول البحري :

يقيض لي من حيث لا أعلم النوى ويسري إلي الشوق من حيث أعلم

وقول أبي الطيب :

ولقد عرفت وما عرفت حقيقة ولقد جهلت وما جهلت خمولاً

ينظر البيتان في : الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني (١/٣٢٠) ط . دار إحياء العلوم ، بيروت ، ١٩٩٨ م ، خزانة الأدب وغاية الأرب لأبي بكر الحموي (١/١٥٩) ط . دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٨٧ م ، تحقيق : عصام شعيتو .

﴿ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيٓءِٔاذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾

وقوله ﴿ أَوْ كَصَيْبٍ ﴾ المعنى فيه : أنك إن أردت تشبيه المنافقين في انتظارهم رسول الله ﷺ أنه يبعث ويؤمنون به ، وكانوا من قبل يستفتحون ، ويستنصرون على عدوهم ، ويقولون : «اللهم انصرنا عليهم بالنبي الذي تبعته في آخر الزمان»<sup>(١)</sup> ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾ فهذا مثلهم .

وإن أردت تمثيل القرآن والهدى الذي جاءهم ، وما فيه من التخويفات ، ولم يكن حظهم من ذلك إلا الخوف والحذر ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمُ ﴾ [التوبة : ٦٤] فمثلهم مثل الصيب الذي حظ المسافر منه الخوف من رعوده وصواعقه ، ومقصوده الأعظم : ري الأرض ، ونجابة زراعتها .

وقوله : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيٓءِٔاذَانِهِم ﴾ الضمير في ﴿ يَجْعَلُونَ ﴾ لأصحاب الصيب .

والمحيط : مشتق من الإحاطة بالشيء ، ومن أحاط بالشيء من جميع جهاته ، حصل له العلم به والاستيلاء عليه ، والتمكن منه غالباً ، فقوله ﴿ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ يريد : أنه مهلكهم ؛ كقوله : ﴿ لَتَأْتُنَّنِي بِهِٓءِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ ﴾ [يوسف : ٦٦] ، ﴿ وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ ﴾ [الكهف : ٤٢] ويجوز أن يريد أنه عالم ؛ كقوله تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴾ [فصلت : ٥٤] ﴿ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق : ١٢] .

وذكر في الإضاءة ﴿ كُلَّمَا ﴾ ؛ لأنهم كانوا حراساً على الحركة ، فإذا لاح لهم أدنى نور

(١) أورده الواحدي في أسباب النزول (ص : ٣١) رقم (٣٨) عن ابن عباس ، وأخرجه الحاكم في المستدرک (٢/٢٦٣) ، من طريق عبد الملك بن هارون بن عنبرة ، عن أبيه عن جده ، عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : كانت يهود خيبر تقابل غطفان فكلما التقوا ، هزمت يهود خيبر ، فعادت اليهود بهذا الدعاء : اللهم إنا نسألك بحق محمد النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم . قال : فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء ، فهزموا غطفان ، فلما بعث النبي ﷺ كفروا فأنزل الله : وقد كانوا يستفتحون بك يا محمد على الكافرين . قال الذهبي معقباً : لا ضرورة في ذلك أي لإخراجه ، فبعد الملك متروك هالك .

بادروا إلى اغتنامه ، وقال في الإظلام : ﴿ وَإِذَا أَظْلَمَ ﴾ ؛ لأنهم لم يكونوا حراساً على التوقف ، وأظلم يستعمل لازماً ومتعدياً . وقوله : ﴿ قَامُوا ﴾ امتنعوا من الحركة ، وليس المراد القيام الذي يضاد القعود ، ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ لزيد في قصيف الرعد ، فذهب بسمعهم أو زاد في وميض البرق ، فذهب بأبصارهم .

﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ۖ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾

وأكثر ما في القرآن ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ ﴾ يراد به أهل مكة ، وأكثر ما فيه : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ يراد به : أهل المدينة ، وقوله : ﴿ خَلَقَكُمْ ﴾ يجوز أن يريد به : اعبدوا الرب الذي خلق ولا تعبدوا رباً غيره (٤/أ) ؛ كقوله : ﴿ أَزْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [يوسف: ٣٩] ويجوز أن يراد به الثناء ؛ كقوله : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ [الفاتحة: ١].

وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ معطوف على مفعول ﴿ خَلَقَكُمْ ﴾ . وقوله ﴿ فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ يجوز أن يكون مفعول قوله : ﴿ رِزْقًا لَكُمْ ﴾ ، ويجوز أن يكون المجرور ، وقد سُدَّ مسدُّ الخبر ؛ كقوله : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمِنَا ﴾ [مريم: ٥٠] وتقديره : أخرج به بعض الثمرات . و﴿ رِزْقًا ﴾ على هذا : مفعول من أجله ، و﴿ لَكُمْ ﴾ معمول للمفعول من أجله .

الند : المثل المناوي ، مأخوذ من : ند البعير إذا نفر .

وقوله : ﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ يجوز أن يكون محذوف المفعول لا يراد ، تقديره كأنه قال : وأنتم من أهل العلم ، ويجوز أن يراد له مفعول ، ويحتمل وجهين :

أحدهما : وأنتم تعلمون أنه متعال عن الأنداد ، وثانيهما : أن تكون تلك الآلهة التي عبدت لا تصلح أن تكون له أندادا .

وقوله : ﴿ مِنْ مِثْلِهِ ﴾ الهاء في ﴿ مِثْلِهِ ﴾ تعود إلى القرآن . وقيل : تعود إلى النبي ، والتقدير : اتوا بقرآن يلقي به رجل أُمي لم يصحب العلماء ولم يقرأ الكتب كقوله : ﴿ وَمَا كُنْتُمْ لَتَلُوهَا مِنْ قَبْلِهِ ۖ مِنْ كِتَابٍ ﴾ [العنكبوت: ٤٨] وهذا ضعيف ؛ لأنه يخرج القرآن عن أن

## تفسير سورة البقرة

يكون معجزاً، وإنما المعجز عنده صرف الداعي عن الشروع في الإتيان بمثله، ويبطله قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ﴾ [الإسراء: ٨٨]. ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾<sup>(١)</sup> [الطور: ٣٤]. ﴿ قُلْ فَاتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾ [يونس: ٣٨].

وقوله: ﴿ وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ ﴾ أي: من يشهد لكم بأن الذي أتيتم به يصلح للمعارضة . أو فادعوا من بحضورتكم من جلسائكم الفصحاء وخطبائكم البلغاء . وقوله: ﴿ وَكُلُّ تَفَعَّلُوا ﴾ جملة معترضة بين الشرط والجزاء وهي إخبار بغيب ، وجعل جزاء الشرط الأمر باتقاء النار، والتقدير: فإن لم تأتوا بسورة من مثله ، وعجزتم أنتم ومن بحضورتكم - وجب الخلود في النار - فعليكم أن تتقوا النار باجتناح معارضة القرآن .

المراد بالحجارة: حجارة الكبريت ؛ لأنها تزيد النار التهاباً ورائحة منكرة ، وقيل: المراد الأصنام ؛ لأنها تلقى في النار مع الكفار إرغاماً لمن عبدها ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> لَوْ كَانَتْ هَتُولَاءَ ۗ إِلَهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٨ - ٩٩] (ب/٤) ونار جهنم - أعادنا الله منها - لشدة حرها يتقد فيها ما لا يتقد في غيرها من الحجارة وأشباهها . والوقود والخطب ، وأتى هاهنا بـ ﴿ أَلْتِي ﴾ وهي إنما يؤتى بها حيث تكون الصلة معلومة للمخاطب ، كقولك: أكرم زيداً الذي أنقذك بالأمس من فتنة كذا. وقد علم ذلك بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم: ٦] وهذه الآية دليل على أن النار مخلوقة ، وقالت المعتزلة: لا فائدة من خلقها الآن وقوله تعالى: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ يرد عليهم ظاهراً<sup>(٢)</sup>.

(١) في الأصل: « قل فاتوا بحديث مثله إن كنتم صادقين » وليس بآية ، وما أثبتناه من سورة الطور: الآية: ٣٤ .  
 (٢) مسألة خلق الجنة والنار الآن من المسائل التي دار حولها خلاف بين متكلمي المسلمين ، فاتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن . ولم يزل أهل السنة على ذلك حتى نبغت نابغة من المعتزلة القدرية فأنكرت ذلك ، وقالت: بل ينشئها الله يوم القيامة ، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما يفعله الله ، وأنه ينبغي أن يفعل كذا ، ولا ينبغي له أن يفعل كذا . وقاسوه على خلقه في أفعالهم ، فهم مشبهة في الفعال ، ودخل التجهم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة ، وقالوا: خلق الجنة قبل الجزاء عبث ؛ لأنها تصير معطلة مدداً متطاولة ، فردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب - تعالى - وحرفوا النصوص عن مواضعها وضللوا وبدعوا من خالف شريعتهم . وقد وردت النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة التي تدل على بطلان هذا القول . =

﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾

والبشارة: أول خبر سار صادق . والجنة : البستان المظلل بأغصانه وأوراقه ؛ لأنه يستر ما حواه ، وجن الليل : أظلم وستر بظلامه ، والجنة : الجن ؛ سموا بذلك لاستتارهم عن الأعين، والجنة : الترس ؛ لأنه يستر من ورائه . الألف واللام في «الأنهار» عوض عن الإضافة ، أي : أنهارها ؛ كقوله : ﴿ وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ ﴾ [مريم : ٤] أي : رأسي . وقيل : هما للعهد المذكور في سورة القتال : ﴿ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ﴾ الآية [محمد : ١٥] .

﴿ مِنْ تَحْتِهَا ﴾ أي : تجري من تحت غرفها ؛ كقوله : ﴿ لَكِنَّ الَّذِينَ أَنْفَقُوا رِبَّهُمْ هُمْ عُرْفٌ ﴾ [الزمر : ٢٠] . وقيل : من تحت أشجارها ؛ كما في بساتين الدنيا . وقيل : أنهار الجنة تجري في غير أخدود ، وأهل الجنة يفجرونها تفجيراً كيف شاؤوا .

﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا ﴾ من البستان ﴿ مِنْ ثَمَرَةٍ ﴾ فابتداء الرزق من البستان ، وابتداء الرزق الحاصل من البستان من الثمرة ﴿ قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ أي : في الدنيا ؛ لأن ذلك يشاركه في الاسم خاصة لا في الطعم واللون والرائحة . وقيل : كلما جنوا ثمرة تخلفها أخرى فيشيرون إلى الحادثة ويقولون : ﴿ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا ﴾ بسط لعذرهم في قولهم : ﴿ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ ؛ كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةً أَهْلِهَا أَذِلَّةً ﴾ [النمل : ٣٤] ثم صدقها الله بقوله : ﴿ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ﴾ : من البول والغائط والحيض ومن مساوي الأخلاق وفساد الأحوال بمخالطة من لا يصلح .

= ينظر : شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (ص : ٢٤-٤٢٢) تحقيق جماعة من العلماء وتخرجه الشيخ الألباني ، ط ٣ ، المكتب الإسلامي .

لما ذكر الله في كتابه البعوض والعنكبوت تضاحكت اليهود وقالوا : هذا لا يشبه كلام الله ، وكيف يذكر (٥/أ) العلي الأعلى هذه الأشياء المحقرة ، وغلطوا في ذلك ، فإن الحقير إنما يضرب له المثل بالحقير ، وضرب المثل اعتماده وتصويره ، كقولك : «ضربت الطين لبنا ، والفضة خاتماً» فهو يتعدى إلى مفعولين . والبضع والبعض : القطع ، والبعوض : فعول من القطع ؛ لأنه يشق اللحم فيمتص الدم . ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ أكبر منها . وقيل : أصغر ؛ لأنه فوقها في الحقارة .

﴿فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ الضمير يرجع إلى المثل أو إلى ضربه . وإنما قال : ﴿وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ والمهديون قليل بالنسبة إلى الضالين وإن كانوا في أنفسهم كثيرًا<sup>(١)</sup> .

﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٢٧) ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٢٨) ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٢٩)

﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ [الرعد: ٢٥] وهو صلة الأرحام . وقيل : تصديق جميع الأنبياء فيما جاؤوا به . ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا﴾ نطفًا ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ في الدنيا ﴿ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ﴾ فيها ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ يبعثكم يوم القيامة ، والتقدير : كيف تكفرون وأنتم عالمون بهذا الترتيب ؟ وإنما جاء بلفظة : «كيف» التي هي إنكار للأحوال ، ولم ينكر أصل الكفر ؛ لأنه إذا أنكر أحوال الكفر كلها لم يوجد الكفر ؛ كما لو ادعى حامل<sup>(٢)</sup> اجتماعه بالسلطان وخوضه معه في مصالح الدولة ، فيقال له : أين اجتمعت به في داره أم في الموكب ؟ تقديره : إن قلت : إنك اجتمعت به في الموكب . فهناك حُجَابٌ يمنعونك من الاجتماع به . وإن قلت : في داره . فكذلك . فإذا بطلت جهات الاجتماع بطل الاجتماع به .

(١) قال الزمخشري في الكشاف ( ١ / ١١٨ ) : « فإن قلت : لم وُصف المهديون بالكثرة - والقللة صفتهم ؟

قلت : أهل الهدى كثير في أنفسهم وحين يوصفون بالقللة إنما يوصفون بها بالقياس إلى أهل الضلال .

وأيضاً فإن القليل من المهديين كثير في الحقيقة وإن قلوا في الصورة فسموا ذهاباً إلى الحقيقة كثيراً .

(٢) الحامل من الرجال : الخفي الساقط الذي لا نباهة له ، ولا إرادة مستقلة تحمله على الاجترار ، يقال : هو

خامل الذكر والصوت ، والجمع : خملة . ينظر : لسان العرب ( حمل ) .

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ فيه دليل على أن أصل الأشياء بعد ورود الشرع على الإباحة<sup>(١)</sup>.

﴿ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ ﴾ ثم قصد بعد خلق الأرض إيجاد السماوات ، ولم يحدث بين إيجادهما خلق شيء آخر .

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هٰٓؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صٰٓدِقِينَ ۝٣١ قَالُوا سُبْحٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝٣٢ قَالَ يَتَّادَمُ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ۝٣٣ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِينَ ۝٣٤ وَقُلْنَا يَتَّادَمُ أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّٰلِمِينَ ۝٣٥ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۝٣٦ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝٣٧ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٣٨ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيٰتِنَا أُولٰٓئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خٰلِدُونَ ۝٣٩﴾

وقولهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ استفهام ، معناه : أتخلق هؤلاء العصاة مع بقائنا نحن على وظائف التسييح والتقديس ، أم تمكر بنا أيضا ، وإنما شهدوا على البشر بالمعصية ، لجواز أن يعلمهم الله ذلك بطريق من الطرق ، أو بأن يروه في اللوح المحفوظ مكتوبًا .

(١) الأصل في الأشياء الإباحة ؛ لأن الإباحة هي الحكم الأصلي لموجودات الكون ، وإنما يحرم ما يحرم منها بدليل من الشارع لمضرتها ، والدليل على أن الحكم الأصلي للأشياء النافعة هو الإباحة : قوله - تعالى -  
 ﴿ وَسَخَّرْنَا لَكُمْ مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۗ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية : ١٣] وقوله - تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة : ٢٩] ولا يتم الامتنان ولا يكون التسخير إلا إذا كان الانتفاع بهذه المخلوقات مباحًا . أما الأشياء الضارة فالأصل فيها التحريم لقوله ﷻ : « لا ضرر ولا ضرار » . ينظر في ذلك : الأشباه والنظائر للسيوطي (١ / ٦٠) ، الوجيز في أصول الفقه لعبد الكريم زيدان (ص : ٢٦٨) .



﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ ﴾ أسماء المسميات بمنافعها ، ثم عرض المسميات على الملائكة .  
 ﴿ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ في زعمكم أن الله لا يخلق خلقاً أفضل منكم ، أو خلقاً يعلمون ما لا تعلمون ، وهو الذي قال فيه : ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ .  
 (٥/ب) وقوله : ﴿ أَسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ هو وضع الجبهة على الأرض تعظيماً لآدم ، وكان ذلك جائزاً وقد سجد يعقوب وبنوه ليوسف <sup>(١)</sup> . وقيل : اسجدوا لسجود آدم ، فجعله إماماً يصلي بهم ، وقيل : اسجدوا لجهة آدم وجعله قبلة ، وإبليس كان من الملائكة . وقيل : لم يكن منهم ؛ لقوله تعالى : ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾ [الكهف: ٥٠] والجن ليسوا ملائكة ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْتُولَاءِ إِنَّا كُنَّا نَعْبُدُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ﴾ [سبأ: ٤٠] تبرأت الملائكة ونسبوا العبادة إلى الجن ، فلو كانوا ملائكة ، لم تحصل البراءة لهم . وقوله : ﴿ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ أي : في علم الله . وكان بمعنى صار .

قوله : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا ﴾ مبالغة في التحريم ، والتحفظ من الوقوع فيه ، وأشار بهذه الشجرة إلى شجرة واحدة . وقيل : إشارة إلى جنس بجملته حرمة عليهم ، فقيل : شجرة العنب . وقيل : القمح ، وكان شجراً ، ولا يتعلق بتعيين الشجرة غرض صحيح .

وقوله : ﴿ فَتَكُونَا ﴾ يجوز أن يكون مجزوماً معطوفاً ، وأن يكون منصوباً ، جواباً للنهي .

﴿ فَأَزَلَّهُمَا ﴾ أي : أوقعهما في الزلة ﴿ عَنْهَا ﴾ : قيل عن الشجرة . وقيل : عن الجنة .

﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ يريد ما عليه الناس من التعادي والتحارب . وقيل : أراد : آدم وحواء وإبليس . قيل : والحية أيضاً ، والأول أصح ؛ لقوله : ﴿ فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى ﴾ أي : فإن يأتكم مني هدى على لسان رسول أبعثه إليكم فمن اتبع ما جاء به كان مفلحاً ، ومن خالفه فكفر به وكذب بالآيات خُلد في النار ، وهذا إنما يليق بالملكفين لا بالحية .

﴿ يٰٓبَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْحَبُكُمْ ﴿١٠﴾  
 وَءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرِينَ بِهِ ۗ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي  
 فَاتَّقُونَ ﴿١١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُرُوا بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا

(١) ورد ذلك في قوله - تعالى - في سورة يوسف الآية: ١٠٠: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَبَاتُ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْتُ رُبِّي حَقًّا ﴾ .

الزَّكَاةَ وَأَزْكَوْا مَعَ الرَّكْعَيْنِ ﴿٤٣﴾ ﴿٤٤﴾ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾

يا بني آدم ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتِي﴾ أي : اشكروها ﴿الَّتِي أَنْعَمْتُ﴾ بها ﴿عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا﴾ بالعهد الذي عاهدتكم عليه من الإيمان بالرسول وتصديق ما جاؤوا به من الكتب ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ الذي عاهدتكم عليه من الثواب والعقاب . والعهد : يضاف إلى الموثق والموثق عليه .

والرهبة : الخوف ﴿وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ﴾ من القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ من التوراة والإنجيل ﴿وَلَا تَكُونُوا﴾ مثل ﴿أَوَّلَ كَافِرٍ﴾ أو كل واحد منكم مثل أول كافر ، والمراد أول فريق كافر أو أول فوج .

﴿ثَمِنًا قَلِيلًا﴾ هو ما كانوا يأخذونه من عوامهم من الهدايا ( ٦ / أ ) والرشا وما يأخذونه من كبرائهم على التحريف والتبديل . ولا تجعلوا الحق ملتبسا بباطلكم ﴿وَتَكْتُمُوا﴾ يجوز أن يكون مجزومًا معطوفًا ، وأن يكون منصوبًا بالواو في جواب النهي .

وقوله : ﴿وَأَزْكَوْا مَعَ الرَّكْعَيْنِ﴾ أمر بالصلاة بعد الأمر بها بقوله : ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ مبالغة في وجوبها . وقيل معناه : ولتكن صلاتكم في جماعة . ﴿وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ : حال يقتضي زيادة قبح ما فعلوه ، وأنه لا يفعله من له أدنى عقل ولهذا قال بعده : ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ والتقدير : أسلبتم العقول فلا تعقلون ، أو أجنتم فلا تعقلون . ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ﴾ عند المصائب . وقيل : بالصبر على الصلاة ومداومتها ؛ كقوله : ﴿وَأَمْرًا هَلَكًا بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [ طه : ١٣٢ ] ، وقيل : إذا أصابتكم شدة فافزعوا إلى الصلاة والصبر . وكان الرسول ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة <sup>(١)</sup> . ﴿وَإِنَّهَا﴾ وإن الاستعانة . وقيل : وإن الصلاة ، وإنما لم تكبر على الخاشعين فلم تثقل عليهم لما يجدون من حلاوة المناجاة ، وقال النبي ﷺ : «وجعلت قرعة عيني في الصلاة» <sup>(٢)</sup> .

(١) رواه بهذا اللفظ الطبري في تفسيره ( ١ / ٢٩٨ ) ، والبيهقي في دلائل النبوة ( ٣ / ٤٥٣ ) .

وبلفظ : « إذا حزبه أمر صلى » رواه أحمد في المسند ( ٥ / ٣٨٨ ) ، وأبو داود رقم ( ١٣١٩ ) .

(٢) هذا جزء من حديث ولفظه : « حبب إلي النساء والطيب وجعلت قرعة عيني في الصلاة » رواه بهذا اللفظ

الإمام أحمد في المسند ( ٣ / ٢٨٥ ) ، والنسائي في المجتبى ( ٧ / ٦٢ ) ، والحاكم في المستدرک ( ٢ / ١٦٠ ) ،

ورواه أحمد ( ٣ / ١٢٨ ، ١٩٩ ) ، والنسائي ( ٧ / ٦١ ) ، وذكره الحافظ ابن حجر في تلخيص الخبير

( ٣ / ٢٤٩ ) بلفظ : « وجعل قرعة عيني في الصلاة » قال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ، ولم

ينخرجاه ووافقه الذهبي . وقال الحافظ ابن حجر : وإسناده حسن ، ثم قال الحافظ في التلخيص =

﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (٤٦) يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذْ بَجَّيْنَاكُمْ مِنَ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾

﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ ﴾ أي : يستيقنون ؛ كقوله : ﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُّوَاقِعُوهَا ﴾ [الكهف: ٥٣] أي: أنهم ملاقوا جزاء ربهم، وأنهم إلى معاد جزائه ﴿ رَاجِعُونَ ﴾ . ﴿ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ أي: عالمي زمانهم . ﴿ لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ ﴾ : كافرة . العدل: الفدية ، ﴿ يَسُومُونَكُمْ ﴾ يكلفونكم ﴿ وَفِي ذَلِكُمْ ﴾ أي: في إنجائكم ﴿ بَلَاءٌ ﴾ أي : نعمة ؛ كقوله : ﴿ وَبَلَّوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأعراف : ١٦٨] . وقيل : وفي ذلكم التعذيب بلاء أي : شدة .

﴿ فَرَقْنَا بِكُمْ ﴾ أي: بسبيكم ﴿ آلَ فِرْعَوْنَ ﴾ القبط، ومن وافقه على دينه ﴿ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ ﴾ <sup>(١)</sup> انقضاء أربعين يوماً ﴿ ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ ﴾ من بعد انطلاقه إلى الجبل ليسمع كلام

= (٣/ ٢٤٩ ، ٢٥٠) : وقد اشتهر على الألسنة زيادة : «ثلاث» وشرحه الإمام أبو بكر بن فورك في جزء مفرد على ذلك ، وكذلك ذكره الغزالي في (الإحياء) ولم نجد لفظ «ثلاث» في شيء من طرقه المسندة .  
قرأ وعدنا بدون ألف : أبو عمرو وعاصم الجحدري وأبو جعفر وعيسى بن عمر ويعقوب وغيرهم .  
(١) وقرأ الباقون «واعدنا» تنظر في : إتحاف فضلاء البشر (١/ ٣٩١) ، إعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٢٣ ، ٢٢٤) ، الإملاء للعكبري (١/ ٢١) ، البحر المحيط لأبي حيان (١/ ١٩٩) ، جامع القرطبي (١/ ٣٩٤) ، الحجّة لابن خالويه (ص ٧٦) ، الحجّة للفارسي (٢/ ٥٦) ، الدر المصون (١/ ٢٢٢) ، السبعة لابن مجاهد (ص ١٥٤) ، الكشاف للزمخشري (١/ ٢٨٠) ورجح أبو عبيد قراءة «وعدنا» بأن المواعدة إنما تكون من البشر ، وأما الله - تعالى - فهو المنفرد بالوعد والوعيد ، وكذلك رجح هذه القراءة مكّي وأبو حاتم ، ورجح قوم آخرون القراءة الأخرى ، وينظر تفصيل ذلك في : الدر المصون (١/ ٢٢٢) .

الله مع سبعين رجلاً من خيار قومه ، ﴿ ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ ﴾ من بعده إلهما ﴿ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴾ أي : قوم عادتكم الظلم .

والفرقان : قيل : انفراق البحر حين ضربه بعصاه فانفراق اثني عشر فرقاً لكل سبط فرق وقيل : الفرقان هاهنا: التوراة ؛ لأنها فرقت بين الحق والباطل .

﴿ فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ أمر من لم يعبد العجل أن يقتل من عبده . وقيل : أمر كل من عبد العجل أن يقتل نفسه . ( ٦ / ب ) [ وحين نزلت ] التوبة على بني إسرائيل ، فسقطت السيوف من أيديهم حين تاب الله عليهم . وقيل : وبلغ القتلى سبعين ألفاً .

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ نَظُرُونَ ﴾ ﴿ ٥٥ ﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿ ٥٦ ﴾ وَظَلَلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿ ٥٧ ﴾ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغْداً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ نَفِّرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَسَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿ ٥٨ ﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿ ٥٩ ﴾ وَإِذْ أَسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿ ٦٠ ﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصِلِيهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿ ٦١ ﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿ ٦٢ ﴾

ولما توجه موسى بسبعين رجلاً ، اختارهم موسى من قومه إلى الجبل فأسمعهم الله كلاماً له فسألوا رؤية الله ، فأخذتهم الصاعقة فماتوا ، فقال موسى : ﴿ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَابِنِي ﴾ [ الأعراف : ١٥٥ ] : ماذا أقول لبني إسرائيل إذا عدت إليهم فأحياهم الله - تعالى -

بدعاء موسى .

﴿ أَلْغَمَامَ ﴾ جَعَلْنَا الْغَمَامَ مَظْلَلًا عَلَيْكُمْ فِي التِّيهِ . وَالسَّلْوَى : طَائِرٌ يَشْبَهُ السُّمَّانِي <sup>(١)</sup> ، كَانَ يَسْقُطُ عَلَيْهِمْ فَيَأْخُذُونَ مِنْهُ كَفَايَتَهُمْ .

كَانُوا فَلَاحِينَ مَعْتَادِينَ لِأَكْلِ الْعَدَسِ وَالْبَصْلِ وَغَيْرِهِ فَسَأَلُوا عَادَتَهُمْ . وَالْفُومُ : الْخَبْزُ . وَقِيلَ : الثُّومُ . ﴿ أَهْيَطُوا مِصْرًا ﴾ أَي : بِلَدًا ، أَي بِلَدٍ كَانَ تَجَدُّوا فِيهِ مَا سَأَلْتُمْ . وَجُعِلَتْ الدَّلَّةُ كَالْقَبَةِ الْمُحِيطَةِ الْمُشْتَمِلَةَ عَلَيْهِمْ ﴿ وَبَاءُوا ﴾ أَي : رَجَعُوا . وَقِيلَ : احْتَمَلُوا ، أَي : تَلَّكَ الدَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةَ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ ، وَذَلِكَ الْكُفْرُ وَالْقَتْلُ وَالْجِرَاءُ عَلَيْهِمَا ، بِسَبَبِ عَصْيَانِهِمْ وَمَجَاوَزَتِهِمُ الْحَدَّ .

﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ أَي : بِالسُّنَنِ . ﴿ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ أَي : بِقَلْبِهِ . وَقِيلَ : مَنْ ءَامَنَ ، أَي : دَامَ عَلَى الْإِيمَانِ . وَقِيلَ : إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالتُّورَةِ وَالْإِنْجِيلِ مِنْ غَيْرِ تَبْدِيلٍ مِنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِالْقُرْآنِ ، وَمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ . ﴿ وَالصَّابِعِينَ ﴾ مَاخُودٌ مِنْ قَوْلِهِمْ : صَبَاتِ النُّجُومُ : إِذَا خَرَجَتْ مِنْ مَرَكَزِهَا ، فَقِيلَ : الصَّابِئُونَ مِنَ النَّصَارَى ، وَالسَّامِرَةُ مِنَ الْيَهُودِ ، كَالْمَعْتَزِلَةِ <sup>(٢)</sup> مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَصْحَابِ بَدْعَةٍ لَمْ يُخْرِجُوا بِهَا عَنْ أَصْلِ الْإِسْلَامِ وَالشَّرِيعَةِ .

(١) السَّمَانِي : ضَرْبٌ مِنَ الطَّيْرِ ، وَاحِدَتُهُ : سَمَانَةٌ وَقَدْ يَكُونُ السَّمَانِي وَاحِدًا قَالَ الْجَوْهَرِيُّ : وَلَا تَقْلُ سَمَانِي بِالتَّشْدِيدِ وَهُوَ طَائِرٌ صَغِيرٌ مِنْ رَتْبَةِ الدَّجَاجِيَّاتِ ، جِسْمُهُ مَنْضَغُطٌ مَمْتَلِيٌّ ، وَهُوَ مِنَ الْقَوَاطِعِ الَّتِي تَهَاجِرُ شِتَاءً إِلَى الْحَبَشَةِ وَالسُّودَانَ وَيَسْتَوِطِنُ أَوْرَبًا وَحَوْضَ الْبَحْرِ الْمَتَوَسِّطِ .  
يَنْظُرُ : لِسَانُ الْعَرَبِ ( سَمَن ) .

(٢) الْمَعْتَزِلَةُ : قَالَ شَارِحُ الطَّحَاوِيَّةِ : هُمُ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ وَوَأَصْلُ بْنُ عَطَاءِ الْغَزَالِ وَأَصْحَابُهُمَا ، سَمُوا بِذَلِكَ لِمَا اعْتَزَلُوا الْجَمَاعَةَ بَعْدَ مَوْتِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي أَوَائِلِ الْمِائَةِ الثَّانِيَةِ ، وَكَانُوا يَجْلِسُونَ مَعْتَزِلِينَ ، فَيَقُولُ قِتَادَةٌ وَغَيْرُهُ : أَوْلَئِكَ الْمَعْتَزِلَةُ . وَقِيلَ : إِنَّ وَاصِلَ بْنَ عَطَاءٍ هُوَ الَّذِي وَضَعَ أَصُولَ مَذْهَبِ الْمَعْتَزِلَةِ ، وَتَابِعَهُ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ تَلْمِيزُ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ ، فَلَمَّا كَانَ زَمَنُ هَارُونَ الرَّشِيدِ صَنَّفَ هُمُ أَبُو الْهَذِيلِ كِتَابِينَ ، وَبَيَّنَّ مَذْهَبَهُمْ ، وَبَنَى مَذْهَبَهُمْ عَلَى الْأَصُولِ الْخَمْسَةِ وَهِيَ : الْعَدْلُ ، وَالتَّوْحِيدُ ، وَإِنْفَاذُ الْوَعِيدِ ، وَالْمُنْتَزِلَةُ بَيْنَ الْمُنْزَلَتَيْنِ ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَلبَسُوا فِيهَا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ، إِذْ شَأْنُ الْبِدْعِ هَذَا ، اشْتِمَالُهَا عَلَى حَقٍّ وَبَاطِلٍ . وَهُمُ مَشْبَهُةُ الْأَفْعَالِ ؛ لِأَنَّهُمْ قَاسُوا أَفْعَالَ اللَّهِ - تَعَالَى - عَلَى أَفْعَالِ عِبَادِهِ ، وَجَعَلُوا مَا يَحْسَنُ مِنَ الْعِبَادَةِ يَحْسَنُ مِنْهُ ، وَمَا يَقْبِحُ مِنَ الْعِبَادَةِ يَقْبِحُ مِنْهُ - تَعَالَى اللَّهُ =

فعلى هذا : يقرؤون بالجزية وتحلّ مناكحتهم وذبائحهم وقيل : بل هم أصحاب مذهب مستقلّ فلا يقرؤون بالجزية ولا تحلّ مناكحتهم وذبائحهم .

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَتَلْخُذْنَا هُزُوعًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّظِيرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْفِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَا سِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْكَيْفَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَجَّهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴾

ولما جاء موسى بالتوراة ، ورأى اليهود ما فيها من التكاليف الشاقة قالوا : ما نقبل هذه الأحكام ، فراودهم موسى ، فأبوا فرفع الله الجبل عليهم وصار كالظلة فوق رؤوسهم ، فخرروا ساجدين خوفاً أن يسقط عليهم ، وقبلوا أحكام التوراة .

﴿ بِقُوَّةٍ ﴾ أي : بجدّ ولما كان الصيد محرماً على اليهود في يوم السبت فابتلاهم الله بأن صارت [ ظاهرة ما كان يبقى حوت في البحر إلا أخرج خرطومه يوم السبت ] <sup>(١)</sup> لا تمتنع ممن يأخذها ، فإذا انقضى السبت (٧/أ) تفرقت في البحر فعملت اليهود حياضاً واسعة كبيرة إلى جانب البحر ، وفتحوا ماء البحر إليها يوم السبت ، فاجتمع في الحياض سمك كثير ثم سدّوا الحياض ، وبقي السمك فيها ، فأخذوه يوم الأحد وذلك في أيلة <sup>(٢)</sup> .

= عما يقولون - وقالوا : يجب عليه أن يفعل كذا ، ولا يجوز له أن يفعل كذا بمقتضى ذلك القياس الفاسد !! فإن السيد من بني آدم لو رأى عبده تزني بإمائه ولا يمنعهم من ذلك لعد إما مستحسناً للقيح وإما عاجزاً فكيف يصح قياس أفعاله - سبحانه وتعالى - على أفعال عباده؟! والكلام في هذا المعنى مبسوط في موضعه . ينظر : شرح العقيدة الطحاوية ( ص : ٥٢١ ) .

(١) بياض في الأصل وما بين المعقوفين مثبت من الكشف ( ١ / ١٤٧ ) لتمام السياق .

(٢) أيلة - بالفتح : مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام ، وقيل : هي آخر الحجاز وأول الشام . وهي مدينة صغيرة عامرة بها زرع يسير . وقيل : سميت بأيلة بنت مدين بن إبراهيم <sup>(٣)</sup> .

## تفسير سورة البقرة

وكان داودُ عليه السلام عندهم ، فسبهم ، ولعنهم بعد أن نهاهم ، فلم ينتهوا فمسخ الله الذين فعلوا ذلك . ﴿ قِرْدَةٌ خَسِيئَةٌ ﴾ خسأت الكلب : إذا طردته وأبعدته . ﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا ﴾ من القرى ﴿ وَمَا خَلَفَهَا ﴾ وقيل : نكالا لمن يأتي بعدهم من القرون فيخاف من المخالفة أن يحلَّ به مثل ما حلَّ بالأول . وقيل : لمن يأتي بعدهم من الأمم ولمن مضى قبلهم أخبرتهم أنبياءهم أنه سيمسخ قوم قردة فخافوا وارتدعوا .

كان في بني إسرائيل شيخ موسى قتلته أبناء عمه ، وأخذوا ماله وأصبحوا يطلبون دية قتلهم ، فسألوا موسى عليه السلام عن الحكم في ذلك فأمره الله - تعالى - أن يذبحوا بقرة ، فعجبوا وقالوا : ﴿ أَلَنَخِذْنَا هُزُورًا ﴾ . أي : مهزواً بنا . والاستهزاء جهل استعاذ موسى عليه السلام منه ، فقالوا : ما هذه البقرة ؟ فقال : ﴿ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ ﴾ أي : كبيرة السن ﴿ وَلَا يَكْرُ ﴾ أي : صغيرة . والعوان : وسط الأسنان .

﴿ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ ﴾ شديدة الصفرة . وقيل : سوداء . ﴿ لَا ذُلُولٌ ﴾ أي : ليست مذلة بالعمل ، فلا هي تحرث الأرض فتثيرها ، ولا تستعمل في النواضح ﴿ مُسَلَّمَةٌ ﴾ من العيوب لا لون فيها يخالف الصفرة ، حتى قيل : إن قرنها وظلفها <sup>(١)</sup> كانا أصفرين .

كان في بني إسرائيل رجل صالح حضرته الوفاة ، وكان له عجلة فتركها في غيضة <sup>(٢)</sup> موفرة <sup>(٣)</sup> عن العمل ، فقال : اللهم إني أستودعك هذه العجلة لابني هذا ، ثم اتفقت لهم حاجة بعد موته فقالت أم الصبي : إن أباك قد استودع لك عجلة في الغيضة ، فاذهب إليها في

= ينظر : معجم البلدان لياقوت الحموي ( ١ / ٢٩٢ ) .

(١) الظلف : ظفر كل ما اجتر وهو ظلف البقرة والشاة والظبي وما أشبهها والجمع أظلاف . قال ابن السكيت : يقال : رجل الإنسان وقدمه ، وحافر الفرس ، وخف البعير والنعامة ، وظلف البقرة والشاة . ينظر : لسان العرب ( ظلف ) .

(٢) الغيضة : هو الموضع يكثر فيه الشجر ويلتف والجمع : غياض وأغياض .

ينظر : لسان العرب ( غيض ) .

(٣) الوفرة من المال والمتاع : الكثير الواسع . وقيل : هو العام من كل شيء ، والجمع : وفور وقد وفر المال والنبات والشيء بنفسه وفرا ووفورا وفرة . وأرض وفراء في نباتها فرة ، وهذه أرض في نباتها وفر ووفرة وفرة أيضا أي : وفور لم ترع ، والوفراء : الأرض التي لم ينقص من نباتها . ينظر : لسان العرب ( وفر ) .

الغيضة ، وادعها بإله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، فإنها تطيعك فذهب ودعاها، فأتت فقالت أمه: اذهب بها إلى السوق واعرضها للبيع ولا تبعها حتى تشاورني ، وكان الولد باراً بأمه ، وكانت البقرة تساوي ثلاثة دنانير ، فذهب بها إلى السوق ، فبعث الله ملكاً في صورة رجل فقال للصبي : أتبيعها بثلاثة دنانير [ فرجع إلى أمه ليعرفها ] ( ٧ / ب ) فقالت له : اطلب زيادة، فجاء فعرفه فزاده فقال : بعنيها ، ولا تشاور أمك فلم يفعل وشاورها فطلبت زيادة فقال الملك للشاب : إن هذه البقرة لها شأن فلا تبعها إلا بما تختار فلم يجد بنو إسرائيل بقرة بالصفة التي ذكرها موسى عليه السلام سوى هذه البقرة فقيل: باعها الصبي لهم بماء جلدها ذهباً .

ثم ذبحوا<sup>(١)</sup> بنو إسرائيل وضربوا الميت بجزء منها فقام وأوادجه تشخب<sup>(٢)</sup> دماً ، وقال : قتلتني هؤلاء الذين يطلبون ديني من غيرهم ، فحرموا الميراث وفي الآثار : لم يورث قاتل بعد قصة البقرة<sup>(٣)</sup> .

وقوله: ﴿ وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ إما أن يكون لغلاء ثمنها ، أو لكثرة تعنتهم وأسئلتهم .

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ نَفْسًا فَاذْرُكْهَا ثُمَّ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾

(١) كذا في الأصل «ذبحوا» وهي على لغة طيء وأزد شنوءة وبلحارث ، وهي مسألة مشهورة من مسائل الخلاف النحوي وهي «إلحاق علامتي التثنية والجمع بالفعل المسند إلى فاعل أو نائب فاعل ظاهرين»؛ وقد منع جمهور النحاة إلحاق علامتي التثنية والجمع بالفعل المسند إلى فاعل أو نائب فاعل ظاهرين، وعدوا ذلك لغة ضعيفة وشاذة وقليلة ولا يجوز القياس عليها . وأجازها فريق آخر من النحويين واللغويين منهم : ابن يعيش والزمخشري وابن مالك والسيوطي ، وأدلتهم قوية من السماع . وهو الصحيح ؛ لورودها في القرآن الكريم والحديث النبوي وكلام العرب شعره ونثره . وينظر تفصيل ذلك في : أوضح المسالك ( ١ / ٣٥١ ) ، شرح المفصل لابن يعيش ( ١ / ٢٣٦ ) ، المغني لابن هشام ( ٢ / ٣٦٥ ) ، همع الهوامع ( ١ / ٥١٣ ) .

(٢) الشَّخْبُ : السَّيْلَانُ وَأَصْلُ الشَّخْبِ : مَا يَخْرُجُ مِنْ تَحْتِ يَدِ الْحَالِبِ عِنْدَ كُلِّ غَمْزَةٍ وَعَصْرَةٍ لَضَرْعِ الشَّاةِ . ينظر : لسان العرب ( شخب ) .

(٣) ذكره ابن عبد البر في الاستذكار ( ٨ / ١٤١ ) عن ابن سيرين عن عبيدة بهذا اللفظ .



وقوله: ﴿فَأَذَرْتُمْ﴾ أي: تدافعتم ، والدرء: الدفع أي: كل واحد يطرح القليل على غيره ويتبرأ منه . ﴿أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ أي: بلسانها ، وقيل : بالغضروف<sup>(١)</sup> . وقيل : بأي جزء منها كان . ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾ .

وفي هذه القصة فوائد منها: أنه ينبغي أن نتقبل الأوامر الإلهية ، ونسارع إليها ، وألا نكثر من الأسئلة . وأن يكون الذي نتقرب به إلى الله متوسطاً لا هراماً ولا صغيراً قليل اللحم ، وأن يكون حسن الصورة يعجب من رآه وأن يغالى في ثمنه . وقد اختلف في البقرة المأمور بذبحها : فقيل : كانت متعينة من أول الأمر ، ولهذا اشترت بملء جلودها ذهباً . وقيل : لو ذبحوا أي بقره شاوروا من أول الأمر أجزاء لكنهم شددوا فشدد الله عليهم . وفيها دليل على جواز النسخ قبل العمل بالأمر<sup>(٢)</sup> .

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ١ / ١٩٤ ) ونسبه لوكيع والفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : « ضرب بالعظم الذي يلي الغضروف » . والغضروف : كل عظم رخص لين في أي موضع كان ، وغضروف الكتف : رأس لوحها . ينظر : لسان العرب ( غضرف ) .

(٢) وهذا خلاف ما ذهب إليه المعتزلة حيث منعوا جواز ذلك . قال العلامة ابن القيم في مفتاح دار السعادة ( ٢ / ٤٠ ) ط . دار الكتب العلمية ، بيروت : « ومنعوا - أي : المعتزلة - النسخ قبل وقت الفعل ونازعهم جمهور هذه الأمة في هذا الأصل ، وجوزوا وقوع النسخ قبل حضور وقت الفعل ، ثم انقسموا قسمين : فنفاة التحسين والتقيح بنوه على أصلهم ، ومثبتو التحسين والتقيح أجابوا عن ذلك بأن المصلحة كما تنشأ من الفعل فإنها أيضاً قد تنشأ من العزم عليه وتوطين النفس على الامتثال، وتكون المصلحة المطلوبة هي العزم وتوطين النفس لإيقاع الفعل في الخارج ، فإذا أمر المكلف بأمر فعزم عليه وتهايا له ووطن نفسه على امتثاله فحصلت المصلحة المرادة منه لم يمتنع نسخ الفعل وإن لم يوقعه ؛ لأنه لا مصلحة له فيه وهذا كأمير إبراهيم الخليل بذبح ولده ، فإن المصلحة لم تكن في ذبحه وإنما كانت في استسلام الوالد والولد لأمر الله وعزمهما عليه وتوطينهما أنفسهما على امتثاله ، فلما حصلت هذه المصلحة بقي الذبح مفسدة في حقهما فنسخه الله ورفع ، وهذا هو الجواب الحق الشافي في المسألة ، وبه تبين الحكمة الباهرة في إثبات ما أثبتته الله من الأحكام ونسخ ما نسخ منها بعد وقوعه، ونسخ ما نسخ منها قبل إيقاعه ، وأن له في ذلك كله من الحكم البالغة ما تشهد له بأنه أحكم الحاكمين، وأنه اللطيف الخبير الذي بهرت حكمته العقول فتبارك الله رب العالمين » .

وقال الإمام الشيرازي في كتاب ( اللمع في أصول الفقه ) ( ١ / ٢٩ ) ط . دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٥ م : « أما نسخ الفعل قبل دخول وقته فيجوز وليس ذلك ببداء، ومن أصحابنا من قال: لا يجوز ذلك وهو قول المعتزلة وزعموا أن ذلك بداء والدليل على جواز ذلك أن الله - تعالى - أمر =

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ  
الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ  
عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ۞

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ ۞ ﴾ أي : ما كان ينبغي أن تقسو بعد رؤية هذه الآية العظيمة ، وهو كقوله : ﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١] ، ﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٢] ﴿ يَمَعُ أَيَّتَ اللَّهُ تَتَلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا ﴾ [الجاثية: ٨] كله استبعاد لما جرى منهم بعد رؤية ما سبق .

قوله: ﴿ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۞ ﴾ ليست «أو» للشك ؛ بل لأن قساوة القلوب مختلفة جداً فبعضها يشبه الحجارة ، وبعضها أشد قساوة من الحجارة . ثم بين فضل الحجارة على قلوبهم ، فقال: ﴿ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ فإن للحجارة خشية ، والله - تعالى - علم في هذه الجمادات . لا نعلمه (أ/٨) كقوله : ﴿ وَإِنَّ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ۞ ﴾ [الإسراء: ٤٤] وقال عليه السلام : «إني لأعرف حجراً كان يسلم عليّ قبل أن أبعث»<sup>(١)</sup> .

وفي الحديث: «كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل»<sup>(٢)</sup> .

= إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه ثم نسخه قبل وقت الفعل فدل على جوازه ، والدليل على أنه ليس ببداء ما بيناه من أن البداء ظهور ما كان خفياً عنه وليس في النسخ قبل الوقت هذا المعنى . وتنظر المسألة في (الإحكام في أصول الأحكام) لابن حزم (٤/ ٥١٢) ط . دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٠٤ هـ ، (الفصول في الأصول) للجصاص (٢/ ٢٢٩) ط . وزارة الأوقاف الكويتية - ١٤٠٥ هـ تحقيق : الدكتور عجيل النشمي .

(١) رواه أحمد في المسند (٥/ ٩٥ ، ١٠٥) ، ومسلم في صحيحه رقم (٢٢٧٧) ، والترمذي رقم (٣٦٢٤) ، وأبو نعيم في دلائل النبوة رقم (٣٠٠ ، ٣٠١) ، وابن حبان في صحيحه رقم (٦٤٨٢ - بترتيب ابن بلبان) ، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ١٥٣) ، والبخاري في شرح السنة (٧/ ٦٥) رقم (٣٦٠٣) من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه .

(٢) رواه أحمد في المسند (١/ ٣٩٦ ، ٤٠١) ، والبخاري في صحيحه رقم (٣٥٧٩) ، والترمذي في الجامع الصحيح رقم (٣٦٣٣) ، والنسائي في المجتبى (١/ ٦٠) ، كتاب : الطهارة ، باب : الوضوء من الإناء ، وابن خزيمة في صحيحه رقم (٢٠٤) ، وأبو نعيم في دلائل النبوة (٢/ ٥٢١) ، وابن حبان في صحيحه رقم (٦٤٩٣) ، والبيهقي في دلائل النبوة (٤/ ١٢٩ ، ١٣٠) ، والبخاري في شرح السنة (٧/ ٦٧) رقم =

«وقد سبح الحصى في كفه ﷺ» (١)

﴿ أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرَفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٧٥)

﴿ أَفَنظَمُونَ ﴾ بعدما ذكرنا من بغيتهم ومخالفتهم أن يؤمنوا لأجل أمرهم لهم بالإيمان، وحالهم العجيبة أنهم كانوا يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد فهمهم له ، وعلمهم بالوعيد على مخالفته ، ويلقون المؤمنين يخبرونهم أنهم يؤمنون ، وإذا خلوا قال الذين يلقون المؤمنين لمن لا يلقاهم : أتحدثون بأمر دينكم مع من يبلغ المؤمنين ، فيحتجون علينا به .

= (٣٦٠٧) ، من حديث ابن مسعود ﷺ قال : «كنا نعد الآيات بركة ، وأنتم تعدونها تخويفا ، كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فقل الماء فقال : اطلبوا فضلا من ماء ، فجاؤوا بإناء فيه ماء قليل ، فأدخل يده في الإناء ، ثم قال : حي على الطهور المبارك ، والبركة من الله ، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ ولقد كنا نسمع تسييح الطعام وهو يؤكل». وهذا لفظ البخاري .

(١) إسناده ضعيف ، رواه الطبراني في ( المعجم الأوسط ) ( ٤ / ٢٤٥ ) ، رقم ( ٤٠٩٧ ) ، والبخاري في ( ٦٤ / ٦٥ ) ، وذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري ( ٧ / ٢٩٢ ) ، من حديث أبي ذر الغفاري ﷺ قال : «كنا عند النبي ﷺ فأخذ حصيات، فسبحن في يده، ثم وضعهن فخرسن ، ثم أخذهن ، فسبحن في يده ، ثم أعطاهن أبا بكر فسبحن في يده ، ثم أخذهن النبي ﷺ فسبحن في يده ، ثم وضعهن فخرسن ، ثم أعطاهن عمر فسبحن في يده ، ثم أخذهن النبي ﷺ فسبحن في يده ثم وضعهن فخرسن ، ثم أعطاهن عثمان فسبحن في يده ، ثم أعطاهن عليا فوضعهن في يده فخرسن» وهذا لفظ الطبراني في الأوسط .

قال البيهقي في الدلائل : كذا رواه محمد بن بشار عن قريش بن أنس عن صالح بن أبي الأخضر - وصالح لم يكن بالحافظ - عن الزهري عن سويد بن يزيد السلمى عن أبي ذر . والمحفوظ : ما رواه شعيب بن أبي حمزة عن الزهري قال : ذكر الوليد بن سويد أن رجلا من بني سليم كان كبير السن ممن أدرك أبا ذر - بالربذة - ذكر له عن أبي ذر بهذا . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه البزار بإسنادين ، ورجال أحدهما ثقات ، وفي بعضهم ضعف . وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري : وأما تسييح الحصى ، فليس له إلا هذه الطريق الواحدة مع ضعفها .

قلت : والحديث في إسناده الكديمي ، وهو محمد بن يونس الكديمي ؛ ذكره ابن حبان في المجروحين ( ٢ / ٣١٢ ، ٣١٣ ) فقال عنه : أحد المتروكين كان يضع على الثقات الحديث وضعاً ، ولعله وضع أكثر من ألف حديث ، وفي إسناده الحديث أيضا صالح بن أبي الأخضر ، وهو ضعيف ومتكلم فيه ، وذكره ابن حبان في المجروحين ( ١ / ٣٦٤ ) ، والعقيلي في الضعفاء ( ٢ / ١٩٨ ) ، والذهبي في ميزان الاعتدال ( ٣ / ٣٩٥ ) . فحسب الإسناد ضعفاً أن يكون فيه هذان الرجلان .

﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُوبِهِمْ إِلَىٰ بَعْضِ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ ۚ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا يُظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ قَوْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا قَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا كُتِبَتْ أَيْدِيهِمْ وَقَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۗ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِبَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّكَارِ ۗ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۗ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ هَتُّوْلَاءٌ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَىٰ تَفْذَرُوهُمْ وَهُوَ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفْتُونُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۗ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ۗ وَءَاتَيْنَا عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا أَتُؤْتِنَا اللَّهُ كِتَابًا فَقَلِيلًا مَّا يُؤْتِيهِنَّ ﴿٨٨﴾ ۝

وقيل : قال الذين لا يلقون المؤمنين من المنافقين للذين يلقونهم منهم: أتحدثون المؤمنين بما علمتم من أحوالنا ؛ ليحاجوكم به في دين ربكم. ثم قال - سبحانه: أقالوا ذلك ﴿أولاً﴾<sup>(١)</sup> يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ﴿ نفاقهم الباطن وكفرهم الظاهر .

ومن المنافقين طائفة أميون لا يعلمون الكتاب إلا تلاوة من غير فهم وتدبر. وقيل: إلا

(١) في الأصل : «وهم» ، والمثبت هو الصواب كما تدل عليه الآية المفسرة هنا .

أكاذيب. قال عثمان رضي الله عنه: « ما تمنيت منذ أسلمت »<sup>(١)</sup> أي: ما كذبت . وقيل: هو استثناء منقطع ، أي: لا يعلمون الكتاب لكنهم يتمنون أمورا منها: أن آباءهم تشفع لهم . ومنها: أن ما يعملون بالنهار يكفر عنهم بالليل، وما يعملونه ليلاً يكفر عنهم نهاراً . ومنها قولهم: ﴿ لَنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا ﴾ بذلك ﴿ أَمْ نَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ صحته ﴿ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ أي: معصية. وأحاطت به خطيئته أي: أهلكه كفره فاستمر عليه إلى الموت فهم من أصحاب النار المخلدين، وأما من آمن وعمل صالحاً فهو من الخالدين في النعيم المقيم .

أخذ الله على بني إسرائيل بالتوراة ألا يقتل بعضهم بعضاً ، ولا يخرج بعضهم بعضاً من دياره، وأنهم إذا وجدوا أسيراً من بني إسرائيل يباع أن يشتروه ويعتقوه ، ثم خالفوا فقتل بعضهم بعضاً ، وأخرج بعضهم بعضاً من دياره ، لكنهم ثبتوا على فداء من وجدوه أسيراً منهم يباع . أي: وأشهدهم على الإقرار بالوفاء بهذا العهد ، فقيل لهم : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ والخزي : الذلة والهوان .

﴿ اشْتَرَوْا ﴾ أي : استبدلوا ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ ﴾ ( ٨ / ب ) بما يخالف شهوات نفوسكم ﴿ أَسْتَكْبَرْتُمْ ﴾ عن طاعته فقتلتم بعضهم ، وكذبتم أكثرهم ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ . أي : عليها غطاء وغشاء يمنع من فهم ما يقولون ؛ كقوله: ﴿ قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ ﴾ [فصلت: ٥].

وقيل: معناه : قلوبنا أوعية للعلم فمنعنا منه ما يغنينا عما جئت به ، ﴿ فَقَلِيلًا ﴾ نعت مصدر محذوف، أي : فيؤمنون قليلاً . وقيل: المراد بالقللة: العدم ، وهو كقوله: ﴿ ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾ [سورة ق: ٣] كنوا بالبعد عن الاستحالة . والوقر<sup>(٢)</sup> بفتح الواو: الثقل في الأذن، وبكسرهما الحمل ؛ كقوله : ﴿ فَالْحَمَلَتِ وَقْرًا ﴾ [الذاريات: ٢] .

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره ( ١ / ٤١٩ ) قال ابن الأثير في ( النهاية في غريب الحديث والأثر ) - ( ٤ / ٣٦٧ ) ط . دار إحياء التراث العربي ، بيروت - تحقيق : الدكتور محمود الطناحي و الشيخ طاهر الزاوي - : التمني : التكذيب ، تفعل من مني يمني : إذا قدر ؛ لأن الكاذب يقدر الحديث في نفسه ، ثم يقوله ، ويقال للأحاديث التي تمنى : الأمانى . واحديثها أمنية .

(٢) لا توجد كلمة الوقر في الآيات هنا ، وإن وجدت في مواطن أخرى منها ما ورد في الآية (٥) من سورة فصلت : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي ءَادَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْنَا بِمَا نَعْمَلُونَ ﴾ .

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (٨٩) بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ فَبَاءُ وَبِعْضِبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ ۗ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۗ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ ءِيمَانُكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٤﴾ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٥﴾

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ ﴾ القرآن ﴿ مُصَدِّقٌ لِّمَا ﴾ في التوراة من بعث النبي ﷺ ومن صفاته ، وكانوا إذا دهمهم <sup>(١)</sup> عدو ، قالوا : «اللهم انصرنا ببركة النبي المبعوث في آخر الزمان فينصرون» <sup>(٢)</sup> .  
﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾ .

﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ﴾ أي : باعوها . و «ما» : نكرة غير موصولة ولا موصوفة ، والتقدير : بئس شيئاً اشتروا به أنفسهم كفرهم . ﴿ بَغْيًا ﴾ : مفعول من أجله أي : كرهوا أن تكون النبوة في غيرهم من بني إسماعيل ﴿ وَلِلْكَافِرِينَ ﴾ المذكورين أو لجميع الكفار ، ويدخل المذكورون فيه دخولا أولوياً ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ من القرآن ﴿ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا ﴾ من التوراة ﴿ وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ ﴾ بما عداها .

﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ ﴾ وعدل عن الماضي إلى المضارع ؛ لدلالته على التكرار ؛ كقولك : هو يصل الرِّجَمَ ويحملُ الكَلَّ <sup>(٣)</sup> .

وقوله : ﴿ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ تشكيك في إيمانهم ، ثم حقق بعدهم عن الحق باتخاذهم

(١) اللهم : الجماعة الكثيرة . وقد دهمونا أي : جاؤونا جماعة ، و دهمهم أمر : إذا غشيهم فاشيا .

ينظر : لسان العرب ( دهم ) .

(٢) تقدم تخريجه في تفسير الآية ( ١٧ ) .

(٣) الكَلُّ : الثقل من كل ما يتكلف والكل : العيال . ينظر : النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ( ٤ / ١٩٨١ ) .

العجل إلها بعدما جاءهم موسى بالبينات ، ثم زادك تحقيقاً بقوله : ﴿ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ وَأَشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ حب العجل .

﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ (١٥) ﴿ وَلَنَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَحِّزٍ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٦)

كانوا يزعمون أن نعيم الآخرة خالص لهم ، ف قيل لهم : إن كان كذلك فتمنوا الموت لتصلوا إلى النعيم المقيم في زعمكم ﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا ﴾ بسبب ما اكتسبوه من المعاصي ، والاستكبار عن طاعة الرسول . وكيف يتمنونه وهم ﴿ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى ﴾ زيادة في العمر وأحرص من الكفار عبدة الأوثان على ذلك ؛ لأن عبدة الأوثان لا يؤمنون ببعث ولا جزاء ، ولا يخشون من الموت إلا فقد هذه الحياة ( ١/٩ ) .

أما اليهود فيعلمون أنهم بعد الموت يعاقبون على الكفر والعناد . وقيل : الوقف عند قوله : ﴿ عَلَى حَيَاةٍ ﴾ ثم يتدئ ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ (١) أي : قوم أو فريق ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ ﴾ فحذف الموصوف وأقيمت الصفة وهي فعل مقامه ؛ كقوله [ من الوافر ] :

أنا ابنُ جلا وطلاعُ الثنايا متى أضغُ العمامة تعرفونني (٢)

أي : أنا ابن رجلٍ جلا ، وتقول العرب : ما منهما مات حتى جرى له كذا ، أي : ما منهما رجل (٣) . ﴿ هُوَ ﴾ مبتدأ ، ﴿ أَنْ يُعَمَّرَ ﴾ بدل منه والخبر : ﴿ بِمُرَحِّزٍ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ ﴾

(١) قال الأشموني في (منار الهدى) في بيان الوقف والابتداء (ص: ٤٤) الوقف على «حياة» تام عند نافع، والأكثر على أن الوقف على «أشركوا» وهم المجوس، كان الرجل منهم إذا عطس قيل له: «زي هزه رسال» أي: عش ألف سنة، فاليهود أحرص على الحياة من المجوس الذين يقولون ذلك.

(٢) البيت لسحيم بن وثيل ينظر في: الأصمعيات (ص: ١٧)، جهرة اللغة (ص: ٤٩٥)، خزانة الأدب (١/٢٥٥، ٢٥٧، ٢٦٦)، الدر (١/٩٩)، شرح المفصل (٣/٦٢)، الشعر والشعراء (٢/٦٤٧)، الكتاب (٣/٢٠٧)، وبلا نسبة في الاشتقاق (ص: ٣١٤)، أوضح المسالك (٤/١٢٧)، خزانة الأدب (٩/٤٠٢)، شرح الأشموني (٢/٥٣١)، لسان العرب (ثنى)، مغني اللبيب (١/١٦٠)، همع الهوامع (١/٣٠) وقد استشهد به الحجاج في إحدى خطبه بالعراق مثلثا، ويقال: في أول خطبة له بالبصرة.

(٣) إذا كانت الصفة جملة أو شبه جملة وحذف الموصوف، فالبصريون يقدرّون موصوفا محذوفا، بينما =

«كان عمر يجلس لليهود في بيت مدراسهم<sup>(١)</sup> ليسمع ما يقولون ، ويتبين له رأيهم، فقالوا له: إنا لنطمع فيك يا عمر فقال: والله ما أجلس فيكم إلا لأعلم صدق محمد، ويتبين لي أنكم مبطلون، ثم سألهم عن جبريل وميكائيل، فقالوا: أحدهما عن يمين الله والآخر عن يساره، وكل واحد منهما عدو لصاحبه، وقالوا: لو كان ميكائيل أو غيره من الملائكة سوى جبرائيل يأتي إلى محمد برسالة لآمنا به، لكن جبريل عدونا يأتي بالزلزال والعذاب، وهو الذي خسف مدائن قوم لوط، وصاح بقوم صالح صيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين فأنزل الله: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٩٧)</sup> مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ<sup>(٩٨)</sup> وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ<sup>(٩٩)</sup> أَوْ كَلِمَاتٍ عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ<sup>(١٠٠)</sup> وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَانَتْهُمْ كَانَتْهُمْ لَا يَعْلَمُونَ<sup>(١٠١)</sup> وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعْلِمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَكَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ<sup>(١٠٢)</sup> وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ<sup>(١٠٣)</sup> ﴿

= يقدر الكوفيون موصولا مثل «الذي» أو من. ورجح ابن هشام مذهب البصريين بأن اتصال الموصول بصلته أشد من اتصال الموصوف بصفته؛ لتلازمهما. وينظر ذلك في: الإملاء للعكبري (٥٣/١)، البحر المحيط (٤٨٢/١) الدر المصون (٣٠٩/١)، معاني الفراء (٦٣/١)، مغني اللبيب (٣٥٨/٢).

(١) المدراس: الموضع يقرأ فيه القرآن ومنه مدراس اليهود. ينظر: القاموس المحيط (درس).  
(٢) إسناده فيه انقطاع، رواه ابن جرير الطبري في التفسير (٤٧٨/١)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ٣٢، ٣٣) رقم (٤٠) وذكره السيوطي في الدر المنثور (١٧٤/١)، وعزاه لابن أبي شيبة في مصنفه وإسحاق بن راهويه في «مسنده»، وابن أبي حاتم عن الشعبي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. قال السيوطي: صحيح الإسناد ولكن الشعبي لم يدرك عمر، فهو منقطع.



وفي جواب الشرط وجهان :

أحدهما: من كان عدواً لجبريل فقد أخطأ الطريق ؛ لأنه نزل الكتاب على قلب محمد مصدقاً لما معكم من التوراة .

والثاني: من كان عدواً لجبريل فهو حقيق بمعاداته له ؛ لأنه بين زيف اليهود ، وبما أنزله الله معه من الكتاب وقوله بعد ذلك : ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ ﴾ جزاؤه محذوف ، التقدير : لم يعبأ الله بعداوته .

﴿ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ ﴾ يعني التوراة . وقيل : القرآن . ﴿ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ أي: لم يعملوا بما فيه ولقد وضعوه على الكراسي وذهبوه بالذهب ، وحلوا غلافه وخريطته<sup>(١)</sup> بالذهب والفضة ، وطبوه بالمسك والعنبر ، ولم يعملوا به فقبل فيهم : ﴿ فَنبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ [آل عمران : ١٨٧] ثم استبدلوا به ما أخذوه من الرشا على كتمان صفة النبي ﷺ وتغيير آية الرجم وغيرهما .

﴿ وَأَتَّبَعُوا ﴾ معطوف على ﴿ فَنبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ ﴿ مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانِ ﴾ أي : تتبع ، وقيل: ما تقرأ ، أي: على عهد ملك سليمان . ( ٩ / ب ) ﴿ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ﴾ اسمان أعجميان ، ولذلك منعا من الصرف مع العلمية ، ولا وجه لاشتقاقهما من الهرت والمرت<sup>(٢)</sup> . ﴿ إِنَّمَا فِتْنَةٌ ﴾ أي: سبب فتنة . وقيل: شيء مستحسن ؛ كقولهم في الشابة الجميلة : إنها فتنة .

وقد علق على فعل العلم باللام في قوله: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ ﴾ والخلاق: النصيب ﴿ وَلَيْسَ مَا ﴾ باعوا ﴿ بِهِ أَنْفُسَهُمْ ﴾ ؛ كقوله: ﴿ وَشَرَّوهُ بِثَمَبٍ بَخْسٍ ﴾ [يوسف: ٢٠] أي : باعوه .

(١) الخريطة: مثل الكيس تكون من الخرق والأدم تُشْرَجُ على ما فيها ، ومنه خرائط كتب السلطان وعماله .

ينظر : لسان العرب : ( خرط ) .

(٢) ذكر ياقوت الحموي في (معجم البلدان) ( ٥ / ٣٨٨ ) أن هاروت من الهرت وهو الشق . قال السمين الحلبي في الدر المصون ( ١ / ٣٢١ ) : « ويجمعان على هواريت ومواريت وهوارته وموارته ، وليس من زعم اشتقاقهما من الهرت والمرت وهو الكسر بمصيب ؛ لعدم انصرافهما ، ولو كانا مشتقين كما ذكر لانصرافا » .

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا أَنْظِرْنَا وَأَسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾

كانت اليهود يقولون : راعنا يا محمد ، يزعمون أنهم يطلبون المراعاة ، وكانت «راعنا» لفظة ذم باليهودية ، فنهى الله المؤمنين أن يقولوها ؛ لما فيها من إيهام الذم والوصف بالرعونة ، ﴿ وَلِلْكَافِرِينَ ﴾ القائلين : راعنا ، أو لجميع الكفار . «من» في قوله : ﴿ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ لبيان الجنس ، و﴿ مِنْ خَيْرٍ ﴾ زائدة ، ومن في قوله : ﴿ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ لا ابتداء الغاية .

النسخ : بيان انتهاء مدة الحكم (أو نساها) بالهمزة <sup>(١)</sup> أي : تؤخرها وسميت

(١) هذه قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن محيصن وعاصم الجحدري ومن الصحابة عمر وابن عباس وأبي بن كعب ، وقرأ العامة «نُسِيهَا» . تنظر القراءة في : إتحاف فضلاء البشر للبنا ( ١ / ٤١١ ) ، إعراب النحاس ( ١ / ٢٥٥ ) ، البحر المحيط لأبي حيان ( ١ / ٣٤٣ ) ، جامع القرطبي ( ٢ / ٦٧ ) ، الحجة للفارسي ( ٢ / ١٨٦ ، ١٨٧ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ١ / ٣٣٥ - ٣٣٦ ) ، الكشف للزمخشري ( ١ / ٣٠٣ ) ، معاني الفراء ( ١ / ٦٤ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢١٩ ) .

العصاة<sup>(١)</sup> منسأة؛ لأنها تؤخر عنك ما تكرهه . ﴿ أَوْ تُنْسِهَا ﴾ أي : نجعلها منسية من القلوب بعد حفظها ويجوز نسخ الحكم والتلاوة معا ، ونسخ التلاوة دون الحكم ، ونسخ الحكم دون التلاوة ، ويجوز نسخ الفعل قبل مجيء وقته ؛ لقصة الذبيح ، خلافا للمعتزلة<sup>(٢)</sup> ، ويجوز نسخ الحكم إلى أخف منه ؛ لأنه خير للمكلف في تخفيف المشقة عنه ، وإلى أثقل منه ؛ لأنه خير للمكلف في كثرة الثواب . ﴿ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ وسطه ؛ كقوله ﴿ فَأَطَّلَعَ فَرَّاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ [الصفات : ٥٥] .

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ ﴾ « لو » بمعنى : أن ؛ كقوله : ﴿ أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ ﴾ [البقرة : ٢٦٦] ﴿ فَأَعْفُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ منسوخ بنزول القتال ﴿ وَمَا نَقَدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ ﴾ تجدوا ثوابه عند الله . الهود : جمع هائد ، كالعود : جمع عائد ﴿ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾ جملة حالية . ﴿ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ من كفار المشركين وعبدة الأوثان ، فشبّه هؤلاء مع كونهم أهل كتاب مع عبدة الأوثان من غير شبهة ظاهرة .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَافِيَةً لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قٰنِیْنٌ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضٰی أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾

(١) قيل: إن أول لحن سمع : هذه عصاتي . قال الأزهري : ويقال للعصا عصاة بالهاء ، يقال: أخذت عصاته . قال:

ومنهم من كره هذه اللفظة ؛ روى الأصمعي عن بعض البصريين قال : سميت العصا عصا ؛ لأن اليد والأصابع تجتمع عليها مأخوذ من قول العرب : عصوت القوم أعصوهم إذا جمعتهم على خير أو شر . قال : ولا يجوز مد العصا ولا إدخال التاء معها وقال الفراء : أول لحن سمع بالعراق هذه عصاتي بالتاء .

ينظر : لسان العرب ( عصا ) .

(٢) تقدم التعليق على ذلك عند تفسير الآية ( ٧٣ ) من سورة البقرة .

أي : لا أحد في المانعين أظلم ممن منع مساجد الله ﴿ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ ﴾ بدل اشتمال من قوله : ﴿ مَسْجِدَ اللَّهِ ﴾ قيل : المراد بالمساجد الكعبة ، وجمعها ؛ لأن المساجد كلها تتوجه نحوها ، وأراد: أنهم منعوا رسول الله ﷺ والمؤمنين عام الحديبية (١٠/أ) وصدوهم عن المسجد الحرام<sup>(١)</sup> . وقيل: المراد بيت المقدس<sup>(٢)</sup> . وقيل: جميع المساجد وهو ظاهر اللفظ<sup>(٣)</sup> .

﴿ وَلِلَّهِ ﴾ بلاد المشرق والمغرب ﴿ فَأَيْنَمَا تُولُوا ﴾ من الجهات ﴿ فَثُمَّ وَجْهَ اللَّهِ ﴾ قيل : المراد فأينما تولوا وجوهكم للدعاء . وقيل : أراد صلاة النافلة في السفر .

وقيل : أراد أنه إذا التبست القبلة في السفر وأدى الاجتهاد إلى جهة فهي القبلة ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ ﴾ العطاء ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بالمصالح . الهاء في ﴿ سُبْحٰنَهُ ﴾ مجرورة بالإضافة إلا أنه مضمرة مبني ، ولو ظهر في اسم ظاهر ؛ كقولك : سبحان الله لكان في موضع اسم الله قولان: النصب بتقدير : سُبْحٰتُ اللَّهِ . والرفع بتقدير : ينزهُ الله ، واستدل بعضهم بهذه الآية على أن من ملك ولده عتق عليه<sup>(٤)</sup> ، فإنك لا تقول : فلان ليس بعالم ، بل هو من أهل البصرة ، ما لم يكن كونه من أهل البصرة مانعا من العلم .

والقنوت: السكوت . وقيل: الخشوع . ﴿ بَدِيعُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي: بديعة سماواته كقولك : حسن الوجه ﴿ فَإِنَّمَا يَقُولُ ﴾ لأجل تكوينه ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ .

﴿ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ ﴾ نقرحها .

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١ / ٤٩٩) عن ابن زيد ، والواحدي في أسباب النزول (ص : ٣٩) رقم (٥٦) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١ / ٢٦٤) ونسبه لابن إسحاق وابن أبي حاتم عن ابن عباس - رضي الله عنهما .

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره (١ / ٤٩٧) : والواحدي في أسباب النزول (ص : ٣٩) رقم (٥٥) عن مجاهد وقتادة والسدي .

(٣) قال ابن جرير الطبري في تفسيره (١ / ٥٠٠) : « كل مانع مصليا في مسجد لله فرضا كانت صلاته فيه أو تطوعا وكل ساع في إخرابه فهو من المعتدين الظالمين » .

(٤) ينظر: الأم للشافعي (٤/١٢٨)، بدائع الصنائع للكاساني (٣/٥٨٣)، المغني لابن قدامة (٧/٢٤٩) .

﴿وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾<sup>(١)</sup> فإنهم في شدة لو وصفتها لك لم تتمالك ، أو لو وصفتها لك [ لم أستطع أن أستوعب أوصافها ؛ لما يحصل بخاطري من التكدر بذلك ]<sup>(٢)</sup> .

وقيل : سأل رسول الله ﷺ الله بأن يأذن له في الاستغفار لأبيه ، فلم يأذن له ، وقيل : قال : «ليت شعري ، ما فعل أبواي » ؟! فنزلت ﴿وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾<sup>(٣)</sup> أي : أنت غير مسؤول عنهم ﴿فَاتِمَّا عَلَيْكَ آلِبُكَ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ .

(١) كذا بالأصل، ولعل ذلك من كلام الملك جبريل عليه السلام للنبي ﷺ وفي الكشف للزمخشري (١/١٨٢): وقيل: معناه: تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب كما تقول: كيف فلان؟ سائلا عن الواقع في بلية، فيقال لك: لا تسأل عنه. ووجه التعظيم: أن المستخبر يجزع أن يجري على لسانه ما هو فيه لفظاعته، فلا تسأله ولا تكلفه ما يضجره، أو أنت يا مستخبر لا تقدر على استماع خبره لإيحاشه السامع وإضجاره، فلا تسأل.

(٢) قرأ نافع ويعقوب «ولا تسأل» - بفتح التاء على البناء للمعلوم والنهي، وقرأ الباقون «ولا تسأل» - بضم التاء على البناء للمجهول والنفي. تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (١/٣٦٨)، الحجة لابن خالويه (ص: ٨٧)، الدر المصون للسمن الحلبي (١/٣٥٦)، السبعة لابن مجاهد (ص: ١٦٩)، الكشف للزمخشري (١/٩١)، النشر لابن الجزري (٢/٢٢١).

(٣) إسناده ضعيف، رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/٥١٦) وذكره السيوطي في الدر المشور (١/٢٠٩) ونسبه لوكيع وسفيان بن عيينة وعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر، عن محمد بن كعب القرظي مرسلا. وقال السيوطي: هذا مرسل ضعيف الإسناد، ورواه الواحدي في أسباب النزول (ص: ٤٢) رقم (٦٤) عن ابن عباس بنحو ذلك.

وهذه الرواية على قراءة من قرأ «ولا تسأل» بالجزم، قال الطبري في تفسيره: «والصواب عندي من القراءة في ذلك قراءة من قرأ بالرفع على الخبر؛ لأن الله جل ثناؤه قص قصص أقوام من اليهود والنصارى وذكر ضلالتهم وكفرهم بالله وجراءتهم على أنبيائه ثم قال لئيبه ﷺ: إنا أرسلناك يا محمد بشيرا من آمن بك واتبعك ممن قصصت عليك أنباءه ومن لم أقصص عليك أنباءه، ونذيرا من كفر بك وخالفك فبلغ رسالتي فليس عليك من أعمال من كفر بك بعد إبلاغك إياه رسالتي تبعة ولا أنت مسؤول عما فعل بعد ذلك. ولم يجز لمسألة رسول الله ﷺ ربه عن أصحاب الجحيم ذكر فيكون لقوله ولا تسأل عن أصحاب الجحيم وجه يوجه إليه، وإنما الكلام موجه معناه إلى ما دل عليه ظاهره المفهوم حتى تأتي دلالة بينة تقوم بها الحجة على أن المراد به غير ما دل عليه ظاهره فيكون حينئذ مسلما للحجة الثابتة بذلك ولا خبر تقوم به الحجة على أن النبي ﷺ نهي عن أن يسأل في هذه الآية عن أصحاب الجحيم ولا دلالة تدل على أن ذلك كذلك في ظاهر التنزيل. والواجب أن يكون تأويل ذلك الخبر على ما مضى ذكره قبل هذه الآية وعمن ذكر بعدها من اليهود والنصارى وغيرهم من أهل الكفر دون النهي عن المسألة عنهم. فإن ظن ظان أن الخبر الذي روي عن محمد بن كعب صحيح فإن في استحالة الشك من الرسول ﷺ في أن أهل الشرك من أهل الجحيم وأن أبويه كانا منهم ما يدفع صحة ما قاله محمد بن كعب إن كان الخبر عنه صحيحا مع أن ابتداء الخبر =

﴿قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ فُلُوكَ فَمَا لِي بِهِ سُلْطَانٌ أَنْ يَهْدِيَهُ اللَّهُ فَمَا لَهُ هَدًى﴾ وما تعتقدونه أنه هدى فهو هوى ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ﴾

ولم يقل : هداهم .

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۗ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ ۗ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (١٢١) يَبْنِي إِسْرَاءِ يَلْ أذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (١٢٤) ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَاً وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (١٢٥)

﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ أي : يتبعونه حق اتباعه<sup>(١)</sup> ؛ كقوله : ﴿وَالْقَمَرَ إِذَا نَلَّهَا﴾ [الشمس : ٢]

وقيل : يقرؤونه حق القراءة بالترتيل ، وإعطاء كل حرف حقه .

﴿لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ ثلاث نكرات في حيز النفي يفيد العموم ، أي : لا تجزي نفس قط عن نفس قط شيئاً من الأشياء ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ و «هم» في قوله : ﴿وَلَا هُمْ﴾ راجع إلى مرجع الضميرين من قبله . (١٠/ب) ﴿يُنصَرُونَ﴾ أي : يُخَلَّصُونَ ، ومنه : ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ﴾ ، [هود : ٦٣] ﴿وَنَصَرْتَهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الأنبياء : ٧٧] فمتى عدي الجزاء بلفظة «من» كان بمعنى التخلص ، وإن عدي بـ «على» كان بمعنى الظهور والغلبة .

﴿ابْتَلَىٰ﴾ امتحن ﴿بِكَلِمَاتٍ﴾ قيل : هي قوله : ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ إلى آخر الكلام

= بعد قوله : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ بالواو بقوله : ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ وتركه وصل ذلك بأوله بالفاء وأن ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ أَوْضَحِ الدَّلَائِلَ عَلَىٰ أَنَّ الْخَبْرَ بِقَوْلِهِ : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ أُولَىٰ مِنَ النَّهْيِ وَالرَّفْعِ بِهِ أُولَىٰ مِنَ الْجَزْمِ . وقد ذكر أنها في قراءة أبي : «وما تسأل» وفي قراءة ابن مسعود : «ولن تسأل» وكلتا هاتين القراءتين تشهد بالرفع والخبر فيه دون النهي . انتهى من تفسير الطبري (١/٥١٦) .

(١) رواه الطبري في تفسيره (١/٥١٩) عن ابن عباس - رضي الله عنهما . ورواه في (١/٥٢١) عن عكرمة

قال : «يتبعونه حق اتباعه أما سمعت قول الله - عز وجل : ﴿وَالْقَمَرَ إِذَا نَلَّهَا﴾ قال : إذا تبعها» .

## تفسير سورة البقرة

وقيل: هي الفطرة ، وهي عشر: خمس في الرأس، وخمس في الجسد<sup>(١)</sup> ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ أي: قام بهن . سأل إبراهيم الإمامة لذريته ، فقال : ليس يصلح كل ذريتك للإمامة .

﴿مَثَابَةٌ﴾ مرجعا يثوب الناس إليه . وقيل : يرجع كل حاج ؛ لأنه يأتيه لطواف القدوم ، ثم يرجع إليه لطواف الركن بعد الوقوف بعرفة ، ثم يرجع إليه لطواف الوداع . ﴿وَأَتَمَّهُنَّ﴾ أي: قام بهن . وقيل: مصلى: مدعى ، أي : موضع دعاء ؛ حملا على الصلاة اللغوية . بدأ بالطائفين ؛ لاختصاص الطواف بما حول البيت من حرمة، ثم بالعكوف ؛ لأنه يختص بالمساجد ولا يختص بالكعبة ، ثم بالركع السجود به الذي لا يختص بالكعبة ولا بالمساجد ؛ كما قال عليه السلام : «وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً»<sup>(٣)</sup> .

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَيُجْسَرُ الْمُصِيدُ ﴿١٣٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٣٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٣٩﴾ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٤٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤١﴾﴾

(١) روى مسلم في صحيحه رقم ( ٢٦١ ) عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « عشر من الفطرة : قص الشارب وإعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الأظفار وغسل البراجم ونتف الإبط وحلق العانة وانتقاص الماء» . قال زكريا - هو ابن أبي زائدة أحد رجال السنن في هذا الحديث - قال مصعب - هو ابن شيبة من رجال السنن : ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة . زاد قتيبة : قال وكيع : انتقاص الماء يعني : الاستنجاء . والحديث رواه أيضا أحمد في المسند ( ١٣٧ / ٦ ) ، وأبو داود رقم ( ٥٣ ) ، والترمذي رقم ( ٢٧٥٧ ) ، وابن ماجه رقم ( ٢٩٣ ) .

(٢) هذا مذهب الأحناف وأحد قولين للشافعية وذهب المالكية والحنابلة إلى أنهما سنة مؤكدة غير واجبة . ينظر : بدائع الصنائع للكاساني ( ٣٣٤ / ٢ ) ، المغني لابن قدامة ( ٤٠٤ / ٣ ) ، المهذب للشيرازي ( ٤٠٢ / ١ ) .

(٣) هذا جزء من حديث رواه البخاري رقم ( ٣٣٥ ) ، ومسلم رقم ( ٥٢١ ) وتماه عند البخاري : «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، فأما رجل من أمي أدركه الصلاة فليصل وأحلت لي المغام لم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة» .

نزل إبراهيمُ بهاجرَ وإسماعيلَ بين جبال مكة ، وليس هناك بنيان ، فسأل الله أن يجعل ذلك المكان بلداً ، ثم جاء لزيارة ابنه فرآها قد صارت بلدا فسأل الله - تعالى - أن يجعل ذلك البلد آمناً، وسأل إبراهيم الرزق لمن آمن منهم بالله ، فقال - تعالى : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ ﴾ يعني : إنني لا أقطع الرزق عن الكافر بسبب كفره ، بل أرزق المؤمن ، والكافر أمتعه قليلاً .

قوله : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ﴾ رفع البنيان سافاً فوق ساف<sup>(١)</sup> وإذا رفع البنيان بالأساس فارتفع فقد رفعت القواعد . وقيل : يقال : قعد البناء ثبت بالقواعد وهي الأساس والأصل لما فوقه . وقيل : يرفع إبراهيم ما سقط من جدران البيت .  
أي : قائلين : ﴿ رَبَّنَا نَقْبَلْ مَنَّا ﴾ وهذا الفعل في محل نصب على الحال .

وقوله : ﴿ رَبَّنَا نَقْبَلْ مَنَّا ﴾ إلى آخره ، جمل ثلاث بعد القول [ حال أي : يرفعانها قائلين ] هذا القول . وقوله ~~الذي~~ : «أنا دعوة إبراهيم»<sup>(٢)</sup> حين قال : ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾ ﴿ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ . أهانها وبخسها ؛ كما تقول : سفهت نفس زيد ، فحول وصار «سفه زيد نفساً» (أ/١١) كقولك : تصبب عرق زيد ، وتصبب زيد عرقاً ، ثم اتصل الضمير بالنفس ، فصار : سفه نفسه .

﴿ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ تقديره : وإنه صالح في الآخرة من الصالحين ، ولا يجوز أن تعمل الصالحين في قوله : ﴿ فِي الْآخِرَةِ ﴾ ؛ لأن اللام في الصالحين موصولة ، ومعمول الصلة لا يجوز أن يتقدم على الموصول . كذلك قوله : ﴿ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ [يوسف: ٢٠] .

وأجاز ابن السراج<sup>(٣)</sup> أن يعمل فيما تقدم من المجرور وغيره ، وجعل الألف واللام غير

(١) الساف في البناء : كل صف من اللبن يقال : ساف من البناء سافان وثلاثة آسف . وقيل : كل سطر من اللبن والطين في الجدار ساف ومدماك . ينظر : لسان العرب (سوف) .

(٢) رواه أحمد في المسند (٤/١٢٧) ، والحاكم في المستدرک (٢/٦٠٠) ، والبيهقي في دلائل النبوة (١/٨٣-٨٤) قال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي . وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١٥٤٥) .

(٣) هو محمد بن السري أبو بكر بن السراج النحوي ، أحد العلماء المشهورين باللغة والنحو والأدب ، أخذ عن المبرد ، وأخذ عنه أبو القاسم الزجاجي والسيرافي والفارسي ، وله مصنفات منها : الأصول وغيره =



موصولة ، وإنما هي لمجرد التعريف ، ومثل هذه الآيات : ﴿ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴾ [الشعراء: ١٦٨] .

أي : إني قال لعملكم من القالين . وقوله : ﴿ فَأَخْرَجَ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ [القصص: ٢٠] أي : ناصح من الناصحين ﴿ وَنَكُونُ عَلَيْهِمَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [المائدة: ١١٣] أي : شاهدين عليها من الشاهدين ، وأمثالها كثير<sup>(١)</sup> .

=وتوفي سنة ست عشرة وثلاثمائة . تنظر ترجمته في : أخبار النحويين البصريين ( ص : ١٠٨ ) ، إنباه الرواة ( ٣ / ١٤٥ ) ، بغية الوعاة ( ١ / ١٠ ) ، معجم الأدباء لياقوت الحموي ( ١٨ / ١٩٧ ) .  
وينظر قوله في : الأصول في النحو ( ٢ / ٢٢٣ ، ٢٢٤ ) وعبارته : وقد كان بعض مشايخ البصريين يقول : إن الألف واللام ها هنا ليستا في معنى ( الذي ) وأتتبا دخلتا كما تدخل على الأسماء للتعريف وأجاز أن يقدم عليها إذا كانت بهذا المعنى ومتى كانت بهذا المعنى لم يجوز أن يعمل ما دخلت عليه في شيء فيحتاج فيه إلى عامل فيها .  
(١) هذه مسألة تقديم الظرف والجار والمجرور المتعلق بالصلة على الموصول ، والخلاف بين النحويين في هذه المسألة على ثلاثة مذاهب : الأول : المنع مطلقا ، وعليه البصريون . الثاني : الجواز مطلقا ، وعليه الكوفيون واختاره أبو حيان والسمين الحلبي والسيوطي ؛ للتوسع فيهما . الثالث : الجواز مع « أل » إذا جرّت بـ « من » .  
قال الزجاجي في كتاب اللامات ( ١ / ٥٨ ) ط . دار الفكر - دمشق ١٩٨٥ م ط ٢ - تحقيق : الدكتور مازن المبارك : باب في تبين وجوه دخول الألف واللام على الأسماء المشتقة من الأفعال : اعلم أنها تدخل على ثلاثة أوجه : أحدها : أن تكون بتأويل الذي فتحتاج إلى صلة وعائد وتجري في ذلك مجرى الذي ، كقول القائل : ضرب زيد عمرا ، فقيل : أخبر عن زيد ، فقال : الضارب عمرا زيد ، ففي الضارب مضمرة يعود على الألف واللام اللذين بمعنى الذي وأنت لم تذكر الذي وإنما ذكرت ما يدل عليه فجئت بالعائد لذلك . والوجه الثاني : أن تدخل لتعريف هذه الأسماء المشتقة من الأفعال لا بتأويل الذي ولكن كما تعرف أسماء الأجناس نحو الرجل والفرس فتقول : الضارب والقائم تريد به التعريف لا معنى الذي قال أبو عثمان المازني : والدليل على صحة هذا التأويل أنك تقول : نعم الضارب ونعم القائم وغير جائز أن تقول : نعم الذي عندك لأن نعم وبئس لا يدخلان على الذي وأخواتها ودخولهما على القائم والضارب يدل على أن الألف واللام فيهما ليستا بمعنى الذي ومن هذا الوجه الثاني : قول الله - عز وجل : ﴿ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ ﴿ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ قال المبرد والمازني وغيرهما من البصريين : ليست الألف واللام بمعنى الذي ؛ لأنه لو كان التقدير : وأنا من الشاهدين على ذلك بمعنى من الذين شهدوا على ذلك لم تقدم صلة الذي عليه . وكذلك لو كان التقدير : وكانوا من الذين زهدوا فيه لم يجوز تقديم صلة « الذي » عليه . ولكن الألف واللام للتعريف لا بمعنى « الذي » . واختار هذا أيضا العكبري في التبيان ( ١ / ٦٤ ) .

ثم ذكر الزجاجي الوجه الثالث وهو مذهب الكوفيين : أنها تكون بمعنى « الذي » ويصلونها بما توصل به الذي . وهم يجوزون أن يتقدم الظرف والجار والمجرور المتعلق بالصلة على الموصول مطلقا ؛ للتوسع فيهما . وقد قال بهذا =

﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٣٢)

﴿اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾ أعطاكم صفوته ، فالزموا الإسلام حتى إذا أدرككم الموت ، أدرككم وأنتم عليه كأن الميتة التي ليست على الإسلام منهي عنها ، ولذلك قال : ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ . وقد جعل إسماعيل من بني إسرائيل ، وإنما هو عم لهم ، فجعل العم بمنزلة الأب ، كما جعلت الخالة أما في قوله : ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يوسف : ١٠٠] وإنما كان المرفوع أبوه وخالته (١) .

﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (١٣٣) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٣٤) وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٣٥) قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (١٣٦) فَإِن ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِن لَّوَلُوا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١٣٧) صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ (١٣٨) قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلِنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ (١٣٩) أَمْ نَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١٤٠) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٤١) سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْتُم مِّن قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِمْ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (١٤٢) وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٤٣)

﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ بل نكون أهل ملة إبراهيم حتى نطابق هوداً أو نصارى .

= القول أبو حيان في البحر المحيط ( ٢٩١ / ٥ ) ، والسمين الحلبي في الدر المصون ( ١٦٥ / ٤ ) ، واختاره السيوطي في همع الهوامع ( ٢٨٧ / ١ ) .

(١) روى البخاري في صحيحه رقم ( ٢٦٩٩ ) ، وأحمد في المسند ( ٢٩٨ / ٤ ) ، وأبو داود رقم ( ٢٢٧٨ ) ، والترمذي رقم ( ١٩٠٤ ) عن البراء بن عازب رضي الله عنه في حديث طويل وفيه : «الخالة بمنزلة الأم» .

## تفسير سورة البقرة

لو آمنوا بمثل ما آمنوا به لكفروا ، فنحن آمنوا بالله ، وليس الله مثل نؤمن به ، بل لفظة مثل زائدة ، أي : فإن آمنوا بما آمنتم به . وقيل : ليست زائدة . والتقدير : فإن دخلوا في الإيمان بمثل ما دخلتم فيه من الثبات على الحق ، وعدم الريب والشك .

﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ ﴾ مصدر ، والتقدير : صبغ الله صبغته . ﴿ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ ﴾ أي : شهادة حصلت من جهته وبتوقيه .

ومثل هذا التفضيل جعلناكم أمة وسطا ، أي : خياراً ﴿ قَالَ أَوْسَطُكُمْ ﴾ [القلم : ٢٨] أي : أفضلهم . وقدم «شهداء» على «الناس» ؛ لأن شرفهم في كونهم شهداء ، وأخر «شهداء» في قوله : ﴿ وَيَكُونَنَّ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ لأن الشرف في تزكية الرسول لهم ، وثنائه عليهم .

﴿ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا ﴾ . وقوله : ﴿ لَنَعْلَمَنَّ ﴾ أي : لنرى<sup>(١)</sup> . وقيل : لنميز . وقيل : لنعلم العلم (١٢/أ) واقعا ، وفيه نظر<sup>(٢)</sup> . ﴿ وَإِنْ كَانَتْ ﴾ التحويلة ﴿ لَكَبِيرَةً ﴾ لما حصل بسببها من استهزاء أصحاب الأديان ؛ لأنهم جعلوا النسخ يقتضي البداء وهو لا يليق بالله - جل جلاله<sup>(٣)</sup> .

(١) قال الطبري في تفسيره (٢ / ١٤) : «وهذا تأويل بعيد من أجل أن الرؤية وإن استعملت في موضع العلم من أجل أنه مستحيل أن يرى أحد شيئا فلا توجب رؤيته إياه علما بأنه قد رآه إذا كان صحيح الفطرة فجاز من الوجه الذي أثبتة رؤية أن يضاف إليه إثباته إياه علما وصح أن يدل بذكر الرؤية على معنى العلم من أجل ذلك ، فليس ذلك وإن كان في الرؤية لما وصفنا بجائز في العلم فيدل بذكر الخبر عن العلم على الرؤية ؛ لأن المرء قد يعلم أشياء كثيرة لم يرها ولا يراها ويستحيل أن يرى شيئا إلا علمه كما قد قدمنا البيان مع أنه غير موجود في شيء من كلام العرب أن يقال : علمت كذا بمعنى رأيت وإنما يجوز توجيه معاني ما في كتاب الله الذي أنزله على محمد من الكلام إلى ما كان موجودا مثله في كلام العرب دون ما لم يكن موجودا في كلامها فموجود في كلامها رأيت بمعنى علمت وغير موجود في كلامها علمت بمعنى رأيت فيجوز توجيه «إلا لنعلم» إلى معنى «إلا لنرى» .

(٢) هذا قول الزمخشري في الكشاف (١ / ٢٠٠) .

(٣) قال الإمام ابن حزم في كتاب الأحكام (٤ / ٤٧١) : «فإن قال قائل : ما الفرق بين البداء والنسخ ؟ قيل له - وبالله تعالى التوفيق - الفرق بينهما لائح وهو أن البداء هو أن يأمر بالأمر والامر لا يدري ما يؤول إليه الحال والنسخ هو أن يأمر بالأمر والامر يدري أنه سيحيله في وقت كذا ولا بد قد سبق ذلك في علمه وحثمه من قضائه فلما كان هذان الوجهان معنيين متغايرين مختلفين وجب ضرورة أن يعلق على كل واحد منهما اسم يعبر به عنه غير اسم الآخر ليقع التفاهم ويلوح الحق فالبداء ليس من صفات الباري - تعالى ... وأما النسخ فمن صفات الله - تعالى =»

ولما حولت القبلة قال بعض المسلمين: ما يفعل الله بصلوات من مات مستقبلاً بصلاته بيت المقدس ، فنزلت ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ <sup>(١)</sup> أي : صلاتكم إلى بيت المقدس ؛ لأنهم محسنون باستقباله بالأمر الأول ، والله لا يضيع أجر المحسنين .

﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ <sup>(١٤٤)</sup>

﴿ قَدْ نَرَى ﴾ ؛ كقوله : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعُوفِينَ مِنْكُمْ ﴾ [الأحزاب: ١٨] ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لِيَحْزَنَكَ ﴾ [الأنعام: ٣٣] .

قد أتركُ القرنَ مُصَفراً أناملُهُ <sup>(٢)</sup>

قد يُدركُ المتأني بعضَ حاجتِهِ <sup>(٣)</sup>

قد نخضبُ العسرَ من مكنونِ قائلِهِ وقد يشطُّ على أرماحِنَا البطلُ <sup>(٤)</sup>

= من جهة أفعاله كلها وهو القضاء بالأمر قد علم أنه سيحيله بعد مدة معلومة عنده عز وجل كما سبق في علمه - تعالى .

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢ / ١٧) ، وذكره السيوطي في الدر المشور (١ / ٣٥٣) عن ابن عباس والبراء ابن عازب .

(٢) هذا صدر بيت لعبيد بن الأبرص وعجزه : ..... كأن أثوابه محت بفرصاد

ينظر في : خزانة الأدب للبغدادي (١١ / ٢٥٣) ، ديوان لييد (ص: ٦٤) ، شرح أبيات سيويه للسيرافي (٢ / ٣٦٨) ، وبلا نسبة في : تذكرة النحاة لأبي حيان (ص: ٧٦) ، رصف المباني (ص: ٣٩٣) ، الكشاف للزمخشري (١ / ٢٠٢) ، لسان العرب (أسن) ، همع الهوامع للسيوطي (١ / ٣٥) والفرصاد: نوع شجر .

(٣) هذا صدر بيت للقطامي وعجزه : ..... وقد يكون مع المستعجل الزلل

ينظر في : جهرة أشعار العرب (٢ / ٨٠٥) ، ديوان القطامي (ص : ٢٥) ، ديوان المعاني (١ / ١٢٤) ، وللأعشى في : تلخيص الشواهد (ص : ١٠٢) ، خزانة الأدب (٥ / ٣٧٧) ، وبلا نسبة في : لسان العرب (بعض) ، مجالس ثعلب (ص: ٤٣٧) .

(٤) هذا البيت للأعشى ، ينظر في : تاج العروس للزبيدي (شيط) ، ديوان الأعشى (ص : ١١٣) ، شرح المفصل لابن يعيث (٥ / ٦٤) ، لسان العرب (شيط) .

وقد أغتدي والطيْرُ في وُكُنَاتِهَا <sup>(١)</sup>

في أن التوقع ، وقلة ما يأتي بعد قد ليس مراداً في هذه الأمثلة ، بل المراد الكثرة .

﴿ قَدْ زَرَى تَقَلَّبَ وَجْهَكَ ﴾ في جهات ﴿ السَّمَاءِ ﴾ تنتظر نزول الوحي باستقبال الكعبة .

﴿ شَطْرَ الْمَسْجِدِ ﴾ أي : جهته . واحتج بعضهم بهذه الآية على أن من بعد عن القبلة فرضه جهتها ، لا استقبال عين الكعبة ؛ لأنه أمر ها هنا باستقبال المسجد ، وهو أوسع من الكعبة <sup>(٢)</sup> . ﴿ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ لكونه مذكوراً في كتبهم .

﴿ وَلَيْنَ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَيْنَ آتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ <sup>ط</sup> وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ، لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمَنَّيْ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَادْكُرُونِي أذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾

قال عمر لعبد الله بن سلام - رضي الله عنهما: يقول الله في كتابه : ﴿ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ نشدتك الله ، هل كنت تعرف رسول الله ﷺ كما تعرف ابنك ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ؛ لأنني عرفته بصفاته المذكورة في التوراة ، وأما ابني فما أدري ما صنع النساء ، فقبل

(١) هذا صدر بيت لامرئ القيس ، وعجزه : ..... بمنجرد قيد الأوابد هيكل

ينظر في : إصلاح المنطق لابن السكيت ( ص : ٣٧٧ ) ، خزانة الأدب ( ٣ / ١٥٦ ) ، ديوان امرئ القيس ( ص : ١٩ ) ، شرح المفصل ( ٢ / ٦٦ ) ، لسان العرب ( قيد ) ، وبلا نسبة في : الأشباه والنظائر للسيوطي ( ٢ / ٤١٠ ) ، خزانة الأدب ( ٤ / ٢٠٥ ) ، الخصائص لابن جني ( ٢ / ٢٢٠ ) ، رصف المباني ( ص : ٣٩٢ ) ، شرح شواهد المغني ( ٢ / ٨٦٢ ) ، المحتسب لابن جني ( ١ / ١٦٨ ) ، مغني اللبيب ( ٢ / ٤٦٦ ) .

(٢) ينظر : بدائع الصنائع للكاساني ( ١ / ٣٢٩ ) ، المغني لابن قدامة ( ١ / ٤٩٠ ) .

عمر رأسه وقال : وفقك الله يا ابن سلام<sup>(١)</sup> .

﴿ لِيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ أنه حق ، وأن الكتمان محرم .

﴿ هُوَ مَوْلَاهَا فَاسْتَبِقُوا ﴾ إلى الخيرات الفاضلات من الجهات . ﴿ يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا ﴾ ليجازيكم على امتثال الأمر باستقبال الكعبة . أو بامتثال جميع الأوامر .

﴿ لَيْتَلَا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾ أي : شبهة ؛ لأن كتابهم يدل على أنهم سيحولون إلى الكعبة ، فيقولون : هؤلاء لا أمجاد لهم باقية ، يقولون : فإن كان استقبال بيت المقدس (١٢/أ) هو الحق فلم صرفوا عنه الآن ؟ وإن كان استقبال الكعبة هو الحق فلم لا تعبدوا به من قبل ؟ وجهلوا أن الله يفعل ما يشاء ، فيحرم الشيء في وقت ، ويحلله في آخر ، كما ينهى الطبيب المريض في أول المرض عن الزفر<sup>(٢)</sup> ، ثم يأمره بعد الأسبوع .

قوله : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا ﴾ معناه : لأتم نعمتي عليكم كما أتممتها ببعثة الرسول . وقيل : هو متعلق بما بعده ، أي : كما أرسلنا فيكم رسولا ﴿ فَادْكُرُونِي ﴾ في الرخاء ﴿ أذْكُرْكُمْ ﴾ في الشدة . أو : اذكروني بالتبجيل والتعظيم أذكركم بمثله ، وفي الحديث فيما يرويه النبي ﷺ عن ربه - سبحانه وتعالى : « من ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منه ، ومن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعاً ، ومن أتاني يمشي أتته هرولة »<sup>(٣)</sup> .

﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ ﴿ ١٥٤ ﴾ وَلَنَبَلُوْكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿ ١٥٥ ﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿ ١٥٦ ﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿ ١٥٧ ﴾ ﴿ إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرَّةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ ﴿ ١٥٨ ﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ

(١) نسبه السيوطي في الدر المنثور ( ١ / ٣٥٧ ) للثعلبي من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن ابن عباس - رضي الله عنهما .

(٢) الزفر - بالكسر : الحمل والجمع أرفار ، وهو مصدر زفر الحمل يزفره زفراً ، أي : حمله . ينظر : لسان العرب ( زفر ) .

(٣) رواه البخاري رقم ( ١٦٤٣ ) ، ومسلم رقم ( ١٢٧٧ ) .

اللَّعِينُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَٰئِكَ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ﴾ أي : عمن يقتل ؛ كقوله : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف : ١١] ولم يقل : ما سبقتمونا وكقوله : ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أِطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ [آل عمران : ١٦٨] ولو كانوا مخاطبين لإخوانهم لقال : لو أطعتمونا ما قتلتم .

﴿بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ أي : بل هم أحياء . وعن بعضهم : «عجبت لمن ابتلي بأربع ، كيف لا يفرغ إلى أربع ، من ابتلي بمصيبة كيف لا يقول : ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ والله تعالى يقول : ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة : ١٥٧] وعجبت لمن خاف من ظالم كيف لا يقول : ﴿وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [غافر : ٤٤] والله - تعالى - يقول : ﴿فَوْقَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾ [غافر : ٤٥] ، وعجبت لمن تمألاً عليه الناس كيف لا يقول : ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ والله - تعالى - يقول : ﴿فَأَنْقَلِبُوا إِلَى اللَّهِ وَمَنْ يَرْجِعْ إِلَى اللَّهِ فَأَنَّ إِلَهَ إِلَّا أَنَا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ والله يقول : ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَنَجِّنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُشَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء : ٨٧] .

﴿الصَّفَا﴾ أصله : الصلب ، ثم خص به الحجر المعروف بمكة . ﴿وَالْمَرْوَةَ﴾ الحجر ثم فعل به ما فعل بالصفا ، وهو كتخصيص الكتاب بسبويه ، والبيت بالكعبة ، وابن عمر (١٢/ ب ) وابن عباس وابن الزبير بالعبادة دون إخوانهم . والشعائر : أعلام الدين .

وقال عروة لعائشة : قوله تعالى : ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ فلا أرى بأساً على من حج البيت أن لا يطوف بهما .

فقال عائشة : بئس ما قلت يا ابن أخي ، لو كان كما قلت لكان : فلا جناح عليه ألا يطوف بهما ، وإنما تخرجوا من الطواف بهما ؛ لأنه كان على الصفا صنم ، وعلى المروة آخر ، فإذا سعوا بينهما تمسحوا بهما ، فتخرج المسلمون من ذلك ، فرفع الحرج عنهم<sup>(١)</sup> .

(١) رواه أحمد في المسند (٤٢١ / ٦) ، والحاكم في المستدرک (٧٠ / ٤) وصححه الشيخ الألباني في إرواء الغليل تخريج أحاديث منار السبيل رقم (١٠٧٢) .

والسعي ركن من أركان الحج لا يتم إلا به، ولا يجبر بدم . وسعى رسول الله ﷺ وقال: «أيها الناس اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي».

﴿خَلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ (١١٢) ﴿وَاللَّهُ كَزَّ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (١١٣) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١١٤﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ رَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١١٥﴾ إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١١٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِكُهُمْ لَسَبَّاهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١١٧﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١١٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿١١٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أُولَئِكَ كَانُوا أَكْبَارًا وَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٢٠﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٢١﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿١٢٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٣﴾

﴿خَلِدِينَ فِيهَا﴾ أي: في اللعنة. ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ تعاقبهما، يذهب هذا ويخلفه الآخر.

وقيل: اختلافهما في الطول والقصر. ﴿وَبَثَّ فِيهَا﴾ معطوف على ﴿وَمَا أَنْزَلَ﴾ أي: وفيما بث فيها. وقيل: معطوف على ﴿فَأَحْيَا﴾ والتقدير: وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض، وبث به الدواب؛ لأن الماء سبب عيش الحيوان.

﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ﴾ بين جنوب وشمال، وصبا<sup>(١)</sup> ودبور<sup>(٢)</sup>. وقيل: تصريفها: يجعلها

(١) الصبا: ريح معروفة تقابل الدبور الصباح. الصبا ريح ومهبها المستوي: أن تهب من موضع مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار. ينظر: لسان العرب (صبا).

(٢) الدبور - بالفتح: الريح التي تقابل الصبا والقبول، وهي ريح تهب من نحو المغرب والصبا تقابلها من ناحية المشرق. ينظر: لسان العرب (دبر).



عاصفة ، أو رخاء لينة <sup>(١)</sup> . ﴿كَحَبِّ اللَّهِ﴾ كحبهم لله ؛ لقوله : ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ .

﴿وَمَثَلٌ﴾ داعي ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ﴾ وقيل : ومثل الذين كفروا ، كمثل مدعو الذي ينعق . وقيل : الوجهان ضعيفان ؛ لأن البهائم التي تنعق بها تسمع الصوت ، وتسمع منه طلب الانتهاء عما نهيت عنه ، وأما الأصنام فلا يقرع سمعها صوت ولا غيره ، فلا يقع التشبيه مطابقا ، بل التقدير : مثل الذين كفروا في دعائهم الأصنام عند ضروراتهم ، كمثل الذي ينعق بسائر الجمادات . قوله : ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ بعد قوله : ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ .

والمؤمنون لا يعبدون إلا الله ؛ قيل : هو بعث لهمهم ، وتهييج لعزائمهم ، وهو كما تقول لابنك : إن كنت ابني فأطعني ، وأنت غير شاك في بنوته ، لكن مرادك : أن قضية البنوة تقتضى طاعة الأب ، ويمكن أن يقال : إن تقديم خبر كان يدل على الحصر ، والتقدير : إن كنتم ممن يخصه بالعبادة ، لا ممن يعتقد الشركة .

ويروى عن داود الظاهري أنه أباح شحم الخنزير ونخه ، وكل ما لا [ يؤكل منه ، فإنما ] يخص ذلك بالتحريم <sup>(٢)</sup> . والإهلال : رفع الصوت ، وكانوا إذا ذبحوا ( ١٣ / ١ ) لأصنامهم رفعوا أصواتهم بذكر اللات والعزى . ويقال : المستهل : المولود صارخا ، وسمي الهلال هلالاً ؛ لأنهم كانوا إذا رأوه رفعوا أصواتهم بالتكبير <sup>(٣)</sup> .

﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَإِغٍ﴾ على إمامه ﴿وَلَا عَادٍ﴾ متجاوزاً حدَّ الشبع .

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٧٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى

(١) الرخاء من الرياح : اللينة السريعة التي لا تززع شيئاً . ينظر : لسان العرب ( رخا ) .

(٢) ينظر : المحلى لابن حزم ( ٣٩١ / ٧ ) .

(٣) رواه الطبري في تفسيره ( ٨٥ / ٢ ) .

النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ \* لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبُ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْهُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّءْ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾

﴿ أَشْتَرُوا الضَّلَالَةَ ﴾ استبدلوها. ﴿ فَمَا أَصْبَرَهُمْ ﴾ أي : فما أطول حبسهم في النار، والصبر: الحبس ، ومنه يقال: قتله صبرا إذا أمسكه ليقتل بين يديه . وقيل : ما استفهامية ، وليست تعجبية.

قوله: ﴿ وَءَاتَى الْمَالَ ﴾ يريد: الزكاة . وقيل: يريدها هي والتطوع. قوله : ﴿ وَالْمُوفُونَ ﴾ ، ﴿ وَالصَّادِقِينَ ﴾ منصوب ، وهو من باب عطف الصفات بالواو، واقتطاعها بالرفع والنصب جائز.

﴿ فَمَنْ عَفِيَ لَهُ ﴾ عما يجب له من الدم على مال، فالواجب من الطالب اتباع المعروف، ومن المطلوب أداء بإحسان .

وكان في القتل العمد على عهد موسى القصاص لا غير، وعلى عهد عيسى الدية لا غير، وخيرت هذه الأمة بينهما، والتخفيف تخفيف . ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى ﴾ وقتل بعد العفو على مال، قتل قصاصا.

﴿ الْقِصَاصِ حَيَوةٌ ﴾ أفصح من قول العرب : القتل أنفى للقتل ؛ لأنهم جعلوا القتل كله نافيا للقتل ، وليس النافي على التحقيق إلا قتل القصاص ؛ ولأنه جعله أنفى ، وأفعل التفضيل تقتضي الاشتراك غالبا ، فيكون ترك القتل نفيا للقتل ، وليس كذلك ؛ ولأن القصاص حياة يحصل المعنى ، وهو عشرة أحرف ، وقولهم : القتل أنفى للقتل أربعة عشر حرفا ؛ لأنه أخصر ؛ لأنه بين كل حركتين من كلام العرب ساكن فلا ينبسط اللسان بالنطق؛

لأن السكون قطع للحركة ، واحتباس عنها<sup>(١)</sup> . والمراد : ولكم في القصاص حياة أي : حياة مضمومة إلى الحياة الأصلية ، فلو عرف الحياة فقال : « ولكم في القصاص الحياة » لاختل المعنى ، وكان يظن أن الحياة الأصلية مستفادة من القصاص ، ونظيره قوله - تعالى - في العسل : ﴿ فِيهِ شِفَاءٌ ﴾ [النحل : ٦٩] ولم يقل : فيه الشفاء ؛ لئلا يظن أن الشفاء منحصر في العسل<sup>(٢)</sup> .

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ (١٨٠) ﴿ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَدَلًا مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١٨١) ﴿ فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوسٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٨٢) ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١٨٣) ﴿ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَتْ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١٨٤)

كانت الوصية بما يخلف الإنسان فرضا عليه قبل نزول آيات المواريث . ﴿ حَضَرَ ﴾ كناية عن حضور أسبابه . والخير : المال والاكْتِسَاب ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ ﴿ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ [النور : ٣٣] فلما نزلت آية المواريث نسخت وجوب الوصية<sup>(٣)</sup> . ﴿ فَمَنْ بَدَّلَهُ ﴾ من

(١) قال البيهقي في كتاب الاعتقاد ( ١ / ٢٦٠ ) : وقد استحسّن الناس في الإيجاز قولهم : القتل أنفى للقتل وبينه وبين قول الله - سبحانه : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ ﴾ تفاوت في البلاغة والإيجاز ، وبيان ذلك : أن في هذا الكلام كل ما في قولهم القتل أنفى للقتل وزيادة معان ليست فيه منها : الإبانة عن الفداء لذكر القصاص ، ومنها الإبانة عن الغرض المرغوب فيه لذكر الحياة ، ومنها بعده عن التكلف وسلامته من تكرار اللفظ الذي فيه على النفس مشقة وعلى السمع مؤونة .

(٢) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ( ٢ / ٥٧٦ ) : قال بعض من تكلم على الطب النبوي : لو قال فيه الشفاء للناس لكان دواء لكل داء ولكن قال : فيه شفاء للناس أي يصلح لكل أحد من أدواء باردة فإنه حار والشيء يداوى بضده .

(٣) ينظر : الأم للشافعي ( ٧ / ٤٦٠ ) ، المغني لابن قدامة ( ٦ / ٤٤٤ ) قال ابن قدامة في المغني : ولا تجب الوصية إلا على من عليه دين أو عنده ودیعة أو عليه واجب يوصي بالخروج منه فإن الله - تعالى - فرض أداء الأمانات وطريقه في هذا الباب الوصية فتكون مفروضة عليه ، فأما الوصية بجزء من ماله فليست بواجبة على أحد في قول الجمهور ، وبذلك قال الشعبي والنخعي والثوري ومالك والشافعي وأصحاب الرأي وغيرهم ، وقال ابن عبد البر : أجمعوا على أن الوصية غير واجبة إلا على من عليه حقوق بغير بينة وأمانة بغير إظهار إلا طائفة شذت فأوجبها روي عن الزهري أنه قال : جعل =

الشاهدين (١٣/ب) للوصية والمتولين لأمرها، فالإثم عليهم لا على الموصي.

كان الواجب في ابتداء الإسلام صوم ثلاثة أيام من كل شهر وعاشوراء، وأيام البيض، وهو المراد بقوله: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ ثم نسخ ذلك بصيام شهر رمضان<sup>(١)</sup>.

﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ يعني: أصل الصوم، لا وقته وعدده، فإن العرب كرهوا عبادة الصوم، فقليل لهم: هو عبادة قديمة لم تخصوا بها دون سائر الأمم.

﴿أَيَّامًا﴾ ظرف، والعامل فيها الصيام الذي أنزل فيه أي: في شرفه وفضله.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ أَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةُ الصِّيَامِ الرِّفْتُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِيَّاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَّاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْتَنَ بِشُرُوهنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَىٰ اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الرِّبْيَانُ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الرِّبْمَ مِنَ اتَّقَىٰ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾

﴿فَمَنْ شَهِدَ﴾ أي: كان مقيما غير مسافر فالواجب عدة، أو فعليه عدة. ومنع داود المسافر

= الله الوصية حقا مما قل أو كثر وقيل لأبي مجلز: على كل ميت وصية؟ قال: إن ترك خيرا وقال أبو بكر عبد العزيز:

هي واجبة للأقربين الذين لا يرثون وهو قول داود وحكي ذلك عن مسروق وطاوس وإياس و قتادة وابن جرير واحتجوا بالآية وخبر ابن عمر وقالوا: نسخت الوصية للوالدين والأقربين الوارثين وبقيت فيمن لا يرث من الأقربين.

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢ / ١٣٠).

والمريض أن يصوموا رمضان، وقال: الواجب في حقه وحق المسافر عدة من أيام أخر<sup>(١)</sup>.  
كان في ابتداء الإسلام إن شاء القادر أن يصوم فعل ، وإن شاء أن يفطر ويكفر جاز.  
ومنه : ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ﴾ ، ثم قال : ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾ ثم نسخ  
بقوله : ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ فتحتم الصيام .

قوله : ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ يريد الاطلاع وقربه - سبحانه - ليس معلقا على شرط، بل  
الجواب محذوف ، والمراد: وإذا سألك عبادي عني فقل : إني قريب.

وكان في ابتداء وجوب الصوم يجوز الأكل إلى العشاء ما لم ينم ، فإن نام قبل العشاء حرم  
عليه الأكل إلى المغرب من الليلة القابلة ، وكذلك الجماع ، وإن بعض الصحابة جامع امرأته  
بعد العشاء وشكا ذلك إلى النبي ﷺ فنزل تحليل الأكل والجماع إلى طلوع الفجر<sup>(٢)</sup> . وعنى  
بالخيط الأبيض: الفجر ، وبالخيط الأسود: الليل . ﴿وَتَذُلُّوا﴾ يجوز أن يكون مجزوماً، عطفاً  
على قوله : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا﴾ أو منصوباً بالواو.

(١) ذكر ابن عبد البر في الاستذكار (٣ / ٢٩٨ - ٣٠٠) عن أنس بن مالك أنه قال : «سافرنا مع رسول الله ﷺ في  
رمضان فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم» . وأن عمرو الأسلمي قال لرسول الله ﷺ : «يا  
رسول الله إني رجل أصوم أفصوم في السفر؟ فقال له رسول الله ﷺ : إن شئت فصم وإن شئت فأفطر» وأن عبد  
الله بن عمر كان لا يصوم في السفر ، وعن هشام بن عروة عن أبيه: «أنه كان يسافر في رمضان ونسافر معه فيصوم  
عروة ونفطر نحن فلا يأمرنا بالصيام» . ثم قال أبو عمر بن عبد البر : قوله : وكانوا يأخذون بالأحدث فالأحدث من  
أمر رسول الله ﷺ يقولون : إنه من كلام ابن شهاب ، وفيه دليل أن في حديث رسول الله ﷺ ناسخاً ومنسوخاً ،  
واحتج من ذهب إلى أن الفطر أفضل في السفر لأن آخر فعل رسول الله ﷺ الفطر في السفر ، ورواه معمر عن  
الزهري وقال فيه : قال الزهري فكان الفطر آخر الأمرين ، وفي هذا الحديث إباحة السفر في رمضان . وفي ذلك رد  
لقول من قال : من دخل عليه رمضان لم يجز له أن يسافر فيه إلا أن يصوم ؛ لأنه قد لزمه صومه في الحضر ولو دخل  
عليه رمضان في سفره كان له أن يفطر في سفره ذلك ، قال: وفي هذا الحديث أيضاً رد لقول من زعم أن الصيام في  
السفر لا يجزئ ؛ لأن الفطر عزيمة من الله - تعالى - روي معنى ذلك عن عمر وابن عمر وأبي هريرة وعبد الرحمن  
بن عوف وابن عباس على اختلاف عنه وعن الحسن البصري مثله ، وبه قال قوم من أهل الظاهر ، وأحاديث هذا  
الباب تدفع هذا القول وتقضي بجواز الصوم للمسافر إن شاء وأنه نخير إن شاء صام وإن شاء أفطر ؛ لأن رسول الله  
ﷺ صام في السفر وأفطر ، وعلى التخيير في الصوم أو الفطر للمسافر جمهور العلماء وجماعة فقهاء الأمصار .

وقال ابن قدامة في المغني (٣ / ٩٠) : والأفضل عند إمامنا (يعني: الإمام أحمد بن حنبل) - رحمه الله - الفطر في السفر  
وهو مذهب ابن عمر وابن عباس وسعيد بن المسيب والشعبي والأوزاعي وإسحاق ، وقال أبو حنيفة ومالك  
والشافعي : الصوم أفضل لمن قوي عليه ويروى ذلك عن أنس وعثمان بن أبي العاص .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢ / ١٦٦) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١ / ٤٧٧) .

سأل معاذ بن جبل فقال: ما بال الهلال يكون صغيرا ، ثم يكبر ، ثم يصغر ، فهلا بقي على حالة واحدة، كالشمس والكواكب؟! فأجيب بأنه: جعل ذلك ميقاتاً لديون الناس وأجالهم، وعددهم<sup>(١)</sup>.

والعرب ما كانت تحسن الكتابة ، فكانوا إذا رأوا الهلال عرفوا انقضاء الشهر. وكانت العرب إذا أحرموا بالحج لا يدخل الإنسان منهم داره من بابها لكن يفتح من ظهر البيت بابا يدخل منه ويخرج ، وإن كان في بيت شعر دخل من خلف الخباء إلا قريشا وكنانة ، فكانوا لا يوجبون عليهم ذلك ، ويسمونهم الحمس<sup>(٢)</sup> ثم دخل (١٤/أ) النبي ﷺ وهو محرم بيتاً من بابه، فتبعه رجل أنصاري، فأنكر عليه السلام ذلك فقال النبي: أنا أحمس. فقال: وأنا على دينك ومذهبك، فنزلت<sup>(٣)</sup>. وقيل: ﴿ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ أي: من الوجوه التي توصل إليها.

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾<sup>(١٩٠)</sup> وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقْتُلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقْتَلُوا فِيهِ فَإِنْ قَتَلْتُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ<sup>(١٩١)</sup> فَإِنْ أَنهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ<sup>(١٩٢)</sup> وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ<sup>(١٩٣)</sup> الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ<sup>(١٩٤)</sup> وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ<sup>(١٩٥)</sup> وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ، فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ، حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ<sup>(١٩٦)</sup>

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (١/٤٩٠) ونسبه لابن عساكر بسند ضعيف عن ابن عباس .

(٢) الحمس والمتحمس: الشديد والأحمس أيضا: المتشدد على نفسه في الدين و عام أحمس وسنة حمساء: شديدة وأصابتهم سنون أحامس ، والحمس: قريش لأنهم كانوا يتشددون في دينهم وشجاعتهم فلا يطاقون. وقيل: كانوا لا يستظلون أيام منى ولا يدخلون البيوت من أبوابها وهم محرمون. ينظر: لسان العرب (حمس) .

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢ / ١٨٧) ، والحاكم في المستدرک (١/٤٨٣) ، والواحدي في أسباب النزول (ص: ٥٦)

رقم (١٠٠، ١٠١) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (١/٤٩١) لابن أبي حاتم ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكَ﴾ كان قتال المشركين محرماً ، ثم نزل الإذن بقوله : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ﴾ [الحج: ٣٩] وأوجب في هذه الآية قتال من قاتل، دون من كف. وقيل: ﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكَ﴾ الذين هم أهل للقتل بخلاف النساء والصبيان، وتكون الآية محكمة .

﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ بقتل من لم يقاتل على القول الأول ، وبقتل النساء والصبيان على الثاني . وقرئ : ﴿وَلَا تَقْتُلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾ <sup>(١)</sup> أي : فإن قتلوا بعضكم . ﴿إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ الذين قاتلوا بعد النهي والانهاء . ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ قيل : بترك القتال ؛ فإنه متى ترك تسلط الكفار على المسلمين فقتلوا وسبوا .

قال بعض الصحابة <sup>(٢)</sup> : أراد أن من قاتل وكسب فاستقل بالحرث والزرع ، فقد ألقى بنفسه إلى التهلكة . ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ أي : اتوا بهما تامين ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ الإحصار في المرض ، والحصر في العدو وقد جاءت هذه الآية في إحصار العدو وهي لغة . ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾ فالواجب ما استيسر ، أو فعليكم ما استيسر، وهذا الدم الواجب في التمتع عند أبي حنيفة : دم قربان يأكل منه كما في الهدايا والضحايا ، وعند الشافعي : دم جبران فإن التمتع ذبح أحد الميقاتين، فلا يأكل منه كسائر دماء الجبرانات <sup>(٣)</sup> .

(١) قرأ بها حمزة والكسائي وخلف ، وقرأ الباقون « تقاتلوهم حتى يقاتلوكم » . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٢ / ٦٧ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ٩٤ ) ، الدر المصون للسمن الحلبي ( ١ / ٤٨١ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ١٧٩ ) ، الكشاف للزغشري ( ١ / ٢٣٦ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٢٦ ) .

(٢) روى الطبري في تفسيره ( ٢ / ٢٠٤ ) عن أسلم أبي عمران قال : غزونا من المدينة نريد القسطنطينية وعلى أهل مصر عقبة بن عامر وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد قال : فصفنا صفين لم أر صفين قط أعرض ولا أطول منهما والروم ملصقون ظهورهم بجائط المدينة قال : فحمل رجل منا على العدو فقال الناس : مه لا إله إلا الله يلقي بيده إلى التهلكة قال : أبو أيوب الأنصاري : إنما تأولون هذه الآية هكذا أن حمل رجل يقاتل يلتمس الشهادة أو يبلي من نفسه إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار إنا لما نصر الله نبيه وأظهر الإسلام قلنا بيننا معشر الأنصار خفياً من رسول الله إنا قد كنا تركنا أهلنا وأموالنا أن نقيم فيها ونصلحها حتى نصر الله نبيه هلم نقيم في أموالنا ونصلحها فأنزل الله الخبر من السماء وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة الآية فالإلقاء بالأيدي إلى التهلكة أن نقيم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد .

(٣) قال ابن رشد في بداية المجتهد ( ١ / ٢٧٧ ) : « واختلفوا في الأكل من الهدى الواجب إذا بلغ محله ؛ فقال الشافعي : لا يؤكل من الهدى الواجب كله ولحمه كله للمساكين ، وقال مالك : يؤكل من كل الهدى الواجب إلا جزء الصيد ونذر المساكين وفدية الأذى . وقال أبو حنيفة : لا يؤكل من الهدى الواجب إلا هدى المتعة وهدى القرآن ، وعمدة =

﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ ﴾ يعني : الهدي ولا ثمنه فاضلاً عن قوته وقوت من تلزمه نفقته، فعليه صيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع . قيل : إذا استقر في منزله بعد الحج ، وقيل : إذا شرع في العود متوجهاً إلى وطنه . وقيل : إذا فرغ من أعمال الحج .

قوله : ﴿ تِلْكَ عَشْرَةٌ ﴾ بين أن مجموع الصومين كفارة واحدة ؛ لئلا يتوهم أن الواجب أحد الأمرين، إما ثلاثة أيام في الحج أو سبعة إذا رجع ، وقوله : ﴿ كَامِلَةٌ ﴾ يريد أن العشرة مع تفرقتها كاملة في التكفير، بخلاف تتابع الصوم في كفارة القتل الخطأ فإن التابع شرط فيها<sup>(١)</sup> .  
﴿ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي ﴾ أشار ( ١٤ / ب ) إلى وجوب الكفارة وهو عند الشافعي مختص بمن لم يكن من أهل مكة، أو كان من مكة على مسافة لا تقصر فيها الصلاة ، فإن كان من أهلها لم يذبح ميقاتاً فلا فدية عليه ، وعند أبي حنيفة : أشار بقوله ذلك إلى جواز التمتع ، فعنده أن التمتع لا يصح من المكي<sup>(٢)</sup> .

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَكْرَدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴿١١٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَانَكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَسِكَكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ

= الشافعي تشبيه جميع أصناف الهدي الواجب بالكفارة وأما من فرق فلائنه يظهر في الهدي معنيان أحدهما أنه عبادة مبتدأة . والثاني : أنه كفارة وأحد المعنيين في بعضها أظهر فمن غلب شبهه بالعبادة على شبهه بالكفارة في نوع من أنواع الهدي كهدي القران وهدي التمتع وبخاصة عند من يقول : إن التمتع والقران أفضل لم يشترط أن لا يأكل ؛ لأن هذا الهدي عنده هو فضيلة لا كفارة تدفع العقوبة ومن غلب شبهه بالكفارة قال لا يأكله لاتفاقهم على أنه لا يأكل صاحب الكفارة من الكفارة . وقال الشوكاني في نيل الأوطار ( ١٩٢ / ٥ ) : « والظاهر أنه يجوز الأكل من الهدي من غير فرق بين ما كان منه تطوعاً وما كان فرضاً لعموم قوله تعالى : ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا ﴾ ولم يفصل » .

(١) ينظر : بدائع الصنائع للكاساني ( ٢ / ٢١٠ ) ، المغني لابن قدامة ( ١١ / ٢٧٧ ) ، مغني المحتاج للشربيني ( ١ / ٥١٣ ) .

(٢) ينظر : بدائع الصنائع للكاساني ( ٢ / ٣٧٧ ) ، بداية المجتهد لابن رشد ( ١ / ٤٦٣ ) ، المبسوط للسرخسي ( ٤ / ٢٧ ) ، المغني لابن قدامة ( ٣ / ٢١٥ ) .



كذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّكَاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا ءِإِنَّا فِي الدُّنْيَا وَمَا  
 لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلْقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ رَبَّنَا ءِإِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي  
 الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ  
 ﴿٢٠٢﴾ ﴿٢٠٢﴾ وَأذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ  
 فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن  
 يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ ۖ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ  
 سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ  
 اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي  
 نَفْسَهُ أَتَيْغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴿٢٠٧﴾

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ ﴾ أي: من الإحرام بالحج أشهر ، وجعل بعض شهر ذي الحجة بمنزلة  
 شهر كامل . الرفث : الجماع ، وكل لفظ يستحي من ذكره . وقوله : ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا  
 فُسُوقَ﴾ خبر معناه النهي . قوله : ﴿وَلَا جِدَالَ﴾ خبر عن نهى . ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾  
 يعني : التجارة في مواسم الحج . وقوله : ﴿وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْنَاكُمْ﴾ أي : لأجل أنه  
 هداكم ، كقوله : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَارِيًّا فِي صَغِيرًا ﴾ [الإسراء : ٢٤] ثم لتكن إفاضتكم من  
 عرفات . كانت الحمس تقف بالمزدلفة ، فيفيضون منها ويقولون : نحن خدام الحرم فلا نخرج  
 منه ، عرفة من الحل والعلمان في أول عرفة علامة على أنها الحرم وابتداء الحل . ﴿فَمِنَ  
 النَّكَاسِ﴾ من يكون سؤاله مقصوداً على أمر دنياه ، ومنهم من يطلب الحسنة في الدنيا  
 والآخرة وقوله : ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ﴾ يرجع إلى الفريقين . وقيل : إلى أحدهما .

﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ يريد التكبير في أيام التشريق ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي  
 يَوْمَيْنِ﴾ وهما الحادي عشر والثاني عشر فنفر قبل الغروب ليلة الثالث عشر سقط عنه  
 الرمي في اليوم الثالث ، ويكون قد رمى تسعا وأربعين حصاة سبعا يوم النحر وإحدى  
 وعشرين يوم الحادي عشر وإحدى وعشرين يوم الثاني عشر ﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾ حتى غربت  
 عليه شمس ليلة الثالث عشر لزمه أن يرمي يوم الثالث عشر . ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ ﴾  
 أي : في الحياة الدنيا ﴿قَوْلُهُ﴾ لفصاحته . وقيل : إذا تحدث في أمور الدنيا كان فصيحاً ، وأما

في أمور الآخرة فهو كالألكن<sup>(١)</sup>، وعلى الأول: إذا وقف في موقف القيامة جعلت الحبسة في لسانه<sup>(٢)</sup>، وزال ما كان يوصف به من الفصاحة .

الخصام: المخاصمة أي: وهو ألد في الخصومة . وقيل: الخصام جمع خصم أي: وهو ألد الخصوم . ﴿وَإِذَا تَوَلَّى﴾ عنك وقيل له: ﴿أَتَى اللَّهَ﴾ أي: حملته على الإثم؛ كما تقول: أخذت فلانا بالاشتغال (أ/١٥) بالعلم . ﴿يَشْرِي نَفْسَهُ﴾ أي: يبيعه وهو رجل قام بكلمات الحق عند الولاية الجائرين فقتل<sup>(٣)</sup> .

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ؕ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ سَلَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا ءَاتَيْنَهُمْ مِنْ ءَايَةٍ بَيْنَهُ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؕ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيَّاتِ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا ائْتَفَقُوا فِيهِ وَمَا ائْتَفَقَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا ائْتَفَقُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ؕ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ؕ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّذِينَ وَاللَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ؕ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ كَتَبَ عَلَيْكُمْ الْقِتَالَ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ

(١) اللكنة: عجمة في اللسان يقال: رجل الكن بين اللكن . والألكن: الذي لا يقيم العربية من عجمة في لسانه ، يقال: لكن لكنا ولكنة ولكونة ، ويقال: به لكنة شديدة ولكونة ولكنونة . ينظر: لسان العرب (لكن) .

(٢) الحبسة والاحتباس في الكلام: التوقف وتحبس في الكلام: توقف . والحبسة: تعذر الكلام عند إرادته . ينظر: لسان العرب (حبس) .

(٣) روى الحاكم في المستدرک على الصحيحين (٣ / ٢١٥) عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله» . وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقْبِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١٨﴾

السلم : الصلح . وقيل : استأذن ابن سلام أن يقرأ في التوراة في الصلاة فنزلت نهيا له ولأمثاله <sup>(١)</sup> . ﴿يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ أي : أمره <sup>(٢)</sup> .

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على الضلال ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ﴾ وقيل : كانوا على الحق فاختلَفوا ، فبعث الله ؛ كقوله : ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ [يونس: ١٩] ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ أي : الكتب . وقوله : ﴿لِيَحْكُمَ﴾ أي : الله أو الكتاب .  
سألوه عما ينفقونه فيين لهم المصرف ؛ لأنهم إلى بيانه أحوج .

بعث رسول الله ﷺ سرية مع عبد الله بن جحش فلقوا المشركين فقتلوا رجلاً من المشركين ، وكانوا يظنون أن الشهر الحرام قد فرغ ودخل شهر الحل فشنع اليهود على المسلمين وقالوا : استحل محمد الشهر الحرام ، وسألوا عن ذلك تعتياً ، فقال تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ <sup>(٣)</sup> أي : إثم كبير . وقوله : ﴿وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ مبتدأ لا معطوف ، وكأنه يقول : الذي فعلتموه من صد النبي وأصحابه عن المسجد الحرام أكبر مما فعله المسلمون .

قوله : ﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ شرط في إحباط العمل بالردة : الموت على الكفر ، ولم يشترطه أبو حنيفة <sup>(٤)</sup> لقوله - تعالى : ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ [المائدة: ٥] .

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢ / ٣٢٤) ، والواحدي في أسباب النزول (ص : ٦٩) ، رقم (١٢٩) عن ابن عباس - رضي الله عنهما .

(٢) الصواب في ذلك : إثبات ما أثبتته الله - تعالى - لنفسه في كتابه وما وصفه به نبيه ﷺ من غير تمثيل ولا تشبيه ، وفي إطار قوله - تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ وهذه عقيدة السلف الصالح ﷺ .

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢ / ٣٤٨) .

(٤) ينظر : بدائع الصنائع للكاساني (١ / ٢٦٥) ، المبسوط للسرخسي (٢ / ٩٦) .

وروي أن عبد الله بن جحش قال: يا رسول الله، هل تعد لنا بهذه السرية غزوة؟

فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١).

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ۚ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ۖ قُلِ الْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾﴾ في الدنيا والآخرة ويسألك عن اليتيم قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأغنتكم إن الله عزيز حكيم ﴿٢٢٠﴾ ولا تنكحوا المشركت حتى يؤمنن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار والله يدعوا إلى الجنة والمغفرة بإذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون ﴿٢٢١﴾ ويسألك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴿٢٢٢﴾﴾

الميسر: القمار. ﴿الْعَفْو﴾ هو ما صفا من أخلاق الناس. قال الشاعر [من الطويل]:

خُذِي الْعَفْوَ مِنِّي تَسْتَدِيمِي مَوَدَّتِي      وَلَا تَنْطَقِي فِي سَوْرَتِي حِينَ أَغْضِبُ<sup>(٢)</sup>

﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ يفسر الآيات. وقيل: يفسر آيتين.

ولما نزل قوله - تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتِيمِ ظُلْمًا﴾ [النساء: ١٠] الآية تخرج المسلمون من مخالطة اليتامى ومؤاكلتهم وأن يخلطوا نفقتهم بنفقتهم فنزلت ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢ / ٣٥٦)، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (١ / ٦٠٣) لابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي.

(٢) ينظر البيت في: تاج العروس للزبيدي (عفا)، الكشاف للزنجشيري (١ / ٢٦٢)، لسان العرب (عفا)، بلانبة. ونسبه الأصفهاني في الأغاني (٢٠ / ٣٧٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦ / ٤١٩) لأسماء بن خازجة الفزاري في أبيات قالها لزوجته ونصح بها ابنته عند زواجها وبعد هذا البيت يقول:

فإني رأيت الحب في الصدر والأذى إذا اجتمع لم يلبس الحب يذهب

عَنِ الْيَتَمَى قُلْ إِصْلَاحٌ ﴿١﴾ لَأَغْنَتَكُمْ ﴿٢﴾ لكلفكم المشقة ، وأصل العنت أن يكسر العظم ثم يجبر معوجا ، فيكسر ثانياً ليعاد جبره مستقيماً فيقيمه بكل مشقة <sup>(٢)</sup> (١٥/ب) ﴿وَلَا نَنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ﴾ عام مخصوص بقوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٥] . ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ﴾ أي: فأولياء الله يدعون إلى الجنة والمغفرة حتى يطابق قوله ﴿أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ .

«كانت اليهود إذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يشاربوها وأفردوا لها أوعية تستعملها تلك المدة فسأل المسلمون رسول الله ﷺ عن ذلك فنزلت ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ﴾ <sup>(٣)</sup> أي: شيء مستقذر ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ أي: في زمن الحيض ، أو في محل الحيض ، وهو الفرج . ﴿حَتَّىٰ يَظْهَرْنَ﴾ أي: ينقطع ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ أي: اغتسلن بالماء . فلحل الوطء شرطان: فلو اغتسلت قبل انقطاع الدم لم يحل ، ولو انقطع الدم ولم تغتسل ، لم يحل هذا مذهب الشافعي ومالك ، وقال أبو حنيفة: إذا انقطع دمها في وقت عادته ، وغسلت الفرج من آثار الأذى حل وطؤها ؛ لأنها قبل الغسل كالجنب <sup>(٤)</sup> .

﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ أي: في الغسل في محل البذر ، وهو الفرج .

﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّلَقَّوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٢٣) وَلَا تَجْعَلُوا عُرْضَةَ أَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَعُولُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾

(١) رواه الواحدي في أسباب النزول (ص: ٧٣ - ٧٤) رقم (١٣٤) ، وأبو داود رقم (٢٨٧١) ، والنسائي (٢٥٦/٦) ، والحاكم في المستدرک (٢ / ٢٧٨) ، وصححه ووافقه الذهبي .

(٢) يقال للعظم المجبور إذا أصابه شيء فهاضه: قد أعتته فهو عنت ومعنت . قال الأزهري: معناه أنه يهيضه وهو كسر بعد انجبار وذلك أشد من الكسر الأول . ينظر: لسان العرب (عنت) .

(٣) رواه مسلم في صحيحه رقم (٣٠٢) ، وأبو داود في سننه رقم (٢٥٨) ، والترمذي رقم (٢٩٧٧) .

(٤) ينظر: الأم للشافعي (١/١٣٠) ، بداية المجتهد لابن رشد (١/٨٨) ، المغني لابن قدامة (١/٢٤١) .

﴿ وَلَا تَجْعَلُوا عُرْضَةً ﴾ أي : مانعا من البر ؛ فيحلف أنه لا يكلم فلانا ولا يصلي التطوع ، أو لا يبر أمه ، فإذا عيب اعتذر باليمين وجعلها عرضة مانعة من البر ، أي : لا تجعلوا اسم الله معرضا للحلف ، كقول الشاعر [ من الطويل ] :

فَلَا تَجْعَلْنِي عُرْضَةً لِلْوَائِمِ<sup>(١)</sup>

﴿ بِاللَّغْوِ ﴾ عند الشافعي : قول الرجل : لا والله ، بلى والله من غير قصد إلى عقد اليمين<sup>(٢)</sup> وهو مأخوذ من اللغو ، وهو إذا جاء في الدية بناقة معها فصيل يقال : هذا الفصيل لغو لا يعتد به . إذا حلف أنه لا يطأ زوجته مدة لا تزيد على أربعة أشهر لم تتوجه عليه من الزوجة مطالبة حتى تمضي أربعة أشهر ، فإذا مضت فإنه يطالب بالوطء أو الطلاق ، فللزوجة أن يتربص أربعة أشهر .

والمطلقات الخاليات من الحمل ، للصغر والإياس يتربصن مدة العدة ، وهي ثلاثة أطهار عند الشافعي ، وثلاث حيض عند أبي حنيفة<sup>(٣)</sup> .

(١) هذا عجز بيت لأبي تمام وصدرة: دعوني أنح وجدا كنوح الحمام .....  
 ينظر في: تفسير القرطبي (٩٤/٣) ، تفسير أبي السعود (٢٢٣/١) ، الدر المصون للسمن الحلي

(١/٥٤٨) بنحوه ، الكشاف لزمخشري (١/٢٦٧) .

(٢) ينظر: الأم للشافعي (٧/١١٠) .

(٣) اختلف السلف والخلف والأئمة في المراد بالأقراء ما هو على قولين : أحدهما : أن المراد بها الأطهار ، وروي ذلك عن ابن عباس وزيد بن ثابت وسالم والقاسم وعروة وسليمان بن يسار وأبي بكر بن عبدالرحمن وأبان بن عثمان وعطاء بن أبي رباح وقتادة والزهري وبقية الفقهاء السبعة ، وهو مذهب مالك والشافعي وغير واحد وداود وأبي ثور وهو رواية عن أحمد واستدلوا عليه بقوله تعالى: ﴿ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ ﴾ [الطلاق: ١] أي : في الأطهار ولما كان الطهر الذي يطلق فيه محتسبا دل على أنه أحد الأقراء الثلاثة المأمور بها .

والقول الثاني : أن المراد بالأقراء الحيض فلا تنقضي العدة حتى تطهر من الحيضة الثالثة زاد آخرون : وتغتسل منها ، وهذا مذهب أبي حنيفة وأصحابه وأصح الروايتين عن الإمام أحمد بن حنبل وحكي عنه الأثرم أنه قال : قال الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ : الأقراء : الحيض وهو مذهب الثوري والأوزاعي وابن أبي ليلى وابن شبرمة والحسن بن صالح وأبي عبيد وإسحاق بن راهويه . واستدلوا بما روي عن فاطمة بنت أبي حبيش أن رسول الله ﷺ قال لها : « دعي الصلاة أيام أقرائك » فهذا لو صح لكان صريحا في أن القرء هو الحيض ولكن في سند الحديث المنذر بن المغيرة ؛ قال فيه أبو حاتم : مجهول ليس بمشهور وذكره ابن حبان في الثقات وقال ابن جرير : أصل القرء في كلام العرب : الوقت لمجيء الشيء المعتاد مجيئه في وقت معلوم ولإدبار الشيء المعتاد =

﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ يريد أن للزوج أن يراجعها ما دامت في العدة ، ولم تستوف الطلاق ، ولم يكن الفراق خلعا ، ﴿وَهُنَّ﴾ من استحقاق المعاشرة بالمعروف ﴿مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ﴾ .  
﴿وَالرِّجَالُ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ بقيامه بمصالحها ، ومنعها من الخروج من منزله (١/١٦) وإدخال من لا يريد دخوله ، وتأديبها إذا نشزت .

﴿الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَفَنَ أَجَلُهُنَّ فَامْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْتِدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَفَنَ أَجَلُهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ كَزَّ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾

الطلاق الذي يستحق فيه الرجعة مرتان إذا كان المطلق حراً ، له الرجعة . ولا يحل لكم أن تضاروها ، تفتدي بصداقها أو بغيره ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا﴾ خصص جواز الخلع بحالة الشقاق ، وهو مذهب جماعة من العلماء ، والشافعي يميزه من غير شقاق كالطلاق<sup>(١)</sup> .

= إدباره لوقت معلوم وهذه العبارة تقتضي أن يكون مشتركا بين هذا وهذا ، وقد ذهب إليه بعض الأصوليين والله أعلم . وهذا قول الأصمعي : أن القرء هو الوقت . وقال أبو عمرو بن العلاء : العرب تسمي الحيض قرءا وتسمي الطهر قرءا وتسمي الطهر والحيض جميعا قرءا . وقال الشيخ أبو عمر بن عبد البر : لا يختلف أهل العلم بلسان العرب والفقهاء أن القرء يراد به الحيض ويراد به الطهر وإنما اختلفوا في المراد من الآية ما هو على قولين . ينظر تفصيل ذلك في : الاستذكار لابن عبد البر (١٤٥ / ٦) ، الأم للشافعي (٣٠٢ / ٥) ، بدائع الصنائع للكاساني (٣٠٥ / ٣) ، بداية المجتهد لابن رشد (٨١٤ / ١) ، المبسوط للسرخسي (١٥٢ / ٣) ، المغني لابن قدامة (٢٦٨ / ٣) .

(١) قال طائفة كثيرة من السلف وأئمة الخلف : أنه لا يجوز الخلع إلا أن يكون الشقاق والنشوز من جانب المرأة فيجوز للرجل حينئذ قبول الفدية واحتجوا بقوله تعالى : ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ قالوا : فلم يشرع الخلع إلا في هذه الحالة فلا يجوز في غيرها إلا بدليل . والأصل عدمه ومن ذهب إلى هذا : ابن عباس وطاوس وإبراهيم وعطاء والحسن والجمهور حتى قال مالك والأوزاعي : لو أخذ منها =

﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا ﴾ أي : ثالثة أو ثانية ، إذا كان عبداً ﴿ فَلَا يَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ﴾<sup>(١)</sup> ثم يطؤها ذلك الزوج ، ثم تنقضي عدتها ، ثم يعقد عليها الزوج الأول ، فتحل حينئذ . ﴿ فَلَمَّا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ ﴾ أي : إذا قاربن بلوغ أجلهن ، أما إذا بلغن الأجل فليس له عليها إمساك بغير رضاها . وكان الرجل يطلق المرأة فيصبر حتى إذا أشرفت على انقضاء العدة راجعها ، ثم يطلقها ، فتشعر في عدة ثانية ، حتى إذا قاربت فراغها راجعها ، ثم يفعل في الثالثة كذلك ضرارا ، فنهى الله عن ذلك وقال : ﴿ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضَرَارًا لِنَعْتِدُوا ﴾ .

أصل العضل : احتباس البيضة في الدجاجة ، فلا تخرج ، فشبه به كل أمر فظيع ، وكل مرض تعسر معالجته .

وقوله : ﴿ أَنْ يَنْكِحَنَّ أَزْوَاجَهُنَّ ﴾ يريد : نهى الولي عن أن يمنع المرأة من الرجوع إلى زوجها ، وطلب عودها إلى العصمة . ويحكى : « أن معقل بن يسار زوج أخته من زوج فتركها الزوج حتى انقضت عدتها فجاء يخطبها من أخيها ، فقال له أخوها معقل : أفرشتك أنكحتك ففارقتها ، ولم تراجعها حتى انقضت العدة ثم جئت تخطبها ، لا أعيدها إليك فنزلت الآية<sup>(١)</sup> » .

وقيل : أزواجهن تسمية للشيء بما يؤول إليه أي : لا تمنعوهن من التزويج بأي رجل كان كفواً ويكون « أزواجهن » مجازاً .

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارُّ وَالِدَةُ الْوَالِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا بَيْنَ يَدَيْكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَالْقَوْلُ اللَّهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٦٤﴾ وَالَّذِينَ يُتَوَقَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ

= شيئاً وهو مضار لها وجب رده إليها وكان الطلاق رجعياً . قال مالك : وهو الأمر الذي أدركت الناس عليه .  
 وذهب الشافعي - رحمه الله - إلى أنه يجوز الخلع في حال الشقاق وعند الاتفاق بطريق الأولى والأحرى وهذا قول جميع أصحابه قاطبة . ينظر تفصيل ذلك في : الأم للشافعي ( ١٦٤ / ٥ ) ، بدائع الصنائع للكاساني ( ١٤٩ / ٣ ) ،  
 بداية المجتهد لابن رشد ( ٧٨١ / ١ ) ، المغني لابن قدامة ( ١٧٧ / ٨ ) .

(١) رواه البخاري رقم ( ٤٥٢٩ ) ، والترمذي رقم ( ٢٩٨١ ) .



وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣١﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِيمٌ اللَّهُ أَنْتُمْ سَتَدْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ، وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٢﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرَهُ وَعَلَى الْمَقْتَرِ قَدْرَهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٣﴾

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ﴾ خبر معناه الأمر ، قال بعضهم : إن كان الحمل تسعة أشهر فترضع واحداً وعشرين شهراً عملاً بقوله : ﴿وَحَمْلُهُ، وَفِصْلُهُ، ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥] وإن كان الحمل ستة أشهر فترضع أربعة وعشرين شهراً . وقيل: الآية على عمومها سواء طال مدة الحمل أو قصرت . والمولود له: هو الأب ﴿رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ أي: الوالدات المستمات على الزوجية . وقيل: المطلقات . وقيل: الأمهات . (١٦/ب) .

﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا﴾ قيل: معناه لا تضارر ﴿وَالِدَةٌ﴾ فاعل ﴿وَلَا﴾ يضار أب ﴿مَوْلُودٌ لَهُ﴾ بأن يريد قلعه منها وقد ألف ثديها . وقيل : معناه لا تضارر «ووالدة» مفعول لم يسم فاعله . أي : لا ينتزع الولد منها كرها وهي راغبة في رضاعته بأجرة مثله ولا يضارر الأب أيضاً . وقوله : ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾ قيل: المراد : وعلى الباقي من الأبوين . وقيل : وعلى العصابة الوارثين إرضاعه، كما لهم ميراثه لو مات وله مال . وقيل: وعلى الوارث مطلقاً عصابة كان أو غير عصابة . ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ من غير ضرر يلحق الولد ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِعُوا﴾ الولد أي : لأولادكم ﴿إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا﴾ قررتم من الأجرة ، وليس التسليم شرطاً فلو قرر لها في ذمته شيئاً ورضيت به جاز .

أي : وأزواج ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ﴾ ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ فإذا انقضت العدة فلها أن تتصرف بالخروج من المنزل وترك الإحداد . والتصريح بخطبة المعتدة حرام . وأما التعريض كقوله : رب راغب فيك ، مثلك ما تبقى بغير زوج ، ولعل الله أن ييسر لي تزويجاً - فهو جائز في عدة الوفاة ؛ إذ لا زوج يتأذى بالخطبة ، وهو حرام في الرجعية وفي البائن قولان للشافعي<sup>(١)</sup> . ﴿لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ أي: نكاحاً ؛ كقول الشاعر [ من الطويل ] :

(١) ينظر في ذلك: الأم للشافعي (٥/١٩٠) ، بدائع الصنائع (٣/٣٢٢) ، المبسوط للسرخسي (٧/٦١٨) ، المغني لابن قدامة (٧/٥٢٤) .

ألا زعمت بسباسة القوم أنبي كبرت وأن لا يحسن السر أمثالي<sup>(١)</sup>

وقيل : لا تساروها . ﴿ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ﴾ أي : حتى تنقضي العدة . ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾ أي : لا تبعة ولا مطالبة بمهر ﴿ إِنْ طَلَّقْتُمْ ﴾ قبل المسيس والفرض ، بل الواجب المتعة ﴿ عَلَى التَّوَسُّعِ قَدْرُهُ ﴾ وظاهر هذه الآية اعتبار حال الزوج في قدر المتعة .

وقيل : تعتبر المتعة بحال المرأة قياسا على المهر ، والأول أشبه بنص القرآن .

﴿ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٢٢٧) حَفِظُوا عَلَى الصُّلُوحَاتِ وَالصُّلُوحَاتِ الْوَسْطَى وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَنِينِ ﴿ ٢٢٨ ﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فِرْجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿ ٢٢٩ ﴾

﴿ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ﴾ وهو الزوج . وقيل : الولي<sup>(٢)</sup> . ﴿ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ يقال : إن الذي بيده العقد هو الولي ؛ لأنه لم يقل أحد أنه يستحب للولي العفو ، وإنما الكلام في الجواز . ﴿ وَالصُّلُوحَاتِ الْوَسْطَى ﴾ يعني : الفضلى من قوله تعالى : ( ١٧ / أ ) ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴾ [ القلم : ٢٨ ] أي : أعد لهم ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [ البقرة : ١٤٣ ]

(١) البيت لامرئ القيس ، ينظر في : جهرة اللغة لابن دريد ( ص : ١٢١ ) ، ديوان امرئ القيس ( ص : ٢٨ ) ، غريب

الحديث لابن سلام ( ١ / ٢٣٨ ) وفيه الشطر الأول : ألا زعمت بسباسة اليوم أنبي .....

وفي لسان العرب (ها) يروى الشطر الثاني : كبرت وأن لا يحسن اللهو أمثالي

وسباسة : اسم المرأة . والسر هنا الجماع .

(٢) الجديد من قولي الشافعي ومذهب أبي حنيفة وأصحابه والثوري وابن شبرمة والأوزاعي واختاره ابن

جرير أن الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج ، وماخذ هذا القول : أن الزوج بيده عقدها وإبرامها

ونقضها وانهدامها وكما أنه لا يجوز للولي أن يهب شيئا من مال المولية للغير فكذلك في الصداق .

والوجه الثاني وهو مذهب مالك وقول الشافعي في القديم ويروى عن الحسن وعطاء وطاوس والزهري

وربيعة وزيد بن أسلم وإبراهيم النخعي وعكرمة في أحد قوليه ومحمد بن سيرين في أحد قوليه أنه الولي ،

وماخذه : أن الولي هو الذي أكسبها إياه فله التصرف فيه بخلاف سائر مالها . تنظر في : الأم للشافعي

( ٥ / ١٠٩ ) ، بدائع الصنائع للكاساني ( ٢ / ٥٧٩ ) ، بداية المجتهد لابن رشد ( ١ / ٦٩١ ) ، المغني لابن

قدامة ( ٨ / ٧٠ ) .

أي : خيارا ؛ ولأن الأطراف تعترتها الجوائح والخلل ، والوسط محمى ، قال الشاعر يصف عمورية<sup>(١)</sup> [ من البسيط ] :

كانت هي الوَسَطُ المَحْمِيُّ فَاكْتَفَتْ بِهَا الحِوَادِثُ حَتَّى أَصْبَحَتْ طَرْفًا<sup>(٢)</sup>

وهي صلاة العصر . وقيل : الصبح . وقيل : المغرب . وقيل العشاء . وقيل : صلاة الجمعة . وقيل : أبهمها الله ؛ ليواظب الناس على الكل فتحصل لهم الوسطى قطعاً كما أبهم ساعة الجمعة ، وأبهم الولي من أوليائه في جملة خلقه .

القنوت : طول القيام . وقيل : السكوت في الصلاة . ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ ﴾ فصلوا رجلاً ﴿ أَوْ رُكْبَانًا ﴾ وهذه صلاة المسابقة<sup>(٣)</sup> وهي أشد أحوال صلاة الخوف ويصلون مستقبلي القبلة ، وغير مستقبليها .

﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم ﴾ لأجل أنه علمكم ؛ كقوله : ﴿ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٤] .

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾

﴿ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾ هذه منسوخة بالآية السابقة . والآية السابقة وإن كانت

(١) عمورية - بفتح أوله وتشديد ثانيه : بلد في بلاد الروم فتحها المعتصم ، قيل : سميت بعمورية بنت الروم ابن اليفز بن سام بن نوح عليه السلام وقد ذكرها أبو تمام فقال :  
يا يوم وقعة عمورية انصرفت عنك المنى حفلا معسولة الحلب .

ينظر : معجم البلدان لياقوت الحموي ( ٤ / ١٥٨ ) .

(٢) البيت لأبي تمام ، ينظر في : فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ( ٢ / ١٨٨ ) ط . المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ١٣٥٦ هـ ، الكشاف للزمخشري ( ١ / ١٩٨ ) .

(٣) أورد الهيثمي في مجمع الزوائد ( ٢ / ١٩٦ ) عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : صلاة المسابقة ركعة أي وجه كان الرجل يجزئ عنه أحسبه قال : فعل ذلك لمن بعده . وقال الهيثمي : رواه البزار وفيه محمد بن عبد الرحمن بن البيهقي وهو ضعيف جداً .

سابقة في التلاوة فهي متأخرة في التنزيل . وقيل : لا نسخ ، بل المتوفى عنها زوجها إن اختارت المقام في بيتها سنة لم يجز إخراجها للولي ، ولا للورثة ، إلا إذا شاءت . وإن شاءت مفارقة المنزل بعد أربعة أشهر وعشر جاز لها ذلك .

﴿وَلَمَّا طَلَّقَتْ مَتْعًا﴾ المطلقات ثلاثة أنواع :

الأولى : مطلقة قبل الفرض والميسر ، فلا مهر لها ، ولها المتعة .

الثانية : مطلقة بعد الفرض وقبل الميسر ، فلها نصف المهر دون المتعة .

الثالثة : المطلقة بعد الفرض والميسر ، ففيها قولان للشافعي وظاهر القرآن وجوبها ،

لقوله ها هنا: ﴿وَلَمَّا طَلَّقَتْ مَتْعًا﴾ (١) .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصِطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلِإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ آتِنَا مِنْ مَالِكِنَا نَقْتُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾

(١) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢٩٨/١): استدل بهذه الآية من ذهب من العلماء إلى وجوب المتعة

لكل مطلقة سواء كانت مفوضة أو مفروضا لها أو مطلقة قبل الميسر أو مدخولا بها وهو قول عن

الشافعي - رحمه الله - وإليه ذهب سعيد بن جبير وغيره من السلف واختاره ابن جرير ومن لم يوجبها

مطلقا يخصص من هذا العموم مفهوم قوله - تعالى : ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ

أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى التُّوسِيعِ قَدْرَهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرَهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾

وأجاب الأولون بأن هذا من باب ذكر بعض أفراد العموم فلا تخصيص على المشهور المنصور .

وتنظر المسألة في: الاستذكار لابن عبد البر (١٢٠ / ٦) ، بدائع الصنائع للكاساني (٥٩٩ / ٢) ، السيل الجرار

للشوكاني (٢٨٣ / ٢) ط . دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ - تحقيق : محمود إبراهيم زايد ، المبسوط

للسرخسي (١٩ / ٥) .

﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ معناه : أعجب ﴿ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ ﴾ جمع ألف من العدد أي : أكثر من عشرة آلاف . وقيل : الألوف : جمع إلف ، أي : قلوبهم مجتمعة على تحسين ما فعلوه . ﴿ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ فروا من الطاعون . وقيل : من القتال . والآية التي قبل هذه ، والتي بعدها تدلان على أن الفرار من القتال ، فأماتهم الله إماتة رجل واحد ، فكأنه قيل لهم : موتوا . فماتوا ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ ﴾ بإحيائهم بعد موتهم . أو على الناس الذين رأوهم ؛ ليعتبروا . شبه الله ما يعطى صدقة بالقرض وأنه يعطيه ؛ ليأخذ بدله (١٧/ب) في الآخرة ، والقرض الحسن : أن يكون حلالا طيبا ، ولا يقبل الله إلا الطيب ، وأن يكون في زمن الجوع والقحط وأمام قضاء الحاجات ، وأن يخص به اليتيم والقريب والأحوج وأن لا يتبعها مئنا ولا أذى . ﴿ أَوْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ سبعمائة ضعف .

﴿ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [البقرة : ٢٦١] زيادة على ذلك ؛ لقول النبي ﷺ في الصدقة : «إنها تقع في يد الرب قبل أن تقع في يد العبد ، فيريها كما يربي أحدكم فلوه - أو فصيله - حتى تكون مثل جبل أحد»<sup>(١)</sup> . وجبل أحد أكبر من قدر صدقته بسبعين ألفا ، أو بسبعمائة ألف ضعف . ﴿ وَاللَّهُ يَقْبِضُ ﴾ الرزق ويبسطه ، ويقبض القلوب ويبسطها ، ويقبض كل ما شاء أن يقبضه ، ويبسط كل ما شاء أن يبسطه ، وإلى دار جزائه يرجعون الملا الأشراف ؛ سموا بذلك لأنهم يملؤون القلوب مهابة ، والعيون جمالا .

وقيل : لأنه يمالئ بعضهم بعضا ، أي : يعاونه . وقيل : هو من الملاة ، أي : هم مليئون بما يراد منهم من الجاه والمال .

﴿ لَنَبِيٍّ لَهُمُ ﴾ هو أشمويل . ﴿ وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَايَنَا ﴾ كانت العمالقة قد غلبت على بني إسرائيل ، وسبوا نساءهم وأولادهم ، وأخذوا منهم التابوت ، وكان فيه عصا موسى ، وعمامة هارون ، وشيء من رصاص الألواح ، وقفيز من المن<sup>(٢)</sup> . وكانوا يقدمون التابوت ويقاتلون من ورائه فينصرون ، فلما أخذته العمالقة وضعوه في بلد فأصاب أهله

(١) رواه البخاري رقم (١٤١٠) ، ومسلم رقم (١٠١٤) بنحوه .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢ / ٦١٣) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١ / ٧٥٨) ورضاض الشيء : فئاته وكل شيء كسرتة فقد رضرسته ، والقفيز : مكيال يتواضع الناس عليه وهو عند أهل العراق ثمانية مكايك ، والمن : ظل ينزل من السماء وقيل : هو شبه العسل كان ينزل على بني إسرائيل وقيل : هو شيء كان يسقط على الشجر حلو يشرب . ينظر : لسان العرب (منز) ، النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٤ / ٩٠) .

الناصور<sup>(١)</sup> ثم إلى أخرى فأصابهم ذلك ، فاجتمع رأيهم على إعادة التابوت ، فقيل : جاءت الملائكة يحملونه من السماء والأرض . وقيل : وضعوه على عجلة وشدوها بشورين ، وضربوها متوجهين إلى بني إسرائيل .

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ، مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾<sup>(٢٤٧)</sup> وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آءَالُ مُوسَىٰ وَآءَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلِّقُوا اللَّهَ كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةً غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةً يَا ذنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبِّنَا أَمْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ يَا ذنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾ فأنكروا ذلك ؛ لأنه لم يكن من سبط المملكة ، وكان فقيرا أضاع حماره ، فخرج في طلبه ، فمر بدار أشمويل ، فدخل عليه يسأله الدعاء ، وكان الله قد أوحى إليه : إذا جاءك من طول هذه العصا ، ونشء الدهن الذي في القرن الذي عندك فذاك هو الملك ، فلما دخل طالوت نشء الدهن ، فقام النبي أشمويل وقاسه بالعصا ، فكانت طوله ، فقال : أنت الملك<sup>(٢)</sup> . وقوله : ﴿ فِي الْعِلْمِ ﴾ أي :

(١) الناصور - بالسن والصاد جميعا : علة تحدث في سآقي العين يسقي فلا ينقطع ، وقد يحدث أيضا في حوالي المقعدة وفي اللثة وهو معرب . ينظر : لسان العرب (نسر) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢ / ٦٠١ ، ٦٠٢) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١ / ٧٥٢ ، ٧٥١) ونشء الدهن والماء والخمر نشأ ونشيشا : سمع له صوت على المقلبي أو في القدر ونشيش اللحم : صوته إذا غلي والقدر =

بالحروب وتدابيرها. وقيل: بل (أ/١٨) كان عالماً بأمر الشريعة . ﴿التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ﴾ أي: سكون وطمأنينة أن النصر يحصل بتقدم التابوت ، بدليل قوله : ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ٤] .

ابتلى الله - تعالى - أصحاب طالوت بتحريم شرب ماء نهر مع شدة عطشهم ، ولم يسمح لأحد منهم إلا باغتراف غرفة بيده ، فلم يطعه إلا قليل منهم ، وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر عدة أصحاب بدر.

﴿يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا اللَّهَ﴾ أي : يعلمون . ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بالنصر والعون . ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ دَجَالُوتَ﴾ وأتى الله داود ﴿الْمَلِكِ وَالْحَكَمَةَ﴾ . ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ لاستولى الكفار على بلاد المسلمين ، ودثرت<sup>(١)</sup> كلمة الحق .

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتَلُوها عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿٢٥٢﴾ ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ ائْتَلَفُوا قَمِيئَهُمْ مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ ﴿٢٥٣﴾ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفِيعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٢٥٤﴾ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ﴿٢٥٥﴾

﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى ما سبق ذكره ، إما في هذه السورة ، وهم موسى وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وداود ، وإما في سائر ما سبق نزوله من القرآن .

= تنش : إذا أخذت تغلي . ونش الماء : إذا صببته من صاخرة طال عهدها بالماء والنشيش : صوت الماء وغيره إذا غلي . والقرن - بالتحريك : الجعبة من جلود تكون مشقوقة ثم تحرز وإنما تشق لتصل الريح إلى الريش فلا يفسد . ينظر : لسان العرب (نشش ، قرن) .

(١) الدثور : الدروس وقد دثر الرسم وتداثر ودثر الشيء يدثر دثورا واندثر : قدم ودرس . لسان العرب (دثر) .

﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ يريد به : النبي ﷺ فذكره بالكناية دون التصريح باسمه ؛ لأنه العلم المشهور الذي لا يلتبس ، وهو المفضل بالدرجات حتى عدت معجزاته وآياته ألفاً . وفي تأييد عيسى بروح القدس وجهان : أحدهما : أنه روح عيسى الطاهرة . والثاني : أنه جبريل وكل بحفظه .

﴿الْحَيُّ﴾ الواجب الحياة ﴿الْقَيُّومُ﴾ القائم بمصالح كل شيء ، والسنة : النعاس ؛ قال الشاعر [ من الكامل ] :

وَسُنَانُ أَرْضِ نَعَّاسٍ فَرَنْقَتُ فِي عَيْنِهِ سِنَّةٌ وَلَيْسَ يَنَامُ<sup>(١)</sup>

وقدم السنة على النوم ، وهو عكس الترقى ؛ كقوله : ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ﴾ أي : لا تسلبه صحة النظر السنة ، ولا أقوى منها ، وهو النوم . وهذا ترقى صحيح وهذا مكمل لقيوميته ، كما جاء في الحديث : «إن الله لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام»<sup>(٢)</sup> .

ولا يتجاسر أحد على الشفاعة عنده إلا بالإذن . يعلم ما سبق من أمور خلقه ، وما يأتي ، ولا يعلمون من معلوماته ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ أن يعلمهم إياه . ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾ أي : ملكه ، وقيل : علمه ، مأخوذ من كرسي الملك ، والعالم . وقيل : الكرسي مخلوق ، ليس بعد العرش أعظم منه والسموات والأرض بالنسبة إليه كحلقة في فلاة<sup>(٣)</sup> . ﴿وَلَا يَتَّوَدُّهُ﴾ أي : ولا يثقله القيام بمصالح كل ذلك . وفي آية الكرسي ستة عشر اسماً ، ما بين ظاهر

(١) البيت لعدي بن الرقاع ، ينظر في : تاج العروس (نعس) ، تهذيب اللغة للأزهري (نعس) ، الكشاف للزخشي (١ / ٣٠٠) ، جهرة اللغة (ص : ٨٦٣) ، ديوان عدي بن الرقاع (ص : ١٠٠) ، لسان العرب (نعس) وأقصده النعاس : أصابه . ورنقت : كدرت .

(٢) رواه مسلم رقم (١٧٩) ، وأحمد في المسند (٤ / ٣٩٥) ، وابن ماجه رقم (١٩٠) عن أبي موسى الأشعري .

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٣ / ١٠) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢ / ١٧) ونسبه لأبي الشيخ في العظمة وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي ذر أنه سأل النبي ﷺ عن الكرسي ، فقال : «يا أبا ذر ما السماوات السبع والأرضون السبع عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة» . وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (١ / ٢٢٣) رقم (١٠٩) وقال : لا يصح في صفة الكرسي غير هذا الحديث وأنه أعظم المخلوقات بعد العرش وأنه جرم قائم بنفسه وليس شيئاً معنوياً .



## تفسير سورة البقرة

ومضمراً (ب/١٨) والسابع عشر خفي، فزعم بعضهم أنها أحد وعشرون اسماً، وهو غلط<sup>(١)</sup>. وفضلت آية الكرسي على غيرها؛ لأنها مقصورة على أوصاف الإله سبحانه.

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾

وفي الحديث الصحيح: «إذا ذهبت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي؛ فإنه لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح»<sup>(٢)</sup>. وسأل النبي ﷺ أبي بن كعب عن أعظم آية في القرآن فقال: آية الكرسي، فضرب بيده إلى صدره، وقال: «ليهنك العلم يا أبا المنذر»<sup>(٣)</sup>.

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ قيل: نسخت بآية السيف<sup>(٤)</sup>. وقيل: لا يتصور الإكراه على العقائد، فإنها باطنة لا يطلع عليها. والطاغوت: كل معبود سوى الله - تعالى - وجاء تذكيره وتأنيشه وجمعه وإفراده. فتأنيشه: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا﴾ [الزمر: ١٧]

(١) قال العز بن عبد السلام في كتاب الفوائد: فائدة: قيل: سبب شرف آية الكرسي وكونها سيدة أي القرآن أنها تضمنت واحداً وعشرين اسماً لله. وهي: الله وهو والحي والقيوم والضميران فيهما لأنهما صفتان يتحملان الضمير، والهاء في لا تأخذه سنة: والهاء في «له» والهاء في «عنده» والهاء في «بإذنه» والضمير في «يعلم» والهاء في «علمه» والضمير والهاء في «كرسيه» والهاء في «يؤوده» والهاء في «حفظهما»؛ لأن الناس اختلفوا في أن المصدر كالفعل أم لا؟ فهذا على أحد القولين وليس المشهور. و«هو» و«العلي العظيم» وضميراهما. ينظر: الفوائد للعز بن عبد السلام (ص: ٢٣٠).

(٢) رواه البخاري رقم (٣٠٣٣)، والترمذي رقم (٢٨٠٥) وفيه قصة عن أبي هريرة ؓ قال: وكلفني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ فذكر الحديث فقال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فقال النبي ﷺ: «صدقك وهو كذوب ذلك شيطان».

(٣) رواه مسلم رقم (٨١٠)، وأبو داود رقم (١٤٦٠).

(٤) هي الآية (٢٩) من سورة التوبة، قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدِهِمْ وَصَغُرُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

وتذكيره : ﴿يَوْمُنُونَ بِالْحَبْتِ وَالطَّغُوتِ﴾ [النساء: ٥١] وجمعه كقوله : ﴿أُولِيَآؤُهُمْ  
الطَّغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ﴾ وإفراده في الآيتين السابقتين ، وهو مأخوذ من الطغيان ، وهو  
مجازة الحد ومنه : ﴿إِنَّا لَمَاطِعَا الْمَاءِ﴾ [الحاقة: ١١] ﴿فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة: ٥] وهي  
الصيحة التي تجاوزت الحد . ﴿يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ﴾ ولم يكن لهم نور حتى يخرجوا منه ،  
لكنهم لما تمكنوا منه صار كالخارج من أيديهم . وهو كقوله : ﴿أَشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾  
[البقرة: ١٦] ولم يكن معهم هدى ، لكن كانوا متمكنين منه ، وجمع الظلمات ، وأفرد النور ؛  
لأن طرق الضلال متعددة ، وطريق الحق واحدة .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي  
يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ  
الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ  
عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ  
لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ  
وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ  
نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾

﴿أَنَّ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ فجعل نعمة الله عليه سببا في المجادلة في آياته . ولما احتج عليه  
إبراهيم بعجزه عن الإحياء والإماتة ، أحضر من وجب عليه القتل فعفا عنه ، وبريئا فقتله  
وهو جواب فاسد ؛ لأن قتل المستحق ليس بإحياء . انتقل إبراهيم في تعجيزه إلى ما لا  
يستطيع المكابرة فيه ، وهو الآيات السماوية ، وليس ذلك بانقطاع من إبراهيم ، ولكنه انتقال  
من مثال الإحياء ، إلى مثال التصرف في الشمس ، والحجة بالتعجيز باقية .

أو هل رأيت ﴿كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ وهي قرية بجبل بيت المقدس ، تسمى قرية العنب ،  
وهي خاوية على عروشها . أي : سقطت عروشها أولا ، ثم سقطت الجدران فوق العروش  
قيل : كان المار كافرا لقوله : ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ دل على  
أنه قبل ذلك لم يكن عالما بقدرة الله . وقيل : لم يكن كافرا ، وهو المشهور <sup>(١)</sup> .

(١) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ( ١ / ٣١٥ ) : «اختلفوا في هذا المار من هو ، فروي عن علي بن أبي طالب أنه  
قال : هو عزيز ، وهذا القول هو المشهور وقال وهب بن منبه وعبد الله بن عبيد : هو إرميا بن حلقيا ، وعن =

قيل: أحياء الله ( ١٩/أ ) في آخر النهار ، وكان قد قبض روحه في أول النهار ، فلما قال : ﴿لَبِثْتُ يَوْمًا﴾ التفت فرأى الشمس لم تغرب فقال : ﴿أَوْبَعَضَ يَوْمٍ﴾ .

قيل : قاله وعنده تردد هل هو يوم أو بعض يوم ، كما قال أهل الكهف : ﴿لَيْثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [الكهف: ١٩] وأصل السنة : سنة ، أو نسيئة ، فيه قولان . فإذا قلت : عامته مساناة ، جاء فيه مسانهة ، ومساناة جاء على الوجهين . ﴿وَلِنَجْعَلَكَ﴾ معطوف على علة محذوفة ، أي : جعلنا ذلك لهدايتك ولنجعلك . وقيل: التقدير: وفعلنا ذلك لنجعلك . وقيل : ولنجعلك فعلنا ذلك . وأمثلة هذه الآية في القرآن كثيرة . من قرأ «اعلم» على الأمر<sup>(١)</sup> فقد خاطب المار بذلك رفيقا معه ، جادله في القدرة على إحياء الموتى .

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَٰئِمُتُؤَمِّنُونَ قَالِ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبُكَ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا وَاعْلَمَنَّ أَنَّهُ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَىٰ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطَلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَكَانَتْ أَكْطَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيُّدٌ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ

=وهب بن منبه أنه قال : هو اسم الخضر عليه السلام ، وذكر أقوالا أخرى ، ثم قال : وأما القرية فالمشهور أنها بيت المقدس مر عليها بعد تخريب بختصر لها وقتل أهلها ... ولما تبين له هذا كله قال : أعلم أن الله على كل شيء قدير أي : أنا عالم بهذا وقد رأيت عيانا فأنا أعلم أهل زمانى بذلك» .

(١) قرأ بذلك على الأمر حمزة والكسائي ، وقرأ الباقر « أعلم » على المضارع . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٢ / ٢٩٦ ) ، الحجة لابن خالويه (ص: ١٠٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (١/٦٢٩) ، السبعة لابن مجاهد (ص: ١٨٩) ، الكشاف للزمخشري (١/٣١٢) ، النشر لابن الجزري (٢/٢٣١) .

الْثَمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبْرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٣٣﴾

سأل إبراهيم أن يريه الله إحياء الموتى لتنضم إلى الدلائل العقلية المشاهدة . وقيل : وعده الله بأن يتخذه خليلاً ، فقال : متى يا رب ؟ فقال : إذا أحييت الموتى بدعائك ، فسأله أن يريه إحياء الموتى ؛ ليتحقق حصول الخلة ﴿فَصُرُّهُنَّ﴾ أي : اجمعهن ، وأراد بذلك أن يتحقق نظره في الطيور ، حتى إذا فرق لحمها على الجبال أحيها الله وجاءت تسعى ، ولا يرتاب أنها هي ، ولا يظن أنها طيور غيرها التبست ؛ لأنه قد شاهدها من قبل ، ولذلك قال : ﴿يَأْتِيَنَّكَ سَعِيًّا﴾ ولم يصفها بالطيران ؛ لئلا يظن أنها طيور أخر جاءت من الجو . ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ﴾ كمثل زارع حبة أو مثل نفقة الذين ينفقون ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ «وجاء رجل إلى النبي ﷺ بناقة مخطومة فقال: يا رسول الله هذه في سبيل الله، فقال النبي ﷺ: «لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعُمِائَةِ نَاقَةٍ مَخْطُومَةٍ»<sup>(١)</sup> .

اعلم أن العبادات بعد الفراغ منها لا تقبل البطلان عند كثير من الفقهاء إلا فيما يستدام حكمه كالوضوء ، وهذه الآيات تدل على قبولها للبطلان بالمن والأذى بعد صحتها وقبولها . وقاس الإبطال الطارئ على المقارن ، فإن المقارن يبطل قولاً واحداً ، وهو الرياء ، فقال : ﴿لَا يُبْطَلُوا صِدْقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ الطارئ على الرياء المقارن ، ثم ضرب لهما مثلين . ضرب للمقارن مثل صخرة صماء لا يثبت فوقها تراب ينبت فأصابها مطر كثير وهو الوابل ، ففرق التراب عن ظاهرها فلم يثبت مع أن المطر والتراب كانا صالحين (١٩/ب) للإنبات . ومثل للطارئ برجل له ﴿جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ فوصفها بالكمال ووصف صاحبها بأنه أدركه الكبر ، وعجز عن إنشاء مثلها ﴿وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ﴾ عاجزون عن إنشاء مثلها ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ﴾ وهي الريح المستديرة على نفسها وتسميها العامة «زوبعة»<sup>(٢)</sup> ﴿فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ ثم قال : ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ أي : في مطابقة المثليين إلى ما مثل بهما ، وقل من يدرك هذه المطابقة .

(١) رواه مسلم رقم (١٨٩٢) ، والنسائي في سننه (٤٩ / ٦) عن أبي مسعود الأنصاري ﷺ .

(٢) الزوبعة : ريح تدور في الأرض لا تقصد وجهها واحدا تحمل الغبار وترتفع إلى السماء كأنه عمود ، وصبيان الأعراب يكونون الإعصار أبا زوبعة يقال : فيه شيطان مارد ، زوبعة اسم شيطان مارد أو رئيس من رؤساء الجن ومنه سمي الإعصار زوبعة . ينظر : لسان العرب (زيع) .

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾  
 الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾ وَمَا أَنفَقْتُمْ مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِّنْ أَنْصَارٍ ﴿٢٧٠﴾

﴿ أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ إن أريد به الفرض وحده دخلت فيه زكاة التجارة ﴿ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ﴾ يدخل فيه زكاة الحبوب والمعادن والركاز<sup>(١)</sup>.

﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا ﴾ أي : ولا تقصدوا ﴿ الْخَبِيثَ ﴾ ولو كان لك دين على رجل ، فقال لك : هذا مال حلال ، وهذا مال حرام ، فخذ حقلك من أيهما شئت ما كنت تأخذ الحرام وتختاره على الحلال إلا بإغماض<sup>(٢)</sup> ومسامحة ، فكيف تتقرب إلى الله بالصدقة بالحرام ﴿ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ ﴾ ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ ﴾ ويخوفكم أن تبذلوا أموالكم في الصدقة ﴿ وَيَأْمُرُكُم ﴾ بالخصلة الفحشاء، وهي البخل ويسمى البخيل فاحشا ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ [العاديات: ٨] قال طرفة [ من الطويل ]

أرى الموتَ يعتامُ الكريمَ ويصطفي عقيلةَ مالِ الفاحشِ المتشدد<sup>(٣)</sup>

(١) الركاز: قطع ذهب وفضة تخرج من الأرض أو المعدن . قال أبو عبيد بن سلام : اختلف أهل الحجاز والعراق فقال أهل العراق في الركاز: المعادن كلها فما استخراج منها من شيء فلمستخرجه أربعة أخماسه وليت المال الخمس قالوا: وكذلك المال العادي يوجد مدفونا هو مثل المعدن سواء ، قالوا : وإنما أصل الركاز: المعدن والمال العادي الذي قد ملكه الناس مشبه بالمعدن . وقال أهل الحجاز : إنما الركاز كنوز الجاهلية وقيل : هو المال المدفون خاصة مما كتبه بنو آدم قبل الإسلام ، فأما المعادن فليست بركاز وإنما فيها مثل ما في أموال المسلمين .

ينظر: غريب الحديث لابن سلام (١/ ٢٨٤) ، لسان العرب (ركز) .

(٢) الإغماض: المسامحة والمساهلة وغمضت عن فلان : إذا تساهلت عليه في بيع أو شراء .

ينظر : لسان العرب (غمض) .

(٣) ينظر البيت في : روح المعاني للألوسي (٤ / ٦٠) ، الشعر والشعراء لابن قتيبة (١٧٢) ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي (ص: ١٥٤٥) ، غريب الحديث لابن قتيبة (٢/ ٤٢) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٧٨٨) ، لسان العرب (شدد) .

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ ﴾ أي : السنة ؛ لقوله : ﴿ وَأَذْكُرْتُمَا يَتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ﴾ [الأحزاب: ٣٤] ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ [آل عمران: ١٦٤] وقيل : الحكمة : العلم والعمل به . الألباب : العقول ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ﴾ أي : يجازي عليه . وذكر الوفاء بالنذر كما قال : ﴿ يُؤْفُونَ بِالنَّذْرِ ﴾ [الإنسان: ٧] ولم يقل : ينذرون ، فلا يوصف النذر بأنه مستحب ، ففيه إساءة أدب يقول : إن شفى الله مريضى فله علي دينار ، فكأنه يقول : وإن لم يشف مريضى فلا أعطي شيئاً . وإذا جاء جواب الشرط بالفاء ، وبعده جملة اسمية وعطف عليها بفعل مضارع جاز في الفعل المضارع الجزم عطفا على موضع الفاء ، والرفع عطفا على ما بعد الفاء ؛ لأنه مستحق الرفع <sup>(١)</sup> ؛ كقوله : ﴿ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ ﴾ وجاء في هذه الآية الوجهان : ﴿ وَإِنْ تُخَفُّوْهَا وَتُؤْتُوْهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيَكْفُرُ ﴾ «ويكفر» قرأ بهما في السبعة <sup>(٢)</sup> (١/٢٠) .

وكذلك قوله : ﴿ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَكَأَيِّ لَهْدٍ لَّهُ وَيَذَرُهُمْ ﴾ «ويذرهم» قرئ بهما <sup>(٣)</sup> .

﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۗ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُوا إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ﴾

(١) قال ابن مالك في شرح الكافية الشافية (٢ / ١٥٩) : إذا أخذت أداة الشرط جوابها ، وذكر بعده مضارع بعد فاء أو واو جاز جزمه عطفا على الجواب ، ورفع على الاستئناف ، ونصبه على إضمار «أن» . وينظر : الكتاب لسيبويه (٣ / ٨٩ ، ٩٠) ، همع الهوامع للسيوطي (٢ / ١٣١٨ - ١٣١٩) .

(٢) قرأ نافع وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف «ونكفر» ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وشعبة ويعقوب «ونكفر» وقرأ الباقون «ويكفر» . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٢ / ٣٢٥) ، الحجة لابن خالويه (ص : ١٠٢) ، الدر المصون للسمين الحلبي (١ / ٦٥١) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ١٩١) ، الكشاف للزنجشيري (١ / ٣١٦) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٣٦) .

(٣) سورة الأعراف ، الآية (١٨٦) وقرأ أبو عمرو وعاصم ويعقوب ويذرهم بالرفع ، وقرأ حمزة والكسائي وخلف «ويذرهم» بالسكون ، وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وأبو جعفر «ونذرهم» بالجمع والرفع . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٤ / ٤٣٣) ، الحجة لابن خالويه (ص : ١٦٧) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٣٠٣) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٢٩٨) ، الكشاف للزنجشيري (٢ / ١٠٦) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٧٣) .

﴿ يُؤَفِّكُمُ الْيَقِينَ ﴾ أي : جزاؤه ﴿ أَحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ حسبهم العذر والفاقة عن الضرب في الأرض والسعي في المكاسب . ﴿ لَا يَسْتَلُونَ النَّاسَ بِالْحَقِّ ﴾ أي : لا سؤال فلا إلحاف كقوله [ من الطويل ] :

على لاحبٍ لا يهتدى بمناره ...<sup>(١)</sup>

وكقوله [ من السريع ] : ولا ترى الضب بها ينجح<sup>(٢)</sup>

أي : لا منار فلا هداية ، ولا ضب فلا انجحار . وقوله : ﴿ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ [يوسف: ٤٠] أي : لا وجود لها ، فلا نزول ، والأكثر خلاف هذا . ألحف في المسألة إذا أطالها وكررها .

﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْئِيلِ وَالْتَهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٢٧٤) الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٥) يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (٢٧٦) إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٧) يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (٢٧٩) وَإِن كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ

(١) هذا صدر بيت لامرئ القيس ، وعجزه : ..... إذا سافه العود الديافي جرجرا

ينظر في : أساس البلاغة للزمخشري ( سوف ) ، تاج العروس للزبيدي ( ديف ، سوف ) ، تهذيب اللغة للأزهري ( ٧٠ / ٥ ) ، ديوان امرئ القيس (ص: ٦٦) ، الكشاف للزمخشري ( ٣١٨ / ١ ) ، لسان العرب ( ديف -- سوف ) ، مقاييس اللغة لابن فارس ( ٣١٨ / ٢ ) أي : لا منار ولا اهتداء .

(٢) هذا عجز بيت لابن أحر ، وصدرة : لا تُفزع الأرب أهوالها .....

ينظر في : الإيضاح في علوم البلاغة (١/١٧٦) ، تاج العروس (فلت) ، روح المعاني للألوسي (٤/٨٨) ، الفائق للزمخشري (١/١٣) ، الكشاف للزمخشري (١/٤٢٦) والمعنى : لا تخيف الأرب أهوال تلك الصحراء ، أي : لا هول فيها حتى يفزعه ، ولا ترى الضب فيها يدخل جحره ، أي : لا ضب ولا انجحار .

إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

﴿بِالْبَيْتِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ ذكروا أنها أربعة أنواع . والحق أنها اثنان ؛ لأن المنفق سرًّا إما في ليل أو نهار ، والمنفق جهراً كذلك والمنفق ليلاً إما سرًّا أو جهراً ، والمنفق نهاراً كذلك ﴿لَا يَقُومُونَ﴾ من قبورهم إلا كقيام ﴿يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ سبب قولهم : ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ . فإن قيل : قياسه : إنما الربا مثل البيع .

قيل : ما أشبه شيئاً فقد أشبهه ذلك الشيء . ومنه قول مريم : ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران : ٣٦] وقوله : ﴿لَسَنُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [الأحزاب : ٣٢] وقوله : ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ [النحل ١٧] وقولهم : ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ قياس في معرض النص ، فكان باطلا .

لما حرم الله الربا قال قوم : لا ننشئ ربا ، لكننا نستخرج بقية ما استحققناه بمعاملة الربا فنزلت ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ <sup>(١)</sup> وقوله : ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بعد قوله : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بعث لهممهم ، وقد تقدم نظيره . ﴿يَحْرِبُ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ يعني : مخالفة . ويقال : إنه يقوم يوم القيامة كالمتهيب للحرب . ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ﴾ أي : وجد فالواجب نظره . وقيل : فنظرة إلى ميسرة أولى .

(١) رواه الطبري في تفسيره (٣ / ١٠٧) ، وذكره السيوطي في الدر المشور (٢ / ١٠٧) .



قيل: آخر ما نزل من القرآن :

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ الآية . فقال العلامة : «ضعوها على رأس ثمانين ومائتين من البقرة»<sup>(١)</sup> قال ابن عباس: أشهد أن السلم أحله الله في كتابه، وأنزل فيه أطول آية<sup>(٢)</sup> قوله: ﴿ فَأَكْتُوبُهُ ﴾ أمر إرشاد، قوله: ﴿ أَوْضَعِيهَا ﴾ يريد: ضعف العقل ﴿ فَلْيَمَلِكْ وَلِيَهُ ﴾ ويقبل إقرار الولي على الصبي فيما عامل الولي عليه ولا يشترط (٢٠/ب) في قبول شهادة رجل وامرأتين أن لا يوجد شاهدان . ﴿ فَتُذَكَّرُ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾ لأن النساء أقل ضبطاً وأقرب إلى النسيان . وقيل: فتذكر إحداهما الأخرى ، أي: تجعلها كالذكر .

﴿ وَلَا يَأْتِ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ﴾ للتحمل أو للأداء أو لهما . «أقسط ، وأقوم» : جاءا في أفعل التفضيل من فعل رباعي من أقسط الرجل : إذا عدل ، وذلك جائز: إذا كان الرباعي مزيداً فيه ؛ كقولهم : ما أعطاه للمائة وفعل التعجب وأفعل التفضيل سواء في ذلك ﴿ وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ ﴾ محتمل: ولا يضارر ، ولا يضارر، بكسر الراء الأولى وفتحها . ﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ كلام مستأنف ، لا تعلق له بقوله : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ ولو تعلق به لكان منصوباً .

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَنْ مَقْبُوضَةً فَإِنْ مِنْ بَعْضِكُمْ بَعْضًا فَلْيُوْدِ الَّذِي أَوْثَمِنَ أَمْنَتَهُ، وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ، وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿١٨٣﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوُهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٤﴾ أَمِنْ

(١) رواه الطبري في تفسيره (٣ / ١١٥) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢ / ١١٦) ونسبه للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس أنها آخر آية نزلت ، دون زيادة «ضعوها على رأس ثمانين ومائتين» . وذكر هذه الزيادة الفراء في معاني القرآن (١ / ١٨٣) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٣ / ١١٦) ، والطبراني في المعجم الكبير (١٢ / ٢٠٥) رقم (١٢٩٠٣) ، والحاكم في المستدرک على الصحيحين (٢ / ٣١٤) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢ / ١١٧) ونسبه للشافعي وعبد الرزاق وعبد بن حميد والبخاري وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم والبيهقي عن ابن عباس - رضي الله عنهما . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

الرَّسُولُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ، وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَيْكِهِ، وَكُتِبَ لَهُ، وَرُسُلِهِ، لَا تَفْرُقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ، وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ، عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لِطَائِفَةٍ لَنَا بِهِ، وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

ولا يشترط في الرهن كونه في السفر، ولا عدم الكاتب، بل جرى ذلك مجرى الغالب .

﴿وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ﴾ قيل : من كتمان الشهادة ؛ لأنها من أعمال

القلوب .

وقيل : شقت على الصحابة حين نزلت وقالوا : أنؤاخذ بما نحدث به أنفسنا [ فنسخ

ذلك ] بقوله : ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ <sup>(١)</sup> والوقف عند قوله : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ .

وقيل : الوقف على ﴿مِنْ رَبِّهِ﴾ والمؤمنون مبتدأ <sup>(٢)</sup> .

﴿لَا تَفْرُقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ بتكذيب بعض ، وتصديق بعض . ويقال في الخير :

كسبت ، وفي الشر : اكتسبت ؛ لأن المعاصي موافقة لشهوات النفس ، فعملها فيه أتم وأكثر

اجتهاداً . والافتعال أتم من الفعل . والإصر : الثقل مثله ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾

[الأعراف : ١٥٧] ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾ [آل عمران : ٨١] أي : عهدي ؛ لأن العهود

يثقل الوفاء بها .

\* \* \*

(١) رواه مسلم رقم (١٢٥) ، والترمذي رقم (٢٩٩٢) ، وابن حبان رقم (٥٠٦٩) ، والحاكم في المستدرک

(٢/٢٨٦) .

(٢) قال الأشموني في منار الهدى ( ص : ٦٨ ) : الوقف على «المؤمنون» تام ، وعلى «من ربه» حسن .

## سورة آل عمران [ مدنية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْم ١﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٣﴾ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤﴾

﴿الْم﴾ فيها الأقوال التي في الحروف التي في أوائل السور إلا كونها أسماء لله؛ فإنه يصير التقدير " الم الله " كذا قيل.

وذكر في القرآن ﴿نَزَلَ﴾؛ لنزوله منجما، وفي التوراة والإنجيل أنزل؛ لأن كل واحد منهما نزل جملة، والفرقان: مصدر فرق؛ لأنه يفرق بين الحق والباطل وهو من المصادر، كالغفران والرجحان.

العزير: الغالب ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٣] قال الشاعر [ من الوافر ] :

كان القلب ليلة قيل يُغْدَى      بليلى العامرية أو يبراح  
قطاة عزها شرك فباتت      تجاذبه وقد غلق الجناح  
فلا في الليل نالت ما تُرَجِّي      ولا في الصبح كان لها براح<sup>(١)</sup>

وفي البيت الثاني تنبيهان: أحدهما: أن قوله «عزها» قد تصحف «غرها» .

الثاني: أن ابن عبد البر قال في «الاستذكار»<sup>(٢)</sup> إن الرواية: «وقد غلق الجناح»، بالغين

(١) الشعر لتوبة بن الحمير، ينظر في: الأغاني للأصفهاني (٤٥/٢)، ديوان الحماسة (١٠٩/٢) والمعنى:

يغدى: يذهب بها في الصباح . ويراح: يذهب بها في العشي . وعزها: غلبها . والشرك: من حبال الصيد. والمعنى: لما أحسست بالليل التي همت ليلى بالفراق في صبيحتها أو في الرواح من عشيتها صار قلبي في الخفقان كقطاة وقعت في شرك فبقيت ليلتها تجاذبه والجناح قد غلق لا متخلص له .

(٢) ينظر: الاستذكار لابن عبد البر (٩٦/٢٢) رقم (١٩٥٦) .

المعجزة ، من قوله **الطَّلَاة** : « لا يغلق الرهن من رهنه الذي رهنه <sup>(١)</sup> » وهو غريب ، والمشهور هو الأول .

تقول العرب: من عز بز <sup>(٢)</sup> أي : « من غلب سلب » والعزبز أيضا : الممتنع . ويقال: تعزز في قلعة ، أي: امتنع بها. والعزبز: الذي لا يوجد مثله. تقول : هذا صنف عزيز فيفسر كل مكان بما يليق به واللائق هنا الغلبة .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ <sup>(٥)</sup> هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ <sup>(٦)</sup> هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ تُحَكِّمَتُّ هُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ <sup>(٧)</sup> رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ <sup>(٨)</sup> رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ <sup>(٩)</sup> إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ <sup>(١٠)</sup> كَذَّابٌ عَالٍ فَرَعُونَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ <sup>(١١)</sup> ﴿

جاء وفد نجران يجادلون رسول الله ﷺ في أمر عيسى فقال لهم : « أستم تعلمون أن عيسى صور في الرحم ، وكان لا يعلم من العلم إلا ما علمه الله » فنزلت : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ <sup>(٥)</sup> هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴿ <sup>(٣)</sup> .

﴿ آيَاتٌ تُحَكِّمَتُّ ﴾ وهي النصوص التي لا تحمل إلا معنى واحداً ، والظواهر التي تحمل معنيين فصاعداً ، إلا أن أحدهما سبق إلى الذهن ، فالنص والظاهر يشتركان في الرجحان ، إلا أن النص مانع من النقيض ، والظاهر غير مانع .

(١) رواه الشافعي في مسنده رقم (٥٦٨) ، والدارقطني في سننه (٣٣ / ٣) ، والبيهقي في السنن الكبرى

(٢) (٣٩ / ٦) عن سعيد بن المسيب ، وصححه الشيخ الألباني - رحمه الله - في إرواء الغليل رقم (١٤٠٦) .

(٣) ينظر المثل في: جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري (٢٢٩ / ٢) رقم (٢٩٢٩) ، مجمع الأمثال للميداني

(٢ / ٢٧٤) ، المستقصى في الأمثال للزخشي (٣٥٧ / ٢) رقم (١٣١٣) .

(٣) رواه الواحدي في أسباب النزول (ص : ٩٩ ، ١٠٠) رقم (١٩٠) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور

(٥ / ٢) لابن جرير الطبري وابن أبي حاتم .

والمشابه: الذي يحتمل معنيين فصاعداً ، فإن تساويا ، فهو مجمل ، وإن ترجح أحدهما فالمرجوح مؤول ، فالمجمل والمؤول يشتركان في عدم الرجحان ، إلا أن المجمل ليس بمرجوح ، والمؤول مرجوح . والقدر المشترك بينهما هو المشابه .

واعلم أن لفظ المشابه متشابه ، فيطلق المشابه على المتببس ، وهو اللائق بهذه الآية ويطلق فيراد به الذي يشبه بعضه بعضاً ﴿ تَشَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾<sup>(١)</sup> فلذلك جاءها هنا انقسام الآيات إلى محكم ومتشابه ، وجاء في آيتين جعل الكتاب كله متشابهاً ، وجعله كله محكماً ، ﴿ الرَّكَنُ أَهْكَمَتْ آيَاتُهُ ﴾ [هود: ١] ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا ﴾ [الزمر: ٢٣] .

﴿ هُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ ﴾ يعني: الآيات المحكمات يرجع إليها في كل المشابه .

﴿ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ الزيف واللحد والحنف في اللغة هو الميل ، لكن جاءت الشريعة باستعمال الزيف واللحد في الشر ، واستعمال الحنف في الخير .

﴿ شَيْئًا ﴾ يجوز أن يكون مفعولاً (ب/٢١) به ، ويجوز أن يكون مصدرًا .

﴿ كَذَابٍ ﴾ كعادة وكثر استعمال الأخذ في القرآن في العقوبة .

﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتَابُونَ وَتَحْشُرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَبْسُ السَّهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ التَّائِمَاتِ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّكَ فِي ذَٰلِكَ لَلِأُولَىٰ الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾ زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١٤﴾ قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ .

﴿ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴾ [الحاقة ١٠] ﴿ فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر] ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخَذُوا

(١) سورة البقرة ، الآية (١١٨) .

رَيْكَ ﴿ [هود: ١٠٢] [النازعات] ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ، فَنَبَذْنَاهُمْ ﴾ [القصص: ٤٠] .

تقول: حلف زيد بالله لأفعلن، فتحكي لفظه، وليفعلن فتحكي معناه كذلك (سيغلبون) حكي معناه بقوله لهم، أي: قل لهم لفظاً يؤدي معنى ما قلته لك .

ومن قرأ ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾ <sup>(١)</sup> حكي لفظه . ﴿يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ﴾ يريد يوم بدر، وكان المسلمون يومئذ ثلاثمائة وثلاثة عشر، والكفار ما بين التسعمائة إلى الألف، يرى المؤمنون الكفار مثلي أنفسهم، قللهم في أعينهم؛ ليهجموا عليهم . وقيل: يرى الكفار المؤمنين مثلي الكفار، ليزداد عظمهم .

قوله: ﴿وَالْقَنَاطِيرِ﴾ ليس معطوفاً علي البنين؛ لأن المراد حب الشهوات من النساء والبنين وحب القناطر. ﴿مَتَعٌ﴾ أي: شيء استمتع به، ويراد به: القلة، والمآب: المرجع. الإشارة بذلك إلى ما زين للناس حبه من الشهوات المذكورة.

﴿وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ من الحيض والنفاس والبول ومساوي الأخلاق، وقبائح الأفعال ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ مبتدأ، وليس بصفة للعباد . وجعلوا الإيمان سبباً للغفران والخلاص من النيران. وكذلك في آخر السورة، وزاد فيه: الوفاة مع الأبرار، بعد قوله: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَسْمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣] .

﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ أقام الأدلة الشاهدة على وحدانيته من عجائب أفعاله، وتنوع مخلوقاته، فقام ذلك مقام الشهادة بالوحدانية، فعبر عن الشهادة بالإعلام، أو بإقامة الشهادة .

﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ عائد إلى الله وحده ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ أَلْسِنَةٌ كَمَا تَقُولُ﴾ : عندي في هذه المسألة كذا .

﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ أَلْسِنَةٌ وَمَا اٰخْتَلَفَ الَّذِينَ اٰتُوا الْكِتَابَ اِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَقِيًّا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَاِنَّ اللَّهَ سَرِيْعُ الْحِسَابِ﴾ <sup>(١٩)</sup> فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَّمْتُ

(١) قرأ حمزة والكسائي وخلف " سيغلبون " ، وقرأ باقي العشرة " ستغلبون " . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٢/٣٩٢) ، حجة ابن خالويه (ص : ٦) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٢٠١) ، الكشاف للزنجشري (١/١٧٧) ، النشر لابن الجزري (٢/٢٨٣) .

وَجَهَىٰ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعْنِهُ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ إِنِ اسْلَمْتُمْ فَسَلَامٌ أَهْتَدُوا  
وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِثَايَتِ اللَّهِ  
وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّيْنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ  
فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا  
لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿٢٢﴾ .

﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ في نبوة محمد ﷺ ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾  
بإخبار أنبيائهم بصفاته في كتبهم ، ولم يحملهم على ذلك إلا البغي ، وهو المفعول لأجله  
﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِثَايَتِ اللَّهِ﴾ يحاسبه الله ويعذبه ، وجاز العطف على ضمير أسلمت بقوله:  
﴿وَمَنِ اتَّبَعْنِ﴾ لحصول الفصل بينهما.

﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ همزة إنكار . وقيل: استفهام ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّيْنَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ أي: مع  
علمهم بأن قتلهم واقع بغير حق ، لم تقع شبهة تورطهم في ذلك.

وروي أن أنبياء بني إسرائيل قاموا في الناس فوعظوهم في قتل الأنبياء ، فقام جماعة من  
المؤمنين فأنكروا قتل الأنبياء ، فقتلوا الآخرين ، وأقاموا سوق بقلهم في آخر النهار.

﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي: فاجعل عوض البشارة بالخير إنذارهم بعذاب أليم ؛  
كقوله [ من الوافر ] : ..... تحية بينهم ضربٌ وجيع<sup>(١)</sup> .

والتغير يكون بخير وبشر ، فهو حقيقة بالنسبة إلى أصل الوضع ، لكنه صار منقولاً في  
العرف إلى أحد الأنواع وهو الخير ، فالإخبار بالشر حقيقة بالنسبة إلى أصل الوضع ، مجاز  
بالإضافة لنسبته إلى العرف ، وهو كالدابة كانت عامة في كل ما دب ودرج في أصل الوضع ،  
ثم خصصها العرف بذوات الأربع ، فصارت مجازاً عرفياً فيما عداها .

(١) هذا عجز بيت لعمر بن معدي كرب وصدرة : وخيل قد دلفت لها بخيل .....  
ينظر في : خزانة الأدب للبغدادي ( ٩ / ٢٥٢ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ) ، ديوان عمرو بن معدي كرب ( ص :  
١٤٩ ) ، شرح أبيات سيويه ( ٢ / ٢٠٠ ) ، الكتاب لسيويه ( ٣ / ٥٠ ) ، وينظر بلا نسبة في : أمالي ابن  
الحاجب ( ١ / ٣٤٥ ) ، الخصائص لابن جني ( ١ / ٣٦٨ ) ، شرح المفصل لابن يعيش ( ٢ / ٨٠ ) ،  
الكتاب لسيويه ( ٢ / ٣٢٣ ) ، المقتضب للمبرد ( ٢ / ٢٠ ، ٤١٣ ) .

أصل «الخط» انتفاخ البطن ، وهو مجوف ، ومنه: الحينطي ، للكبير البطن ، بزيادة النون والألف، بدليل قولك في تصغيره: حبيط أو: حينط ، شبه حبوط أعمالهم بهلاك من حصل له الخط.

ونفي الناصر الواحد أبلغ من نفي الجمع . وإنما قيل : ﴿ وَمَا لَهُمْ مِنْ تَنْصِيرٍ ﴾ رداً لما كانوا يعتقدونه من شفاعة الأصنام ﴿ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا ﴾ [يونس: ١٨] ، ونصرتها لهم ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [يس] ذلك بسبب استهانتهم بعذاب الآخرة .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ (٢٣) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتُ وَيَحذِرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ، وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَرُوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحذِرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ، وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ .

وظنهم قصر مدته في حقهم ، وزعمهم أنهم لا يعذبون ﴿ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ﴾ وهو افتراء اختلقوه واغتروا به . ﴿ فَكَيْفَ ﴾ يكون حالهم إذا جمعوا في القيامة ووفي كل أحد جزاء كسبه . ﴿ مَلِكُ الْمَلِكِ ﴾ أعظم من الملك ؛ لأنه مالك الملك يؤتي الملك من يشاء ، ولا يلزم أن يكون الملك كذلك .

وقوله: ﴿ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ﴾ أدب مع الله عز وجل ؛ لأن قسيمه وهو الشر مخلوق لله ، لكن



الأدب: الانكفاف عن إطلاق نسبه إلى الله - تعالى - كما لا يقال: يا خالق الكلاب والذباب اغفر لي ، وإن كان حقاً في نفسه .

﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ﴾ أي: ما نقص من أحدهما زاد في الآخر . وقيل: يغشي الليل النهار، ويغشي النهار الليل. ﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ﴾ أي: وتخرج المؤمن من الكافر. وقيل: الأدمي من النطفة ﴿ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ الكافر من المؤمن . وقيل: النطفة من الحيوان. ﴿ يَغْيِرُ حِسَابَ ﴾ أي كثير.

﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكٰفِرِينَ أَوْلِيَاءَ ﴾ يخلصونهم بالمودة ، أي: يطلعونهم على عورات المسلمين ، ويودون لو ظهر الكفار على المؤمنين ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنْكُمْ ﴾ ولاية ﴿ اللَّهُ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَكْفُرُوا ﴾ ذلك في صحبتهم ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ ﴾ عقوبته ؛ فإن ذاته لا تخشى كما قال: ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ [الإسراء: ٥٧] . ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ ﴾ مستأنف ، لا يجوز عطفه على جواب الشرط ؛ لأن علمه بذلك ليس معلقاً بإبدائنا وإخفائنا ، ولو كان متعلقاً به لكان مجزوماً . قيل: الوقف على قوله: ﴿ مُخَضَّرًا ﴾ .

وقيل: بل الوقف على قوله: ﴿ وَمَا عَمِلْتَ مِنْ سُوءٍ ﴾ لأن كليهما يحضر يوم القيامة<sup>(١)</sup> .

وأما قوله: ﴿ تَوَدُّ ﴾ فهو خبر على القول الأول؛ لقوله: ﴿ وَمَا عَمِلْتَ مِنْ سُوءٍ ﴾ . وعلى الثاني: حال، أي: وادة . لكن يقوي الأول قوله: ﴿ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ ؛ لأنها لا تود ذلك في الخير، فيختص وادّه بقسم ما عملت من سوء . والرافة: أشد الرحمة . ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاطِيعُوا رَسُولَهُ يَجِبْكُمْ ﴾ ، ويغفر لكم . ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ يجوز أن يكون مضارعاً مجزوماً خطاباً ، وأن يكون ماضياً . قيل: يقال: آل زيد ، ويعنون زيدا ، ومنه: آل إبراهيم، وآل عمران . وقيل: آل إبراهيم: ذريته . وإن أريد بعمران: أبو موسى وهارون فهما آله ، وإن أريد بعمران: أبو مريم ، فالله يحيى وعيسى ومريم ، وإن أريد بالعالمين: عالمي زمانهم .

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرٰهِيْمَ وَآلَ عِمْرٰنَ عَلَى الْعٰلَمِيْنَ ﴾ ٣٣ ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ٣٤ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي

(١) ينظر: منار الهدى في الوقف والابتداء للأشموني (ص: ٧٥) .

إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ  
الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلَكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾

﴿ ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ﴾ في اتباعهم للحق ، فصار كل واحد منهم كالجُزء من الجملة ،  
ومنه قوله عليه السلام : «من غشنا فليس منا» <sup>(١)</sup> وقال الشاعر [ من الوافر ] : .....  
فإني لستُ منك ولستُ منِّي .

كانت حنة أم مريم نذرت وهي حبلى أن ولدها يكون خادماً للكنيسة ، وكان ذلك  
جائزاً في شرعهم ، فولدت أنثى وهي مريم ، فشكت إلى ربها إخلاف ظنها أن يكون حملها  
ولداً ذكراً يخدم الكنيسة . فمن قرأ ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ﴾ بضم التاء ، كان من كلامها ،  
يعني : وأنت يا رب العالم بذلك . ومن قرأ ﴿ بِمَا وَضَعْتَ ﴾ <sup>(٢)</sup> وهو شاذ ، كان من الله ، أو من  
كلام الملائكة . قيل لها : لا تحتقري هذه المولودة ، فالله أعلم بجلالة قدرها وأنه يخرج من ذريتها  
نبي كريم على الله ، يحيي الموتى ، ويبرئ الأكمه والأبرص ، ومن قرأ ﴿ بِمَا وَضَعْتَ ﴾ كان  
من كلام الله ، وليس خطاباً لها (١/٢٣) ومعناه : أعلم بشرف هذه المولودة . ﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا  
مَرْيَمَ ﴾ ومريم هي الخادمة . وقيل : مريم الكثيرة الزيارة للرجال والأول أشبه بهذه المولودة .

﴿ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلَكَ وَذُرِّيَّتَهَا ﴾ روي عن النبي ﷺ أنه قال : «ما من مولود يولد إلا ويمسه  
الشیطان غير مريم وابنها ؛ لأنه جعل بينه وبينهما حجاب ، فأراد الشيطان الطعن عند ولادة  
كل واحد منها فطعن في الحجاب ، ولم يصل» ، ثم تلا ﴿ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلَكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ

(١) رواه مسلم في صحيحه رقم (١٠١) ، وأحمد في المسند (٤١٧ / ٢) ، وابن ماجه رقم (٢٥٧٥) بهذا  
اللفظ ورواه بلفظ «من غشنا فليس منا» مسلم رقم (١٠٢) ، وأحمد في المسند (٢٤٢ / ٢) ، وأبو داود  
رقم (٣٤٥٢) ، والترمذي رقم (١٣١٥) ، وابن ماجه رقم (٢٢٢٤) ، واللفظان عن أبي هريرة رضي الله عنه .  
(٢) قرأ ابن عامر وشعبة ويعقوب «وضعت» ، وقرأ ابن عباس «وضعت» ، وقرأ باقي العشرة «وضعت» .  
تنظر القراءات في : البحر المحیط لأبي حیان (٤٣٩ / ٢) ، الحجة لابن خالويه ص (١٠٨) ، الدر المصون  
للسمين الحلبي (٧٣ / ٢) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٢٠٤) ، فتح القدير للشوكاني (٣٣٥ / ١) ،  
الكشاف للزمخشري (١٨٦ / ١) ، النشر لابن الجزري (٢٣٩ / ٢) .

الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١﴾ .

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ قَالَ يَمْرُومُ أَنِّي لَلرَّبِّ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾

قري شادا ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ﴾ ﴿ وَأَنْبَتَهَا ﴾ ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ بالنصب (٢) ، وعلى صيغة الدعاء في الأفعال الثلاثة . فحملتها حنة عند وضعها ، وكان أبوها عمران صاحب قربانهم ، فتنافس فيها أحبارهم أيهم يكفلها فتقارعوا ، وكانوا يكتبون التوراة ، وهم على شاطئ نهر ، فآلقوا أقلامهم ، وقلم زكريا معهم ، فثبت قلم زكريا ، وسارت أقلامهم مع الماء وهو معنى قوله : ﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ .

وقولها : ﴿ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ إشارة إلى أنه مما لا يكتسب بفعل الأدميين ، وإلا فالأرزاق كلها من عند الله ، ونظيره : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ أي : ليس ذلك العلم مما يكتسب بالمباحث ولا بالدراسة . ﴿ هُنَالِكَ ﴾ أصلها أن تكون للمكان ، وتستعار للزمان ، وهما في هذا الوضع محتملان ، وكذا قوله : ﴿ هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ﴾ .

﴿ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ ﴾ مذهب البصريين : أن النداء لا يغني فيه القول ، بل لابد من صريح القول ، فالتقدير : فنادته الملائكة قائلين . وقال الكوفيون : لا يحتاج إلى إضمار القول ؛ لقيام النداء بمعناه ، ومثله قول الشاعر [ من الرجز ] :

رَجُلَانِ مِنْ ضَبَّةٍ أَخْبَرَانَا      إِنَّا لَقِينَا رَجُلًا عُرْيَانَا (٣)

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٤٥٤٨) ، ومسلم في صحيحه رقم (٢٣٦٦) .

(٢) قرأ بها مجاهد ، تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٤٤٢/٢) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٧٦/٢) ،

فتح القدير للشوكاني (٣٣٥/١) ، الكشاف للزمخشري (١٨٧/١) .

(٣) ينظر الرجز بلا نسبة في : خزانة الأدب للبغدادي (١٨٣/٩) ، الخصائص لابن جني (٣٨٨/٢) ، شرح

شواهد المغني (٨٣٣/٢) ، الكشاف للزمخشري (١٩١/١) ، المحتسب لابن جني (١٠٩/١) ، مغني

الليبي لابن هشام (٥٩/٢) .

فالبصري يقول : أخبرانا فقالا: إنا لقينا. والكوفي لا يحتاج إلى ذلك<sup>(١)</sup>. فمن فتح أن  
فالتقدير: فنادته بأن الله<sup>(٢)</sup>. والمحراب: صدر المجلس. وقيل: المجلس الحسن ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا  
يَشَاءُ مِنْ مَحْرَبٍ﴾ [سبأ: ١٣].

﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ قيل: بعيسى. وقيل: بالتوراة والإنجيل ﴿وَحَصُورًا﴾ منع نفسه من  
إتيان النساء. وقيل: كانت به عنة<sup>(٣)</sup>. والأول أصح؛ لأن العنة مرض لا يثاب من بلي بها  
على ترك الزنى، ولا يمدح بها، وإنما يمدح على مجاهدته نفسه فيما يستطيعه.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا  
يَشَاءُ﴾ (٤٠) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا وَادَّكُرَ رَبِّكَ  
كَثِيرًا وَسَخِّجْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ (٤١) وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِيكَةُ يَمْرِيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ  
وَوَطَّهَرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِيْنَ (٤٢) يَمْرِيْمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ  
الرَّكَعِيْنَ (٤٣) ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ  
يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٤٤) إِذْ قَالَتِ الْمَلَأِيكَةُ يَمْرِيْمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ  
بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيْحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِيْنَ (٤٥) وَيُكَلِّمُ  
النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِيْنَ (٤٦) قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ  
كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٤٧) وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ  
وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ (٤٨) وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ  
مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُزْرِي الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ  
وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ  
مُؤْمِنِيْنَ (٤٩) ﴿

(١) ينظر تفصيل ذلك في: الدر المصون للسمن الحلبي (٨٢/٢)، الكشاف للزمخشري (١/٣٥٩)، مغني  
الليب لابن هشام (٢/٥٩).

(٢) قرأ ابن عامر وحزة ونافع «إن الله يبشرك»، وقرأ الباقر «أن الله يبشرك». تنظر في: البحر المحيط لأبي  
حيان (٤٤٦/٢)، الدر المصون للسمن الحلبي (٨٢/٢)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٢٠٥)،  
الكشاف للزمخشري (١/٣٥٩)، المحتسب لابن جني (١/١٦١).

(٣) العنين: الذي لا يأتي النساء ولا يريدهن، والاسم منه العنة وهو: الاعتراض والحبس، كأنه اعترضه  
ما يجبه عن النساء، وامرأة عنية كذلك: لا تريد الرجال، ولا تشتهيهم. ينظر: لسان العرب:  
(عن).

العاقرة: الرملة التي لا تنبت ، شبهت بها المرأة التي لا تلد ، ولم يقل : عاقرة ؛ لاختصاص الوصف بالمؤنث ؛ كالطامث والحائض .

﴿رَمَزًا﴾ أي: إشارة ، وكان يستعصي عليه الكلام ولسانه كما قال: ﴿ثَلَّثَ لَيْالٍ سَوِيًّا﴾ [مريم] وكان إذا أراد ذكر الله انطلق لسانه .

﴿أَسْمُهُ الْمَسِيحُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ يريد الألفاظ التي يدل عليه هذا المجموع ، وإلا فالاسم عيسى وحده . سمي مسيحاً ؛ لأنه وُلد ممسوحاً بالدهن . وقيل: مسيح القدم أي : ليس لرجله أخص ، وهذا ضعيف ؛ لأن الأخص به تستمسك الرجل عند زللها ، ولا يمدح به من ابتلي به . وقيل : هو مأخوذ من السياحة في الأرض وهذا يقتضي تأخر التسمية بذلك حتى يصير سائحا . وقيل: سمي مسيحاً ؛ لأنه يمسخ أرباب العاهات والأمراض فيعافون وعليه الإشكال الذي قبله .

﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ فإن قلت: الكلام في الكهولة ليس بعجب ! فجوابه من وجوه : ويكلم الناس في المهد وكهلاً كلاماً متساوياً لا يختلف في الصغر والكهولة . وقيل : يكلم الناس في المهد وكهلاً إذا نزل من السماء في آخر الزمان . وقيل : كل من تكلم في المهد مات قبل أن يصير رجلاً ؛ لئلا يفتتن به إلا عيسى ، فيكون هذا بشارة بحياته إلى الكهولة . وقيل : يكلم الناس في المهد بالحكمة ، وكهلاً بالنبوة . الهاء في فيه تعود على الكاف في «كهية» ، أي : ينفخ في الذي هو مثل الطير .

﴿وَلِأَحَدٍ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ من لحمان الإبل ، والتصرف في السبت ، وغيرهما من الأحكام التي خالفت شريعة عيسى عليه السلام فيها دين اليهود ، وسمي ما أوتيته عيسى آية ؛ لأن كل واحد منها آية ، تقول: كسانا الأمير حلة ، أي : كل واحد ؛ لأن عيسى عليه السلام أوتي إحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص ، وشفاء كل واحد من أولئك المرضى وأرباب العاهات آية .

﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَحَدٍ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ٥١ ﴿ فُلَمَّا أَحَسَّ عَيْسَىٰ مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ٥٢﴾ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ

وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكْرُؤًا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ  
 الْمَكْرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا  
 وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ  
 فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذَّبْنَا لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا  
 لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا  
 يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾

﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ ﴾ أي : علم علماً جلياً يشبه المعلومات بالحس ﴿ مِّنْ أَنْصَارِي ﴾ ذاهبا أو  
 متوجها ﴿ إِلَى اللَّهِ ﴾ ﴿ الْحَوَارِيُّونَ ﴾ أصحاب عيسى ، وكانوا قصارين يحورون الثياب أي :  
 يبيضونها ، قيل : ﴿ مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ بذلك . وقيل : مع أمة محمد ؛ لأنهم شهدوا على  
 الناس ﴿ وَمَكْرُؤًا ﴾ وأخفى الله ما يريد من الشر ، وسمي جزاء المكر مكرًا  
 ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ [الشورى : ٤٠] ﴿ فَمَنْ أَعَدَّىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعِدِدُوا عَلَيْهِ ﴾ [البقرة : ١٩٤]  
 ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [التوبة : ٦٧] .

﴿ مُتَوَفِّيكَ ﴾ أي : مُنِمْكَ . فرفع إلى السماء نائماً ؛ كي لا يجزع عند بُعده عن الأرض  
 صاعداً . وقيل : متوفيك : ملايك بانبياي و ملائكتي . وقيل : متوفيك بعد نزولك إلى  
 الأرض ، والواو لا تقتضي الترتيب <sup>(١)</sup> . والتقدير : إني رافعك إليّ ومميتك .

﴿ إِنَّ مِثْلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ  
 مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ  
 أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى  
 الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ  
 ﴿٦٢﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا  
 وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِءَ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ

(١) الواو لا تقتضي الترتيب : هذا على قول جمهور النحاة ، وقال جماعة : إنها للترتيب ، ونقل السيرافي  
 الإجماع على ذلك ، ورد ذلك ابن هشام في قطر الندى . وينظر تفصيل هذه المسألة في : أسرار العربية  
 لابن الأنباري (ص : ٣٠٢-٣٠٤) ، اللباب في علل البناء والإعراب للعكبري (١/٤١٧ ، ٤١٨) ، همع  
 افوامع للسيوطي (٣ / ١٥٥ ، ١٥٦) .

تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَتَّأَهَّلُ الْكِتَابُ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ  
 وَمَا أَنْزَلَتْ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَتَأَنْتُمْ هَتُوْلَاءَ حَجَجْتُمْ فِيْمَا  
 لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيْمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ  
 يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ  
 لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ  
 لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَتَّأَهَّلُ الْكِتَابُ لِمَ تَكْفُرُونَ  
 بِثَابِتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَتَّأَهَّلُ الْكِتَابُ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ  
 تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَجَّهَ النَّهَارِ  
 وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾

﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ أمة محمد ﷺ ؛ لأنهم صدقوا بجميع ما في الإنجيل من صفات النبي ﷺ  
 ﴿ذَلِكَ﴾ يجوز أن يكون في موضع رفع أو نصب ؛ لاشتغال الفعل بضميره ؛ كقوله :  
 ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ﴾ [يس : ٣٩] بالرفع والنصب<sup>(١)</sup> .  
 ﴿وَالذِّكْرَ الْحَكِيمَ﴾ أي : المحكم ، كقول الشاعر [ من الكامل ] :  
 وقصيدة تأتي الملوك حكيمة  
 قد قلتها ليقال من ذا قالها<sup>(٢)</sup>

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ﴾ في حصوله بغير الأم ﴿كَمَثَلِ آدَمَ﴾ وزاد آدم بفقد الأم .  
 ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ أي : قدر خلقه . ولذلك قال : ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ﴾ بخلاف قوله في سورة  
 الفرقان : ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ [الفرقان] فإنه عطف التقدير علي الخلق ،

(١) سورة يس ، الآية ( ٣٩ ) وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو « والقمر » ، وقرأ باقي العشرة « والقمر » .  
 تنظر القراءة في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٣٣٦ / ٧ ) ، حجة ابن خالويه ( ص : ٢٩٨ ) ، الدر المنصور  
 للسمين الحلبي ( ٤٨٥ / ٥ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٥٤٠ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٣٢٢ ) ، النشر  
 لابن الجزري ( ٢ / ٣٥٣ ) .

(٢) البيت للأعشى ، ينظر في : تاج العروس للزبيدي ( حكم ) ، تفسير القرطبي ( ٨ / ٢٧٧ ) ، خزانة  
 الأدب للبغدادي ( ٤ / ٢٥٩ ) ، الدرر اللوامع للشنقيطي ( ١ / ٢٦٩ ) ، ديوان الأعشى ( ص : ٧٧ ) ، روح  
 المعاني للألويسي ( ٢١ / ٦٥ ) ، شرح شذور الذهب ( ص : ١٧٩ ) ، العين للخليل ( ٣ / ٦٧ ) ، قطر  
 الندى لابن هشام ( ص : ١٠٤ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٣٢٦ ) ، لسان العرب ( حكم ) .  
 ويروى الشطر الأول منه : وغريبة تأتي الملوك غريبة . وسيأتي بهذه الرواية في أول سورة يونس .

فكانا متغايرين. ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ﴾ أي : من وفد نجران وغيرهم .

أصل « تعالوا » أن يقال لمن كان في مكان منخفض ، فتناديه من مكان عال : تعال أي : ارتفع حتى أجمع بك ، ثم كثر استعماله فصار يدعو به المساوي من ساواه في المكان ، ويدعو به الذي هو أسفل للذي فوقه .

الكلمة: الجملة المقيدة وهو من قوله: ﴿أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ﴾ إلى قوله: ﴿مُسْلِمُونَ﴾ .

﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ فتزعمون أنه كان يهودياً أو نصرانياً ﴿وَمَا أَنْزَلَتْ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ اللذان شرح فيهما شريعة موسى وعيسى ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾ من بعد موت إبراهيم ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ بمحمد ﷺ ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يتولى مصالحهم ﴿لَوْ يُضِلُّوكُمْ﴾ «لو» بمعنى «أن» .

أجمع رأي جماعة من اليهود على أن يجتمعوا ويؤمنوا بالنبي ﷺ ، ويقولوا : وجدنا نعتة في التوراة ، يفعلون ذلك أول النهار ، ثم يرتدون آخر النهار ويقولون : تبين لنا فساد ما اعتقدناه أول النهار، فيحصل بذلك ريبة في قلوب أهل الكتاب والمشركين<sup>(١)</sup> .

﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٢﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن إِنْ تَأَمَّنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَن إِنْ تَأَمَّنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّةِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَن أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّيْنَكَن بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾

(١) رواه الطبري في تفسيره (٣/٣١٢)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ١١٢) رقم (٢١٤، ٢١٥).



﴿ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ ﴾ متعلق بـ ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوا ﴾ أي : لا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ، أو متعلق بما بعده مضمرة ، أي : إلا أن يؤتى أحد مثلكم ما أوتيتم شككتم وتركتم دين آبائكم ﴿ وَاللَّهُ وَسِعُ الْعَطَايَا .

﴿ قَائِمًا ﴾ بالمطالبة والإلحاح ، وكان اليهود يقولون لأوليائهم : ليس علينا في أخذ أموال الأमीين جناح . ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ أي : يحبهم ، فعوض الضمير بالاسم الظاهر ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ ﴾ نزلت في الأشعث بن قيس<sup>(١)</sup> اختلف هو ورجل آخر في حدود أرض ، فقال النبي ﷺ لخصم الأشعث : تحلف ، فقال الأشعث : يا رسول الله إنه فاجر لا يبالي على ماذا حلف<sup>(٢)</sup> .

﴿ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ﴾ نظر رحمة . وقيل : هو كناية عن الغضب ، تقول : فلان لا ينظر إلى فلان أي : يبغضه ﴿ وَلَا يُزَكِّيهِمْ ﴾ ولا يثني عليهم ، أي : ولا يظهرهم .

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ ﴾ قولك : «ما كان له أن يفعل تارة» يكون في المستقبل ؛ كقوله : ﴿ مَا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ﴾ [النمل : ٦٠] ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ ﴾ [المؤمنون : ٩١] وتارة يكون للممنوع شرعاً والممنوع شرعاً كالممنوع حساً ؛ كقوله : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ ﴾ [آل عمران : ١٦١] ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ ﴾ [التوبة : ١٧] ﴿ مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [يوسف : ٣٨] .

والرباني : الذي يعلم الناس الخير ، وكان يقال لابن عباس : هو رباني هذه الأمة . وقيل : هو الذي يربي في التعليم بصغار العلم قبل كباره ، ويقويه قراءة ﴿ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ بالتشديد<sup>(٣)</sup> .

(١) هو الأشعث بن قيس بعد معد يكره الكندي ، أبو محمد ، وفد على الرسول ﷺ سنة عشر في ثمانين راكبا من كندة ليعلموا إسلامهم ، وقد ارتد مع من ارتد من الكنديين ، وأسر في حروب الردة ، فلما أحضر إلى أبي بكر أسلم فأطلقه ، وشهد كثيرا من وقائع الإسلام منها اليرموك والقادسية ، قطن الكوفة وتوفي بها في آخر سنة أربعين من الهجرة . تنظر ترجمته في الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (١/١٠٩-١١١) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (٢٣٥٨، ٢٤١٧، ٢٥١٦، ٢٦٦٧، ٢٦٧٧)، ومسلم رقم (١٣٨) .

(٣) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بما كتتم تعلمون الكتاب بالتخفيف ، أي : بعلمكم الكتاب ، وقرأ =

﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾<sup>(٨٠)</sup>  
 وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ  
 لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ، وَلَتَنْصُرُنَّهُ، قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ  
 فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ<sup>(٨١)</sup> فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ<sup>(٨٢)</sup>  
 أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ  
 يُرْجَعُونَ<sup>(٨٣)</sup> قُلْ ءَأَمِنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ  
 وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ  
 أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ<sup>(٨٤)</sup> وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي  
 الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ<sup>(٨٥)</sup> كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ  
 حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ<sup>(٨٦)</sup> أُولَٰئِكَ جَزَاءُ هُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ  
 لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ<sup>(٨٧)</sup> خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ  
 يُنظَرُونَ<sup>(٨٨)</sup> إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ<sup>(٨٩)</sup> إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا  
 بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ نُقْبَلَ تَوْبَتَهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ<sup>(٩٠)</sup> إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا  
 وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أَفْتَدَىٰ بِهِ ؕ أُولَٰئِكَ لَهُمْ  
 عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿٩١﴾

﴿ لَمَّا آتَيْنَاكُمْ ﴾ اللام: لام الابتداء ، ودخلت على «ما» الشرطية. و«جاءكم»: معطوف  
 على «أتيتكم» ﴿إِصْرِي﴾ أي: عهدي .

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ احتج به من زعم أن الإيمان هو الإسلام؛  
 لأنه لو ابتغى الكافر الإيمان لقبيل ، فلو كان غير الإسلام لما قبل<sup>(١)</sup> .

= الباقون بالتشديد «تعلمون» أي : تعلمون الناس الكتاب . تنظر القراءة في : البحر المحيط لأبي حيان  
 (٥٠٦/٢) ، الحجة لابن زنجلة (ص : ١٦٧) ، الدر المصون للسمين الحلبي (١٤٨/٢) ، السبعة لابن  
 مجاهد (ص : ٢١٣) ، الكشاف للزخشي (٣٧٨ / ١) .

(١) اختلف العلماء في هذين المصطلحين الإيمان والإسلام هل هما واحد أو مختلفان ؟ وصنفوا في ذلك  
 تصانيف متعددة ؛ فمنهم من يقول : إن جمهور أهل السنة على أنهما شيء واحد ، منهم محمد بن نصر  
 المروزي وابن عبد البر، ومنهم من يحكي عن أهل السنة التفريق بينهما كأبي بكر بن السمعاني وغيره .  
 وقد نقل هذا التفريق بينهما عن كثير من السلف ، على اختلاف بينهم في صفة التفريق بينهما. قال =

﴿ خَلِدِينَ فِيهَا ﴾ أي: في اللعنة . ﴿ لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾ يريد به ما قال مشايخ الصوفية : إن من دام على فسق أو كفر إلى أن هرم ، فبعد أن تصح منه توبة ، أو يدوم عليها فأخبرها هنا أن من كفر بعد الإيمان ، ثم ازداد كفراً لا تصح له توبة نصوح ، فلا تقبل توبته ؛ لعدم نصوحها .

قوله : ﴿ وَلَوْ أَفْتَدَى بِدِهْ ﴾ يعني : ولو بذله لما قبل ، وليس المعنى أنه يحصل له الفداء به ؛ فقد قال في آية أخرى : ﴿ لَوَأْتَكَ لَهُمْ مَائِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ ، لَأَفْتَدُوا بِهِ ﴾ [الزمر: ٤٧] أي : لبذلوه ، ويدل على عدم قبول الفدية قوله : ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ [البقرة: ١٢٣] والعدل: الفدية ، وفي الأنعام : ﴿ وَإِنْ تَعَدِلَ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذَ مِنْهَا ﴾ [الأنعام: ٧٠] .

«كان لأبي طلحة<sup>(١)</sup> حائط بالمدينة ملتف الأشجار ، فنظر يوماً إلى طائر قد دخل بين الأشجار ، وطلب مخلصاً ، فلم يجده ، فأعجبه ذلك ، فلما نزل قوله : ﴿ لَنْ نَأْلُوا الْبِرْحَى ﴾ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ قال يا رسول الله: إني سمعت الله يقول: ﴿ لَنْ نَأْلُوا الْبِرْحَى ﴾ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ ، وإن أحب أموالي إليَّ بئرحاء ، وإنها صدقة لله ولرسوله ، يعني بها ذلك الحائط فقال رسول الله ﷺ : «بخ بخ» ، ذلك مال رابع فقال : ضعها يا رسول الله حيث شئت ، قال النبي ﷺ : إني أرى أن تجعلها في الأقربين . فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه<sup>(٢)</sup> .

واسم هذا الحائط: بئرحاء - بفتح الباء ، وسكون الياء ، وضم الراء ، ممدود لا ينصرف . وبير مضافة إلى حا . وقيل: كالوجه الثاني مقصورة الألف ، بوزن فيعلى . كذا ضبطه

=ابن رجب الحنبلي : وبهذا التفصيل الذي ذكرناه يزول الاختلاف فيقال : إذا أفرد كل من الإسلام والإيمان بالذكر فلا فرق بينهما حينئذ ، وإن قرن بين الاسمين كان بينهما فرق . والتحقيق في الفرق بينهما : أن الإيمان هو تصديق القلب وإقراره ومعرفته ، والإسلام هو استسلام العبد لله وخضوعه وانقياده له ، وذلك يكون بالعمل وهو الدين .

ينظر : جامع العلوم والحكم للحافظ ابن رجب ( ص : ٤٤ ) .

(١) هو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام الأنصاري الخزرجي ، اشتهر بكنيته ، وهو من أفاضل الصحابة ، شهد بدرًا وأحدًا ، وأبلى في الإسلام بلاءً حسنًا ، توفي في خلافة عثمان بن عفان ، وقيل : بعد وفاة النبي ﷺ بأربعين سنة . تنظر ترجمته في : الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ( ٤ / ١١٣ - ١١٥ ) ، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ( ١ / ٥٦٦ ، ٥٦٧ ) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم ( ١٤٦١ ) ، ومسلم رقم ( ٩٩٨ ) من حديث أنس بن مالك ﷺ .

الزخشي<sup>(١)</sup> وقيل : بـيرحاء بكسر الباء ، وسكون الياء ، وضم الراء ، إلا أنه مصروف .

﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ ﴿كُلُّ  
الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزَلَ التَّوْرَةُ قُلْ  
فَاتُّوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾ ﴿فَاتُّوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ  
﴿٩٣﴾﴾ ﴿فَمَنْ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا  
مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾ ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا  
وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ  
الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾

روي : أن يعقوب عليه السلام أصابه عرق النسا<sup>(٢)</sup> ، وتآلم منه ، فنذر لئن شفاه الله ، ليحرمن على نفسه أحب الطعام إليه ، وكان يحب ألبان الإبل ولحومها ، فلما شفي حرماً<sup>(٣)</sup> ، وأما بقية المحرمات فسببها ظلمهم وصددهم عن سبيل الله ، وأخذهم الربا بعد تحريمه ، وأكلهم أموال الناس بالباطل ، فلما سمع اليهود ذلك قالوا : إن هذه المحرمات ما كانت عقوبة ، وإنما هي شريعة شرعها الله ، فقال عليه السلام : ﴿فَاتُّوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾ ونزلت ﴿فِيظَلِرِ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبِئَتْ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴿[النساء: ١٦٠]﴾ الآيتين ، ونزلت ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ ﴿[الأنعام: ١٤٦]﴾ إلى قوله : ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿[الأنعام: ١٤٦]﴾﴾ وفيه تعريض بأنهم الكاذبون .

(١) ينظر : الكشاف للزخشي ( ١ / ٣٨٤ ) .

(٢) عرق النسا : وجعٌ يبتدئ من مفصل الورك وينزل من خلف على الفخذ ، وربما امتد إلى الكعب ، وكلما طالت مدته زاد نزوله ، ويهزل الرجل والفخذ . قال الأصمعي : لا يقال : عرق النسا . والعرب لا تقول : عرق النسا . كما لا يقولون : عرق الأكل . ولا : عرق الأجل : إنما هو النسا والأكل والأجل . وقال ابن بري : فإذا ثبت أنه مسموع فلا وجه لإنكار قولهم : عرق النسا قال : ويكون من باب إضافة المسمى إلى اسمه كجبل الوريد ونحوه . ينظر : زاد المعاد لابن القيم ( ٢ / ٨٦ ) ، لسان العرب ( نسا ) .

(٣) رواه الترمذي رقم ( ٣١١٧ ) ، والطبري في تفسيره ( ٤ / ٢-١ ) ، والحاكم في المستدرک على الصحيحين ( ٢ / ٣٢٠ ) وحسنه الترمذي ، وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

وقال في هذه الآيات : ﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ ﴾ أي : وكذبتكم أنتم في دعواكم أن تحريمها لم يكن عقوبة ، والفرية إن كانت في معنى التكذيب فنصب الكذب بأنه مصدر ، على معنى الفعل كقولهم : قعدت جلوساً . وإن كانت الفرية أخص من الكذب ؛ لأنها الكذب المختلق الذي لم يسبق قائله إليه فنصب الكذب بالمفعولية .

﴿ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ في التوحيد ؛ لقوله : ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ﴿ حَنِيفًا ﴾ مائلا عن الأديان إلا عن الإسلام .

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾ متعبداً ومتوجهاً إليه للصلاة ومحجوجاً . قيل : بكة مكة .

وقيل : مكة البلد ، وبكة موضع المسجد سميت بكة ؛ لأنها تدق أعناق الجبابرة ، من قصدها من جبار قصمه الله .

﴿ مُبَارَكًا ﴾ يجوز أن يكون مباركا فيه ؛ كقوله : ﴿ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء] عنه ، ويجوز ألا يحتاج إلى إضمار جار ومجرور ويقال : باركك الله . ومنه ﴿ شَجَرَةٌ مُبْرَكَةٌ ﴾ [النور: ٣٥] . وقوله : ﴿ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ ﴾ [النمل: ٨] ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ ولم يذكر إلا مقام إبراهيم ، وأمن من دخله ، فقيل : في مقام إبراهيم آيات : إحداهما : بقاءه من العهد القديم ما يقارب ألفي سنة ، ومنها : بقاء أثر رجل إبراهيم في الحجر ، ومنها : تأثير رجل الآدمي في الحجر الصلب . وقيل : إذا دلت القرينة على الثالث ، جاز حذفه لفظاً ؛ كقول الشاعر [ من البسيط ] :

كَانَتْ حَنِيفَةً أَثْلَاثًا فَثَلْثُهُمْ      مِنْ الْعَبِيدِ وَثَلْثٌ مِنْ مَوَالِيهَا<sup>(١)</sup>

فيعرف أن الثالث من كان حرّ الأصل .

قوله : ﴿ مَنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ ﴾ بدل البعض من الكل ، والضمير المصحح محذوف ، والتقدير : من استطاع منهم ؛ كقولك : السمن منوان بدرهم ، أي : منه . ﴿ تَبَغُّونَهَا ﴾ أي : تبغون لها عوجاً ﴿ وَأَنْتُمْ سُهْكَاءُ ﴾ على استقامتها .

(١) البيت لجرير ، ينظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٩/٣) ، الدر المصون للسمين الحلبي (١٧٠/٢) ، الكشاف للزمخشري (٢٨٨/١) .

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٩٨) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ تَبَغُّونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا قَرِيبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَد هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾

«مر شاس بن قيس اليهودي على ملاٍ فيه المهاجرون والأنصار ، فسأه تآلف قلوبهم واجتماعهم بعد قتالهم بالسيوف في يوم بعث<sup>(١)</sup> ، فجلس إليهم ، وأنشد ما تقاولت به الأنصار في حروبهم ، وما افتخرت به الأوس على الخزرج ، والخزرج على الأوس ، فغضب الفريقان ، وأخذتهم الحمية ، وقام بعضهم إلى بعض ، وقال : السلاح السلاح ، فسمع النبي ﷺ ، فجاء إليهم ، فوعظهم ، وذكرهم وقال : «أتدعون بدعوى الجاهلية ، وأنا بين أظهركم» فأصلح بينهم ، فقاموا فتعانقوا وتباكوا ، وعلموا أن تلك نزعة من الشيطان ، ونزلت : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا قَرِيبًا ﴾ الآيتين<sup>(٢)</sup> .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۚ وَلَا تَمُونَنَّ إِلَّا وَآنْتُمْ مُّسْلِمُونَ ﴾ (١٠٢) وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۗ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ ۚ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ ففِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُم فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ

(١) يوم بعث : يوم معروف من أيام الأوس والخزرج ، اقتلتا فيه ، وكان الظفر فيه يومئذ للأوس على الخزرج وقد تفاخر الأوس والخزرج ذات يوم بهذا اليوم وكادوا يقتلون فخرج عليهم الرسول ﷺ مع نفر من أصحابه وقال لهم : يا معشر المسلمين الله الله ، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام ، وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر ، وألف به بين قلوبكم . ينظر : تفسير الطبري ( ٤ / ٢٣ ) ، غريب الحديث لابن الجوزي ( ١ / ٧٨ ) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ٤ / ١٦ ) ، والواحدي في أسباب النزول ( ص : ١١٩ ، ١٢٠ ) رقم ( ٢٣٢ ) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٢ / ٥٧ ) لابن إسحاق وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ .

نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤَلُّوكُمْ الْأَذْبَارُ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَبِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ \* لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتُهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ \*

ولما نزلت ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ شقت على الصحابة ، وقالوا: أينا يطيق أن يتقي الله حق تقاته ، فنزلت ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦] فقيل: نسختها. وقيل: قيدت مطلقها. وقيل: تقوى الله حق تقاته المراد به: ما كان مستطاعا، أي: ودوموا على الإيمان، حتى إذا جاء الموت صادفكم مؤمنين ، وإلا فالموت لا ينهي عنه .

﴿ وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ ﴾ قبل بعثة النبي ﴿ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ ببعثته .

﴿ يَوْمٌ ﴾ ظرف لا يعمل فيه عذاب الذي هو المصدر؛ لأن المصدر إنما عمل؛ لشبهه بالفعل ، والفعل لا يوصف ، فإذا وصف المصدر، بعد عن شبه الفعل. بل العامل في الظرف هو العامل في المجرور المقدر في لهم والتقدير: استقر لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه . ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ أَسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ ﴾ أي: فيقال لهم: ﴿ أَكْفَرْتُمْ ﴾ ﴿ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ خبر. ويجوز أن يكون معناه الأمر، أي: ارجعوا بأموركم كلها إليه؛ كقوله: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ ﴾ [البقرة: ٢٣٣] ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ ﴾ [البقرة: ٢٢٨] ﴿ كُنْتُمْ ﴾ أي: في الأزل عند الله ، أي: كنتم للناس خير أمة تقاتلونهم بالسيوف ، وتأتون بهم في السلاسل فيدخلون في

الإيمان<sup>(١)</sup> . ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى﴾ ولا يستطيعون أن يقهروكم . وقوله : ﴿ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾ مستقبل ليس معطوفا على ﴿يُؤَلُّوكُمْ﴾ ؛ لأنه مرفوع بثبوت النون ، ويقا تلوكم ، ويولوكم مجزومان بالشرط والجزاء ، ويوضح ما ذكرته : أن تولية الأدبار إنما هو في القتال ، فلذلك جعل جزاء له . وأما كونهم لا ينصرون ، فهو أمر مستقر ليس معلقا على شرط .

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ أي : أحاطت بهم إحاطة الخيمة بمن فيها ، أينما قدر عليهم إلا بسبب وحبل من الناس بالأمان .

﴿وَبَاءُوا﴾ احتملوا ، وكانوا كفوا له . ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ﴾ أي : لن تدفع عنهم من عذاب الله شيئا . ﴿مَثَلُ﴾ مهلك ﴿مَا يُنْفِقُونَ﴾ ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ أو مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح فيها صر ، أي : باردة . وقيل : لها صوت .

﴿بِطَانَةٍ مِّن دُونِكُمْ﴾ من غير أهل ملتكم يطلعونهم على عورات المسلمين ، لا يقصرون في إفساد ما بينكم ﴿وَدُّوْا مَا﴾ يشق عليكم ﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ﴾ يريد به الرخاء والأمن والسعة ، وليس المراد : الطاعة ؛ إذ لا يقال لمن صلى : أصابته حسنة .

﴿وَإِنْ تُصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ﴾ أي : قحط وخوف وفاقة ؛ إذ لا يقال لمن عصى : أصابته سيئة .

﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَتَأْتُمْ أَوْلَاءَ مُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ سَوَّهَتْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدًا لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُعِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ ءَالَفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ

(١) روى البخاري ( ٤١٩١ ) عن أبي هريرة ؓ : « ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال : خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام » .



مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمِدُّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِنُظْمِينَ قُلُوبِكُمْ بِهِ. وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَسِبَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ \* وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ \*

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ إلى أحدٍ ﴿مَقْلَعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ مواضع يجلون فيها قائمين وقاعدتين. ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ﴾ بنو سلمة وبنو الحارث . قال جابر بن عبد الله : فينا نزلت معشر الأنصار، وما أود أنها لم تنزل؛ لقوله في آخرها: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾<sup>(١)</sup>.

﴿وَأَنْتُمْ أَدِلَّةٌ﴾ بقلة العدد والعدد، ولم يكن معهم في يوم بدر إلا فرسان. قيل: فلم يصبروا، وفارقوا المركز الذي وضعهم رسول الله ﷺ فيه، فانهزموا . وقيل : أمدتهم بالملائكة، ولكنهم لم يقاتلوا إلا في وقعة بدر .

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ وما جعل الإمداد بالملائكة ﴿إِلَّا بُشْرَى﴾ وإلا فملك واحد وهو جبريل عليه السلام حمل مدائن قوم على جناحه وقلبها بهم ، وصاح بقوم ثمود صيحة واحدة فأصبحوا في ديارهم جاثمين .

كفته : إذا غاظه أشد الغيظ . «وكان رسول الله ﷺ يقنت في الصلاة ويقول : اللهم أنج الوليد بن الوليد ، وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة، والمستضعفين من المؤمنين ، اللهم اشدد وطأتك على مضر ، واجعلها عليهم سنين كسني يوسف»<sup>(٢)</sup> فنزلت ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ فكان كذلك ؛ هدى الله منهم قوما للإسلام .

قوله : ﴿أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾ : مع أنه يحرم الربا وإن كان أقل من ذلك ؛ لأنه أراد أن يحكي قبيح ما صنعوا ؛ كقوله : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا﴾ [النساء: ٦] ويحرم أكل

(١) رواه البخاري رقم (٤٥٥٨) ، ومسلم رقم (٢٥٠٥) عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما .

(٢) رواه البخاري رقم (١٠٠٦ ، ٤٥٦٠) ، ومسلم رقم (٢٧٥) عن أبي هريرة ؓ .

مال اليتيم سواء أسرف وبدّر أو لم يكن ﴿وَسَارِعُونَ﴾ إلى أفعال أو أقوال تكون سبباً للمغفرة والرضوان. ﴿عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ أي: مثل عرضها لو انضمت كل واحدة إلى بواقيها ﴿أَعَدَّتْ﴾ هيئت وفيه دليل على أن الجنة مخلوقة الآن ، خلافاً للمعتزلة<sup>(١)</sup>.

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكِبَاطِينِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣٢) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ وَلَا يَلْمِ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣٥﴾ أُولَئِكَ جَزَاءُهم مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهم وَجَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءً وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾

﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ﴾ نعت مجرور ، ويجوز فيه النصب بإضمار أعني ، والرفع على الابتداء والخبر ، أي هم الذين . يقال: كظم القربة: إذا ملاًها وسد فاهها ، والكظام: الخيط الذي يشد به فم القربة ، والغيط يحمل الإنسان على أقوال وأفعال لا تليق ، فشبّه مانع نفسه منها بمن كظم القربة أي: منعها من التبدد ﴿إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً﴾ أي: كبيرة ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالصغائر. والإصرار: الربط والتصميم على ملازمة أمر، ومنه: الصرة لما تجمع من الدراهم وتربط شبه المصر على المعصية بالرباط على الشيء ، المانع من تبدده .

﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أي: مضت من قبلكم عادة الله في إهلاك المكذبين وأنه إذا حل بهم العقاب لم تفد التوبة ﴿فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسًا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾ [غافر: ٨٥].

﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا﴾ آثار المهلكين وكانت قريش ومن معهم يجلبون الميرة<sup>(٢)</sup> في

(١) تقدم الحديث عن هذه المسألة في أول سورة البقرة عند قوله - تعالى : ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة].

(٢) الميرة: الطعام يمتاره الإنسان. وقيل: هي جلب الطعام . وقيل: جلب الطعام للبيع وهم يتارون =

رحلة الشتاء والصيف ؛ فإن مكة واد غير ذي زرع ، فيذهبون في الصيف إلى الشام ؛ لأنها بلاد باردة ، فيمرون على بلاد ثمود ، وإلى مواضع بلاد قوم لوط التي قلبت بهم . ويسافرون في الشتاء إلى بلاد اليمن ؛ لأنها بلاد حارة فيمرون على بلاد عاد بالأحقاف .

والمراد بالهداية ها هنا : حصولها في القلب بخلاف قوله : ﴿ فَهَدَيْنَهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾ [فصلت: ١٧] فالمراد فيها البيان . وها هنا جعل البيان عامًا والهدى خاصًا . والوهن: الضعف . القرع بالفتح المصدر . والقرع : الموضع المجروح ، أو نفس الجراحة ، وكان قد قتل من المسلمين بأحد سبعون ، وقتل المسلمون من الكفار ببدر سبعين ، وأسروا سبعين ، فلذلك قال : ﴿ أَوْلَمَّا أَصَبْتُمْ مُمْسِكًا مَثَلِيهَا ﴾ [آل عمران: ١٦٥] وقال ها هنا : ﴿ فَقَدِمَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلَهُ ﴾ أراد المماثلة في ألم القلب ، لا في العدد ﴿ وَلِيْمَحِصَ اللَّهُ ذُنُوبَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ ﴿ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ أي : مع أنه يعلم ؛ كقوله : ﴿ أَوْ يُوبِقَهُنَّ يَمَّا كَسَبُوا ﴾ [الشورى: ٣٤-٣٥] ﴿ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ ﴾ والشهادة .

﴿ وَلِيْمَحِصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكٰفِرِينَ ﴾ ﴿ ١٤١ ﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿ ١٤٢ ﴾ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ نُنظُرُونَ ﴿ ١٤٣ ﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿ ١٤٤ ﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّوجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿ ١٤٥ ﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ رِيثُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿ ١٤٦ ﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿ ١٤٧ ﴾ فَجَاءَهُمُ اللَّهُ تَوَابًا حَسَنًا وَثَوَابَ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿ ١٤٨ ﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خٰسِرِينَ ﴿ ١٤٩ ﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿ ١٥٠ ﴾ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطٰنًا وَمَا وَهُمْ إِلَّا نَارٌ وَيَبْسُ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿ ١٥١ ﴾

لما انهزم المسلمون في نوبة أحد صرخ صارخ : إن محمداً قد قتل فضعفت قلوب أقوام وانهزموا فعاتبهم الله بقوله : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ﴾ فيحتمل أن يراد به الحقيقة ، أي : وليتم مدبرين ، ويجوز أن يراد : رجعتم عما أنتم عليه من التصميم على الحق .

وقد روي أن ناساً من ضعفاء المؤمنين قالوا : وددنا لو وجدنا من يأخذ لنا أماناً من عبد الله بن أبي بن سلول<sup>(١)</sup> ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ . أي : بقضائه وقدره . (وكائن) على وزن فاعل ، وكأين<sup>(٢)</sup> ، وهما لغتان معناهما : وكم . قرئ «قاتل معه» ، وقرئ «قتل معه»<sup>(٣)</sup> .

﴿رَبِّيُونَ﴾ أي : علماء . فقيل : معناه : وكأين من نبي قتل ، وكان معه جماعة فثبتوا على دينهم بعد قتل نبيهم ، فهلا فعلتم مثل ما فعلوا ، فالمفعول الذي لم يسم فاعله مضمرة في قتل . وقيل : المفعول الذي لم يسم فاعله «ربيون» . قالوا : وما سمعنا بنبي قتل في حرب . وقوله : ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾ فما ضعفوا . ظاهره يدل على إخلاف الوهن والضعف أي : لم يشغلهم ذلك عن طلب المغفرة فبدؤوا بطلبها ، ثم سألوا تثبيت الأقدام في اللقاء ، والنصرة على الكفار ، مع أن مثل الشدة (٢٧/ب) تنسي الإنسان ما سواها ووصف ثواب الآخرة بالحسن ، دون ثواب الدنيا ؛ لأن ثواب الآخرة أكمل وأحسن وأجمل .

﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَسِلْتُمْ وَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا بَعَدَ مَا أَرَيْنَكُم مَّا تَحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ

(١) هو عبد الله بن أبي مالك بن الحارث من بني عوف بن الخزرج ، وسلول جدته نسب إليها ، وهو رئيس المنافقين . توفي سنة ٩ هـ ، وابنه عبد الله من فضلاء الصحابة شهد بدرا ، وكان قد همّ يقتل أبيه فمنعه الرسول ﷺ . تنظر ترجمته في : السيرة النبوية لابن هشام ( ١ / ٥٢٦ ) ، جبهة الأنساب (ص: ٣٥٤) .

(٢) قرأ ابن كثير «وكائن» وقرأ الباقر «وكأين» . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٣ / ٧٢ ) ، حجة القراءات لابن زنجلة ( ١ / ١٧٤ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٢ / ٢٢٥ ) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٢١٦) ، الكشاف للزنجشري ( ١ / ٤٢٤ ) .

(٣) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب «قتل» ، وقرأ باقي العشرة «قاتل» . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٣ / ٧٢ ) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ١٧٥) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٢١٧) ، الكشاف للزنجشري (١/ ٤٢٤) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٤٢ ) .

الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا  
عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَكُونُوا عَلَى  
أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَبِكُمْ فَأَتْبَعَكُمْ غَمًّا بِغَمٍ لِّكَيْلَا  
تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ  
عَلَيْكُمْ مِّنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُعَاسًا يَعْشَى طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ  
يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ  
لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ  
كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ  
وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾

﴿ تَحْسُونَهُمْ ﴾ تقتلونهم وكان في جبل أحد فرضة<sup>(١)</sup>، فجعل النبي ﷺ فيها خمسين من  
الرماة، وأمر عليهم عبد الله بن جبير<sup>(٢)</sup>، وقال لهم: «كونوا من ورائنا»، وقال لهم: «إن  
رأيتمونا تحطفنا الطير فلا تزايلوا مركزكم واثبتوا، وكذلك «إن رأيتمونا قد هزمتناهم  
وتقدمنا فلا تزايلوا المركز». وشرع المسلمون في القتال، فانهزم الكفار أولا وكان خالد بن  
الوليد إذ ذاك كافرا، فأخذ جماعة من خيل المشركين، وجاء من وراء جبل أحد، فدخل من  
الفرضة وكان بعض الرماة قد زایل المركز؛ طالبا للغنيمة، فنهاهم مقدمهم عبد الله بن  
جبير، وقال: أنسيتم وصية رسول الله ﷺ، فلم تطيعوه، ولم يبق معه إلا القليل، فلما جاء  
خالد لم يجد من الرماة إلا قليلا، فقتل عبد الله بن جبير وناسا من أصحابه، وخرج فجاء  
إلى المسلمين من ورائهم، فعادت الهزيمة على المسلمين<sup>(٣)</sup>. وقوله: ﴿ وَعَصَيْتُمْ ﴾ أي: في  
مزايلة المركز. ﴿ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَبْتُمْ مَاتُحِبُّونَ ﴾ من هزيمة الكفار ﴿ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ ﴾

(١) فرضة الجبل: ما انحدر من وسطه وجانبه، والفرضة من النهر: مشرب الماء، ومن البحر: محط السفن،  
والجمع فرض وفراض. ينظر: لسان العرب (فرض)، النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٤٣٣/٣)،  
لسان العرب (فرض).

(٢) هو عبد الله بن جبير بن النعمان الأنصاري أخو خوات بن جبير، شهد العقبة وبدرا، واستشهد بأحد  
وكان أمير الرماة يومئذ وهم خمسون رجلا وثبت حين ذهبت الرماة ليأخذوا من الغنيمة فاستشهد يومئذ  
ومثل به قتله عكرمة بن أبي جهل. تنظر ترجمته في: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٣٥ / ٤)،  
سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٣١ / ٢).

(٣) رواه البخاري رقم (٢٨١٢)، وأبو داود رقم (٢٢٨٨).

وجعل الهزيمة عليكم .

﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ ﴾ ذاهبين هاربين من الكفار ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَبِكُمْ ﴾ يا عباد الله إليّ ، فجازاكم ﴿ عَمَّا ﴾ في صدوركم بما حصل من الهزيمة ، وبسماع الصريخ بموت النبي ﷺ ﴿ بَغَيْرِ ﴾ حصل من جهتكم لرسول الله ﷺ بهزيمتكم .

﴿ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ﴾ من الغنيمة ﴿ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ﴾ من الجراحات . الوقف على قوله : ﴿ يَغْشَى طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ ﴾ <sup>(١)</sup> وقوله : ﴿ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ ﴾ مستأنف مرفوع ، ولو كان معطوفا لانتصب . قال بعض الصحابة : «لقد سقط سيفي من يدي ثلاث مرات من النعاس» <sup>(٢)</sup> .

«وكان النبي ﷺ قد استشار الصحابة لما سمع بمجيء المشركين ، فأشار قوم ممن فاتته وقعة بدر : اخرج بنا يا رسول الله إلى هؤلاء الأكلب . وقالت طائفة كبيرة : اثبت بنا يا رسول الله في منازلنا ، فوالله ما خرجنا منها لعدو إلا انهزمنا ، ولا دخل علينا عدو المدينة إلا هزمناه . فلم يزالوا بالنبي ﷺ حتى دخل ، فلبس لأمة <sup>(٣)</sup> حربه ، فلما خرج قالوا : يا رسول الله افعل ما بدا لك ، فإن شئت فاثبت في المدينة ، فقال : ما كان لني أن ينزع لأمته إذا لبسها حتى يلقي العدو» <sup>(٤)</sup> . فلما انهزم المسلمون قال الفريق الذين أشاروا بالعودة : ﴿ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ، ﴿ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَهُنَا ﴾ .

(١) ينظر : منار الهدى في بيان الوقف والابتدا للأشموني ( ص : ٩٠ ) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم ( ٣٨٤١ ) عن أنس عن أبي طلحة - رضي الله عنهما - قال : « كنت فيمن تغشاه النعاس يوم أحد حتى سقط سيفي من يدي مرارا يسقط وأخذه ويسقط فأخذه » .

(٣) اللأمة : الدرع . وقيل : السلاح ، ولأمة الحرب : أدواته وقد يترك الهمز تخفيفا . وقيل : هي أداة الحرب كلها من رمح وبيضة ومغفر وسيف ودرع .

ينظر : لسان العرب ( لأم ) ، النهاية في غريب الأثر لابن الأثير ( ٢٢٠ / ٤ ) .

(٤) رواه البخاري تعليقا ( ٢٨٣ / ١٥ ) في كتاب الاعتصام : باب قوله - تعالى - : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى: ٣٨] ، وقوله - تعالى - : ﴿ وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] قال الحافظ في الفتح : وصله الطبراني والحاكم وصححه عن ابن عباس وأخرجه أحمد مرفوعا ( ٣ / ٣٥١ ) ، من حديث جابر ﷺ .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ۖ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ﴾ بنو سلمة ، وبنو الحارث ، وقد مر ذكرهم (١) .

﴿ وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ ﴾ أي : قالوا عنهم بعد موتهم ؛ كقوله : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ﴾ [الأحقاف: ١١] ولم يقل : ما سبقتمونا . أي : قالوا لأجلهم وبسببهم .

ولو كان القول مع إخوانهم لقال : لو أطعتمونا لما قتلتم ﴿ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ ﴾ تحصل من الشهادة خير مما تجمعون من الأموال . « ما » في ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ ﴾ زائدة ، وقد تخطاها العامل ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ . قال الحسن : « كان رسول الله عن مشاورتهم غنيا ، وإنما أراد به أن يستن به الحكام بعده » (٢) ، ولأن من استشرته فقد استملت قلبه ، واجتلبت حبه .

﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعْلَمَ مَنْ يَغُلُّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَنَهُ جَهَنَّمَ ۗ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ ۗ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ

(١) عند الآية (١٢٢) من سورة آل عمران .

(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور (٢/٣٥٨) ونسبه لسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي عن الحسن قال : قد علم الله أنه ما به إليهم من حاجة ولكن أراد أن يستن به من بعده .

قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنِّي هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقِي الْجَمْعَانَ فَيَاذَنَ اللَّهُ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴿١٧١﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ﴿١٧١﴾

قيل : فقدت قطيفة حمراء من المغنم ، فقال قائلون : لعل رسول الله يكون قد أخذها من صفي المغنم فنزلت ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغْلَ ﴾<sup>(١)</sup> والغلول : الأخذ من الغنيمة قبل القسمة . وقرئ « أن يُغْلَ »<sup>(٢)</sup> مبني لما لم يسم فاعله ، أي : ينسب إلى الغلول .

﴿ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ حاملا له على رقبته . ﴿ هُمْ ﴾ ذوو ﴿ دَرَجَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ .

﴿ رَسُولًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾ يعلمون صدقه وأمانته وطهارة نشأته . ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾ بمزايلة المركز ﴿ فَيَاذَنَ اللَّهُ ﴾ أي : بقضائه . ﴿ قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا ﴾ عن أنفسكم ﴿ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ ﴾ مكان قتال ﴿ لَاتَّبَعْنَاكُمْ ﴾ وهذا قول عبد الله بن أبي وأصحابه ، ومن كان رأيهم المقام في المدينة ﴿ فَادْرَأُوا ﴾ فادفعوا .

﴿ بَلْ ﴾ هم ﴿ أَحْيَاءٌ ﴾ ﴿ مِّنْ خَلْفِهِمْ ﴾ من ذريتهم وجميع مخلفيهم ، فإن الله يخلفهم أحسن الخلافة . ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ ﴾ أي : وبأن الله . ﴿ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ بذلك أيضا .

لما انهزم المسلمون في وقعة أحد وذهب الكفار راجعين ، فتشاوروا فقالوا : ماذا صنعتم؟ قتلنا أصحاب محمد ، حتى إذا لم يبق منهم إلا الشريد تركناهم ، ارجعوا بنا حتى نستأصلهم (٢٨/ب) فأمر النبي ﷺ أصحابه أن يخرجوا لطلب الكفار فخرجوا وبهم الجراحات ،

(١) رواه أبو داود رقم (٣٩٧١) ، والترمذي في الجامع الصحيح رقم (٣٠٠٩) وحسنه .

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمر وعاصم « أن يُغْلَ » ، وقرأ باقي العشرة « يُغْلَ » . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان

(٣ / ١٠١) ، الحجة لابن خالويه (ص : ١١٥ ، ١١٦) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ١٧٩ ، ١٨٠) ،

الدر المصون للسمن الحلبي (٢ / ٢٤٨) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٢١٨) ، الكشاف للزمخشري

(١ / ٢٢٧) النشر لابن الجزري (٢ / ٢٤٣) .



منهم من يتوكأ على صاحبه ، وقال الغزالي: « لا يخرجنا معنا إلا من كان شهد الواقعة » ، وخرج المسلمون سالمين ، وجاء نعيم بن مسعود<sup>(١)</sup> وكان إذ ذاك كافرا ، لكنه كان محبا للنبى ﷺ ، فقال : يا محمد ، عز علينا ما جرى على أصحابك ، إنني ذاهب إلى أبي سفيان بن حرب أخذه عنكم<sup>(٢)</sup> ، فقال له : افعل . فلحق بأبي سفيان وهو يريد الرجوع إلى المدينة ، فقال له : ليس هذا برأي ، قد قاتلتموهم وانتصرتم عليهم ، ألا ترجعوا ؛ لئلا تكون الكرة عليكم ، فيذهب ما انتشر لكم في البلاد من السمعة ، ولقد رأيت محمدا وأصحابه قد جمعوا خيلا ورجلا كثيرا وهم يتحرقون عليكم تحرقا ، حتى قلت أبياتا منها :

كادت تهدُّ من الأصواتِ راحلتي إذا سالتِ الأرضُ بالجردِ الأبايلِ

﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ١٧٢ ﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ١٧٣ ﴿ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ أَرْضِهِمْ فَاذْكُرُوا لِلَّهِ الْيَوْمَ الَّذِي كَفَرْتُمْ بِهِ وَأَنْتُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ يُحْرِقُهُمْ وَأُوتُوا آلِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ الْكِتَابَ وَالْإِنْجِيلَ وَالْحُرُوفَ الْمُرْسَلَةَ ١٧٤ ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ١٧٥ ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَصُرُوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ إِلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٧٦ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٧ ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْمَانُمِلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نَمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ١٧٨ ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ١٧٩ ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَاءِ أَنْفُسِهِمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ١٨٠ ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ١٨١ ﴿

(١) هو نعيم بن مسعود بن عامر ، أسلم أيام الخندق ، وموقفه في تخذيل المشركين وبنى قريظة يوم الأحزاب مشهور مشهود له ، سكن المدينة وتوفي في خلافة عثمان .

تنظر ترجمته في : الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ( ٣ / ٥٦٨ ) .

(٢) أخذه عنكم : يقال : خذل فلانا وخذل عنه : تخلى عن عونه ونصرته ، وخذله : حملة على الفشل وترك القتال ، وخذل عنه أصحابه حملهم على خذله . ينظر : لسان العرب ( خذل ) .

فانشى رأي أبي سفيان عن العود للقتال ، فرجع النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة سالمين ،  
فأنزل الله : ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ ﴾<sup>(١)</sup> من ها  
هنا لبيان الجنس ، فإن كل من استجاب لله وللرسول فقد أحسن ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ  
النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ﴾ يعني أبا سفيان . ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ ﴾ كافينا الله ﴿ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ﴾ طاعة  
الرسول بالخروج .

﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ ﴾ يخوفكم أوليائه ؛ لأنه إنما يخوف المؤمنين .

وقوله : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ تهيج للعزيمة ، وبعث للهمة . ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾  
إملاءنا لهم خيرا لهم . والإملاء : الإمهال . ﴿ حَتَّى يَمِيزَ الْخَيْثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ فتبين طاعة المطيع  
وعصيان العاصي . ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ فيطلعه على ما يشاء من غيوبه .

﴿ هُوَ خَيْرٌ ﴾ «هو» فصل أو عماد ، وفي الحديث الصحيح : «ما من صاحب مال لا يؤدي  
زكاته إلا مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع يأخذ بلهزمتيه ، يعني : شذقيه ، ويقول : أنا مالك ،  
أنا كنزك ، حتى يقضى بين الناس ثم تلا : ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (١/٢٩)  
الآية»<sup>(٢)</sup> .

لما نزل ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللهَ قرضاً حسناً ﴾ قالت اليهود : أفقر ربك يا محمد حتى يطلب  
منا القرض ، فنزلت هذه الآية . وهذا جهل من اليهود ، أو تجاهل ؛ لأن الله - تعالى - إنما  
شبه ما يعطى في سبيل الله بالقرض ؛ لأنه يعطيه ليأخذ بدله وما يلزم من تشبه الشيء  
بالشيء من وجه أن يشبهه من كل الوجوه . لما كانت أكثر الأعمال تزاول بالأيدي قيل :  
﴿ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [الشورى: ٣٠] ولو كان الفعل مكتسباً بغير اليد .

﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾<sup>(١٨٢)</sup> الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ  
عَهْدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِينَا بَقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ  
قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿<sup>(١٨٣)</sup> فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٤٠٧٧) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (١٤٠٣ ، ٤٥٦٥ ، ٤٦٥٩) ، ومسلم رقم (٩٨٧) من حديث

أبي هريرة ؓ .

كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ \* لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصَّبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِن عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ وَإِذ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ مِنَّا قَلِيلًا فِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ \*

وقال : ﴿لَيْسَ بِظُلَامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ وهو كقولك : أغلقت الأبواب ، وغلقت الأبواب ، كان القربان في عهد موسى يجعل في مكان منفرد ، فتنزل نار من السماء تأكله إذا كان حلالا .

﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ شيء يستمتع به مدة ثم يزول فيغير صاحبه به .  
 ﴿ مِن عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ أي : من الأمور التي تحتاج إلى عزم قوي ، ومجاهدة للنفس . وجواب الشرط محذوف ؛ لأن كونه من عزم الأمور ليس معلقا على شرط .

﴿ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ نسبه إليهم ؛ لأنه مأخوذ عليهم ؛ كقوله : ﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ كسوه بالذهب ، وغشوه بالحرير ، وطيبوه بالمسك ، ولم يعملوا به فنبذوه وراء ظهورهم ، ولو عملوا به لم يكونوا نابذين له وراء ظهورهم .

وقيل لابن عباس : لئن كان كل من فرح بما أوتي معذبا فقد هلكنا ! فقال : هذه الآية نزلت في اليهود ؛ لأن قبلها : ﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ ، وبعدها ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ﴾ وذلك أن النبي ﷺ سأل اليهود عن شيء فأخبروه بخلاف الحق ، وأروه أنهم قد نصحوه واستحمدوا له فيما نقلوا ، فنزلت هذه الآية

﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾<sup>(١)</sup> .

﴿بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ﴾ موضع الخبر الثاني لقوله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾ وقوله: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ﴾ تكرير للعامل لبعده العهد به ؛ كقوله: ﴿أَبْعَدَكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ﴾<sup>(٢٥)</sup> [المؤمنون] .

﴿يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ قيل: في الصلاة . وقال النبي ﷺ لعمران بن حصين<sup>(٢)</sup>: «صل قائما ، فإن لم تستطع فقاعدا ، فإن لم تستطع فعلى جنب»<sup>(٣)</sup> .

أي : قائلين : ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا﴾ أي : لا يكون لأعمال العباد ثواب ولا عقاب .

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾<sup>(١١٣)</sup> رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١١٣﴾ رَبَّنَا وَءَاثِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴿١١٤﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ فَأَلَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١١٥﴾ لَا يَغْرَنَكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١١٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَيُبْسُ الْهَادُ ﴿١١٧﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴿١١٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١١٩﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ

(١) رواه الطبري في تفسيره (٤/١٢٩)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ١٣٧)، رقم (٢٧٥)، وزاد

السيوطي في الدر المنثور (٢/١٠٥) نسبه لابن أبي حاتم وابن المنذر، عن ابن عباس - رضي الله عنهما .

(٢) هو عمران بن حصين بن عبيد بن خلف ، أسلم قديما هو وأبوه وغزا مع رسول الله ﷺ غزوات ولم ينزل

في بلاد قومه وينزل إلى المدينة كثيرا إلى أن قبض رسول الله ﷺ فتحول إلى البصرة فترها وولي قضاءها إلى

أن مات بها . ينظر : الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٤ / ٧٠٥) .

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (١١١٧) ، وأحمد في المسند (٤ / ٤٢٦) ، وأبو داود رقم (٩٥٢) ،

والترمذي رقم (٣٧٢) من حديث عمران بن حصين .

## لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٠﴾

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ﴾ مخلداً ﴿فَقَدْ أَخْرَبْتَهُ﴾ . وقوله : ﴿يُنَادِي﴾ أي : يرفع صوته يدعو الناس إلى الإيمان . ﴿مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ أي : في زمرة بهم . ﴿مَا وَعَدْنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ قيل : على تصديق رسلك . وقيل : على ألسنتهم . روي أن أم سلمة <sup>(١)</sup> قالت : «يا رسول الله لو كان في النساء خيراً لأنزل فيهم قرآناً ، فنزلت ﴿لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ﴾ ونزلت ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ [الأحزاب : ٣٥] <sup>(٢)</sup> .»

﴿تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾ كالتجارة ، وكثرة أموالهم ، فذلك ﴿مَتَعٌ قَلِيلٌ﴾ ﴿وَيَبْسُ الْمَهَادُ﴾ جهنم . النزول : دار الضيافة التي تهيأ للوفد قبل وصوله .

﴿أَصْبِرُوا﴾ عند الشدائد ﴿وَصَابِرُوا﴾ عند اللقاء ﴿وَرَابِطُوا﴾ قيل : المراد : وربطوا الثغور . وقيل : هو من رباط الخيل ، أي : سابقوا إلى مرابطتها كل سابق .

\* \* \*

(١) هي السيدة هند بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية أم المؤمنين ، تزوجها أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال ، وأسلما وهاجرا المهجرتين إلى الحبشة ثم إلى المدينة فمات زوجها ، فتزوجها ﷺ سنة أربع من الهجرة . وتوفيت سنة ستين هجرية .

تنظر ترجمتها في : الإصابة لابن حجر ( ٤ / ٤٥٩ ، ٤٦٠ ) .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية ( ٣٥ ) والحديث رواه الترمذي في الجامع الصحيح رقم ( ٣٠٢٣ ) ، والحاكم في المستدرک ( ٢ / ٣٠٠ ) ، وابن جرير في تفسيره ( ٤ / ١٤٣ ) ، والواحدي في أسباب النزول ( ص : ١٤٣ ) رقم ( ٢٨٥ ) ، وزاد نسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٢ / ١٩٧ ) ، لسعيد بن منصور وابن المنذر وعبد الرزاق وابن أبي حاتم ، من حديث أم سلمة وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترمذي ( ٢٤٢٠ ) .

## سورة النساء [ مدنية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ .

قوله : ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ معطوف على فعل محذوف ، التقدير : خلقكم من نفسٍ واحدة أنشأها ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ ، فحذف المعطوف عليه أولاً ؛ لدلالة الكلام عليه ، ثم فسر كيفية خلق الكل من نفس واحدة ، بأنه خلق منها زوجها ﴿ وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ وقيل : قوله : ﴿ وَخَلَقَ ﴾ معطوف على قوله ﴿ خَلَقَكُمْ ﴾ والتقدير : الذي خلقكم من نفس واحدة ، والذي خلق منها زوجها ، والذي بثَّ منها رجالا كثيرا ونساء فيكون الخطاب على الأول لبني آدم كلهم ، وعلى الثاني لقريش . قرئ « والأرحام »<sup>(١)</sup> بالخفض عطفاً على الهاء في « به » وهو عطف المجرور الظاهر على المجرور المضمرة ، والأكثر أن يكون بإعادة الجار ، وخلافه جائز ؛ كقوله [ من البسيط ] :

..... فما يك والأيام من عجب<sup>(٢)</sup>

وقول الآخر [ من الوافر ] :

أكرُّ على الكتيبة لا أبالي أحتفي كان فيها أم سواها<sup>(٣)</sup>

(١) قرأ حمزة بن حبيب من العشرة « والأرحام » ، وقرأ باقي العشرة « والأرحام » . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٣ / ١٥٧ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ١١٨ ، ١١٩ ) ، حجة أبي زرعة ( ص : ١٨٨ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٢٢٦ ) ، الكشاف للزمخشري ( ١ / ٢٤١ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٤٧ ) .

(٢) هذا عجز بيت و صدره : فاليوم قد بت تهجوننا وتشتما فاذهب .....

ينظر بلا نسبة في : الإنصاف لابن الأنباري ( ١ / ٤٦٤ ) ، خزانة الأدب للبغدادي ( ٥ / ٢٣ ) ، شرح الأشموني للألفية ( ٢ / ٤٣٠ ) ، شرح أبيات سيويه ( ٢ / ٢٠٧ ) ، شرح المفصل لابن يعيش ( ٣ / ٧٨ ، ٧٩ ) ، الكتاب لسيويه ( ٢ / ٣٩٢ ) ، همع الهوامع للسيوطي ( ١ / ٣٨٢ ) .

(٣) البيت للعباس بن مرداس ، ينظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٢ / ٤٨ ) ، خزانة الأدب للبغدادي ( ٢ / ٤٣٨ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ١ / ٥٣٠ ) ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ( ص ١٥٨ ) ، وبلا نسبة في الإنصاف لابن الأنباري ( ١ / ٢٩٦ ) ، خزانة الأدب للبغدادي ( ٣ / ٤٣٨ ) .

ويروى الشطر الثاني : ..... أفيها كان حتفي أم سواها

﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَتْنِي وَثَلَاثَ وَرُبْعَ ۖ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا نَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ آدَتِي أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴿٤﴾ وَلَا تُوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّرْغُوبًا ﴿٥﴾ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِّنْهُمْ رُّشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبُرُوا ۚ وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۚ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾﴾

لا يجوز إعطاء اليتيم ماله قبل البلوغ ، وبعد البلوغ لا يسمون أيتاما حقيقة .

وقوله : ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ﴾ سماهم يتامى ، مجازا باسم ما كانوا عليه ، وفيه تلويح بسرعة (٣٠/أ) الإعطاء عقب البلوغ والرشد ؛ لأنه أقرب إلى إطلاق هذا المجاز ، فلا يقال لابن خمسين عاما : إنه يتيم . ﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ﴾ فإن علمتم . ويجرم أكل مال اليتيم ﴿إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبُرُوا﴾ وبغير إسراف ولا بدار ، وإنما خصص الأول بالنهاي ؛ لأنه أقبح ؛ كقوله ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا﴾ [آل عمران: ١٣٠] ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾ كان ولي اليتيم يأخذ شاة سميئة من غنم مولاه ويعطي مكانها مهزولة ؛ ليبقى العدد بحاله ، فنهوا عن ذلك ، أي : ولا تأكلوا أموالهم مضمومة إلى أموالكم .

والحوب : الإثم . كانوا يتخرجون من أكل مال اليتيم ، ويتزوجون نسوة ولا يعدلون فيهن فقيل لهم : وإن خفتم التحرز في أموال اليتامى فاعدلوا أيضا في أمر الزوجات .

﴿مَتْنِي وَثَلَاثَ وَرُبْعَ﴾ بالواو ، ولو قال : أو ثلاث أو رباع لفسد المعنى ؛ كما إذا أعطى رجل رجلا ألفا ، وقال : فرقها ثلاثة ثلاثة ، أو أربعة أربعة ، أو خمسة خمسة ، لم يجوز أن يخالف بينهم في العطاء ، فيعطي هذا أربعة وهذا خمسة . ولو قال : فرقها ثلاثة ثلاثة ، وأربعة أربعة ، وخمسة خمسة ، جاز أن يعطي هذا ثلاثة وهذا أربعة وهذا خمسة . ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا نَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ أي : فانكحوا واحدة ، أو ما شئتم من السراري ؛ فإن السراري لا حجر على مالكن فيهن في قسم ولا مبيت . ﴿ذَلِكَ آدَتِي أَلَّا تَعُولُوا﴾ أي : أن لا تجوروا . وهذا قول الأكثرين .

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ (٧)

قال الشافعي - رحمه الله : أي : لا يكثر من تعولون<sup>(١)</sup> ، واحتج به الشافعي على وجوب نفقة الزوجات ، وأنكر جماعة من أهل اللغة ذلك ، فقالوا : يقال في الجور : عال يعول ، وهو المراد هنا ؛ كقوله : ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ وانتصر الزمخشري للشافعي ، مع أنه حنفي ، وقال : روي ذلك عن أهل اللغة أنه يقال : من كثر عياله عال يعول ، وأعال يعيل<sup>(٢)</sup> .

﴿فَإِنْ طَبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا﴾ أي : طابت أنفسهن . وقال بعض العلماء : لا يجوز

(١) ينظر : أحكام القرآن للشافعي ( ١ / ٢٦١ ) .

(٢) ينظر : الكشاف للزمخشري ( ١ / ٤٩٧ ، ٤٩٨ ) أورد هذا القول جماعة كأبي بكر بن داود الرازي ، والزجاج وغيرهما ؛ قال الرازي : «هذا غلط من جهة المعنى واللفظ ؛ أما الأول : فلا إباحة السراري ، وإنه مظنة كثرة العيال كالتزوج . وأما اللفظ : فلأن مادة «عال» بمعنى : كثر عياله ، من ذوات الياء ؛ لأنه من «العيلة» ، وأما «عال» بمعنى : جار ، فمن ذوات الواو ، فاختلفت المادتان ، وأيضاً فقد خالف المفسرين» .

وقد ردُّ على هؤلاء : أما قولهم : التسري أيضاً يكثر معه العيال ، مع أنه مباح ، فممنوع ؛ وذلك لأن الأمة ليست كالمنكوحه ، ولهذا يعزل عنها بغير إذنها ، ويؤجرها ، ويأخذ أجرتها ينفقها عليه وعليها وعلى أولادها . قال الزمخشري في «الكشاف» : وجهه أن يُجعل من قولك : عال الرجل عياله يعولهم ؛ كقولك : مانهم يمونهم ، أي : أنفق عليهم ؛ لأن من كثر عياله ، لزمه أن يعولهم ، وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال والرزق الطيب ، وكلام مثله من أعلام العلم وأئمة الشرع ورؤوس المجتهدين ( يعني : الشافعي رحمه الله ) حقيق بالحمل على الصحة والسداد ، وأن لا يظن به تحريف تعيلوا إلى تعولوا ، ثم أثنى على الشافعي قائلاً : بأنه كان أعلى كعباً ، وأطول باعاً في علم كلام العرب من أن يخفى عليه مثل هذا ، ولكن للعلماء طرقاً وأساليب ، فسلك في تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات . وأما قولهم : خالف المفسرين ، فليس بصحيح ، بل قاله زيد بن أسلم وابن زيد . وأما قولهم : اختلفت المادتان ، فليس بصحيح أيضاً ، فقد حكى عن العرب : عال الرجل يعول : كثر عياله . وتعولوا : تفتقروا ، وكثرة العيال سبب للفقر . وقال ابن كثير : والصحيح قول الجمهور : ﴿ذَلِكَ أَذَى الْأَلَّا تَعُولُوا﴾ أي : لا تجوروا ، يقال : عال في الحكم إذا قسط وظلم وجر .

وينظر في ذلك : تفسير ابن كثير ( ١ / ٥٩٦ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٢ / ٣٠٤ ) ، الكشاف للزمخشري ( ١ / ٤٩٧ ، ٤٩٨ ) ، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ( ٢ / ١١ ) ، مفاتيح الغيب للفخر الرازي ( ٩ / ١٤٤ - ١٤٦ ) وقد رد السمين الحلبي في الدر المصون على قول أبي بكر الرازي ، ونصر تفسير الشافعي - رحمه الله - ووجهه .



للمرأة أن تفتدي بجميع صداقها ، بل ببعضه ؛ لقوله : ﴿عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ﴾<sup>(١)</sup> .

﴿هَيْئًا﴾ غير منغص ، ﴿مَرِيئًا﴾ يحسن استمراؤه . ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ يعني : النساء والصبيان . وقوله : ﴿وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ أي : اتجروا لهم فيها ؛ لئلا تأكلها النفقة .

﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾<sup>(٨)</sup> وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا<sup>(٩)</sup> إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا<sup>(١٠)</sup> يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ آبَاؤُهُ فَلِلْأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِلْأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ؕ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا<sup>(١١)</sup> ﴿

وقال في المختصر: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ لأن القصد (٣٠/ب) بهذا الأمر أن يواسى القريب المحجوب بشيء من المال الحاضر الذي امتدت عينه إليه ، وليس المراد أن يتجر في المال حتى يعطى من الفائدة .

وإذا حضر أحد عند من حضرته الوفاة ، ورآه يوصي ويحجف بالورثة ، فعلى الوارث أن ينهاه ، ويقدر في نفسه أنه هو المختصر وإن رأى شخصا يغري الموصي بالإجحاف بالورثة ، فعليه أن ينهاه وليدله على الصواب بلطف .

﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ أي : سبب عذاب نار . والصلبي : الدخول في النار ، ثم الإطباق عليها كما يفعل في تنور الشواء ، ومنه : شاة مصلية .

﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ يريد بالأنثيين : ما إذا كن في مسألتين ، وكانوا إخوة لأب وأم أو لأب ، فأما الإخوة لأم ، فذكرهم وأنثاهم سواء ، وأما إذا اجتمعت أختان من أب ، فلهما الثلثان وليس للأخ الواحد إذا انفرد الثلثان ، بل له المال كله ، وكذلك الأولاد .

﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾ قيل : «فوق» زائدة ؛ كقوله : ﴿فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ [الأنفال: ١٢] وقيل : هذه الآية دلت على فرض البنت الواحدة ، وفرض ما زاد عن

(١) نقله الزمخشري في الكشاف ( ١ / ٤٧١ ) عن الليث بن سعد : أنه لا يجوز أن تبرع المرأة إلا باليسير .

البتين، وأما البنتان فاستحقاقهما الثلثين مأخوذ من الخبر والمعنى ؛ أما الخبر فروي : «أن زوجة سعد جاءت ومعها ابنتان ، وقالت : يا رسول الله هاتان ابنتا سعد ، وقد توفي وأخذ عمهما مالهما، والله لا ينكحان إلا بمال، فأعطى الرسول ﷺ البنتين الثلثين وللزوجة الثمن، وللعلم الباقي<sup>(١)</sup>».

وأما المعنى : فإن الله - تعالى - فرض للأختين الثلثين بقوله : ﴿فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ [النساء: ١٧٦] فإذا فصل ذلك في الأختين ، فالبنتان أولى بذلك ؛ لأن الأخوات مع البنات عصبه ، لا تأخذ الأخوات إلا ما فضل عن فرض البنات .

قوله : ﴿وَلِأَبْوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ﴾ ولو قال : لأبويه السدس . لظن أنهما يشتركان في السدس . ولو قال : ولأبويه الثلث لما عرف كيف يقسم ؛ بالسوية بينهما ، أم للذكر مثل حظ الأنثيين ؟ ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾ والأخوان والأختان (٣١/أ) والأخ والأخت ، كل فريق منهم يحجب الأم من الثلث إلى السدس .

وقال ابن عباس : لا يحجبها إلا ثلاثة فصاعدا ثلاثة إخوة ، أو ثلاث أخوات ، أو أخوان وأخت ، أو أخ وأختان ؛ لقوله - تعالى - ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾ والإخوة جمع وأقل الجمع ثلاثة<sup>(٢)</sup> . وقال الحسن البصري : لا يحجب الأم من الثلث إلى السدس إلا ذكور الإخوة أو ذكورهم مجتمعين مع الإناث ، وأما الأخوات الخالص فلا يحجبونها إلى السدس ؛ لقوله - تعالى : ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾ لأن الإخوة تشمل الذكور المنفردين ، وتشمل الذكور مجتمعين مع الإناث ، ولا يدخل فيه الإناث الخالص<sup>(٣)</sup> .

﴿لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ فلا توصي لأحد من الورثة زيادة على ما أعطاه الله ؛ رجاء منك أنه ينفع أولادك ، وينفع من يخلفه بعدك من إزامك ، فإنك لا تدري أيهم أقرب لك نفعاً وأبعد ضرراً. ﴿فَرِيضَةٌ﴾ مصدر التقدير : فرض الله ذلك فريضة .

(١) رواه أحمد في المسند (٣/٣٥٢)، وأبو داود رقم (٢٨٩١، ٢٨٩٢)، والترمذي رقم (٢٠٩٢)، وابن ماجه (٢٧٢٠)، والحاكم في المستدرک (٤/٣٣٤)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ١٤٩، ١٥٠)، رقم (٢٩٨).

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (٥/٦٢)، والبيضاوي في تفسيره (١/١٥٣)، وذكره ابن قدامة في المغني (٧/٢٨) من المسائل التي خالف ابن عباس فيها الصحابة ﷺ جميعاً .

(٣) تنظر : المراجع السابقة .

للزوجتين والثلاث والأربع ما للواحدة من الربع أو الثمن ، ﴿ وَإِنْ كَانَتْ رَجُلًا ﴾ أو امرأة ﴿ يُورَثُ كَلَلَةً ﴾ يعني يرثه من عدم عمود النسب من أعلاه وأسفله فلا كلاله له مع وجود الأب والجد والأم والجدة وإن علوا ، ولا إن وجد الابن أو البنت أو بنت الابن ، أو ابن الابن .

والكلاله التي في آخر السورة <sup>(١)</sup> وهم الإخوة من الأب والأم ، أو من الأم . والكلاله ها هنا من الأم خاصة ، فيأخذون ما لأهمهم ، فإن زاد أولاد الأم على واحد حصلت لهم القوة بالكثرة ، فأعطيناهم نصيب الأم في أكمل أحوالها ، وهو الثلث وإن كان واحدا أو واحدة من الإخوة للأم ، أعطي أقل فروض الأم وهو السدس .

﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوَصِّينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ تُوَصُّونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَتْ رَجُلًا يُورَثُ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوَصِّينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّتَهُ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ وَالَّذِي يَأْتِيكَ الْفَدْحِشَةَ مِنْ نِسَائِكَ فَأَنْتَسِحِدُوهَا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِّنْكُمْ إِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ ﴾

﴿ وَصِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ ﴾ يجوز أن يكون مصدرا : يوصيكم الله في أولادكم . أو مفعولا به . ﴿ غَيْرِ مُضَارٍّ ﴾ أي : لا يضار بوصية من الله ، ولا يزد عليها ، ولا ينقص فيها . قوله : ﴿ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ ﴾ بزيادة أو نقص ، ويعتقد جوازه ﴿ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا ﴾ .

(١) في الآية ( ١٧٦ ) قوله - تعالى : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَلَةِ إِنْ أَمْرًا هَلْكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا أُخْتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَّاتِ بَيِّنٌ لِّكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

﴿ وَالَّذِينَ يَأْتِيَنَهَا مِنْكُمْ فَعَاذُوهُمْ فَإِنْ تابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ (١٦) إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَآءِ اتَّيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ ﴿

كانت عقوبة الزنى في أول الإسلام على النساء : الحبس حتى يتوفاهن الموت ، أو يجعل الله لهن سيلا . وعلى الرجال : الإيذاء بما يراه الإمام (٣١/ب) حتى يتوبوا ، أو يصلحوا ، فقال النبي ﷺ : خذوا عني ، خذوا عني ، قد جعل الله لهن سيلا ؛ البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم <sup>(١)</sup> .

وظاهر هذا الخبر أن يجمع المحصن بين الجلد والرجم ، وليس كذلك لأن النبي ﷺ رجم ماعزاً والغامدية ، ولم يجلدهما <sup>(٢)</sup> ، فنسخ فعله ذلك الخبر .

قوله : ﴿ بِجَهْلَةٍ ﴾ أي : بإقدام ، وليس يريد بالجهل : ضد العلم ، فإن الجاهل بالتحريم ، لا حد عليه ، ولا إثم ، وإنما هو كقول الشاعر [ من الوافر ] :

أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَجْهَلٌ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ <sup>(٣)</sup>

(١) رواه مسلم في صحيحه رقم (١٦٩٠) ، وأحمد (٣١٣/٥ ، ٣١٧) ، وأبو داود رقم (٤٤١٥) ، والترمذي رقم (١٤٣٤) ، وابن ماجه رقم (٢٥٥٠) عن عبادة بن الصامت ؓ .

(٢) أما رجم ماعز : فرواه البخاري في صحيحه رقم (٦٨٢٥) ، ومسلم رقم (١٦٩١) ، وأحمد في المسند (٤٥٣/٢) ، وأبو داود رقم (٤٤١٩) ، والترمذي رقم (١٤٢٨) . وأما رجم المرأة الغامدية : فرواه مسلم في صحيحه رقم (١٦٩٥) ، وأحمد في المسند (٤٢٩/٤ ، ٤٣٥) ، وأبو داود رقم (٤٤٤٢) ، والترمذي رقم (١٤٣٥) .

(٣) البيت لعمر بن كلثوم ، ينظر في : أمالي المرتضي (٥٧/١) ، بهجة المجالس (٦٢١/٢) ، جمهرة أشعار العرب (١٤/١) ، خزانة الأدب للبغدادي (٤٣٧/٦) ، ديوان عمرو بن كلثوم (ص: ٧٨) ، شرح شواهد المغني (١٠/١) ، شرح القصائد السبع (ص: ٤٢٦) ، لسان العرب (رشد) .

﴿ ثُمَّ يَتُوبُ مِنْ قَرِيبٍ ﴾ أي : بالغرغرة . وفي الحديث : « إن الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر<sup>(١)</sup> ». فإذا حضر أسباب الموت لم يقبل من الكافر إيمانه ولا من المؤمن توبته .

كان الرجل إذا تُوفي وله زوجة طرح ابنه أو وارثه على خبائها ثوبه أو مئزرا ، ويعتقد أنه ورثها كذلك كما يرث أموال مورثه ومنافعه ، فإذا أراد دخل عليها وأبقاها في عصمته بغير مهر ، وإن شاء زوجها لمن شاء وأخذ المهر ، فنزلت ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا ﴾<sup>(٢)</sup> .

وقوله : ﴿ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ يجوز أن يكون مجزوما بالنهي ، ومنصوباً بالعطف على أن ترثوا . ﴿ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ ﴾ فله حينئذ أن يضيق عليها ويمنعها من الخروج ، لتفتدي إن شاءت . ﴿ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ ﴾ فلا تعجلوا بالطلاق . ﴿ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ .

﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَاتٍ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَنًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾<sup>(٣)</sup> وكيف تأخذونه ، وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذت منكم ميثاقاً غليظاً<sup>(٤)</sup> ولا تنكحوا ما نكح ءاباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا<sup>(٥)</sup> .

روي أن عمر قال على المنبر : يا أيها الناس لا تغالوا في مهور النساء ، فلو كان خيراً لسبقكم به رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده لا أعلم أحداً زاد على مهورهن إلا علوته بالدره ، فكانت مهورهن خمسمائة درهم ، فقامت امرأة وقالت : يعطينا الله ويمنعنا عمر ، فقال لها عمر : وأين أعطاك الله ؟ فقالت : ﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَاتٍ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ﴾ فقال عمر : أصابت امرأة وأخطأ عمر ، كل الناس أفاقه من عمر<sup>(٦)</sup> !

(١) رواه أحمد (١٣٢/٢ ، ١٥٣) ، والترمذي رقم (٣٥٣٧) ، وابن ماجه رقم (٤٢٥٣) ، والحاكم في المستدرک

(٤/٢٥٧) ، من حديث ابن عمر ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم (٢٨٠٢) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٤ / ٣٠٦) ، والواحدي في أسباب النزول (ص : ١٥١) ، رقم (٣٠٠) .

(٣) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٧/٢٣٣) وقال : هذا منقطع . وذكره السيوطي في الدر المنثور

(٢/٢٣٧) ونسبه لسعيد بن منصور وأبي يعلى وقال السيوطي : بسند جيد .

قيل في قوله : ﴿ وَأَخَذتَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ هو قول الولي للزوج : أزوجك على ما (أ/٣٢) أمر الله به من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ، ومن دأب الإنسان إذا تزوج ثيباً أن يبغض زوجها الأول ، ويود أن يتقصه كلما ذكر ، فلو جوز له أن يتزوج امرأة أبيه ، لأفضي إلى بغضه لأبيه ، وانتقاصه ومقته ، وكانوا يسمون الوالد من زوجة الأب : المنقبي . ولذلك قال - تعالى : ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا ﴾ وقوله : ﴿ مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ ﴾ يعني بالنكاح : العقد .

وقال أبو حنيفة : المراد به الوطاء ، فإذا زنى رجل بامرأة ، حرمت على ابنه عنده ، وعند الشافعي : الزنى لا يحرم الحلال<sup>(١)</sup> .

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّن الرِّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ

= وهو جزء من قصة المرأة التي اعترضت أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه عندما أراد أن يحدد قدرًا معينًا من المهور في الزواج ، وهو أمر شائع ومشهور بين الناس ، وقد قال العلامة الشيخ ناصر الألباني - رحمه الله - في إرواء الغليل ( ٦ / ٣٤٧ - ٣٤٨ ) : أما ما شاع على الألسنة من اعتراض المرأة على عمر فهو ضعيف منكر ، يرويه مجالد عن الشعبي عن عمر ، وله طريق عند عبد الرزاق في المصنف ( ٦ / ١٨٠ ) ، رقم ( ١٠٤٢٠ ) وقال الشيخ الألباني عن هذا الطريق : إسناده ضعيف .

(١) قال الشيخ رشيد رضا في تفسير المنار ( ٤ / ٤٧٩ ) : يرى الأحناف أن من زنى بامرأة ، أو لمسها أو قبلها أو نظر إلى فرجها بشهوة حرم عليه أصولها وفروعها وتحرم هي على أصوله وفروعه ، وثبتت حرمة المصاهرة عندهم بالزنى ومقدماته ودواعيه ، ولو زنى الرجل بأم زوجته أو بنتها حرمت عليه حرمة مؤبدة . ويرى جمهور العلماء أن الزنى لا تثبت به حرمة المصاهرة . واستدل الجمهور على هذا بما يأتي : بقوله - تعالى : ﴿ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَّا وَرَاءَ ذَلِكَ ﴾ فهذا بيان عما يحل من النساء بعد بيان ما حرم منهن ، ولم يذكر أن الزنى من أسباب التحريم . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يحرم الحرام الحلال ، إنما يحرم ما كان بنكاح » وقد سأله رجل زنى بامرأة وأراد أن يتزوجها أو يتزوج ابنتها . ثم إن هذه مسألة مما تمس إليها الحاجة وتعم بها البلوى وما كان الشارع ليسكت عنها أو يفصل فيها ، وقد كانوا قريبي عهد بجاهلية تفشى فيها الزنى ، فلو فهم أحد منهم أن لذلك مدركا في الشرع أو تدل عليه علة وحكمة لسألوا عن ذلك وتوفرت الدواعي على نقل ما يفتون به . وينظر في ذلك : المبسوط للسرخسي ( ٤ / ٤١ ) ، مختصر المزني ( ١ / ١٨١ ) ، المغني لابن قدامة ( ٧ / ٤٩٢ ) .

مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٣﴾ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ هذا عام لم يدخله تخصيص ، ويدخل فيه أمهات النسب وأمهات الرضاعة ، وإن علون . كذلك الكلام في بناتكم وكذلك الأخوات الأشقاء ، ومن الأب أو الأم من النسب والرضاع ذكر من المحرمات سبعة .

ومن المصاهرة : أمهات نسائكم ، وربائبكم ، وحلائل أبنائكم ، وزوجة الأب ﴿ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ ﴾ ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ فذكر من المصاهرة خمسا وبقي من المحرمات اثنان بالرضاع ، وهما ﴿ وَأُمَّهَاتُكُمُ الَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرِّضَاعَةِ ﴾ فالجملة : أربعة عشر . ويشترط في تحريم بنت الزوجة الدخول بأمها ، ولا يشترط في تحريم أم الزوجة الدخول ببنتها وهو ظاهر في الكتاب العزيز .

ومن جهة المعنى : أن المرأة إذا عقد عليها ، فالعادة جارية بذهاب الأم إلى بيت الأصهار والاجتماع بهم في تقرير أمر الدخول ، والسكن وغير ذلك مما جرت العادة بالحديث فيه فاحتيج إلى كون الأم محرما عقب العقد على ابنتها .

ولم تجر العادة أنه إذا عقد على امرأة تذهب ابنتها إلى بيت الأصهار ؛ لتقرير مصالح الدخول ، فلم يحتج إلى مقدم المحرمية .

وقوله : ﴿ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ ﴾ يحترز به عن زوجة الابن المتبنى ، وهو حلال بمفهوم هذه الآية وبصريح قوله - تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [الأحزاب] .

﴿ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ أي : في عهد الجاهلية ، فلا يؤاخذون به بعد الإسلام . أو : إلا ما قد سلف بعد الإسلام وقبل نزول هذه الآية .

قوله : ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ ﴾ ويحرم تزويج المتزوجات . وقوله : ( ٣٢ / ب ) ﴿ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ يريد به السبايا المتزوجات ، فإننا إذا سبينا امرأة مزوجة ، ولم يكن زوجها معها

انفسخ نكاحها ، وحل للمسلمين أن يتزوجوها .

﴿ كَتَبَ اللَّهُ ﴾ نصب على المصدر ، ولا يتصب على الإغراء ؛ لأن معمول المجرور لا يتقدم عليه . ﴿ وَأَجَلَ لَكُمْ مَا ﴾ عدا ﴿ ذَلِكَ ﴾ ثم فسره بقوله : ﴿ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ ﴾ ﴿ غَيْرَ مُسْفِحِينَ ﴾ غير واطئين بالزنى . وكانت المتعة في ابتداء الإسلام بقوله : ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ .

ثم نهى رسول الله ﷺ عنها يوم خيبر<sup>(١)</sup> .

ومن لم يكن تحته حرة ولا قدر على مهر حرة مسلمة جاز له أن يتزوج الأمة إذا خاف من الوقوع في الزنى ، فإن قدر على نكاح حرة كتابية ، فقد اختلف فيه مذهب الشافعي ووجه اشتراط إيمانها قوله : ﴿ أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ وكذلك الأمة التي ينكحها في جواز كونها كتابية وجهان<sup>(٢)</sup> لقوله - تعالى : ﴿ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَنِيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ . قوله : ﴿ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ أي : أعطوا ساداتهن مهورهن .

﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَنِيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْفِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ

(١) قال ابن كثير في تفسيره (١/ ٤٧٤) : زواج المتعة كان مشروعاً في ابتداء الإسلام ثم نسخ بعد ذلك ، وقد ذهب الشافعي وطائفة من العلماء إلى أنه أبيع ثم نسخ ثم أبيع ثم نسخ مرتين . وقال آخرون : أكثر من ذلك . وقال آخرون : إنما أبيع مرة ثم نسخ ولم يبع بعد ذلك ، وقد روي عن ابن عباس وطائفة من الصحابة القول بإباحتها للضرورة ، وهو رواية عن الإمام أحمد وكان ابن عباس وأبي كعب وسعيد بن جبير والسدي يقرؤون : ( فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فآتوهن أجورهن فريضة ) وقال مجاهد : نزلت في نكاح المتعة . ولكن الجمهور على خلاف ذلك . والعمدة ما ثبت في الصحيحين عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال : « نهى رسول الله ﷺ عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية يوم خيبر » . وروى مسلم عن سيرة بن معبد الجهني : « أنه غزا مع رسول الله ﷺ يوم فتح مكة فقال: يا أيها الناس إني كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء ، وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة ، فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله ، ولا تأخذوا مما آتيتوهن شيئا .

وينظر في ذلك : الأم للشافعي ( ٥ / ٢٥٦ ) ، المغني لابن قدامة ( ٧ / ٥٧١ ) .

(٢) ينظر : الأم للشافعي ( ٥ / ١٥ ) ، بدائع الصنائع للكاساني ( ٢ / ٥٤٦ ) ، المغني لابن قدامة ( ٧ / ٥١١ ) .



خَشِيَ الْعَنْتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصِيرُوا خَيْرَ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٥﴾ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾

والمسافحات: التي تزني بمن وجدت ، ومتخذات الأخدان : التي يكون لها شخص معين.

وقوله : ﴿ فَإِذَا أَحْصَيْنَ ﴾ أي : إذا أسلمن فإن المحصنة والبكر في أمر حد الأمة سواء .

والعنت : المشقة الشديدة . ﴿ وَأَنْ تَصِيرُوا ﴾ يعني : عن نكاح الأمة ؛ فلما فيه من استرقاق الولد ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ اللام بمعنى أن أي : يريد الله أن يبين لكم ؛ كقوله : ﴿ وَأَمْرًا لِلنُّسُلِ ﴾ [الأنعام: ٧١] ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ ﴾ [غافر: ٦٦] . وهذا يقع بعد الأمر والإرادة كثيرا .

السنن جمع سنة ، وهي الطريقة . وقوله : ﴿ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً ﴾ استثناء من غير الجنس ومن قرأ تجارة بالنصب تقديره : إلا أن تكون التجارة تجارة . ومن قرأ تجارة بالرفع ، جاز أن تكون كان ناقصة وتامة<sup>(١)</sup> .

وقوله : ﴿ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ يعني : من خالف أوامر الله هان عليه تعذيبه ؛ فإن الله - تعالى - لا يمتدح بقدرته على فاسق ؛ كقوله في نساء النبي : ﴿ يُضَعَّفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٠] يعني : إن المعصية تضع قدرهن إذا فعلن ذلك حتى صار تعذيبهن هينا عليه .

﴿ إِنْ جَعَلْتُمْ كِبَإِ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نُكْفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ ﴿٣١﴾ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ

(١) قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف «تجارة» وقرأ باقي العشرة «تجارة» . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٢٣١/٣) ، حجة أبي زرعة (ص : ١٩٩) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٢ / ٣٥٤) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٢٣١) ، الكشاف للزمخشري (١ / ٥٠٢) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٤٩) .

نَصِيبٌ مِّمَّا أَكْسَبْنَا وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٣﴾

﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كِبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ ﴾ تمسكت المعتزلة بهذه الآية في أن من مات مُصِرًّا على كبيرة (أ/٣٣) يخلد في النار ولا يدخل الجنة ؛ لأنه يُشترطُ في دخوله مدخلا كريما أن يجتنب الكبائر ، وأهل السنة تمسكوا بقوله - تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء: ٤٨] ويدخل فيه مرتكب الكبيرة ، والمصر على الصغيرة ، وأمر الكل موكل إلى المشيئة <sup>(١)</sup> . والكبائر : ما ثبت فيه حد .

وقيل: ما هدد فيه بدخول النار . وقيل : الكبائر أمهات المعاصي ، والصغائر توابعها فالزنى كبيرة ، وملامسة المرأة والخلو بها ومضاجعتها وتقبيلها صغائر ، وشرب الخمر كبيرة ، وقد: «لعن رسول الله ﷺ في الخمر عشرة ؛ حاملها ، وبائعها ، ومشتريها ، وأكل ثمنها ، والمحمولة إليه ، وحاضرها ، وعاصرها ، ومعتصرها» <sup>(٢)</sup> .

قوله : ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ هذا هو الحسد ، وهو أن يتمنى الحاسد نعمة المحسود ، فأما إذا طلب مثلها ، فهو غبطة غير محرمة . غير أن في هذه الآية زيادة ، وهو النهي عن تمني ذلك .

﴿ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتَوْهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾ الرَّجَالُ قَوَامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَنِينَتٌ

(١) قال الإمام أبو جعفر الطحاوي في العقيدة الطحاوية : " وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار لا يخلدون فيها إذا ماتوا وهم موحدون ، وإن لم يكونوا تائبين ، بعد أن لقوا الله عارفين ، وهم في مشيئته وحكمه إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضلهم كما ذكر - عز وجل - في كتابه : ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء: ٤٨] وإن شاء عذبهم في النار بعدله ، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته ، ثم يبعثهم إلى جنته . فعلى هذا فإن فاعل الكبيرة والمصر على الصغيرة لا ينفي عنه مطلق الإيمان بفسوقه ، ولا يوصف بالإيمان الكامل ، ولا يحكم عليه في الآخرة بجنة ولا بنار ، بل هو في مشيئة الله - عز وجل - وإن مات بغير توبة ، إن شاء الله - عز وجل - غفر له بفضلهم ورحمته ، وإن شاء عذبه بعدله وحكمته» .

ينظر: شرح الطحاوية ( ص : ٣٦٩ ، ٣٧٠ ) وينظر عن رأي المعتزلة: الكشف للزنجشيري (١/٥١٩) .

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/٧١، ٢٥)، وأبو داود رقم (٣٦٧٤)، وابن ماجه (٣٣٨٠)، والحاكم في المستدرک (٤/١٤٤، ١٤٥) من حديث ابن عمر . ورواه الترمذي رقم (١٢٩٥)، وابن ماجه رقم (٣٣٨١) ، عن أنس . وقال الشيخ الألباني في الإرواء (١٥٢٩، ٢٣٨٥) : وإسناده صحيح .

حَفِظَتْ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّيِّ تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ﴾<sup>(١)</sup>. استدل به أبو حنيفة على أن الحليف يرث السدس من مال محالفه، وعند الشافعي وغيره: أن آية المواريث نسخت ذلك<sup>(٢)</sup>.

وقوله: ﴿مِمَّا تَرَكَ﴾ أي: مما ترك المتوفى، أو المولى عليه. وقوله: ﴿الْوَالِدَانَ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ تفسير للمضمر بعد كل الذي جعل التنوين في كل بدلا عن الإضافة إليه<sup>(٣)</sup>.

وقوله: ﴿قَوَامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ جاء في سببها أن رجلا كره من امرأته أمرا فلطمها لطمه طلب أهلها القصاص، فنزلت هذه الآية<sup>(٤)</sup>. وإن خاف نشوز المرأة اقتصر على ضربها، فإن نشزت مرة واحدة وعظها وهجرها في الفراش. وهل له أن يضربها؟ فيه قولان، ولا يحل هجران كلامها أكثر من ثلاث، لا هي ولا غيرها، فإن تكرر منها النشوز جاز له ضربها، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ تعريض بالعفو عن المرأة، وعمن

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب «عقدت»، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف «عقدت». تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٢/٢٣٨)، الحجة لابن خالويه (ص: ٢٣)، حجة أبي زرعة (٢٠١)، الدر المصون للسمين الحلبي (٢/٣٥٧)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٢٢٣)، الكشف للزمخشري (١/٥٠٤)، النشر لابن الجزري (٢/٢٤٩).

(٢) ذهب أبو حنيفة وأصحابه وروى عن أحمد في رواية عنه إلى التوارث بالحلف، وذهب الجمهور ومالك والشافعي وأحمد في المشهور عنه إلى رد ذلك. ينظر: بدائع الصنائع للكاساني (٤/٧)، المبسوط للسرخسي (٦/٤٩)، المغني لابن قدامة (٧/٨٣).

(٣) قال ابن عاشور في تفسيره التحرير: والتنوير (١/٩٣٩): «وشأن كل إذا حذف ما تضاف إليه أن يعوض التنوين عن المحذوف فإن جرى في الكلام ما يدل على المضاف إليه المحذوف قدر المحذوف من لفظه أو معناه، فيجوز أن يكون المحذوف مما دل عليه قوله قبله (للرجال نصيب) و(للنساء نصيب) فيقدر: لكل من خلقه الله إنسانا من رزق الله أي حظ من رزق الله أو: ولكل أحد جعلنا موالي مما ترك أي وراثا مما ترك على أن من صلة موالي لأنهم في معنى الوراثة وفي ترك ضمير كل ثم فسر الموالي بقوله: «الوالدان والأقربون» كأنه قيل: من هم؟ فقيل: الوالدان والأقربون.

وينظر في ذلك أيضا: الدر المصون للسمين الحلبي (٢/٣٥٦)، روح المعاني للألوسي (٥/٢١).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٥/٥٨)، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٢/٥١٢) لعبد بن حميد عن الحسن.

يذنب، بمعنى: أنه مع علوه وكبريائه يعفو عن المذنبين ، فأنتم أولى بالعفو .

وقوله : ﴿ تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ ﴾ بمعنى : بأمانة دلت على ذلك ، فأما إذا لم يكن عليه دليل فلا يجوز مؤاخذتها به . والواو في قوله : ﴿ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ ﴾ للتنويع .

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ، وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُّوفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ۝٣٥﴾ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ، شَيْعًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنْ اللَّهُ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ۝٣٦﴾

﴿ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ، وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ والأولى أن يكونا من أهلها ؛ لأنهما أخبر بمصالحهما من الأجنبي .

وفي قول : هما وكيلان للزوج، فيوكل الرجل (٣٣/ب) حكما في الطلاق وقبول العوض، وتوكل المرأة حكما في بذل العوض . وفي قول : هما حكمان يحكمان بما يريانه صوابا من الإصلاح والتفريق . وفي التنبيه : صحح هذا القول ، وغيره صحح الأول<sup>(١)</sup> .

﴿ إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُّوفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾ يجوز أن يعود الضميران الأول إلى الحكمين والثاني إلى الزوجين ، إن يريد الحكمان مجرد الإصلاح يوفق الله بين الزوجين ببركة بعث [الصالحين] وقيل عكس هذا ، إن يرد الزوجان إصلاحا يوفق الله بين الحكمين .

(١) ينظر : التنبيه للشيرازي (١/١٧٠) ط عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٣ هـ - تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، وعبارته : «وإن ادعى كل واحد منهما على صاحبه الظلم والعدوان أسكنهما الحاكم إلى جنب ثقة ينظر في أمرهما ويمنع الظالم منهما من الظلم فإن بلغا إلى الشتم والضرب بعث الحاكم حرين مسلمين عدلين والأولى أن يكونا من أهلها لينظرا في أمرهما ما فيه المصلحة من الإصلاح أو التفريق وهما وكيلان لهما في أحد القولين فلا بد من رضاهما فيوكل الزوج حكما في الطلاق وقبول العوض وتوكل المرأة حكما في بذل العوض وهو الأصح» . وقال في المهذب (٢/٧٠) ط . دار الفكر - بيروت : «واختلف قوله في الحكمين فقال في أحد القولين : هما وكيلان فلا يملكان التفريق إلا بإذنهما لأن الطلاق إلى الزوج وبذل المال إلى الزوجة فلا يجوز إلا بإذنهما . وقال في القول الآخر : هما حاكمان فلهما أن يفعل ما يريان من الجمع والتفريق بعوض وغير عوض؛ لقوله - عز وجل : ﴿ فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ، وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ فسامهما حكمان ولم يعتبر رضا الزوجين» . وينظر كذلك : الأم للشافعي (٥/١١٦) .

﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ العبادة : غاية الذلة ولا تقال إلا في حق الله - تعالى - تقول : ذللت لزيد وخضعت له ، ولا تقول : عبدته ، يقال : ذو قرابة ، ولا تقول : قرابتي قال الشاعر [ من البسيط ] :

يبكي الغريبُ عليه ليسَ يعرفُهُ      وذو قرابتهِ في الحيِّ مسرورٌ <sup>(١)</sup>

أما القرابة فهي نسبة بين الاثنين ، ولا يخبر عن الرجل بها .

﴿وَالْجَارِذِي الْقُرْبَى﴾ تضمنت وصفين يستحق بهما الجوار والقرابة ﴿وَالْجَارِ الْجُنْبِ﴾ له حق واحد . ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ قيل : هو المجالس لك في الحضر والسفر ، وأكثر الأحوال طمعا في برك . ﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ المسافر أو المرید للسفر في غير معصية . ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ يعاملون بالرفق والإحسان .

﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضْعَفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾

﴿يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ قيل : المراد به : النهي عن كتمان صفة الرسول ﷺ ، وهم اليهود ، وأمروا سفلتهم بكتمانها . وقيل : المراد بالبخل : صدقة الأموال . وقيل : أراد جميع ذلك .

المثقال : هو المقدار ، والذرة : النملة الصغيرة الحمراء لا يكاد يتأثر من يجعلها في إحدى

(١) البيت لعثير بن لبيد العذري ، أو لحريث بن جبلة العذري ، أو لغيرهما .

ينظر في : تاج العروس (دهر) ، روح المعاني للألوسي (١٤٣/٨) ، لسان العرب (دهر) .

كفيه ﴿حَسَنَةً﴾ قرئ بالرفع والنصب<sup>(١)</sup> بناء على أن كان تامة .

﴿مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ أي : كيف يكون حالهم ﴿إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ ﴿لَوْ سُئِلَ بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ أي : يصيروا ترابا ؛ كقوله ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ بَلِّغْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ [النبا: ٤٠].

وقيل : يودون لو انشقت الأرض فتبلعهم ، أولو سويت الأرض المنخفضة بجثثهم .

﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾ قيل : المراد مواضع الصلاة ؛ لقوله : ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ (٣٤/أ) وعند أبي حنيفة : لا تقربوا الصلاة نفسها وأنتم سكارى ، ولا تقربوا الصلاة وأنتم مجنبون ، إلا أن تكونوا مسافرين قد عدتم الماء ، فتصلون مع الجنابة<sup>(٢)</sup> .

قيل : «كانت الخمرة مباحة في أول الإسلام ، ثم صلى رجل بقوم وهو سكران ، فحذف «لا» من سورة «قل يا أيها الكافرون» ، وقال : أعبد ما تعبدون ، وأنتم عابدون ما أعبد إلى آخرها ، فنزلت تحريم السكر في أوقات الصلوات ، ثم نزل بعد ذلك تحريم الشرب مطلقا»<sup>(٣)</sup> . وقوله : ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَأَطْهَرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ [المائدة: ٦] مجنبن أو محدثين حدثا أصغر ، وهو معنى قوله : ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ وقرئ «أو لمستم» ومن قرأ «لامستم»<sup>(٤)</sup> فهي للمفاعلة التي لا تكون إلا من اثنين ، فينتقض وضوء اللامس والملموس . ومن قرأ «أو لمستم» فلا حجة فيه على وضوء الملموس ﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً﴾ ولا يقال : لم نجد ، إلا بعد الطلب ، والمعنى : فلم تجدوا ماء فاضلا عما يحتاج إليه لعطشه ، أو لعطش رفيقه ، أو عطش حيوان محترم ، كان وجود الماء كعدمه

(١) قرأ «حسنة» ابن كثير ونافع وأبو جعفر، وقرأ باقي العشرة «حسنة» .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٣ / ٢٥١) ، الحجة لابن خالويه (ص : ١٣٣) ، حجة أبي زرعة (ص : ٢٠٣) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٢ / ٣٦٤) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٢٣٣) ، الكشاف للزنجشيري (١ / ٥١١) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٤٩) .

(٢) ينظر : بدائع الصنائع للكاساني (١ / ١٠٥) .

(٣) رواه الترمذي رقم (٣٠٢٦) ، والطبري في تفسيره (٥ / ٩٥) ، وزاد نسبه السيوطي في الدر المنثور (٢ / ٥٤٥) لعبد بن حميد وأبي داود والنسائي وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس والحاكم وصححه عن علي بن أبي طالب ، وحسنه الترمذي .

(٤) قرأ حمزة والكسائي وخلف «لمستم» ، وقرأ باقي العشرة «لامستم» . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٣ / ٢٥٨) ، والحجة لابن خالويه (ص : ١٢٤) حجة أبي زرعة (ص : ٢٠٤) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٢ / ٣٧٠) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٢٣٤) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٥٠) .

فيتيمم ، وكذلك إذا وجد الماء يباع بأكثر من ثمن المثل ، لم يلزمه شراؤه ويتيمم. ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾  
 أي : اقصدوا ؛ كقوله : ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٧] أي : تقصدوا  
 ويجب في التيمم القصد إلى الصعيد فلو نوى ووقف في مهب الرياح ، وسفت عليه الرياح لم  
 يجزه ، ولو نوى ووقف عند ميزاب<sup>(١)</sup> ، وانصب عليه الماء جاز الوضوء . والمراد بالصعيد  
 عند الشافعي : ما صعد على وجه الأرض من تراب له غبار يعلق بالوجه واليدين ؛ لقوله :  
 ﴿فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ [المائدة: ٦] وعند غيره : بكل ما صعد على  
 وجه الأرض<sup>(٢)</sup> .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتُرُونَ الضَّلَلَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾<sup>(٤٤)</sup>  
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَابِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾<sup>(٤٥)</sup> مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ  
 مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ  
 أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا  
 قَلِيلًا﴾<sup>(٤٦)</sup>

﴿أَلَمْ﴾ معناه : اعجب ﴿يَشْتُرُونَ الضَّلَلَةَ﴾ فيستبدلونها بالهدى الذي تمكنوا منه ، وصار  
 كالحاصل لهم ﴿وَلِيًّا﴾ فعيل يجوز أن يكون بمعنى الفاعل ، أو وكفى بالله متوليا لأموركم . أو  
 متولى ، أي : كفى بالله يتولونه ؛ كقوله - تعالى : ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المائدة: ٥٦]  
 ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ أي : قوم يحرفون ؛ كقوله : ( ٣٤ / ب ) [ من الرجز ] :  
 جَادَتْ بِكَفِّي كَانَ مِنْ أَرْمَى الْبَشْرِ<sup>(٣)</sup>

(١) الميزاب: أنبوبة من الحديد ونحوه تتركب في جانب البيت من أعلاه لينصرف منها ماء المطر المتجمع  
 ويسمى المزراب . ينظر : لسان العرب ( زرب ) ، المعجم الوسيط ( زرب ) .  
 (٢) ينظر : الأم للشافعي ( ١ / ١١٤ ) وعبارته : وكل ما وقع عليه اسم صعيد لم تخالطه نجاسة فهو صعيد  
 طيب يتيمم به وكل ما حال عن اسم صعيد لم يتيمم به ولا يقع اسم صعيد إلا على تراب ذي غبار قال  
 الشافعي : فأما البطحاء الغليظة والرقيقة والكثيب الغليظ فلا يقع عليه اسم صعيد وإن خالطه تراب أو  
 مدر يكون له غبار كان الذي خالطه هو الصعيد . ويجوز التيمم عند أبي حنيفة ومحمد - رحمهما الله -  
 بكل ما كان من جنس الأرض كالتراب والرمل والحجر والجص والنورة والكحل والزرنيخ . وقال أبو  
 يوسف : لا يجوز إلا بالتراب والرمل . ينظر : الهداية للمرخيني ( ١ / ٢٧ ) .  
 (٣) ينظر الرجز بلا نسبة في: الإنصاف لابن الأنباري ( ١ / ١١٤-١١٥ ) ، الخزانة للبغدادي ( ٥ / ٦٥ ) ،  
 الخصائص لابن جني ( ٢ / ٣٦٧ ) ، شرح الأشموني ( ٢ / ٤٠١ ) ، شرح التصريح ( ٢ / ١١٩ ) ، شرح  
 شواهد المغني ( ١ / ٤٦١ ) ، شرح المفصل لابن يعيث ( ٣ / ٦٢ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٦١٦ ) ،  
 لسان العرب ( كون ) ، المغني لابن هشام ( ١ / ١٦٠ ) ، همع الهوامع للسيوطي ( ٢ / ١٢٠ ) .

وكقوله [ من الوافر ] :

أنا ابنُ جلا وطلاعُ الثنايا متى أضعُ العمامةَ تعرفوني<sup>(١)</sup>

المعنى : بكفي رجل كان ، وأنا ابن رجل جلا ، فحذف الموصوف ، مع أن الصفة جملة وحكى ابن السراج عن العرب : ما منهما مات حتى جرى له كذا<sup>(٢)</sup> .

وقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ ﴾ [البقرة: ٩٦] أي : قوم ، أو فريق . ﴿ يُحَرِّفُونَ ﴾ يزيلون ﴿ أَلْكَامَ ﴾ المنزلة في التوراة والإنجيل ﴿ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ التي يجب تقريره فيها . وأما قوله : ﴿ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾ [المائدة: ٤١] فالتقدير : يحرفون الكلم بعد استقرارها في مواضعها المرادة بها . ﴿ لِيَأْ بِأَلْسِنَتِهِمْ ﴾ أصله من لوى يلوي لويًا ، اجتمعت الواو والياء ، وسبقت إحداهما بالسكون ، فقلبت الواو ياء ، وأدغمت الأولى في الثانية ، ومثله : كوى كيًا ، وشوى شيًا ، وحوى حويًا . وعكسه : سيد وميت ، أصله : سيود ، وميوت . سبقت الياء بالسكون ، فقلبت الواو وأدغمت .

وقوله : ﴿ غَيْرَ مُسْمِعٍ ﴾ يوهمون أن المراد : غير مسمع ما تكره ، وهم يريدون : اسمع لا سمعت . ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ إلا إيمانًا ببعض وكفرا ببعض وأولئك هم الكافرون حقا .

﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ؕ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ؕ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ؕ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنفُسَهُمْ ؕ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ ﴾

روي : « أن كعب الأخبار لما سمع قوله - تعالى : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا ﴾ الآية أسرع بالاجتماع بالمسلمين وأسلم ، وقال : خشيت أن يحول وجهي إلى قفائي قبل أن أصل إلى المسلمين . ﴾ ﴿ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ﴾ حين مسخوا قرده .

وقوله : ﴿ أَصْحَابَ السَّبْتِ ﴾ أي : الذين اعتدوا في السبت ، فنسب السبت إليهم .

(١) تقدم تخريج البيت عند تفسير الآية ( ٩٦ ) من سورة البقرة .

(٢) ينظر : الأصول في النحو لابن السراج ( ١ / ٩٥ ) .



﴿ أَفْتَرَى ﴾ اقتطع واختلق موجب إثم عظيم ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ ﴾ تمدح التزكية إذا أريد بها التطهير من المعائب كقوله : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا ﴾ [الشمس] وأطلق وأراد بها نسبة المحاسن إلى الرجل حقاً كان أو باطلاً، كما في هذه الآية . الفتيل : ما في شق النواة . والقطمير : هي القشرة البيضاء التي على النواة . والنقير : نقرة في ظهر النواة ، يقال : منها تطلع النخلة ، ومعنى ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ أي : لا تظلمون شيئاً وكذلك القطمير والنقير .  
﴿ مُبِينًا ﴾ إما أن يكون بمعنى ظاهراً ، وإما مظهراً ، إن كان ( ١/٣٥ ) من بان فهو بمعنى ظاهر ، وإن كان من أبان فهو بمعنى : مظهر .

الجبث : كل معبود سوى الله . وقيل : الجبث والطاغوت اسما صنمين كانا في الجاهلية . وقيل : الجبث : الساحر ، والطاغوت : الكاهن . الطاغوت : فعلوت لكل ما تجاوز الحد ، والمرادها هنا : كل معبود سوى الله . وقيل : هو كعب بن الأشرف <sup>(١)</sup> وسبب الآية : أن مشركي قريش سألوا اليهود وقالوا : أهل كتاب وشريعة ، فأنتم أعلم منا فنشدكم الله أينما أقرب إلى الصواب ، نحن أم محمد ؛ فإننا نصل الرحم ، ونكرم الضيف ، ونفك العاني <sup>(٢)</sup> ، ونسقي الماء ، ومحمد فرق جماعتنا وسفه أحلامنا <sup>(٣)</sup> وأحلام أسلافنا ، فقالت اليهود لهم : أمركم أصوب من أمر محمد فعجب <sup>(٤)</sup> الله نبيه من ذلك ، وأنزل هذه الآية <sup>(٥)</sup> .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴾ <sup>(٥١)</sup> أَوْلَيْكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ نَصِيرًا <sup>(٥٢)</sup> أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمَلِكِ فَإِذَا لَا يُوْتُونَ النَّاسَ نَصِيرًا <sup>(٥٣)</sup> أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا

(١) هو أحد أعداء الرسول ﷺ والمخرضين عليه من طيء ، وهو أحد بني نبهان وأمه من بني النضير، كان شاعراً ، وأذى بشعره نساء المسلمين وشبب بهن ، فأمر الرسول ﷺ بقتله فقتل سنة ثلاث من الهجرة . تنظر ترجمته في : تاريخ الإسلام للذهبي (١/١٧٦-١٨٢) ، طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي (ص: ٢٨٢-٢٨٤) .

(٢) العاني : الأسير . لسان العرب (عنى) .

(٣) أحلامنا : عقولنا، والمفرد (حلم) ومنه قوله - تعالى : ﴿ أَمْ نَأْمُرُهُمْ بِالْإِنْفِءِ ﴾ [الطور: ٣٢] .

ينظر : لسان العرب (حلم) .

(٤) كذا بالأصل ولعله يريد أن هذا أمر عجيب من هؤلاء الضالين والمشركين يدعو إلى العجب .

(٥) رواه الواحدي في أسباب النزول ص (١٦٠ ، ١٦١) رقم (٣٢٠ ، ٣٢١) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٢/١٧١) لسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم .

ءَاتَنَّهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ ءَاتَيْنَا ءَالَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِءَايَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَمَا نَضَعَتِ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ﴾ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴿

﴿ أَمْرٌ يُحَسُّدُونَ النَّاسَ ﴾ يعني : محمدا ﷺ على ما أوتي من النبوة .

وفي قوله : ﴿ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ قولان :

أحدهما : يخلق الله لهم جلودا جديدة ليذوقوا العذاب . والقول الثاني : غير الله صفات تلك الجلود المحترقة فرجعت كأن النار لم تمسها ؛ إذ لا يعذب إلا الجلود التي عصي الله بها . وقوله : ﴿ بَدَلْنَهُمْ ﴾ جعل تغير الصفات بمنزلة تغير الذات . تقول : جاء فلان بوجه غير الوجه الذي ذهب به ، ومثل هذين القولين في قوله : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ﴾ [إبراهيم : ٤٨] وفي كون الظل ظليلا وجهان : أحدهما : ظل مضاعف . والثاني : ظل لا تنسخه شمس ، بل هو دائم الثبوت لا يتغير .

لما فتح رسول الله ﷺ مكة طلب مفتاح الكعبة من عثمان بن أبي شيبة<sup>(١)</sup> فأبى أن يعطيه فلوى علي يده ، وأخذه منه قهرا ، فلما قضى رسول الله ﷺ حاجته من الدخول في الكعبة سأل العباس رسول الله ﷺ أن يوليه السدانة<sup>(٢)</sup> ويعطيه المفتاح ، وقال : اجمع لي بين السدانة والسقاية ، فأنزل الله ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ فأمر النبي ﷺ عليا ، فرد المفتاح إلى عثمان بن أبي شيبة ، فقال : أخذت بقوة وأذيت ثم جئت ترده فقال : قد أنزل الله - تعالى - في شأنك هذه الآية ، فقال : إن هذا لدين شريف فأسلم ، وتقرر مفتاح الكعبة

(١) هو عثمان بن طلحة بن أبي طلحة واسمه عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، حاجب البيت ، أسلم في هدنة الحديبية ، وهاجر مع خالد بن الوليد ، وشهد الفتح مع النبي ﷺ وتوفي سنة ٤٢ هـ بالمدينة ، وقيل : بمكة . تنظر ترجمته في : الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٣/٩٢ ، ٩٣) ، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٢/٤٦٠) .

(٢) السدانة : خدمة الكعبة ، والسادن : خادم الكعبة القائم بأمر نظافتها وكسوتها وحفظها .

ينظر : لسان العرب ( سدن ) .

بيد بني شيبه إلى الآن<sup>(١)</sup>.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَرْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾

﴿وَأُولِيَ الْأَمْرِ﴾ هم الحكام القائمون بأحكام الشريعة وقيل : هم أمراء الأجناد وقيل : هم العلماء . قوله : ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ أحسن عاقبة ؛ كقوله : ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ [الأعراف: ٥٣] .

كان بين يهودي ومسلم منازعة ، واليهودي محق ، فطلب اليهودي المحاكمة إلى محمد ﷺ ، وطلب المسلم المحاكمة إلى كعب بن الأشرف اليهودي ؛ لعلمه أن كعب بن الأشرف يقبل الرشا، فنزلت ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَرْعُمُونَ﴾ الآية<sup>(٢)</sup> .

وروي : «أن المسلم واليهودي وأصحابهما مروا على عمر بن الخطاب فسأل عن خبرهم، فسألوه أن يصلح بينهم ، فقال : رويدكم ، ثم دخل فأخذ سيفه وضرب المسلم حتى برد<sup>(٣)</sup> ، وقال : هكذا أحكم فيمن امتنع من طاعة الله ، وطاعة رسوله فسمي عمر الفاروق لذلك ؛ لأنه فرق بين الحق والباطل<sup>(٤)</sup> .

(١) رواه الطبري في تفسيره (٥/ ١٤٥)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ١٦١-١٦٣) رقم (٣٢٣-٣٢٥).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٥/ ١٥٢) ، والواحدي في أسباب النزول (ص: ١٦٦) رقم (٣٣١) وفي إسناده الكلبي وهو ضعيف .

(٣) برد الرجل يبرد بردا : مات . ينظر : لسان العرب (برد) .

(٤) رواه الواحدي في أسباب النزول (ص: ١٦٦) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٨٢) للشعبي

عن ابن عباس - رضي الله عنهما .

واعتذر أصحاب المسلم المنافق ، وحلفوا أنهم ما أرادوا بالذهاب إلى كعب إلا أن يصلح بينهم ، وهو معنى ﴿ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ ﴾ الآية ، فأكذبهم الله - تعالى .

﴿ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾ أي : قولا مؤثرا في أنفسهم ؛ لغلاظته وقوته .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾

وحكى العُتي قال : كنت جالسا عند قبر النبي ﷺ فجاء أعرابي فسلم ، وقال : يا رسول الله ، سمعت الله يقول : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ قد جئتك مستغفرا من ذنبي ، مستشفعا بك إلى ربي ، ثم أنشد [ من البسيط ] :

يا خيرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعْظُمُهُ فَطَابَ مِنْ طَيِّهِنَ الْقَاعِ وَالْأَكْمُ  
نَفْسِي الْفِدَاءُ لِقَبْرِ أَنْتَ سَاكِنُهُ فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرْمُ

قال العُتي : فِينتُ ، فرأيتُ النبي ﷺ ، فقال : يا عتي ، أدرك الأعرابي وبشره بالجنة <sup>(١)</sup> .

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ ﴾ لا زائدة ، أي : فوربك لا يؤمنون .

كان بين الزبير وبين رجل من الأنصار تشاجر في مسقى ماء ، وكانت أرض الزبير عالية ، وأرض الأنصاري مستفلة ، فتحاكما إلى رسول الله ﷺ ، فقال : اسق يا زبير ، ثم أرسل الماء إلى جارك ، فقال الأنصاري : أن كان ابن عمك يا رسول الله ؛ فإن الزبير هو ابن صفية عمه النبي ﷺ ، فتغير وجه رسول الله ﷺ ، ثم قال : اسق يا زبير واحبس الماء حتى (٣٦/أ)

(١) ذكر هذه القصة محب الدين الطبري في كتاب القري لقاصد أم القري ( ص : ٦٢٨ ، ٦٢٩ ) ، ونسبه لأبي أحمد بن عساكر ، ونسبه ابن كثير في تفسيره ( ١ / ٥١٩ ) للشيخ أبي منصور الصباغ في كتابه الشامل ، ونسبه المتقي الهندي في كنز العمال لابن السمعاني في الذيل بسند فيه الهيثم بن عدي الطائي وهو متروك . قال الذهبي في المغني في الضعفاء ( ٢ / ٧١٧ ) : الهيثم بن عدي الطائي أبو عبد الرحمن الأخباري ، قال أبو داود السجستاني : كذاب . وقال ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال ( ٧ / ١٠٤ ) : متروك الحديث .

يصل إلى الجدر<sup>(١)</sup> فكان في الحكم الأول قصد الإصلاح بينهما ، فلما أغضب الأنصاري رسول الله ﷺ استوعب له جميع حقه . كذا قالوا . وفيه دليل على أن القاضي يجوز أن يقضي وهو غضبان فنزلت هذه الآية في حديث الزبير والأنصاري . والتشاجر : الاختلاط بين المتخاصمين ؛ لأن كلام هذا يختلط مع كلام هذا .

﴿ وَلَوْ أَنَّا كُنْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا لَا تَأْتِنَهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لِيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾

جعل الله الخروج من الأوطان قرين القتل ؛ كما جعله في سورة الحشر قرين التعذيب .

﴿ وَلَوْ لَا أَن كُنَّا اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا ﴾ [الحشر: ٣] وعن عمر : لو كلفت أن أقتل نفسي لفعلت ، ولكن الله رحيم ، ولم يكلفنا ذلك ، فعمر من القليل<sup>(٢)</sup> .

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم ( ٢٣٥٩ ) ، ومسلم رقم ( ٢٣٥٧ ) عن عبد الله بن الزبير . والجدر : ما وضع بين شربات النخل ، كالجدار . وقيل : المراد : الحواجز التي تجبس الماء . قاله الحافظ ابن حجر في فتح الباري ( ٣١٠ / ٥ ) وقال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر ( ٢٤٦ / ١ ) : هو ما رفع حول المزرعة ، كالجدار وقيل : هي لغة في الجدار . وقيل : هو أصل الجدار .

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ١٦٠ / ٥ ) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٥٨٧ / ٢ - ٥٨٨ ) عن غير واحد من الصحابة أنهم قالوا ذلك . وذكره البغوي في تفسيره ( ٢٤٦ / ١ ) عن الحسن ومقاتل : لما نزلت هذه الآية قال عمر وعمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود وناس من أصحاب النبي ﷺ وهم القليل : والله لو أمرنا لفعلنا والحمد لله الذي عافانا فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال : إن من أمي لرجال الإيمان في قلوبهم أثبت من الجبال .

﴿ثَبَاتٍ﴾ أي : جماعات في تفرقة كأشتات وأبايل ، وواحدة : ثبة . وقوله : ﴿كَانَ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ جملة معترضة بين القول والمقول . ﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ﴾ أي : يبيعون الحياة الدنيا ، ويستبدلون بها الآخرة فالذين يشرون فاعل ، ويشرون بمعنى يبيعون . وقيل : الذين مفعول ، ويشرون بمعنى يتاعون . أي : فليقاتل رسول الله الذين يشرون . والأول أصح ؛ لقوله بعده : ﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ﴾ وقوله : ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وفي سبيل تخلص المستضعفين .

﴿الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ مكة قبل أن يفتحها رسول الله ﷺ .

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (٧٦) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَنِعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (٧٧) أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَهَالِكُ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ (٧٨)

﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ وضعفه من جهة أنه لا يقدر على إلزامك بما وسوس به إليك ، فقبول وسوسته من سوء نظر الناظر ، لا من قوة فعل الشيطان .

كان الإسلام في ابتدائه قليل الناصرين فنهى المؤمنون عن القتال ؛ لقلتهم ، ولما كثر المؤمنون وأمروا بالقتال كرهه بعضهم ، فنزلت هذه ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ﴾ (١) أي : كخشيتهم الله .

وقوله : ﴿أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ لا بد من تأويله ؛ لأن أفعل التفضيل إن أضيفت ، وخفضت ما بعدها ، كان الموصوف بأفعل جزءا مما أضيفت إليه ، وإن نصب ما بعدها ، لم يكن الأول جزءا من الثاني ، فإذا قلت : هذه النخلة أطيب من هذه رطبا جاز ؛ لأن لها رطبا . ولو قلت : هذه النخلة أطيب رطب ، لم يجوز ؛ لأنه يقتضي أن تكون النخلة رطبا وإذا قلت : زيد

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ٥ / ١٧٠ ) ، والواحدي في أسباب النزول ( ص : ١٧٠ ) رقم ( ٣٣٨ ) وفي سننه الكلبي وهو ضعيف .

أكرم أبٍ ، فزيد أب ، وهو أكرم الآباء . وإن قلت : زيد أكرم أباً ، فلزيد أب وأبوه أكرم الآباء . ففي هذه الآية كأنه حصل للخشية خشية مجازاً ، كقولهم : شعر شاعر ، وذيل ذابل<sup>(١)</sup> .

﴿ لَوْلَا أَخَّرْنَا ﴾ هلا أخرتنا . ﴿ بُرُوجٌ مُّشِيدَةٌ ﴾ أي : عالية . وقيل : مبنية بالشيد وهو الجير ﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ ﴾ أي : نعمة ورخاء ؛ كقوله : ﴿ وَبَلَّوْنَهُمْ ﴾ [الأعراف: ١٦٨] ليس المراد بالحسنة الطاعة ، ولا بالسيدة المعصية ﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ ﴾ يتشاءمون به ، ويقولون : ما أصابنا هذا السوء إلا منك حين جئتنا ؛ كقول ثمود لصالح : ﴿ أَطَّيَّرْنَا بِكَ وَيَمَن مَعَكَ ﴾ [النمل: ٤٧] .

وكقول أهل أنطاكية لأصحاب عيسى : ﴿ إِنَّا نَطَّيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا ﴾ [يس: ١٨] .

﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ (٧٩) ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ (٨٠) وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (٨١) أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (٨٢) وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٨٣) فَقَتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِ بِأَسِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴾ (٨٤)

﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ ﴾ أي : من نعمة وعافية ورخاء ﴿ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ وأنت لا تستحقه ﴿ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ ﴾ أي : من شدة ومرض وقحط فمن نفسك أي : بذنوب أتيها ، فعوقبت عليها بذلك ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠] ﴿ وَمَنْ تَوَلَّى ﴾ فعاقبه الله ، ولست بمسؤول عنه ﴿ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ أمرنا ﴿ طَاعَةٌ ﴾ ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ لكنه كتاب أحكمت آياته، وما نظر المقصر من أن فيه اختلافاً في بعض المواضع فهو من سوء فهم

(١) ينظر تفصيل ذلك في: الدر المصون للسمن الحلبى (٢/٣٩٦، ٣٩٧) ، الكشاف للزخشي

الناظر [من الوافر] :

وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَاحِحًا وَأَفْئُهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّقِيمِ<sup>(١)</sup>

كان المنافقون يلقون في عسكر المسلمين أخبارا ردية عن السرايا ، ويذيعون ذلك ، فيحصل الوهم في قلوب المؤمنين ، وكان ينبغي إذا اطلعوا على خبر أن يطلعوا عليه أكابر الصحابة وأمراء الأجناد ، فيعلمون صحته أو فساده ، ويعلمون ما ينبغي أن يذاع منه وما ينبغي أن يخفى . والاستنباط : إخراج الماء بالحفر عليه . ﴿لَا تَبِعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ هذا يوهم أن ثم قليلا استغنوا عن فضل الله ورحمته ، ومعاذ الله من ذلك ، بل التقدير : أذاعوا به إلا قليلا ، أو لعلمه الذين يستنبطون إلا قليلا . أو لكان أكثركم ( ٢٧ / ١ ) يتبعون الشيطان ، لكن فضل الله ورحمته صار بها جعلُ اتباع الشيطان أقل ، واتباع الحق أكثر .

﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيمًا<sup>(٨٥)</sup> وَإِذَا حُيِّمُ بِحِجَّتِهِ فَحَيُّوا بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا<sup>(٨٦)</sup> اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا<sup>(٨٧)</sup> ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا<sup>(٨٨)</sup> وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَنَّخِذُوا مِنْهُمْ وَآلِيَاءَ وَلَا نَصِيرًا<sup>(٨٩)</sup> ﴾

ادعى بعض المفسرين أن النصيب يستعمل في الخير والشر ، وأن الكفل لا يستعمل إلا في الشر ، واحتج بهذه الآية ، ويرد عليه قوله : ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾<sup>(٢)</sup> .

(١) البيت للمنتبي ، ينظر في : خزانة الأدب للبغدادي ( ١ / ١٩٢ ) ، روح المعاني للألوسي ( ١ / ١٦ ) ، قرى الضيف لابن أبي الدنيا ( ١ / ١٥٨ ) ط . أضواء السلف - الرياض - ١٩٩٧ م - تحقيق عبد الله المنصور .

(٢) سورة الحديد ، الآية ( ٢٨ ) قال الألوسي في روح المعاني ( ٥ / ٩٨ ) : «كفل منها أي : نصيب من وزرها» وبذلك فسر السدي والربيع وابن زيد وكثير من أهل اللغة فالتعبير بالنصيب في الشفاعة الحسنة وبالكفل في الشفاعة السيئة للتفنن وفرق بينهما بعض المحققين بأن النصيب يشمل الزيادة والكفل هو المثل المساوي فاختيار النصيب أولا لأن جزءا الحسنة يضاعف والكفل ثانيا لأن من جاء بالسيئة لا يجزى إلا مثلها ففي الآية إشارة إلى لطف الله - تعالى - بعباده وقال بعضهم : إن الكفل وإن كان بمعنى =



وابتداء السلام سنة ، وجوابه فرض كفاية ، إذا قام به بعض سقط عن الباقي ، وإذا التقى رجلان ، أو قال أحدهما للآخر : سلام عليكم ، وقال الآخر كذلك في وقت واحد ، وجب على كل واحد منهما الرد على صاحبه . وسلام المتاركة لا يقتضي جوابا ؛ لقوله : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٣] ﴿ فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ ﴾ [الزخرف: ٨٩] وكذلك إذا انصرف عن جماعة فقال سلام عليكم ، لم يستحق جوابا ﴿ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ قيل : يجمعنكم في البرزخ ، جيلا بعد جيل ، وقرناً بعد قرن ، إلى يوم القيامة .

﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ ﴾ نزلت في الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ يوم أحد ، وقالوا : لو نعلم قتالا لاتبعناكم . وقيل : نزلت في قوم قدموا المدينة وأظهروا الإسلام ، ثم رجعوا إلى مكة ، فأظهروا الشرك . وقيل : في قوم أظهروا الإسلام بمكة وكانوا يعينون المشركين على المسلمين . وقيل : في قوم من أهل المدينة أرادوا الخروج عنها<sup>(١)</sup> ﴿ أَرْكَسَهُمْ ﴾ : ردهم ، ومنه سمي الرجيع ركسا . « وذهب رسول الله ﷺ لقضاء حاجته وقال لرجل : ابغني أحجارا أستنقص بها . فاتاه بحجرين وروثة ، فأخذ الحجريين ، وألقى الروثة ، وقال : «إنها ركس»<sup>(٢)</sup> . أي : رجيع . وقيل : أركسهم عذبهم وأهلكهم . وقيل : أوقعهم . وقيل : أضلهم .

﴿ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتِلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمَّ يُقَاتِلُوكُمْ وَالْقَوَا إِلَيْكُمْ أَلْسَلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ ءَاخِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَا رَدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أَرْكَسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيَلْقُوا إِلَيْكُمْ أَلْسَلَمَ وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَأَقْبَلُوهُمْ حَيْثُ تَقَفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿٩١﴾ ﴾

﴿ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ ﴾ أي : أمان وعهد ، فلهم منه مثل ما لكم .

=النصيب إلا أنه غلب في الشر وندر في غيره كقوله - تعالى : ﴿ يُؤْتِكُمْ كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴾ فلذا خص بالسيئة تطرية وهربا من التكرار .

(١) ذكر هذه الأسباب الواحد في أسباب النزول ( ص : ١٧١ ، ١٧٢ ) رقم ( ٣٤١ ، ٣٤٢ ) ، والسيوطي في الدر المنثور ( ٢ / ١٩٠ ) ونسبه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) رواه البخاري رقم ( ١٥٦ ) ، وأحمد في المسند ( ٣٨٨ / ١ ، ٤٦٥ ) ، والترمذي رقم ( ١٧ ) ، وابن ماجه رقم ( ٣١٤ ) ، والنسائي في المجتبى ( ١ / ٤٠ ) عن عبد الله بن مسعود .

﴿حَصَرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ قال قوم : حصرت في موضع الحال ، وسيبويه يرى أن الفعل الماضي لا يكون حالا إلا مع قد والواو ، أو مع قد وحدها<sup>(١)</sup> .

وقوله : ﴿حَصَرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ هاهنا دعاء عليهم ، ف قيل له : يحسن أن يدعى عليهم بأن تحصر صدورهم عن قتالكم ؛ فإن ذلك مصلحة للمسلمين ، ولا يحسن أن يدعى عليهم بأن تحصر صدورهم عن قتال قوم فإنهم إذا لم تحصر صدورهم عن قتال قوم وقعت الفتنة بين المشركين وذلك مما يوهن المشركين وينفع المؤمنين فكيف يدعى عليهم بأن تحصر صدورهم عن قتال قومهم ( ٣٧ / ب ) قال سيبويه<sup>(٢)</sup> : إنما دعا عليهم بالضعف والوهن ؛ حتى لا يقدرُوا عن قتالهم ، ولا قتال قومهم . ووهنهم وضعفهم مما ينتفع به المؤمنون .

وقوله : ﴿فَإِنْ أَعَزَّلُوكُمْ فَلَمْ يَقْبَلُواكُمْ﴾ قيل : إنه منسوخ بآية السيف .

قوله - تعالى : ﴿سَتَجِدُونَ آخِرِينَ﴾ قيل : من أهل مكة . وقيل : من أهل تهامة . وقيل : من المنافقين . وقيل : هو نعيم بن مسعود الأشجعي ومن تابعه .

﴿وَمَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾

(١) مذهب البصريين : أن الفعل الماضي لا يكون حالا إلا بقدر مظهرة أو مضمرة ؛ لأن الحال إما مقارنة أو منتظرة والماضي منقطع عن زمن العامل وليس بهيئة في ذلك الزمان وقد تقربه من الحال . ومذهب الكوفيين ومن تبعهم من البصريين كالأخفش يجوز ذلك ؛ لأن أكثر ما فيه أنها غير موجودة في زمان الفعل وذلك لا يمنع كما لا تمنع الحال المقدرة واحتجوا لمذهبهم بالسمع والقياس . ونرى أن الحق معهم .

ينظر تفصيل المسألة في : الإنصاف لابن الأنباري ( ١ / ٢٣٣ ) ، المسألة (٣٢) ، شرح المفصل لابن يعيش ( ٢ / ٦٥ ) ، اللباب في علل البناء والإعراب للعكبري ( ١ / ٢٩٣ ) ، همع الهوامع للسيوطي ( ٢ / ٢٥٢ - ٢٥٣ ) ط . المكتبة العصرية - بيروت - سنة ١٩٩٩ م .

(٢) كذا وقع هنا ونسب ابن السراج في الأصول في النحو ( ١ / ٢٥٤ ) ، وابن هشام في مغني اللبيب ( ٢ / ٢٣١ ) هذا الرأي للمبرد .

وقوله : ﴿ وَمَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً ﴾ قيل : نزلت في عياش بن أبي ربيعة<sup>(١)</sup> قتل رجلا كان يعذب عياشا على إسلامه ، فضربه عياش ، ولم يشعر بأنه أسلم<sup>(٢)</sup> .  
وقيل : في أبي الدرداء<sup>(٣)</sup> قتل رجلا من المشركين بعد أن قال : لا إله إلا الله ، فشك في إسلامه ، هل هو خوفا من السيف ، أو رغبة في الإسلام<sup>(٤)</sup> . وفي قوله : ﴿ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً ﴾ قولان : أحدهما : أنه أراد الإيمان حقيقة ، فلا يقبل في الرقبة إلا من بلغت وآمنت وصلت وصامت . والثاني : تقبل من حكم بإيمانها ، فيجزئ عتق الصغير الذي حكم بإسلامه تبعا لأبويه . ﴿ وَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ ﴾ أي : عقد ذمة . والثاني : أمان .  
والثالث : أنه عام في كل ما يمنع القتل ؛ كمجيء الحربي في رسالة أو تجارة .

قوله - تعالى : ﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ ﴾ وصوم الشهرين بدل من العتق خاصة . قال الماوردي<sup>(٥)</sup> : وعن مسروق<sup>(٦)</sup> : أن صوم الشهرين بدل من الدية والعتق معا<sup>(٧)</sup> .

﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ ﴾

(١) هو عياش بن أبي ربيعة واسم أبي ربيعة عمرو بن المغيرة بن عبد الله القرشي ابن عم خالد بن الوليد وكان عياش أخا لأبي جهل بن هشام لأمه وعذبه أبو جهل على إسلامه . وكان عياش من السابقين في الإسلام ، وهاجر الهجرتين ، توفي سنة ١٥ هـ . تنظر ترجمته في : الاستيعاب لابن عبد البر ( ٣ / ١٢٢ ، ١٢٣ ) ، الإصابة لابن حجر ( ٣ / ٤٧ ) .

(٢) رواه الواحدي في أسباب النزول ( ص : ١٧٣ ، ١٧٤ ) رقم ( ٣٤٣ ) ، والبيهقي في السنن الكبرى ( ٨ / ٧٢ ) ، وقال : روينا من حديث جابر موصولا ، وزاد السيوطي نسبه في الدر المنثور ( ٢ / ١٩ ) لابن المنذر .

(٣) هو عويمر بن عامر بن زيد بن قيس من بني عدي بن كعب بن الخزرج ، تأخر إسلامه قليلا ، وكان آخر أهل داره إسلاما ، وكان فقيها حكيما شهد ما بعد أحد من المشاهد . توفي سنة ٣١ هـ وقيل : ٣٢ هـ .  
(٤) رواه الطبري في تفسيره ( ٤ / ٢٠٤ ) .

(٥) هو علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن الإمام الفاضل الفقيه الشافعي ، سمي الماوردي نسبة إلى بيع ماء الورد ، وقد اشتهر بها ونسب إليها ، وهو صاحب التصانيف الحسان منها التفسير والحاوي في الفقه الشافعي والأحكام السلطانية وغيرها . توفي سنة ٤٠٥ هـ . تنظر ترجمته في : تاريخ بغداد ( ١٢ / ١٠٢ ) ، طبقات الشافعية للسبكي ( ٥ / ٢٦٧ ) ، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ( ٣ / ٢٨٦ ) .

(٦) هو مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الكوفي أبو عائشة ، أحد الأعلام ، روى عن أبي بكر ومعاذ وابن مسعود توفي سنة ٦٣ هـ .

تنظر ترجمته في : تهذيب التهذيب ( ١٠ / ١٠٩ ) ، طبقات الحفاظ ( ص : ١٤١ ) .

(٧) ينظر : النكت والعيون للماوردي ( ١ / ٤١٦ ) .

وَلَعَنَهُ، وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾

قوله - تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا ﴾ قيل : نزلت في مقيس بن صبابه<sup>(١)</sup> قتل أخوه ووصول على الدية فأخذها ، ورضي بها ، ثم وجد قاتل أخيه ، فقتله فأمر رسول الله ﷺ بقتل مقيس ، وإن كان متعلقا بأستار الكعبة ، فوجد كذلك فقتل<sup>(٢)</sup> .

وابن عباس يرى أن القاتل عمدا لا تقبل توبته<sup>(٣)</sup> وظاهر كلام ابن زيد موافقته<sup>(٤)</sup> .

وقال : نزلت الآية الشديدة ، يعني : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا ﴾ بعد الهدنة ، يعني : قوله : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠] . وكان قد ظن آية النساء ناسخة لآية الفرقان ، وهذا ليس بنسخ ، بل هو تقييد مطلق ، والتقدير : فجزاؤه جهنم خالداً فيها إن لم يتب .

﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَقَ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ ﴾ نزلت في سرية بعثهم النبي ﷺ إلى طائفة من الكفار ، فنزل رجل منهم إلى المسلمين ، فقال : السلام عليكم ، لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، أنا مسلم ، فقتلوه ( ٣٨ / ١ ) وأخذوا غنيمات له فلما رجعوا ، وأخبر النبي ﷺ بالحال قال لقاتله : لم قتلته بعد أن قال لا إله إلا الله؟! فقال : يا رسول الله ، إنما قالها تعوذاً . فقال : هلا شققت عن قلبه؟! ثم حمل رسول الله ﷺ ديته إلى ورثته ، وأعاد عليهم غنمه<sup>(٥)</sup> . واختلفوا في القاتل من هو ؟

(١) هو مقيس بن صبابه من بني كلب بن عوف بن كعب ، كان شاعرا وقد قتله ابن عمه غيلة بن عبد الله بعد إهدار الرسول ﷺ دمه .

تنظر ترجمته في : تاريخ الإسلام للذهبي ( ٣١١ / ١ ) ، جمهرة الأنساب ( ص : ١٨٢ ) .

(٢) رواه الواحدي في أسباب النزول ( ص : ١٧٤ ) رقم ( ٣٤٤ ) ، وأبو داود رقم ( ٢٣٠٩ ) ، والنسائي في سننه رقم ( ٣٩٠٠ ) ، وزاد نسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٤ / ٣٥١ ) لابن أبي شيبة وابن مردويه عن سعد بن أبي وقاص . وفي سننه الكلبي وهو ضعيف .

(٣) رواه الطبري في تفسيره ( ٥ / ٢١٨ - ٢١٩ ) .

(٤) ابن زيد هو خارجة بن زيد بن ثابت وقد روى الطبري في تفسيره ( ٥ / ٢٢٠ ) بسنده عن أبي الزناد عن خارجة بن زيد عن زيد بن ثابت قال : نزلت سورة النساء بعد سورة الفرقان بستة أشهر .

(٥) رواه البخاري رقم ( ٤٥٩١ ) ، ومسلم رقم ( ٣٠٢٥ ) .

فقيل : أسامة بن زيد<sup>(١)</sup> . وقيل : المقداد بن الأسود<sup>(٢)</sup> . وقيل : أبو الدرداء .

وقيل : عامر بن الأضبط<sup>(٣)</sup> . وقيل : مُحَلِّم بن جثامة<sup>(٤)</sup> .. نقل هذه الأوجه الماوردي<sup>(٥)</sup> .

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ فَمَنْ بَدَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْقَبِيلَ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَةَ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾

﴿ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ ﴾ أي: كفارا تستباح دماؤكم ، وإنما عصمكم الله بلا إله إلا الله ، فلم لا قبلتم عصمة هذا الذي شهد بالوحدانية ؟ ويقال : «إن القاتل لفظته الأرض ، ثم دفن ، فلفظته ثلاث مرات ، فقال النبي ﷺ : إن الأرض لتقبل من هو شر منه ، وإنما

(١) هو أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي أبو محمد وهو الذي أمره الرسول ﷺ على جيش وهو شاب ومات الرسول ﷺ قبل أن ينفذه ، فأنفذه أبو بكر ؓ . مات سنة ٥٤ هـ .

تنظر ترجمته في: الاستيعاب لابن عبد البر ( ١ / ٥٧ - ٥٩ ) ، الإصابة لابن حجر ( ١ / ٣١ ) .

(٢) هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة واشتهر بالمقداد بن الأسود نسبة إلى الأسود بن عبد يغوث الزهري لأنه تبناه ، أسلم قديما ، وشهد بدرًا والمشاهد بعدها توفي سنة ٣٣ هـ .

تنظر ترجمته في : الإصابة لابن حجر ( ٣ / ٤٥٤ ، ٤٥٥ ) .

(٣) هو عامر بن الأضبط الأشجعي ، وهو الذي قتله أحد أفراد السرية وهو مسلم يظنونه متعوذا ، وقد وهم الذي عده هنا من القاتلين .

تنظر ترجمته في: الاستيعاب لابن عبد البر ( ٣ / ١٤ ) ، الإصابة لابن حجر ( ٢ / ٢٤٧ ) .

(٤) هو مُحَلِّم بن جثامة بن قيس الليثي ، توفي في زمن النبي ﷺ ودفن فلفظته الأرض مرة بعد مرة ، وهو صاحب القصة هنا .

تنظر ترجمته في : الاستيعاب لابن عبد البر ( ٣ / ٤٩٦ ) ، الإصابة لابن حجر ( ٣ / ٣٦٩ ) .

(٥) ينظر : النكت والعيون للماوردي ( ١ / ٤١٧ ) .

جعل الله ذلك عبرة لكم ، ثم أمر أن يجعل على جثته أحجار تسترها»<sup>(١)</sup>.

نزل أولا : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ وَالْمُجَاهِدُونَ ﴾ فجاء ابن أم مكتوم<sup>(٢)</sup> وشكا أنه ضريب عاجز عن الجهاد ، فنزلت ﴿ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ ﴾ قال زيد بن ثابت : كنت أكتبها عند النبي ﷺ وركبته على ركبتي ، فثقلت علي حتى كادت ترض<sup>(٣)</sup> وركي من ثقل الوحي المنزل عليه ، ثم قال : ألحقها في طرف الكتف<sup>(٤)</sup> . فألحقها<sup>(٥)</sup> .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ ﴾ بإقامتهم في دار الحرب ، مع أنهم لا يقدرّون على إظهار الأذان فيه ، ولا صلاة الجمعة ، ولا الجماعات في الصلوات ، فمن قدر على إظهار الدين في دار الحرب جاز أن يقيم فيها ، والأفضل أن يتحول عنها .

﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾<sup>(٩٨)</sup>  
 فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا<sup>(٩٩)</sup> ﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافَعًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾<sup>(١٠٠)</sup> وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ الْكُفْرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا<sup>(١٠١)</sup> وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْتُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا بِأَسْلِحَتِهِمْ فِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتِهِمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذَى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ

(١) رواه أحمد في مسنده ( ٤ / ٤٣٨ ) ، وابن ماجه رقم ( ٣٩٣٠ ) ، والطبراني في المعجم الكبير ( ١٨ / رقم ٥٦٢ ) وقال البوصيري في مصباح الزجاجة ( ٣ / ٢٢٢ ) : إسناده حسن .

(٢) هو عمرو بن قيس بن زائدة بن الأصم القرشي العامري وهو ابن أم مكتوم المؤذن وأمه أم مكتوم : اسمها عاتكة بنت عبد الله . واختلف في اسم ابن أم مكتوم فقيل : عبد الله بن زائدة . وقيل : عمرو ابن قيس بن شريح وهو الأكثر عند أهل الحديث . شهد فتح القادسية وكان معه اللواء يومئذ وقتل شهيداً بالقادسية .

تنظر ترجمته في : الاستيعاب لابن عبد البر ( ٣ / ١١٩٨ ) ، الإصابة لابن حجر ( ٤ / ٨٧ ) .

(٣) رض الشيء يرضه رضاً : كسره . وارتض الشيء تكسر . ينظر : لسان العرب ( رضض ) .

(٤) يعني : كتف الشاة وكانوا يكتبون عليها قديماً بعد أن تكون عظاما .

(٥) رواه البخاري في صحيحه رقم ( ٤٥٤٩ ) ، والواحدي في أسباب النزول ( ص : ١٧٩ ) رقم ( ٣٥٤ ) .

لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۚ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ۗ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۗ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾

﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا ﴾ الآية ، نزلت في قوم هاجروا من مكة إلى المدينة ، فأدركهم الموت قبل الوصول إلى المدينة ، فقال المشركون : ما أدرك هؤلاء ما طلبوا ، ولا بقوا على ما كانوا عليه ، فأنزل الله - تعالى - ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ ﴾ الآية (١) .

ظاهر الآية يقتضي أنه لا يجوز قصر الصلاة في السفر إلا مع الخوف ، قال عمرو بن أمية الضمري (٢) : قلت لعمر بن الخطاب : ما بالنا نقصر ، وقد أمنا ؟ فقال : عجبت مما عجبت منه يا ابن أخي ، فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك ، فقال : صدقة تصدق بها الله عليكم ، فاقبلوا صدقته (٣) .

وظاهر الآية التي تليها (٤) أن صلاة الخوف إنما تجوز إذا كان الرسول فيهم ، وقد صلت الصحابة صلاة الخوف ( ٣٨ / ب ) بعد رسول الله ﷺ .

وقوله : ﴿ وَلْيَأْخُذُوا بِسِلْحِهِمْ ﴾ قيل : هو أمر إيجاب . وقيل : هو إرشاد إلى المصالح ، فيكون حمل السلاح في صلاة الخوف واجبا على الأول ، مستحبا على الثاني .

وقوله : ﴿ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ﴾ وأخذ الأسلحة حقيقة ، وأخذ الحذر مجاز .

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهُ إِنْ كَانَ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تَجِدُ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنْ

(١) رواه الواحدي في أسباب النزول (ص : ١٨٠ ، ١٨١) ، رقم ( ٣٥٧ ) .

(٢) هو عمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله بن ضمرة الضمري أبو أمية صحابي مشهور ، أسلم حين انصرف المشركون من أحد وكان شجاعا وكان أول مشاهدته بئر معونة ، وبعثه النبي ﷺ إلى النجاشي في زواج أم حبيبة ، وإلى مكة فحمل خبيبا من خشبته ، وله ذكر في عدة مواطن وكان من رجال العرب جرة ونجدة وعاش إلى خلافة معاوية فمات في المدينة . قال أبو نعيم : مات قبل الستين .

تنظر ترجمته في : الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ( ٤ / ٦٠٢ ) .

(٣) رواه مسلم رقم ( ٦٨٦ ) ، وأحمد ( ٢٥ / ١ ، ٣٦ ) وأبو داود رقم ( ١١٩٩ ) ، والترمذي رقم ( ٣٠٣٤ ) .

(٤) الآية رقم ( ١٠١ ) .

اللَّهِ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَتَأْتُمْ هَتُؤَلَاءَ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَدِلْ اللَّهُ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۖ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّوكَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ ۖ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۖ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۗ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾

روي: «أن طعمة بن الأبيرق<sup>(١)</sup> سرق درعا في جراب ، وفي الجراب دقيق ، وفي الجراب ثقب ، فتبدد الدقيق في الطريق فجاء طعمة بالدرع إلى بيت زيد السمين اليهودي فأودعه عنده ، فلما طلب صاحب الدرع درعه فلم يجده فتبع أثر الدقيق في الطريق فهدهاه إلى بيت زيد السمين ، فطلبه منه ، فقال : أحضره إليّ طعمة بن الأبيرق ، فتحاكموا إلى رسول الله ﷺ ، وصار مع طعمة جماعة ، ومع زيد جماعة .

وقالت طائفة المسلمين : يا رسول الله ، احكم على زيد السمين ، فإن القصص أدى إلى داره ، وافترض اليهودي أولى من افتضاح المسلم ، وجادلوا عن طعمة ، وأكثروا حتى خطر ببال النبي ﷺ يوافقهم على رأيهم ، فنزلت هذه الآيات ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْنَاكَ اللَّهُ ﴾<sup>(٢)</sup> أي : بما علمك ﴿ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا ﴾ أي : مخاصما معهم الطائفة الأخرى . ﴿ وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ ﴾ مما خطر ببالك من ذلك ﴿ وَلَا تُجَدِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ ﴾ يوقعونها عن الخيانة ، وهم طعمة وأصحابه .

(١) هو طعمة بن أبيرق بن عمرو الأنصاري ، ذكره أبو إسحاق المستملي في الصحابة ، وقال : شهد المشاهد

كلها إلا بدرا ، وقد تكلم في إيمان طعمة . تنظر ترجمته في : الإصابة في تمييز الصحابة ( ٣ / ٥١٨ ) .

(٢) رواه الترمذي في الجامع الصحيح رقم ( ٣٠٣٦ ) ، والحاكم في المستدرک ( ٤ / ٣٨٥ ) ، والواحد في

أسباب النزول ( ص : ١٨٣ ) رقم ( ٣٦١ ) وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم



﴿ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ في التحامل على زيد السمين ، ثم عرض لطعمة بالتوبة بقوله: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ﴾ الآيات ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ﴾ ﴿ هَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ ﴾ أي: يحملونك على التحامل على زيد السمين ثم اجتمع أصحاب طعمة يتشاورون ، فنزلت ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ .

وفي الحديث: «كلام ابن آدم كله عليه لا له ، إلا أمر بمعروف ، أو نهي عن منكر ، أو ذكر لله - تعالى»<sup>(١)</sup> .

﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۗ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (١١٥) ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ۗ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (١١٦) ﴿ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ۗ إِلَّا إِنثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴾ (١١٧) ﴿ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ (١١٨) ﴿ وَلَا ضِلَّتْهُمْ وَلَا مَنِينَهُمْ وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيُبْتِئِكُنَّ ءَاذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْتَهُمْ فَلْيَغْيِرْكَ خَلْقَ اللَّهِ ۗ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ (١١٩)

ثم إن طعمة افتضح ، ولحقه الحياء فرجع إلى مكة ، وكفر بعد إسلامه ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۗ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (١١٥)<sup>(٢)</sup> .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾ هذه الآية مطابقة لمذهب أهل السنة في أن الله - تعالى - لا يغفر الشرك إلا بالإسلام ، وأما الكبائر والصغائر فأمرها موكول إلى المشيئة إن شاء الله عذب ، وإن شاء عفا ، ومذهب المعتزلة : أن من مات وفعل كبيرة ولم يتب أو أصر على

(١) رواه الترمذي رقم (٢٤١٢) وقال : غريب ، وابن ماجه رقم (٣٩٧٤) ، والحاكم في المستدرک (٥١٢/٢) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢٢٠ / ٢) ، وزاد نسبه لعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وابن أبي الدنيا في الصمت ، وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أم حبيبة ، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي رقم (٤٢٤) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٦٧ / ٥) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٦٧٢ / ٢) لعبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة . وفيهما فنافق بدل كفر .

صغيرة ، فهو مخلد في النار ، ولا يدخل الجنة أبدا ، واحتجوا بقوله - تعالى : ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ (٣١) [النساء] وهو الجنة فمن لم يجتنب الكبائر لا يدخل المدخل الكريم عندهم (١) .

والضال عن الطريق متى كان قريبا منها ، تيسر عودُه إلى الطريق ، ومتى بعد عن قصد الطريق ، تعسر عودُه إليها ، فشبّه الله ضلال هؤلاء بالضلال إلى مكان بعيد عن الطريق كانوا يسمون أصنامهم بأسماء الإناث ويقولون : أنثى بني فلان ، يعني : صنمهم ؛ لأنهم كانوا يزعمون أنهم كانوا يعبدون الملائكة ، وكانوا يسمون الملائكة تسمية الأنثى ﴿ إِن يَدْعُونَكَ بِدَعَائِهِمْ الْأَصْنَامَ ﴾ ﴿ شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴾ عاريا من الخير ، يقال : شجرة مردا : إذا سقط ورقها . وصرح عمرد : أي : زجاج أملس ، وسمي ماردا ؛ لخلوه عن الخير ، والأمرد أمردا ؛ لخلو وجهه عن الشعر . ﴿ فَلْيُغْيِرْكَ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ قيل : بالخصاء . وقيل : بالوسم . والتبتيك : القطع ، يريد به البحائر ، وكانوا إذا ولدت الناقة عشرة أبطن بجروا أذنبا ، أي : شقوها ، وتركوها ، لا يركبها أحد (٢) .

﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ (١٣٠) ﴿ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴾ (١٣١) ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ (١٣٢) ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ (١٣٣) ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ (١٣٤) ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ (١٣٥) ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا ﴾ (١٣٦) ﴿ وَسَتَفْتُنَّاكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُوْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَرَرَّغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴾ (١٣٧)

﴿ غُرُورًا ﴾ مفعول من أجله . ﴿ مَحِيصًا ﴾ مخلصا ، نصب على المصدر . القيل والقول

(١) تقدم التعليق على ذلك عند تفسير الآية (٣١) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٧ / ٨٩) .

والقال بمعنى واحد . ﴿ لَيْسَ ﴾ حصول الثواب وخير الدنيا والآخرة حاصلًا ﴿ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ بل ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ والنقير : نقرة في ظهر النواة ﴿ أَسْلَمَ وَجْهَهُ ﴾ أي : أخلص عمله ﴿ وَأَتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ مائلا عن كل مذهب إلا الإسلام .

قيل : سمي الخليل خليلا بما قاله الشاعر [ من الخفيف ] :

قَدْ تَخَلَّلْتَ مَسَلِكَ الرُّوحِ مِنِّي      وبهذا سُمِّيَ الخليلُ خَلِيلا (١)

﴿ مُحِيطًا ﴾ عالما ﴿ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ ﴾ ويفتيكم ما يتلى عليكم في الكتاب فما : فاعل لفعل مضمر . قالت عائشة - رضي الله عنها : نزلت في اليتيمة تكون في حجر الرجل ، ف يريد أن يتزوجها ، ولا يوصلها إلى مهر مثلها ، فنهوا عن تزويجهن إلا أن يقسطوا لهن الصداق ، وفي المستضعفين من الولدان وفي أن تقوموا لليتامى بالعدل (٢) .

﴿ وَإِنْ أَمْرَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِنْ يَنْفَرَا يُعْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ ﴾

يقال : نشزت المرأة على زوجها ، ونشز الزوج على امرأته ، ومنه هذه الآية ﴿ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا ﴾ . ﴿ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ ﴾ يعني : أنه قريب منها ، غير بعيد عنها . ﴿ وَإِنْ تُحْسِنُوا ﴾ عشرة النساء ﴿ وَتَتَّقُوا ﴾ النشوز والإعراض . وقوله : ﴿ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ ﴾ يشير إلى أن العدل بكل طريق متعذر ، كما قال : ﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ ﴾ فما لا يقدر عليه من ذلك مسموح به ، وهو مفهوم من قوله : ﴿ فَلَا تَمِيلُوا

(١) البيت لبشار ينظر في : تفسير القرطبي (٥/٢٥٦) ، الدر المصون للسمن الحلبي (٢/٤٣١) ، فتح القدير للشوكاني (١/٧٨٢) .

(٢) رواه البخاري مختصرا رقم (٥٠٦٤) ، ومسلم رقم (٣٠١٨) ، وأبو داود رقم (٢٠٦٨) ، والواحدي في أسباب النزول ( ص : ١٨٦ ، ١٨٧ ) رقم (٣٦٨) .

## كُلِّ الْمَيْلِ ﴿١﴾ .

وقوله : ﴿ كَالْمُعَلَّقَةِ ﴾ التي هي غير مزوجة وغير مطلقة . ﴿ وَإِنْ يَنْفَرَقَا يُعْنِ اللَّهُ كُلاً مِّن سَعَتِهِ ﴾ وما روي عن الحسن بن علي ؑ أنه كان منكاحاً مطلقاً ، ويقول : وعد الله الغنى في كل واحد من الأمرين ؛ أما النكاح فقوله : ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَانَ مِنْكُمْ ﴾ [النور: ٣٢] الآية إلى أن قال : ﴿ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ ﴾ [النور: ٣٢] وأما في الطلاق فهذه الآية - بعيد جداً ؛ فإن الطلاق لا يلتمس به الرزق ، وليس المراد ها هنا كثرة المال ، بل المراد غنى أحدهما عن صاحبه (١) .

وكان الله واسع العطاء ، جعل الأمر بالتقوى عاما في الشرائع ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا ﴾ عن عبادتكم محموداً تحمده أهل السماوات والأرض .

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (١٣٢) إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۚ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدُوا ۗ وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تَعْرَضُوا فَأِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَالَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ ۗ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ۗ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنْ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَارَدُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾ بَشِيرِ الْمُنْفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾

﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ ففوض الأمور إليه وهو الغني القادر الرحمن كما قال : ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ (١) [المزمل] ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا ﴾ فليطلبه من الله فعند الله ثواب الدنيا والآخرة ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ ﴾ بالعدل ﴿ شُهَدَاءَ لِلَّهِ ﴾ كقوله - تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ﴾ [الطلاق: ٢] وأتى بصيغة المبالغة في قوله : ﴿ قَوَّامِينَ ﴾ أي ليكن ذلك متكرراً منكم . القياس فالله أولى به ؛ لأن المراد أحدهما ، لكن لما جرى ذكر

(١) ذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء ( ٣ / ٢٥٣ ) في ترجمة الحسن ؑ فقال : وقد كان هذا الإمام سيِّداً وسيماً جميلاً عاقلاً رزيناً جواداً خيراً ديناً ورعاً محتشماً كبير الشأن وكان منكاحاً مطلقاً تزوج نحواً من سبعين امرأة وقلما كان يفارقه أربع ضرائر .

الفريقين أعاد الضمير عليهما ﴿ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ ﴾ كراهة أن تعدلوا ﴿ وَإِنْ تَلَوْا ﴾ يقال : لويت الرجل إذا مطلته بحقه . وقرئ ( وإن تلو ) بواو واحدة <sup>(١)</sup> من الولي ﴿ أَوْ تُعْرَضُوا ﴾ عن هذه القضية ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ .

﴿ يَتَأْتِيهِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ بالكتاب الأول ﴿ ءَامَنُوا ﴾ بالقرآن . أو ﴿ يَتَأْتِيهِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ بالستهم ﴿ ءَامَنُوا ﴾ بقلوبكم ، أو ﴿ يَتَأْتِيهِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ دوموا على الإيمان .

ومثله ﴿ يَتَأْتِيهِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامَنُوا ﴾ ﴿ بَشِيرِ الْمُنْفِقِينَ ﴾ اجعل مكان بشارة المؤمنين بالجنة إخبار هؤلاء بالتعذيب ، فسماه باسم ( ٤٠ / ١ ) مقابله ؛ كقوله : ﴿ وَمَكْرُوهًا وَمَكْرًا لِّلَّهِ ﴾ [آل عمران: ٥٤] ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ [الشورى: ٤٠] والمجازاة ليست بسية ، ﴿ فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ ﴾ [البقرة: ١٩٤] ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [التوبة: ٦٧] ﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ ﴾ [السجدة: ١٤] .

﴿ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَنُفُوتٌ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ (١٣٩) وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثَلْتُمْ إِنْ اللَّهُ جَامِعُ الْمُنْفِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْحٌ مِنْ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُذَبَذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَتَأْتِيهِ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ يُجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾

﴿ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ فلتطلب منه دون غيره، كقوله : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ [فاطر: ١٠] ﴿ وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ ﴾ أي : في سورة الأنعام قوله : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَاتِنَا ﴾ [الأنعام: ٦٨] إلى قوله : ﴿ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٨] .

(١) قرأ بها ابن عامر وهمزة ، وقرأ الباقون بلام ساكنة وواوین بعدها أولاهما مضمومة (تلووا) .

تنظر القراءة في : البحر المحيط لأبي حيان (٣٧٢ / ٢) ، الدر المصون للسمن الحلبي (٤٤١ / ٢) ، حجة ابن زنجلة (ص : ١٥) ، الكشاف للزخشري (٥٧٠ / ١) .

فإن سورة الأنعام مكية ، وسورة النساء مدنية ؛ فلذلك قال فيها : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ ﴾ ﴿ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلَهُمْ ﴾ إذا رضيتم قولهم . ﴿ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ ﴾ ينتظرون ، وسمي ما يناله المؤمنون فتحاً ؛ تعظيماً لجزائهم بالخير .

﴿ أَلَمْ نَسْتَحِذْ ﴾ أي : نستولي عليكم . ﴿ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ ﴾ قيل : المراد ما ذكره آنفاً من تسمية الشيء باسم مقابله . وقيل : يعطون في القيامة نورا ويسعى المؤمنون في نور أعمالهم ، ثم يضرب بينهم بسور ، وينظف نور المنافقين . وقيل : تفتح أبواب النار ، فيهمون بالخروج ، فتغلق أبوابها دونهم .

﴿ مُدْبَذَيْنَ بَيْنَ ذَلِكَ ﴾ قال النبي ﷺ : « مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير إلى هذه مرة ، وإلى هذه أخرى »<sup>(١)</sup> .

منازل النار تذهب إلى أسفل ، وتسمى دركات ، والمنافقون في الدرك الأسفل منها ومنازل الجنة تذهب علواً ، وتسمى درجات . وشرط في توبة المنافقين الإصلاح والاعتصام بالله وإخلاص الدين لله ، فلما تكاملت هذه الشروط أعرض عنهم وقال : هؤلاء إذا استكملت شروط توبتهم يكونون مع المؤمنين .

﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۗ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١٤٦ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ۝١٤٧ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوْءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ۝١٤٨ إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ۝١٤٩ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ۝١٥١ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝١٥٢﴾

﴿ وَسَوْفَ ﴾ أكافئ المؤمنين بالخير ، وهذا يدل على غضب شديد فإنه وإن قبل توبتهم ،

(١) رواه مسلم رقم (٢٧٨٤) ، والنسائي (١٢٤ / ٨) ، من حديث ابن عمر . قال النووي في شرح مسلم

(٩ / ١٤٢) : العائرة : المترددة الحائرة ، لا تدري لأيهما تتبع . وقال ابن الأثير في النهاية في غريب

الحديث والأثر (٣ / ٣٢٨) : المترددة بين قطيعين ، لا تدري لأيهما تتبع .

يعرض عنهم .

أي شيء ﴿ يَفْعَلُ اللَّهُ ﴾ بتعذيبكم إن كنتم مؤمنين شاكرين فإنه - تعالى - شاكر يثيب على العمل اليسير بالجزاء الكثير ، ويضاعف الثواب حتى يكون بقدر سبعمائة ضعف . قال بعض المفسرين من التابعين : يجوز لمن شتم أن يرد على من شتمه قبله ، فإن ظاهر هذه الآية يقتضي أن من ظلم جاز له الجهر بالسوء من القول . وقد أعمل المصدر الذي هو الجهر في الجار والمجرور ، فادعى بعض النحويين أنه ليس في القرآن إعمال المصدر المعرف بالألف واللام إلا في هذا الوضع ، وليس بصحيح ؛ لأن قوله : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾ [البقرة: ١٨٣] إلى أن قال : ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ [البقرة: ١٨٤] إنه ظرف والعامل فيه الصيام المعرف بالألف واللام<sup>(١)</sup> .

وقوله : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا قَدِيرًا ﴾ ( ٤٠ / ب ) ليس جواباً للشرط ؛ لأن وصفه بالعفو والقدرة مستمر سواء أبدوا خيراً أو أخفوه ، أو عفوا عن سوء أو لم يعفوا ، والتقدير : أو تعفوا عن سوء فقد اتصفتكم بصفات الحق جل جلاله في العفو والقدرة . في (أحد) معنى العموم ؛ فلذلك دخلت من عليها ، ولفظة بين تستدعي شيئين فصاعداً .

﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ أَخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَإِنَّا لَمُوسَىٰ سُلْطٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ

(١) هذا قول العكبري في اللباب في علل البناء والإعراب ( ١ / ٤٤٨ - ٤٥٠ ) : ويعمل المصدر وإن لم يعتمد بخلاف اسم الفاعل ؛ لأنه قوي بكونه أصلاً للفعل وأنه موصوف لا وصف ، ثم قال : وأقوى المصادر عملاً المنون ؛ لأنه أشبه بالفعل إذ كان نكرة ، وإن الفعل لا يضاف ، ثم يليه المضاف ؛ لأن الإضافة في حكم الأسماء ، وقد لا تعرّف وإذا عرفت كان التعريف سارياً من الثاني إلى الأول بعد أن مضى لفظه على لفظ النكرة بخلاف الألف واللام ، ثم ما فيه الألف واللام وعمله ضعيف ؛ لأن الألف واللام أداة زائدة في أوّله تنقله من التكرير إلى التعريف في أوّل أحواله ومع ذلك فعمله جائز ؛ لأن الشبه فيه باق وهو قليل في الاستعمال ، ولم يأت في القرآن منه مُعْمَلٌ في غير الظرف فيما علمنا وإنما جاء معملاً في الظرف كقوله - تعالى : ﴿ لَا يُجِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ وينظر تفصيل هذه المسألة في : الأصول لابن السراج ( ١ / ١٣٧ ) ، البيان في غريب القرآن لابن الأنباري ( ١ / ٢٧٢ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٢ / ٤٥٠ ) .

أَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ  
وَكُفِّرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغْيًا حَقًّا وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا  
يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾

﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ ﴾ بعد أن أتيتهم بآيات تدل على صدقه وادعاء النبوة ، فلا وجه لاقتراحهم آيات آخر ، كما لو قامت بينة على خصم بحق فقال : أريد أن يشهد فلان وفلان فإنه لا يسمع منه هذا الاقتراح بعد قيام البينة .

﴿ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرًا مِنْ ذَلِكَ ﴾ تعنتا بعد رؤيتهم انفراق البحر ، وانقلاب العصا حية ، واليد السمراء بيضاء ، من غير سوء .

وأصل أرنا : أرءنا ، حذفت الهمزة ؛ لكثرة دورانها على الألسنة ، كما حذف في قوله يرى ، وأصله : يراءى ، ثم نقلت حركة الهمزة إلى الراء التي قبلها ، فصارت أرنا ﴿ جَهْرَةً ﴾ عيانا ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ ﴾ توهم الزمخشري<sup>(١)</sup> أن رميهم بالصاعقة كان عقوبة لهم لسؤالهم الرؤية المستحيلة عنده ، وإنما هو لتعنتهم ، وطلب آيات آخر بعد رؤية الآيات السابقة .

﴿ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ ﴾ إلها ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ ﴾ بأن الله - تعالى - ليس بجسم ، ولا مصور . وقوله : ﴿ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ ﴾ أي : أخرنا عقوبته وإلا فالله - تعالى - لا يعفو عن الشرك إلا بالإسلام . ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا ﴾ حجة ﴿ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ عهدا مؤكدا . (ما) في فيما : زائدة .

أي : فبنقضهم ميثاقهم . مضى الكلام في قوله : ﴿ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ [البقرة: ٨٨] هل هي جمع أغلف ، أي : لا نفهم ما تقول . أو جمع غلاف ، أي : قلوبنا أوعية للعلم حافظة فلا حاجة إلى ما جئت به .

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاعُ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ

(١) ينظر : الكشاف ( ١ / ٥٨٥ ) وعبارة الزمخشري : بظلمهم : بسبب سؤالهم الرؤية ، ولو طلبوا جائزا لما سموا ظالمين ولما أخذتهم الصاعقة .



شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾

وقوله : ﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ إخبار من الله ، وإلا فهم لم يقولوا إنه رسول ، بل زعموا أنه ابن الله ، أو هو الله ، أو أحد الأقانيم الثلاثة<sup>(١)</sup> ﴿وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ ألقى الله شبه عيسى على الذي دل عليه ، فأخذ وصلب ، فرفع الله عيسى إلى سمائه .

﴿يَدْعُ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ فيه وجوه : أنه عبد الله ورسوله قبل موت عيسى حين ينزل حكما عبدا<sup>(٢)</sup> . وقيل : قبل موت الكتابي ( ٤١ / أ ) يتبين له الحق ، فيؤمن به حتى لا ينفعه إيمانه<sup>(٣)</sup> . أو ﴿لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ أي : بمحمد ﷺ قبل موت الكتابي<sup>(٤)</sup> .

(١) الأقانيم : الأصول واحدها : أقنوم ، والأقانيم الثلاثة : هي أقنوم الأب وأقنوم الابن وأقنوم الكلمة المنبثقة من الأب إلى الابن - تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا - قال ابن جرير وغيره : والطوائف الثلاث من الملكانية واليعقوبية والنسطورية تقول بهذه الأقانيم وهم مختلفون فيها اختلافا متباينا ليس هذا موضع بسطه وكل فرقة منهم تكفر الأخرى والحق أن الثلاثة كافرة .

ينظر : تفسير ابن جرير ( ٣١٣ / ٦ ) ، تفسير ابن كثير ( ٨٢ / ٢ ) ، لسان العرب ( قنم ) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ١٩ / ٦ ) عن ابن عباس - رضي الله عنهما - وعن الحسن وقتادة - رحمهما الله .

(٣) رواه الطبري في تفسيره ( ٢٠ / ٦ ) عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما .

(٤) رواه الطبري في تفسيره ( ٢١ / ٦ ) عن عكرمة ثم قال ابن جرير بعد ذكر هذه الأقوال : وأولى الأقوال بالصحة والصواب قول من قال تأويل ذلك : وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب من غيره من الأقوال ؛ لأن الله جل ثناؤه حكم لكل مؤمن بمحمد بحكم أهل الإيمان في الموارثة والصلاة عليه وإلحاق صغار أولاده بحكمه في الملة فلو كان كل كتابي يؤمن بعيسى قبل موته لوجب أن لا يرث الكتابي إذا مات على ملته إلا أولاده الصغار أو البالغون منهم من أهل الإسلام إن كان له ولد صغير أو بالغ مسلم وإن لم يكن له ولد صغير ولا بالغ مسلم كان ميراثه مصروفا حيث يصرف مال المسلم يموت ولا وارث له وأن يكون حكمه حكم المسلمين في الصلاة عليه وغسله وتقبيره ؛ لأن من مات مؤمنا بعيسى فقد مات مؤمنا بمحمد وبجميع الرسل وذلك أن عيسى صلوات الله عليه جاء بتصديق محمد وجميع المرسلين فالمصدق بعيسى والمؤمن به مصدق بمحمد وبجميع أنبياء الله ورسله كما أن المؤمن بمحمد مؤمن بعيسى وبجميع أنبياء الله ورسله فغير جائز أن يكون مؤمنا بعيسى من كان بمحمد مكذبا . ثم قال : وأما الذي قال : عني بقوله : ﴿لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ ليؤمنن بمحمد قبل موت الكتابي فمما لا وجه له مفهوم لأنه مع فساده من الوجه الذي دللنا على فساد قول من قال عني به ليؤمنن بعيسى قبل موت الكتابي يزيد فسادا أنه لم يجر لمحمد عليه الصلاة والسلام في الآيات التي قبل ذلك ذكر فيجوز صرف الهاء التي في قوله : ﴿لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ إلى أنها من ذكره وإنما قوله : ﴿لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ في سياق ذكر عيسى وأمه واليهود فغير جائز صرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها من دلالة ظاهر التنزيل أو خبر عن الرسول تقوم به حجة فأما الدعاوي فلا تتعذر على أحد .

فتأويل الآية إذ كان الأمر على ما وصفت وما من أهل الكتاب إلا من ليؤمنن بعيسى قبل موت =

﴿فِيظَلِم مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا عَلَيْهِم طَيْبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَأَخَذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ هُمُوا عَنَّا وَأَكْلِهِم أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٦١﴾  
 ﴿لَكِن الرَّاْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ۗ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ۗ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١٦٢﴾ إِنَّا  
 أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّنَ مِنْ بَعْدِهِ ۗ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۗ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ۝١٦٣﴾

﴿وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يجوز أن يكون متعديا و ( كثيرا ) مفعول به ، أي : وبمنعهم كثيرا عن الإيمان ، وأن يكون صد لازما ، ويكون كثيرا نعتا لمصدر محذوف ، والتقدير : وبصدهم صدودا كثيرا حرمت عليهم محرمات كثيرة ؛ لظلمهم وكذبهم ، وقد بين ذلك في قوله : ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِبَغْيِهِمْ ۗ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ۝١٦١﴾ [الأنعام] أي : وهم الكاذبون في دعواهم : أن هذا التحريم كان شرعا مستانفا ، ولم يكن عقوبة .

وقوله : ﴿بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ إن كانت شريعة من قبلنا شرعا لنا ، فيجب الإيمان بكل جزء منها ، إلا ما نسخ ؛ كالسبت وأكل لحوم الإبل ، وإن قلنا : إنه ليس شرعا لنا ، فيجب الإيمان بأنها نزلت من عند الله ، ولا يجب الإيمان بما فيها من الشرائع

وقوله : ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ من باب عطف الصفات بالواو ، وانقطاع بعضها بالنصب بإضمار أعني أو بالرفع بإضمار هو ؛ كقول الشاعر [ من الكامل ] :  
 لَا يَتَعَدَّنُ قَوْمِي الدِّينَ هُمْ سَمُّ العُدَاةِ وَأَفَّةُ الجُزْرِ  
 النَّازِلِينَ بِكُلِّ مَعْتَرِكٍ والطَّيِّبُونَ مَعَاقِدَ الأُزْرِ<sup>(١)</sup>

فعطف بالواو واقتطع . قوله : ﴿كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّنَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ التشبيه وقع في أصل

=عيسى وحذف من بعد إلا لدلالة الكلام عليه فاستغني بدلالته عن إظهاره كسائر ما قد تقدم من أمثاله التي قد أتينا على البيان عنها .

(١) البيتان للخرنق بنت بدر بن هفان ، ينظران في : الأشباه والنظائر للسيوطي (٦ / ٢٣١) ، الإنصاف لابن الأنباري (٢ / ٤٦٨) ، أوضح المسالك لابن هشام (٣ / ٣١٤) ، خزانة الأدب للبغدادي (٥ / ٤١) ، (٤٢) ، الدر المصون للسمن الحلبي (٢ / ٤٦٢) ، ديوان الخرنق (ص : ٤٣) ، الكتاب لسيويه (١ / ٢٠٢) ، لسان العرب (نصر) ، همع الهوامع للسيوطي (٣ / ١٢٥) و الآفة : العلة والمرض . والجزر : جمع جزور وهي الناقة . والمعترك : موضع الزحام في القتال . والمعاهد : موضع عقد الإزار وثنيه . والأزر : جمع إزار ، وهو ما يستر نصف البدن من أسفل .

الوحي إليهم لا في نفس المفروض .

﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْوِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ ﴾

وقوله : ﴿ وَرُسُلًا ﴾ منصوب بفعل مضمر ، أي : وأرسلنا رسلا قد قصصنا نبأهم بالحق ، ورسلا لم نقصص نبأهم .

وقوله : ﴿ رُسُلًا ﴾ الثاني بدل من الأول ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ ﴾ فيقولوا ﴿ مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ﴾ [المائدة: ١٩] ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥] ﴿ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى ﴾ [طه: ١٣٤] إلى آخر السورة .

﴿ لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ ﴾ يعني : إن توقفوا على الشهادة لك ، فالله يشهد ، وفيه ما في قوله : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَكُ وَالرُّسُلُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [آل عمران: ١٨] قوله : ﴿ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ لا يمتدح الله بالقدرة فإن في مخلوقاته الداخلة تحت قدرته ما هو أشد منهم ، لكن المراد : أنهم هانوا عليه ؛ لكفرهم ، فهانت عقوبتهم ، وهذا كقوله في نساء النبي : ﴿ مَنْ يَأْتِ مِنْكُمْ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضْعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٠] أي : تهون عليه عقوبتهن إذا فعلن ذلك .

قد تقتضي التوقع ، وإن كان الفعل بعدها ماضيا ؛ لأنها لا تستعمل إلا حيث يكون ذلك الفعل مترقبا . ومنه قول المؤذن : قد قامت الصلاة ولا تقول : قد ركب الأمير ؛ إلا لقوم ينتظرون ركوبه ، والكفار كانوا ينتظرون بعثة النبي ﷺ ، فإنه مذكور في كتبهم القديمة .

قوله : ﴿ خَيْرًا ﴾ مفعول بفعل مضمر ، والتقدير : واثتوا خيرا لكم ، ولا تضمير : يكن خيرا .

و(خيرا) منصوب ب (يكن) ؛ لأن كان لا تعمل مضمرة .

﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لَا تَعْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ أَنْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ كُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴿١٧٤﴾ .

﴿لَا تَعْلُوا﴾ لا تجاوزوا الحد في اعتقادكم. ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ أي : من عنده ، كقوله ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجن: ١٣] . ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ﴾ أي : لا تقولوا : معبودنا ثلاثة . ولا تقدر : آهتنا ثلاثة ؛ لأن المبتدأ لا يدخله تصديق ولا تكذيب ، فتكون قد قدرت أن ثم آلهة وأخبرت أنها ثلاثة ، وهذا لا يجوز . ﴿أَنْتَهُوا خَيْرًا﴾ أي : انتهوا واتوا خيرا .

الهاء في سبحانه في موضع جر ؛ كقولك : سبحان الله ، وهذا المجرور هل هو في موضع رفع أو نصب ؟ فيه قولان ، التقدير : سبحت الله ، أو تنزه الله .

قوله : ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ فيه تلويح بأن الإنسان لا يملك ولده . ومثله : ﴿سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء] استنكف عن الأمر : إذا ترفع عنه .

وقوله ﴿وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ ادعى بعض الناس أنه يدل على أن الملائكة أفضل من البشر ، كقولك : لا تستنكف عن صحبتي زيد ولا السلطان ، ولا تقول : لا تستنكف عن صحبتي السلطان ولا زيد ؛ لأنه لا ترقى فيه . وجوابه : أنه إذا ذكر عن شخصين أنهما ترفعا عن صحبتك رددت عليه وقلت : لا تستنكف عن صحبتي زيد ولا عمرو ، لا تدريج فيه . والملائكة قد عبّدوا ، والمسيح قد عبّد ، فأخبر الله - تعالى - أن هذين المعبودين لا يستنكفان عن عبادته .

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلِمَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ

وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾

أما حرف تفصيل ، ولا بد بعدها من وجود شيئين تقول : أما زيد فعالم ، وأما عمرو فجاهل . ولا يجوز الاقتصار على قولك : أما زيد فعالم وها هنا وقع الاقتصار على قوله : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ ﴾ الآية ، وإنما جاز الاقتصار ها هنا ، فإنه قد مضى ذكر الفريقين بعد قوله : ﴿ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ ﴿١٧٦﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِّن فَضْلِهِ ؕ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ ﴿١٧٧﴾ (١/٤٢) ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ﴾ تنازع العاملان على المجرور في الكلاله والتقدير : يستفتونك في الكلاله ، قل الله يفتيكم فيها ، فجاءت حجة البصريين في إعمال الثاني ، ولو عمل الأول لقال : يستفتونك في الكلاله قل الله يفتيكم فيها <sup>(١)</sup> . ﴿ إِنْ أَمْرٌ أَمْرًا هَلَكًا ﴾ امرؤ : فاعل ؛ فإن الشرط يطلب الفعل ، والتقدير : إن هلك امرؤ . وقد امتنع بعض الناس أن يقال : هلك إلا في الكفار ، وهو غلط ؛ لقوله ها هنا : ﴿ إِنْ أَمْرٌ أَمْرًا هَلَكًا ﴾ هو عام في الكفار والمؤمنين ، ولقوله : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَ كُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَ كُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ ﴾ [غافر: ٣٤] .

قوله : ﴿ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ ٱبْنٌ ﴾ لا بد أن يكون : ولا أب ؛ لأن الأب يجب الإخوة . وجعل للأختين ها هنا الثلثين ، فجعل الثلثين للبتين من باب الأولى ؛ لأن البنات يحجب الأخوات عن الفرض فلا يرثن إلا بالتعصيب . ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ كراهة ﴿ أَنْ تَضِلُّوا ﴾ أو : لئلا تضلوا . فمن أضمر كراهة قال : أضمرت كلمة واحدة ، وأنت أضمرت كلمتين ؛ لام كي ،

(١) هذه المسألة تعرف بمسألة التنازع ومعناه : أن يتوجه عاملان متقدمان أو أكثر إلى معمول واحد متأخر أو أكثر كما في هذه الآية ، حيث إن ﴿ فِي الْكَلَالَةِ ﴾ في الكلاله تقدمه عاملان وهما ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ ﴾ ويفتيكم ، وقد اختلف النحاة في أي العاملين منهما يعمل في المعمول ، الأول أم الثاني ؟ فذهب البصريون إلى أن العامل هو الثاني ؛ لقربه من المعمول . وذهب الكوفيون إلى أن العامل هو الأول ؛ لسبقه . ولا يقع التنازع إلا بين فعلين متصرفين ، أو اسمين يشبهانهما ، أو فعل متصرف واسم يشبهه ، ولا يقع بين حرفين ولا بين حرف وغيره ولا بين جامدين ولا بين جامد وغيره . وإذا جاء الفعل الثاني لمجرد التقوية والتأكيد ، فلا عمل له وإنما يكون العمل للأول ولا يكون حينئذ من باب التنازع .

تنظر المسألة في : الإنصاف لابن الأنباري ( ١ / ٨٧ ) ، المسألة ( ١٣ ) ، أوضح المسالك ( ٣ / ١٨٦ )

شرح الأشموني ( ٢ / ١٧٥ ) ، همع الهوامع ( ٣ / ٩٤ ) .

ولا. قال الثاني : أنا أضمرت ثلاثة أحرف ؛ لام كي حرف ، ولا : حرفان ركب أحدهما مع الآخر ، وأنت أضمرت خمسة أحرف ، وهي كراهة .

﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١٧٦)

\* \* \*

## سورة المائدة [مدنية]

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُحِلُّوا شَعْبِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهُدَى وَلَا الْقَلْبَيْدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ، وَالْمُنْخَنِقَةُ ﴿٣﴾﴾

قوله: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ بما عاهدتم الله عليه وعقدتم الأيمان ، يدخل فيه الوفاء بمقتضى العقود الشرعية. ﴿بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ الأزواج الثمانية . وقيل: الطباء . وقيل: الجنين الذي يوجد في بطن الأم عندما تذبح وفي الحديث : « ذكاة الجنين ذكاة أمه » (١).

﴿إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ من تحريم المنخقة والمتردية والنطيحة. روي أن رجلا يقال له: الحطم أغار على المسلمين ، وأخذ أموالا لهم ، ثم جاء في صورة حاج أو معتمر، وقلد الهدى ، وقلد نفسه ، وهو باق على كفره على عادة العرب في حج البيت وهم كفار ، فأراد المسلمون أن يخرجوا عليه ويأخذوه ؛ لبغية عليهم أول مرة فنزلت (٢) ﴿لَا تُحِلُّوا شَعْبِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهُدَىٰ وَلَا الْقَلْبَيْدَ وَلَا ءَامِينَ﴾ ولا قاصدين البيت الحرام .

﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ أمر بإباحة ؛ لأنه جاء بعد التحريم ، فهو كقوله: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ (٣).

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ ولا يحملنكم. ﴿شَنَاٰنُ﴾ أي: بغض و ﴿أَن تَعْتَدُوا﴾ مفعول ثان

(١) رواه أحمد في المسند (٣/٣١ ، ٣٩ ، ٥٣) ، وأبو داود رقم (٢٨٢٧) ، والترمذي رقم (١٤٧٦) ، وابن ماجه رقم (٣١٩٩) ، وابن حبان في صحيحه رقم (٥٨٨٩) ، من حديث أبي سعيد الخدري وصححه الألباني في إرواء الغليل رقم (٢٥٣٩) بمجموع طرقه .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٦/٥٨) ، وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص: ١٩١) ، رقم (٣٧٩) .

(٣) سورة الجمعة ، الآية (١٠) .

لـ «يجرم منكم» ، أي : لا يكسبنكم العدوان التعدي . ﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا ﴾ أي : ولا تتعاونوا على موجبات الإثم .

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ ﴾ إلا السمك والجراد ، والجنين يوجد في بطن الأم بعد ذبحها ، ﴿ وَالذَّمُّ ﴾ إلا الكبد والطحال ﴿ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ ﴾ وكذا عظمه ونحوه وسائر أجزائه<sup>(١)</sup> ، والإهلال : رفع الصوت ، وكانوا إذا ذبحوا لأصنامهم رفعوا أصواتهم بالذبح باسمها .

﴿ وَالْمَوْقُودَةُ وَالْمُتَرَدِّيةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصَبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فَسُقُ الْيَوْمِ يَيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَأَخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكَمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَنْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤﴾ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلَلٌ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرِ مُسَفِّحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيْمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٥﴾﴾

﴿ وَالْمَوْقُودَةُ ﴾ المقتولة بالمثل ﴿ وَالنَّطِيحَةُ ﴾ بمعنى : المنطوحة ﴿ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ ﴾ ولم يبق فيه حياة مستقرة . وفي «النصب» قولان :

أحدهما : الأصنام ، قال الأعشى [من الطويل] :

وذا النُّصَبِ المنصوبَ لا تعبدُّهُ ولا تعبدِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهَ فاعبدا<sup>(٢)</sup>

والثاني : أن النصب : حجارة كان يذبح عليها للأصنام ، وهو ظاهر قوله : ﴿ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصَبِ ﴾ والقائل الأول يقول : معناه : وما ذبح على اسم النصب ، يعني : الصنم .

(١) تقدم القول في ذلك عند تفسير سورة البقرة ، الآية (١٧٣) .

(٢) ينظر البيت في : تذكرة النحاة لأبي حيان (ص : ٧٢) ، سر صناعة الإعراب (٦٧٨/٢) دارالقلم ، دمشق ،

١٩٨٥ م ، تحقيق : الدكتور حسن هندراوي ، ديوان الأعشى (ص : ١٨٧) ، شرح التصريح (٢/ ٢٠٨) ،

الكتاب لسيويه (٣/ ٥١٠) ، لسان العرب (نصب) ، المقتضب للمبرد (٣/ ١٢) ويروى الشطر الأول

منه : فإياك والميتات لا تقرنهما .



الاستقسام: طلب القسم والنصيب. الأزام: سهام صغار ، وكان يوجد منها ثلاثة يكتب على أحدها: أمرني ربي ، وعلى الثانية: نهاني ربي ، والثالث غفل لا يكتب عليه شيء وتوضع السهام في خريطة عند رجل عند البيت ، فمن أراد سفراً أو نكاحاً أو أمراً مهماً ، جاء لذلك الرجل فوهبه شيئاً ، فيأخذ تلك الخريطة ، فيحركها تحريكاً يتغير كل سهم عن مكانه ، ثم يدخل يده ، فيخرج سهماً ، فإن خرج: «أمرني» توجه للأمر الذي طلبه ، وإن خرج: «نهاني ربي» كف عنه ، وإن خرج السهم الذي لا كتابة عليه أعاد الاستقسام بالسهم .

﴿ أَلْيَوْمَ ﴾ يعني: هذا الوقت ﴿ يَسِّرَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ من رجوعكم ﴿ مِنْ دِينِكُمْ ﴾ لما رأوا من استقامة دينكم وعلو كلمتكم . ﴿ أَكَمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ نزلت هذه الآية يوم الجمعة ، وكان يوم عرفة من حجة الوداع ، وعاش بعدها ﷺ نيفاً وثمانين يوماً ، ولم يتجدد بعدها نزول فرض ولا تحريم<sup>(١)</sup> .

والمخمصة: المجاعة. والمتجانف: المائل ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ له . ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ ذبائحهم حلال لنا وذبائحنا حلال لهم .

﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ ﴾ يريد العفائف ﴿ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ هم اليهود والنصارى ، أو الكتاب: هو التوراة والإنجيل ؛ لقوله تعالى : ﴿ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿ إِذْ آتَيْنَهُمُ أَجْرَهُنَّ أَجُورَهُنَّ ﴾ أي: إذا سميتن هن في العقد مهراً ، وإن لم تقبضوه ﴿ مُحْصِنِينَ ﴾ متزوجين ﴿ غَيْرَ مُسَفِّحِينَ ﴾ غير زانين مع كل من طلب ذلك منهم ﴿ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ﴾ أي: صديقا يقع الزنى معه خاصة .

﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ ﴾ بهذا احتج أبو حنيفة على أن من كفر بعد الإيمان حبط عمله ، فلو كان حج حجة الإسلام ثم ارتد ، ثم عاد إلى الإسلام ، لزمه إعادة الحج وعند الشافعي: لا تحبط الردة إلا بشرط أن يموت عليها ؛ لقوله: ﴿ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ

(١) روى البخاري في صحيحه رقم (٤٥٤) عن عمر بن الخطاب أن رجلاً من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرأونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً ، قال: أي آية؟ قال: ﴿ أَلْيَوْمَ أَكَمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ وهو قائم بعرفة يوم الجمعة .

(٢) سورة الأنعام ، الآية (١٥٦) .

عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ﴿١﴾ فحمل الشافعي المطلق في هذه الآية على المقيد في تلك (٢).

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾﴾

﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ أي: إذا أردتم؛ كقوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ﴾ (٣) وكقوله: إذا لقيت الأسد فاستعد، أي: إذا أردت القراءة، ولقاء الأسد. من قرأ «وأرجلكم» بالخفض، وعطفه على الرؤوس. ومن قرأها بالنصب (٤) عطفه على «وجوهكم وأيديكم» وتكون الأرجل مغسولة على هذا، وعلى الأول ممسوحة أي: إذا كان لابس خف.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ﴾ أو مسافرين مجنين، أو محدثين حدثا أصغر بمجيء أحدكم من الغائط أو بملامسة النساء، فاقصدوا صعيداً طاهراً، واللام في «ليجعل»

(١) سورة البقرة، الآية (٢١٧).

(٢) ينظر: الأم للشافعي (١٨٧/٤) وتقدم قول أبي حنيفة في تفسير سورة البقرة، الآية (٢١٧).

(٣) سورة النحل، الآية (٩٨).

(٤) قرأ نافع وابن عامر وحفص والكسائي ويعقوب «وأرجلكم»، وقرأ الباقر «وأرجلكم».

تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٤٣٧/٣)، حجة ابن خالويه (ص: ١٢٩)، حجة أبي زرعة (ص:

٢٢٣)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٢٤٢)، النشر لابن الجزري (٢/٢٥٤).

و «ليطهركم» بمعنى «أن» .

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ ﴾ ولا يكسبنكم بغض قوم . الضمير في ﴿ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ راجع إلى مصدر «اعدلوا» ، التقدير: العدل أقرب للتقوى .

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ فقال : ﴿ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ .

﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾ ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وءاتيتم الزكاة وءامنتم برسلي وعززتموهم وأقرضتم الله قرضاً حسناً لأكفرنَّ عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنّات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضلّ سواء السبيل ﴿١٢﴾ فيما نقضهم ميثاقهم لعنتهم وجعلنا قلوبهم قسيةً يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به ولا نزال نطلع على خائنة منهم إلا قليلاً منهم فاعف عنهم وأصفح إن الله يحبّ المحسنين ﴿١٣﴾ ومن الذين قالوا إنا نصرى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به فأغرنا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون ﴿١٤﴾ يتأهل الكتيب قد جاءكم رسولنا بيّن لكم كثيراً مما كنتم تحفون من الكتيب ويعفوا عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتب مبين ﴿١٥﴾ يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلم ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴿١٦﴾ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً والله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير ﴿١٧﴾ وقالت اليهود والنصرى نحن ابتوأ الله وأحببوه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير ﴿١٨﴾

روي: «أن النبي ﷺ نزل منزلاً ، واختار ظل شجرة ، فأوى إليها ، وتفرق أصحابه تحت الشجر ، فجاء أعرابي والنبي ﷺ مضطجع ، فسل السيف من غمده ، وقال للنبي ﷺ : من

يمنعك مني ، فقال : «الله» فأغمد السيف وجلس ونادى رسول الله ﷺ أصحابه ، فأخبرهم ، فنزلت ﴿ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ ﴾ الآية (١) .

وقيل : نزل من التنعيم سبعون شاباً لابسين السلاح ، أرادوا أن يوقعوا بالمسلمين ، فكفهم الله ، وأنزل هذه الآية ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ على الإيمان بمحمد وأخذ منهم اثني عشر نقيباً . ﴿ وَعَزَّرْتُمُوهُمْ ﴾ أي : منعتموهم ممن يؤذيهم ، وأصل التعزير المنع ، وكذلك قوله : ﴿ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ (٢) ﴿ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ ، وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ ﴾ (٣) والتعزير الذي يذكره الفقهاء على من أتى معصية لا حد بها ، ولا كفارة ، فسمي به ؛ لأنه يمنع من العود إلى الذنب .

﴿ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ قد مضى شرحه (٤) . ما في ﴿ فِيمَا ﴾ زائدة . وقوله : ﴿ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ لا تتأثر بالمواعظ . وفيه دليل على أن الله - تعالى - فاعل الخير والشر .

﴿ عَلَى خَائِنَةٍ ﴾ ومثله من المصادر التي على «فاعلة» ؛ العاقبة ، والعافية ، والكاذبة في قوله : ﴿ لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ ﴾ (٥) واللاغية في قوله : ﴿ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ﴾ (٦) .

﴿ فَأَغْرَيْنَا ﴾ فالصقنا بهم التعادي والتباغض ﴿ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ ويمجازيهم عليه .

﴿ سُبُلَ السَّلَامِ ﴾ أي : سبل السلامة . وقد أخبر عن «من» بالمفرد في قوله : ﴿ مِنْ مَنْبَعٍ رِضْوَانِكُمْ ﴾ ثم بالجمع في قوله : ﴿ وَيُخْرِجُهُمْ ﴾ ﴿ وَيَهْدِيهِمْ ﴾ ، وهو كثير وعكسه قليل . ﴿ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ ﴾ أي : من رد أمره . ﴿ مَخْنُ أَبْنَاؤُا ﴾ أنبياء ﴿ اللَّهُ ﴾ .

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٤١٣٩) ، ومسلم برقم (٨٤٣) عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما .

(٢) سورة الفتح ، الآية (٩) .

(٣) سورة الأعراف ، الآية (١٥٧) .

(٤) في الآية (٢٤٥) من سورة البقرة .

(٥) سورة الواقعة ، الآية (٢) .

(٦) سورة الغاشية ، الآية (١١) .

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرَّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١٩) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ أَدْرَاكُومُ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَّا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَنْقُومِ أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُم غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴿ وَآتَىٰ عَلَيْهِم نَبَأَ ابْنَىٰ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٢٧) ﴿

﴿ عَلَى فَتْرَةٍ ﴾ متعلق بـ ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ ﴾ كراهة ﴿ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ﴾ .

وقوله : ﴿ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ ﴾ ، كقول الشاعر [من البسيط]:

قالوا خراسانَ أقصى ما يُرادُ بنا ثم القفولَ فقد جئنا خراسانا<sup>(١)</sup>

فضل بني إسرائيل بكثرة الأنبياء فيهم ﴿ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا ﴾ زعم بعضهم أن من ملك دارا وخادما وكفاية من الرزق فهو ملك ، والأحسن أن الملك كان في القبط ، وكانوا يستعبدون بني إسرائيل ؛ فلما أغرق الله - تعالى - فرعون وقومه ، انتقلت المملكة إلى بني إسرائيل فهو كما يقول أكابر أصحاب الملك: نحن الملوك.

﴿ مَّا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ من انفراق البحر ، وتظليل الغمام ، وإنزال المن والسلوى وغير ذلك ﴿ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ﴾ أراد العمالقة ، وكانوا كبار الأجسام جدا .

﴿ قَالَ رَجُلَانِ ﴾ هما يوشع بن نون ، وكالب بن يوفنا ، وقولهم: ﴿ فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ

(١) البيت للعباس بن الأحنف ، ينظر في: روح المعاني للألوسي (١/٣٠٤) ، الكشاف للزنجشيري

(٣/٢٧١) ، معجم البلدان لياقوت الحموي (٢/٣٥٣) .

فَقَتِلَا ﴿ جرأة على الله ، وإطلاق اللسان ، حيث يجب حبسه .

قيل: ﴿ وَأَخِي ﴾ لا يملك إلا نفسه . وقيل: «وأخي» معطوف على «نفسي» ، فكأنه مالك لأمر أخيه . قيل: ﴿ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ ظرف ، والصحيح أنها متعلقة بـ «يتيهون» تحريمها عليهم ليس بمؤقت ، وإنما المؤقت مقامهم في التيه أربعين سنة<sup>(١)</sup> . ﴿ فَلَا تَأْسَ ﴾ فلا تحزن .

﴿ وَآتَلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ ﴾ قيل: المراد ولدا آدم لصلبه وهما: قابيل وهابيل . وقيل: هما بني إسرائيل ، والناس كلهم بنو آدم ، ويقوي هذا قوله في آخر القصة: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ ﴿ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا ﴾ وكانت القرابين على عهد الأنبياء الأولين إذا قربت وأراد الله قبولها نزلت نار من السماء فأكلت ما تقرب له . وقوله: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ جواب لقوله: ﴿ لِأَقْتُلَكَ ﴾ كأنه قيل: إنما امتنع قبول قربانك ؛ لأنك لم تتق الله عز وجل فيه ، فلذلك لم تقبل ، ولم يمتنع قبوله لسبب من جهتي ، حتى تقتلني ، وعمل الحسن البصري عبادة ، فقال له قائل: تقبل الله منك ، قال: لو علمت أن الله قبل مني ذرة لاطمأن قلبي ، لكن الله - تعالى - يقول: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

﴿ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

﴿ مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ قال النبي ﷺ : « إذا التقى

(١) قال الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ١٨٤ ، ١٨٥) : « وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: إن الأربعين منصوبة بالتحريم وإن قوله : ﴿ يَتِيَهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ معنى به جميع قوم موسى لا بعض دون بعض منهم ؛ لأن الله عز ذكره عم بذلك القوم ولم يخص منهم بعضا دون بعض . وقد وفى الله بما وعدهم به من العقوبة فتيههم أربعين سنة وحرم على جميعهم في الأربعين سنة التي مكثوا فيها تائهين دخول الأرض المقدسة ، فلم يدخلها منهم أحد لا صغير ولا كبير ولا صالح ولا طالح حتى انقضت السنون التي حرم الله - عز وجل - عليهم فيها دخولها ، ثم أذن لمن بقي منهم وذراريهم بدخولها مع نبي الله موسى والرجلين اللذين أنعم الله عليهما » .

(٢) جاء في كتاب الزهد لابن المبارك (١/ ١٩) رقم (٧٨) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٧) لابن أبي الدنيا عن فضالة بن عبيد قال : لأن أكون أعلم أن الله تقبل مني مثقال حبة من خردل أحب إلى من الدنيا وما فيها .

المسلمان بسيفيهما ، فالقاتل والمقتول في النار ، قالوا: يا رسول الله ، هذا القاتل ، فما بال المقتول؟! قال : «إنه كان حريصا على قتل صاحبه»<sup>(١)</sup>.

فإن قيل: كيف استجاز أن يريد أن يبوء صاحبه بالإثم ، وإرادة المعصية معصية؟

قلنا: كأنه يقول: إذا كان ولا بد من أن نقتل حتى يقتل أحدنا الآخر ، فأنا أختار أن أكون عند الله المقتول ، ولا أكون عند الله القاتل . واعلم أن من طلب منك مالك ، جاز لك أن تبيحه له ولا تقاتله ، وجاز أن تقاتله ، وإن قصد نفسك ففي جواز الاستسلام قولان للشافعي ، وهذه الآية حجة الجواز . وكذلك فعل عثمان بن عفان حين تسوروا عليه الجدار ونزلوا ليقتلوه ، كان عنده عبيد فقاموا دونه ، فقال: من ألقى سلاحه ، فهو حر<sup>(٢)</sup> والقاتل الآخر يقول : لا يجوز إباحة الدماء<sup>(٣)</sup>.

﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾<sup>(٣٠)</sup> فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يُوتِلَقِ أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِي سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ<sup>(٣١)</sup> مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ<sup>(٣٢)</sup> إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ<sup>(٣٣)</sup> إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّهُ اللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ<sup>(٣٤)</sup> ﴿

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣١ ، ٦٨٧٥ ، ٧٠٨٣) ، ومسلم رقم (٢٨٨٨) عن أبي بكر. ورواه أحمد (٤٠٣ ، ٤٠١/٤) ، والنسائي (١٢٤/٧ ، ١٢٥) ، وابن ماجه رقم (٣٩٦٤) عن أبي موسى الأشعري .

(٢) قال الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير (٨٦/٤) : «حديث أن عثمان منع من عنده من الدفع يوم الدار وقال: من ألقى سلاحه فهو حر» لم أجده وفي ابن أبي شيبة من طريق عبد الله بن عامر سمعت عثمان يقول: «إن أعظمكم عندي حقا من كف سلاحه ويده» .

وقال الصنعاني في سبل السلام (٤٠/٤) : «وصح أن عثمان -رضي الله عنه- منع عبيده أن يدافعوا عنه وكانوا أربعمائة وقال: من ألقى سلاحه فهو حر» .

(٣) ينظر: الأم للشافعي (٤٦/٦) ، المبسوط للسرخسي (٣١١/٧) .

﴿ فَطَوَّعَتْ ﴾ فسهلت. وقيل: زينت. قوله: ﴿ فَأَصْبَحَ ﴾ خرجت عن أصل الاشتقاق وصارت بمعنى «صار». يقال لما حدث وقت الصبح، ولما حدث وقت المساء، ووقت الظهر. وقوله: ﴿ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴾ أبلغ من قوله: «فقد خسر» لأن من ربح في نهاره مائة درهم، وخسر في سلعة خمسة دراهم يقال: إنه قد خسر، ولا يقال: أصبح من الخاسرين إلا إذا غلب عليه الخسران، ومثله ﴿ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّدِيمِينَ ﴾ ﴿ لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾<sup>(١)</sup> ﴿ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> هو أبلغ من أن تقول: ندم، أو نادما، ومسجوننا، وقاليا. وقوله: ﴿ يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ ﴾ حال مقدره؛ لأنه حين بعثه لم يكن باحثا في الأرض. سميت السوأة سوأة؛ لأن صاحبه يسوءه كشفها ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا ﴾ متعلق بقوله: ﴿ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّدِيمِينَ ﴾. وقيل: هو متعلق بـ «كتبتنا».

﴿ يَغْيِرِ نَفْسٍ ﴾ أو بغير ﴿ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ عند المقتول؛ لأنه فقد الدنيا بأسرها، ولم يبق له انتفاع بحياة غيره هو. وقيل: من استحل قتل نفس بغير حق، فهو في الكفر كمن استحل الجميع «قدم المدينة نفر من عكل، فأصابهم وباء المدينة فأمرهم النبي ﷺ أن يخرجوا إلى لقاح الصدقة؛ ليشربوا من ألبانها وأبوالها ففعلوا فصحوا، فقتلوا الراعي واستاقوا الإبل، فأمر النبي ﷺ بطلبهم، فطلبوهم فأدركوهم، فلما جيء بهم إلى النبي ﷺ قطع أيديهم وأرجلهم، وسمر أعينهم، وتركهم بالحره، يستسقون فلا يسقون، حتى ماتوا، فأنزل الله - تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ الآية<sup>(٣)</sup> «فما قام رسول الله ﷺ بعدها مقاما إلا ونهى عن المثلة»<sup>(٤)</sup>.

وقيل: إنهم كانوا صنعوا بالرعاة مثل ذلك، فاقتص لهم، وقوله: ﴿ أَوْ يُصَلِّبُوا أَوْ تَقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا ﴾ هي عند غير الشافعي للتخيير، وعند الشافعي منزل على أحوال؛ فإن أخذ المال وقتل قتل وصلب، وإن أخذ المال ولم يقتل، قطعت يده اليمنى ورجله اليسرى، وإن أخاف السبيل ولم يأخذ شيئا طلب إلى أن يحضر به فيؤدب، وهذا معنى النفي من الأرض عنده. وقيل: أراد النفي من الأرض: الحبس، وهو

(١) سورة الشعراء، الآية (٢٩).

(٢) سورة الشعراء، الآية (١٦٨).

(٣) رواه البخاري رقم (٤١٩٢)، (٥٧٢٧)، ومسلم رقم (١٦٧١) عن أنس ؓ.

(٤) هذه زيادة في رواية أبي داود في سننه رقم (٤٣٦٨).



مذهب أبي حنيفة (١).

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٢٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ، لَيَفْتَدُوا بِهِ، مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا نُقِبِلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٦﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٢٧﴾ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ ﴿٤١﴾ يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسْكَرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتُوهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَأَخْشَوْنَ وَلَا تَشْتَرُوا بِإِيتِي تَمَنَّا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴿٤٥﴾

الحزبي: الهوان. من تاب في المحاربة قبل الظفر قبلت توبته ، ومن سرق ففي قبول توبته قولان: إذا أصلح ؛ لقوله - تعالى - في السارق : ﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ ﴾ وكذا في الزاني قوله - تعالى : ﴿ فَإِنْ تَابَ وَأَصْلَحَ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا ﴾ (٢) علل الأمر بالتقوى وابتغاء

(١) ينظر: الأم الشافعي (٢٠٢/٦) ، بدائع الصنائع للكسائي (٥٠/٦) ، المبسوط للسرخسي (١٢١/٦) ،

المعنى لابن قدامة (٣٠٧/١٠) .

(٢) سورة النساء ، الآية (١٦) .

الوسيلة إلى الله - تعالى - بقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَآتَتْ لَهُمْ مَاءٌ فِي الْأَرْضِ ﴾ الآيتين بدأ في السرقة بالسارق ، وفي الزنى بالزانية ؛ لأن أكثر السرقة تقع من الرجال ؛ لما أوتوا من القوة ، ولولا إطماع المرأة في نفسها بلين الكلام وغيره ، لما وقع الزنى غالباً . قدم ها هنا ﴿ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ﴾ ؛ لأن السابق قبلها ذكر قاطع الطريق والسارق ﴿ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ ﴾ أي: يسمعون انتقلوا إليهم . قوله: ﴿ لَمَّا يَأْتُوكَ ﴾ صفة لقوم آخرين . وكان في التوراة الرجم في الزنى على المحصن ، فغيروه وقالوا: يسود وجهه فزنى منهم رجل فاختلفوا في الحد الذي يقام عليه ، ثم قالوا: ائتوا محمداً ، فسلوه فإن أفتاكم بالرجم ، فلا تقبلوه، وإن اختار تسويد الوجه والتطويف فاقبلوا . فجاءوا إليه ، فقال: ما عندكم في التوراة في ذلك ؟ قالوا: يسود وجهه ، ويطوف . قال: ﴿ فَأَتُوا بِالتَّورَةِ فَأَتَلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ <sup>(١)</sup> فجاءوا بها ، فوضع رجل منهم يده على آية الرجم ، فقرأ ما قبلها وما بعدها ، فقال له عبد الله بن سلام : ارفع يدك ، فرفع يده ، فإذا آية الرجم ، فأمر النبي ﷺ باليهودي واليهودية فرجما <sup>(٢)</sup> .

﴿ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ ﴾ رد أمر الله شيئاً ﴿ فَأَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضَ عَنْهُمْ ﴾ الإمام مخير بين الأمرين . ﴿ النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا ﴾ وصف الأنبياء بالإسلام ، وهو دليل على عظمة وصف الإسلام ، كما وصف النبيين في سورة «الصفات» بالإيمان ﴿ سَلَّمْ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴾ <sup>(٣)</sup> إنا كذلك نجزي المحسنين <sup>(٤)</sup> إني من عبادنا المؤمنين <sup>(٥)</sup> وكذلك في إبراهيم وموسى وهارون وإلياس . اختلف العلماء في شريعة من قبلنا ؛ هل هي شرع لنا؟ فإن اتصل بها تقرير وجب العمل بها ، وإن اتصل بها إنكار فلا عمل بها ، وإن أطلقت مجردة عن الأمرين ففيه الخلاف في شريعة من قبلنا، وهذه الآية اتصل بها التقرير ؛ لقول النبي ﷺ لأنس بن النضر : «كتاب الله القصاص» <sup>(٤)</sup> وليس القصاص في كتاب الله في السنن إلا في هذه الآية <sup>(٥)</sup> .

(١) سورة آل عمران ، الآية (٩٣) .

(٢) رواه أبو داود رقم (٤٤٥٠ ، ٤٤٥١) ، والواحد في أسباب النزول (٣٩٢) ، عن أبي هريرة ؓ بهذا السياق . ورواه البخاري رقم (٣٦٣٥ ، ٦٨٤١) ، ومسلم رقم (١٦٩٩) عن ابن عمر - رضي الله عنهما - بنحو ذلك .

(٣) سورة الصفات ، الآية (٨٠) .

(٤) رواه البخاري في صحيحه رقم (٢٧٠٣ ، ٤٤٩٩ ، ٤٥٠٠) ، ومسلم رقم (١٦٧٥) عن أنس ؓ .

(٥) قال الإمام الشيرازي في كتاب اللمع في أصول الفقه (٣٤/١) ط . دار الكتب العلمية ، بيروت ، =

﴿ وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ  
 بِالْأُذُنِ وَاللِّسْنَ بِاللِّسَنِ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ  
 يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَفَقِينَا عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ يَعِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا  
 بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ وَهُدًى  
 وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ  
 فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ  
 الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ  
 الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي  
 مَا ءَاتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾  
 وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرْتُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ  
 إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْنَا أَنَّا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾  
 أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا  
 الْيَهُودَ وَالنَّصْرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ  
 ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ  
 بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَدِيمِينَ ﴿٥٢﴾

وقوله: ﴿ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ﴾ يجوز أن يعود إلى الذي تصدق ، تكفر عنه سيئاته ، ويجوز

أن يرجع إلى المتصدق عليه إذا وهبه أصحاب الحق ، كفر عنه ذنب الجناية .

= ١٩٨٥م: «اختلف أصحابنا في شرع من قبلنا على ثلاثة أوجه: فمنهم من قال: ليس بشرع لنا دون  
 غيره، ومنهم من قال: شرع موسى شرع لنا إلا ما نسخ بشريعة عيسى صلوات الله عليه ، ومنهم من  
 قال: شريعة عيسى ﷺ شرع لنا دون غيره . وقال الشيخ الإمام - رحمه الله ونور ضريحه: والذي نصرت  
 في التبصرة أن الجميع شرع لنا إلا ما ثبت نسخه والذي يصح الآن عندي أن شيئا من ذلك ليس بشرع  
 لنا والدليل عليه أن رسول الله ﷺ لم يرجع في شيء من الأحكام ولا أحد من الصحابة إلى شيء من  
 كتبهم ولا إلى خبر من أسلم منهم ولو كان ذلك شرعا لنا لبحثوا عنه ورجعوا إليه ولما لم يفعلوا ذلك دل  
 ذلك على ما قلناه .»

واختلف العلماء هل نسخ شرع موسى أو قرره ، فاختر الماوردي <sup>(١)</sup> أنه ناسخ لا مقرر؛ لأن عيسى دعا الناس إلى إنجيله ، وحلل السبت ، وحرّم الأحد ، وأحل لحوم الإبل وألبانها. و «المهيمن» : الشديد .

قوله: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ ﴾ تطلعونهم على عورات المسلمين ، وتودون أن تكون الدولة لهم على المؤمنين .

﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ ﴾ شك أو نفاق ﴿ يُسْرِعُونَ ﴾ في مرضاتهم ، معتذرين بقولهم: ﴿ نَخَشَىٰ أَنْ يُصِيبَنَا دَآبِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ ﴾ أي: بالحكم بينكم بالحق ، فندم المشركون على مسارعتهم في رضائهم ، وتكشف حال الكفار للمؤمنين ، فيقول المؤمنون: ﴿ أَهْتُولَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ﴾ . ﴿ مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ﴾ لم يضر الله شيئا ، وإذا جاء وصف النكرة بمفردات وجمل ، فالأولى تقديم المفردات ، وتأخير الجمل ، ويجوز خلافه ؛ لقوله هاهنا : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ ﴾ وأعزة ولقوله: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ﴾ <sup>(٢)</sup> ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ﴾ إنكار لما سبق من موالاته اليهود والنصارى ؛ لأنه حصر الولاية في الله ورسوله والذين آمنوا بلفظة «إنما».

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهْتُولَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَسِرِينَ ﴾ <sup>(٥٢)</sup> يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكٰفِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ <sup>(٥٤)</sup> إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ <sup>(٥٥)</sup> وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ <sup>(٥٦)</sup> يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَكُمْ مِّنْهُنَّ <sup>(٥٧)</sup> وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا هُزُوعًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ <sup>(٥٨)</sup> قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ هَلْ تَقِيمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ <sup>(٥٩)</sup> ﴿

قوله: ﴿ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ يجوز أن يكون حالا من ﴿ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ وقد روي: أن عليا تصدق في الصلاة بخاتمه <sup>(٣)</sup> . ويجوز أن يكون وصفا لهم بالركوع الذي هو جزء من الصلاة ؛

(١) ينظر : النكت والعيون للماوردي (١/٤٦٨ ، ٤٦٩) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية (٩٢) .

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٦/١٨٨) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٣/١٠٥) لأبي الشيخ وابن=

كما سميت الصلاة قرآنا في قوله: ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ﴾<sup>(١)</sup> وتسييحا: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾<sup>(٢)</sup> وقد سماها ركوعا في قوله: ﴿وَأَذْكُرِي مَعَ الرَّكْعَيْنِ﴾<sup>(٣)</sup> ، أي: ومن يتول الله ورسوله فقد تولى حزب الله ، ومن يتول حزب الله يغلب ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾<sup>(٤)</sup> ﴿وَالْكَفَّارُ﴾ بالخفض ؛ عطفًا على ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ وبالنصب<sup>(٥)</sup> ، على ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ﴾ وكان بعض النصارى إذا سمع الأذان قال: حرق الكاذب فأضرمت داره عليه نارا واحترق ، ونزلت ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ الآية<sup>(٥)</sup> .

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَاسِقُونَ﴾ فإن علمكم بفسق أنفسكم ، وبأننا قائمون بدين الحق ، هذا الذي كرهتموه منا ، وعبتموه علينا ، وهو مما لا يكره مثله ولا يعاب ؛ كقوله: ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ﴾<sup>(٦)</sup> ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾<sup>(٧)</sup> ﴿لَنَقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا﴾<sup>(٨)</sup> ومن هذا الباب قول الشاعر [من الطويل]:

ولا عيبَ فيهم غيرَ أن سيوفهم بهنَّ فلوك من قِراعِ الكتائبِ<sup>(٩)</sup>  
فإن فلول السيف وإن كان عيبا في السيف تنقص به قيمته فليس عيبا فيهم ، بل ذلك

= مردويه عن علي بن أبي طالب ؓ .

(١) سورة الإسراء ، الآية (٧٨) .

(٢) سورة الطور ، الآية (٤٨) .

(٣) سورة آل عمران ، الآية (٤٣) .

(٤) قرأ بالخفض «والكفار» أبو عمر والكسائي ، وقرأ الباقون «والكفار» . تنظر القراءة في: حجة ابن زنجلة (ص: ٢٣٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٢/٥٥٢) ، الكشاف للزمخشري (١/٦٢٤) .

(٥) رواه الواحدي في أسباب النزول (ص: ٢٠٣) ، رقم (٤٠٠) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٢/٢٩٤) لابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ .

(٦) سورة التوبة ، الآية (٧٤) .

(٧) سورة البروج ، الآية (٨) .

(٨) سورة الأعراف ، الآية (١٢٦) .

(٩) البيت للناطقة الذبياني ، ينظر في : خزانة الأدب للبغدادي (٣/٣٢٧) ، ديوان النابغة (ص: ٤٤) ، العين للخليل (٨/٣١٦) باب الفاء واللام ، الكتاب لسيبويه (٢/٣٢٦) ، لسان العرب (قرع) ، همع الهوامع (١/٢٣٢) .

دال على كثرة ضربهم بالسيف .

﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مُتُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنِ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمْ السُّحْتِ لَيْسَ لِيُسَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَإِيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلِعِنَّا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾

﴿ مُتُوبَةً ﴾ مرجعا . من قرأ « وعبد الطاغوت » على الفعل الماضي ، فهو معطوف على ﴿ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ ﴾ <sup>(١)</sup> و ﴿ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ وسط الطريق .

﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ ﴾ هلا ينهاهم ، وجعل فعل الربانيين والأحبار أبلغ من المسارعة في الإثم والعدوان وأكل السحت ؛ لأنه ختمه بقوله : ﴿ يَصْنَعُونَ ﴾ ولا يطلق اسم الصانع إلا على من اتقن العمل ﴿ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

قالت اليهود: إن الله لن يبسط النفقة علينا ، وله القدرة وسعة المملكة ، فلعنهم الله ، ورد عليهم بقوله: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ أي: هو أكرم الكرماء ، وهذا مثل لجوده وكرمه ، بحال من يعطي بيديه كليهما <sup>(٣)</sup> وإيقاد نار الحرب وإطفائها أيضا من باب الاستعارة .

(١) هذه قراءة عامة القراء غير حمزة ؛ فقد قرأ «عَبَدَ» بضم الباء وفتح الدال . وفي هذه الآية أربع وعشرون قراءة كما قال السمين الحلبي في الدار المصون ، وتنظر القراءة في : حجة ابن زنجلة (ص: ٢٣١) ، البحر المحيط لأبي حيان (٥١٨/٣) ، الدر المصون (٥٥٨/٢) ، الكشاف للزمخشري (٦٢٥/١) .

(٢) سورة النمل ، الآية (٨٨) .

(٣) هذه الآية من جملة الآيات التي اشتملت على صفة من الصفات التي وصف الله - تعالى - بها نفسه العلية ، وقد ثبت في صحيح البخاري رقم (٧٤١٩) ، وصحيح مسلم رقم (٩٩٣) عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ : «يمين الرحمن ملأى سحَاء ، لا يغيضها الليل والنهار . قال: رأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض ، فإنه لم يغيض ما في يمينه ، وعرشه على الماء ، ويده الأخرى الميزان يرفع ويخفض» . قال الترمذي - رحمه الله - في جامعه (٣٠٤٥) بعد هذا الحديث : « وهذا حديث قد روته الأئمة ، تؤمن به كما جاء من غير أن يفسر أو يتوهم ، هكذا قال غير واحد من الأئمة ؛ الثوري =

﴿ فسكاداً ﴾ يجوز أن يكون مصدرا ، والعامل فيه «يسعون» من غير لفظه ، وأن يكون مفعولا من أجله . وعد الله أهل الكتاب على الإيمان والتقوى بتكفير السيئات ودخول الجنة على إقامة التوراة وصيانتها عن التحريف بسعة الأرزاق.

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنَ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ ﴿ يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَأْهَلِ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلِيُزِيدَكُمْ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَيْنًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغُونَ وَالنَّصْرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴾

﴿ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ﴾ متوسطة الحال في الطاعة والمعصية . ﴿ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ ﴾ في بعض ، فكأنك لم تفعل شيئا من الرسالة ، وروي عن النبي ﷺ أنه قال ذات ليلة : «ليت حارسا يجرسني الليلة ، فجاء الزبير بن العوام عليه سلاحه ، قال النبي ﷺ : من هذا ؟ قال : أنا الزبير جئت لأحرسك ، فلما كان بعض الليل أخرج النبي ﷺ رأسه من القبة ، وقال : أيها الحارس ، اذهب فقد عصمني الله ، وتلا ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ <sup>(١)</sup> يعني : من القتل بأيديهم ،

= ومالك بن أنس وابن عيينة وابن المبارك ، أنه تروى هذه الأشياء ، ويؤمن بها فلا يقال كيف ؟! وقال ابن حبان في صحيحه : «هذه أخبار أطلقت من هذا النوع توهم من لم يحكم صناعة العلم أن أصحاب الحديث مشبهة ، عائد بالله أن يخطر ذلك ببال أحد من أصحاب الحديث ، ولكن أطلق هذه الأخبار بالفاظ التمثيل بصفاته على حسب ما يتعارفه الناس فيما بينهم ، دون تكييف صفات الله جل ربنا أن يشبه بشيء من المخلوقين ، أو يكيف بشيء من صفاته ؛ إذ ليس كمثل شيء .»

(١) رواه الترمذي في الجامع الصحيح رقم (٣٠٤٦) ، والطبري في تفسيره (٣٠٨/٦) ، والحاكم في المستدرک (٣١٣/٢) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/٩) ، وفي دلائل النبوة (١٨٤/٢) ، وصححه الألباني - رحمه الله - في صحيح الترمذي رقم (٢٤٣٨) .

وإلا فقد شج وجهه ، وكسرت رباعيته ﷻ.

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ أي: لستم على شيء من الدين ﴿ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ تلاوة وعملا . ﴿ فَلَا تَأْسَ ﴾ فلا تحزن . وإذا عطف على اسم «فلا تأس» فلا تحزن . وإذا عطف على اسم «إن» بعد استيفاء الخبر، جاز النصب والرفع ؛ كقولك: إن زيدا قائم وعمرا وعمرو ، فأما قبل استيفاء الخبر فالنصب أرجح ، والرفع قليل ، ومنه هذه الآية ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰلِحُونَ ﴾ وأنشد سيويه [من الوافر]:

وإلا فاعلموا إنا وأنتم بغاة ما بقينا في شسقاق<sup>(١)</sup>

والقياس على اللغة الفصيحة: إنا وإياكم<sup>(٢)</sup> . ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ فيما يستقبل . ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ على ما مضى . ﴿ أَلَا تَكُونُ فِتْنَةً ﴾ قرئ بالرفع والنصب<sup>(٣)</sup> .

وإذا وقع قبل «أن لا» فعل يقين تعين الرفع ، وتكون مخففة من الثقيلة ؛ كقوله: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُرْجَعُونَ إِلَىٰ هُمْ قَوْلًا ﴾<sup>(٤)</sup> . وإن كان قبلها فعل خوف أو طمع وجب النصب ؛ كقوله: ﴿ إِلَّا أَنْ يَخَافَ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾<sup>(٥)</sup> وإن كان قبلها فعل ظن وحسبان ففيه قولان ؛ كهذه الآية . ﴿ اَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ أمرهم بعبادة الله دونه وجعله ربه وهو ضد ما تقوله النصارى .

(١) البيت لبشر بن أبي خازم ينظر في: الإنصاف لابن الأنباري (١/١٧٥)، خزانة الأدب للبغدادي (١٠/٢٩٣، ٢٩٧)، ديوان بشر بن أبي خازم (ص: ١٦٥)، شرح أبيات سيويه (٢/١٤)، شرح التصريح (١/٢٢٨)، الكتاب لسيويه (٢/١٥٦)، المقاصد النحوية (٢/٢٧١)، وبلا نسبة في: أسرار العربية لابن الأنباري (ص: ١٥٤)، شرح المفصل لابن يعيش (٨/٦٩) .

(٢) ذهب البصريون إلى عدم جواز العطف على موضع اسم «إن» قبل تمام الخبر ، بخلاف الكوفيين الذين يجوزون ذلك . تنظر المسألة في: الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري (١/١٧٥)، أوضح المسالك لابن هشام (١/٣٥١) .

(٣) قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف ويعقوب «تكون»، وقرأ باقي العشرة «تكون» . تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٣/٥٣٣)، الحجة لابن خالويه (ص: ١٣٣، ١٣٤)، الحجة لأبي زرعة (ص: ٢٣٣)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٢٤٧)، الكشاف للزنجشيري (١/٣٥٥)، النشر لابن الجزري (٢/٢٥٥) .

(٤) سورة طه ، الآية (٨٩) .

(٥) سورة البقرة ، الآية (٢٢٩) .



﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِي إِسْرَائِيلَ  
 اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا  
 لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمِمَّنْ إِلَهٌ إِلَّا  
 إِلَهُهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا  
 يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا  
 رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ  
 كَيْفَ بُيِّنْتُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ اتَّعَبُدُونَ مِنْ دُونِ  
 اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا  
 فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا  
 وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ  
 وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ  
 مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ  
 كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾  
 وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا  
 مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨١﴾ ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا  
 وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ  
 قَتِيلِينَ وَرَهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

﴿ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ «من» زائدة ؛ لتأكيد النفي ، فإن قيل : لو قيل : وما للظالمين من نصير  
 لكان أبلغ ، فإنه يلزم من نفي النصير نفي الأنصار ، ولا يلزم من نفي الأنصار نفي النصير؟  
 فالجواب : أنهم زعموا أن لهم أنصارا وهم ما أشركوه مع الله في الإلهية ، وآباءهم الأنبياء  
 زعموا أنهم يشفعون فيهم ، فنفي ما اعتقدوه من الأنصار .

«من» في ﴿ مِنْ إِلَهٍ ﴾ مزيدة . الصَّدِيقُ : الكثير التصديق ؛ لقوله - تعالى - في حقها :  
 ﴿ وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا ﴾ <sup>(١)</sup> وقيل : الكثيرة الصدق ، كالشريب ، والخمير ، والعربيد <sup>(٢)</sup> .

(١) سورة التحريم ، الآية (١٢) .

(٢) العريضة : سوء الخلق ورجل معربد : يؤذي نديمه في سكره ، والعربد : الذكر من الأفاعي ، ويقال : بل  
 هي حية حمراء خبيثة ، ومنه اشتقت عربدة الشارب . ينظر : لسان العرب (عربد) .

﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾ كناية عن احتياجهما إلى خروج الخبث الذي يستحى من التلفظ به ﴿ يُوَفَّكُونَ ﴾ يقبلون عن الحق . والمؤتفكات : قرى قوم لوط ؛ لأنها قلبت بهم . كان النبي ﷺ قد مُني <sup>(١)</sup> بمجاورة اليهود ، وكانوا يدعون العلم بما في التوراة ، فلما ظهرت معجزات النبي ﷺ وصدقه عادوه ، ولم يكن بجواره أحد من النصارى ، فكان يجد أشد الناس عداوة اليهود ، وأما المشركون فهم جهلة ، نقلوا عن آبائهم عقائد فاسدة ، فاقتدوا بهم فيها ، ولم يرجعوا عنها ، وعادوا كل من يروم منهم الرجوع عنها ، وكان قد ورد المدينة جماعة من النصارى يجادلون في دينهم ، فلما تلوا عليهم القرآن بكوا وصدقوا وجعل علة تصديقهم بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم غير مستكبرين ، فإنهم إذا سمعوا القرآن بكوا ، واعترفوا بأنهم عرفوا أنه الحق ، وسألوا الله - تعالى - أن يميتهم في زمرة من يشهد لمحمد بالرسالة ، وأقبلوا على نفوسهم باللوم ، وإن أخرجوا الإجابة والقبول ، فمن لم يكن علمه وتعبده بهذه الصفة فليس مراعيًا للإذعان بالحق ، ولم يكن مستكبرًا ، وكان خاشع القلب ، سريع الدمعة ، أعد له الثواب المذكور في آخر هذه الآية . والقسيس : العالم . والراهب : الخائف من الله .

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّرَتْهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّرةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾

قوله : ( ونطمع ) جملة حالية ، وتقديرها : ونحن نطمع ، ويكون الحال جملة اسمية ،

(١) يقال : منيت بكذا وكذا : ابتليت به ، ومناه الله بحبها يمينه ويمنوه أي : ابتلاه بحبها منيا ومنوا .

ينظر : لسان العرب ( مني ) .

## تفسير سورة المائدة

وإلا فالفعل المضارع إذا وقع حالا مثبتا لم يجز دخول الواو فيه . روي أن جماعة أتوا بيوت أزواج النبي ﷺ فسألوهن عن أعماله في الليل والنهار ، فذكرن لهم ذلك ، فكانهم استقلوها ، فقال أحدهم : «أما أنا فأصوم فلا أفطر ، وقال الآخر : أنا لا آكل لحما ، ولا دسما ، وقال الآخر : أنا لا آتي النساء ، فجاء النبي ﷺ ، فأطلعه الله على ما قالوا ، فقال : أما والله إنني لأتقاكم لله ، وأشدكم له خشية ، أما أنا فأصوم وأفطر ، وآكل اللحم والدسم ، وآتي النساء ، ومن رغب عن سنتي فليس مني»<sup>(١)</sup> فنزلت ﴿ لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ ﴾ الآية<sup>(٢)</sup> . والاعتداء : مجاوزة الحد .

أصل اللغو في لغة العرب : أنهم إذا أتوا بإبل الدية ، ومع النوق فصلان صغار لها ، فلا يعتد بالفصلان في الدية ، ويقال : هذه لغو ، فاستعير ذلك في الكلام الذي لا تعقد فيه النية من الأيمان ، وهو قول الرجل : لا والله ، وبلى والله ، وهو نخير في كفارة اليمين بين العتق والإطعام والكسوة ، فإن عجز عن الجميع صام ثلاثة أيام . ﴿ وَأَحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ﴾ فلا تحلفوا ، أو احفظوها إذا حلفتكم فلا تحتثوا ، أو احفظوها إذا حلفتكم وحتثتم فلا تتركوا الكفارة .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَيْسَ لَكُم مِّنْ شَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَلِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكُمْ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْقِمِ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ ﴾

﴿ وَالْمَيْسِرُ ﴾ ، القمار ، وكانوا يتفاءلون به للغنى ، فاشتق له الميسر ، من اليسار .

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٥٠٦٣) ، ومسلم رقم (١٤٠١) عن أنس ؓ .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٧ / ٧) ، والواحدي في أسباب النزول (ص : ٢٠٧ ، ٢٠٨) رقم (٤١١) ،

وزاد نسبه السيوطي في الدر المنثور (٢ / ٣٠٧) لابن أبي حاتم وابن مردويه .

﴿وَالْأَنْصَابُ﴾ الأصنام . وقيل : حجارة تذبح عليها للأصنام . ﴿وَالْأَزْلَمُ﴾ سهام صغار وقد تقدم ذكرها <sup>(١)</sup> . والرجس : المبعد من عمل الشيطان مما وسوس به ، وقد عدد - سبحانه وتعالى - صوارف موانع من شرب الخمر، والاستقسام بالأزلام ، ومعاناة الميسر منها : أنها رجس، ومنها : أنها من عمل الشيطان ، ومنها : الأمر باجتنب ذلك ، ومنها : أن باجتنب ذلك يحصل الفلاح ، ومنها : أن فعل ذلك يورث العداوة والبغضاء ويصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، ثم أتبع ذلك استفهام الإنكار ، بقوله : ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ ولهذا قال عمر لما نزلت هذه الآية : انتهينا يا رسول الله ، انتهينا <sup>(٢)</sup> . ولما نزل تحريم الخمر ، قال بعض المسلمين : كيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر قبل تحريمها ؟ فنزلت ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ﴾ الآية <sup>(٣)</sup> .

ابتلى الله المؤمنين عام الحديبية ، وهم يجرمون بالصيد فكانت الغزلان وحمير الوحش تدخل بين الإنسان وبين رجله ، فيتمكن الإنسان من إمساكها بيده <sup>(٤)</sup> ، كما ابتلى أصحاب طالوت بتحريم شرب ماء نهر ، مع شدة العطش إلا من اغترف غرفة بيده ، وكذلك ابتلى أهل «أيلة» بتحريم الصيد يوم السبت، فكانت الحيتان تأوي ليلة السبت إلى شاطئ البحر كأنها كباش سمان؛ ليظهر بهذا الابتلاء المطيع من العاصي .

﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ علما يتعلق به الجزاء ، فإن علمه في الأزل أن زيذا سيعصي لا يستحق عقوبة . أو ليرى ؛ فإن الرؤية لا بد فيها من وجود المرئي .

أراد بالصيد: المصيد . وقوله : ﴿مِنَ النَّعَمِ﴾ خبر لقوله : ﴿فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ﴾ .

وروي أن سائلا سأل عمر بن الخطاب عن محرم قتل أرشا ، وكان عبد الرحمن بن عوف حاضرا ، فسأل عمر بن الخطاب عبد الرحمن بن عوف عن جزائه ، فاتفقا على أمر ، فأفتاه عمر بما اتفقا عليه، فقال المستفتي لرجل كان معه : ما درى أمير المؤمنين ما تقول حتى علمه

(١) في الآية (٣) من سورة المائدة .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٣٣ / ٧) .

(٣) رواه الترمذي في الجامع الصحيح رقم (٣٠٥١) ، والطبري في تفسيره (٢٥ / ٧) ، والواحدي في

أسباب النزول (ص : ٢١٢) رقم (٤١٦) وقال الترمذي : حسن صحيح .

(٤) ينظر : الكشاف للزمخشري (١/٦٤٣) .

هذا الشيخ، يشير إلى عبد الرحمن بن عوف فسمعه ، فقال: يا عدو نفسه تغمص الفتيا<sup>(١)</sup> ، وتقتل الصيد وأنت محرم ، وقد قال الله - تعالى : ﴿ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ فيها أنا عمر وهذا عبد الرحمن بن عوف ، ثم ضربه ضربات<sup>(٢)</sup> .

﴿ هَدْيًا بَلِغَ الْكَعْبَةِ ﴾ يريد الكعبة وما حولها . ويجب سوق جزاء الصيد إلى منى وذبحه بها ، وتفرقة لحمه على من حضر . ﴿ أَوْ كَفَّرَهُ طَعَامًا مَسْكِينًا أَوْ عَدَلَ ذَلِكَ صِيَامًا ﴾ وهو مخير بين الأمور الثلاثة .

﴿ أَجَلٌ لَّكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ ﴿١٦﴾ ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ﴿١٧﴾ ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ﴿١٨﴾ ﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ ﴿١٩﴾ ﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَىٰ الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ﴿٢٠﴾

﴿ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ ﴾ قيل: طعامه: ما مات فيه وهو حلال عند الشافعي<sup>(٣)</sup> . ﴿ قِيَمًا لِلنَّاسِ ﴾ أي: يقوم مصالحهم ، فلا يصح الحج إلا بالطواف بها ولا الصلاة إلا باستقبالها . قيل : والقلائد : أي : وذوات القلائد .

﴿ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا ﴾ بحكم الله في هذه الجزئيات إنه سبحانه يعلم الكلليات والجزئيات، فإن القائل قائلان : قائل يقول : لا يعلم الجزئيات ، ولا شيء منها ، وهو مذهب الفلاسفة . وقائل يقول : يعلم جميعها ، فالقول إنه يعلم بعضها دون بعض خلاف الإجماع .

ومثل ذلك أي : ذلك الذي ذكر في هذه السورة من الأحكام من أولها ؛ من الوفاء بالعقود إلا ما يتلى من المنخقة والموقوذة وأخواتها ، وتحريم الصيد حالة الإحرام ، وعدم انتهاك حرمة الحجاج ، وأن العداوة لا تكون سببا للجور ، والأمر بالتعاون على البر والتقوى ، والنهي عن التعاون على الإثم والعدوان ، وتحريم الميتة وما يتبعها ، وتحليل ما

(١) غمص الناس أي : احتقرهم ولم يرههم شيئا ، وتغمص الفتيا ، أي : تحتقر الفتيا وتستهن بها .

ينظر : لسان العرب ( غمص ) ، والأرشد : دية الجراحات . ينظر : لسان العرب ( أرشد ) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ٤٥ / ٧ ) .

(٣) ينظر : الأم للشافعي ( ١٧٦ / ٢ ) .

أمسكه الصيد على صاحبه إذا كان معلماً ، وتحليل طعام اليهود والنصارى وذبائحهم ومناكحتهم وتحريم السفاح ، وتحريم اتخاذ الأخدان ، وكيفية الوضوء ونواقضه ، والتيمم عند عدم الماء ، والأمر بالقيام بالقسط والشهادة به ، وتذكار نعم الله وشكرها ، وهلم جرا ... إلى حد المحاربين والسارقين ، والتخير في الحكم بين أهل الكتاب وتركه ... إلى ما ذكره أنفاً من كفارة اليمين ، وتحريم صيد البحر حالة الإحرام ، وتحليل ميتة البحر ، وكيفية جزاء الصيد وكفارة اليمين ، فقال ذلك المذكور كله ، والخبيث والطيب: الحرام والحلال .

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن بُدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْءَانُ تُبَدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامِرٍ وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا ءَأُولُو كَانٍ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فِئْتَبْتُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾

روي أن الأقرع بن حابس <sup>(١)</sup> قال : يا رسول الله : أحجنا هذا لعامنا هذا أم للأبد ؟ فسكت زمنا طويلا ، ثم قال : «بل للأبد ولو قلت : نعم لوجبت ، ولو وجبت لما استطعتم» فنزلت ﴿ لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن بُدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

وفي الحديث : أن النبي ﷺ قال : «أعظم الناس جرما من سأل عن شيء لم يحرم ، فحرم من أجل مسألته» <sup>(٣)</sup> الضمير في «سألها» يعود إلى المصدر ، أي : قد سأل هذه المسألة قوم .

(١) هو الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان التميمي المجاشعي ، وفد على النبي ﷺ ، وشهد فتح مكة وحنينا والطائف وهو من المؤلفة قلوبهم وقد حسن إسلامه . وقيل : كان الأقرع حكما في الجاهلية وشهد مع خالد حرب أهل العراق ، وقتل باليرموك في عشرة من بنيه .

تنظر ترجمته في : الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ( ١ / ١٠١ ) .

(٢) رواه أحمد ( ١ / ٢٥٥ ، ٣٥٢ ) ، وأبو داود رقم ( ١٧٢١ ) ، والنسائي في سننه ( ٥ / ١١١ ) ، وابن

ماجه رقم ( ٢٨٨٦ ) ، والحاكم في المستدرک ( ١ / ٤٤١ ) ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما . وله

شاهد من حديث أبي هريرة عند مسلم في صحيحه رقم ( ١٣٣٧ ) ، والنسائي ( ٥ / ١١١ ) .

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم ( ٧٢٨٩ ) ، ومسلم رقم ( ٢٣٥٨ ) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

إذا ولدت الناقة خمسة أبطن : بحروا أذنها أي : شقوها وحرموها ركوبها ، ولا تطرد عن ماء ولا مرعى ، وكانوا يندرون إن شفى الله مريضه أن يجعل ناقته سائبة على حكم البحيرة في عدم الانتفاع ، وكانوا في الجاهلية يعتقدون سائبة ، يعني بغير ولاء ، وكانوا إذا ولدت الناقة أنثى فهو لهم ، وإن ولدت ذكرا فهو لأهنتهم ، وإذا ولدت ذكرا وأنثى قالوا: وصلت أخاها ، وإذا نجب من ظهر الفحل عشرة أبطن قالوا : قد حمي ظهره ، فلا يركب ، ولا يحمل عليه ، ويسمونه : الحامي ، فأبطل الله جميع ذلك وهذه أحكام ما نزل الله بها من سلطان ، وهم مقبلون عليها . ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ ﴾ أعرضوا، أو يتبعون أهواءهم ﴿ أُولَئِكَ كَانَ أَبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ .

﴿ عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾ نصب على الإغراء ، أي : ألزموها الخير . قوله : ﴿ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ من الاهتداء للأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، فمن تركهما ضرة تركهما . روي أن تميما <sup>(١)</sup> وعدي بن بداء <sup>(٢)</sup> سافرا مع رجل مسلم في تجارة ، فحضرت المسلم الوفاة في الطريق ، فجعل تجارته في عدل كبير ، وكتب جملته وتفصيله في ورقة وتركهما في العدل ، ثم سلم العدل إلى الرجلين ؛ ليوصلاه إلى أهله ، ولم يشعرهما بالورقة <sup>(٣)</sup> . فقوله : ﴿ شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ ﴾ أي : ليحضر الوصية اثنان .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصْبَحْتُمْ مَصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أُرْتَبِتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ ﴿١٦﴾ فَإِنْ عُرِيَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَءَاخِرَانِ يُقِيمَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ

(١) هو أبو رقية تميم بن أوس بن خارجة الداري ، صاحب رسول الله ﷺ والدار : بطن من لحم ولحم فخذ من يعرب بن قحطان ، كان نصرانيا فأسلم سنة تسع من الهجرة ، وكان عابدا تلاء لكتاب الله ، سكن المدينة ، ثم انتقل منها إلى الشام بعد مقتل عثمان ؓ . تنظر ترجمته في : الاستيعاب لابن عبد البر (١/١٩٣) ، سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/٤٤٢) .

(٢) هو عدي بن بداء - بتشديد الدال قبلها موحدة مفتوحة - لا يعرف له إسلام . قال ابن عطية : لا يصح لعدي عندي صحبة ، وقد وضعه بعضهم في الصحابة ، قال الحافظ ابن حجر : ولا وجه لذكره عندي ، ومات عدي بن بداء نصرانيا . تنظر ترجمته في : الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٤/٤٦٨) .

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (٢٧٨٠) ، وأبو داود في سننه رقم (٣٦٠٦) ، والترمذي في سننه رقم (٣٠٦٠) .

أَسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَادِينَ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَدَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَدَتَيْهِمَا وَمَا أَعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾

﴿ أَوْءَاخِرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ عند أبي حنيفة : من غير أهل ملتكم ، فتقبل شهادة أهل الذمة في السفر عنده ، وعند الشافعي : من غير قبيلتكم <sup>(١)</sup> .

﴿ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ سافرتم . ﴿ تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ ﴾ يريد بعد صلاة العصر ، والريبة : هو أن وجدت الورقة في العدل فقابلوا بها ما حضر ، فعدم منه إناء من فضة مخوض بالذهب ، فقال الرجلان الوصيان : ما نعرف ذلك . فحلّفوهما ، بعد ذلك وُجِدَ الجام <sup>(٢)</sup> عند رجل في السوق يبيعه ، فقيل له : من باعك هذا ؟ فقال : تميم وعدي بن بدء <sup>(٣)</sup> فهو معنى قوله : ﴿ فَإِنْ عُرِعَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا أَسْتَحَقَّ إِنَّمَا ﴾ حلف الورثة أن الجام ملكهم . وقوله : ﴿ فَتَاخِرَانِ ﴾ خبر مقدم . والأوليان : تشية الأولى هو المبتدأ ، تقديره : فالأوليان آخران يقومان مقامهما . واعلم أن هذا الحكم موافق للقواعد الشرعية ، فإن القول قول من يترجح جانبه مع يمينه ، فإذا ادعى عليك دين ، فالقول قولك مع يمينك ؛ لأن الأصل البراءة فإن كانت العين في يدك ، فالقول قولك مع يمينك ؛ لأن اليد مرجحة ، فإن شهد بذلك شاهد واحد فالقول قولك مع يمينك ؛ لأن جانبك ترجح بالشهادة ، وهاهنا ترجح جانب الورثة بظهور الجام الذي أنكره الرجلان ثم بقول المشتري : أنه اشتراه من الرجلين المذكورين فحلّف الورثة واستحقوا .

وقوله : ﴿ لَشَهَدَتُنَا ﴾ أي : يميننا أحق من أيمانهم ﴿ ذَلِكَ ﴾ أي الحكم برد اليمين أقرب إلى ﴿ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهٍ أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾ إذا عثر على أنهما استحقا إثما . إنما قالوا : ﴿ لَا عَلَمَ لَنَا ﴾ وقد علموا أن الأمم كذبوهم ؛ لأنهم دهشوا من هول الموقف . وقيل : تأدبوا مع الله ؛ لأنه عالم الخفيات .

(١) ينظر : الأم للشافعي (١٩١/٦) ، بدائع الصنائع للكاساني (٥٢٤/٢) ، المبسوط للسرخسي (٤٩٢/٧) ، المغني لابن قدامة (١٠ / ١٦٩) .

(٢) الجام : إناء للشراب والطعام من فضة أو نحوها وقد غلب استعماله في قدح الشراب . ينظر : لسان العرب (جوم) .

(٣) رواه ابن جرير في التفسير (١١٥/٧) ، والواحد في أسباب النزول (ص : ٢١٥) ، رقم (٤٢١) ، وزاد السيوطي نسبه في الدر المنثور (٢٤٢/٢) لابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه .



﴿ ذَلِكْ أَدْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَأَنْتُمْ اللَّهُ وَاسْمَعُوا ۗ ﴾  
 وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا بِإِنَّكَ  
 أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ  
 بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ  
 وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ  
 الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ  
 جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أُوحِيَتْ إِلَىٰ  
 الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرُسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ  
 يَٰعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ أَتَقُولُوا اللَّهُ إِنْ كُنْتُمْ  
 مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ  
 الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوْلَادِنَا  
 وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِنْكَ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَنَزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مَنكُم  
 فَأِنِّي أَعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴿

﴿ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ بجبريل و ﴿ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾ فسر في آل عمران (١).

﴿ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ﴾ أي: مثل. (وتنفخ) في الذي هو مثل هيئة الطير. ومن قرأ (هل  
 تستطيع) (٢) فمعناه: هل تستطيع سؤال ربك. وقول عيسى لهم: ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾  
 تشكيك في إيمان الحواريين، ويقوي ذلك قوله في آخر الآية: ﴿ نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ  
 قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا ﴾ فهذا يدل على أنهم لم يكونوا يعلمون أنه صدقهم، ومن شك  
 في نبوة نبي فقد كفر، لكنهم بعد ذلك قوي إيمانهم، ونصحوا في صحبة عيسى عليه السلام. قوله:  
 ﴿ وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ العامل في المجرور مضمرة والتقدير شاهدين عليه من  
 الشاهدين؛ لأن اسم الفاعل إذا كان فيه الألف واللام، فهو موصول، ومعمول الصلة لا  
 يجوز تقديمه عليها (٣).

(١) عند الآية (٤٦).

(٢) قرأ بها الكسائي، وقرأ الباقون «هل يستطيع ربك». تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (١/٥٤)، حجة  
 ابن خالويه (ص: ١٣٥)، حجة أبي زرعة (ص: ٢٤٠)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٢٤٩)، النشر  
 لابن الجزري (٢/٢٥٦).

(٣) تقدم التعليق على هذه المسألة في تفسير سورة البقرة، الآية (١٣٠).

قوله: ﴿ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزَّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾ الآية. قيل: لما سمعوا أن الله يعذب من كفر بعد نزول المائدة عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين، استقالوا وسألوا ألا تنزل المائدة، فلم تنزل وقال الآكثرون: بل نزلت بين غمامتين، فقال عيسى للحواريين: ليتقدم من يكشفها، فقالوا له: أنت أولى بذلك منا، فتوضأ وصلى ركعتين وكشفها، فوجد فيها سمكة وأرغفة من الخبز وزيتونا وخلاً وملحاً فأكلوا منها، واستمر أكلهم منها، فكانت تنزل كل يوم<sup>(١)</sup>.

﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَتْ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ تُعْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾

قيل: المراد بـ (ما في نفسك) ما في نفسي؛ لأن نفسه ملك لله، والتقدير: تعلم ما في نفسي، ولا أعلم أنا ما في نفسي، أنت أعلم به مني.

﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ ﴾ في أمر الدعوة ﴿ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ﴾ ولم يرد نفي النطق بأمر أجنبي عن الدعوة. قوله: ﴿ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ولم يقل: الغفور الرحيم؛ لأنه لو قال ذلك، كان كالشفيع لهم، والطالب لرحمتهم، وهو في مقام الاعتذار، لا في مقام الشفاعة.

(١) روى تلك الأقوال الطبري في تفسيره (٧ / ١٣٥) ثم قال: والصواب من القول عندنا في ذلك أن يقال: إن الله - تعالى - أنزل المائدة على الذين سألوا عيسى مسألته ذلك ربه وإنما قلنا ذلك للخبر الذي روينا بذلك عن رسول الله ﷺ وأصحابه وأهل التأويل من بعدهم غير من انفرد بما ذكرنا عنه وبعد، فإن الله - تعالى - لا يخلف وعده ولا يقع في خبره الخلف وقد قال - تعالى - مخبراً في كتابه عن إجابة نبيه عيسى ﷺ حين سأله ما سأله من ذلك: ﴿ إِنِّي مُنَزَّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾ وغير جائز أن يقول - تعالى - ذكره - إني منزلها عليكم ثم لا ينزلها؛ لأن ذلك منه - تعالى - خبر ولا يكون منه خلاف ما يخبر، ولو جاز أن يقول: ﴿ إِنِّي مُنَزَّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾. ثم لا ينزلها عليهم جاز أن يقول: فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين. ثم يكفر منهم بعد ذلك فلا يعذبه فلا يكون لوعده ولا لوعيده حقيقة ولا صحة وغير جائز أن يوصف ربنا - تعالى - بذلك.

﴿ يَوْمٌ يَنْفَعُ ﴾ قرئ بنصب يوم ورفع<sup>(١)</sup> وإن أضيف الظرف إلى الفعل المضارع، جاز إعرابه وبنائه، ومثله: ﴿ ثُمَّ مَا آذَرْنَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴾ (١٨) ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ ﴾ بالرفع والنصب<sup>(٢)</sup>.

قال قتادة: متكلمان تكلما يوم القيامة وصدقا، لكن كان أحدهما كذابا في الدنيا، فلم ينفعه صدقه في الآخرة، وهو إبليس، حيث قال: ﴿ إِنَّكَ اللَّهُ وَعَدَّكُمْ وَعَدَّ الْحَقَّ وَوَعَدْتُمْكُمْ فَأَخْلَفْتُمْكُمْ ﴾ إلى آخر الآية<sup>(٣)</sup> والآخر كان صادقا في الدنيا، فنفعه صدقه في الآخرة، وهو عيسى عليه السلام قال الله: ﴿ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾<sup>(٤)</sup>. أتى في بعض الألفاظ بما يدل على ملكه - سبحانه - السماوات والأرض، قوله: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ وفي بعضها ما يدل على ملكه لما فيهما: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾<sup>(٥)</sup>. وجاء في هذه الآية بالأميرين معا فقال: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ﴾.

\* \* \*

(١) قرأ نافع من العشرة " هذا يوم " ، وقرأ باقي العشرة " هذا يوم " . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٤ / ٦٣ ) ، حجة ابن خالويه ( ص : ١٣٦ ) ، حجة أبي زرعة ( ص : ٢٤٣ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٢٥٠ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٥٦ ) .

(٢) سورة الانفطار ، الآية ( ١٩ ) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب " يوم " ، وقرأ الباقون " يوم " . تنظر في : البحر المحيط ( ٨ / ٤٣٧ ) ، تفسير القرطبي ( ١٩ / ٢٤٩ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ٣٦٥ ) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٧٥٣ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٦ / ٤٨٩ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٦٧٤ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٩٩ ) .

(٣) سورة إبراهيم ، الآية ( ٢٢ ) والكوفيون يميزون بناء الظرف إذا أضيف إلى جملة فعلية ، والبصريون لا يميزون بناءه إلا إذا صُدِّرت الجملة المضاف إليها بفعل ماضٍ . وتنظر المسألة في : الدر المصون للسمين الحلبي ( ٢ / ٦٥٩ ) ، همع الهوامع للسيوطي ( ٢ / ١٧٢ ) .

(٤) نسبة السيوطي في الدر المنثور ( ٣ / ٢٤٢ ) لعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ عن قتادة .

(٥) سورة النساء ، الآية ( ١٢٦ ) .

## سورة الأنعام [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرطاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَ لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ آسَفْنَاهُ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾﴾

قوله: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ يدل على أن الظلمات مخلوقة ، خلافاً لمن زعم أن الظلمة عدم النور ؛ فإن الظلمة لا تفتقر إلى سبب سوى منع أسباب النور <sup>(١)</sup> .

﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾ مدة العمر . ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ مدة بقاء الدنيا . ﴿تَمْتَرُونَ﴾ تشكون قيل : ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ متعلقة بـ «يعلم» أي : ليعلم سركم وجهركم في السماوات والأرض . وقيل : قوله : ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ﴾ أي : أمره وسلطانه ، كقوله : ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ <sup>(٢)</sup> .

(١) ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (١/٤٩٢) .

(٢) سورة الملك ، الآية (١٦) وعقيدة السلف الصالح من أصحاب النبي ومن تبعهم بإحسان من الأئمة الأربعة وغيرهم في مثل هذه الآية هي : إمرار الصفات الذاتية التي وصف الله - تعالى - بها نفسه أو وصفه بها نبيه ﷺ في أحاديثه الثابتة الصحيحة - من غير تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تكييف ، وفي إطار قوله - تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ، وقد دل على صفة الفوقية لله - تعالى - وأنه تعالى فوق السماء السابعة على عرشه وهو بائن من خلقه وقدرته وعلمه في كل مكان - العديد من الآيات القرآنية الكريمة منها هذه الآية ، كما ثبت في السنة الصحيحة ذلك ومنه ما رواه مسلم في صحيحه =

﴿ مِنْ آيَةٍ ﴾ « من » زائدة ﴿ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ ﴾ « من » للتبويض . ﴿ أَلَمْ يَرَوْا ﴾ آثار من ﴿ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ قوله : ﴿ فَلَمْسُوهُ ﴾ اجتمع لهم رؤية نزول الكتاب ولمسه باليد ومثله : ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> ﴿ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ لأن نزول الملك آية خارقة ، فإذا لم يؤمنوا بها عذبوا ، ولم يؤخروا . ولو جعلنا الرسول ملكا ، فإما أن يبقى على صورته ، فلا يستطيعون النظر إليه . ولما رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته التي خلق عليها سقط مغشيا عليه <sup>(٢)</sup> ، فما ظنك بغيره ، ولو حولناه إلى صورة البشر لم يعلموا كونه ملكا ، فملبس عليهم .

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ <sup>(١١)</sup> قُلْ لِمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُنِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ <sup>(١٢)</sup> ﴿ وَ لَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ <sup>(١٣)</sup> قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَخْبَدُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يَطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسَلَّ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ <sup>(١٤)</sup> قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ <sup>(١٥)</sup> مَن يُصِرَّ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ <sup>(١٦)</sup> وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ <sup>(١٧)</sup> وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ <sup>(١٨)</sup> قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ لَأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَيْتُكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ <sup>(١٩)</sup> ﴿

أمروا بالسير ليروا آثار المهلكين ﴿ قُلْ لِمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ فإن لم يجيبوك فقل أنت: لله . وإذا كان الجواب مجيبا معلوما فسواء قال المدعي أو السامع . ﴿ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ

= رقم (٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السلمي وفيه: «وكانت لي جارية ترعى غنمالي قبل أحد والجوانية فاطلعت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها وأنا رجل من بنى آدم أسف كما يأسفون لكني صككتها صكة فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك علي قلت: يا رسول الله أفلا أعتقها. قال: «اتني بها» فأتيته بها فقال لها: «أين الله؟» قالت: في السماء. قال: «من أنا؟» قالت: أنت رسول الله. قال: «أعتقها فإنها مؤمنة» . ينظر: اعتقاد أهل السنة للبيهقي (ص: ٤٠١) .

(١) الحجر ، الآية (١٤) .

(٢) رأى النبي ﷺ جبريل ﷺ على صورته مرتين وقد ثبت ذلك في صحيح البخاري رقم (٣٠٦٣) ، وصحيح مسلم رقم (١٧٤) .

الْفَيْكَمَةِ ﴿ أَي : ليجمعنكم في البرزخ جيلا بعد جيل إلى أن ينفخ في الصور . وقيل : ﴿إِلَى﴾ بمعنى في . ﴿الَّذِينَ خَيْرُوا﴾ نصب على الذم ، أو رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره : أنتم الذين . ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ﴾ من السكنى . ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكَانٍ﴾<sup>(١)</sup> .

﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لكل مسموع ﴿الْعَلِيمُ﴾ بكل مسموع . وقوله ﴿أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرَ﴾ فصل بها بين الموصوف الذي هو اسم الله ، والصفة التي هي فاطر . وقرئ ﴿وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾<sup>(٢)</sup> والضمير يعود إلى غير الله . زعم الرماني<sup>(٣)</sup> أن قوله : ﴿إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ جملة معترضة بمعنى الحال ، ولا جواب لـ «إن» وهذا خلاف المشهور<sup>(٤)</sup> ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ المستعلي عليهم علوا معنويا . ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ﴾ يدل على أن الله - تعالى - يسمى شيئا ومنهم من منع ذلك ؛ لأن الله - تعالى - له الأسماء الحسنى ، ولفظ الشيء لا مدح فيه . قوله : ﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾ كل من سمع القرآن ، فهو مخاطب به من جهة الله - تعالى .

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمُ الَّذِينَ خَيْرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٥)</sup>

(١) سورة إبراهيم ، الآية (٤٥) .

(٢) القراءة المشهورة وهي قراءة العامة من القراء : «وهو يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ» والضمير لله - تعالى - والمعنى : وهو يرزق ولا يرزق . وقرأ سعيد بن جبير ومجاهد والأعمش وتروى عن أبي عمرو بن العلاء «ولا يُطْعَمُ» بمعنى : ولا يأكل ، والضمير لله - تعالى - أيضا . وقرأ ابن أبي عبيدة ويمان العماني وتروى عن يعقوب «وهو يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ» والضمير عائد على غير الله كما ذكر هنا . وهناك قراءات أخرى تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٤ / ٨٥ ، ٨٦) ، الدر المصون للسمن الحلبي (٣ / ٢١) ، فتح القدير للشوكاني (٢ / ١٠٤) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٩) ، مختصر الشواذ لابن خالويه (ص : ٣٦) .

(٣) هو علي بن عيسى بن علي بن عبد الله النحوي ، أبو الحسن الرماني ، إمام في اللغة والنحو ، صنف كتابا كثيرة منها شرح كتاب سيويه في سبعين مجلداً وكتاب الحدود ومعاني الحروف وشرح أصول ابن السراج ، مات سنة ٣٨٤ هـ . تنظر ترجمته في : بغية الوعاة للسيوطي (٢ / ١٧٠) ، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة للفيروزبادي (ص : ١٥٤) رقم (٢٤٠) ، معجم الأدباء لياقوت الحموي (١٤ / ٧٣) .

(٤) والمشهور في إعراب إن عصيت أنها شرط حذف جوابه ؛ لدلالة ما قبله عليه ، ولذلك جيء بفعل الشرط ماضيا ، وهذه الجملة الشرطية فيها وجهان : أحدهما : أنها معترضة بين الفعل أخاف وبين مفعوله عذاب والثاني : أنها في محل نصب على الحال . قال أبو حيان : كأنه قيل : إني أخاف عاصيا ربي . وفيه نظر ؛ إذ المعنى ياباه .

ينظر : البحر المحيط لأبي حيان (٤ / ٨٦) ، الدر المصون للسمن الحلبي (٣ / ٢٢) .

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاءُكُمْ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنَّهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلًّا آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوُونَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتُنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَأْتُمْ مَا كَانُوا يَخْشَوْنَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رَدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِأَلْحَقٍ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ أي: لا أحد في المفترين أظلم ممن افترى على الله كذبا، كما أنه ليس في المانعين أظلم ممن منع مساجد الله . الهاء في ﴿ إِنَّهُ ﴾ ضمير الشأن . ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنَّهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ﴾ أو لم تكن فتنتهم إلا قولهم، ضمن ﴿ يَسْتَمِعُ ﴾ معنى ﴿ يَصغى ﴾، فعداه بـ ﴿ إلى ﴾ والأكنة: جمع كنان، كراهة أن يفقهوه .

﴿ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ما سطره الأولون ، والأساطير: جمع أسطورة ، كالأحاديث والأعاجيب جمع أهدوثة وأعجوبة . وكان أبو طالب عم النبي ﷺ يمنع النبي ويذب عنه ، ويأبى أن يوافقه في الدين ، فنزلت ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوُونَ عَنْهُ ﴾ (١) .

من قرأ ﴿ وَلَا تُكذِّبْ ﴾ بالرفع فقد التزموا عدم التكذيب مطلقاً ، ومن قرأ ﴿ وَلَا تُكذِّبْ ﴾ (٢) جعله شرطاً والتقدير: إن رددتنا لم نكذب قال سيبويه (٣) : إذا قال اللص: أطلقني ولا أعود بالنصب ، كان تقديره : إن أطلقتني لم أعود . ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا ﴾ تمثل بحال

(١) رواه الحاكم في المستدرک ( ٢ / ٣١٥ ) ، والطبراني في المعجم الكبير ( ١٢ / ١٣٣ ) ، وابن جرير الطبري في التفسير ( ٧ / ١١٠ ) .

(٢) قرأ حفص وحمزة ويعقوب «ولا نكذب» - ونكون «وقرأ ابن عامر» ولا نكذب ونكون «وقرأ باقي العشرة» ولا نكذب - ونكون . تنظر في : البحر المحیط لأبي حيان ( ٤ / ١٠٢ ) ، الحجة لابن خالويه (ص: ١٣٧) ، الحجة لأبي زرعة (ص: ٢٤٥) ، السبعة لابن مجاهد (ص: ٢٥٥) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٥٧ ) .

(٣) ينظر : الكتاب لسيبويه ( ٣ / ٢٢ ) .

الجانبي إذا وقف بين يدي رب الأمر وهو ذليل منكس الرأس . وقيل: هو من مجاز الإضمار، تقديره: إذ وقفوا على جزاء ربهم ، والهمزة في (أليس) للإنكار .

﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرُنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَنْقُوتُ ۗ فَلَا تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لِيَحْزُنَكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بَعَاثَ اللَّهِ بِمُحَمَّدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُودُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مُبَدِّل لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۗ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَايِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِثَابِتٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ۗ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايِتِنَا صُتُّوْا وَبُكِّمُوا فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَاءُ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَاءُ يُجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنِ اتَّكَمْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَّكَمْتُمْ السَّاعَةَ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِلَٰهُهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ ۗ

﴿ فَرَطْنَا فِيهَا ﴾ أي : في العمل لها . قوله : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ فإنهم كانوا يسمونه محمدا الأمين . وقال أبو طالب [ من الكامل ] :

ولقد علمتُ بأنَّ دينَ محمدٍ      من خير أديان البرية دينا  
لولا الملامةُ أو حذارُ مسبِّةٍ      لو جدتني سمحاً بذاك مُبيناً<sup>(١)</sup>

فعرف الحق وامتنع من قبوله ، ومثله : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ﴾<sup>(٢)</sup> .

﴿ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ ﴾ وضع الظاهر موضوع المضمرة ، والتقدير: ولكنهم . ﴿ وَأُودُوا ﴾ معطوف على ﴿ كَذَبُوا ﴾ وليس معطوفا على قوله : ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبْتَ ﴾ . وقوله : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكَ ﴾

(١) تنظر الآيات في : روح المعاني للألوسي (١٢٧/٧) ، الكشاف للزمخشري (١٤/٢) ،

لسان العرب ( كفر ) ، النكت والعيون للماوردي (٥١٧/١) .

(٢) سورة النمل ، الآية (١٤) .



مِن نَّبَائِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١﴾ أي: نبا من نبا المرسلين . وقيل : «من» للتبويض ، والتقدير: جاءك بعض نبا المرسلين . ﴿ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ ﴾ . سبباً تصل به إلي إقبالهم عليك فات به ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى ﴾ فلا يخف عليك ذلك فإنك متي كنت مستحضراً لذلك خف عليك الحزن . ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ أيأسه بذلك وعلله بأنهم لا يسمعون ، ثم أضاف إلى ذلك عدم الحياة بقوله : ﴿ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ﴾ ثم إلى دار جزائه يحشرون . ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ ﴾ اقترحها . قل : إنما اختيار الآيات إلى الله ، وهو القادر على الإتيان بها ، وليس ذلك إلى اختياري ولا اختياركم . وقيل: هو القادر على إنزال ما تقترحونه . وقوله: ﴿ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ تصوير لهيئة طيرانه التي أقدره الله عليها ، كأنك تشاهده وهو يطير . كقوله: ﴿ قَوْلٌ لِلَّذِينَ يُكْتَبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ <sup>(١)</sup> ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ أي: في القرآن من شيء يحتاج إليه العباد في أمر معاشهم وسعادتهم . وقيل: أراد بالكتاب اللوح المحفوظ ، وقد كتب فيه كل ما هو كائن إلى يوم القيامة استعمار الصُّمِّمِ والبكم والسير في الظلمات للكفار ؛ لأنه لم ينتفع بسمعه ولا بنطقه ، ولا بالنور الذي أنزل على رسوله . ﴿ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ ﴾ إضلاله ﴿ يُضِلُّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلُهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ يجعله كذلك . الكاف والميم في ﴿ أَرَأَيْتُمْ ﴾ ليست باسم ولا مفعول ، وإنما هي موضوعة للخطاب ؛ كقوله: ﴿ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ ﴾ <sup>(٢)</sup> وقوله: ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾ <sup>(٣)</sup> و ﴿ أَفِ لَكَ ﴾ <sup>(٤)</sup> ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ في أن له شريكاً في الإلهية ، بل تخصونه بالعبادة فيفعل ما يشاء من إجابتك أو رد دعائك ، ﴿ ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾ <sup>(٥)</sup> .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴾ <sup>(٤٢)</sup> ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بِأُسْنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ <sup>(٤٣)</sup> ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ <sup>(٤٤)</sup> ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ <sup>(٤٥)</sup> ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ

(١) سورة البقرة ، الآية (٧٩) .

(٢) سورة الإسراء ، الآية (٦٢) .

(٣) سورة يوسف ، الآية (٢٣) .

(٤) سورة الأنبياء ، الآية (٦٧) .

(٥) سورة النحل ، الآية (٥٤) .

وَأَبْصَرَكُمْ وَخَمَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنَ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظُرُ كَيْفَ نَصَرِفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْكَمَ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾

ثم سلى رسوله وهدد الكفار ووعد المسلمين النصره عليهم بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ وذكر أنه ابتلاهم بالشدة ليتضرعوا، وابتلاهم بالنعمة ليشكروا فخالفوا المطلوب في الحالين ، وقال: ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلا ﴿إِذْ جَاءَهُمْ﴾ أي: وقت مجيء الناس ﴿تَضَرَّعُوا﴾ ﴿فَلَمَّا دَسَوْا مَا ذَكَّرُوا بِهِ﴾ ما ذكروا به من الشدة وإزالتها ﴿فَتَحَنَّنَّا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ﴾ النعمة والرخاء والسعة وكل شيء يحتاجون إليه ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً﴾ ففاجأهم بالإبلاس ، وأراد بالفرح البطر، وإلا فما تخلو نفس من السرور بما عود به الله من الخير .

وَالدَّابِرَ: الآخر. ولما كان إهلاك الدابر إنما يتأتى بعد قطع ما دونه ، جعل قطع الدابر كناية عن إهلاك الجميع ، وعن ابن عطية<sup>(١)</sup> : الدابر من الطائر الصائد، كالإبهام في يد الإنسان ، فإذا قبض الطائر بمخالبه شيئاً أخذه بإبهامه ، كالمطبق عليه كما يطبق الكف بالإبهام ، وإذا قطع دابر الصائد من الطائر لم يقدر على الاصطياد ، فجعل قطع الدابر كناية عن إثنانهم بالجراح ، وعجزهم عن القتال بسببها، وقد حمد الله نفسه على إهلاك الظلمة . ﴿يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾ أي: بذلك ، والقياس بها. صدف عن الأمر: أعرض . ﴿بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ بكونهم يصدفون ﴿بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً﴾ مصدران في موضع الحال. ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ وإنما عليهم البلاغ ، احتج بعضهم على أن الملك أفضل من البشر بهذه الآية . أي : لا أدعي ما لم أعط فلا ﴿أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ وقد سبق جوابه في أواخر سورة النساء<sup>(٢)</sup> ، فكما لا يستوي الأعمى والبصير لا

(١) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٦ / ٥٢) وهو أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي ، عالم مفسر فقيه عارف بالأحكام والحديث واللغة والنحو والأدب. توفي سنة ٥٤١ وقيل ٥٤٦ هـ . ومن أشهر مصنفاته : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز .

تنظر ترجمته في : بغية الوعاة للسيوطي (ص: ٢٩٥) ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري (٩ / ٣٠٧) .

(٢) عند تفسير الآية (١٧٢) قوله - تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ .

يستوي المسلم والكافر . ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ ﴾ أي : بالقرآن .

﴿ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (٤٩) قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتبينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا آتِيْعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ أَلْحَمْتُمْ إِلَّا اللَّهُ يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٧﴾ ﴿

وقوله : ﴿ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ حال من ضمير «يُحْشَرُونَ» .

﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ متعلق بـ «أنذر» وكان الفقراء من المؤمنين أكثر مجالسة للنبي ﷺ من الأغنياء، فقال الأغنياء: لو أفردت لنا مجلسا نسألك عما في أنفسنا ولا يكون للفقراء في مجلسنا نصيب، فنزلت ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ ﴾ (١) ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ أي ذاته (٢) . ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ فتطردهم . وقوله: ﴿ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ متعلق بقوله: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ﴾ .

(١) رواه مسلم رقم (٢٤١٣)، وابن ماجه في سننه رقم (٤١٢٨)، وابن جرير في تفسيره (٧ / ١٢٨)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ٢١٩، ٢٢٠) رقم (٤٣١ - ٤٣٤) .

(٢) هذه من آيات الصفات التي يذهب المصنف - رحمه الله - إلى تأويلها وصرفها عن ظاهرها، ولعله - يرحمه الله - يريد التنزيه وعدم التشبيه، وقد سبق غير مرة أن نبهنا إلى مذهب السلف الصالح من أهل السنة والجماعة في مثل هذه الآيات التي تخبر عن صفات الله - تعالى - وهو الإثبات لكل ما أخبر الله - تعالى - عن نفسه، وما صرح من حديث النبي ﷺ في ذلك من غير تشبيه ولا تمثيل ومن غير تكييف ولا تعطيل .

﴿ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ ابتلى الغني بالفقير ؛ لينظر كيف صبر هذا وشكر هذا ، وقوله :  
﴿ لِيَقُولُوا ﴾ أي : ليقول الأغنياء عن الفقراء : ﴿ أَهْتُولَاءَ مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا ﴾ فرد الله  
عليهم : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾ الهاء في ﴿ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ ﴾ ضمير الشأن .  
﴿ بِجَهْلَةٍ ﴾ أي : بإقدام وقلة نظر في العاقبة .

وقوله : ﴿ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ليس جواباً للشرط والتقدير : من عمل منكم سوءاً بجهالة  
ثم تاب من بعده فإن الله غفور رحيم . ﴿ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ﴾ السبيل هي الفاعلة ، والسبيل  
كالطريق تذكر وتؤنث ، وقرئ ﴿ سَبِيلٌ ﴾ بالنصب<sup>(١)</sup> . والتقدير : ولتستبين يا محمد سبيل  
المجرمين وهي مفعولة . ﴿ يَقْضَى بِالْحَقِّ ﴾ وقرئ ﴿ يَقْضَى الْحَقُّ ﴾<sup>(٢)</sup> أي : يخبر الخبر الحق .

﴿ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعِجُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ  
بِالظَّالِمِينَ ﴾<sup>(٥٨)</sup> ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعَلِّمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا  
تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ  
﴿ ٥٩ ﴾ ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ  
مُسَمًّى ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾<sup>(٦٠)</sup> ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ  
عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ ﴾<sup>(٦١)</sup> ﴿ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ  
مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ إِلَّا لِمَنْ أَلَّاهُ الْحُكْمَ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾<sup>(٦٢)</sup>

﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ ﴾ استعارة ، أي : يطلع على الغيوب كما يطلع من بيده المفاتيح على ما  
حوته مفاتيحه . عبر بقوله : ﴿ فِي كِتَابٍ ﴾ عن قوله : ﴿ إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾ ولا يجوز أن يتعلق ﴿ فِي  
كِتَابٍ ﴾ بـ ﴿ تَسْقُطُ ﴾ فإنه يصير التقدير : لا يسقط شيء من ذلك إلا في الكتاب ، وليس ذلك

(١) قرأ نافع وأبو جعفر «ولتستبين سبيل» ، وقرأ شعبة وحمزة والكسائي وخلف «ولتستبين سبيل» ، وقرأ  
باقي العشرة «ولتستبين سبيل» . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٤/١٤١) ، حجة أبي زرعة (ص :  
٥٣) ، الدر المصون للسمن الحلبي (٣/٧٦) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٢٥٨) الكشاف للزمخشري  
(١٧/٢) ، النشر لابن الجزري (٢/٢٥٨) .

(٢) قرأ نافع وابن كثير وعاصم وأبو جعفر «يقض الحق» ، وقرأ باقي العشرة «يقض الحق» . تنظر في : البحر  
المحيط لأبي حيان (٤/١٤٣) ، الحجة لابن خالويه (ص : ١٤٠) ، حجة أبي زرعة (ص : ٢٥٤) ،  
الدر المصون للسمن الحلبي (٣/٧٧) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٢٥٩) ، الكشاف للزمخشري  
(١٨/٢) ، النشر لابن الجزري (٢/٢٥٨) .

## تفسير سورة الأنعام

مراداً ﴿جَرَحْتُمْ﴾ أي : كسبتم بالنهار ومنه ﴿أَجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ [الجاثية: ٢١] وجوارح الصيد : كواسبه ﴿لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ وهو أجل الحياة ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ﴾ المستعلي على عباده علواً معنوياً<sup>(١)</sup>. ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ يكتبون أعمالكم . قال هاهنا : ﴿تَوَفَّاتُهُ رُسُلًا﴾ وفي أخرى : ﴿قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾<sup>(٢)</sup> وفي أخرى : ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ﴾<sup>(٣)</sup> فالأعوان يعالجون الروح حتى تصل إلى الشراسيف<sup>(٤)</sup> فيتجلّى لها ملك الموت فتخرج ، والله هو الذي سبب ذلك ، فنسب ذلك إليه ؛ لأنه المسبب ، وإلى الأعوان ؛ لأنهم المعالجون ، وإلى ملك الموت ؛ لأنه المباشر فإذا قبضت الروح من الرجل الصالح صعد بها إلى السماء فتفتح لها أبوابها. وأما روح الكافر فتغلق دونها أبواب السماء ، وتلقى إلى حيث جاءت منه. ﴿تَضْرَعًا وَخَفِيَةً﴾ احتج به من زعم أن إخفاء الأذكار أفضل من إظهارها. وقد قال في حق زكريا : ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ، نِدَاءً خَفِيًّا﴾.

﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ، تَضْرَعًا وَخَفِيَةً لِيُنَجِّنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾<sup>(١٣)</sup> قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْكِرُونَ<sup>(١٤)</sup> قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْسِكُمْ سُيْعًا وَيَدِينَكُمْ بَعْضُهُمْ بِأَسْبَاطِ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُوْنَ<sup>(١٥)</sup> وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ<sup>(١٦)</sup> لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ<sup>(١٧)</sup> وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ<sup>(١٨)</sup> وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَنْتَقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرِيٰ لَعَلَّهُمْ يَنْتَقُونَ<sup>(١٩)</sup> وَذَرِ الَّذِينَ أَخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهُمْ وَغَرَّتُهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَّرْتَهُمْ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلٌّ لَّا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ<sup>(٢٠)</sup> قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَّا

(١) يسير المصنف - رحمه الله - على ما عليه معتقده في صفات الله - تعالى - التي يرى أن إثباتها يوهم تشبيها لصفاته - تعالى - بصفات المخلوقين ، وفي هذه الآية يؤول صفة العلو لله - تعالى - وقد مضى الكلام على ذلك غير مرة ، وبيان عقيدة السلف من أهل السنة والجماعة في ذلك .

(٢) سورة السجدة ، الآية (١١) .

(٣) سورة الزمر ، الآية (٤٢) .

(٤) الشرسوف : واحد الشراسيف وهي أطراف الأضلاع المشرفة على البطن . وقيل : هو غضروف معلق

بكل بطن ينظر : النهاية في غريب الأثر لابن الأثير ( ٢ / ٤٥٩ ) ، لسان العرب ( شرسف ) .

يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرِدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ كَالَّذِي أَسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أَتَيْنَا قُلُوبَهُمْ هُدًى اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرًا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَّ أَتَّخِذُ أَصْنَامًا إِلَهًا إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾

روي أنه لما نزل ﴿عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ قال النبي ﷺ: «أعوذ بوجهك» ولما نزل ﴿مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال: «أعوذ بوجهك» ولما قال: ﴿أَوْ يَلْسَكُمْ شَيْعًا﴾ أي: فرقا ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ بالحرب، قال: النبي ﷺ: «هذه أهون»<sup>(١)</sup> ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُوْنَ﴾ أي: يفهمون . ﴿مُسْتَقَرًّا﴾ استقرارا ، أو: موضع قرار ، أو: زمن قرار . ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا﴾ لأن يخوضوا، «مَا» في ﴿وَمَا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ﴾ زائدة. الضمير في ﴿مِنْ حِسَابِهِمْ﴾ للذين يخوضون . لكن ذكرناهم ذكرى .

﴿أَتَّخِذُوا دِينَهُمْ﴾ قيل: أعيادهم ﴿أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ﴾ تؤخذ نظير كسبها ، وإن تفد كل فدية لا يقبل منها.

والعدل : الفدية وما يعادل به المقدي . الْحَمِيمُ : الماء الحار . ﴿مَا لَا يَنْفَعُنَا﴾ إن عبدناه . ﴿وَلَا يَضُرُّنَا﴾ إن تركناه . ﴿كَالَّذِي أَسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ﴾ كالذي تاه عن الطريق ، وأصحابه الذين على الطريق ينادونه : ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [الأحزاب: ١٨] الطريق معنا ، والجن ينادونه: إلينا، فإن الطريق معنا . ﴿وَأَمْرًا لِنُسَلِّمَ﴾ أي : أن نسلم . ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ مبتدأ وخبر ، ولا يكون ﴿قَوْلُهُ﴾ اسم كان ؛ إذ كان يجب نصب الحق ، وكان يلزم حدوث قوله ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ﴾ دائما، وإنما خص يوم النفخ في الصور بالملك ؛ لأنه انقطعت فيه دعاوى المدعين؛ كقوله : ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَ لِلَّهِ﴾<sup>(٢)</sup> مع أن الأمر له دائما . ﴿ءَأَزَرَ﴾ اسم أبي إبراهيم . ومثل ما أرىنا إبراهيم الحق وبطلان عبادة الأصنام نرىه ﴿مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

(١) رواه البخاري رقم (٤٦٢٨ ، ٧٣١٣) ، والترمذي رقم (٣٠٦٥) عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما .

(٢) سورة الانفطار ، الآية (١٩) .

ليستبصر ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ أو: وفعلنا ذلك ؛ ليكون . أو: ليكون من الموقنين فعلنا ذلك .

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ (٧٦) ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمَّ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ (٧٧) ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (٧٨) ﴿إِنِّي وَجْهَتُ وَجْهِي لِلذِّى فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٧٩) ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يُشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ (٨٠) ﴿وَكَيفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٨١) ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٨٢) ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (٨٣) ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٨٤) ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِيلَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٨٥) ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٨٦) ﴿وَمِن ءَابَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٨٧)

جن الليل أي: ستر بظلامه، ومنه سمي الجن ؛ لاستتارهم . والجنة: البستان؛ لستره بالأوراق والتفاف الأغصان .

﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ أي: غاب. ابتداء بالطف العبارة بقوله : ﴿لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا﴾ طالعا من المشرق ، ثم شدد الأمر يسيرا فقال : ﴿لَيْنَ لَمَّ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ﴾ فلما أفلت الشمس أغلظ لهم القول وتبرا من قومه. ﴿وَجْهِيَ﴾ أي : عملي وقصدي .

﴿فَطَرَ السَّمَوَاتِ﴾ أنشأها على غير مثال سبق ﴿حَنِيفًا﴾ مائلا إلى الحق. وجادله قومه بالباطل فرد عليهم بقوله: ﴿أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ﴾ وفي (أَتُحَاجُّونِي) ثماني كلمات. الهمزة للإنكار ، والتاء حرف مضارعة ، وحج أي: أقام الحجة وغلب، وألف حاج للمفاعلة بين اثنين ، والواو ضمير الفاعل ، والنون الأولى المدغمة في النون الثانية علامة رفع ، والنون الثانية نون الوقاية ، والياء: ضمير المفعول.

﴿ فِي اللَّهِ ﴾ أي: في دين الله وفي توحيدِهِ ، وكان قومه قد هددوه بأن آلهتهم تهلكه فقال: ﴿ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ ﴾ . وقوله : ﴿ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ تمييز محول ، أي : وسع علمه كل شيء . ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ ﴾ أنتم من أنكم أشركتم بالله ما لم تتم به حجة ﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ﴾ أنا أو أنتم ، ثم بين الأحق بالأمن بقوله ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ﴾ الآية . وهذه المحاجة ﴿ حُجَّتْنَا ءَاتَيْنَهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ ﴾ . وقرئ ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ ﴾ <sup>(١)</sup> على أنه ظرف مكان أو أنه المصدر ، كقوله ضربته سوطاً .

قال الفقهاء: لو أوصى لبيه أو لأولاده لم يدخل أولاد البنات ، ولو أوصى لذريته دخل أولاد البنات ؛ لقوله - تعالى: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ ﴾ إلى قوله ﴿ وَعِيسَى ﴾ <sup>(٢)</sup> .

﴿ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ <sup>(٨٨)</sup>  
 أُولَئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هُنَّ لِأَنفُسِكُمْ عَلَيْهَا يَكْفُرِينَ <sup>(٨٩)</sup> أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَتْهُمْ أَقْتَدَهُ قُلْ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ <sup>(٩٠)</sup> وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبَدُّونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَن تَعْلَمُوا وَلَا ءَابَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ <sup>(٩١)</sup> وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَن حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ <sup>(٩٢)</sup>

﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا ﴾ لحبطت أعمالهم ؛ كقوله: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ <sup>(٣)</sup> وقوله: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ ﴾ <sup>(٤)</sup> وذلك بشرط الموت

(١) قرأ عاصم وهمزة والكسائي ويعقوب وخلف «نرفع درجات من نشاء» بالتثنية ، وقرأ باقي العشرة «نرفع درجات من نشاء» بالإضافة . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٤ / ١٧٢ ) ، الحجة لابن خالويه (ص: ١٤٤) ، حجة أبي زرعة (ص: ٢٥٨) ، الدر المصون للسمن الحلبي (٣/ ١١٤) ، السبعة لابن مجاهد (ص: ٢٦١) ، الكشاف للزمخشري (٢/ ٢٥) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٦٠) .

(٢) ينظر : بدائع الصنائع للكاساني (٦/ ٤٣٩) ، مغني المحتاج للشربيني (٢/ ٣٨٦) .

(٣) سورة الفرقان ، الآية (٢٣) .

(٤) سورة إبراهيم ، الآية (١٨) .



على الكفر ؛ لقوله : ﴿ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ - فِيمَتَّ وَهُوَ كَافِرٌ ﴾ <sup>(١)</sup> ﴿ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَوْلَاءَ ﴾ فإن الله غني عنهم ، فقد وكل ﴿ بِهَا قَوْمًا لَيَسُوْا بِهَا بِكَافِرِيْنَ ﴾ كقوله : ﴿ فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا ﴾ <sup>(٢)</sup> قال العلماء : لم يكن النبي ﷺ متعبداً بشريعة أحد من الأنبياء قبل النبوة ولا بعدها ؛ لأنه لو كان كذلك لاجتمع بعلماء تلك الشريعة وسألهم عن أوضاعها، وهذا هو الأصح . وقيل : تعبد بشريعة الجميع ؛ لقوله بعد عدد من الأنبياء هنا : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَتْهُمْ أُقْتَدِةٌ ﴾ وقيل : تعبد بشريعة إبراهيم ؛ لقوله : ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ <sup>(٣)</sup> وقيل : بشريعة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى لقوله - تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ﴾ <sup>(٤)</sup> الآية . الهاء في ﴿ أُقْتَدِةٌ ﴾ للسكت ؛ كقوله : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴾ <sup>(٥)</sup> ﴿ هَلَّاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴾ <sup>(٦)</sup> هي بهذا الموضع أحق ؛ لأنها كالعوض من حرف العلة المحذوف .

﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ أي : على التبليغ ، ويدل عليه السياق . ﴿ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ ﴾ مفرقة حتى تكون بصدد الضياع .

وقوله : ﴿ قُلِ اللَّهُ ﴾ احتج به قوم على ما يعتمدونه من ذكر الله غير موصوف بصفة من صفاته ، فيقولون : الله ، الله ، الله ، ولا حجة فيه ؛ لأن قوله : ﴿ قُلِ اللَّهُ ﴾ جواب لقوله : ﴿ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ ﴾ فإن لم يجيبوك فقل أنت : الله ، فأعراب اسم الله في قوله : ﴿ اللَّهُ ﴾ مبتدأ ، التقدير : الله أنزله . يرد على من قال من المتأخرين : إن النكرة إذا وصفت بجمل ومفردات تعينت البداية بالمفردات فتقول : مررت برجل فاضل يكتب ، ولا تقول : برجل يكتب فاضل . وقد جاء القرآن بخلافه : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ ﴾ <sup>(٧)</sup> وقال هاهنا : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ الذي مضى قبله من التوراة والإنجيل

(١) سورة البقرة ، الآية (٢١٧) .

(٢) سورة فصلت ، الآية (٣٨) .

(٣) سورة النحل ، الآية (١٢٣) .

(٤) سورة الشورى ، الآية (١٣) .

(٥) سورة القارعة ، الآية (١٠) .

(٦) سورة الحاقة ، الآية (٢٩) .

(٧) سورة المائدة ، الآية (٥٤) .

وسائر الكتب المنزلة ؛ لتقرأه ولتندر به، أو لتندر فعلنا ذلك ، أو: فعلنا ذلك لتندر به ﴿ أُمُّ الْقُرَى ﴾ مكة . ﴿ وَمَنْ حَوَّلَهَا ﴾ جميع العالم .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿١٥﴾﴾

﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ﴾ هذه الآية بجملتها دالة على كيفية تقاضي الملائكة إخراج روح الكفار بالعنف والغلظة ، كما يقول صاحب الدين الألد لغريمه : أدُّ حقي إليّ وإلا نزعته من أحداقك .

﴿ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ ﴾ فيه منتقلا عنكم ، فهو كالمخلف قبل الظهر . والبين : الوصل ، كقوله : ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴾ <sup>(١)</sup> أي : وجعلنا توصلهم في الدنيا مهلكا . فالمعنى هاهنا : لقد تقطعت أسباب وصلكم . ومن قرأ «بينكم» بالنصب <sup>(٢)</sup> ، فقوله : ﴿ وَضَلَّ عَنْكُمْ ﴾ معطوف على تَقَطَّعَ والفاعل ﴿ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ وقد تنازعه ﴿ تَقَطَّعَ ﴾ ﴿ وَضَلَّ ﴾ . وإن قيل : لم قال ﴿ وَخُجِرُ ﴾ ولم يقل : (ويخرج) ؟ قلت : لأن قوله : ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ﴾ تفسير لـ ﴿ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ﴾ أي : إن الله فالق الحب والنوى بإخراج الحي من الميت . وأما قوله : ﴿ وَخُجِرُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ﴾ فهو معطوف على قوله : ﴿ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ﴾ وهو عطف اسم فاعل على اسم فاعل ، وهو أنسب <sup>(٣)</sup> .

(١) سورة الكهف ، الآية (٥٢) .

(٢) قرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم وخلف ويعقوب «بينكم» ، وقرأ باقي العشرة «بينكم» . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٤ / ١٨٢) ، الحجة لابن خالويه (ص : ١٤٥) ، الدر المصون للسمن الحلبي (٣ / ١٢٦) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٢٦٣) ، الكشاف للزنجشري (٢٨/٢) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٦٠) .

(٣) هذه مسألة خلافية حيث أجاز بعض النحاة عطف الاسم على الفعل إذا اتحد المعطوف والمعطوف عليه =

﴿ تُوَفَّكُونَ ﴾ يقبلون عن الحق إلى الباطل .

﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ (٩٦)  
 وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ  
 ﴿٩٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾  
 وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ  
 حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا  
 وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَنَعْمَ إِذَا فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ  
 شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٠٠﴾  
 بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ  
 ﴿١٠١﴾ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ  
 وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَاءَكُمْ  
 بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَلِكَ  
 نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا  
 إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ  
 عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا  
 لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾

﴿ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴾ ذوي حسابان . ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ ﴾ في أرحام النساء ﴿ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ في

أصلاب الرجال والمستودع : أرحام الأمهات .

= بالتأويل بأن كان الاسم يشبه الفعل ، وهو رأي ابن مالك ، واختاره السيوطي في الهمع وقال : يجوز  
 في الأصح . ومنع المازني والمبرد والزجاج عطف الاسم على الفعل وعكسه ؛ لأن العطف أخو التشبية  
 فكما لا ينضم فيها فعل إلى اسم ، فكذا لا يعطف أحدهما على الآخر . وقال السهيلي : يحسن عطف  
 الاسم على الفعل ويقبح عكسه ؛ لأنه في الصورة الأولى عامل لاعتماده على ما قبله فأشبهه الفعل ، وفي  
 الثانية لا يعمل فتمحض فيه معنى الاسم ولا يجوز التعاطف بين فعل واسم لا يشبهه ولا فعلين مختلفا  
 في الزمان . ونميل إلى رأي القائلين بالجواز ؛ لما علله السهيلي . وينظر تفصيل ذلك في : الإملاء للعكبري  
 ( ٢ / ٢٥٦ ) ، البيان لابن الأنباري ( ٢ / ٤٢٢ ) ، شرح التسهيل لابن مالك ( ٣ / ٣٨٣ ) ، همع  
 الهوامع للسيوطي ( ٣ / ١٩١ ، ١٩٢ ) .

وقيل : المستقر : ظهر الأرض ، والمستودع : القبور ؛ كقوله : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾<sup>(١)</sup>  
وقيل : المستقر ظرف زمان ، أي : زمن استقرار . وقيل : ظرف مكان .

وقيل : مصدر ، أي : ولكم في الأرض استقرار ( يخرج منه ) أي : من ذلك  
الخصر ﴿ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنَوَانٌ دَانِيَةٌ ﴾ وقوله : ﴿ وَجَنَّاتٍ ﴾ معطوف على  
قوله : ﴿ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا ﴾ ويقال : أينعت الثمرة : إذا طاب أكلها . ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ  
شُرَكَاءَ ﴾ قدم أحد مفعولي «جعل» ليكون الإنكار متوجها ، أي : اتخذ الشركاء جنًا كانوا  
أو إنسًا ، ولو قدم الجن لكان الإنكار على اتخاذ الجن دون غيرهم . ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ ﴾  
أي : بديعة سماواته . من أن يكون له ولد ولم تكن له صاحبة . ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ ولا  
تحيط به ، ولا يلزم من نفي الإحاطة نفي الرؤية ، أو يقال : الأبصار جمع معرف فيقتضى  
الاستغراق والأمر كذلك . ليس كل الأبصار تدركه . قال في حق الكفار : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ  
يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

( دارست ) أي : اشتغلت بالدروس مع من يشتغل به . فجاءت المدارس من اثنين فأكثر .  
ومن قرأ ( دَرَسَتْ ) لم يكن فيه مفاعلة ، ومن قرأ ( دَرَسْتُ )<sup>(٣)</sup> أي : أخبر قديمة قد درس  
أثرها ﴿ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ﴾ من خير أو شر ؛ كقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ  
زَيْنًا لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ ﴾<sup>(٤)</sup> قل لهم : إنما الآيات عند الله ، وما يدريكم أنها إذا جاءت تؤمنون ؛ فإن  
الله قادر على قلب القلوب والأبصار ، وعلى صرف دواعيهم إلى الشر ، كما صرفها عن  
الإيمان قبل نزول الآية .

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ  
أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقِلِبُ أَعْيُنَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرَهُمْ

(١) سورة البقرة ، الآية (٣٦) .

(٢) سورة المطففين ، الآية (١٥) .

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بن العلاء دارست ، وقرأ عاصم ونافع وحمزة والكسائي درست ، وقرأ ابن

عامر درست . تنظر القراءات في : إتحاف فضلاء البشر للبنا ( ٢ / ٢٥ ) ، البحر المحيط لأبي حيان

( ٤ / ١٩٧ ) ، حجة ابن خالويه ( ص : ١٤٧ ) ، حجة أبي علي الفارسي ( ٣ / ٣٧٣ ) ، الدر المنصور

للسمين الحلبي ( ٣ / ١٥١ ) ، الكشاف للزخشري ( ٢ / ٣٣ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٦١ ) .

(٤) سورة النمل ، الآية (٤) .

فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ﴿١١٠﴾ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكِيكَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴿١١٢﴾

و «لا» في ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ زائدة ، وقرئ إنها بالكسر وتكون خبرا مستأنفا من جهة الله - تعالى - بذلك . وقيل : «لا» زائدة <sup>(١)</sup> في قوله «أنها» بالفتح <sup>(٢)</sup> . و«أن» بمعنى لعل ، تقول العرب: اذهب إلى السوق أنك تشتري لنا لحما، أي : لعلك <sup>(٣)</sup> .

﴿وَنَقَلِبُ أَفْعَدْتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ﴾ كما قلبناها من قبل ، فلم يؤمنوا بها. ﴿وَنَذَرَهُمْ﴾ تركهم في مجاوزة الحد ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يترددون . والعمه في البصيرة ، والعمى : يستعمل في البصر والبصيرة. رد الله سبحانه على الذين أقسموا ﴿لَنْ جَاءَهُمْ آيَةٌ لِيُؤْمِنُوا بِهَا﴾ فقال: القلوب بيد الله ، وما يشعركم أنه يصرفها عن الحق ، ولو جاءت الآيات المقترحة ، فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكِيكَ﴾ كما زعموا في قوله: ﴿لَوْلَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِ مَلَكًا﴾ <sup>(٤)</sup> وقوله : (قبلا) من قرأها بكسر القاف فمعناها معاينة، ومن قرأ بضمها وضم الباء <sup>(٥)</sup> ففيها وجهان، أحدهما: أنه مأخوذ من القبيل وهو الكفيل . يقال: قبيل وضمين وكفيل وزعيم بمعنى.

والوجه الثاني : أن المراد قبيلته قبيله . وقيل: أراد مقابلة لما حصل إيمانكم . ﴿إِلَّا أَنْ

(١) هذا قول الفراء في معاني القرآن (١/ ٣٥٠) ، وغَلَظَةُ الزَّجَّاجُ في معاني القرآن (٢/ ٢٨٣) .

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالكسر «إنها» واستجودها الخليل وغيره ؛ لأن معناها إخبار بعدم إيمان من طبع على قلبه ولو جاءتهم كل آية. وقرأ عامة القراء بالفتح «أنها» . تنظر القراءة في: إتخاف فضلاء البشر للبنا (٢/ ٢٦) ، البحر المحيط لأبي حيان (٤/ ٢٠١، ٢٠٢) ، حجة ابن خالويه (ص : ١٤٧) ، حجة أبي علي الفارسي (٣/ ٣٧٥، ٣٧٦) ، الدر المصون للسمن الحلبي (٣/ ١٥٤) ، الكشاف للزنجشيري (٢/ ٣٤) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٦١) .

(٣) حكاهما الخليل عن العرب . ينظر : الكتاب لسيويه (٣/ ١٢٣) .

(٤) سورة الأنعام ، الآية (٨) .

(٥) قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر من العشرة «قبلا» ، وقرأ الباقر «قبلا» . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٤/ ٢٠٥) ، الحجة لابن خالويه (ص : ١٤٨) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٢٦٧) ، الدر المصون للسمن الحلبي (٣/ ١٥٩) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٢٦٥) ، الكشاف للزنجشيري (٢/ ٣٥) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٦٢ ، ٢٦١) .

يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ ﴿١﴾ يعنى : الكفار . وقيل : بعض ضعفاء المؤمنين . ﴿يَجْهَلُونَ﴾ فيعتقدون أنهم لو جاءت الآيات المقترحة لآمنوا .

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ أي : ومثل ما جعلنا لك أعداء جعلنا ذلك لمن قبلك من الأنبياء . والعدو : لفظ يصلح للجمع والمفرد . قال : ﴿فَاتَّهَمَ عَدُوِّي﴾ <sup>(١)</sup> وقال : ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ <sup>(٢)</sup> ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ﴾ يوسوس . وفي قوله : ﴿شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ وجهان : أحدهما : أنه شياطين الجن الذين مع الإنس . والثاني : أنه مردة الجن والإنس مطلقا . و ﴿زُخْرَفَ الْقَوْلِ﴾ ما زينوه بباطلهم . الهاء في ﴿فَعَلُوهُ﴾ وفي ﴿وَلِئَصْغَىٰ إِلَيْهِ﴾ فيه قولان : أحدهما : يرجع إلى جعل الأعداء للأنبياء . والثاني : لإيجاد زخرف القول والغرور .

﴿وَلِئَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْعَدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرِضُوهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُّقْتَرِفُونَ﴾ <sup>(١١٣)</sup> أَفْعَرَ اللَّهُ أَبْتَغَىٰ حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ <sup>(١١٤)</sup> وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ <sup>(١١٥)</sup> وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ <sup>(١١٦)</sup> ﴿

﴿وَلِئَصْغَىٰ إِلَيْهِ﴾ ولتميل إليه قلوب الضعفاء . الحكم : هو المتقن للحكم ، ولا يطلق إلا على من يحكم بالحق . والحاكم : على الحق والمبطل فالحكم أمدح ، قاله الماوردي <sup>(٣)</sup> .

﴿فَلَا تَكُونَنَّ﴾ أيها السامع لهذا الكلام من الشاكين في ذلك . وقيل : هو كقولك لابنك : إن كنت ابني فأطعني . ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ <sup>(٤)</sup> القرآن . وقيل : جميع الوحي على جميع من

(١) سورة الشعراء ، الآية (٦٧) .

(٢) سورة الزخرف ، الآية (٣٧) .

(٣) ينظر : النكت والعيون للماوردي (١/٥٥٦) .

(٤) هذه قراءة ابن كثير وأبي عمرو بالجمع «كلمات» ، وقرأ عاصم وحمة والكسائي وخلف ويعقوب والحسن والأعمش «كلمة» بالإفراد . تنظر في : إتحاف فضلاء البشر للبنا (١ / ٢٨) ، البحر المحيط لأبي حيان (٤ / ٢٠٩) ، الحجة لابن خالويه (ص ١٤٨) ، الحجة لأبي علي الفارسي (٣ / ٣٨٧) الدر المصون للسمن الحلبي (٣ / ١٦٥) ، الكشاف للزمخشري (٢ / ٣٦) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٦٢) .

أوحى إليه ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ في تقليد آبائهم . وقيل : في قولهم : ما لكم تأكلون ما قتلتموه وذبحتموه ، ولا تأكلون ما قتله الله من الميتة وهذا الذي أوحته الشياطين إلى أوليائهم ليجادلوا به المؤمنين . وقوله : ﴿هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ﴾ مشكل ؛ لأن أفعال التفضيل إذا أضيفت كانت جزءاً مما بعدها . وإن نصبت بالتمييز لم تكن جزءاً ، تقول : هذه النخلة أطيب رطباً ، ولا يجوز : أطيب رطب ، فإنه يلزم أن تكون النخلة رطباً ، فقوله : ﴿رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى﴾<sup>(١)</sup> لا إشكال فيه ؛ لأن الله جاء بالهدى ، ولا يجوز أن يكون أعلم من يضل . فقيل في تأويله : إنه جاء في لغة إجمال اسم الفاعل في المفعول بإضمار من جنسه قال الشاعر [ من الطويل ] :

..... وأضربُ منَّا بالسيفِ القوانِسا<sup>(٢)</sup>

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾<sup>(١١٧)</sup> فَكُلُوا مِمَّا ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِعَايَتِهِ مُؤْمِنِينَ<sup>(١١٨)</sup> وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مِمَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ<sup>(١١٩)</sup> وَذَرُوا ظَهْرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ<sup>(١٢٠)</sup> وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّدُواكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ<sup>(١٢١)</sup> أَوْ مَن كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ<sup>(١٢٢)</sup>

أي : يضرب القوانس كذلك ها هنا : ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ﴾ يعلم من يضل<sup>(٣)</sup> .

(١) سورة القصص ، الآية (٣٧) .

(٢) هذا عجز بيت لعباس بن مرداس و صدره : أكرُّ وأحى للحقيقة منهُم .....

ينظر في : الأشباه والنظائر للسيوطي (١ / ٣٤٤) ، الأصمعيات ( ص : ٢٠٥ ) ، خزانة الأدب للبغدادي (٨ / ٣١٩ ، ٣٢١) ، التصريح للشيخ الأزهري (١ / ٣٣٩) ، ديوان عباس بن مرداس (ص : ٦٩) ، شرح الأشموني للألفية (١ / ٢٩١) ، الكشاف للزنجشيري (٢ / ٧٠٦) ، المغني لابن هشام (٢ / ٦١٨) .

(٣) وهذا قول بعض الكوفيين ، والزجاج ، ونسبه السمين الحلبي في الدر المصون للكسائي والمبرد ومكي .

قال السمين : والراجح نصبها بمضمر ، وهو قول الفارسي ، وقواعد البصريين موافقة له .

ينظر : الدر المصون (٣ / ١٦٧) ، معاني القرآن للزجاج (٢ / ٢٨٦) ، معاني القرآن للفراء

(١ / ٣٥٢) ، مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب (١ / ٢٦٦) .

وظاهر الإثم : ما أعلن ، وباطنه : ما أسر. وقيل : ظاهر الإثم : ما فعل ، وباطنه : ما أضمر، نقله الماوردي<sup>(١)</sup>. وقيل : ظاهر الإثم : الزنى بالبغايا. وباطنه : ذوات الأخدان.

استحسن الماوردي<sup>(٢)</sup> أن لا تؤكل الذبائح إلا إذا سمي الله عليها ، لما يرى في الآية من التشديد ، والمذاهب فيها ثلاثة : أحدها: مذهب الشافعي يجوز أكل متروك التسمية سهوا وعمداً . والثاني : مذهب ابن سيرين<sup>(٣)</sup> وداود : يحرم متروك التسمية سهواً وعمداً. والثالث: مذهب أبي حنيفة : يحرم متروكاً عمداً ويحل سهواً<sup>(٤)</sup>.

﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ مشكل ؛ فإن الشرط المجرد عن القسم لا يجب إلا بأحد ثلاثة أمور: إما بالفعل ، أو بالفاء ، أو بإذا التي للمفاجأة وقد جاء هاهنا عارياً عن الثلاثة ، فقيل في تأويله : ولئن أطعتموهم ، فقد ر لام القسم محذوفة وغلب القسم ، فأجاب بجواب القسم. وإن صح باب هذا الاعتذار لم يصح اشتراط أحد الأمور الثلاثة في الجواب ، بل مهما فقدت الثلاثة أوّلناها بهذا التأويل .

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا لِيَمَّا كُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ هُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمَعَشَرَ الْجَنِّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا آجَلَنَا الَّذِي

(١) ينظر : النكت والعيون للماوردي ( ١ / ٥٥٧ ) .

(٢) ينظر : النكت والعيون للماوردي ( ١ / ٥٥٧ ) .

(٣) هو محمد بن سيرين البصري الأنصاري بالولاء أبو بكر ، إمام زمانه في علوم الدين بالبصرة ، اشتهر بالورع وتعبير الرؤيا توفي سنة ١١٠ هـ . ومن أشهر مصنفاته : تعبير الرؤيا وتفسير الأحلام .

تنظر : ترجمته : الأعلام ( ٦ / ١٥٤ ) ، وفيات الأعيان ( ٤ / ١٨١ ) .

(٤) ينظر : بدائع الصنائع للكاساني ( ٤ / ١٦٦ ) ، بداية المجتهد لابن رشد ( ١ / ٦٣٢ ) ، المغني لابن قدامة ( ٤ / ١١ ) ، مغني المحتاج للشربيني ( ٤ / ٢٦٥ ) ، المهذب للشيرازي ( ١ / ٣٦ ) .



أَجَلَتْ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثُونَكُمْ خَلِيدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَمْعَشِرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَعَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾

يطلق المثل ويراد به الصفة ؛ كقوله : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَرٌ ﴾ <sup>(١)</sup> أي : هذه صفتها ، كذلك قوله : ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ﴾ <sup>(٢)</sup> ثم قال : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾ <sup>(٣)</sup> أي : الصفة العليا .

الياء في ﴿ مُجْرِمِيهَا ﴾ إما علامة الجر بالإضافة ، وإما علامة النصب بالمفعولية . أي : جعلنا مجرميها أكابر . والصفار: الذل . ﴿ كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ كأنما يحاول أمراً معجوزاً عنه ، والرَّجْسُ ها هنا : العذاب .

﴿ دَارُ السَّلَامِ ﴾ الجنة ، سميت بذلك ؛ لأنها دار الله ، والله هو السلام ، أو دار السلام من الآفات ، أو دار يحيي بعضهم بعضاً بالسلام ، وتحييهم الملائكة حين يدخلون عليهم من كل باب . ويحييهم الله - عز وجل - بالسلام : ﴿ سَلِّمْ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ ﴾ <sup>(٤)</sup> .

﴿ يَمْعَشِرَ الْجِنِّ قَدْ اسْتَكْرَثْتُمْ مِّنَ الْإِنْسِ ﴾ واتخذتموهم أتباعاً . وقيل : المراد : استعاذة الإنس بالجن على ما يأتي شرحه في سورة ﴿ قُلْ أُوْحَىٰ إِلَيَّ ﴾ <sup>(٥)</sup> .

﴿ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ هو مسافة تحويلهم من الجحيم إلى الزمهير . وقيل : من الجحيم إلى الحميم ﴿ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾ <sup>(٦)</sup> يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَأَن ﴿ <sup>(٦)</sup> ومثل ذلك القول ﴿ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا ﴾ .

(١) سورة محمد ، الآية (١٥) .

(٢) سورة النحل ، الآية (٧٤) .

(٣) سورة النحل ، الآية (٦٠) .

(٤) سورة يس ، الآية (٥٨) .

(٥) يعني سورة الجن ، وذلك عند تفسير قوله - تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ ، الآية (٦) وقد فسره المصنف هناك كما قال ، وقد جعلنا هذه النقطة من أدلة نسبة التفسير

بكامله للسخاوي - رحمه الله تعالى .

(٦) سورة الرحمن ، الآيتان (٤٣ ، ٤٤) .

﴿ يَمَعَشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾ احتج به من زعم أن الله بعث رسلا من الجن ولا حجة فيه؛ لأنه قد يقال عن الشيء إنه بعض الأشياء ، وإن لم يكن من جميع تلك الأشياء . تقول : فلان من بلاد مصر، وإنه من واحدة منها. احتج القائلون بأن الله لم يبعث رسولا من الجن بقوله : ﴿ يَعُودُونَ رِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ ﴾ <sup>(١)</sup> ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا ﴾ <sup>(٢)</sup> . والجن ليسوا رجالا . وأجيبوا بقوله : ﴿ يَعُودُونَ رِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ ﴾ فسمى الجن رجالا . وقيل: المراد برسل منكم : رجل من الأنبياء إلى الجن؛ لقوله - تعالى - في قصة الجن : ﴿ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَوْأ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ يَتَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ ﴾ الآيتين <sup>(٣)</sup> .

﴿ وَعَرَّثَهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ بهجتها وزيتها . وقيل: غرتهم: أشبعتهم فبطروا . يقال: غر الطائر فرخه ، إذا زقه <sup>(٤)</sup> فأشبعه .

﴿ ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَفْلُونَ ﴾ <sup>(١٣١)</sup> وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مَّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَّبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ <sup>(١٣٢)</sup> وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَاءُ يذْهَبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ ءَاخِرِينَ ﴾ <sup>(١٣٣)</sup> إِنْ مَا تَوْعَدُونَ لَأْتِي وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ <sup>(١٣٤)</sup> قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ <sup>(١٣٥)</sup> وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى الْغَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ <sup>(١٣٦)</sup> وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ لِيُرْذُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَّهُمْ وَمَا يُفْتَرُونَ ﴾ <sup>(١٣٧)</sup> وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِرِعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ <sup>(١٣٨)</sup>

(١) سورة الجن ، الآية (٦) .

(٢) سورة يوسف ، الآية (١٠٩) .

(٣) سورة الأحقاف ، الآية (٣١) .

(٤) زقه: أطعمه بفيه، وزق بسلحه يزق زقا وزقزق: حذف ، وأكثر ذلك في الطائر .

ينظر : لسان العرب ( زق).

قوله : ﴿يُظَلَّمُ﴾ حال من الفاعل ، ويجوز أن يكون من المفعول ، والأول أصح .  
 ﴿وَلِكُلِّ﴾ واحد من فريق الجن والإنس ﴿دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا﴾ . ﴿بِمُعْجِزَاتٍ﴾  
 بفاتنين . ﴿عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ﴾ على تمكنكم ، و﴿عَقَبَةُ الدَّارِ﴾ إذا أطلقت فالمراد بها الخير .  
 كانوا يعينون من زرعهم ومواشيهم شيئاً لله ، وشيئاً لأهنتهم ، فإن جاء نصيب آهنتهم زاكياً  
 لا يردوه إلى الله وإن جاء نصيب الله زاكياً ردوه لأهنتهم ، فنزلت ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ﴾<sup>(١)</sup> .

﴿وَكَذَلِكَ﴾ ومثل ذلك التزيين في التحليل والتحريم ﴿زَيْنَ الْكَثِيرِ مِنَ  
 الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ﴾ أن يقتلوا أولادهم ، إما تقريباً ، وإما كراهة للإنفاق  
 عليهم . وفي الشركاء الذين زينوا أقوال : قيل : هم الشياطين . وقيل : سدنة الأوثان  
 وخدمها . وقيل : الغواة من الجن والإنس . ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ ليهلكوهم ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا  
 تَرَدَّى﴾<sup>(٢)</sup> اللام في ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ لام كي . وقيل : لام العاقبة ؛ لأنهم لم يقصدوا إرداءهم .  
 ﴿وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ ما كانوا يزعمون أنهم عليه من دين إسماعيل ، أو دينهم الذي  
 كان يجب أن يكون لهم وهو الحق ، أو يوقعوهم في دين ملتبس . ﴿حِجْرٌ﴾ أي : منع ،  
 ومعناه : ذو منع .

﴿لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ﴾ يريدون : البحائر والحوامي . ﴿وَأَنعَمُ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾  
 يريدون : السوائب<sup>(٣)</sup> ﴿وَأَنعَمُ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَاءَ اللَّهِ﴾ بل يذكونها باسم آهنتهم ﴿أَفْتِرَاءً عَلَيْهِ﴾  
 أي : دعواهم أن الله حرم هذا أو ذجهم إياها على اسم الآلهة .

﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِن  
 يَكُن مِّثَّةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(١١٦)</sup> قَدْ خَسِرَ

(١) رواه الطبري في تفسيره (٤٠/٨) .

(٢) سورة الليل ، الآية (١١) .

(٣) البحائر: جمع البحيرة: كانوا في الجاهلية إذا نتجت الناقة خمسة أبطن فكان آخرها ذكراً بحروا أذنبا أي:  
 شقوها وأعفوا ظهرها من الركوب والحمل والذبح ولا تمنع عن ماء ترده ، ولا تمنع من مرعى وإذا لقيها  
 المعبي المنقطع به لم يركبها . والسوائب : جمع السائبة: كانوا إذا تابعت الناقة بين عشر إناث لم يركب  
 ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها ، وتركوها مسيبة لسبيلها وسموها السائبة وأصله من تسيب  
 الدواب وهو إرسالها تذهب وتجيء كيف شاءت البحيرة .

ينظر: لسان العرب (بحر) ، النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (١/١٠٠ - ٤٣/٤) .

الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴿١٤٠﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ، وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَّاتِ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُّوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴿١٤١﴾

أنت ﴿خَالِصَةٌ﴾ حملا على المعنى ؛ لأن ما في بطون الأنعام أنعام ، ثم ذكر ﴿وَمُحَرَّمٌ﴾ حملاً على لفظ ما، ونظيره ﴿وَمَنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا﴾ قاله الزمخشري<sup>(١)</sup> وفيه نظر؛ لأن قوله : ﴿وَمَنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ حمل فيه أولاً على اللفظ، وثانياً على المعنى ، وهو كثير في القرآن لا يحصى. وأما هاهنا فحمل على المعنى أولاً ثم على اللفظ ، وهو قليل وإنما فضلوا الذكر على الأنثى فجعلوا له ما ليس للأنثى؛ لأنهم يخدمون الآلهة ، وهم سدنتها. وقيل: لتفضيل الذكر على الأنثى ، وسمي الذكر ذكراً إما من الذكر الذي هو ضد النسيان ؛ لأن به يذكر الأب ، أو من الذكر بمعنى الشرف ﴿وَأَنَّهُ لَذِكْرُكَ وَلِقَوْمِكَ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

﴿مَعْرُوشَاتٍ﴾ أي : مرفوعات ، ومنه سمي السرير عريشا وعرشا .

في الحق الذي أمر بإيتائه أقوال :

أحدها : أنه الزكاة من العشر ونصف العشر ، وهو الأشهر .

والثاني : أنه حق واجب غير الزكاة ، وهو ترك ما تساقط من الثمار ، وترك إلقاء الزرع لمن لقطه ، وعلل بأن سورة الأنعام مكية ، وإنما وجبت الزكاة بالمدينة .

وقيل : هذه الآية خاصة من سورة الأنعام مدنية .

والثالث : أنه مطلق على الاستحباب .

والرابع : كان واجبا قبل الزكاة ، ثم نسخ بوجوب الزكاة<sup>(٤)</sup> .

(١) ينظر : الكشاف للزمخشري ( ٧١ / ٢ ) .

(٢) سورة الزخرف ، الآية ( ٤٤ ) .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية ( ١٠ ) وهذا كلام الماوردي في النكت والعيون ( ١ / ٥٦٩ ) .

(٤) ذكر الماوردي في النكت والعيون ( ١ / ٥٧٠ ) الأقوال الأول والثاني والرابع ، ونسب الأول =

وقوله: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ هو أن يتكلف رب المال أن يخرج فوق ما يجب عليه زيادة تجحف . والثاني : بأن يأخذ السلطان زيادة عن الزكاة بما يجحف . والثالث: أن يمنع رب المال من إعطاء القدر الواجب . وقيل : الإسراف إخراج نصيب من أموالهم لأهتهم .

﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشَاتٌ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَنِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعَزِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِيُّنِي يَعْلَمُ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْتُكُمْ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾

﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشَاتٌ﴾ الحمولة : الإبل والبقر . والفرش : الغنم وصغار الإبل، والبقر . وقيل : الحمولة: الكبار . والفرش: الصغار ؛ لأنها قريبة من الأرض ، فتشبه الفرش .

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ في تحريم السوائب والبحائر . إذا اقترن بالشيء ما يمثله في الاسم سمي الاثنان زوجا ﴿مِنَ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾<sup>(١)</sup> ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿ثَمَنِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ أي : ثمانية أفراد . فأي هذه الأشياء جاء تحريمه إليكم .

وقوله: ﴿فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ تلويح بأن التحريم والتحليل إنما يكون بالوحي . الدم إن كان

= للجمهور، والثاني لعطاء ومجاهد ، والرابع لابن عباس وسعيد بن جبير وإبراهيم .

وروى هذه الأقوال الطبري في تفسيره ( ٨ / ٥٤ - ٥٨ ) ، ثم قال : وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: كان ذلك فرضا فرضه الله على المؤمنين في طعامهم وثمارهم التي تخرجها زروعهم وغرورسهم ثم نسخه الله بالصدقة المفروضة والوظيفة المعلومة من العشر ونصف العشر وذلك أن الجميع مجتمعون لا خلاف بينهم أن صدقة الحرث لا تؤخذ إلا بعد الدياس والتقية والتذرية وأن صدقة التمر لا تؤخذ إلا بعد الجفاف .

(١) سورة هود ، الآية (٤٠) .

(٢) سورة النجم ، الآية (٤٥) .

جامدا كالكبد والطحال كان حلالا بالحديث <sup>(١)</sup> وإن كان مسفوحا فهو حرام ، إلا ما كان في العروق ، أو في أثناء اللحم . واليهود يبيعون الدم في العروق ، فيستخرجونه ويحرمونه ، وفسر الفسق بأنه سمِّي على ذبحه اسم غير الله ، ولا خلاف أن ما كان كذلك فهو حرام .

﴿ غَيْرَبَاغٍ ﴾ على مضطر مثله يمنع مساهمته في الميتة ﴿ وَلَا عَارٍ ﴾ متجاوزا قدر .

﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِن أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَ كُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ عَنِ كَيْفِ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقْتُمْ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنٌ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾

﴿ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا ﴾ لو قال: حرمانا عليهم الشحوم لفهم المقصود لكن قوله: ﴿ شُحُومَهُمَا ﴾ لزيادة الربط ، ونظيره ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾ <sup>(٢)</sup>

(١) رواه أحمد في المسند رقم ( ٥٤٦٥ ) ، وابن ماجه رقم ( ٣٣٠٥ ) ، والبيهقي في السنن الكبرى ( ٢٥٧ / ٩ ) عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « أحلت لكم ميتتان ودمان فأما الميتتان فالحوت والجراد ، وأما الدمان فالكبد والطحال » . قال البوصيري في مصباح الزجاجة في التعليق على سنن ابن ماجه ( ٢١ / ٤ ) : هذا إسناد ضعيف فيه عبد الرحمن بن زيد قال فيه أبو عبد الله الحاكم : روى عن أبيه أحاديث موضوعة . وقال ابن الجوزي : أجمعوا على ضعفه . قلت ( أي : البوصيري ) : لكن لم ينفرد به عبد الرحمن بن زيد عن أبيه فقد تابعه عليه سليمان بن بلال عن زيد بن أسلم عن ابن عمر قوله ... قال البيهقي : إسناده الموقوف صحيح وهو في معنى المسند ، قال : وقد رفعه أولاد زيد بن أسلم عن أبيهم وهم كلهم ضعفاء جرحهم ابن معين . وصححه الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجه ( ٢٣٢ / ٢ ) وفي السلسلة الصحيحة رقم ( ١١١٨ ) .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية (١) .

أي : اقترب للناس الحساب . تقول : من زيد أخذت ماله . وَالْحَوَايَا : المباخر . هل هي مستثناة ، أو مستثنى منها ؟ فيه مذهبان ؛ وكانوا بنو إسرائيل قد أحدثوا بدعاً فحرم عليهم بعض الحلال عقوبة ، وهو معنى قوله : ﴿ بِبَغْيِهِمْ ﴾ .

﴿ هَلُمَّ ﴾ عند الكوفيين تشي وتجمع وتؤنث وتذكر ؛ فيقال : هلم وهلما وهلموا وهلمي . والحجازيون يجعلونها على صورة واحدة <sup>(١)</sup> ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ﴾ <sup>(٢)</sup> وقال هاهنا : ﴿ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ ﴾ . وفي الحديث الصحيح : «ليذادن أقوام عن حوضي ، كما يذاد البعير الضال ، فأناديهم : ألا هلم ألا هلم» <sup>(٣)</sup> .

(تعال) خاص أريد به العام ، وأصله أن يقول المستعلي للمستفل : تعال ، ثم اتسع فقيل لمن هو معك في أرض مستوية ، ثم اتسع فيه فقيل لمن هو مستعل عليك وأنت في مكان أخفض ، تقول له : تعال ، وصار معناه : جيء . والمذكور في هذه الآيات الثلاث منه ما هو محرمات ، ومنه ما هو واجبات كقوله - تعالى : ﴿ أَلَّا تَشْكُرُوا ﴾ تحريم للشرك . وقوله : ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ تحريم للعقوق ، وتحريم قتل الأولاد ، وركوب الفواحش ، وقتل النفس ، وقربان مال اليتيم بغير حق ، وبخس الكيل والوزن ، وتحريم الإخلال بالقول ، ونكث العهد ، وسلوك غير سبيل المؤمنين ، واتباع السبل المتفرقة ، ونصب ﴿ إِحْسَانًا ﴾ على المصدر ، أي : وأحسنوا للوالدين إحساناً . الإملاق : الفقر .

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ . وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكِلْفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّانِكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّانِكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا

(١) ينظر : الدر المصون للسمين الحلبي (٣/ ٢١٢) .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية (١٨) .

(٣) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٤٩) ، وأحمد في مسنده (٢ / ٣٠٠) ، وابن ماجه رقم (٤٣٠٦) ، والنسائي في المجتبى (١ / ٩٤) ، وابن خزيمة رقم (٦) ، وابن حبان رقم (١٠٤٦) عن أبي هريرة ؓ .

الْكِتَابُ لَكِنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَ كُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً فَمَن أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنَّا آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِكَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا لَّسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلِ إِنِّي هَدَىٰ رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾

أشار إلى أن الوفاء بمقتضى الوزن يعسر جداً ، فإن بين الحبتين تفاوتاً لا ينضبط وكذلك الكيل ، فيعفى عما لا يتأتى ضبطه ، من ذلك نبه على ذلك بقوله : ﴿ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ قوله : ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴾ أتى بـ «ثم» ليدل على تفاوت الرتب ؛ فإن إتياء موسى الكتاب يتضمن من المصالح والحكم أكثر مما تضمنته هذه الآيات الثلاث ﴿ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ ﴾ موسى في عبادة ربه . وقيل : على الذي أحسن الله إليه بتوفيقه لها . وفي الشاذ ﴿ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ ﴾ بضم النون <sup>(١)</sup> أي : تماماً على الذي هو أحسن ﴿ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ يحتاج إليه .

وقوله : ﴿ مُبَارَكٌ ﴾ أي : مبارك فيه ، تقول : باركك الله ، ويدل عليه قوله : ﴿ أَن بُرِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ <sup>(٢)</sup> وقياس : بارك الله فيك أن تقول : بورك فيمن في النار ، وفيمن حولها . ﴿ أَن تَقُولُوا ﴾ أي : كراهة أن تقولوا . وقيل : لئلا تقولوا ، والمراد بالكتاب : التوراة والإنجيل ﴿ لَوْ أَنَا ﴾ أي : لو ثبت لنا ؛ فإن «لو» تطلب الفعل ، وأن في موضع رفع بالفاعلية ، والفاء في قوله : ﴿ فَقَدْ جَاءَ كُمْ ﴾ مثلها في قول الشاعر [ من البسيط ] :  
قالوا خراسان أقصى ما يُرادُ بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا <sup>(٣)</sup>

(١) قرأ بها الحسن والأعمش ويحيى بن وثاب وابن أبي إسحاق . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان

(٢) (٢٥٥ / ٤) ، تفسير القرطبي (٧ / ١٤٢) ، الدر المصون للسمن الحلبي (٣ / ٢٢١) ، الكشاف

للزخشري (٢ / ٤٩) ، المحتسب لابن جني (١ / ٢٣٤) ، معاني القرآن للفراء (١ / ٣٦٥) .

(٢) سورة النمل ، الآية (٨) .

(٣) تقدم عند تفسير سورة المائدة ، الآية (١٩) .



﴿ وَصَدَفَ ﴾ أعرض . لما كانوا بصدد وقوع إتيان الملائكة ، وما بعده من التهديد ، جعلوا منتظرين لهم وإن لم يكونوا منتظرين ، التقدير: أو يأتي أمر ربك ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ من طلوع الشمس من مغربها ، أو خروج الدابة ، لا ينفع نفساً لم تكن آمنت من قبل إيمانها ، ولا نفساً لم تكسب في إيمانها خيراً كسبها . وقوله : ﴿ لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ ﴾ في موضع نصب صفة لـ «نفساً» . ﴿ شَيْعًا ﴾ أضراباً يشايح بعضهم بعضاً في الباطل . ﴿ لَسْتَ ﴾ من عقائدهم الفاسدة وأعمالهم الخبيثة ﴿ فِي شَيْءٍ ﴾ ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ هذا أقل المضاعفة ، وإن شاء ضاعفها إلى سبعمائة ، كما في قوله : ﴿ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ ﴾ الآية<sup>(١)</sup> ﴿ دِينًا ﴾ نصب على القطع . و﴿ حَنِيفًا ﴾ حال من المضاف إليه ، وهو إبراهيم . والحال من المضاف إليه قليل ؛ لأنه لم يأت إلا لتعريف المضاف ، وليس أحد جزئي الكلمة<sup>(٢)</sup> .

﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ بَنِي رَبِّي وَهُوَ رُبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا نُزِرُ وَأَنْزَرُ وَزَرَّ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ خَلْقَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٥﴾ ﴾

(١) سورة البقرة ، الآية ( ٢٦١ ) .

(٢) تجيء الحال من المضاف إليه بشروط ثلاثة : أحدها : أن يكون المضاف عاملاً عمل الفعل . والثاني : أن يكون جزءاً نحو : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا ﴾ والثالث : أن يكون كالجزم ؛ كهذه الآية ؛ لأن إبراهيم لها لازمها تنزلت منه منزلة الجزء . والنحويون يستضعفون مجيئها من المضاف إليه ، ولو كان المضاف جزءاً ، قالوا : لأن الحال لا بد لها من عامل ، والعامل في الحال هو العامل في صاحبها ، والعامل في صاحبها لا يعمل عمل الفعل . ومن جوز ذلك قدر العامل فيها معنى اللام أو معنى الإضافة ، وهما عاملان في صاحبها عند هذا القائل . وفي إعراب حنيفاً أوجه أخرى ، منها : النصب بإضمار فعل ، أي : تتبع حنيفاً ، وقدره أبو البقاء العكبري بـ « أعني » ، وهو قول الأخفش الصغير وجعل الحال خطأ . النصب على القطع ، وهو رأي الكوفيين ، وكان الأصل عندهم : إبراهيم الحنيف ، فلما نكره لم يمكن اتباعه . النصب على الحال من ملة وتكون حالاً لازمة ؛ لأن الملة لا تتغير عن هذا الوصف . وهذا الأخير الذي اختاره السمين الحلبي في الدر المصون ( ١ / ٣٨٣ - ٣٨٤ ) وينظر في ذلك : أوضح المسالك لابن هشام ( ٢ / ٣٢٤ ) ، شرح ابن عقيل للألفية ( ٢ / ٢٦٧ - ٢٦٨ ) ، الكشاف للزخشي ( ١ / ١٩٤ ) .

النسك : العبادة . وقيل : الحج . وقيل : الذبائح ﴿ وَمَحْيَايَ ﴾ أي : حياتي ﴿ وَلَا نُزْرًا وَازِرَةً ﴾  
 وَزْرًا أُخْرَى ﴾ أي : لا تحمل نفس حاملة ﴿ فَيُنْتِجُكُمْ ﴾ أي : فيجازيكم ﴿ خَلْتِيفَ الْأَرْضِ ﴾  
 أي : في الأرض .

﴿ لِيَسْبُلُوكُمْ ﴾ ليظهر كيف شكركم في الرخاء ، وصبركم في البلاء . أكد كونه غفوراً  
 رحيماً ولم يذكر في العقاب ذلك، إشارة إلى قوله ﷺ حكاية عن ربه عز وجل : « إن رحمتي  
 غلبت غضبي »<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

(١) رواه البخاري رقم ( ٧٤٠٤ ، ٧٤٢٢ ) ، ومسلم رقم ( ٢٧٥١ ) عن أبي هريرة ؓ .

## سورة الأعراف [ مكية ]

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْمَصَّ ١﴾ كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَمْ مِّن قَرِيْبٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بِأَسْنَابِنَا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَانَهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَابِنَا إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْتَكْفُرَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْتَكْفُرَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقْصُرَنَّ عَنْهُمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَن خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ ﴿﴾

قوله: ﴿ كِتَابٌ ﴾ خبر عن ﴿ الْمَصَّ ﴾ إذا قلنا: إنه اسم للسورة أو اسم القرآن ، أو (كتاب) خبر مبتدأ محذوف ، أي : هذا كتاب ، و ﴿ وَذِكْرَى ﴾ مرفوع المحل عطفا على (كتاب) أو: منصوب مفعولاً من أجله معطوف على ﴿ لِتُنذِرَ ﴾ أو مجرور معطوف على موضع ﴿ لِتُنذِرَ ﴾ أي : للإنذار والذكرى . مَا فِي قَوْلِهِ : ﴿ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ زائدة ﴿ قَلِيلًا ﴾ نعت مصدر محذوف ، أي : تتذكرون تذكراً قليلاً . و ﴿ وَكَمْ ﴾ مرفوع المحل أو منصوبه، من باب اشتغال الفعل عن المفعول وضميره .

فإن قلت : القياس : جاءها بأسنا فأهلكناها . فجوابه : أن قوله : ﴿ أَهْلَكْنَاهَا ﴾ أي : أردنا إهلاكها . ﴿ أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾ من القيلولة ، كقوله : ﴿ إِن أْتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> قال الزمخشري <sup>(٢)</sup> : يجوز أن يكون ﴿ دَعْوَانَهُمْ ﴾ مرفوع المحل ؛ اسم كان . و ﴿ أَن قَالُوا ﴾ في موضع نصب ، ويجوز العكس على القاعدة في باب كان . وفيه نظر ؛ لأنه إنما جاز في باب كان في المعرفتين تقديم الخبر ، لفهم المعنى بالإعراب ، وأما ﴿ دَعْوَانَهُمْ ﴾ و ﴿ أَن قَالُوا ﴾ لا يظهر فيهما إعراب <sup>(٣)</sup> فهو كمسألة : ضرب موسى عيسى .

(١) سورة يونس ، الآية (٥٠) .

(٢) ينظر : الكشف للزمخشري ( ٢ / ٨٨ ) .

(٣) يعني أن قوله : ( أن قالوا ) مصدر مؤول ، وقوله : ( دعواهم ) اسم مقصور ، وكلاهما معربان بعلامة مقدره غير ظاهرة .

قال الزمخشري<sup>(١)</sup>: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ الحق : صفة للوزن ؛ أي : الوزن الحق يومئذ .  
﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ أي : ثقلت موازين حسناته ﴿وَمَنْ خَفَّتْ﴾ موازيناته ، والكافر  
يوزن له ولا مقابل للموزون من الحسنات ؛ ليظهر نقص حاله وخسران عاقبته .

واختلف في الموزون ما هو ؟ فقيل : الأعمال ، يجعل الله للحسنات صورة منيرة بثقل  
يرضاها المكلف ، ويجعل للسيئات صورة مظلمة بثقل يرضاها المكلف . وقيل : الموزون  
الصحف ، تجعل صحف الحسنات في كفة ، وصحف السيئات في كفة ، ويدل عليه ما روي  
عن النبي ﷺ أنه قال : « يؤتى برجل يوم القيامة فيخرج له تسعة وتسعون سجلا ، كل سجل  
مد البصر ، مملوء من السيئات ، فيوقن بالهلاك ، فيقول الله تعالى : إنك لا تظلم ، ويؤتى  
بصحيفة فيها : لا إله إلا الله . فتوضع في كفة الحسنات ، فترجح على التسعة والتسعين  
سجلا »<sup>(٢)</sup> .

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ  
مِنَ السَّاجِدِينَ﴾<sup>(١١)</sup> قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ<sup>(١٢)</sup>  
قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ<sup>(١٣)</sup> قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ  
<sup>(١٤)</sup> قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ<sup>(١٥)</sup> قَالَ فِيمَا أُغْوِيْتَنِي لِأَفَعُدَّنَّهُمْ صِرْطَكَ الْمُسْتَقِيمَ<sup>(١٦)</sup> ﴿

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾ أي : خلقنا أباكم آدم ثم صورناه ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾  
تعظيما له ، وذلك مما تختلف فيه الشرائع ، وقد رفع يوسف ﴿أَبُوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوْا لَهُ  
سُجْدًا﴾ .

(لا) في قوله ﴿أَلَّا تَسْجُدَ﴾ زائدة . قوله تعالى : ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ احتج به من اعتقد أن الأمر  
للو جوب ، واحتج به من زعم أنه على الفور ؛ لقوله ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ وقوله : ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾  
تعليل للجواب وليس هو الجواب ؛ بل التقدير : منعتي معرفتي بأنه لا يذل الشريف لمن هو  
دونه ، وأنا خير من آدم ، فلذلك امتنعت . وزعم أن النار تحكم على الطين وتحرقه ، ونسي

(١) ينظر : الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٨٨ ) وعبارته : « ورفع » أي : الوزن على الابتداء ، وخبره

« يومئذ » ، و « الحق » صفته ، أي : والوزن يوم يسأل الله الأمم ورسولهم الوزن الحق ، أي : العدل .

(٢) رواه أحمد ( ٢ / ٢١٣ ، ٢٢١ ) ، والترمذي رقم ( ٢٦٣٩ ) ، وابن ماجه رقم ( ٤٣٠٠ ) ، وابن حبان في

صحيحه رقم ( ٢٢٥ ) ، والحاكم في المستدرک ( ١ / ٦ ، ٥٢٩ ) ، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ،

وصححه الشيخ الألباني - رحمه الله - في السلسلة الصحيحة رقم ( ١٣٥ ) .

أن الطين أصل في التربة والنمو ويحرم التكبر فيها وفي غيرها ، لكن السماء محل الطاعة والتسبيحات والأذكار، فلا يدخل فيها متكبر . والصغار: الذل ؛ كقوله: ﴿ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ (١) .

وأراد إبليس ألا يموت بقوله: ﴿ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ لأموت بعد البعث ، ف قيل : ﴿ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴾ المؤخرين ﴿ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ (٢) وهي النفخة الأولى التي يموت بها كل حي .

﴿ فِيمَا أَغْوَيْتَنِي ﴾ أي : بسبب إغوائك لي ﴿ لَا أَقْدُونَ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ نصب بحذف حرف الجر، أي : على صراطك ، كقوله: [ من الكامل ] :

..... كَمَا عَسَلَ الطَّرِيقَ الثُّعْلَبُ (٣)

﴿ ثُمَّ لَا تَبْتَهُهُم مِّن بَيْن أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ (١٧)  
 قَالَ أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْءُومًا وَمَا مَدْحُورًا لَّمِن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَتَّكِدُمُ اسْتَكُنَّ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِ تَيْهَمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّتَهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَبْنِيءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِيَاسًا يُؤْرِي سَوْءَاتِكُمْ

(١) سورة الأنعام ، الآية (١٢٤) .

(٢) سورة الحجر ، الآية (٣٨) .

(٣) هذا عجز بيت لساعدة بن جؤية الهذلي يصف رجحا بأنه لين يضطرب صلبه في كفه بسبب هزه فلا يبس فيه كما اضطرب الثعلب في الطريق ، و صدره :

لَدُنَّ بِهِزُ الْكَفِّ يَعْسِلُ مَتْنُهُ فِيهِ .....

وينظر في : خزانة الأدب للبغدادي ( ٣ / ٨٣ ، ٨٦ ) ، التصريح للأزهري ( ١ / ٣١٢ ) ، شرح أشعار الهذليين ( ص : ١١٢٠ ) ، شرح الأشموني للألفية ( ١ / ١٩٧ ) الكشاف للزنجشيري ( ٢ / ٩٢ ) ، لسان العرب ( عسل ) مغني اللبيب لابن هشام ( ١ / ١١ ) .

وَرِيْشًا ۖ وَلِبَاسِ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِّنْ ءَايَاتِ اللّٰهِ لَعَلَّهُمْ يَدَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَبْنِيْ ءَادَمَ لَا يَفْنِيَنَّكُمْ الشَّيْطٰنُ كَمَا اَخْرَجَ اَبَوَيْكُمْ مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَا ۗ اِنَّهُۥ يَرٰكُمْ هُوَ وَقَبِيْلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ اِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطٰنَ اَوْلِيَاۗءَ لِلَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ ﴿٢٧﴾

أي : غسل في الطريق ، والغسلان : ضرب من السعي .

﴿ وَلَا تَجِدْ أَكْثَرَهُمْ شٰكِرِيْنَ ﴾ ولقد صدقه الله في ذلك بقوله : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ اِبْلِيسُ ظَنَّهُ ، فَاتَّبَعُوْهُ اِلَّا فَرِيْقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِيْنَ ﴾ <sup>(١)</sup> والمذؤوم : المغيب ، والمدحور : المطرود .

﴿ وَيُقَدِّفُوْنَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴾ <sup>(٨)</sup> دُحُوْرًا ﴿ <sup>(٢)</sup> أي : طردًا . اللام في ﴿ لِيُبْدِيَ ﴾ لام كي ، ويجوز أن تكون لام العاقبة ؛ كقوله : ﴿ فَالْتَقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُوْنَ لَهُمْ عَدُوًّا ﴾ <sup>(٣)</sup> .

﴿ اِلَّا اَنْ تَكُوْنَا ﴾ إلا كراهة أن تكونا . ﴿ وَقَاسَمَهُمَا ﴾ حالفهما ﴿ اِنِّيْ ﴾ ناصح ﴿ لَكُمْ ﴾ من الناصحين ﴿ فَدَلَّيْنَهُمَا ﴾ توصل إلى إضلالهما كتوصل من يدلي دلوه في البئر ليتوصل به إلى أخذ الماء . ﴿ يَخْصِفٰنِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَّرَقِ الْجَنَّةِ ﴾ يجعلان بعضه على بعض ليستر سوءتهما . ﴿ قَالَ اَهْبِطُوْا ﴾ آدم وحواء وإبليس . وقيل : والحية . وقيل : ﴿ اَهْبِطُوْا ﴾ خطاب لآدم وحواء خاصة ؛ لقوله في مكان آخر : ﴿ قَالَ اَهْبِطَا ﴾ <sup>(٤)</sup> وإنما جمعه لأن آدم وحواء أصل لجميع البشر . ﴿ وَلَكُوْا فِي الْاَرْضِ مُسْتَقَرًّا ﴾ مكان ، أو استقرار . ﴿ فِيْهَا تَحْيَوْنَ ﴾ أي : في الأرض . ﴿ وَرِيْشًا ﴾ شبه لباس الثياب بريش الطائر الذي يستره ويزينه .

ومن قرأ (لباس) بالنصب ، فهو إخبار عن الله بأن الله جعل لباس التقوى خيرًا .

ومن قرأ ﴿ وَلِبَاسِ التَّقْوَىٰ ﴾ فهو مبتدأ خبره ﴿ خَيْرٌ ﴾ <sup>(٥)</sup> وقوله ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ يتنزل منزلة قوله هؤلاء . ﴿ يَفْنِيَنَّكُمْ الشَّيْطٰنُ ﴾ هو كقوله : ﴿ كَمَا اَخْرَجَ اَبَوَيْكُمْ مِّنَ الْجَنَّةِ ﴾ بأن زين لهما

(١) سورة سبأ ، الآية (٢٠) .

(٢) سورة الصافات ، الآيتان (٨ ، ٩) .

(٣) سورة القصص ، الآية (٨) .

(٤) سورة طه ، الآية (١٢٣) .

(٥) قرأ نافع وابن عامر والكسائي وأبو جعفر «ولباس التقوى» ، وقرأ الباقون «ولباسُ التقوى» .

تنظر في البحر المحيط لأبي حيان (٤ / ٢٨٣) ، الحجة لابن خالويه (ص : ١٥٤) ، الدر المصون

للسمين الحلبي (٣ / ٢٥٣) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٢٨٠) ، الكشاف للزنجشيري (٢ / ٩٧) ،

النشر لابن الجزري (٢ / ٣٦٨) .

أكل الشجرة المنهي عنها فكان ذلك سببا في خروجهما ، وذلك تسبب في نزع اللباس ؛ لأنه لم يباشر خلع ثيابهم ؛ بل تسبب إلى ذلك .

﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّمَا أَمَرَ بِالْفَحِشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ يَبْنِي عَادٌ خُدُوعًا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾

وكانت الحمس يطوفون بالبيت عراة ويقولون : لا تطوف بيت الله بشباب عصينا الله - تعالى - فيها ، وكانوا لا يعيرون ثيابهم لمن يجيء حاجا إلا بشيء كثير يأخذونه منه ، فنزلت : ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً ﴾ الآية<sup>(١)</sup> .

﴿ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ تقولون : إن الله أمركم ؛ فلا يدخل فيه مسائل الفقه المظنونة ، فإنها ليست معلومة ؛ لأنها مستثناة بعمل الصحابة - رضي الله عنهم - بالقياس وهو ظن . ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ تبعثون غرلا<sup>(٢)</sup> حتى لو قطع عضو من آدمي في حياته بعث يوم القيامة كامل الأعضاء . ﴿ خُدُوعًا زِينَتَكُمْ ﴾ قيل : هي اللباس .

وقيل : تسريح اللحية ، قال بعضهم : وجمع الله طبَّ الأولين والآخرين في قوله : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ ﴿ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ الآية يعني : هي للمؤمنين في الدنيا يشاركون فيها الكفار ، وفي الآخرة تخلص للمؤمنين ﴿ وَالْإِثْمَ ﴾ هو المعصية ؛ لأنه يوجهه . وقيل : الإثم : الخمر ؛ قال الشاعر [ من الوافر ] :

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ٨ / ١٥٤ ) ، وزاد نسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٣ / ٤٣٦ ) لابن المنذر

وأبي الشيخ عن ابن عباس - رضي الله عنهما .

(٢) الغرل - بضم الغين المعجمة وإسكان الراء - معناه : غير مختونين ، جمع أغرل وهو الذي لم يختن وبقيت

معه غرلته وهي قلفته ، وهي الجلدة التي تقطع في الختان . ينظر : لسان العرب (غرل) .

شربت الإثم حتى ضلّ عقلي كذاك الإثم تذهب بالعقول<sup>(١)</sup>

وهذا ضعيف ؛ لأنه غريب في الاستعمال ؛ ولأن هذه السورة مكية ، ولم تحرم الخمر إلا بعد الهجرة إلى المدينة<sup>(٢)</sup> . ﴿ مَا تَزِيلُ بِهِ ﴾ أي : ما لم يقم به حجة وبرهاننا .

﴿ يَبْنِيءَ آدَمَ إِمَامًا يَأْتِينَكُمْ رَسُولٌ مِنْكُمْ يَفْضُونَ عَلَيْكُمْ ءَابَتِي فَمَنْ أَتَقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٣٥) وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَأَسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ءُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكُتُبِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا آيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَيْنَا أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا آدَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَبْتُمْ وَأُخْرَبْتُمْ رَبَّنَا هَتُّولَاءِ أَضَلُّونَا فَعَاتَيْهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُوْلَاهُمْ لِأُخْرَبْتُمْ فَمَا كُنَّا لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَأَسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ

(١) البيت أنشده الأصمعي ينظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٢ / ١٥٧ ) ، تاج العروس للزبيدي ( إثم ) ،

تهذيب اللغة للأزهري ( ١٥ / ١٦١ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ١ / ٢٨٥ ، ٣ / ٢٦٣ ) ، روح

المعاني للألوسي ( ٨ / ١١٢ ) لسان العرب ( أثم ) ، النكت والعيون للماوردي ( ٢ / ٢٥ ) .

(٢) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ( ١٠ / ٣١ ، ٣٢ ) : قال أبو جعفر النحاس : وقول من قال : إن

الخمر تسمى الإثم لم نجد له أصلا في الحديث ولا في اللغة ولا دلالة أيضا في قول الشاعر :

شربت الإثم حتى ضل عقلي كذاك الإثم تذهب بالعقول

فإنه أطلق الإثم على الخمر مجازا بمعنى أنه ينشأ عنها الإثم .

وقال السمين الحلبي في الدر المصون ( ٣ / ٢٦٣ ) : والذي قاله الحذاق : أن الإثم ليس من أسماء

الخمر ؛ قال ابن الأنباري : الإثم لا يكون اسما للخمر ؛ لأن العرب لم تسم الخمر إثما في جاهلية ولا

إسلام .... وكيف يكون ذلك ، وكانت الخمر حين نزول هذه السورة حلالا ؛ لأن السورة مكية ،

وتحريم الخمر إنما كان في المدينة بعد « أحد » ، وأما ما أنشده الأصمعي من قوله :

فقد نصوا أنه مصنوع ..... شربت الإثم حتى ضل عقلي



هَدَيْنَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمْ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبِّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾

(ما) في ﴿إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ زائدة ، وقوله: ﴿فَمَنْ أَتَقَى وَأَصْلَحَ﴾ شرط جوابه ﴿فَلَا خَوْفٌ﴾ وهذا الشرط وجوابه جواب ﴿إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ . ﴿نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾ أي: مما كتب لهم من خير وشر . ﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ أي: يتوفون أزواجهم . ﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾ غابوا عن أعيننا فلا نراهم ، وقد رأوهم في موقف العرض ؛ لقوله: ﴿وَإِذْ أَرَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ﴾ الآية<sup>(١)</sup> . ﴿أَدْخُلُوا فِي أُمَمٍ﴾ أي: مع أمم ، أو في زمرة أمم . ﴿أَذَارِكُوا فِيهَا﴾ أي: تداركوا ﴿قَالَتْ أَخْرَبْنَهُمْ﴾ التي دخلت أخيراً ﴿لِأُولَئِهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا﴾ يعني: الأكابر والسادات من المشركين ، كانوا يدعونهم إلى الضلال فيتبعونهم ، ولو آمن الرؤساء لآمن هؤلاء الأتباع . ﴿لَا تَفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ﴾ أي: لا تفتح لدعائهم ، أو لا تفتح لأعمالهم التي تصعد بها الحفظة و ﴿الْجَمَلُ﴾ هو الحيوان المعروف ، وقيل: ﴿سَرَّ الْخِيَاطِ﴾: ثقب الإبرة ، والمراد إبعاد فتح السماء لهم . وقوله: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ خبر عن ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ . وقوله: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ جملة معترضة بين المبتدأ والخبر ، ووجه اعتراضها أنه يقول: لا يظن في قول الذين آمنوا وعملوا الصالحات استغراق جميع الأوقات في العمل ، بل المراد في حق كل مكلف ما يليق به .

﴿هَدَيْنَا لِهَذَا﴾ أي: لعمل حصل منه هذا . ﴿أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يريد المنازل المخصوصة ، فإنها تترتب على الأعمال ؛ لقوله: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾<sup>(٢)</sup> وأما دخول الجنة فإنه بفضل الله وبرحمته ، وقال عن المؤمنين: ﴿قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبِّنَا﴾ وفي حق الكفار: ﴿فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾ فإن الكفار يتألمون بنعيم المؤمنين ، كما يتألمون بألم أنفسهم .

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾<sup>(٤٥)</sup> وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَانِهِمْ وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا

(١) سورة النحل ، الآية (٨٦) .

(٢) سورة الأحقاف ، الآية (١٩) .

يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَانِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهْتُولَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا  
يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ  
أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى  
الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلِعِبَابًا وَعَرَّتَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَأَلْيَوْمَ  
نَنسَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِتَابِعِينَ يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ  
بِكِتَابٍ فَصَلَّنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ  
الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ  
الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي  
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى الْيَلَّ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ مَا  
وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴿٥٥﴾

﴿يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعرضون عنها أو يمنعون الناس من سلوكها. ﴿يَعْرِفُونَ كَلًّا﴾ من  
أهل السعادة والشقاوة. ﴿بِسِيمَانِهِمْ﴾ أي: بعلامتهم من بياض الوجوه وسوادها أو غير  
ذلك. ﴿وَنَادَى﴾ أو وينادي أصحاب الأعراف ﴿أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾. وقوله: ﴿لَمَّا يَدْخُلُوهَا﴾  
أي: المؤمنون المسلم عليهم. وقيل: هم أصحاب الأعراف، إذا قلنا هم أصحاب اليمين،  
أو هم الشهداء، أو أولاد المؤمنين، أو أولاد الكافرين الذين لم يبلغوا ﴿لِقَاءَ﴾ أي: جهة.  
﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ يجوز أن تكون (ما) نافية، وأن تكون استفهاماً بمعنى الإنكار.  
﴿أَهْتُولَاءِ﴾ أشاروا به إلى فقراء الصحابة، كخباب وسلمان وبلال وابن مسعود.  
﴿حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ منعهم منها كقوله: ﴿وَحَرَّمَ عَلَى قَرَبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾<sup>(١)</sup>.  
وجاءت: ﴿وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ﴾ ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ﴾ بلفظ  
الماضي؛ لأن أمور القيامة وغيرها من المستقبلات معلوم عنده علم يقين؛ لأن علم الله ليس  
فيه ماض ولا استقبال، فاختر لفظ الماضي؛ لأنه أدل على التحقيق في عرف استعمالنا.

﴿اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا﴾ قيل: أراد به أعياد الكفار. وقيل: إن الرجل منهم كان يعبد  
الصنم فإذا رأى صنماً أحسن منه ترك الأول ﴿فَأَلْيَوْمَ نَنسَهُمْ﴾ نجازيهم على نسيانهم بما  
أهملوا العمل للقاء يومهم هذا، وبكونهم بآيات الله يجحدون. ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ يجوز أن  
يكون مصدرًا محذوف الفعل، وأن يكون مفعولاً من أجله، ويجوز أن يكون حالاً من

(١) سورة الأنبياء، الآية (٩٥).

ضمير جئنا<sup>(١)</sup> للفاعل أو المفعول. ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ ﴾ إلا عاقبته ، يؤمن به الكفار حين لا ينفعهم الإيمان. وقوله : ﴿ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ ﴾ تمنُّ من الكفار، ولا ينفع في حق الكفار شفاعة ، كما أن ردهم إلى الدنيا ممتنع. ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَى ﴾ ثم قهر واستولى<sup>(٢)</sup> ؛ كقوله [من الرجز] :

(١) يعني في قوله - تعالى : ﴿ جِئْتَهُمْ ﴾ في أول الآية .

(٢) اختلف الناس في الاستواء المذكور هنا فقالت المعتزلة: معناه : الاستيلاء بالقهر والغلبة واحتجوا بقول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهران

قال ابن بطلال : فأما قول المعتزلة فإنه فاسد لأنه لم يزل قاهرا غالبا مستوليا وقوله : ثم استوى يقتضي افتتاح هذا الوصف بعد أن لم يكن ولازم تأويلهم أنه كان مغالبا فيه فاستولى عليه يقهر من غالبه وهذا متف عن - الله سبحانه - وقالت المجسمة : معناه الاستقرار . قال ابن بطلال : وأما قول المجسمة ففاسد أيضا ؛ لأن الاستقرار من صفات الأجسام ويلزم منه الحلول والتناهي وهو محال في حق الله - تعالى - ولائق بالمخلوقات لقوله - تعالى : ﴿ فَإِذَا أَسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفَلَكَ ﴾ وقوله : ﴿ لِيَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ قال : وقال بعض أهل السنة : معناه : ارتفع ، وبعضهم معناه : علا ، وبعضهم معناه : الملك والقدرة ومنه استوت له الممالك يقال لمن أطاعه أهل البلاد . وقيل : معنى الاستواء : التمام والفراغ من فعل الشيء ، ومنه قوله - تعالى : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى ﴾ فعلى هذا فمعنى استوى على العرش : أتم الخلق ، وخص لفظ العرش لكونه أعظم الأشياء . وقيل : إن (على) في قوله : ﴿ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ بمعنى إلى فالمراد على هذا : انتهى إلى العرش أي : فيما يتعلق بالعرش ؛ لأنه خلق الخلق شيئا بعد شيء . قال ابن بطلال : وأما تفسير استوى علا فهو صحيح وهو المذهب الحق وقول أهل السنة ؛ لأن الله - سبحانه - وصف نفسه بالعلي ، وقال : ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ وهي صفة من صفات الذات .

وأما من فسر : ارتفع ففيه نظر ؛ لأنه لم يصف به نفسه ، قال : واختلف أهل السنة هل الاستواء صفة ذات أو صفة فعل ؟ فمن قال : معناه علا . قال : هي صفة ذات . ومن قال غير ذلك قال : هي صفة فعل ، وإن الله فعل فعلا سماه استوى على عرشه لا أن ذلك قائم بذاته لاستحالة قيام الحوادث به .

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري : وقد ألزمه من فسر بالاستيلاء بمثل ما ألزم هو به من أنه صار قاهرا بعد أن لم يكن فيلزم أنه صار غالبا بعد أن لم يكن والانفصال عن ذلك للفريقين بالتمسك بقوله - تعالى : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ فإن أهل العلم بالتفسير قالوا : معناه : لم يزل كذلك ، وقد نقل أبو إسماعيل الهروي في كتاب الفاروق بسنده إلى داود بن علي بن خلف قال : كنا عند أبي عبد الله بن الأعرابي يعني محمد بن زياد اللغوي فقال له رجل : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ فقال : هو على العرش كما أخبر ، قال : يا أبا عبد الله إنما معناه : استولى ، فقال : اسكت لا يقال : استولى على الشيء إلا أن =

قد استوى بشر على العراق ..... (١)

يجعل الليل غاشيا للنهار، ومغظ له ، وكل واحد منهما كالطالب للآخر ﴿يَطْلُبُهُ﴾ طلباً ﴿حَيْثُ﴾ الطلب هاهنا استعارة . ومن نصب الشمس والقمر والنجوم فقد عطفه على

= يكون له مضاد . وقال غيره : لو كان بمعنى استولى لم يختص بالعرش ؛ لأنه غالب على جميع المخلوقات، ونقل محيي السنة البغوي في تفسيره عن ابن عباس وأكثر المفسرين أن معناه: ارتفع . وقال أبو عبيد والفراء وغيرهما بنحوه . وأخرج أبو القاسم اللالكائي في كتاب السنة من طريق الحسن البصري عن أمه عن أم سلمة أنها قالت : «الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإقرار به إيمان والجحود به كفر» .

ومن طريق ربيعة بن أبي عبد الرحمن : « أنه سئل كيف استوى على العرش ؟ فقال : الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول وعلى الله الرسالة وعلى رسوله البلاغ وعلينا التسليم» . وأخرج البيهقي بسند جيد عن الأوزاعي قال : «كنا والتابعون متوافرون نقول : إن الله على عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته» . وأخرج الثعلبي من وجه آخر عن الأوزاعي : «أنه سئل عن قوله - تعالى : ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ فقال : هو كما وصف نفسه» .

وأخرج البيهقي بسند جيد عن عبد الله بن وهب قال : «كنا عند مالك فدخل رجل فقال : يا أبا عبد الله ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ كيف استوى ؟ فأطرق مالك فأخذته الرخصاء ثم رفع رأسه فقال : الرحمن على العرش استوى كما وصف به نفسه ولا يقال : كيف وكيف عنه مرفوع وما أراك إلا صاحب بدعة أخرجوه» .

نقول : والمذهب الصحيح في جميع ذلك : الاقتصار على ما ورد به التوقيف دون التكييف وإلى هذا ذهب المتقدمون ومن تبعهم من المتأخرين وقالوا : الاستواء على العرش قد نطق به الكتاب في غير آية ووردت به الأخبار الصحيحة وقبوله من جهة التوقيف واجب ، والبحث عنه وطلب الكيفية له غير جائز ، وهذا هو مذهب السلف الصالح وما عليه أئمة المسلمين من الأئمة الأربعة والثوري والأوزاعي وغيرهم من أئمة المسلمين : وهو إمرار هذا الآية في الاستواء وما شاكلها من آيات الصفات كما أتت دون تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تكييف . وينظر في ذلك : الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للبيهقي ( ١ / ١١٥ ) ، تفسير ابن كثير ( ٢ / ٢٢٠ ) ، تفسير القرطبي ( ٧ / ٢١٩ ) ، شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (ص: ٢٠٠) ، فتح الباري لابن حجر ( ١٣ / ٤٠٥ - ٤٠٧ ) .

(١) هذا صدر بيت للأخطل وعجزه : ..... من غير سيف ودم مهراق

وليس في ديوانه ، ينظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ١ / ١٣٤ ) ، تاج العروس للزبيدي (سوا)، تفسير القرطبي ( ١ / ١٧٦ ) ، الدر المصون للسمن الحلبي ( ١ / ١٧٢ ) ، رصف المباني للمالقي (ص: ٣٧٢) ، لسان العرب (سوا) ، النكت والعيون للماوردي ( ٢ / ٣٢ ) .

السموات والأرض ، ومن رفعها <sup>(١)</sup> فهي مبتدأ ، و ﴿مُسْحَرَاتٍ﴾ الخبر ﴿أَلَا لَهُ﴾ الإيجاد والتصرف في الموجودات بالأمر والنهي ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ﴾ جاء بكل بركة . وقيل : تبارك بمعنى تعالى .

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

قوله: ﴿وَخُفْيَةً﴾ يدل على تفضيل دعاء السر؛ كقوله: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ <sup>(٢)</sup> ﴿لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ المجاوزين الحد في رفع الصوت . وقيل : هو عام في النهي عن كل اعتداء ومجاوزة حد . ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بالكفر بعد إصلاح الله إياها ببعث الرسل . وقيل : الفساد في الأرض : إهلاك الحرث والنسل وسائر أنواع الظلم بعد إصلاح الله إياها بالأمر بالعدل . ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ ذات قرب .

من قرأ ( نُشْرًا ) بضم الشين فهو جمع نُشور بفتح النون ؛ كصبور و صبر . ومن سكن الشين فهو تخفيف ، كعضد في عضد ، ومن قرأ ﴿بُشْرًا﴾ فإنها تبشر بالمطر <sup>(٣)</sup> ؛ كقوله: ﴿يُرْسِلُ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ <sup>(٤)</sup> . ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ﴾ حملت ﴿سَحَابًا ثِقَالًا﴾ كثيرة الماء ، دانية من الأرض ﴿وَالْبَلَدَ الطَّيِّبُ﴾ المنبت ﴿وَالَّذِي خَبَثَ﴾ الأرض الملح ، وهذا مثل ضربه الله للقلوب [ يُعْرَضُ ] عليها القرآن فيشمر لبعضها الخضوع والانقياد ومعرفة الله بالوحدانية

(١) قرأ ابن عامر بالرفع هنا في الأعراف وفي النحل ، ووافقه حفص عن عاصم في النحل ، وقرأ الباقون بالنصب في الموضعين ، وقرأ أبان بن تغلب برفع «النجوم» وما بعدها . تنظر في : الدر المصون للسمين الحلبي ( ٣ / ٢٨١ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٢٨٣ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٨٣ ) .

(٢) سورة مريم ، الآية (٣) .

(٣) قرأ عاصم «بُشْرًا» ، وقرأ ابن عامر «نُشْرًا» ، وقرأ حمزة والكسائي وخلف «نُشْرًا» ، وقرأ الباقون

«نُشْرًا» تنظر القراءات في : إتحاف فضلاء البشر للبنا ( ٢ / ٥٢ ) ، البحر المحيط لأبي حيان ( ٤ / ٣١٦ ) ،

التيان للعكبري ( ١ / ٢٧٦ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ١٥٧ ) ، الحجة لأبي علي الفارسي ( ٤ /

٣١ ، ٣٢ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٣ / ٢٨٤ ، ٢٨٥ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٢٨٣ ) ،

النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٧٠ ) .

(٤) سورة الروم ، الآية (٤٦) .

والقدرة وعظم الملك ، ولا يزيد الظالمين إلا خساراً . لما قال : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ ببعثة الرسل شرع في قصص الأنبياء وما جاؤوا به من الإصلاح وما قابلهم به قومهم من العناد .

﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرِيكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَتَقَوَّمُوا لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرِيكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَتَقَوَّمُوا لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءً مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً فَادْكُرُوا ءَالَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَدِّلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ ﴾

ولقد صرح بهذا في قصة شعيب حيث قال : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ ﴿ الْمَلَأُ ﴾ الأشراف ، وقد ذكر اشتقاقه في سورة البقرة <sup>(١)</sup> جعلوا نوحاً منغمساً في الضلالة قد أحاطت به وصارت طرفاً له، وكما بالغوا في ذلك بالغ نوح في التبري، فأتى بالبلاء التي للإلصاق، فكانه يقول : والله ما التصقت بي ضلالة قط ولا مستني. وأيضاً نسبوه إلى الضلال ، المصدر الذي يصلح للقليل والكثير، فبالغ نوح فقال : ما مستني ضلالة واحدة ، ويلزم من نفي المتعدد نفي الواحد ، ومثله في قصة عاد ، قالوا لهود : ﴿ إِنَّا لَنَرِيكَ فِي سَفَاهَةٍ ﴾ ﴿ قَالَ يَتَقَوَّمُوا لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ ﴾ أكفرتم وعجبتكم من أن جاءكم ذكر بذكر وموعظة

(١) عند قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ ﴾ الآية (٢٤٦) .

أو شرف ؛ كقوله: ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ <sup>(١)</sup> أي: شرف ﴿ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ ﴾ تعرفون صدقه ودينه ، فهو أحق بالاتباع من أن يجيئهم رجل غريب لا يعرفون صدقه فيما سبق من عمره . ﴿ عَمِيَّت ﴾ جمع (عم) . ﴿ فَأَذْكُرُواْ ءَالَآءَ اللّٰهِ ﴾ نعمه ، أنكروا توحيد الإله وأنكروا على من اعتقده وطلب من الناس من يتابعه عليه ، وهو كقوله: ﴿ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ مُّجَابٌ ﴾ <sup>(٢)</sup> ﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: قرب وقوعه ؛ كقوله: ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللّٰهِ ﴾ <sup>(٣)</sup> والرجس هاهنا : العذاب ، كالرجز ، بالزاي . ﴿ وَعَغَضُ ﴾ هذا يقوى قول من زعم أن غضب الله انتقامه وبطشه ، أما من زعم أنه إرادة الانتقام فيبعده هذه الآية ؛ لأن الإرادة قديمة لا توصف بالوقوع ﴿ أَتَجِدَلُونِنِي ﴾ في تسمية الأصنام آلهة وهو مما لم ينزل الله به حجة ، ومضى ذكر الدابر في الأنعام <sup>(٤)</sup> .

﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايِنِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ <sup>(٧٢)</sup> وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللّٰهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَ تَكْثُفٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللّٰهِ لَكُمْ ءَايَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّٰهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ الْعِيسَىٰ <sup>(٧٣)</sup> وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءً مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ ثَمَّخْتُمُوهَا مِن سُهُولِهَا فَبُغِضُوا وَنَجَّيْنَا الْجِبَالَ لِيُؤْتُوا فَأَذْكُرُوا ءَالَآءَ اللّٰهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ <sup>(٧٤)</sup> قَالَ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ أَسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَتَىٰ صَالِحًا مَّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ ؕ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ <sup>(٧٥)</sup> قَالَ الَّذِينَ أَسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ <sup>(٧٦)</sup> فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ أَتُنَادِيَنَا بِمَا تَعْدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ <sup>(٧٧)</sup> فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ <sup>(٧٨)</sup> فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ <sup>(٧٩)</sup> وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ؕ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ <sup>(٨٠)</sup> إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ؕ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ <sup>(٨١)</sup> وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ ؕ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّن قَرْيَتِكُمْ ؕ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْظَهُرُونَ <sup>(٨٢)</sup>

(١) سورة الزخرف ، الآية (٤٤) .

(٢) سورة ص ، الآية (٥) .

(٣) سورة النحل ، الآية (١) .

(٤) يعني في سورة الأنعام عند قوله تعالى: ﴿ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ الآية (٤٥) .

فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرُوا  
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا  
اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ  
وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا  
ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾

أي: وأرسلنا ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾ فقال: يا قوم اعبدوا الله . ﴿ آيَةٌ ﴾ نصب  
على الحال ، والعامل فيه اسم الإشارة . ﴿ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ﴾ يريد أن الناقة ناقتة ،  
والأرض ملكه أفتنعون ناقتة أن ترعى في ملكه ! ﴿ وَبِؤَاكُمُ فِي الْأَرْضِ ﴾ أسكنكم فيها  
وممكنكم من التصرف ، وأصله من باء : إذا رجع ، فجعل الأرض مباءة ترجعون إليها في  
حوائجكم ومنه ﴿ بَوَانَا بَنِي إِسْرَائِيلَ بُؤَا صِدْقٍ ﴾ <sup>(١)</sup> ﴿ بِيُوتًا ﴾ حال ؛ لأنها صارت بالنحت  
بيوتا، وهو كقوله: بريت الأنبوبة قلما . ﴿ نَعَثُوا ﴾ من عثي يعثي ، وهو كقولك: لا ترضوا ،  
من رضي يرضى . ﴿ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ﴾ عن الإيمان .

﴿ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ ﴾ بدل بعض من الكل بإعادة العامل وهو اللام ؛ كقوله: ﴿ لَجَعَلْنَا  
لِمَنْ يَكْفُرْ بِالرَّحْمَنِ لِيُوشِيحَهُمْ ﴾ <sup>(٢)</sup> بخلاف قوله: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ ﴾ <sup>(٣)</sup>  
و ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الثَّمَرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾ <sup>(٤)</sup> فإنه لم يعد العامل فيهما. العاقر للناقة واحد ،  
ونسب الفعل إلى الجماعة ؛ لأنهم كانوا راضين به . ﴿ جَثِيمِينَ ﴾ باركين على الركب .

﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ  
وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ وَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ  
عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ <sup>(٥)</sup> وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلَتْ بِهِ، وَطَائِفَةٌ لَمْ  
يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ  
قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَئِكَ كَإِهْمِ  
﴿٨٨﴾ قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّيْنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا

(١) سورة يونس ، الآية (٩٣) .

(٢) سورة الزخرف ، الآية (٣٣) .

(٣) سورة آل عمران ، الآية (٩٧) .

(٤) سورة البقرة ، الآية (٢١٧) .



أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِيِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿٩١﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَنَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَتِي ربي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَأُ عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ ﴿

﴿ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا ﴾ غني بالمكان إذا أقام به ، وتسمى المنازل المغاني . ﴿ فَنَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ ﴾ مخاطبا لهم وهم موتى متحزنا متأسفا على هلاكهم : ﴿ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَتِي ربي ﴾ وقد رتب قوم لوط على الوصف ضد مقتضاه ، فإنهم إذا كانوا أناسا يتطهرون من الخبائث وأفعال السفهاء ، فكان ينبغي أن يتقرب إلى قلوبهم ، وأن يكرموا .

قيل في قوله : ﴿ وَأَمْطَرْنَا ﴾ إن أمطر في الشر ، ومطر في الخير . ولم يبين بينة شعيب ، فقيل : إنه كان أعمى ثم أبصر ثم عمي ثم أبصر ، وهذا ضعيف ؛ لأن البصر بعد العمى يقع لنفر من المسلمين ، ولنفر من الكفار فلا يكون معجزاً ، وكذلك قالوا في معجزة نوح : إنه عاش ألف سنة وستين سنة ، وهذا فاسد ؛ لأنه إذا ادعى النبوة بعد أربعين من عمره قالوا له : ما معجزاتك ؟ قال : إني أعيش ألف سنة ، فيقولون له : حتى تستكملها ونعلم حينئذ صدقك ، والصواب ما جاء في الحديث : « إذا استأثر الله بشيء فإله عنه »<sup>(١)</sup> . فإذا لم يذكر الله معجزتهم لم نختلفها .

﴿ وَتَصُدُّونَ ﴾ وتمنعون ، والمفعول ﴿ مِنْ ءَامِنَ ﴾ ﴿ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ وتطلبون بها اعوجاجا . ﴿ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ من الأمم الذين قبلكم ، فإنهم كذبوا فأهلكناهم . ﴿ أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ أي : لا بد من وقوع أحد أمرين ؛ إما إخراجنا إياكم ، وإما رجوعكم إلى اعتقادنا . الواو في ﴿ أَوْلَوْ ﴾ واو الحال ، أي : تخرجوننا ولو كنا كارهين ، وتحتمل أن تكون واو عطف على محذوف ، أي : أخرجوننا إذا كنا

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣٦٨/٢) ، وابن الأثير في النهاية في غريب الأثر (٢٨٣/٤) وقال : فإله عنه ، أي : أتركه وأعرض عنه ولا تتعرض له .

طائعين، وتخرجوننا إذا كنا كارهين ، ويصح الإكراه مع الكراهية والطواعية .

وقوله : ﴿ إِن عُدْنَا ﴾ يريد به : إن صرنا . وكذلك ﴿ أَوْلَتَعُوذُنَّ ﴾ فإن من آمن معه لم يكونوا في ملتهم حتى يعودوا إليها ، وكذلك قوله : ﴿ أَنْ نَعُودَ فِيهَا ﴾ .

﴿ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ أي : وسع علمه كل شيء . ﴿ رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ الحاكمين . ﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبًا ﴾ كرهه للنداء عليهم بوصف التكذيب . ﴿ فَكَيْفَ ءَأَسَى ﴾ فكيف أحزن ؟ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ ﴾ إلا ابتلي أهلها بالبأساء ليظهر كيف صبرهم ؟ ثم ابتلوا بالنعماء ، فيظهر كيف شكرهم ؟ المراد بالحسنة هاهنا : ما يحسن عندهم من صلاح الأحوال وسعة الأرزاق ، والمراد بالسيئة ما يسوؤهم ، كالأعلال والأمراض والغلاء وغير ذلك . ﴿ حَتَّىٰ عَفَوْا ﴾ حتى كثروا . قوله : ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ توكيد لمعنى بغتة ، أي : أجهل أهل القرى فأمنوا أن يأتيهم بأسنا وهو نائمون غافلون ، أو وهم ضاحكون لاعبون ؟ ثم بين أن الأمن من مكره مطلقاً لا يفعله إلا الخاسرون . أو لم بين لمن جاء بعدهم أنا لو شئنا أصبناهم بذنوبهم كما أصبنا أولئك فطبعنا على قلوبهم فلا يوفقون لصلاح أعمالهم .

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوْلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَّوِ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾

﴿ تِلْكَ ﴾ مبتدأ و ﴿ الْقُرَى ﴾ صفة . و ﴿ نَقُصُّ ﴾ الخبر ، ويجوز أن يكون ﴿ تِلْكَ ﴾

منصوبة بفعل مضمر من باب اشتغال الفعل عن المفعول بضميره ، ويجوز أن يكون

﴿ تِلْكَ ﴾ مبتدأ و ﴿ الْقُرَى ﴾ خبراً و ﴿ نَقُصُّ ﴾ حالاً ، أي: تلك القرى مقصوداً عليك من أنبائها ، وإن كان المعنى على الحال ؛ كقوله: ﴿ فِتْلِكَ يُوْتُهُمْ خَاوِيَةً ﴾<sup>(١)</sup> ﴿ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا ﴾<sup>(٢)</sup> . لأنه ليس المقصود الإخبار بأن هذه بيوتهم ، وأن هذا بعلها ، بل الإخبار بخواء البيوت وشيخوخة البعل . ﴿ مِّنْ عَهْدٍ ﴾ أي: من وفاء عهد ؛ كقوله: ﴿ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ ﴾<sup>(٣)</sup> أي: لا وفاء بالأيمان ؛ كقول الشاعر [من الطويل] :

وإن حلفت لا تنقض الدهر عهدا فليس لمخضوب البنان يمين<sup>(٤)</sup>

أي: ليس لها وفاء يمين ، وإلا فهي قد حلفت ، ومنه: ﴿ فَكَيْلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ ﴾<sup>(٥)</sup> في فتح همزة «أيمان» فلا وفاء أيمان لهم . «إن» في ﴿ وَإِنْ وَجَدْنَا ﴾ مخففة من الثقيلة ، واللام في ﴿ لَفَاسِقِينَ ﴾ هي الفارقة بينها وبين النافية ، وقوله: ﴿ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ أي: من بعد إهلاكهم ، وهو توكيد لمعنى ﴿ ثُمَّ ﴾ فإن «ثم» دلت على المهلة والترتيب ، ولم يزد معنى بقوله: ﴿ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ إلا قوة . ضمن ﴿ فَظَلَمُوا ﴾ معنى ﴿ كَذَبُوا ﴾ فعدها بالباء ؛ كقوله [من الرجز] : قد قتل الله زياداً عني<sup>(٦)</sup>

ضمن قتل معنى صرف ، فعدها بعن ، يجوز أن تكون ﴿ كَانَتْ ﴾ تامة ، و ﴿ عَقِبَةٌ ﴾ هي الفاعل ، ويجوز أن تكون ناقصة ، و ﴿ كَيْفَ ﴾ خبر مقدم ؛ لأنه استفهام ، و ﴿ عَقِبَةٌ ﴾ اسم كان ﴿ حَقِيقٌ عَلَى ﴾ ضمن حقيقاً معنى واجب في قراءة من قرأ ﴿ عَلَى ﴾ بالتشديد ، ومن قرأ ﴿ عَلَى ﴾ فمن كان حقيقاً بشيء كان ذلك الشيء حقيقاً به<sup>(٧)</sup> وقوله:

(١) سورة النمل ، الآية (٥٢) .

(٢) سورة هود ، الآية (٧٢) .

(٣) سورة التوبة ، الآية (١٢) .

(٤) ينظر البيت في : تفسير القرطبي ( ٧٦ / ٨ ) ، خزانة الأدب للبغدادي ( ٢٣٧ / ١ ) ، ديوان الحماسة للمرزوقي ( ١٠٧ / ٢ ) ، صبح الأعشى للقلقشندي ( ٣١٣ / ١٤ ) ، المستقصى في أمثال العرب للزمخشري ( ٣٠٧ / ٢ ) .

(٥) سورة التوبة ، الآية (١٢) .

(٦) الرجز للفرزدق ، وقبله : كيف تراني قالبا بجني أقلب أمري ظهره للبطن .

ينظر في : تاج العروس ( ظهر ، قتل ، جنن ) ، شرح الأشموني ( ٢٠٠ / ١ ) ، لسان العرب ( ظهر ، قتل ، جنن ) ، المحتسب لابن جني ( ٥٢ / ١ ) ، مغني اللبيب لابن هشام ( ٦٨٦ / ٢ ) .

(٧) قرأ نافع من العشرة " حقيق علي " ، وقرأ باقي العشرة " حقيق على " . تنظر في : البحر المحيط =

﴿ قَدْ جِئْتُكُمْ بَيِّنَةً ﴾ يجوز أن تكون الباء للحال ؛ كقوله: خذ هذا الفرس بسرجه ولجامه. ويجوز أن تكون الباء للتعدي ، أي : أحضر البينة إن كنت جئت بآية. ﴿ فَأْتِ بِهَا ﴾ ليس تكراراً ، بل معناه : إن كنت مدعياً مجيئك بالآية فأظهر ما ادعيت مجيئك به ، وقوله : ﴿ إِنْ كُنْتَ ﴾ من باب دخول الشرط على الشرط ؛ كقوله : ﴿ إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ ﴾<sup>(١)</sup> وكقوله تعالى : ﴿ وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا ﴾<sup>(٢)</sup> وكقول الرجل لزوجته : أنت طالق إن ركبت إن لبست ، فإن ركبت ثم لبست لم تطلق ، وإن لبست ثم ركبت طلقت على الصحيح من المذهب خلافاً للإمام أبي المعالي<sup>(٣)</sup> ، فإنه أوقع الطلاق في الحالتين<sup>(٤)</sup>.

ذكر هاهنا أنها ثعبان وفي موضع ﴿ فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ ﴾<sup>(٥)</sup> وفي موضع ﴿ تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ ﴾<sup>(٦)</sup> يُسألُ عن وجه الجميع ، وجوابه من وجهين : أحدهما : أنها كانت كبيرة الجثة كالثعبان وخفيفة في الحركة كالجان والحية . والثاني : أن كل موضع ذكر فيه الجان والحية فهو في عود العصا كذلك بين يدي الله عز وجل في حال مخاطبة موسى لربه في الطور، وكل موضع ذكر فيه الثعبان المراد به بين يدي فرعون حين طلب السحرة بلقف عصاه حيثهم ، والجان والحية: الصغير من هذا النوع ، والثعبان الكبير منه.

= لأبي حيان ( ٤ / ٣٥٥ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ١٥٩ ) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٢٨٩ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٣ / ٣١٣ ) ، السبعة ( ص : ٢٨٧ ) ، الكشاف للزنجشري ( ٢ / ٧٩ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٧٠ ) .

(١) سورة هود ، الآية (٣٤) .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية (٥٠) .

(٣) هو الإمام الكبير إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني ثم النيسابوري الشافعي صاحب التصانيف . كان إمام الأئمة على الإطلاق مجمعا على إمامته شرقا وغربا . توفي سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ، ومن مصنفاته : كتاب نهاية المطلب في المذهب ، والإرشاد في أصول الدين ، والرسالة النظامية في الأحكام الإسلامية ، والشامل في أصول الدين ، والبرهان في أصول الفقه وغيرها . تنظر ترجمته في : سير أعلام النبلاء للذهبي ( ١٨ / ٤٦٨ ) .

(٤) ينظر في ذلك : المعني لابن قدامة ( ٨ / ٣٥٣ ) ، مغني المحتاج للشربيني ( ٣ / ٣١٣ ) ، المهذب للشيرازي ( ٣ / ٣١ ) .

(٥) سورة طه ، الآية (٢٠) .

(٦) سورة النمل ، الآية (١٠) .

﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَا تُوكَّ بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾

وقرئ ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ﴾<sup>(١)</sup> وهذا يدل على أمرين:

أحدهما: أن (إذا) التي للمفاجأة ظرف مكان حتى يصح كونه خبراً عن ﴿هِيَ﴾ فإنها جثة ، و ظرف الزمان لا يكون خبراً عن الجثث.

والثاني: صحة قول الكسائي<sup>(٢)</sup> : كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو إياها<sup>(٣)</sup> . ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ ﴾ أي : من درعه . وقوله: ﴿ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾ وهي بيضاء لمن نظر ، ولمن لم ينظر . لكن يريد بذلك أنها خرجت بيضاء بياضاً يستوقف الناظرين للتعجب منه ، وهو بياض شديد له شعاع ، والظاهر أن الملأ عرفوا أن هذا ليس من صنع البشر ، وأنه صنع الله الذي أتقن كل شيء ، ولهذا قالوا : ﴿ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ ﴾ فهل سمعوا قط أن ساحراً أخذ مملكة من صاحبها وأخرج ملك المملكة من مملكته ؟

(١) قال مكِّي بن أبي طالب في مشكل إعراب القرآن ( ١ / ٢٩٧ ) : ويجوز نصب " ثعبان " على الحال .  
(٢) هو علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي ، الكوفي ، أبو الحسن الكسائي ، إمام في اللغة والنحو والقراءة يعد إمام الكوفيين في النحو واللغة ، وأحد القراء السبعة المشهورين ، وكان مؤدب الرشيد وابنه الأمين . قيل عنه : كان أعلم الناس ، ضابطاً ، عالماً بالعربية ، قارئاً صدوقاً من تصانيفه : معاني القرآن ، القراءات ، النوادر ، المصادر ، الحروف ... وغيرها . مات سنة تسع وثمانين ومائة علي خلاف في سنة موته ١٨٩ هـ .  
تنظر ترجمته في : بغية الوعاة للسيوطي ( ٢ / ١٦٢ - ١٦٤ ) ، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ( ٤٠٣ / ١١ ) .

(٣) وهذه مسألة نحوية مشهورة تعارف النحاة علي تسميتها بالمسألة الزنبورية ، لورود لفظة الزنبور فيها ، ومجمل المسألة : أن الكسائي يجيز نصب الضمير في ( فإذا هو إياها ) وعامل النصب عنده ما في معنى ( إذا ) من المفاجأة ، علي حين لا يجيزه سيبويه ، وقد دبر الكسائي مكيدة لسبويه واحتج ببعض العرب الذين اتفقوا معه علي الكيد لسبويه عند الخليفة هارون الرشيد فقالوا : القول ما قال الكسائي ، فرجع سيبويه مغتماً فمرض في طريقه ولم يكمله ، بل مات كمدماً . تنظر في : الإنصاف لابن الأنباري ( ٢ / ٢٠٩ ) ، اللباب في علل البناء والإعراب للعكبري ( ١ / ٤٩٧ ) ، المغني لابن هشام ( ١ / ١٢١ ) .

قوله: ﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ يقوله بعض الملائكة لبعض. ﴿ أَرْجِهَ ﴾<sup>(١)</sup> أخره ، والحاشر: الجامع ، ويوم الحشر: يوم الجمع ، و ﴿ نَحْنُ ﴾ في ﴿ نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾ فصل أو عماد. ﴿ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ يعني : لا أقنع لكم بحصول الأجر، بل تكونون أول داخل عليّ وآخر خارج عني. تأدبوا مع موسى ، فجعلوا الخيرة له إيدالا منهم بأنهم غالبون كيف وقع الأمر.

﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴾<sup>(١١٥)</sup> قَالَ الْقَوْمُ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْأَرَهُبُهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ<sup>(١١٦)</sup> وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلِقْ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ<sup>(١١٧)</sup> فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ<sup>(١١٨)</sup> فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ<sup>(١١٩)</sup> وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ<sup>(١٢٠)</sup> قَالُوا ءَأَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ<sup>(١٢١)</sup> رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ<sup>(١٢٢)</sup> قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمِنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ<sup>(١٢٣)</sup> لَأَقْطِعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأَضِلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ<sup>(١٢٤)</sup> قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ<sup>(١٢٥)</sup> وَمَا نُنْقِمُ مِنْهَا إِلَّا ءَأْتِ ءَأَمَّنَا بِئَايَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ<sup>(١٢٦)</sup> وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقْبِلُ ءَأْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ<sup>(١٢٧)</sup> قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ<sup>(١٢٨)</sup> ﴿

﴿ وَأَسْأَرَهُبُهُمْ ﴾ خوفوهم. ﴿ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ ما يكذبون أي: ما يافكون فيه. ﴿ فَوَقَعَ الْحَقُّ ﴾ أي: تبين وظهر. ﴿ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ ﴾ أي: في ذلك الموضع ، أو في ذلك الزمان .

﴿ صَغِيرِينَ ﴾ ذليلين . ﴿ وَأَلْقَى السَّحْرَةَ ﴾ خروا على وجوههم ساجدين كأن ملقيا ألقاهم لسرعة وقوع جبهتهم على الأرض. قيل : كشف لهم في حال تلك السجدة عن جزاء

(١) هذه قراءة أبي عمرو بضم الهاء من غير إشباع مع الهاء ، وقرأ ابن عامر بالهمز أيضا ولكن مع كسر الهاء من غير إشباع أيضا ، وقرأ ابن كثير وهشام عن ابن عامر بالهمز مع الواو بعد الهاء ، فهذه ثلاث قراءات مع الهمز وهناك ثلاث قراءات آخر مع غير الهمز. تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٤ / ٣٥٩ ) ، حجة القراءات لابن زنجلة ( ٢٨٩ - ٢٩١ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٣ / ٣١٧ ) ، السبعة لابن مجاهد (ص: ٢٨٧) ، الكشاف للزمخشري (٢/١٣٩).

المؤمنين وجزاء الكافرين فآمنوا عن عيان ، وصمموا على الثبوت حتى أجابوا فرعون حين قال : ﴿ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لأَصْلَبَنَّكُمْ ﴾ . ﴿ قَالُوا إِنَّا إِلَهُ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٦٥﴾ وَمَا نَنْقِمُ ﴾ أي : ما تعيب وتكره منا إلا الإيمان ، وهو شيء لا يكره ، وهو كقوله : ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ <sup>(١)</sup> ﴿ وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَن أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ <sup>(٢)</sup> ﴿ هَلْ تَنْقَمُونَ مِنَّا إِلَّا أَن ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴾ <sup>(٣)</sup> وكقول الشاعر [من الطويل] :

ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب <sup>(٤)</sup>

وفلول السيف من قراع الكتائب ليس عيبا فيهم ، وفي قوله : ﴿ لَمَّا جَاءَنَا ﴾ إشارة إلى سرعة انقيادهم ، وسجودهم لله عند مجيء الآية لم يبطئوا ولم يتلعثموا .

﴿ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾ اصببه علينا حتى يكون كثيرا شاملا لأجسادنا . ﴿ وَيَذَرِكْ وَعَالِهَتِكَ ﴾ قيل : كان لفرعون آلهة يأمر الناس بعبادتها ويقول : أنا ربكم الأعلى وإله الآلهة ، وقرئ ﴿ وَعَالِهَتِكَ ﴾ <sup>(٥)</sup> أي : وعبادتك ﴿ قَالَ سَنَقِيلُ آبَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ﴾ شكوا ذلك إلى موسى ، فقال لهم موسى : ﴿ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ ﴾ الآية . و ﴿ وَالْعَقِبَةُ ﴾ الحسنى ﴿ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ .

﴿ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَّصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٧٣﴾ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ إِلَّا إِنَّمَا طَّيَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٧٦﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ ءَايَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٧٢﴾ فَأَرْسَلْنَا

(١) سورة البروج ، الآية (٨) .

(٢) سورة التوبة ، الآية (٧٤) .

(٣) سورة المائدة ، الآية (٥٩) .

(٤) تقدم تخريجه في تفسير سورة المائدة ، الآية (٥٩) .

(٥) قرأ بها علي وابن عباس والضحاك وأبو رجاء والجحدري .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٤ / ٣٦٧ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٣ / ٣٢٥ ) ، فتح

القدير للشوكاني ( ٢ / ٢٣٥ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٨٣ ) ، المحتسب لابن جني ( ١ / ٢٥٦ ) ،

مختصر الشواذ لابن خالويه ( ص : ٤٥ ) ، معاني القرآن للقراء ( ١ / ٣٩١ ) .

عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْذَّمَءَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴿١٣٥﴾ فَأَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِآيَاتِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾

﴿ قَالُوا أُوذِينَا ﴾ بقتل الأبناء واستحياء النساء ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ ﴾ بعثتك رسولاً وهو كقوله: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ، وَأَسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ﴾ (١) ﴿ فَيَنْظُرْ ﴾ أي: فنرى. ﴿ بِالسِّينِينَ ﴾ أي: بالقحط ويقال لمن أصابهم القحط: أصابتهم السنة. ﴿ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى ﴾ فيقولوا: ما جاءنا هذا البلاء إلا من حيث رأيناك وهو كقول قوم صالح: ﴿ قَالُوا أَطَّيَّرْنَا بِكَ وَيَمِّنُ مَعَكَ ﴾ (٢) وقول أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون: ﴿ إِنَّا نَطَّيَّرْنَا بِكُمْ ﴾ (٣). ﴿ إِلَّا إِنَّمَا طَّيَّرْتَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ أي: يصيبهم ذلك عند الله فعليهم عقوبة على تكذيب الرسل. ﴿ الطُّوفَانَ ﴾ قيل: عذاب أطاف بهم وقيل: أراد النيل حتى عم البقاع، وصار الماء يأخذهم إلى حلقهم، وابتلوا بصفادع فماتت أوانيهم وأوعيتهم حتى كان الضفدع يلقي نفسه في القدر وهي تغلي.

﴿ وَالذَّمَءَ ﴾ صار الماء لآل فرعون دماً، ولبنى إسرائيل ماء، كان القبطي يقول للإسرائيلي: ضع الماء في فيك ومجّه في في، فإذا مجّه فيه صار في فم القبطي دماً، والرجز: العذاب. ﴿ فَأَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ ﴾ هذه الفاء للتفسير؛ لأنه لم يتأخر الإغراق عن الانتقام بل هو نفس الانتقام، ويقرب منه: قال فلان فأحسن، وخطب فأوجز. ﴿ وَكَانُوا عَنْهَا ﴾ أي: عن تدبرها ﴿ غَافِلِينَ ﴾.

﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَنَرْنَا فِيهَا ﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ وَجَوَّزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾

(١) سورة غافر، الآية (٢٥).

(٢) سورة النمل، الآية (٤٧).

(٣) سورة يس، الآية (١٨).



إِنَّ هَتُولَاءَ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْغِيكُمْ إِلَيْهَا وَهُوَ  
فَضَلَّكُمْ عَلَى الْعَلَمَاتِ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أُنجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ  
الْعَذَابِ يُقْتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾  
وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ  
هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا  
وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيكَ وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ  
فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ  
تُبَّتْ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾

﴿ مَشْكُوفٌ ﴾ أرض مصر ومغاربها . وقيل : مصر والشام . وقوله : ﴿ مَا كَانَتْ ﴾  
يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ ﴾ . يحتمل أن يكون ﴿ فِرْعَوْنُ ﴾ فاعل يصنع وأن يكون ﴿ كَانَتْ ﴾ فيها  
ضمير الشأن ، وأن يكون ﴿ يَصْنَعُ ﴾ خبراً مقدماً ، و ﴿ فِرْعَوْنُ ﴾ اسم كان ، وأن يكون  
كان زائدة ، ومثله ﴿ وَأَنَّهُ كَانَتْ يَقُولُ سَفِيهًا ﴾ <sup>(١)</sup> ﴿ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤَكُمْ ﴾ <sup>(٢)</sup> ﴿ تُرِيدُونَ أَنْ  
تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾ <sup>(٣)</sup> ﴿ بَعْدَ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ﴾ <sup>(٤)</sup> لكن لا  
يجيء الوجه الثاني في قوله : ﴿ يَعْبُدُ آبَاؤَكُمْ ﴾ لأنه لو كان خبراً مقدماً لقال : عما كان  
يعبدون . والعكوف على الشيء : ملازمته طاعة كان أو معصية ، ولهذا قال : ﴿ يَعْكُفُونَ عَلَيَّ ﴾  
أَصْنَامِ لَهُمْ ﴾ و ﴿ مَا ﴾ في ﴿ كَمَا هُمْ ، إِلَهَةٌ ﴾ كافة كفت الكاف عن الجر ؛ كما في قوله :  
﴿ رَبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ ﴾ <sup>(٥)</sup> وهيأتها لدخولها على الجمل والأفعال .

﴿ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ عظمة الله . ﴿ مُتَبَّرٌ ﴾ مهلك مكسر ، ومنه التبر ؛ لأنه قطع  
مكسرة . ﴿ وَفِي ذَلِكَ ﴾ الإنجاء ﴿ بَلَاءٌ ﴾ أي : أو وفي ذلك السوم ، وقتل الأبناء  
واستحياء النساء بلاء ، أي : نعمة ، وتقول : سمته خسفا ، أي : كلفته إياه ، قال عمرو بن  
كلثوم [ من الوافر ] :

(١) سورة الجن ، الآية (٤) .

(٢) سورة سبأ ، الآية (٤٣) .

(٣) سورة إبراهيم ، الآية (١٠) .

(٤) سورة التوبة ، الآية (١١٧) .

(٥) سورة الحجر ، الآية (٢) .

إذا ما المَلِكُ سَامَ النَّاسَ خَسْفًا      أَيْنَا أَنْ تُقِرَّ الخُسْفَ فِينَا<sup>(١)</sup>

والخسف: الظلم . ﴿ وَوَعَدْنَا مُوسَى ﴾ وضرربنا لموسى ميقاتا لكلامه عند انقضاء الميقات فصام ثلاثين يوماً ، فوجد من فيه رائحة كريهة من الخُلُوف<sup>(٢)</sup> ؛ قيل : فمضغ عشبا ، ليذهب الخُلُوف . وقيل : تسوَّك فأوحى الله إليه : أما علمت أن خُلُوفَ فَمِ الصَّائِمِ عِنْدِي أَطِيبٌ مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ ، صم عشراً آخر ﴿ فَتَمَّ مِيقَتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾<sup>(٣)</sup> الميقات يجوز نسبه إلى الله وإلى موسى ، لكن لما قال : ﴿ فَتَمَّ مِيقَتُ رَبِّهِ ﴾ قال : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا ﴾ وقياسه أن يقول : وكلمناه ، لكن فيه التفات . لما سمع موسى الكلام حاج به الشوق وطلب الرؤية من غير استئذان على طلبها ، فقيل له : ستتجلى لما هو أقوى منك فإذا لم يستقر فانت أضعف من ذلك ، وقرئ ﴿ جَعَلَهُ دَكَاةً ﴾<sup>(٤)</sup> والدكاء: الناقة التي لا سنام لها ، أي: جعل مكانه مستويا بالأرض . ﴿ وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ﴾ مغشياً عليه من غير موت ، ولهذا قال : ﴿ فَلَمَّا أَفَاقَ ﴾ وقال في حق السبعين : ﴿ فَأَخَذَتْكُمْ الصَّعِقَةُ وَأَنْتُمْ نَظُرُونَ ﴾<sup>(٥)</sup> ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴿<sup>(٥)</sup> فكانت صعقة أولئك موتاً ﴿ قَالَ سُبْحَانَكَ ﴾ لا ينبغي لأحد أن يطلب ما لم يؤذن له فيه ، وكذلك قال لنوح : ﴿ فَلَا تَسْتَلِنَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ وقال نوح : ﴿ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ﴾<sup>(٦)</sup> . ﴿ إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ ﴾ باجتماع أمرين : بالرسالة والكلام ، وغيره من الأنبياء السابقين وإن أرسل فلم يكلم من غير واسطة ﴿ وَكَتَبْنَا ﴾ تقديره وكنا قد كتبنا ؛ لأن كان قد استصحبها مكتوبة ، والواو لا تقتضي الترتيب<sup>(٧)</sup> . ﴿ وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ يحتاج إليه في أمر المعاش والمعاد . ﴿ فَخَذَّهَا ﴾

(١) البيت من معلقته ، ينظر في : تفسير القرطبي ( ١ / ٤٢٤ ) ، خزانة الأدب للبغدادي ( ١ / ٤٢٣ ) ، الدر المصون للسمن الحلبي ( ١ / ٢١٨ ) ، شرح المعلقات لابن الخطيب التبريزي ( ص : ٣٩٥ ) ، الكشاف للزنجشيري ( ١ / ١٣٧ ) .

(٢) الخلوف: تغير طعم الفم لتأخر الطعام . ينظر : لسان العرب (خلف) .

(٣) ذكره البغوي في تفسيره معالم التنزيل ( ١ / ٢٧٥ ) ، والزمخشري في الكشاف ( ٢ / ١٥١ ) .

(٤) هذه قراءة حمزة والكسائي وخلف ، وقرأ باقي العشرة " دكا " . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٤ / ٣٨٤ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ١٦٣ ) ، حجة أبي زرعة ( ص : ٢٩٥ ) ، الدر المصون

للسمن الحلبي ( ٣ / ٣٣٩ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٢٩٣ ) ، الكشاف للزنجشيري ( ٢ / ٩١ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٧١ ) .

(٥) سورة البقرة ، الآيتان ( ٥٥ ، ٥٦ ) .

(٦) سورة هود ، الآيتان ( ٤٦ ، ٤٧ ) .

(٧) تقدم الكلام على ذلك عند تفسير الآية (٥٥) من سورة آل عمران .

يُقْوَةٌ ﴿١٤٤﴾ واعمل بما فيها بجد واجتهاد. قوله: ﴿بِأَحْسَنِهَا﴾ قيل: هي المأمورات كلها. وقيل: إذا جاز العفو والقصاص يؤخذ بأحسن الأمرين.

﴿قَالَ يَمُوسَىٰ إِنِّي أُصْطَفِيْتُكَ عَلَىٰ النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَن آيَتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِن حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾﴾

﴿سَأُرِيكُمْ﴾ وقرئ (سأورثكم) <sup>(١)</sup> لقوله: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ﴾ الآية <sup>(٢)</sup> وقال: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ إلى أن قال: ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخِرِينَ﴾ <sup>(٣)</sup>.

﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾ <sup>(٤)</sup> ﴿دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ قيل: المراد مصر والشام. واعلم أن ذلك لا يفيد نقصاً لا في مصر ولا في الشام. وقيل: دار الفاسقين جهنم. ﴿سَأَصْرِفُ عَن﴾ تدبر ﴿آيَتِي﴾. والتكبر قد يكون [مباحاً] كالتكبر على الذمي وأن يلجأ إلى أضييق الطرق، ولا يبدأ بالسلام، ترفعاً عليه بحق. ﴿وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾ أي: ولقائهم للآخرة، والآخرة صفة لموصوف محذوف وهي الدار؛ لقوله: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّاسِ خَيْرٌ﴾ <sup>(٥)</sup> وقيل: النشأة؛ لقوله: ﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ <sup>(٦)</sup> ﴿مِن بَعْدِهِ﴾ من بعد

(١) هذه قراءة ابن عباس وقسامة بن زهير، وقرأ الحسن "سأورثكم"، وقرأ الجمهور "سأريكم".  
تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٤ / ٣٨٩)، الدر المنصور للسمين الحلبي (٣ / ٣٤٢)، الكشاف للزمخشري (٢ / ٩٣)، المحتسب لابن جني (١ / ٢٨٥)، النكت والعيون للماوردي (٢ / ٥٧).

(٢) سورة الأعراف، الآية (١٣٧).

(٣) سورة الدخان، الآيات (٢٥ - ٢٨).

(٤) سورة الشعراء، الآية (٥٩).

(٥) سورة الأنعام، الآية (٣٢).

(٦) سورة العنكبوت، الآية (٢٠).

انطلاقه إلى الجبل ، قيل : كان عاجلاً ذا لحم ودم . وقيل : بقي على لونه ذهباً أو فضة من حلي القبط ، ولما ألقى فيه السامري من تراب حافر فرس جبريل صار له خوار . وقرئ (جوار) بالجيم وهمزة الواو<sup>(١)</sup> ، أي : رفع صوت ، ومنه : ﴿ لَا تَجْحَرُوا الْيَوْمَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

﴿ وَمَا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾<sup>(١٤٩)</sup> وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضَبَنَ أَسِيفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَاهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسُخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَأَخْبَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَإِنِّي أَتَّهِلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴿

يقال لمن ندم على أمر فاته استدراكه : سقط في يده . وقيل : إن أصله أن من جرى له ذلك يكبُّ على يديه يعرضهما ندماً . ﴿ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ﴾ لأنه كان خليفته على القوم ؛ لقوله : ﴿ أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ قيل : أخذ بأذنيه ، احتج به من زعم أن الأذنين من الرأس ، وهو ضعيف ؛ لأنه يتوقف على ثبوت النقل ، وهو منقطع ، وبيننا وبينه أكثر من ألفي عام . ترقق له بالنسب إلى الأم ، وكان هارون أخاه شقيقه ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ ﴾ إلهاً ﴿ سَيَنَاهُمْ غَضَبٌ ﴾ ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾ على الله . ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ ﴾ قيل : سكت بمعنى سكن . وقيل : إن الغضب جعل كآمر يقول له : ألق الألواح ، خذ برأس أخيك . فلما سكنت فورة الغضب سكت

(١) قرأ علي بن أبي طالب وأبو السمال " له جوار " ، وقراءة الجمهور " خوار " .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٤ / ٣٩٢ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٣ / ٣٤٤ ) ، الكشاف

للزخشري ( ٢ / ٩٤ ) .

(٢) سورة المؤمنون ، الآية (٦٥) .

ذلك الأمر. دخلت اللام في ﴿لِرَبِّهِمْ﴾ لضعف عمل الفعل بتقدم معموله ، ومثله ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّزْقَةِ يَا تَعْبُرُونَ﴾<sup>(١)</sup> كما يدخل في معمول اسم الفاعل والمصدر لضعف عملهما. ﴿وَأَخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ﴾ ﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ حين سألوا رؤية الله تعالى. ﴿أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ يعني الذين طلبوا الرؤية هم بعضنا لا كلنا ، وأنت أهلكنا الجميع . ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ أي : امتحانك واختبارك . ﴿أَنْتَ وَلِيْنَا﴾ أنت متولينا أو متولانا. هاد يهود إذا رجع . ﴿مَنْ أَسَاءَ﴾ وقرئ (من أساء)<sup>(٢)</sup> والمشهود لمذهب أهل السنة ؛ لأنهم يعتقدون أن الله - تعالى - له تعذيب البريء ، وموافق لقوله تعالى : ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(٣)</sup> .

﴿وَأَكْتَبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَسَاءَ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَا مَرْهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمَنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمَهُ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ وَظَلَلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ

(١) سورة يوسف ، الآية (٤٣) .

(٢) قرأ بها الحسن البصري وزيد بن علي وطاوس وسفيان بن عيينة . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٤ / ٤٠٢) ، الدر المصون للسمن الحلي (٣ / ٣٥٣) ، الكشاف للزنجشري (٢ / ٩٧) ، المحتسب

لابن جني (١ / ٢٦١) .

(٣) سورة النساء ، الآية (٤٨) .

السَّكَمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾

قيل: لما نزلت ﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ طمع فيها كل أحد حتى إبليس ، فلما نزلت ﴿فَسَأَكْتُمُهَا لِلَّذِينَ يَنْقُونَ﴾ أيس منها إبليس ومردة الشياطين ، وطمع فيها اليهود والنصارى فلما نزلت ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ علم أنها لأمة محمد ﷺ<sup>(١)</sup> وأميته ﷺ من تمام معجزته ؛ لأنه لو كان يقرأ ويكتب لكان يقال: إنه طالع القصص والأخبار من الكتب ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذْ أَلَّا تَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾<sup>(٢)</sup> الذين يجدون نعتهم مكتوبا . قوله: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَ﴾ هذه قاعدة الشافعي في باب الأطعمة؛ فإنه جعل كل ما استخبثته العرب حراما<sup>(٣)</sup> .

والإصر: الثقل ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا﴾<sup>(٤)</sup> وسمي العهد إصرًا لثقل الوفاء به ، ومنه: ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾<sup>(٥)</sup> أي: عهدي ، ومضى الكلام على عزز في المائة في قوله: ﴿وَعَزَّزْتُمُوهُمْ﴾<sup>(٦)</sup> . قوله: ﴿إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ جملة فصل بها بين الصفة والموصوف. والأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب وكالشعوب في العجم.

(انجس الماء) خرج بكثرة . وسلهم سؤال تقريع وتوبيخ ﴿عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ وهي أيلة . ﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾ يتجاوزون ما أمروا به في السبت ، نسب الحيتان إليهم بقوله: ﴿حِيتَانُهُمْ﴾ لأنهم ابتلوا بها. ﴿شُرْعًا﴾ ظاهرة .

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِيَّا رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْقُونَ﴾<sup>(١٦٤)</sup> فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً

(١) رواه الطبري في تفسيره (٩ / ٧٩ ، ٨٠) .

(٢) سورة العنكبوت ، الآية (٤٨) .

(٣) ينظر: الأم للشافعي (٢ / ٣٧٧) .

(٤) سورة البقرة ، الآية (٢٨٦) .

(٥) سورة آل عمران ، الآية (٨١) .

(٦) سورة المائدة ، الآية (١٢) .

خَسِيعٍ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّتْ رِبِّكَ لِيُبَعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِمَّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأُخْرَى خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ وَإِذْ نَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾

انقسم أهل القرية ثلاث فرق : فرقة تعدت وأكلت ، وفرقة نهت ، وفرقة سكتت ؛ فنجت الناهية ، وهلكت المخالفة ، واختلفت في الساكتة . وحكى عكرمة<sup>(١)</sup> مباحثة له مع ابن عباس في الفرقة الساكتة ظهر بها لابن عباس أنها نجت فأعجبه البحث ، وكساه ثوبين<sup>(٢)</sup> .

(قَالُوا مَعذِرَةٌ) وقرأ حفص<sup>(٣)</sup> ﴿مَعذِرَةٌ﴾ بالنصب<sup>(٤)</sup> على المفعول من أجله . و﴿تَأَذَّتْ﴾ أعلم . وقوله : ﴿إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ وضع الظاهر في موضع المضمرة

(١) هو عكرمة بن عبد الله البربري ، أبو عبد الله مولى ابن عباس ، يروي عن ابن عباس وعائشة وأبي هريرة - رضي الله عنهم أجمعين - وهو ثقة عالم بالتفسير ، توفي بالمدينة سنة ١٠٤ هـ . تنظر ترجمته في : غاية النهاية لابن الجزري ( ١ / ٥١٥ ) ، طبقات المفسرين للدواودي ( ١ / ٣٨٠ ) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ٩ / ٩٤ ) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٣ / ٥٩٠ ) لعبد بن حميد وابن المنذر عن عكرمة قال : قال ابن عباس : « ما أدري أنجا الذين قالوا : لم تعظون قوما أم لا ؟ قال : فما زلت أبصره حتى عرف أنهم قد نجوا فكساني حلة » .

(٣) هو حفص بن سليمان ، أبو عمر الأسدي الكوفي البزاز أعلم أصحاب عاصم بقراءته ، كان ربيبه ابن زوجته ، ثقة في الإقراء ثبت ضابط بروايته يُقرئ أهل المشرق ، قال يحيى بن معين : الرواية الصحيحة التي رويت عن قراءة عاصم هي رواية حفص بن سليمان . تنظر ترجمته في : غاية النهاية لابن الجزري ( ١ / ٢٥٤ ) ، تهذيب التهذيب لابن حجر ( ٢ / ٤٠٠ ) .

(٤) قرأ جمهور القراء : أبو عمرو ونافع وابن كثير وابن عامر وحزمة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر عنه وأبو جعفر وخلف ويعقوب « معذرة » ، وقرأ حفص عن عاصم « معذرة » . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٤ / ٤١٢ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ١٦٦ ) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٣٠٠ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٢٩٦ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٧٢ ) .

تقديره : إنا لا نضيع أجرهم ، لكن أفاد هذا الوضع أنهم مصلحون ومثله ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾<sup>(١)</sup> . أي : لا يضيع أجرهم ، وأفاد دخولهم في حيز المحسنين . ﴿ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ ﴾ أي : سحابة ، وقلنا : ﴿ خُذُوا مَاءً آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ﴾ واجتهاد ، وليكن منكم على ذكر . جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال : « إن الله - تعالى - لما خلق آدم استخرج من ظهره فرقتين : فرقة من الجانب الأيمن وهم المؤمنون ، وفرقة من الجانب الأيسر وهم الكفار ، وأخذ عليهم العهد بأنه ربهم لا إله غيره ، فشهدوا كلهم بذلك وأقروا به »<sup>(٢)</sup> . فاختلف المفسرون فقال بعضهم : هو المراد بهذه الآية ، وقال المحققون : الحديث صحيح ، ولكن ليس المراد بهذه الآية ؛ لأن في الحديث أنه استخرج من ظهر آدم ، والذي في الآية ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ﴾ ولأن بقية الآية وهو قوله : ﴿ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ لا يجوز أن يكون مراداً بالخبر ؛ لأن أحداً لا يتذكر ذلك الميثاق حتى يتوجه عليه اللوم ، بل المراد بالآية : واذكروا إذ استخرج الله ذرية آدم بطنا بعد بطن ، وقرناً بعد قرن ، وركز في عقولهم أدلة الوجدانية كما قال [ من المتقارب ] :

وفي كل شيء له آيةٌ تدلُّ على أنه واحدٌ<sup>(٣)</sup>

﴿ أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَنُهَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾<sup>(١٧٣)</sup> وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ<sup>(١٧٤)</sup> وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ<sup>(١٧٥)</sup> ﴿

﴿ فَانْسَلَخَ مِنْهَا ﴾ قيل إنه رجل أعطاه الله اسمه الأعظم ، فقصدته جماعة أن يدعو على

(١) سورة يوسف ، الآية ( ٩٠ ) .

(٢) رواه أحمد في المسند ( ١ / ٤٤ ) ، وأبو داود رقم ( ٤٧٠٣ ) ، والترمذي رقم ( ٣٠٧٥ ) ، وابن حبان في صحيحه رقم ( ٦١٦٦ ) ، والحاكم في المستدرک ( ٢ / ٣٢٤ ) وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . وقال الترمذي : هذا حديث حسن ، ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر وقد ذكر بعضهم في هذا الإسناد بين مسلم بن يسار وبين عمر رجلا مجهولا ، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الترمذي رقم ( ٥٩٤ ) .

(٣) البيت لأبي العتاهية ، وقيل : لابن المعتز وقبلة :

فيا عجبا كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد

ينظر في : الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ( ٤ / ٣٩ ) ، تفسير القرطبي ( ٤ / ٣٠١ ) ، روح المعاني للألوسي ( ١ / ٧٨ ) ، صبح الأعشى للقلقشندي ( ١٢ / ٤١٣ ) .



## تفسير سورة الأعراف

موسى وقومه ، وأعطوه رشوة جزيلة ، فركب دابته وجاء إلى جبل الحسبان يشرف على الغور ، وكان موسى وبنو إسرائيل في غور الحسبان ، فجاء ذلك الرجل وقال لأصحابه في الطريق : إني أرى الملائكة تضرب وجه دابتي تصرفها عن هذا القصد حتى أشرف على موسى وقومه فدعا عليهم بالاسم الأعظم فوق موسى وقومه في التيه ، وتبدل لسان ذلك الداعي وسلب ما كان معه من اسم الله الأعظم<sup>(١)</sup>.

وقيل : هو رجل أعطاه الله ثلاث دعوات مستجابات ، وكانت له زوجة قد صارت عجوزة، فسألته أن يهبها دعوة من الثلاث ؛ سألته أن تعود شابة جميلة الصورة فدعا لها بذلك ، فترفعت عليه على عادة النساء الشباب في كراهة الأزواج الشيوخ فتضجر منها ، ودعا عليها الدعوة الثانية أن تصير كلبة نباحة ، فصارت كذلك ، فبكى بنوها وقالوا: نعير بأن أمنا صارت كذا وكذا ، وسألوه وبكوا بين يديه ، فدعا لها بأن صارت عجوزاً كما كانت فذهبت الدعوات الثلاث ، وبقي كما كان<sup>(٢)</sup>.

ويجوز ألا يكون المراد شخصاً معيناً بل كل من أوتي فهماً في آيات الأنبياء ولم يعمل بما فهمه منها ؛ فهو مراد بهذه الآية<sup>(٣)</sup> . ومعنى انسلخ : خرج منها ؛ كما تخرج الحية من جلدها .

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ٩ / ١٢٣ - ١٢٤ ) .

(٢) نسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٣ / ٦٠٨ ) لابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن ابن عباس - رضي الله عنهما .

(٣) قال أبو جعفر الطبري في تفسيره ( ٩ / ١٢٣ ) : « والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله - تعالى - ذكره أمر نبيه ﷺ أن يتلو على قومه خبر رجل كان الله آتاه حججه وأدلته وهي الآيات، وجائز أن يكون الذي كان الله آتاه ذلك بلعم بن باعوراء ، وجائز أن يكون أمية بن أبي الصلت وكذلك الآيات إن كانت بمعنى الحجة التي هي بعض كتب الله التي أنزلها على بعض أنبيائه فتعلمها الذي ذكره الله في هذه الآية وعناه بها فجائز أن يكون الذي كان أوتيتها بلعم وجائز أن يكون أمية ؛ لأن أمية كان فيما يقال قد قرأ من كتب أهل الكتاب وإن كانت بمعنى كتاب أنزله الله على من أمر نبي الله عليه الصلاة والسلام أن يتلو على قومه نبأه أو بمعنى اسم الله الأعظم أو بمعنى النبوة فغير جائز أن يكون معنياً به أمية لأن أمية لا تختلف الأمة في أنه لم يكن أوتي شيئاً من ذلك ، ولا خبر بأي ذلك المراد وأي الرجلين المعني يوجب الحجة ولا في العقل دلالة على أن ذلك المعني به من أي ، فالصواب أن يقال فيه ما قال الله ويقر بظاهر التنزيل على ما جاء به الوحي من الله » .

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَرَكَهٗ يَلْهَثُ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ وَمَنْ يُضِلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمَلِّ لَهُمْ آيَاتٍ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوْلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾

﴿ وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ أي : مال إلى الدنيا ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ ﴾ في استواء حاله في الحمل عليه وترك الحمل ، فإنه يلهث في الحالين جميعاً ، كذلك هذا ، سواء عليه أفهم أم لم يفهم ، فهو لا يعمل بمقتضى الآيات . واعلم أن الأمثال يقصد بها إيضاح المعنى ، وقد يقصد بها الإهانة مع ذلك ؛ فيضرب له المثل بأحسن الأشياء ، قال الله - تعالى : ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾ (٤٩) كَانَهُمْ حُرْمٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ ﴿ (١) ﴾ ولم يقل كأنهم غزلان ، فإن الغزال في النفور كحمار الوحش ، لكن قصد إهانتهم بتشبيهم بحيوان يضرب به المثل في البلادة ، وقال - تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ ﴾ (٢) .

وقال هاهنا بعد تشبيهم بالكلب : ﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ ﴿ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ . ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ ﴾ خلقهم ليدخلوا النار . قوله تعالى : ﴿ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ لأنهم أوتوا ما يفهمون به فضيعوه ، والأنعام لم يؤتها الله ما يحصل به الفهم ، فكانوا أضل من الأنعام ، وقال : ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ بغير واو ؛ وقال في البقرة :

(١) سورة المدثر، الآيتان (٤٩ ، ٥٠) .

(٢) سورة الجمعة ، الآية (٥) .

﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾<sup>(١)</sup> بالواو ؛ لأن كونهم على هدى من ربهم وصف حالهم في الدنيا، ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ وصف حالهم في الآخرة ، فالوصفان متغايران ، وأما هاهنا فتشبيهه بالأنعام ووصف بالغفلة . وقوله : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ تقوية لذلك المعنى الأول فلا معنى للعطف . ﴿ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾ فيسمون اللات من تأنيث اسم الله والعزى من العزيز ، ومناة من المنان ، فيميلونها عن معانيها . واللحد في اللغة : الميل ، ومنه لحد القبر ، لكن لا يستعمل إلا في الشر ، وكذلك الزيف بخلاف الحنف ، فإن أصله الميل ، ولا يستعمل إلا في الخير . ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ ﴾ سننقلهم درجة بعد درجة بكثرة المال والأولاد والخصب . ﴿ وَأَمْلِي لَهُمْ ﴾ أمهلهم زمانا ، والملاوة ومنه الملوان في الليل والنهار . ﴿ مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ ﴾ أي : جنون ﴿ وَأَنْ عَسَى ﴾ أي : وفي أن عسى .

﴿ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَكَلا هَادِيَ لَهُ ﴾ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْفِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةٌ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْرَهْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلٌ خَفِيًّا فَهَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّكْرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيْشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٢﴾

قري ﴿ وَيَذَرُهُمْ ﴾ بالجزم عطفًا على موضع الفاء في قوله : ﴿ فَكَلا هَادِيَ لَهُ ﴾ وبالرفع<sup>(٢)</sup> عطفًا على ما بعد الفاء ؛ كقوله : ﴿ وَمَنْ عَادَ فَيَنْقِمِ اللَّهُ ﴾<sup>(٣)</sup> ومثله قوله : ﴿ وَإِنْ تُخَفُّوهُمَا وَتُؤْتُوهُمَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ ﴾<sup>(٤)</sup> ﴿ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾ متى ثبوتها واستقرارها؟ ثقل علمها على أهل السماوات والأرض ، فلا يعلمها أحد منهم . ﴿ كَأَنَّكَ

(١) سورة البقرة ، الآية ( ٥ ) .

(٢) تقدم تخريجها في تفسير سورة البقرة ، الآية ( ٢٧١ ) .

(٣) سورة المائدة ، الآية ( ٩٥ ) .

(٤) سورة البقرة ، الآية ( ٢٧١ ) .

حَفِيٌّ عَنَّا ﴿ كَأَنَّكَ قَدْ أَكْثَرْتَ السُّؤَالَ وَأَحْفَيْتَ فِي الْمَسْأَلَةِ عَنْهَا. ﴿ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ ﴾ واجتنبت الشر.

﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ آدم ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ حواء ﴿ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا ﴾ وطئها.  
﴿ حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا ﴾ في أول الحمل ﴿ فَمَرَّتْ بِهِ ﴾ فذهبت وجاءت ولم يثقلها الحمل.

﴿ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ ﴾ دعا آدم وحواء ﴿ لَيْنَ آتَيْنَا ﴾ ولدا ﴿ صَالِحًا ﴾ وقيل : إن إبليس جاء إلى حواء ، وكانت قد مات لها أولاد ، فقال لها : أنتم تسمون أولادكم بعبد الله ، وعبد الرحمن وإذا كان عبد الله أخذه سيده ، فسموا أولادكم : عبد الحارث ، وكان إبليس اسمه الحارث فسموا فاعتبوا بهذه الآية ، وهذا بعيد ؛ لأن مجرد التسمية من غير اعتقاد لا ينبغي أن يقال لمن فعله ﴿ فَتَعَلَى اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ وقيل : هو الذي خلقكم يا معشر العرب من نفس واحدة، وهي قصي ، وجعل من جنسها زوجها إلى أن قال : ﴿ جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ ﴾ فسموا أولادهم عبد مناف وعبد شمس وعبد الدار، وهذا مال إليه الزمخشري <sup>(١)</sup> ، وهذا لا يبقى عليه سؤال إلا بعد اللفظ. عن إرادة قصي بن كلاب بن مرة . قوله : ﴿ أَمْ أَنْتُمْ صَمِيمُونَ ﴾ ولم يقل : أم صمتم ؛ كقوله : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴾ <sup>(٢)</sup> فإن ذكر اسم الفاعل يدل على استقرار الأمر وثبوته بخلاف الفعل الماضي ، فإنه يصدق بمرّة واحدة . ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ﴾ تدعونهم ﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ آلهة ﴿ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ في كونهم عبيداً. وقوله : ﴿ أَلَيْسَ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا ﴾ استهزاء ، فإنهم لو كانت لهم أرجل يمشون بها وأيد يبطشون بها، وأعين يبصرون بها ، وآذان يسمعون بها - ما استحقوا العبادة ، ولم يقتصر على هذه الأعضاء ، بل قال ينتفعون بها ، لأن الصنم تصور له هذه الأعضاء ولكن لا ينتفع بها. قوله : ﴿ إِنَّ وَلِيَّ اللَّهِ ﴾ إن متولي أمري هو الله ، ولا يجيء : إنني أتولى الله ؛ كقوله أولا : ﴿ قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾ إن الله يتولى أمري ، وكقوله بعد ذلك : ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ .

(١) ينظر : الكشاف للزمخشري ( ٢ / ١٨٧ ) .

(٢) سورة الشعراء ، الآية ( ١٣٦ ) .

﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاهُ عَلَيْكُمْ ۖ ادْعُوهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ۚ أَنْتُمْ صَاحِبُونَ ﴾ (١٩٣) إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَشْكَالُكُمْ ۖ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ اللَّهُمَّ ارْجُلُ يَمْشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا ۖ فَلَا تُنظِرُونَ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا ۚ وَتَرْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِنَّمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ ۖ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ ﴿

النظر بقلب الحدقة إلى المرئي سواء حصل رؤيتهم أم لم تحصل ، تقول : نظرت إلى الهلال فلم أره ، ولا تقول : أبصرته فلم أره. ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ أي : ما صفا من أخلاق الناس. قال الشاعر [ من الطويل ] :

خذي العفو مني تستدمني مودتي ولا تنطقي في سورتني حين أغضب<sup>(١)</sup>

النزع : النخس ﴿ فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ وجه الصواب ﴿ وَإِخْوَانُهُمْ ﴾ من الشياطين ، قرئ «يُمِدُّونَهُمْ» و«يَمُدُّونَهُمْ»<sup>(٢)</sup> وهو رد لقول من زعم أن الإمداد في الخير والمد في الشر لقوله في الخير : ﴿ وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿ وَيَمُدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنِينَ ﴾<sup>(٤)</sup> وقال : ﴿ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾<sup>(٥)</sup> فقراءة ﴿ يَمُدُّونَهُمْ ﴾ هاهنا ترد على هذا القول.

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة ، الآية ( ٢١٩ ) .

(٢) قرأ نافع وأبو جعفر " يُمِدُّونَهُمْ " ، وقرأ باقي العشرة " يَمُدُّونَهُمْ " .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٤ / ٤٥١ ) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٣٠٩ ) ، الدر المصون

للمسكين الحلبي ( ٣ / ٣٩٠ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٣٠١ ) ، الكشاف للزخشي ( ٢ / ١١١ ) ،

النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٧٥ ) .

(٣) سورة الطور ، الآية ( ٢٢ ) .

(٤) سورة نوح ، الآية ( ١٢ ) .

(٥) سورة البقرة ، الآية ( ١٥ ) .

﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَآئِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾ ﴾

﴿ اجْتَبَيْتَهَا ﴾ اختلقتها ، والآصال : جمع أصيل ، وهو ما بين المغرب والعشاء .

وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ هو كقوله تعالى : ﴿ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> .

\* \* \*

## سورة الأنفال [مدنية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ كَانَمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِآلِيفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ اللَّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمُ رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾

قوله : ﴿الْأَنْفَالِ﴾ جمع نفل ، وهو العطاء ، قال الشاعر [ من الرمل ] :

إِنَّ تَقْوَى رَبِّنَا خَيْرُ نَفْلٍ <sup>(١)</sup>

وكانت غنائم بدر لرسول الله ﷺ يفعل فيها ما يشاء . قال بعض الصحابة : نزلت فينا أهل بدر حين اختلفنا في النفل ، وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا ، وجعله للنبي ﷺ فقسم بيننا على بواء <sup>(٢)</sup> ، أي : على سواء .

وعن سعد بن أبي وقاص قال : قتل أخي يوم بدر فقتلت قاتله وأخذت سيفه ، وجئت إلى رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله شفيت غليلي ، قتلت قاتل أخي وهذا سيفه ، فنفلني

(١) هذا صدر بيت للبيد بن ربيعة وعجزه : .....

ينظر في : الدر المصون للسمن الحلبي ( ٣ / ٣٩٢ ) ، ديوان لبيد ( ص : ١٣٩ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ١٩٣ ) ، لسان العرب ( نفل ) ، مجاز القرآن لأبي عبيدة ( ١ / ٢٤٠ ) ، مقاييس اللغة ( ٢ / ٤٦٤ ) .

(٢) رواه أحمد في المسند بهذا اللفظ رقم ( ٢١٦٨٥ ) والصحابي هو عبادة بن الصامت .

إياه . فقال : اذهب فاطرحه في القَبْض - والقبض - بفتح الباء - : هو الشيء المقبوض ، كالنقص والحسد : الشيء المنقوص والمحسود - فقلت : يا رسول الله: نفلني السيف . فأعاد عليّ القول بصوت أغلظ من الأول : اطرحه في القَبْض . فذهبت لأطرحه وبني ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي ومنعي السيف ، فقبل أن أصل ردني رسول الله ﷺ فقال : إنك (أ/٦٥) سألتني السيف وليس إليّ ، والآن فقد جعل الله غنائم بدر لي أتصرف فيها ، اذهب فخذ السيف<sup>(١)</sup> . ولما حصل لقاء يوم بدر جلس النبي ﷺ في العرش هو وأبو بكر واجتمع إليه الشيوخ وأرباب الرايات وتقدم الشباب فقاتلوا وقتلوا وغنموا ، فلما انقضت الحرب قال الشباب : نحن حُزْنَا الغنيمة بأسيافنا فهي لنا ، وقال الشيوخ : نحن كنا رداء لكم وفئة تنحازون إليها ، وتنازعوا في ذلك فنزلت ﴿ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ .

﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ ﴾ بالعظمة وسرعة الانتقام . ﴿ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ آيات الرحمة والمغفرة قويت آمالهم واطمأنت قلوبهم ، وازداد أثر إيمانهم ، ولا يتوكلون إلا على الله ، وجاء الحصر من جهة تقديم المعمول .

﴿ حَقًّا ﴾ مصدر أي: يحق ذلك حقا ، الكاف في قوله : ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ ﴾ للتشبيه ، ومعناه: كما جعل الأنفال والرسول يفعل فيها ما يراه ، وإن كرهوا ذلك -- أخرجك ربك لقتال أهل بدر وهم كارهون . وقيل ترجع إليّ ﴿ حَقًّا ﴾ أي: يحق ويثبت أيها الرسول وإن كرهوا ، كما حق خروجك من بيتك إليهم وإن كرهوا . ﴿ يُجَدِّدُونَكَ ﴾ في موضع الحال .

لما بلغ رسول الله ﷺ أن عير قريش قد قرب مرورها عليهم ذاهبة إلى مكة وفيها أربعون راكباً منهم أبو سفيان بن حرب فندب النبي ﷺ أصحابه ليخرجوا لطلب العير ، فسمعت قريش بمكة بذلك ، فأسرعوا يطلبون حماية العير ، وقالوا : إن أخذها محمد استغنى واستعان بها على قتالنا ، وألزموا كل أحد بالخروج أو أن يقيم بدلاً مكانه وهم النفير ، فوعد الله نبيه إحدى الطائفتين ، إما العير وإما النفير ، وكان عرض أكثر الصحابة أن ينالوا العير ؛ لأنه مال يوجد من غير قتال ، ولأنهم لم يخرجوا يوم بدر للقتال ، وإنما خرجوا لطلب العير ، وأما

(١) رواه مسلم رقم ( ١٧٤٨ ) ، وأبو داود رقم ( ٢٧٤٠ ) ، والترمذي رقم ( ٣٠٧٩ ) .



النفير فإنهم جاءوا بسلاحهم وشوكتهم ليقابلوا ويمنعوا العير<sup>(١)</sup>. وقد مضى في الأنعام<sup>(٢)</sup> شرح الدابر .

الخائف لا ينام وكان أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا ليلة على كتيب أعفر<sup>(٣)</sup> ينهال رملاً وتراباً لا تثبت عليه أقدامهم للقاء ، وليس هناك ماء وأجنب كثير منهم تلك الليلة ، فوسوس إليهم الشيطان قوة الخوف ، وأنكم تلقون ربكم وأنتم على جنابة (٦٥/ب) ولستم على طهارة ، وأن هذه الكتيب لا تثبت فيه الأرجل ، فأرسل الله عليهم نعاساً يدل على حصول الأمن في القلوب ، وأمطرت السماء حتى سال الوادي ، واجتمع ماء كثير فاغتسلوا ، وتجلدت الأرض ، فثبتت عليها الأقدام<sup>(٤)</sup>.

﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَلِكَ كُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَنْ يُولِهِمْ يُؤمِدُّ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِنَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَيَتَسَّى الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾

﴿فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ قيل: بما تلقون في قلوبهم من الثبات والنصر. وقيل: كان الملك يتصور في صورة رجل ويمر بطوائف المسلمين فيقول: يا عباد الله اثبتوا، إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم<sup>(٥)</sup>، فقوله على هذا القول حقيقة.

﴿فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ أي: أعاليها. وقيل: اضربوا الرؤوس، كقول الشاعر [من الوافر]:

(١) رواه الطبري في تفسيره (٩ / ١٨٢).

(٢) سورة الأنعام ، الآية (٤٥) عند قوله - تعالى : ﴿فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

(٣) العفرة : غبرة في حمرة ، وصلابة الأرض ، وأرض عفراء: بيضاء لم توطأ . ينظر: لسان العرب ( عفر ) .

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٩ / ١٩٥ - ١٩٦).

(٥) نسبه السيوطي بنحو ذلك في الدر المنثور (٤ / ٣٤) لابن مردويه والبيهقي في الدلائل .

وَأَضْرَبُ هَامَةَ الْبَطْلِ الْمَشِيحِ<sup>(١)</sup>

وقيل: ﴿فَوْقَ﴾ زائدة، وهو بعيد؛ لأن الأسماء لا تتراد غالباً<sup>(٢)</sup>.

وقوله: ﴿ذَلِكَكُمْ﴾ يجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف، أي: الأمر ذلكم، أو مبتدأ وخبره ما دلت عليه الجملة، وأن يكون منصوباً بقوله: «فذوقوا» مضمراً دل عليه «فذوقوه» وهو من باب اشتغال الفعل عن المفعول بضميره وهو الأحسن هاهنا؛ لأن الأمر لا يصلح أن يكون خبراً إنما الخبر ما يدخله التصديق والتكذيب.

﴿زَحْفًا﴾ حال من الفاعل والمفعول معاً، أي: متزاحمين. ﴿فَلَا تُولُوهُمْ﴾ فلا تجعلوهم ولاية على ظهوركم بالانهزام، ويدل عليه قول بعض المنهزمين من الكفار يوم بدر وقد سئلوا عن كيفية قتالهم فقال: والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمناحناهم أكتافنا يقتلون ويأسرون، ويجوز أن يكون من الولي.

﴿فَقَدَّ بَاءً﴾ فقد رجع.

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِئْسَ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسْبًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(١٧)</sup> ذَلِكَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتِكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ﴿٢٢﴾ إِنْ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ

(١) عجز بيت لعمر بن الإطنابة، وصدره: وإقحامي على المكروه نفسي وضربي ....

ينظر في: تاج العروس للزبيدي (شيخ)، تهذيب اللغة للأزهري (٥ / ١٤٧)، الدر المصون للسمين الحلبي (٣ / ٤٠٤)، العمدة لابن رشيح القيرواني (١ / ٢٩)، الكشف للزمخشري (١ / ٤٠٩، ٢ / ٢٠٤)، اللسان (شيخ) ويروى: «وإقحامي» بدل «وإقحامي»، «وضربي» بدل وأضرب. والمشيع: الجاد في القتال، والشاهد فيه: عطف المصدر المؤول «وأضرب» على المصدر الصحيح «وإقحامي».

(٢) يرى جمهور النحاة أن الأسماء لا تتراد، وأجاز ذلك أبو الحسن الأنخفش. ينظر في ذلك: الدر المصون للسمين الحلبي (٣ / ٤٠٤)، سر صناعة الإعراب لابن جني (١ / ٣٠١)، مغني اللبيب لابن هشام (١ / ٣٩٧).

أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾

﴿ وَمَا ﴾ أوصلت المرمى ﴿ إِذْ رَمَيْتَ وَلَنْكَرَ اللَّهُ ﴾ أوصله ، وكان النبي ﷺ قد أخذها من حصى وتراب ، فرمى بها إلى ناحية القوم ، فامتلات أعين جميع المشركين تراباً ورملاً ، وأعان ذلك على انهزامهم .

البلاء يكون في الخير ؛ لقوله : ﴿ بَلَاءٌ حَسَنًا ﴾ ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ ﴾ <sup>(١)</sup> أي : مضعف .  
روي أن أبا جهل قال يوم بدر : « اللهم انصر أهدي الحزبين ، وأعلى الفئتين » فدعا على نفسه وجماعته <sup>(٢)</sup> .

وقوله : ﴿ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا ﴾ إن تستنصروا ، أي : فقد جاءكم النصر عليكم لا لكم . ﴿ إِنْ شَرَّ الدَّوَابِّ ﴾ شر ما دبَّ على الأرض حتى يدخل الكافر ، فهو بالنظر إلى أصل الوضع حقيقة في الكافر ، ولكن في عرف الاستعمال بما يحمل ( ٦٦ / أ ) على بعض ذوات الأربع ، كما لو حلف لا يركب داية فركب كافراً لم يحنث ، وكما لو حلف لا يجلس في ضوء سراج لم يحنث بالجلوس في الشمس ، وقال الله - تعالى : ﴿ وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴾ <sup>(٣)</sup> ولا يقعد على

(١) قرأ « موهين » بالتونين مع الرفع ابن عامر وحمزة والكسائي ، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو « موهين » بالتونين مع تشديد الهاء ، وقرأ حفص عن عاصم « موهين » بالإضافة .

تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٤ / ٤٧٦ ) ، حجة ابن زنجلة ( ص : ٣٠٩ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٣ / ٤٠٩ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٣٠٥ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٢٠٨ ) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ٩ / ٢٠٧ - ٢٠٩ ) عن غير واحد أن أبا جهل قال يوم بدر : « اللهم انصر أحب الدينين إليك ديننا العتيق أم دينهم الحديث » فأنزل الله ﴿ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ ﴾ وروى الحاكم في المستدرک على الصحيحين ( ٢ / ٣٥٧ ) أن أبا جهل قال حين التقى القوم : « اللهم أينما كان أقطع للرحم وآتانا بما لا نعرف فأجبه الغداة » فكان ذلك استفتاحه فأنزل الله ﴿ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأحنه : أهلكه ، من حانت النفس : إذا هلكت والحين - بالفتح - : الهلاك .  
ينظر : لسان العرب ( حين ) .

(٣) سورة نوح ، الآية ( ١٦ ) .

بساط فقعد على الأرض لم يحنث مع قوله - تعالى : ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ سِطًا﴾<sup>(١)</sup> ولا يمس وتدا فمس جبلا ، لم يحنث مع قوله - تعالى : ﴿وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا﴾<sup>(٢)</sup> أو لا يأكل ميتة فأكل سمكا أو جرادا لم يحنث مع قوله ﷺ : « أحل لنا ميتتان » الحديث<sup>(٣)</sup> وإنما الأيمان على عرف الاستعمال . ثقفت القوم : أخذتهم بقوة . إني فاعل بهم من النكال ما يوجب هرب من خلفهم لما يخشون من حلول مثل ذلك بهم .

﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ﴾ سماع قبول ﴿ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ ﴾ سماع قبول لارتدوا .

دعاء الله يصل إلينا على لسان رسوله ، ودعاء رسوله يخبر عن الله ، فلذلك قال : ﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ ﴿يَحْوُلُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ قيل : المراد القرب ، كقوله : ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِمْ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾<sup>(٤)</sup> . وقيل : يمنعه فهم القرآن وتدبر الآيات . ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً﴾ مقولا فيها : ﴿لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ بل تعم .

﴿وَأذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَفَكُمْ النَّاسُ فَتَاوَنَكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِبَصَرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾<sup>(١٦)</sup> يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ<sup>(١٧)</sup> وَعَلِمُوا أَنَّ مَا أَمْوَالِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ فَتَنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ<sup>(١٨)</sup> يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ<sup>(١٩)</sup> وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ<sup>(٢٠)</sup> وَإِذَا لُتَّى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ<sup>(٢١)</sup> وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذَاهُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَامْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ أْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ<sup>(٢٢)</sup> وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ<sup>(٢٣)</sup>

﴿ وَتَخُونُوا ﴾ يجوز أن يكون مجزوما ، معطوفا على ﴿ لَا تَخُونُوا ﴾ وتكون نهيا عن الجمع

(١) سورة نوح ، الآية (١٩) .

(٢) سورة النبا ، الآية (٧) .

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأنعام ، الآية (١٤٥) .

(٤) سورة ق ، الآية (١٦) .

بين الأمرين . المراد بالفرقان هاهنا نور يقذفه الله في القلوب .

﴿ لِيُنَبِّتُوكَ ﴾ ليحبسوك . وقولهم : ﴿ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذَاهُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ ﴾ دليل على مبالغتهم في التكذيب ، وليس المراد تعليق إمطار السماء على كونه حقا ، بل إبعاد ذلك ؛ كقوله : والله لا أكلمك حتى يشيب الغراب وحتى يلج الجمل في سم الخياط .

وقوله : ﴿ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ يعني به : لو كانوا مستغفرين لما عذبوا ، وليس المراد باستغفارهم .

﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائِهِ إِلَّا الْمُنَافِقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣٤) وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ (٣٥) إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ (٣٦) لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٣٧) قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَآقِدَ سَلَفٍ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (٣٨) وَقَنَلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا اللَّهُ فَإِنَّ آتِيَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ (٣٩) وَإِنْ تَوَلَّوْا فَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَانِكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ (٤٠)

ثم قال : ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ ﴾ أي : يعرضون أو يمنعون . المكاء : الصفير ، والتصدية : رفع الصوت ، وكانوا إذا قرأ رسول الله ﷺ القرآن جاءوا ووقفوا حوله وصفروا حتى يخلطوا عليه قراءته . وقيل : كانوا يجعلون ذلك في طوافهم عوضاً عن الأذكار في طوافنا<sup>(١)</sup> .

وقوله : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ إشارة إلى فاعل الخبيث ؛ لدلالة الفعل على الفاعل .

﴿ وَإِنْ يَعُودُوا ﴾ عذبوا ( ٦٦ / ب ) . ﴿ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴾ بذلك . ﴿ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ أي : لا توجد فتنة ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَانِكُمْ ﴾ تقديره : وإن تولوا

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ٩ / ٢٤١ ) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٤ / ٦١ ) لعبد بن حميد .

عن الطاعة ولم ينتهوا لم يضر وكم شيئاً.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ، وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْبَقَعِ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٤١) إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنَّ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَيْتَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنْزَعْتُمْ فِي الْأُمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّيَقُّنَ فِي آعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي آعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنزَعُوا فَنفْسُلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾

قوله - تعالى : ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ﴾ الآية ، قسم الغنائم على ستة أنواع ؛ فقال أبو العالية الرياحي<sup>(١)</sup> بظاهر الآية ، وقال : تقسم الغنائم على ستة : سهم لله - تعالى - يقسم في مصالح الكعبة وعمارتها . وسهم لرسول الله ﷺ كان يأخذه ويدخر منه قوت سنة ثم يصرف الباقي في الكراع<sup>(٢)</sup> والسلاح ، ثم بعد وفاته صار هذا السهم لمصالح المسلمين ، وسهم لذوي قرابة رسول الله ﷺ من بني هاشم وبني المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل ، فإن عبد مناف كان له أربعة أولاد : أحدهم هاشم ، وهو جد النبي ﷺ . والثاني المطلب وهو أخو هاشم شقيقه . والثالث والرابع عبد شمس ونوفل<sup>(٣)</sup> .

(١) هو رفيع بن مهران أبو العالية الرياحي البصري المقرئ مولى امرأة من بني رياح ، رأى أبا بكر وسمع من عمر - رضي الله عنهما - ثقة كثير الإرسال وله تفسير رواه عنه الربيع عن أنس . توفي سنة ٩٣ هـ وقيل : سنة ٩٠ . تنظر ترجمته في : طبقات المفسرين للداودي ( ١ / ١٧٢ ، ١٧٣ ) ، معرفة القراء الكبار للذهبي ( ١ / ٤٩ ) .

(٢) الكراع : اسم لجميع الخيل . ينظر : النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ( ٤ / ١٦٥ ) .

(٣) رواه أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الأموال ( ١ / ٤٠٨ ) عن أبي العالية ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٤ / ٦٧ ) وعزاه لابن المنذر عن ابن عباس - رضي الله عنهما - بنحوه .

وكانت قريش لما حصرها رسول الله ﷺ في شعب، وكتبوا كتابا ألا يعاملوا ولا يخالطوا - دخلت بنو المطلب مع بني هاشم في الشعب الذي حصرها فيه، فلما جاءت الغنائم بعد ذلك أعطى رسول الله ﷺ بني هاشم وبني المطلب ولم يعط بني عبد شمس ولا بني نوفل شيئا، فجاء عثمان بن عفان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وجبير بن مطعم من بني نوفل ابن عبد مناف، فقالا: يا رسول الله، أرأيت إخواننا من بني هاشم لا ننكر فضلهم، لمكانك الذي وضعك الله فيه منهم، ولكن إخواننا من بني المطلب أعطيتهم وتركنا، وإنما قرابتنا وقرابتهم واحدة. فقال النبي ﷺ: «إن بني هاشم وبني المطلب ما افترقوا في جاهلية ولا إسلام، وشبك بين أصابعه»<sup>(١)</sup>. وسهم ليتامى المسلمين، وسهم للمساكين، وسهم لابن السبيل. وقال بقية العلماء: إنما تقسم الغنائم على خمسة أسهم، وأسقطوا السهم المختص بالكعبة، وأبقوا الخمسة الباقية<sup>(٢)</sup>.

﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ يوم بدر، وصور حالهم، كأنك تشاهده، وقال: ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾ و(الْعُدْوَةُ) جانب الوادي. والدنيا: القرية، ﴿وَهُمْ﴾ يعني: الكفار ﴿وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى﴾ أي: البعيدة ﴿وَالرَّكْبُ﴾ يعني: العير. ﴿أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ فإن كفار قريش جاءوا بين رسول الله ﷺ وبين العير، وهموا بذلك أموالهم. يعني: ليهلك من هلك عن بينة، فقتل صناديد قريش، وأعلى كلمة الله. ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ﴾ (٦٧/أ) قال الأكثرون بظاهرها، وأن رسول الله ﷺ رأى في المنام أنهم قليلون<sup>(٣)</sup>.

وعن الحسن: أن المنام للعين؛ لأنها موضع النوم، فرآهم بعينه في اليقظة قليلين في ظنه، حتى تقدم عليهم المؤمنون، وقلل المؤمنين في أعين الكفار في أول الأمر، حتى هجموا وقاتلوا، فلما اختلطوا كثر الله المؤمنين في أعين الكفار، حتى جبن الكفار، وهو معنى قوله: ﴿فِيئَةٌ تَقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأْيَ الْعَيْنِ﴾<sup>(٤)</sup> ومستحب ذكر

(١) رواه الطبري في تفسيره (٦/١٠) وقال: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال سهم ذي القربى كان لقرابة رسول الله من بني هاشم وحلفائهم من بني المطلب لأن حليف القوم منهم ولصحة الخبر الذي ذكرناه بذلك عن رسول الله».

(٢) ينظر: الأم للشافعي (٤/١٤٧)، بدائع الصنائع للكاساني (٦/١٠٠)، بداية المجتهد لابن رشد (١/٥١٧)، المبسوط للسرخسي (٣/١٧)، المغني لابن قدامة (٧/٢٩٩).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٢/١٠) ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٤/٧٤) لعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٤) سورة آل عمران، الآية (١٣) ورواه الطبري في تفسيره (٣/١٩٥) عن ابن مسعود.

الله - تعالى - عند لقاء العدو ، وأن نطلب منه النصر والعون، وأن نقلل من التنازع والاختلاف.  
﴿وتذهب ريحكم﴾ أي: دولتكم، قال الشاعر [ من الوافر]:

إذا هبت رياحك فاغتنمها فإن لكل خافقة سكون<sup>(١)</sup>

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِشَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ  
وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ  
النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئْتَانِ نكصَ عَلَىٰ عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي  
أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي  
قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَّ هَوَاهُ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ  
إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾  
ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَذَّابٌ ءَالٍ فِرْعَوْنُ وَالَّذِينَ مِنْ  
قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهَ لَمَّ  
بِكَ مُغِيرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغِيرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَذَّابٌ ءَالٍ  
فِرْعَوْنُ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلُّ  
كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدتَّ  
مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَنْقُونَ ﴿٥٦﴾ فِيمَا نَشَقَقْنَاهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِدَ بِهَمْ  
مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَتَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ  
لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا  
أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ  
لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا  
تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَلَا تَكُونُوا﴾ مثل كفار قريش ﴿كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا﴾. روي أن قريشا لما  
اجتمعت للنفير ذكروا ما بينهم وبين بني بكر من العداوة، وهم على طريقهم فتمثل لهم  
الشیطان في صورة سراقه بن مالك بن جعشم<sup>(٢)</sup> كبير بني بكر، وقال لهم: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمْ

(١) ينظر البيت في: البحر المحيط لأبي حيان (٤ / ٥٢٣)، تاج العروس للزبيدي (روح)، تفسير

القرطبي (٨ / ٢٤)، الدر المصون للسمين الحلبي (٣ / ٤٢٥)، روح المعاني للألوسي (٧ / ١٠٩).

(٢) هو سراقه بن مالك بن جعشم بن مالك بن عمرو الكناني، أسلم يوم الفتح، وكان شاعرا وقصته في=



أَلْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ﴿ فخرجوا، فلما لاقوا المسلمين رأى إبليس جبريل قد نزل من السماء لينصر المؤمنين فخاف على نفسه أن يقتله جبريل، ففر فقيل له: أين تذهب يا سراقة؟ فقال: ﴿ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ فاشتهر بين كفار قريش أنه لم يهزم الناس إلا سراقة بن مالك فلما رجعوا اجتمعوا بسراقة وعتبوه، فقال: والله ما كنت هناك حتى أنهزم<sup>(١)</sup>. ﴿ إِذِيتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ ﴾ وقت اللقاء ﴿ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ ﴾ إذا أقبلوا. ﴿ وَأَدْبَرَهُمْ ﴾ إذا ولوا، ولم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر، وكانوا ينزلون في غيرها، مدداً ولطمأينة القلوب.

﴿ كَذَابٍ ﴾ كعادة، أي: عادة هؤلاء منازعة الأنبياء كعادة ﴿ ءَالَ فِرْعَوْنَ ﴾ ﴿ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴾ الله وأخذه ونقمته. ﴿ فَأِمَّا تَثَقَفْنَاهُمْ ﴾ أي: فإن تثقفهم، والثقف: الأخذ بشدة. ﴿ فَشَرَّدَ بِهِمْ ﴾ أي: فافعل بهم فعلاً يوجب فرار من حولهم. وقوله: ﴿ فَشَرَّدَ ﴾ مأخوذ من شرد البعير إذا فر. ﴿ وَإِمَّا تَخَافُكَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ ﴾ بأمارات تدل على ذلك، فانقض عهدهم وعرفهم بذلك كي لا يكون عذراً. من قرأ ﴿ إِنَّهُمْ ﴾ بكسر، فهو استئناف كلام، ومن قرأ ﴿ أَنَّهُمْ ﴾ بالفتح<sup>(٢)</sup> أي: لا تحسبهم لأجل أنهم لا يعجزون. وفي الحديث الصحيح (٦٧/ب) أن النبي ﷺ قال وهو على المنبر: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ قال: «ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي»<sup>(٣)</sup>.

قوله: ﴿ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ ﴾ قيل: فارس والروم. وقيل: كفار الجن، إلا أن قوله: ﴿ لَا نَعْلَمُونَهُمْ ﴾ يرد على القائلين. ﴿ يُوفِّ إِلَيْكُمْ ﴾ جزاؤه.

= ملاحقة النبي ﷺ في الهجرة مشهورة ترويتها كتب السير. توفي سنة ٢٤هـ. تنظر ترجمته في: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (١٩/٢).

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠ / ١٨)، وأورده السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٧٩) ونسبه لعبد الرزاق وابن المنذر عن معمر قال: «ذكروا أنهم أقبلوا على سراقة بن مالك بعد ذلك فأنكر أن يكون شيء من ذلك».

(٢) قرأ جمهور القراء أبو عمر وابن كثير ونافع وعاصم وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف ويعقوب «إنهم»، وقرأ ابن عامر «أنهم». تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٤ / ٥١٠)، الحجة لابن خالويه (ص: ١٧٢)، حجة أبي زرعة (ص: ٣١٢)، الدر المصون للسمين الحلبي (٣ / ٤٢٩)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٣٠٨)، الكشاف للزمخشري (٢ / ١٣٢)، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٧٧).

(٣) رواه مسلم رقم (١٩١٧)، وأبو داود رقم (٢٥١٤)، والترمذي (٣٠٨٣) عن عقبه بن عامر.

﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٦١) وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِبَصِيرَتِهِ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرِضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ أَلَمْ تَرَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفِينَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُشْخِزَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَوْلَا كَتَبْنَا مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٩﴾ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبٌ لَمَّا فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأُسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٠﴾

﴿وَإِنْ جَنَحُوا﴾ وإن مالوا للصلح ، والسلم يذكر ويؤنث . ﴿فَأَبَتْ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾ فإن كافيك الله . قوله : ﴿وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ معطوف على اسم الله ، أي : يكفيك الله ، ويكفيك المؤمنون . وقيل : معطوف على الكاف ، أي : حسبك الله وحسب المؤمنين الله ، إلا أنه لا يلزم منه العطف على المضمر المجرور بغير إعادة الجار<sup>(١)</sup> . وكان قد وجب في ابتداء الإسلام أن يصبر المؤمن في القتال لعشرة من الكفار ، ثم نسخ ذلك ووجبت مصابرة الواحد لاثنتين خاصة .

قوله : ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ما عند الله من ثواب الشهداء ، فلا يهون عليهم بذل نفوسهم ، وأما أنتم فترجون من الله ما لا يرجون .

لما جيء بالأسرى يوم بدر استشار الصحابة في أمرهم فأشار أبو بكر بأن يؤخذ منهم الفداء يستعين به المؤمنون ، ولعل الله أن يهدي من هؤلاء الأسرى قوماً ، وقال عمر بن الخطاب : هؤلاء رأس الضلالة وحزب الكفر ، قدمهم فاضرب أعناقهم ، فأحب رسول الله ﷺ ما قاله أبو بكر ، وأخذ منهم الفداء ، فعتب على ذلك ، وأنزل الله - تعالى : ﴿مَا كَانَتْ

(١) تقدم في سورة النساء ، الآية (١) .

لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُشْحَنَ فِي الْأَرْضِ ﴿١﴾ . أي: يكثر القتل، والله يريد أن تريدوا الآخرة ﴿لَوْلَا كَتَبَ مِنْ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾ من الرأي ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ قال عمر: دخلت على رسول الله ﷺ وأبي بكر وهما يبكيان، فقلت: ما يبكيكما؟ خبروني، فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما. فقال النبي ﷺ: «أبكي لما عرض عليّ من عذاب قومك، لقد عرض عليّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة، وأشار إلى شجرة قريبة من المسجد» (٢).

وقال ﷺ: «لو نزل من السماء عذاب ما نجا منه إلا عمر» (٣).

وكان العباس عم النبي ﷺ يظهر الكفر ويبطن الإسلام، وكان من المطعمين يوم بدر، والمطعمون عشرة، كل واحد يطعم يوماً فينحر عشرة جزائر، فأسر العباس، فلما جاء الفداء، قال النبي ﷺ للعباس: اهد نفسك وافد عقيلاً فقال: يا رسول الله، ما لي شيء، فقال ﷺ: فأين الذهبية التي أعطيتها لأم الفضل في ظلام الليل، وقلت: إني ذاهب، فإن هلكت فلفلان كذا (٦٨/أ) ولفلان كذا، ولفلان كذا، فقال: يا رسول الله، والله ما اطلع على هذا أحد من خلق الله، وأظهر الإسلام. وفي رواية: أنه لما قال له: (اهد نفسك) قال: كنت مسلماً في الباطن، فقال النبي ﷺ: «أما في الظاهر فقد كنت علينا»، وأنزل الله - تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى﴾ يعني العباس ﴿إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ محبة الإسلام ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ﴾ قال العباس بعد ذلك بستين: «والله لقد آتاني الله خيراً مما أخذ مني، فإن لي اليوم عشرين عبداً مضارباً مع كل عبد عشرون ألفاً، وإنني لأرجو المغفرة من ربي» (٤).

وروي أنه جاء مال من البحرين فنثر في المسجد فجاء العباس فقال: يا رسول الله أعطني، فإني فاديت نفسي وفاديت عقيلاً، فقال: خذ. فأخذ ثوباً فملأه دراهم، وطلب أن يحمله

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠ / ٤٣).

(٢) رواه مسلم (١٧٦٣)، وأبو داود رقم (٢٦٩٠)، والترمذي رقم (٣٠٨١).

(٣) نسبة بهذا اللفظ الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار التي في الكشاف (٢ / ٣٩) للواقدي في كتاب المغازي، ورواه الطبري في تفسيره (١٠ / ٤٨) بلفظ: «لو عذبنا في هذا الأمر يا عمر ما نجا غيرك».

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٠ / ٤٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره رقم (٩١٧٧)، وذكره الواحدي في

أسباب النزول (ص: ٢٤٥) رقم (٤٨٩)، وفي سننه الكلبي وهو ضعيف في الحديث.

فلم يستطع ، فقال : يا رسول الله ، مُر بعضهم يحمله معي ، قال : لا ، قال : فاحمله أنت معي ، قال : لا ، فشر منه ما عجز أن يحمله ، فلم يقدر ، فقال : مر بعضهم أن يحمله معي ، قال : لا ، قال : أو احمله أنت عليّ ، قال : لا ، فشر منه شيئاً ثراً حتى استطاع حمل الباقي ، وحمله على كتفه فأتبعه النبي ﷺ ببصره تعجباً منه ومن حرصه (١) .

﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٧١) إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَّكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّنْ وَلِيَّتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٧٢) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ (٧٣) وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَّكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (٧٤) وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِن بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَرْحَامُ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٧٥)

﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ ﴾ يمكنك الله منهم . ﴿ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ﴾ وكان في أول الإسلام لا ولاء بين المهاجر ومن لم يهاجر، وهو قوله: ﴿ وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّنْ وَلِيَّتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ﴾ .

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ فلا تولوهم . ﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ ﴾ ما أمرتكم به ﴿ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ .

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ من المهاجرين والأنصار . ﴿ أَوْلِيَّكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ ثم ذكر من

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم ( ٤١١ ) عن أنس ؓ ، ولفظه : قال أنس : « أتى النبي ﷺ بمال من البحرين فقال : انثروه في المسجد وكان أكثر مال أتى به رسول الله ﷺ فخرج رسول الله ﷺ إلى الصلاة ولم يلتفت إليه فلما قضى الصلاة جاء فجلس إليه فما كان يرى أحداً إلا أعطاه إذ جاءه العباس فقال : يا رسول الله أعطني ؛ فإني فاديت نفسي وفاديت عقيلاً . فقال له رسول الله ﷺ : خذ . فحنا في ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال : يا رسول الله مر بعضهم يرفعه إليّ . قال : لا . قال : فارفعه أنت علي . قال : لا . فشر منه ثم ذهب يقله فقال : يا رسول الله مر بعضهم يرفعه عليّ . قال : لا . قال : فارفعه أنت علي . قال : لا . فشر منه ثم احتمله فألقاه على كاهله ثم انطلق فما زال رسول الله ﷺ يتبعه بصره حتى خفي علينا عجباً من حرصه ، فما قام رسول الله ﷺ وثم منها درهم .

سيهاجر فيما بعد بقوله: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ ﴾ ، فجعلهم بالصدر الأول ، وأنهم مشاركون لهم فيما حصل من نصر.

﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ ﴾ النسب بالإناث وهذه الآية عام مخصوص ، فإن بعض ذوي الأرحام يرث كالأم والجدة والأخت ، ولا يرث الخال ولا الخالة ، وكلهم من ذوي الأرحام.

\*\*\*

## سورة التوبة [مدنية]

﴿ بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝١ ﴾ فَيَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ  
وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُحْزِي الْكَافِرِينَ ۝٢ ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ  
الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ  
فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ۚ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣ ﴾ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ  
الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ  
يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ۝٤ ﴿

تسمى الفاضحة؛ أنها فضحت المنافقين<sup>(١)</sup>، وعن بعض الصحابة: ما زال يقول  
﴿ وَمِنْهُمْ ﴾ حتى خشينا ألا يبقى منا أحد، أراد قوله: ﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ ﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿ وَمِنْهُمْ مَّن  
يَقُولُ أَتَذَن لِّي ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿ وَمِنْهُمْ مَّن عَاهَدَ اللَّهَ ﴾<sup>(٤)</sup> ﴿ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ ﴾<sup>(٥)</sup> وأمثالها.

﴿ مِّنَ اللَّهِ ﴾ متعلق بمحذوف أي: كائنة، أو واصله، ولا يجوز (ب/٦٨) أن يتعلق ببراءة  
فيفضي إلى الكفر والتبري من الله.

وكان رسول الله ﷺ قد صالح كفار قريش في نوبة الحديبية على أن من أحب أن يدخل  
في حلف رسول الله ﷺ دخل، ومن أحب أن يدخل في حلف الكفار دخل، وألا يعين فريقاً  
على حلف صاحبه، وكانت خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ وبنو بكر حلفاء الكفار، وكان بين  
بني بكر وخزاعة اختلاف فاقتتلوا وأعانت قريش بني بكر بالسلاح، فانتقض عهدهم، وجاء  
قوم من خزاعة [ من الرجز ]:

(١) قال الزمخشري في الكشاف (٢ / ٢٤١): " لها عدة أسماء: براءة، التوبة، المشقشة، المبعثرة،  
المشردة، المخزية، الفاضحة، المثيرة، الحافرة، المنكلة، المدممة، سورة العذاب؛ لأن فيها التوبة  
على المؤمنين، وهي تقشقر من النفاق أي: تبرئ منه، وتبعثر عن أسرار المنافقين، تبحث عنها،  
وتثيرها، وتحفر عنها، وتفضحهم، وتنكلهم، وتشرد بهم، وتخزيهم، وتدمدم عليهم.  
وعن حذيفة ؓ: «إنكم تسمونها سورة التوبة، وإنما هي سورة العذاب، والله ما تركت أحداً إلا  
نالت منه ».

(٢) التوبة، الآية (٥٨).

(٣) التوبة، الآية (٤٩).

(٤) التوبة، الآية (٧٥).

(٥) التوبة، الآية (٦١).

إِنَّ قَرِيشًا أَخْلَفُواكَ الْمَوْعِدَا      وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمَوْكَدَا  
هَمْ يَبْتَئُونَنا بِالْوَتِيرِ هُجَّدَا      وَقَتَلُونَا رُكْعًا وَسُجَّدَا

والوتير: ماء من مياههم .

فقال النبي ﷺ حين سمع شعرهم : " لا نصرتُ إن لم أنصركم " ثم جاء أبو سفيان بن حرب ، فأراد أن يجدد العهد والعقد ، وهو إذ ذاك مشرك فلم يجد إلى ذلك سبيلاً ، فبعث رسول الله ﷺ علياً ومعه أبو هريرة وجماعة من الصحابة يقرءون على الكفار سورة براءة ، ويعرفونهم أن العهد بينهم قد انتقض ، وأنه لم يأخذهم بغتة ، بل أمهلهم أربعة أشهر ليرجع من كان غائباً في البادية ؛ ليستعدوا للحرب بوجوه الاستعداد <sup>(١)</sup> . ﴿مُخْزَى﴾ مهين ومذل .  
﴿وَأَذَّنْ﴾ وإعلام .

﴿يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ يوم النحر ؛ لأن فيه طواف الزيارة ، ورمي جمرة العقبة ، ونحر الهدى أو ذبحه ، وحلق الرأس . وقيل : يوم الحج الأكبر : يوم عرفة ؛ لأن الحج يفوت بفواته ، بخلاف بقية الأركان .

قرئ ﴿وَرَسُولِهِ﴾ بالعطف على اسم الله ، وقرئ بالجر <sup>(٢)</sup> على القسم بالرسول ، كقوله : ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ﴿٧٢﴾ ثم استثنى الله - تعالى - من ثبت على العهد ولم ينقضه

(١) نسبة الزيلعي بهذا السياق في تخريج الأحاديث والآثار التي في الكشاف ( ٢ / ٥٤ ) لابن هشام في سيرته في غزوة مؤتة من طريق ابن إسحاق والبيهقي في دلائل النبوة ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٤ / ١٣٨ ) لابن إسحاق والبيهقي في الدلائل عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة .

(٢) قرأ " ورسوله " بالجر الحسن البصري ، والواو واو القسم ، أو على الجوار ، وقرأ الجمهور " ورسوله " بالرفع ، وقرأ عيسى بن عمر وزيد بن علي وابن أبي إسحاق " ورسوله " عطفًا على لفظ الجلالة ، أو على أنه مفعول معه تنظر في : إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر للبنات ( ١ / ٢٤٠ ) ، البحر المحيط لأبي حيان ( ٥ / ٦ ) ، تفسير القرطبي ( ٨ / ٧٠ ) ، الدر المصون للسمن الحلبي ( ٣ / ٤٤٢ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ١٧٣ ) ، واستبعد السمن الحلبي صحة نسبة قراءة الجر للحسن وقال : " تبعد صحتها عن الحسن ؛ للإيهام ، حتى يحكى أن أعرابيا سمع رجلا يقرأ " ورسوله " بالجر فقال الأعرابي : إن كان الله قد برئ من رسوله فأنا بريء منه ، فليبه القارئ إلى عمر - ﷺ - فحكى الأعرابي الواقعة ، فحينئذ أمر عمر بتعليم العربية . وتحكى أيضا هذه القصة عن أمير المؤمنين علي وأبي الأسود الدؤلي - رضي الله عنهم . "

بقوله : ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا﴾ ولم يعاونوا  
كقوله : ﴿الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ﴾<sup>(١)</sup> أي : عاونوهم .

﴿فَإِذَا أُنْسِلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا  
لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ  
رَحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَا آمَنَهُ  
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ  
إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقِيمُوا لَكُمْ فَأَسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ  
الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا ذِمَّةً يَرْضَوْنَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ  
وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾﴾ .

﴿فَإِذَا أُنْسِلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ﴾ يريد بها أشهر الحج ، ولا يراد بها الأشهر التي يحرم القتال  
فيها ؛ لأن هذه الأربعة متوالية ، والأشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد ﴿وَخُذُوهُمْ﴾ يعني :  
استأسروهم ، ويقال للأسير : أخيد .

﴿وَإِنْ﴾ استجارك ﴿أَحَدٌ﴾ ليسمع قراءة القرآن منك أو من الصحابة ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّى  
يَسْمَعَ﴾ (أ/٦٩) . فإن لم يسلم فلا تقتله حتى ترده إلى مكان يأمن فيه على نفسه .

﴿قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فلذلك أمهلوا حتى يسمعوا كلام الله ، فيعلموا صدق الرسول  
﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ أي : لا يصلح ولا ينبغي ﴿إِلَّا﴾ في حق ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ  
عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ فما داموا مستقيمين لكم على الوفاء ﴿فَأَسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ بمثله ، ثم قرر  
أنه لا ينبغي أن يبقى العهد مع المنافقين ، ومن شأنهم أنهم لو ظفروا بكم لم يرقبوا فيكم إلا  
ولا ذمة . قيل : الإل : هو الله . ولما سمع أبو بكر ما زعم مسيلمة أنه قرآن أنزل عليه تبسم ،  
وقال : ما خرج هذا من إل<sup>(٢)</sup> . وقيل : الإل : العهد .

الفسق هو الخروج ؛ يقال فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها ، وكل الناقضين كفار  
فاسقون ، وإنما قال : ﴿وَأَكْثَرُهُمْ﴾ لأنه أراد بالفسق الطغيان ومجاوزة الحد في الطغيان

(١) سورة الأحزاب ، الآية (٢٦) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٤٣٨/١) ولم يرتض هذا الزجاج قال : " لأن أسماءه - تعالى - معروفة في  
الكتاب والسنة ، ولم يسمع أحد يقول : يا إل افعل لي كذا " . ينظر : معاني القرآن للزجاج (٤٣٣/٢) .



﴿أَشْتَرُوا﴾ استبدلوا ﴿بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا﴾ فيه رد على من زعم أن الثمن ما دخلت عليه باء الثمنية ، فإذا قلت : اشتريت عبداً تجارية ، فالجارية الثمن ، والعبد مئتمن ، وإن قلت : اشتريت جارية بعبد ، فبالعكس ، وهاهنا دخلت الباء على المئتمن <sup>(١)</sup> .

﴿أَشْتَرُوا بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ ۗ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وِلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفِصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَتَلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ ۖ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَكُمُوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُكُمْ أُولَئِكَ مَرَّةً كَفَبْتُمْ فَأَلْمَنُوا ۗ إِنَّهُمْ أَخَشَوْا أَنْ يَخْشَوْهُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَتَلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبَ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾

﴿فَصَدَّوْا﴾ يجوز أن يكون لازماً ومتعدياً كما سبق . ﴿فِإِخْوَانُكُمْ﴾ أي : فهم إخوانكم .

﴿لَا أَيْمَانَ لَهُمْ﴾ أي : لا وفاء أيمان ، كقول الشاعر [ من الطويل ] :

(١) قال الفراء في معاني القرآن ( ١ / ٣٠ ) : " وكل ما في القرآن من هذا قد نصب فيه الثمن ، وأدخلت الباء في المبيوع أو المشتري ، فإن ذلك أكثر ما يأتي في الشئيين لا يكونان ثمناً معلوماً من الدنانير والدراهم ، فمن ذلك : " اشتريت ثوباً بكساء " أيهما شئت تجعله ثمناً لصاحبه ؛ لأنه ليس من الأثمان ، وما كان ليس من الأثمان مثل الرقيق والدور وجميع العروض فهو على هذا ، فإن جئت إلى الدراهم والدنانير وضعت الباء في الثمن كما قال في سورة يوسف : ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ ﴾ لأن الدراهم ثمن أبداً والباء إنما تدخل في الأثمان ، فذلك قوله ﴿ أَشْتَرُوا بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ ﴿ أَشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ﴾ ﴿ أَشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ ﴾ " اشترى الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة " فأدخل الباء في أي هذين شئت ، حتى تصير إلى الدنانير والدراهم فإنك تدخل الباء فيهن مع للعروض " .

وقال السمين الحلبي في الدر المصون ( ١ / ٢٠٦ - ٢٠٧ ) : " وضُمنَ الاشتراء معنى الاستبدال ، فلذلك دخلت الباء على الآيات ، وكان القياس دخولها على ما هو ثمن ؛ لأن الثمن في البيع حقيقته : أن يشتري به ، لا أن يشتري ، لكن لما دخل الكلام معنى الاستبدال جاز ذلك ؛ لأن معنى الاستبدال أن يكون المنصوب فيه حاصلًا والمجورور بالباء زائلاً . ونقل عن المهدوي قوله : دخول الباء على الآيات كدخولها على الثمن ، وكذلك كل ما لا عين فيه . وإذا كان في الكلام دراهم أو دنانير دخلت الباء على الثمن " .

وإن حلفت لا تنقض الدهر عهداً فليس لمخضوب البنان يمين<sup>(١)</sup>

أي: وفاء يمين. ومن قرأ (لا إيمان) بكسر الهمزة<sup>(٢)</sup> فهي شهادة عليهم بالكفر، وأنهم ليسوا من الإيمان في شيء. ثم حرّض المؤمنين على قتال الناقضين، فقال: ﴿أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا﴾ وما لكم لا تقاتلونهم؟ ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾؟ ثم بين فوائد قتالهم بقوله: ﴿يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ (١٤) وَيُذْهِبَ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ. ﴿

ها هنا انتهت الوعود على قتال الناكثين، ثم أخبر الله خبراً مستأنفاً: أنه يتوب على من يشاء، وليس ذلك متعلقاً بالشرط، كما في الأفعال الخمسة السابقة المجزومة بجواب الأمر ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمن أخلص في التوبة ﴿حَكِيمٌ﴾ قبل التوبة لتهيأ الرجوع إلى الله في كل وقت.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٦) مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ أُولَٰئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ أَجَعَلْتُم سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنَّ اسْتَحْبَبُوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾.

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأعراف، الآية (١٠٢).

(٢) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف ويعقوب " لا إيمان لهم " ، وقرأ ابن عامر وحده من العشرة " لا إيمان لهم " . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٥ / ١٥ ) ، حجة ابن خالويه ( ص : ١٧٤ ) ، حجة أبي زرعة ( ص : ٣١٥ ) ، الدر المصون للسمن الحلبي ( ٣ / ٤٥١ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٣١٢ ) ، الكشاف للزحشي ( ٢ / ١٧٧ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٧٨ ) .

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا ﴾ من غير امتحان ولا اختبار، ولما يظهر الله بالامتحان والاختبار. ﴿ الَّذِينَ جَاهَدُوا ﴾ ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين معدلاً يلجئون فيه، ومكان الولوج: وليجة. ولما أسر العباس يوم بدر (٦٩/ب) غيره عليٌّ وقال: كذبتهم الرسول وقاتلتهم المؤمنين الذين يوحدون الله ويعظمونه، وقطعتهم الرحم بالقتال. فقال العباس: تذكرون مساوئنا وتتركون محاسننا، إنا لنسقي الحاج، ونطعم الجائع، ونفك العاني، ونعمر المسجد الحرام، فنزلت ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ ﴾ ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ ﴾ <sup>(١)</sup> ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ ﴾ كإيمان من آمن، أو: جعلتم أهل سقاية الحاج، ثم بين قبول عبادات المؤمنين وحبوط عمل الكافرين فقال في الكفار: ﴿ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ <sup>(٢١٧)</sup> وفي حق المؤمنين ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ الآيتين. ثم نهى المؤمنين أن يداخلوا الكفار، أو يطلعوهم على بواطنهم ولو كانوا ذوي قرى.

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ <sup>(٢٤)</sup> لقد نصركم الله في مواطن كثيرة<sup>٦</sup> ويوم حنين<sup>٧</sup> إذ أعجبكم كثرتمكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاعت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين <sup>(٢٥)</sup> ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لهم ترهبوا وعدب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين <sup>(٢٦)</sup>.

﴿ فَتَرَبَّصُوا ﴾ فانتظروا ﴿ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ بعقوبة من أثر هذه الأمور على حق الله - تعالى. ﴿ فِي مَوَاطِنَ ﴾ أي: في أيام مواطن؛ لأنه لو أراد المكان لم يعطف عليه ظرف الزمان في قوله: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ﴾ لأنك تقول: ضربت زيداً يوم الجمعة عند المسجد، ولا تقول: وعند المسجد، إلا أن يسبق ظرف مكان فتقول: ضربته خلف الدار وعند المسجد، ولك أن تضرمر في الثاني، فتقول: في مواطن كثيرة وموطن حنين<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠ / ٩٥)، وزاد نسبه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ١٤٥) لابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس - رضي الله عنهما.

(٢) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٢ / ٢٥٩) وجوز السمين الحلبي عطف ظرف الزمان من غير =

وكان النبي ﷺ لما فتح مكة معه عشرة آلاف، وعفا عن أهل مكة، وقال: " أنتم الطلقاء " وأخذ من الطلقاء ألفين فتوجه إلى حنين باثني عشر ألفا، فقال قائل: لن تغلب اليوم من قلة. فوكلهم الله إلى أنفسهم، فاستقبلتهم هوازن وهم رماة فرموا المسلمين بالنبل فانهزم المسلمون في أول الحال، فأمر النبي ﷺ العباس وكان جهوري الصوت فنادى: يا أصحاب الشجرة، يا أصحاب السمرة. وهي الشجرة التي بايعوا رسول الله ﷺ على القتال عندها، فذكرهم ما عاهدوا الله عليه فنادى: يا أصحاب البقرة. يريد: من حفظ سورة البقرة وما فيها من الأمر بالقتال في مواضع، فتراجع المؤمنون، قال الراوي: كعطفة البقر على أولادها. وكان النبي ﷺ على بغلته والعباس أخذ بركابه، وعبيدة بن الحارث أخذ بالركاب الآخر، فنزل ودعا واستنصر، وقال:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب.

ورماهم بقبضة من تراب، وقال: شأهت الوجوه. قال الراوي: فمذ رماهم رسول الله ﷺ بتلك الحصيات ما زلت أرى أحدهم (٧٠ / أ) قليلاً ثم انهزموا<sup>(١)</sup>.

﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحٰنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾

= واسطة " في " على ظرف المكان المجرور بها، وقال: ولا غرو في نسق ظرف الزمان على مكان أو

العكس، تقول: سرت أمامك يوم الجمعة. إلا أن الأحسن أن يترك العاطف في مثله "

(١) رواه البخاري رقم (٢٨٦٤، ٢٨٧٤)، ومسلم رقم (١٧٧٦).

## تفسير سورة التوبة

﴿ثُمَّ تَوْبُ اللَّهِ﴾ وعد منه سبحانه بقبول التوبة على من يشاء. ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ﴾ شيء مبعث فابعدهم عن المسجد ، وكان في نداء علي في السنة التاسعة : " ألا لا يحجن بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان " (١).

و«العيلة» : الفقر ، والعائل : الفقير ، كقوله : ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا﴾ (٢) وأما الزوجة والأولاد فيقال لهم عائلة .

ولما نهى المشركون ومنعوا أن يقربوا المسجد الحرام ، وهم الذين كانوا يجلبون الميرة إلى مكة ، خاف الناس أن ينقطع ذلك عنهم ، فوعد الله باستمرار ذلك ، فأسلم أهل جرش (٣) وحملوا الميرة ، وأغنى الله عما يحمله الكفار.

﴿قَلِيلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ ويصدقون به ، وكذلك اليوم الآخر ، لا يؤمنون به كإيماننا لأنهم يزعمون أن المعاد روحاني ليس فيه شيء من الجسمانيات ، كالأكل والشرب والجماع واللباس (٤).

(١) رواه الترمذي رقم ( ٣٠٩١ ) ، والحاكم في المستدرک ( ٣ / ٥١ ) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترمذي رقم (٢٤٦٨).

(٢) سورة الضحى ، الآية (٧).

(٣) جرش - بالضم ثم الفتح وشين معجمة - : من مخاليف اليمن من جهة مكة وهي في الإقليم الأول . وقيل : إن جرش مدينة عظيمة باليمن وولاية واسعة وذكر بعض أهل السير أن تبعا أسعد بن كليكرب خرج من اليمن غازيا حتى إذا كان بجرش وهي إذ ذاك خربة ومعد حالة حوالها فخلف بها جمعا ممن كان صحبه رأى فيهم ضعفا وقال : اجرشوا ههنا . أي : البثوا فسميت جرش بذلك . ينظر : معجم البلدان لياقوت الحموي ( ٢ / ١٢٦ ) .

(٤) قال الإيجي في كتاب المواقف ( ٣ / ٤٧٨ - ٤٧٩ ) : " اعلم أن الأقوال الممكنة في مسألة المعاد لا تزيد على خمسة : الأول : ثبوت المعاد الجسماني فقط ، وهو قول أكثر المتكلمين النافين للنفس الناطقة . والثاني : ثبوت المعاد الروحاني فقط ، وهو قول الفلاسفة الإلهيين . والثالث : ثبوتهما معا ، وهو قول كثير من المحققين كالحليمي والغزالي والراغب وأبي زيد الدبوسي ومعمر من قدماء المعتزلة وجمهور من متأخري الإمامية وكثير من الصوفية فإنهم قالوا : الإنسان بالحقيقة هو النفس الناطقة ، وهي المكلف والمطيع والعاصي والمثاب والمعاقب ، والبدن يجري منها مجرى الآلة ، والنفس باقية بعد فساد البدن فإذا أراد الله تعالى حشر الخلائق لخلق لكل واحد من الأرواح بدنا يتعلق به ويتصرف فيه كما كان في الدنيا . والرابع : عدم ثبوت شيء منهما ، وهذا قول القدماء من الفلاسفة الطبيعيين . والخامس : التوقف في هذه الأقسام ، وهو المنقول عن جالينوس فإنه قال : لم يتبين لي أن النفس هل =

﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ اليهود والنصارى ، حتى يقرؤا بلزوم الجزية والتزامها في كل حول. ولا يشترط أداؤها ، لكن نزل الالتزام بمنزلة الأداء ، وهو كقوله تعالى : ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ نَسْتَرِضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ﴾<sup>(١)</sup> .

ولا يشترط التسليم ، بل الالتزام مع طيب نفس المرضع كاف . ﴿صَغِيرُونَ﴾ ذليلون . قال الشافعي : الصغار جريان الإسلام عليهم<sup>(٢)</sup> .

وقالت المراوزة<sup>(٣)</sup> : فيه وجهان : أحدهما : ما ذكره العراقيون . والثاني : أن تؤخذ منه الجزية ، وهو قائم والآخذ قاعد<sup>(٤)</sup> ، ويأخذ بلهازمه ويضربه ضربة أو ضربتين ، ويقول : أدّ الجزية يا عدو الله ، وهذا واجب على أحد الوجهين . فعلى هذا لا يجوز التوكيل في أداء الجزية<sup>(٥)</sup> .

﴿وَقَالَتِ﴾ طائفة من ﴿الْيَهُودُ عَزِيزٌ أَيْبُنُ اللَّهِ﴾ من نون عزيزاً فلا إشكال عليه ، ومن حذف التنوين<sup>(٦)</sup> منه فقيل هو تخفيف ؛ كقوله : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾<sup>(١)</sup> الله

= هي المزاج فينعدم عند الموت فيستحيل إعادتها أو هي جوهر باق بعد فساد البنية فيمكن المعاد حينئذ .

ينظر تفصيل ذلك في : كتاب المواقف لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي - ط . دار الجيل - بيروت - الطبعة الأولى ، ١٩٩٧ - تحقيق : د . عبد الرحمن عميرة ، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول لحافظ بن أحمد حكيمي ( ٧٧٩ / ٢ ) ط . دار ابن القيم - الدمام - الطبعة الأولى ١٩٩٠ - تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر .

(١) سورة البقرة ، الآية ( ٢٣٣ ) .

(٢) ينظر : أحكام القرآن للشافعي ( ٢ / ٥٩ - ٦٠ ) ، الأم للشافعي ( ٤ / ١٧٦ ) وعبارته : " فلم يأذن الله عز وجل في أن تؤخذ الجزية ممن أمر بأخذها منه حتى يعطيها عن يد صاغرا . قال : وسمعت رجالا من أهل العلم يقولون ، الصغار أن يجري عليهم حكم الإسلام وما أشبه ما قالوا بما قالوا لامتناعهم من الإسلام فإذا جرى عليهم حكمه فقد أصغروا بما يجري عليهم منه " . ونقله عنه الماوردي في النكت والعيون ( ٢ / ١٢٩ ) .

(٣) المراوزة - بالفتح ويعد الواو زاي : هي نسبة إلى المروزيين نسبة إلى مرو مثل المهالبة والمسامعة والبغادة وهي محلة كانت ببغداد متصلة بالحربية خربت الآن كان قد سكنها أهل مرو فنسبت إليهم .

ينظر : معجم البلدان لياقوت الحموي ( ٥ / ٩٦ ) .

(٤) رواه الطبري في تفسيره ( ١٠ / ١١٠ ) عن عكرمة .

(٥) ينظر : الأم للشافعي ( ٤ / ٣٩٨ ) ، المبسوط للسرخسي ( ٦ / ١٣٠ ) ، المغني لابن قدامة ( ١٠ / ٦٢٠ ) .

(٦) قرأ عاصم والكسائي " عزيز " بالتنوين ، وقرأ الباقر " عزيز " بغير تنوين . تنظر في : إتحاف =

أَلْضَمُّدُ ﴿٢﴾<sup>(١)</sup> وعن بعضهم أنه قرأ ﴿وَلَا أَلِيلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾<sup>(٢)</sup> ف قيل له: هلا قرأت كذلك، قال: كان يكون أوزن. وقيل: ابن الله: أعني: المقول فيه: إنه عزيز بن الله، والخبر محذوف، أي: معبودنا أو إلهنا؛ كقول فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

والتنوين إنما يحذف إذا وقع " ابن " صفة، فأما إذا وقع خبراً فتقول: زيد بن عمرو<sup>(٤)</sup>.

﴿ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ وكل قول هو بالفم، ولكنه إنما يأتي في الكتاب تلويحاً بأن هذا القول لم يواطئ عليه القلب.

﴿يُضَاهِيُونَ﴾ (٧٠ / ب) يشابهون، والمضاهاة المشابهة وقد تهمز، فيقال: مضاهاة.

وقرئ (يُضَاهِيُونَ)<sup>(٥)</sup> ﴿أَنْ يُؤَفَّكَوت﴾ كيف تقلبون عن الحق إلى الباطل.

وروي: «أن عدي بن حاتم<sup>(٦)</sup> طبع دخل على رسول الله ﷺ وفي عنقه صليب من ذهب، فقرأ النبي ﷺ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ

= فضلاء البشر للبنا (٢ / ٨٩)، البحر المحيط لأبي حيان (٥ / ٣١)، حجة ابن خالويه (ص: ١٧٤)، حجة أبي علي الفارسي (٤ / ١٨١)، الدر المصون للسمين الحلبي (٣ / ٤٥٨)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٣١٣)، الكشف للزغشري (٢ / ١٨٥)، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٧٩).  
 (١) سورة الإخلاص، الآية (١) وقرأ الجمهور " أحد " بالتنوين، وقرأ زيد بن علي وأبان بن عثمان وابن أبي إسحاق والحسن وأبو عمرو في رواية عنه " أحد " بحذف التنوين لالتقاء الساكنين. تنظر في: البحر المحيط لأي حيان (٨ / ٥٢٨)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦ / ٥٨٨)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٧٠١)، الكشف للزغشري (٤ / ٨١٨)، معاني القرآن للفراء (١ / ٤٣٢).  
 (٢) سورة يس، الآية (٤٠) وقرأ بها عمارة بن عقيل الخطفي. تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٢٣٨)، تفسير القرطبي (١٥ / ٣٣)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٤٨٦)، الكشف للزغشري (٤ / ١٧).  
 (٣) سورة الشعراء، الآية (٢٧).  
 (٤) قال العكبري في كتاب اللباب علل البناء والإعراب (٢ / ٤٨٩): " وأما ألف ابن فثبت في الخط في كل موضع إلا إذا كان ابن صفة مفرداً واقعاً بين علمين أو كنييتين على ما هو شرط فتح ما قبله في النداء فإنه يكتب بغير ألف فعلى هذا تكتبه بالألف إذا كان مثني أو كان خبراً لمبتدأ، وتكتب ابنة تأنث ابن بالألف في كل حال " .

(٥) قرأ جمهور العشرة " يضاؤون "، وقرأ عاصم وحده " يضاؤون " تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٥ / ٣١)، الحجة لابن خالويه (ص: ١٧٤)، الدر المصون للسمين الحلبي (٣ / ٤٥٨)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٣١٤)، الكشف للزغشري (٢ / ١٨٥)، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٧٩).  
 (٦) هو عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدي الطائي ولد الجواد =

مَرِّكُمْ ﴿٣١﴾ فقال : ما اتخذنا أحبارنا أربابا ، فقال النبي ﷺ : أليسوا يجرمون عليكم الشيء مما أحله الله فتحرمونه ؟ ويحللون الشيء مما حرمه الله فتحللونه ؟ قال : نعم " (١) . قوله : ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يدل على أن اليهود والنصارى يسمون مشركين .

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٣٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَطْلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يَقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾ ضرب لهم مثلاً في عنادهم للحق والله ناصرهم بمنزلة من ينفخ في وجه عين الشمس ، ليطفى نورها ، وذلك مما لا يؤثر شيئاً .

قوله : ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ مع أن بلاد الكفر أكثر من بلاد المسلمين بأضعاف كثيرة ! وفي تأويله وجوه : أحدها : أن ذلك يكون حين ينزل عيسى بن مريم معززاً لدين الإسلام ، وتهلك في زمانه الملل كلها إلا الإسلام . والثاني : ليظهره بالحجة ، فالكفار وإن غلبوا على بعض الأطراف - مقهورون بالحجة . وقيل : ﴿لِيُظْهِرَهُ﴾ أي : ليطلعه ؛ كقوله

= المشهور أبو طريف أسلم في سنة تسع ، وقيل : سنة عشر . وكان نصرانياً قبل ذلك وثبت على إسلامه في الردة وأحضر صدقة قومه إلى أبي بكر ، وشهد فتح العراق ، ثم سكن الكوفة ، وشهد صفين مع علي ومات بعد الستين وقد أسن قال خليفة : بلغ عشرين ومائة سنة . وقال أبو حاتم السجستاني : بلغ مائة وثمانين . تنظر ترجمته في : الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٤ / ٤٦٩ - ٤٧٠) .

(١) رواه الترمذي ، رقم ( ٣٠٩٥ ) ، والطبري ( ١٧ / ٢٨٨ ، ٢١٩ ) وصححه الألباني في صحيح الترمذي ( ٢٤٧١ )



تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَبَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ <sup>(١)</sup> أي : أطلعه ، يعني ليظهر نبيه على قواعد الدين كلها ﴿ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ﴾ وهي المآكل التي كانوا يأكلونها على تحريف كتاب الله وتبديله ﴿ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ يجوز أن يكون " يَصُدُّونَ " متعديا ، أي : يصدون الناس ، ويجوز أن يكون لازما ، أي : يعرضون عن سبيل الله . وجاء في الحديث : " كل مال لا تؤدى زكاته فهو كنز " <sup>(٢)</sup> يعني : ولو كان ظاهرا على وجه الأرض ، وكل مال أدت زكاته فليس بكنز وإن كان مدفونا في الأرض ، وهذا وضع شرعي ليس من الوضع الأصلي في شيء . ﴿ وَلَا يُفْقُونَهَا ﴾ أي : الفضة ؛ لأن أكثر النفقات بها . جعل عوض البشارة بالخير البشارة بالعذاب الأليم . ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا ﴾ أي : يوقد عليها ، وخص هذه المواضع بالكي لأنهم كانوا إذا جاءهم السائل ظهرت الكراهة في وجوههم ( ٧١ / أ ) ويظهر القبول في الأسارير ، ثم يعرض بجنبه عن السائل ، ثم يوليه ظهره .

﴿ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ ﴾ يجوز أن يشار به إلى الذهب والفضة ، فيقال لهم : هذا الذي أعددتموه لشدائدكم عذبتهم به . ويجوز أن يقال : هذا الكي جزاء ما كنزتموه لأنفسكم ، ولهذا قال : ﴿ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ أي : جزاءه .

﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ عَامًا وَيُحْرِمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ <sup>(٣٧)</sup> يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قَاتِلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضِيئُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلًا <sup>(٣٨)</sup> إِلَّا أَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ <sup>(٣٩)</sup> إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْفَارِ إِذِ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ <sup>(٤٠)</sup>

(١) سورة التحريم ، الآية ( ٣ ) .

(٢) رواه الشافعي في مسنده ( ١ / ٦١٢ ) ، والبعوي في شرح السنة ( ٣ / ٣٠٩ ) موقوفا على ابن عمر .

كانت الأشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد، ولكن كانوا إذا احتاجوا إلى تحليل شهر من الأشهر الحرم، جاءوا إلى رجل منهم معروف، فيحلل المحرم مثلاً، ويجعل مكانه صفر محرماً، لتبقى الأشهر الحرم أربعة كما كانت، فحافظوا على عدد الأربعة، ولكنهم أحلوا ما حرم الله وهو المحرم في مثلنا هذا، وحرّموا ما أحله الله وهو صفر، وهذا النسيء. والنسيء: التأخير، فنزلت ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ (١).

﴿لِيُؤَاطِئُوا﴾ ليوافقوا ﴿عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ وهي الأربعة ﴿فِيحُلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ وهو المحرم. كانوا إذا دعوا إلى الجهاد اعتذر كثير من المنافقين وغيرهم بأعذار ضعيفة ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بدلاً ﴿مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي﴾ جنب ﴿الْآخِرَةَ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ثم هدد على ترك النصره بقوله: ﴿وَيَسْتَبَدِّلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي: يستبدل بكم ثم هدد على ترك النصره بقوله: ﴿إِلَّا نَنْصُرُوهُ﴾ وجواب الشرط محذوف، التقدير: إلا تنصروه ينصره الله كما فعل ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: ألقوه إلى الخروج، ولم يباشروا إخراجه ﴿ثَانِيًا أَتَيْنَ﴾ أي: أحد اثنين ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾ من أنكر صحبة أبي بكر فقد كفر؛ لقوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾ (٢).

﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ كلام مستأنف، فلذلك رفع بالابتداء، ولو نصب لكان جعل كلمة الله عليا معلقا بالشرط، وهو أمر حاصل مستقر.

﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٤١) لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لا تتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون (٤٢) عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكذابين (٤٣) لا يستعينك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليهم بالمتقين (٤٤) إنما يستعينك الذين لا يؤمنون بالله واليوم

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠ / ١٣٠)

(٢) قال العلامة ابن حجر الهيتمي: "أجمع المسلمون على أن المراد بالصاحب هنا أبو بكر ومن ثم من أنكر صحبته كفر إجماعاً". ينظر كلامه في كتابه: الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة (١/ ١٩٠) ط. مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الأولى، ١٩٩٧ - تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي وكامل محمد الخراط.

الْآخِرِ وَأَرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهَمُّ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنَّ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾

﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ شبابا وشيوخا، موسرين ومتوسطين، محيين وكارهين.

أخبر الله نبيه أنه إذا رجع إليهم اعتذروا وحلفوا ﴿لَوْ أَسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ بالتخلف عن النبي ﷺ والكذب في العذر.

بدأ رسول الله ﷺ بالعفو قبل العتاب ؛ تخفيفا عن خاطره الشريف أن يؤلم بالعتب قبل السبق بالعفو .

قوله : ﴿أَنْ يُجَاهِدُوا﴾ (٧١ / ب) أي : لا يستأذنك في ألا يجاهدوا ، وفي سورة النور ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَنْذِرُونَكَ أَولِيكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ <sup>(١)</sup> وهاهنا : ﴿إِنَّمَا يَسْتَنْذِرُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لأن الاستئذان في سورة النور هو في الحضور في المشورة ، وهاهنا هو في ترك الجهاد .

﴿انْبِعَاثَهُمْ﴾ خروجهم معكم . ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ صرف عزائمهم عن الغزو ، وكأنهم قد أمروا بالعودة ، والقاعدون : النساء والصبيان ، كقول الشاعر [ من البسيط ] :

دع المكارم لا تلمم بساحتها واجلس فإتك أنت الطاعم الكاسي <sup>(٢)</sup>

يعني : مثل النساء والصبيان يأكلون ويلبسون ولا يقاتلون .

﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعَفُوا لَكُمْ يَغْفُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمْعُونُ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ ﴿٤٧﴾ لَقَدْ اسْتَعَاذَ الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلِ وَقَالُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَتَذُنَ لِي وَلَا نَفْتِنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ فُسْوَهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُلْ لَنْ

(١) الآية (٦٢) .

(٢) البيت للحطيئة يهجو الزبيرقان ، ينظر في : الأغاني للأصفهاني (٢ / ١٧٦) ، تاج العروس للزبيدي (طعم) ، تفسير القرطبي (٩ / ٣٦) ، دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني (١ / ٣٤١) ، لسان العرب (طعم) .

يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرْتَضُونَ بِنَا إِلَّا لِأَحَدَى الْحُسَيْنَيْنِ<sup>ط</sup> وَنَحْنُ نَرْتَبِصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرْتَضُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرْتِبُونَ ﴿٥٢﴾

﴿إِلَّا خَبَالًا﴾ إلا فساداً، وهذا استثناء من غير الجنس؛ لأنه لم يكن بالنبي - ﷺ - ولا بصحابته خبال حتى يزدادوا. والإيضاح: ضرب من السير حثيث.

﴿سَمَّعُونَ لَهُمْ﴾ أي: يسمعون لينقلوا إليهم ﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾ تربصوا بكم الدوائر، وانتظروا آفات الزمان حتى جاء الأمر بخلاف ما ظنوه، ولما طلب رسول الله ﷺ الناس للجهاد في غزوة تبوك، وإلى قتال بني الأصفر، قال الحد بن قيس - وهو أحد المنافقين - : يا رسول الله، قد علمت قريش أني مولع بالنساء، وإنني أخشى إن قاتلوا بني الأصفر ورأيت حريمهم ونساءهم لا أصبر ومت حسرة، وربما فتنوني، فقال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَتَذَن لِي وَلَا نَفْتِي﴾ أي: برؤية بنات الأصفر<sup>(١)</sup> ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ بالاعتذار عن الخروج مع النبي ﷺ.

﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا﴾ أي: يقول القاعدون قد أخذنا بالأحوط ولم نخرج معكم. ﴿قُلْ هَلْ تَرْتَضُونَ﴾ أي: تنتظرون ﴿بِنَا إِلَّا لِأَحَدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾ وهو الشهادة إن قهرنا، والغنيمة إن قهرنا. ﴿وَنَحْنُ نَرْتَبِصُ بِكُمْ﴾ إحدى السوءتين، وهو إما إهلاككم بأيدينا، وإما عذاب ينزله الله بالمخالفين.

﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقَبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهِونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأًا أَوْ مَغْرَبَاتٍ أَوْ مَدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠ / ١٤٨)، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٢١٣) لابن أبي حاتم

وابن مردويه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴿٦٠﴾ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ  
وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ فُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ  
السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦١﴾ وَمِنَهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ  
وَيَقُولُونَ هُوَ أذُنٌ قُلٍّ أذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا  
مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾

﴿فَلَسِقِينَ﴾ خارجين عن الإيمان، ولهذا قال: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا  
أَنَّهُمْ كَفَرُوا﴾ وقوله: ﴿أَنْ تُقْبَلَ﴾ يجوز أن يكون مفعولاً ثانياً لمنع، تقول: منعت زيدا  
مطلوبة، ويجوز أن يكون بدل اشتمال، و﴿أَنَّهُمْ﴾ فاعل منع.

﴿لِيُعَذِّبَهُمُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: بالمصائب والآفات التي يصب فيهما. ﴿قَوْمٌ  
يَفْرُقُونَ﴾ يخافون العواقب فيتقون، وجهاً معكم ووجهاً معهم. (٧٢ / ١) ﴿مُدْخَلًا﴾  
مكاناً. ﴿يَجْمَحُونَ﴾ معرضين عن موافقتكم. ﴿يَلْمِزُكَ﴾ يعيبك. ﴿وَإِنْ لَّمْ يُعْطُوا مِنْهَا﴾ فاجئوا  
بالسخط، وجواب لو محذوف، تقديره: لكان خيراً لهم. ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ  
وَالْمَسْكِينِ﴾ لا لغيرهم فلذلك قال أبو حنيفة ومالك: إنما سيقت الآية لبيان أن هؤلاء هم  
المستحقون لا غيرهم، فيجوز المفاضلة بين الأنواع الثمانية. وقال الشافعي: لا بد من المساواة  
بينهم؛ لأن الله تعالى أضافها إليهم بلام التمليك، وشرك بينهم بواو التشريك<sup>(١)</sup>.  
﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أذُنٌ﴾ أي: مستمع لكل ما يحدث به ﴿قُلٍّ أذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من قرأ  
بالإضافة فتقديره: مستمع خير لكم. ومن قرأ بالتنوين<sup>(٢)</sup> فتقديره: كونه مستمعاً خير لكم  
من كونه معرضاً عما يحدث به.

(١) ينظر: الأم للشافعي (٢ / ٩٤)، بدائع الصنائع للكاساني (٤ / ٢٣٢)، بداية المجتهد لابن رشد  
(١ / ٤١٣)، المبسوط للسرخسي (٣ / ٢).

(٢) قرأ نافع من العشرة "أذُنٌ خيرٌ" بسكون الذاو وضم النون، وقرأ باقي العشرة "أذُنٌ خيرٌ" بضم  
الذاو وبالإضافة وقرأ الحسن ومجاهد وزيد بن علي وأبو بكر عن عاصم "أذُنٌ خيرٌ" بالتنوين.  
تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٥ / ٦٢، ٦٣)، الحجة لابن خالويه (ص: ١٧٦)، حجة أبي  
زرعة (ص: ٣١٩، ٣٢٠)، الدر المصون للسمين الحلبي (٣ / ٤٧٧)، السبعة لابن مجاهد (ص:  
٣١٥)، الكشاف للزمخشري (٢ / ١٩٩)، النشر لابن الجزري (٢ / ٢١٦).

﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَلِيدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفَ عَنْ طَآئِفَةٍ مِّنْكُمْ نَعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾

إنما وحَّد الضمير في قوله : ﴿أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ لأن رضا الله فيه رضا رسوله ، ورضا رسوله فيه رضا الله . ﴿مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ﴾ يكون في حد ، والرسول ﷺ في حد آخر . ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ﴾ توضح للناس ما أضمروه من النفاق ، فكأنها تنبئهم بذلك ، وسببه أن المريب خصم نفسه ، وهو كقوله : ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ <sup>(١)</sup> وقوله : ﴿اسْتَهْزِئُوا﴾ ليس طلباً للاستهزاء ، وإنما هو تهديد ؛ كقوله : ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ اجتمع ناس من المنافقين ليلة العقبة فتحدثوا منفردين بأنفسهم فيما ينكرونه من أحوال النبي ﷺ وأحوال الصحابة رضي الله عنهم ، فقال لهم النبي ﷺ : " أما أنت يا فلان فقلت كذا ، وأما أنت يا فلان فقلت كذا " ، فقال بعض المؤمنين المخلصين : يا رسول الله مرنا فنضرب أعناقهم . فقال : " لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه " وقالوا : يا رسول الله ، إنما كنا نتحدث حديث الركب ، ونقطع الطريق بأنواع الحديث ، فنزلت ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ <sup>(٢)</sup> لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ <sup>(٢)</sup> فجعل الاستهزاء بالدين كفر . ﴿بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ بعد إظهاركم الإيمان . ﴿إِنْ نَعَفَ عَنْ طَآئِفَةٍ مِّنْكُمْ﴾ بالتوحيد ﴿نَعَذِّبْ طَآئِفَةً﴾ مصرة على نفاقها . ﴿بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾

(١) سورة المنافقون ، الآية (٤) .

(٢) ذكره الواحدي في أسباب النزول ( ص : ٢٥٥ ، ٢٥٦ ) رقم ( ٥١١ - ٥١٣ ) ، وعزاه السيوطي في

الدر المنثور ( ٣ / ٢٥٤ ) لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ .

يعني أنهم كالجسد الواحد ، وهكذا أهل المذاهب الفاسدة يعين بعضهم بعضاً .  
﴿وَيَقْبِضُوا أَيْدِيَهُمْ﴾ عن العطاء في سبيل الله .

﴿نَسُوا اللَّهَ﴾ أهملوا (٧٢ / ب) أو امره فجازاهم على إهمالهم بالإهمال . ﴿هِيَ حَسْبُهُمْ﴾ أي : هي الكافية في تعذيبهم ومجازاتهم .

﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِمَخْلَقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِمَخْلَقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِمَخْلَقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾

﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أي : يعذب المكذبون من قومك كما عذب المتقدمون ولعنوا .  
﴿بِمَخْلَقِهِمْ﴾ بنصيبتهم . ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ أي : كالخوض الذي خاضوه . وقيل :  
وضع (الذي) موضع (الذين) كقول الشاعر [ من الطويل ] :

فإن الذي حانت بفلج دماؤهم<sup>(١)</sup>

أي : فإن الذين . ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةِ﴾ قرى قوم لوط؛ لأنها قلبت بهم . ﴿أَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ﴾ بالآيات الواضحات ، فكذبوا فأهلكوا ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ بالإهلاك .

(١) هذا صدر بيت للأشهب بن رميلة وعجزه : ..... هم القوم كل القوم يا أم خالد  
ينظر في : البيان والتبيين للجاحظ (١ / ٥٨٤) ، تفسير الطبري (١ / ١٤١) ، تفسير القرطبي  
(١ / ٢٥٦) ، روح المعاني للألوسي (٣ / ٣٥) ، لسان العرب (لذا) ، وفلج : اسم بلد ومنه قيل  
لطريق يأخذ من طريق البصرة إلى اليمامة طريق بطن فلج . وفلج : هو واد بطريق البصرة إلى مكة  
بيطنه منازل للحجاج . ينظر : لسان العرب (فلج) ، معجم البلدان لياقوت الحموي (٤ / ٢٧٢) .

﴿أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ في القيامة بالنجاة من العذاب و برفع الدرجات. وقوله تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ﴾ أي: في جنات إقامة، فتكون الجنات نكرة لإضافتها إلى نكرة، ويجوز أن تكون عدن علماً على جنة مخصوصة، فتكون جنات معرفة، ورضا الله أعظم من الجنة؛ لأن الجنة من ثمرات رضا الله، ولقوله بعد وصف الجنة: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَهْدِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَبْسُ الْمَصِيرُ﴾  
 ﴿٧٣﴾ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَوَلُوا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

﴿جَهْدِ الْكُفَّارِ﴾ بالسيف ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ بالحجة. يجوز أن تكون ﴿كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾ مفعولاً، ويكون ﴿قَالُوا﴾ بمعنى ذكروا وأظهروا، ويجوز أن تكون مصدرًا. ﴿وَمَا نَقَمُوا﴾ وما عابوا ﴿إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ﴾ بالغنائم، وذلك مما لا يعاب، وهو كقوله: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾<sup>(١)</sup> وسأل ثعلبة بن قيس رسول ﷺ أن يدعو له بكثرة المال، فقال له: " قليل يكفيك خير من كثير لا تقدر على شكره"، فأعاد السؤال، فأعيد الجواب، فأعاد السؤال ثالثاً، فدعا له رسول الله ﷺ، فاتخذ غنماً فتمت كما ينمى الدود، فانقطع بها في الأودية وأماكن المرعى، وانقطع عن الصلاة في الجماعة مع النبي ﷺ، فسأل عنه النبي ﷺ، فأخبر فلما توجه السعاة لأخذ الصدقات مروا به وطلبوا زكاة ما معه، فحسبه فاستكثره، وقال: اذهبوا إلى غيري، فإذا رجعتم فمروا علي، فلما عادوا ومروا عليه قال لهم: ما هذه إلا أخت الجزية، وقال النبي ﷺ قبل أن يصل رسله إليه: " يا ويح ثعلبة " فجاء الرسل، فأخبروه بما قال، فقال: يا ويح ثعلبة، ثم إن ثعلبة خاف على نفسه، فأحضر ما طلب منه من الزكاة فلم يقبله النبي ﷺ، وأنزل الله (٧٣/ أ) ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ

(١) سورة البروج، الآية (٨).



عَنْهُدَ اللَّهُ ﴿ فوضع ثعلبة التراب على رأسه فلم يقبل منه النبي ﷺ شيئاً ، ثم جاء في خلافة أبي بكر بزكاته ، فلم يقبلها ، ثم جاء زمان عمر ، فلم يقبلها ، وتوفي في خلافة عمر<sup>(١)</sup> .

ووجه امتناعهم من قبول زكاته من قوله تعالى : ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ ﴾ فدل على استمرار النفاق إلى الموت ، والمنافق كافر لا تقبل له زكاة .

لما حث رسول الله ﷺ الناس على الإنفاق في سبيل الله - جاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم ، وجاء عثمان بألف دينار ، وعمل أبو عقيل يومه في الجري<sup>(٢)</sup> فحصل له صاع ، فأوصل إلى عياله نصف صاع ، وأحضر للصدقة نصف صاع ، فقالوا : ما أراد عثمان وعبد الرحمن بن عوف إلا الرياء ، وما أراد أبو عقيل بهذا القدر اليسير إلا أن يذكر ويعوض إذا جاءت الصدقات ، فنزلت ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> .

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ١٠ / ١٩٠ ) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٤ / ٢٤٦ ) لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والعسكري في الأمثال والطبراني وابن منده والباوردي وأبي نعيم في معرفة الصحابة وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وابن عساكر عن أبي أمامة الباهلي ؓ . قال الزيلعي في تحريج الأحاديث والآثار التي في الكشاف ( ٢ / ٨٦ ) : " قال البيهقي : وفي إسنادة نظر ، قال : وهو مشهور بين أهل التفسير قال : وكان النبي ﷺ عرف نفاقه قديماً ثم زيادته حديثاً وموته عليه بما أنزل الله عليه من الآية فلم يأخذها منه ، انتهى كلامه . وأعله السهيلي في الروض الأنف وقال : قال البخاري : علي بن يزيد أبو عبد الملك منكر الحديث ، قال السهيلي : وقد عده ابن إسحاق في المنافقين وذكر هذه الآية التي نزلت في ثعلبة بن حاطب لكنه ذكر في البدرين ثعلبة بن حاطب ولم ينسبه فلعله رجل آخر وافق اسمه وإن كان هو فذكره في البدرين وهم والمنافق هو ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس " . انتهى كلامه .

(٢) يريد أنه كان يستقي الماء بالحبل ، والجري : حبل مفتول من آدم يكون في أعناق الإبل ، والجمع : أجرة وجران وأجره .

ينظر : لسان العرب ( جرر ) ، النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ( ١ / ٢٥٩ ) .

(٣) رواه الطبري في تفسيره ( ١٠ / ١٩٤ ) ، وروى نحوه البخاري رقم ( ٤٣٩١ ) ، ومسلم رقم ( ١٠١٨ ) عن أبي مسعود قال : " أمرنا بالصدقة قال كنا نحامل قال : فتصدق أبو عقيل بنصف صاع قال : وجاء إنسان بشيء أكثر منه فقال المنافقون : إن الله لغني عن صدقة هذا وما فعل هذا الآخر إلا رياء فنزلت ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ﴾ ولم يلفظ بشر بالمطوعين " .

واللمز: العيب ، ومنه قوله : ﴿وَبَلِّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةً﴾ (١) وقوله : ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ (٢) .

﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٨٠) فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾

﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾ بقعودهم ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا﴾ فسيكون بكاءهم كثيراً ﴿مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ مع النساء والصبيان ، وأراد النبي ﷺ أن يصلي على عبد الله بن أبي المنافق ، فجذبه عمر ، فقال: أتصلي عليه وقد قال يوم كذا وكذا وكذا وكذا؟! فنزلت ﴿وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ (٣) .

﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (٨٧) لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَاءَ الْمُعَذَّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ

(١) سورة الهمزة ، الآية (١) .

(٢) سورة الحجرات ، الآية (١١) .

(٣) رواه البخاري رقم (١٢١٠) ، ومسلم رقم (٢٤٠٠) .

تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ﴿٩٣﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٤﴾

قوله تعالى : ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ مع النساء والصبيان والعاجزين عن القتال .  
﴿وَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ منعها أن تصل إليها الألفاظ (١) .

﴿الْمُعْذِرُونَ﴾ المعتذرون .

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ خَبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ وَمَا وَنَهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبًا عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَّا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٩﴾﴾

﴿لَا تَعْتَذِرُوا﴾ نهي عن الاعتذار ، وعلل ذلك بأنا لا نصدقكم ، وعلل عدم التصديق بقوله : ﴿قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ خَبَارِكُمْ﴾ وهذا يشبه قوله : ﴿تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ وعلل فيض الدمع بما حصل من الحزن بقوله : ﴿أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ ففي كلا الموضعين ذكر العلة وعلل العلة . ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ويجازيكم عليه ؛ لأن التهديد والوعيد بالعذاب أشد من التهديد بالإنباء بما كانوا يعملون .

﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ فإن حصل لهم رضاكم فقد فاتهم ما هو أعظم منه من رضا الله . ﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ لبعدهم من أهل العلم ، ولشدة غلظ طباعهم مما يكابدونه من شدة الحر وشدة البرد .

(١) الألفاظ : جمع اللطف وهو البر والتكرمة والتحفي ، يقال : لطف به لطفًا ولطافة وألطفه وألطفته أتخفته وألطفه بكذا أي : بره به والاسم اللطف بالتحريك ، وجاءنا لطفة من فلان أي : هدية .  
ينظر : لسان العرب ( لطف ) .

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا﴾ ولا يعتد الزكاة مغنماً ، بل (٧٣ / ب) يعدها من آفات الأموال . ﴿وَيَتَرَبَّصُّ﴾ بالمؤمنين أن يموتوا فينقطع الطلب بموتهم ثم دعا عليهم بقوله : ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ والدعاء من الله دليل على الغضب ؛ لأن الإنسان إنما يدعو على من غضب عليه وأما حقيقة الدعاء فلا تليق بجلال الله ﴿وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾ ودعوات الرسول . ﴿الْآيَاتِ الْقُرْبَىٰ لَهُمْ﴾ كما طلبوا .

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾<sup>(١٠٠)</sup> وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ<sup>(١٠١)</sup> وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ<sup>(١٠٢)</sup> خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ<sup>(١٠٣)</sup> أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ<sup>(١٠٤)</sup> وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرِّي اللَّهُ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنشَرُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ<sup>(١٠٥)</sup> وَآخَرُونَ مُرْجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ<sup>(١٠٦)</sup>

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ يريد : والسابقون من الأنصار .

قال عمر : كنت أظن أنها والأنصار ، بالرفع عطف على ﴿وَالسَّابِقُونَ﴾ وأقول : قد خصصنا معشر المهاجرين بأن السابقين منا ، ثم نبئت أنها ﴿وَالْأَنْصَارِ﴾ عطفاً على ﴿الْمُهَاجِرِينَ﴾ أي : والسابقون الأولون من المهاجرين والسابقون الأولون من الأنصار<sup>(١)</sup> .

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ بالقرب من المدينة ﴿مُنْفِقُونَ﴾ قد ضربت أنفسهم بالكفر ومردوا عليه ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ بأعيانهم ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ قال بعض النحويين : علم هاهنا بمعنى عرف ؛ لأنها تعدت إلى مفعول واحد ، وعليه إشكال ، وهو أن الله تعالى لا يقال في علمه معرفة ؛ لأن التعرف يستدعي تقدم جهل ، ويستدعي بحثاً ، حتى يحصل به المطلوب ، وقد أخذ على القاضي أبي بكر بن الباقلاني<sup>(٢)</sup> في قوله في حد العلم : " أنه معرفة المعلوم

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ١١ / ٨ ) ، وزاد نسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٣ / ٤٨٣ ) لأبي عبيد

وابن المنذر وابن مردويه وأبي الشيخ عن محمد بن كعب .

(٢) هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر أبو بكر القاضي الباقلاني ، من كبار علماء الكلام ، انتهت إليه =

على ما هو به " ، فقيل له : العلم أعم من المعرفة ، وعلم الله ليس بمعرفة ، فلا يدخل في حدك<sup>(١)</sup> .

ومثل هذه الآية قوله في الأنفال : ﴿لَا نَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ أي: في الأموال والأنفس في الدنيا. ﴿ثُمَّ يَرُدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ في الآخرة ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ﴾ كل واحد منهما مخلوط ، ولو قيل : خلطوا عملاً صالحاً بآخر كان العمل الصالح مخلوطاً ، والسيئ مخلوطاً به.

﴿صَدَقَةٌ تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ تدحض عنهم أوصاف الذنوب . ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ ادع لهم إن دعواتك تسكن إليها أنفسهم .

﴿وَيَأْخُذْ الصَّدَقَاتِ﴾ جاء في الحديث : " إن الصدقة تقع بيد الرب قبل أن تقع بيد العبد فيريها كما يربي أحدكم فلوة ، أو فصيلة " <sup>(٣)</sup> . وأخذها تعالى الصدقات كناية عن تقبلها والاعتداد بها. ﴿مُرَجَّوْنَ﴾ مؤخرون.

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفَرِّقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾<sup>(١٠٧)</sup> لَانْقِمَ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَىٰ التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا لِلَّهِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾<sup>(١٠٨)</sup> أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ

= رئاسة مذهب الأشاعرة ، وكان جيد الاستنباط سريع الجواب . ومن كتبه : إعجاز القرآن ، الإنصاف، الملل والنحل . توفي سنة ٤٠٣ هـ . تنظر ترجمته في : تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ( ٣٧٩ / ٥ ) ، وفيات الأعيان لابن خلكان ( ١ / ٤٨١ ) .

(١) ينظر قول الباقلاني في كتابه " تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل " ( ١ / ٢٥ ) ط . مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت ١٩٨٧ م - تحقيق : عماد الدين أحمد حيدر ، ونقله عنه الإيجي في كتاب المواقف ( ١ / ٥٣ ) ، والقنوجي في كتاب أجد العلوم ( ١ / ٢٦ ) وزاد الباقلاني فقال : " فإن قال قائل : فلم رغبتم عن القول بأنه معرفة الشيء على ما هو به إلى القول بأنه معرفة المعلوم على ما هو به ؟ قيل : لما قام من الدليل على أن المعلوم يكون شيئاً وما ليس بشيء ولأن المعلوم معلوم وليس بشيء ولا موجود فلو قلنا حده أنه معرفة الشيء على ما هو به لخرج العلم بما ليس بشيء من المعلومات المعدومات عن أن يكون علماً وذلك مفسد له فوجب صحة ما قلناه وبالله التوفيق " .

(٢) سورة الأنفال ، الآية ( ٦٠ ) .

(٣) رواه أحمد ( ٢ / ٢٦٨ ، ٤٠٤ ، ٤٧١ ) ، والترمذي رقم ( ٦٦٢ ) ، وابن خزيمة رقم ( ٢٤٢٦ ) .

خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَتَاهَا بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقْلِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾

وكان جماعة من المنافقين يودون أن يكون لهم مسجد منفرد عن المسلمين الخالص يفضي بعضهم إلى بعض أسرارهم، فقالوا: يا رسول الله، إنه يكون المطر والسيول فيمنعنا من الوصول إلى مسجدك (٧٤/أ) فاستأذنوه في بناء المسجد الضرار بناء على ظاهر الأمر، فنزلت ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾<sup>(١)</sup>. وكان أبو عامر الراهب يعد الناس قبل بعثة النبي ﷺ أنه سيأتي نبي نقاتل معه الكفار ونكون من حزبه، فلما بعث النبي ﷺ حسده، فلما انهزم المشركون يوم بدر هم بالدخول في الإسلام، ثم قال: أثبت حتى تقع واقعة أخرى، فانهزم المسلمون يوم أحد، فاستمر على كفره وقال: هذا محمد ليس هو الذي كنت أعدكم به، وتوجه إلى الشام ليستنصر بقيصر على النبي ﷺ، وكان المنافقون ينتظرونه، وهو معنى قوله: ﴿وَإِصْكَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿لَا نَقْمُ﴾ في مسجد الضرار ﴿أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى﴾ وهو مسجد المدينة<sup>(٣)</sup>. وقيل: هو مسجد قباء<sup>(٤)</sup>. قوله: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا سَاءَ مَا يَحْكُمُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ صَوَابًا﴾ قالوا: تتبع الحجارة الماء<sup>(٥)</sup>.

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١ / ٢٣).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١ / ٢٤ - ٢٥).

(٣) هذا قول ابن عمر وزيد بن ثابت وأبي سعيد - رضي الله عنهم - رواه الطبري في تفسيره (١١ / ٢٧).

(٤) هذا قول ابن عباس - رضي الله عنهما - وغيره رواه الطبري في تفسيره (١١ / ٢٧ - ٢٨) ثم قال: "وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال هو مسجد الرسول ﷺ لصحة الخبر بذلك عن رسول الله ﷺ".

(٥) ذكره بهذا اللفظ الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٢١٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال: "رواه البزار وفيه محمد بن عبد العزيز بن عمر الزهري ضعفه البخاري والنسائي وغيرهما".

ورواه أبو داود رقم (٤٤)، الترمذي رقم (٣١٠٠)، وابن ماجه رقم (٣٥٧) بنحوه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "نزلت هذه الآية في أهل قباء ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا سَاءَ مَا يَحْكُمُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ صَوَابًا﴾ قال: كانوا =

روي أنه حفر موضع الضرار فخرج منه دخان كثير، وهو معنى قوله: ﴿عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَنْهَارٍ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿رِيْبَةً﴾ حسرة، حيث لم ينالوا ما أملوا. ﴿أَشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ﴾ وهي ملكه بثبوت الجنة لهم وهي عطاؤه، ومن قرأ ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup> فهو إما لأن الواو لا تقتضي ترتيباً أو تقتضيه<sup>(٣)</sup> ولكن المعنى يُقْتَلُ بعضهم ويُقَاتِلُ الباقيون الكفار، وهذا كقراءة من قرأ في آخر آل عمران ﴿وَأَوْذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتِلُوا وَقَاتِلُوا﴾<sup>(٤)</sup> وقراءة من قرأ في البقرة ﴿وَلَا تَقْتُلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقْتُلُوَكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلْتُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ﴾<sup>(٥)</sup>.

﴿التَّائِبِينَ الْعَمِيدُونَ الْحَمِيدُونَ الْمُخْلِصُونَ الرَّكَّعُونَ السَّجِدُونَ  
الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ  
﴿١١٢﴾ مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا  
تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَتْ أَسْتَغْفَرُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ  
وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ

= يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه الآية. وصححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود رقم (٣٤)، وفي صحيح ابن ماجه رقم (٢٨٥).

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١١ / ٣٣) وزاد نسبه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٢٩٣) لمسدد في مسنده وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه عن جابر بن عبد الله قال: "لقد رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار حيث انهار على عهد رسول الله ﷺ".

(٢) قرأ حمزة والكسائي وخلف "فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ"، وقرأ أبو عمرو ونافع وابن كثير وعاصم وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب "فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ".

تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٥ / ١٠٢)، الحجة لابن خالويه (ص: ١٧٨)، حجة أبي زرعة (ص: ٣٢٥)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٣١٩)، الكشاف للزمخشري (٢ / ٢١٦)، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٤٦).

(٣) تقدم الحديث عن هذا عند تفسير سورة آل عمران، الآية (٥٥).

(٤) الآية (١٩٥) وقرأ حمزة والكسائي "وَقَاتِلُوا وَقَاتِلُوا" وقرأ ابن كثير وابن عامر "وقاتلوا وقاتلوا"، وقرأ أبو عمرو ونافع وعاصم "وقتلوا وقاتلوا".

تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٣ / ١٤٦)، الدر المصون للسمن الحلبي (٢ / ٢٨٩)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٢٢١)، الكشاف للزمخشري (١ / ٤٥٧).

(٥) سورة البقرة، الآية (١٩١) وقرأ كذلك بغير ألف حمزة والكسائي، وقرأ باقي العشرة بألف "ولا تقاتلوهم - حتى يقاتلوكم - فإن قاتلوكم".

تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٢ / ٦٧)، الدر المصون للسمن الحلبي (١ / ٤٨١)، السبعة لابن مجاهد (ص: ١٧٩ - ١٨٠)، الكشاف للزمخشري (١ / ٢٣٦).

لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾

قيل : ﴿السَّيِّئُونَ﴾ في الآية الصائمون . كان النبي ﷺ لما علم أن أبا طالب مات على الكفر قال : " والله لأستغفرنَّ لك ما لم أنه عنك " ، فنزلت ﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ الآية (١) .

واعتذر من استغفار إبراهيم لأبيه بأن ذلك كان بوعد سبق بقوله في سورة مريم : ﴿ قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ﴾ (٢) وقرئ في الشاذ " وَعَدَهَا أَبَاهُ " (٣) بنقطة واحدة من أسفل . وقيل : كان الوعد من أبي إبراهيم لإبراهيم ، وعده أن يؤمن ، لقوله : ﴿ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾ (٤) .

﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَن حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ۗ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِن عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾

(١) رواه البخاري رقم ( ١٢٩٤ ) ، ومسلم رقم ( ٢٤ ) .

(٢) سورة مريم ، الآية ( ٤٧ ) .

(٣) قرأ بها الحسن وحماد الراوية وابن السميع وأبو نهيك .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ١٠٥ / ٥ ) ، الدر المصون للسمن الحلبي ( ٣ / ٥٠٨ ) ، الكشاف

للزخشري ( ١٧٤ / ٢ ) ، مفاتيح الغيب للرازي ( ٢١٠ / ١٦ ) .

(٤) ذكره الماوردي في النكت والعيون ( ١٧١ / ٢ ) .



قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا ﴾ وهم كعب بن مالك ، وهلال بن أمية ، ومرارة ابن الربيع كانوا قد تخلفوا عن السفر ( ٧٤ / ب ) عن النبي ﷺ في غزوة تبوك ، فلما قدم هموا بأن يعتذروا بأعذار كاذبة ، ثم قالوا : الصدق أقرب إلى النجاة فاعترفوا بتقصيرهم ، فنهى النبي ﷺ عن كلامهم ، فأقاموا خمسين ليلة لا يكلمهم أحد حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، ثم قبل الله توبتهم وبشرهم <sup>(١)</sup> .

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ وقالوا : لو كنا اعتذرنا بأعذار كاذبة لدخلنا في زمرة من قيل فيهم : ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِنُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ﴾ الآيات <sup>(٢)</sup> .

من نوى عبادة تشتمل على أنواع من التعبد لم يحتج إلى النية عند كل جزء منها، فلا ينوي في الصلاة ركوعها ولا سجودها، ولا ينوي في الحج سعيه ولا وقوفه، ولا في الجهاد في كل نفقة وكل قطع واد <sup>(٣)</sup> .

﴿ وَمَا كَانُوا الْمُؤْمِنُونَ ﴾ المجاورون لأهل المدينة ومن حولهم أن ينفروا إلى رسول الله ﷺ ليتعلموا العلم ؛ لما في ذلك من الخوف على عيالهم أن يغار عليهم ، وعلى أموالهم أن تذهب ، فإذا تعذر نفير الجميع فهلا ﴿ نَفَرَمِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَسْفَقَهُوا ﴾ الفئة النافرة ، وتعلم ما تجدد من الوحي ، وما نسخ من الأحكام . ﴿ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ ﴾ المقيمين ﴿ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ الجهل بأحكام الله .

وقيل : وما كان المؤمنون المقيمون في المدينة ومن حولهم أن ينفروا عن رسول الله ﷺ في الغزوات والسرايا التي يبعثها ؛ لئلا يبقى النبي ﷺ وليس معه أحد ، فيطمع فيه اليهود والمنافقون ، فإذا تعذر نفير الجميع عنه ، فهلا نفر من كل فرقة من المقيمين طائفة في السرايا والبعوث لتتفقه الفئة المقيمة عند الرسول ﷺ ، ولتنذر الفئة المقيمة قومهم إذا رجعوا إليهم من السرايا، ويعرفونهم ما تجدد من الأحكام.

(١) رواه البخاري رقم ( ٤١٥٦ ) ، ومسلم رقم ( ٦٩ ٢٧ ) في حديث طويل .

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ١١ / ٦ ) عن كعب بن مالك قال : " والله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله أن لا أكون كذبتة فأهلك كما هلك الذين كذبوه فإن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد : ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِنُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ﴾ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ .

(٣) ينظر : الأم للشافعي ( ١ / ٨٤ ) ، بدائع الصنائع للكاساني ( ٢ / ٢٢٦ ) ، المغني لابن قدامة ( ٣ / ٢٣ ) .

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَلِيلًا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلَيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ءَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ ءِإِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ ءِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَّلًا يَرُونَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَيْنَاكُمْ مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾

ثم أمر الله المؤمنين بقتال الكفار كافة، وأن يبدأ منهم بالذين يلونهم؛ لأن ضررهم أقرب فقتلهم أهم. وقوله: ﴿وَلَيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ إنما ينهى عن الفعل فاعله، فكيف يأمرنا أن نجد المنافقون فينا غلظة؟! وهو كقول سيويه: لا أرينك هاهنا <sup>(١)</sup>، وكقوله تعالى: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ <sup>(٢)</sup> ﴿يَبْنِي ءَادَمَ لَا يَفْنَىٰكُمْ الشَّيْطَانُ﴾ <sup>(٣)</sup>.

﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ﴾ ما زائدة، ومن المنافقين من يقول: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ ءِإِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ ءِيمَانًا﴾ لأنه لما نزلت الآية فآمنوا بها وبما فيها من الأحكام - تجدد لهم إيمان بما نزل. وقد اختلف الناس في أن الإيمان هل يزيد وينقص؟ والذي يظهر أن الإيمان على عهد رسول الله ﷺ يزيد بزيادة الوحي، ووجوب التصديق بما يتجدد <sup>(٤)</sup>. ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم

(١) ينظر: الكتاب لسيويه (٣ / ٤٩).

(٢) سورة لقمان، الآية (٣٣).

(٣) سورة الأعراف، الآية (٢٧).

(٤) قال صاحب شرح العقيدة الطحاوية (١ / ٣٤٢): " والأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه من الكتاب

والسنة والآثار السلفية كثيرة جداً: منها: قوله - تعالى: ﴿وَإِذَا تَلَّيْت عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ زَادَتْهُمْ ءِيمَانًا﴾،

﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾، ﴿وَيَزِدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ءِيمَانًا﴾، ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ

لِيَزَادُوا ءِيمَانًا مَّعَ ءِيمَانِهِمْ﴾، ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدِ جَمَعُوا لَكُمْ فَانْخَشَوْهُمْ فزَادَهُمُ ءِيمَانًا وَقَالُوا

حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ وينظر في هذه المسألة في: الاعتقاد للبيهقي (١ / ١٧٤)، شرح العقيدة

الطحاوية (١ / ٣٤٢).

﴿ مَرَضٌ ﴾ وهم المنافقون ﴿ فزَادَتْهُمْ ﴾ الآية المتجددة ﴿ رَجَسًا ﴾ لتكذيبهم بها ﴿ إِلَى رَجْسِهِمْ ﴾ السابق بتكذيبهم بالآيات السابقة .

﴿ أَوْلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ ﴾ يمتحنون ويبتلون.

﴿ صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ حلوا محل من يدعى عليه بصرف قلوبهم عن الخير؛ بسبب أنهم لا يفقهون سر هذه الأحكام ، فيكذبون ما لا يوافق خواطرهم .

﴿ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ تعلمون صدقه وأمانته ، يعز عليه كل ما يشق عليكم ، ويحرص على هداكم ، شديد الرأفة من المؤمنين ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ عن الإيمان ﴿ فَقُلْ ﴾ يكفيني الله فلا أحتاج إلى عونكم ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ أي : لا أتوكل إلا عليه ؛ لأن تقدم المجرور يدل على الاختصاص . والله أعلم .

\* \* \*

## سورة يونس [ مكية ]

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكٰفِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوٰى عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ سَبِّدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحٰتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾﴾

قوله - تعالى : ﴿الْحَكِيمِ﴾ المحكم ، قال الأعشى<sup>(١)</sup> [ من الكامل ] :

وقصيدة تأتي الملوك حكيمة  
قد قلتها ليقال من ذا قالها<sup>(٢)</sup>

تعجب الكفار أن يبعث إليهم بشر مثلهم ، وتعجبهم هو العجب ؛ لكون الرسول منهم ، يعلمون صدقه وأمانته يكون أقرب إلى الإيمان به . ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ﴾ هو ما قدموه من الأعمال الصالحة ، والصدق وصف له بالكرم والشرف ؛ كقوله : ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾<sup>(٣)</sup> .

﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ﴾ في مقدار ﴿سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ إذ لا أيام قبل خلق السماوات والأرض ، فإن اليوم إنما هو دورة الشمس ولا شمس ، فلا يوم .

﴿ثُمَّ اسْتَوٰى عَلَى الْعَرْشِ﴾ استولى ، قال الشاعر [ من الرجز ] :

قد استوى بشرٌ على العراقِ  
من غيرِ قهرٍ ودمٍ مهراقٍ<sup>(٤)</sup>

(١) هو ميمون بن قيس بن جندل ، أبو بصير ، يقال له : أعشى قيس ، وأعشى بكر بن وائل ، والأعشى الكبير ، من شعراء الجاهلية وأحد أصحاب المعلقة السبع المشهورة ، سمي : صنّاجة العرب ، أدرك الإسلام ولم يسلم ومات سنة ٧ هـ . تنظر ترجمته في : الأغاني للأصفهاني ( ١٢ / ٥ ) ، الشعر والشعراء لابن قتيبة ( ص : ٢٦٣ ) ، طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ( ص : ٦٥ ) .

(٢) تقدم تخريجه في سورة آل عمران ، الآية ( ٥٨ ) .

(٣) سورة القمر ، الآية ( ٥٥ ) .

(٤) تقدم تخريج الشعر والتعليق على هذه المسألة في سورة الأعراف ، الآية ( ٥٤ ) .

﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ فيه دليل على أن المفرد المعرف بالألف واللام يعم . لا يستطيع أحد الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ <sup>(١)</sup> ﴿ذَلِكَ كُمْ﴾ الموصوف بهذه الصفات ﴿اللَّهُ فَاعْبُدُوهُ﴾ فذلوا له واخضعوا ﴿وَعَدَّ اللَّهُ﴾ نصب على المصدر.

﴿يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ﴾ عند إعادته ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ بالعدل ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ما يشاء. (٧٥/ب) الحميم : الماء الحار، قال الشاعر يصف امرأة تغتسل بماء حار [ من المتقارب ] :

كَأَنَّ الْحَمِيمَ عَلَى مَثْنِهَا      إِذَا اغْتَرَفْتَهُ بِأَطْسَاسِهَا  
جُمَانٌ يَجُولُ عَلَى فِضَّةٍ      جَلَّتْهُ حَدَائِدُ دُوَاسِهَا <sup>(٢)</sup>

﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ بسبب كفرهم . الضياء أقوى من النور؛ لقوله : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ ولقوله : ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ <sup>(٣)</sup> وهو أبلغ من أن يقول ضوءهم .

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي أُخْتِ الْفَيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾

﴿وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ﴾ أي : في منازل ﴿لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ وكانت العرب لا تقرأ ولا تكتب ، فلو كلفوا معرفة الشهور الشمسية أو الرومية لم يعرفوا ذلك ، ولم يحفظوه ، فجعل لهم رؤية الهلال ثم زيادة نوره شيئاً فشيئاً ، حتى يكمل ثم يعود ينقص قليلاً قليلاً

(١) سورة البقرة ، الآية ( ٢٥٥ ) .

(٢) ينظر البيتان في : النكت والعيون للماوردي ( ٧٢ / ٣ ) ويروى البيت الثاني :

جمان يحل على وجنة      علتها حدائد دواسها

ومثنها : ظهرها ، والأطاس : جمع " طس " وهو وعاء من نحاس لغسل الأيدي . والجمان : اللؤلؤ الصغار . وقيل : حب يتخذ من الفضة أمثال اللؤلؤ . ينظر : لسان العرب ( جمن - طسس ) .

(٣) سورة البقرة ، الآية ( ١٧ ) .

حتى يستتر فيعلمون انتهاء الشهور وتوسطها بالقمر.

﴿ إِنَّ فِي آخِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ بالطول والقصر وأن كل واحد منها يخلف الآخر عند ذهابه ؛ لقوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً ﴾ <sup>(١)</sup> ﴿ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ ﴾ من الشمس والقمر والكواكب والأفلاك ﴿ وَالْأَرْضِ ﴾ من العشب والنبات والجبال والبحار والأنهار.

﴿ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ﴾ لا يطمعون في ثواب الجنة . وقيل : ﴿ لَا يَرْجُونَ ﴾ لا يخافون قال الشاعر يصف جاني العسل [ من الطويل ] :

إِذَا لَسَعَتْهُ الدَّبْرُ لَمْ يَرْجُ لَسَعَهَا <sup>(٢)</sup>

أي : لم يخف ، والدببر : الزنابير.

﴿ أُولَئِكَ مَاؤُهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ <sup>(٨)</sup> إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ <sup>(٩)</sup> دَعْوَتُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَعَآخِرُ دَعْوَتِهِمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ <sup>(١٠)</sup> ﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقَضَى إِلَيْهِمْ أَجْلَهُمْ فَذُرُّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ <sup>(١١)</sup> وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زَيْنٌ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ <sup>(١٢)</sup> ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ <sup>(١٣)</sup> ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ

(١) سورة الفرقان ، الآية (٦٢) .

(٢) هذا صدر بيت لأبي ذؤيب يصف عسلاً يجتني عسلاً ، وعجزه :

وحالفها في بيت نوب عواسل

ينظر في : تاج العروس للزبيدي (نوب) ، تفسير القرطبي (١١ / ٢٤٩) ، روح المعاني للألوسي (٢٠ / ١٣٧) ، فتح القدير للشوكاني (٤ / ٢٧٤) ، الكشاف للزنجشيري (٣ / ٤٤١) ، لسان العرب (نوب) ، النكت والعيون للماوردي (٢ / ١٨١) والدبر : ذكر النحل ، ولم يرج : لم يخف ، وحالفها : لازمها ، ويروى : خالفها أي : خالف مرادها أو جاء خلفها بعد خروجها ، والنوب : نوع من النحل ، وعواسل : كثير العسل ، ويروى : عوامل أي : تعمل العسل .

كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تُمَّتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتَيْتَ بِشُرءٍ آتٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَبْتُكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾

﴿وَأَطْمَأَنُّوا﴾ سكنت نفوسهم إليها. ﴿عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ عن تدبرها والعمل بما فيها ﴿تَجْرِي﴾ من تحت أشجارها أنهار كعادة البساتين ، أو: من تحت غرفهم ؛ لقوله : ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ هُمْ عُرْفٌ مِنْ فَوْقِهَا عُرْفٌ مَبْنِيَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (١).

قيل : كان إذا أعجبهم شيء في الجنة ، وأرادوا حصوله لهم قالوا : ﴿سُبْحٰنَكَ اللَّهُمَّ﴾ (٢) ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ يحيي بعضهم بعضاً بالسلام . وقيل : الملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم . وقيل : يسلم الله عليهم لقوله - تعالى : ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ (٣).

﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقَضَىٰ إِلَيْهِمْ أَجْلَهُمْ﴾ لكننا لا نعجل للناس استعجالهم بالشر ﴿فَنَذِرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُوتُ﴾ .

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا﴾ على حسب اختلاف أحواله: مضطجعاً أو قاعداً (٧٦/أ) أو قائماً. ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ فاحذروا يا أهل مكة أن تفعلوا مثل فعلهم ، فيحل بكم ما حل بهم .

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ ليظهر للعباد ما انطوت عليه سرائركم . قوله : ﴿مَا يَكُونُ لِي﴾ أي : يحرم عليّ ؛ كقوله : ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغْلَ﴾ (٤) تقدم قول الرماني أن قوله : ﴿إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ جملة حالية معترضة بين الفعل ومفعوله ، أي : إنني أخاف عاصياً ﴿عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٥) والقياس : عذاب يوم عظيم ، لكن عظم اليوم يحسب بما يقع فيه من العظام ، فكل ما عظم به اليوم عظم العذاب.

(١) سورة الزمر ، الآية ( ٢٠ ) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ١١ / ٨٩ - ٩٠ ) .

(٣) سورة يس ، الآية ( ٥٨ ) .

(٤) سورة آل عمران ، الآية ( ١٦١ ) .

(٥) تقدم في سورة الأنعام ، الآية ( ١٥ ) .

قريء ﴿وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ﴾ عطفاً على ﴿مَا تَكَلَّمْتُمْ﴾ وكذلك قراءة من قرأ (ولا أدراكم) <sup>(١)</sup>. لكنه في الأول نفي الدراية ، وفي الثاني إثبات لها لكن انقلب بدخول " لو " فصار الأول المنفي إثباتاً ؛ فإنه تلاه عليهم . والثاني المثبت نفياً ؛ لأن المراد : ولا أدراكم به على لسان غيري ، ولم يدرهم به على لسان غيره .

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِعَايَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ <sup>(١٧)</sup> وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ <sup>(١٨)</sup> وَمَا كَانَ لِلنَّاسِ إِلَّا أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ <sup>(١٩)</sup> وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ <sup>(٢٠)</sup> وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ <sup>(٢١)</sup>

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ في المفترين ﴿مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ﴾ وقوله : ﴿كَذِبًا﴾ يجوز أن يكون مصدراً ، كقولك : قعد جلوساً ، ويجوز أن يكون مفعولاً لـ ﴿افْتَرَىٰ﴾ اقتطع كذباً .

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾ إن تركوه ﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ إن عبدوه . ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾ ويلزم من نفي علم الله بالشيء نفيه ، لأنه لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض .

وقد ادعى فرعون مثل هذا حماقة منه بقوله : ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾ <sup>(٢)</sup> فيقال له : لا يلزم من عدم علمك بالشيء عدمه .

(١) قرأ ابن كثير بخلف عن البزي " ولأدراكم به " وقرأ باقي العشرة وهو الوجه الثاني عن البزي " ولا أدراكم به " ورواها الفراء " ولا أدراكم به " ، وقرأ الحسن " ولا أدراكم " .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ١٣٣ / ٥ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٤ / ١٤ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٣٢٤ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ١٨٤ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٨٢ ) .

(٢) سورة القصص ، الآية ( ٣٨ ) .



الهاء في ﴿سُبْحٰنَهُ﴾ في موضع خفض بالإضافة ولو ظهر ذلك المضمرة مجروراً لكان في موضعه قولان : نصب أو رفع ؛ لأن معنى قوله : سبحان الله : نزهت الله ، أو : تنزه الله ، ويرجع الثاني بقوله : ﴿سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَى﴾ فيعطف عليه الفعل الماضي .

﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على الحق ﴿فَأَخْتَلَفُوا﴾ فبعث الله النبيين . ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ﴾ بتأخير العذاب لعجل لهم وفرغ منهم . ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ ولولا بمعنى هلا ، أي : لو نزلت الآية لآمنا . ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾ فقال الله - تعالى : لا تحلفوا ، فإن إيمانكم بتقدير نزول الآية عبث ، فيجوز أن يُقَلِّبَ اللهُ الأفئدة والأبصار ( ٧٦ / ب ) فلا تؤمنوا . ثم حقق هذا بقوله : ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلٰٓئِكَةَ﴾ الآية<sup>(١)</sup> ﴿إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ﴾ فاجأهم المكر .

﴿هُوَ الَّذِي يُسِيرُكُمُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينِ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بِغْيِكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَيْهَا أَنَّهُمْ آمَرْنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيٰتِ لِقَوْمٍ يَنْفَكُرُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنٰى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولٰٓئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خٰلِدُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئٰتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمَثِلُهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ كٰنَمَّا أَغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولٰٓئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خٰلِدُونَ﴾ ﴿٢٧﴾

من قرأ ﴿يُسِيرُكُمُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾<sup>(٢)</sup> فمعناه : يفرقكم . وقوله : ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ﴾ ليس كونهم في الفلك علة ليسيركم ولا لينشركم ، لكن ﴿حَتَّىٰ﴾ دخلت على هذه الجملة

(١) سورة الأنعام ، الآية ( ١١١ ) .

(٢) قرأ بها ابن عامر وحده ، وقرأ الباقون " يسيركم " .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ١٣٦ / ٥ ) ، الدر المصون للسمن الحلي ( ١٦ / ٤ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٣٢٥ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣٣٨ / ٢ ) .

إلى آخرها ، فكأنه قال : هو الذي يسيركم في البر والبحر، حتى وقعت هذه الجملة ، والفلك هاهنا مفرد ، وصيغة إفراده وجمعه سواء .

﴿ وَجَرَيْنَ ﴾ أضمر الفلك جمعاً. وجواب إذا : ﴿ جَاءَتْهَا رِيحٌ ﴾ أو ﴿ دَعَاؤُ اللَّهِ ﴾ ﴿ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ ﴾ إذا للمفاجأة. وعن بعضهم : ثلاث من كن فيه كن عليه : النكث والمكر والبغي<sup>(١)</sup> والبغي بقوله : ﴿ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ ﴾ والمكر بقوله : ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾<sup>(٢)</sup> ، والنكث بقوله : ﴿ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ﴾<sup>(٣)</sup> .

﴿ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ فيجازيكم عليه . مثل الدنيا في سرعة إقبالها وزينتها وبهجتها بهذه الجملة ، ولم يشبه الدنيا بالماء وحده كما ظنه بعضهم وقال : الدنيا تشبه الماء من وجهين : أحدهما : لو قبضت بكفك على الماء لم تجد منه شيئاً. والثاني : أنك إن أخذت منه أكثر من الحاجة أضرب بك. ﴿ أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا ﴾ كأنها حسنت نفسها بما تريد.

﴿ دَارِ السَّلَامِ ﴾ الجنة ، والسلام اسم من أسماء الله - تعالى - كأنه قال : دار الله . وقيل : هي دار تحييمهم الملائكة فيها بالسلام ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴾ الآية<sup>(٤)</sup> .

وقيل : دار السلامة . والزيادة : النظر إلى وجه الله . وقيل : ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾<sup>(٥)</sup> .

المعنى : والذين كسبوا السيئات جزاء . وقيل : التقدير : والذين كسبوا السيئات لهم جزاء سيئة . من قرأ (قطعا) بسكون الطاء فـ " مظلم " صفته ، ومن قرأ (قطعا) بفتحها<sup>(٦)</sup> ، فهو حال من ﴿ اللَّيْلِ ﴾ .

(١) نسبة السيوطي في الدر المنثور ( ٤ / ٣٥٣ ) لأبي الشيخ عن مكحول .

(٢) سورة فاطر ، الآية ( ٤٣ ) .

(٣) سورة الفتح ، الآية ( ١٠ ) .

(٤) سورة الرعد ، الآية ( ٢٣ ) .

(٥) سورة السجدة ، الآية ( ١٧ ) .

(٦) قرأ ابن كثير والكسائي ويعقوب " قطعا " ، وقرأ باقي العشرة " قطعاً " .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٥ / ١٥ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ١٨١ ) ، الحجة لأبي زرعة

( ص : ٣٣٠ ) ، الدر المصون للسمن الحلبي ( ٤ / ٢٥ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٣٢٥ ) ،

الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٢٣٤ ) ، النشرا بن الجزري ( ٢ / ٢٨٢ ) .

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ فزِيلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِتَانًا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكفى بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْنَ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَكْبِدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾

﴿مَكَانَكُمْ﴾ أي : الزموا مكانكم ﴿فزِيلْنَا﴾ فرقنا ، وأنكرت الأصنام عبادتهم لها بقوله : ﴿مَا كُنْتُمْ إِتَانًا تَعْبُدُونَ﴾ لأنهم كانوا لا يعقلون ، وهو معنى قوله : ﴿إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾ . من قرأ ( تبلو ) بالباء بواحدة ، فمعناه : تخبر ، ومن قرأ بباء باثنتين <sup>(١)</sup> من فوق ، ففيه وجهان : أحدهما : تتلو كتاب عملها . والثاني : تتلو ، أي : تتبع ، ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا نَلَّهَا﴾ <sup>(٢)</sup> أي : تبعها . ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ بالمطر ، ومن الأرض بالنبات . ﴿يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ﴾ يقدر على إبقائهما وأخذهما .

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ﴾ ومضى الكلام في توحيد السمع وجمع الأبصار ، وفي إخراج الحي ( ٧٧ / أ ) من الميت والميت من الحي <sup>(٣)</sup> .

﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ عذاب الله في تشريككم معه في الإلهية من لم يفعل شيئا من هذه الأمور ﴿فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ فمن أين صرفتم عن الإقرار بالوحدانية .

﴿كَذَلِكَ﴾ أي : حقت كلمة ربك حقاً مثل ذلك ، والكاف في موضع نصب على النعت لمصدر محذوف . من قرأ ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بفتح الهمزة ، فهو : إما بدل وإما منصوب

(١) قرأ حمزة والكسائي وخلف " تتلو " وقرأ باقي العشرة " تبلو " .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ١٥٣ / ٥ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ١٨١ ) ، الحجة لأبي زرعة

( ص : ٣٣١ ) ، الدر المصون للسمين ( ٢٩ / ٤ ) السبعة لابن مجاهد ( ص : ٣٢٥ ) ، الكشاف

للزخشري ( ٢ / ٢٣٥ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٨٣ ) .

(٢) سورة الشمس ، الآية (٢) .

(٣) تقدم في تفسير سورة آل عمران ، الآية (٢٧) .

أو مجرور على حذف حرف الجر. ومن كسر الهمزة<sup>(١)</sup> فهو كلام مستأنف ، وفيه معنى التعليل. وقوله : ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ وهم لا يعترفون بأن الله يعيد الخلق ؛ لأنهم اعترفوا بأن الله بدأ الخلق ، ومن لازم ذلك جواز إعادته . وقد قيل : كل موضع أمر الله نبيه بالسؤال عن أمر ، ثم أجاب عنه ، فإنه يكون في غاية الظهور . الإفك : القلب .

﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثُرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَاتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيغُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾

هدى تتعدى بإلى وباللام وبنفسها ، وها هنا عداها باللام وبـ " إلى " .

﴿يَهْدِي﴾ أصله : يهتدي ، أدغمت التاء في الدال ؛ لقرب مخرجيهما ، ومن كسر الهاء من ( يهدي ) فقد أتبعها بكسرة الدال ، ومن كسر الياء أيضاً فقد أتبعها بكسرة الهاء<sup>(٢)</sup> ، ومثل هذه اللغات في يتخطف .

(١) قرأ بها ابن أبي عجلة ، وعبد الله بن مسعود . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٥ / ١٥٥ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٤ / ٣٠ ) معاني القراء للفرّاء ( ١ / ٤٦٤ ) .

(٢) في هذه الآية قراءات كثيرة ؛ فقرأ أبو عمرو وقالون بخلف عنه " لا يَهْدِي " بفتح الياء ، واختلاس فتحة الهاء مع تشديد الدال ، وقرأ أبو جعفر وقالون " لا يَهْدِي " بفتح الياء وإسكان الهاء مع تشديد الدال ، وقرأ ابن كثير وابن عامر وورش " لا يَهْدِي " فتح الياء والهاء وتشديد الدال ، وقرأ شعبة " لا يَهْدِي " بكسر الياء والهاء وتشديد الدال وقرأ حفص عن عاصم ويعقوب " لا يَهْدِي " بفتح الياء وبكسر الهاء وتشديد الدال ، وقرأ الباقر " لا يَهْدِي " بفتح الياء وإسكان الهاء وكسر الدال بلا تشديد . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٥ / ١٥٦ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ١٨١ ) ، حجة أبي زرعة ( ص : ٣٣١ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٤ / ٣١ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٣٢٦ ) ، الكشاف للزنجشري ( ٢ / ٣٤٦ ) ، مجمع البيان للطبرسي ( ٥ / ١٠٨ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٨٣ ) .

﴿أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا﴾ حال ﴿أَنْ يَهْدَى﴾ أو زمن أن يهدى . ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ جملتان . ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ في العقائد ، أما الأحكام الشرعية فأكثر أدلتها ظنون . ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ﴾ افتراء ﴿وَلَكِنْ﴾ كان ﴿تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ لا سبب ريب فيه ، بل أتقولون افتراه ، تحداهم بالقرآن كله : ﴿قُلْ لِيِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ﴾ الآية<sup>(١)</sup> ، ثم تحداهم بعشر سور في سورة هود<sup>(٢)</sup> ، ثم تحداهم بسورة واحدة في هذه السورة وقيل : تحداهم أيضاً بقصة أو حديث مستقل أقصر من السورة كقوله : ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾<sup>(٣)</sup> ولم يأتهم عاقبته ﴿عَقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ يجوز أن يكون اسم كان وخبرها الاستفهام المتقدم ، ويجوز أن يكون فاعلاً وكان تامة ، و ﴿كَيْفَ﴾ نصب على الحال . ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾ الآية لا وجه لقول من زعم أنها منسوخة ، فإن كون عمله له وعملهم لهم أمر ثابت لم يتغير حكمه ، ومن تخيل نسخها جعل قوله : ﴿وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ يدل على أنه أهملهم ولا يقاتلهم ، لكن سورة يونس مكية ، ولم يشرع القتال قبل الهجرة ، فكيف تكون منسوخة؟! فإن قيل : لم جعل مع فقد السمع عدم العقل ، وجعل مع عدم البصر نفسه؟ قلنا : المراد بعدم البصر في البصر عدم البصيرة والمعنى أن ( ٧٧ / ب ) الأصم قد يجلس ويحز ما يتكلم به مَنْ سَمِعَ صَوْتَهُ ، والأعمى يفعل مثل ذلك إذا كان الأعمى والأصم باقي العقل .

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾<sup>(٤٢)</sup> وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ﴾<sup>(٤٣)</sup> إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾<sup>(٤٤)</sup> وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾<sup>(٤٥)</sup>

وقوله : ﴿أَفَأَنْتَ﴾ إنكار على الفاعل ، والتقدير: لا تستطيع أنت أن تحول هذين إلى كمال السمع والبصر، بل القادر على ذلك هو الله وحده ؛ لأن الفعل ممكن في نفسه ، ولو كان المراد إنكار الفعل لقال : أفتسمع الصم ، أفتهدي العمي ؟

(١) سورة الإسراء ، الآية (٨٨) .

(٢) الآية (١٣) في قوله - تعالى : ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيْنَ وَأَدْعُوا مَنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ .

(٣) سورة الطور ، الآية (٣٤) .

﴿ شَيْئًا ﴾ يجوز أن يكون مفعولاً به ، وأن يكون مصدرًا . فإن قيل : كيف يستقصرون مدة لبثهم في القبور؟ وأين عذاب القبر وأيام الشدائد طوال؟ فالجواب : أن في قوله : ﴿ كَان لَّمْ يَلْبَثُوا ﴾ ثلاثة أوجه : أحدهما : أنه روي أن العذاب يرفع فيما بين النفختين ، فإذا نفخ في الصور قاموا وفي أعينهم طعم النوم ، فيقولون : يا ويلتنا من بعثنا من مرقدنا هذا؟ فأشاروا بقوله : ﴿ كَان لَّمْ يَلْبَثُوا ﴾ إلى ما بين النفختين.

الوجه الثاني : أراد : كان لم يلبثوا في الدنيا . والثالث : كان لم يلبثوا في القبور ، قالوا : ولا دليل على عظم أمر القيامة أدل من هذا ؛ لأنه جعل التعذيب في القبور كأيام النعيم التي تستقصر ، ولأن عذاب القبر عرض ، ومنه قوله : ﴿ وَحَاقَ بِقَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴾ (٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴿ (١) فجعل دخول النار في يوم القيامة . وفي الحديث : " إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، ويقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله " (٢).

﴿ كَان لَّمْ يَلْبَثُوا ﴾ جملة حالية . قوله تعالى : ﴿ يَتَعَارَفُونَ ﴾ ثانية . ويجوز أن يتعلق بـ ﴿ كَان لَّمْ يَلْبَثُوا ﴾ كان التعارف ينقضي ويعود تناكراً ؛ لشدة الأمر عليهم .

وقوله : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا ﴾ مقدر فيه القول ، والتقدير : قائلين : قد خسروا .

﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتُوفِّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾ (٤٦) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿ (٤٧) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿ (٤٨) قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿ (٤٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُهُ بَيْنَنَا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿ (٥٠) أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ ؕ ءَأَلْتَنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿ (٥١)

﴿ وَمَا ﴾ في قوله : ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ ﴾ زائدة ، فالمعنى : إن أريناك فيهم ما يسرك فجيدا ، وإن توفيناك قبل ذلك لم يفوتونا ﴿ فَإِلَيْنَا ﴾ يرجعون ﴿ مَرْجِعُهُمْ ﴾ قوله : ﴿ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ ﴾ يريد

(١) سورة غافر ، الآية (٤٦) .

(٢) رواه البخاري رقم (١٣٧٩) ، ومسلم رقم (٢٨٦٦) عن ابن عمر - رضي الله عنهما .

بالشهادة : العلم ، ويريد بالعلم : المجازاة ؛ لقوله : ﴿ ثُمَّ ﴾ وهي تقتضي الترتيب والمهلة ،  
وعلم الله ليس زمانياً ولا متأخراً عن شيء ﴿ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ ﴾ فيه وجهان : أحدهما :  
جاء في الدنيا وأظهر المعجزة ، فكذبوا وأذن له في الدعاء عليهم ﴿ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ ﴾  
في إهلاكهم . والثاني : فإذا جاء رسولهم في موقف القيامة فشهد عليهم بما عاملوه به من  
التكذيب ؛ كقوله : ﴿ وَيَوْمَ نَبَعْتُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾ <sup>(١)</sup> قضي بينهم  
بشهادة نبيهم . ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ﴾ دفع ضرر ولا جلب نفع . ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ (١/٨٧)  
أن يملكني . وكان بعض المتأخرين يقف على قوله : ﴿ فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً ﴾ ويقول : انتهى  
جواب إذا ، ويستحيل أن يكون قوله : ﴿ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ جواباً ؛ لاستحالة تقدم العذاب  
عند فرض مجيئه ؛ لقوله : ﴿ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ ﴾ فيقال له : وكذلك يستحيل تأخيره بعد مجيء  
الأجل المذكور . فإنه لو تأخر لم يكن الذي جاء أجلاً <sup>(٢)</sup> .

البيات : هو الإغارة على العدو ليلاً وهم غافلون . ﴿ أَوْ نَهَارًا ﴾ وهم ينظرون ، ومثله  
قوله : ﴿ وَكَمْ مِّنْ قَرِيْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بِأَسْنَابِيْنَتَا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾ من القيلولة . وقوله :  
﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بِيْنَتًا ﴾ الآيتين <sup>(٣)</sup> .

أي شيء يستعجل منه المجرمون ؟ ولا شيء من الخير في مجيء العذاب فلا وجه  
لاستعجاله ، وقد أنكر عليهم أنهم يؤمنون عند نزول العذاب الذي استعجلوه بقوله :  
﴿ أَمْ إِذَا مَا وَقَعَ ﴾ الآية ، و ( ثم ) مجاز ، استعير التباعد في الرتبة للتباعد في الزمان ؛ كقوله :  
﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ <sup>(٤)</sup> . ﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ <sup>(٥)</sup> ﴿ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن  
لَّمْ يَسْمَعْهَا ﴾ <sup>(٦)</sup> وقول الشاعر [ من الطويل ] :

وَلَا يَكْشِفُ الْعَمَاءَ إِلَّا ابْنُ حُرَّةٍ      يَرَى غَمْرَاتِ الْمَوْتِ ثُمَّ يَزُورُهَا <sup>(٧)</sup>

(١) سورة النحل ، الآية ( ٨٤ ) .

(٢) ينظر : منار الهدى في الوقف والابتداء للأشموني ( ص : ١٧٧ ) .

(٣) سورة الأعراف ، الآيتان ( ٤ ، ٩٧ ) .

(٤) سورة البقرة ، الآية ( ٧٤ ) .

(٥) سورة الأنعام ، الآية ( ١ ) .

(٦) سورة الجاثية ، الآية ( ٨ ) .

(٧) البيت لجعفر بن علبه الحارثي ينظر في : تاج العروس للزبيدي ( غمى ) ، الدر المصون للسمين الحلبي

( ٥ / ٣٩٩ ) ، ديوان الحماسة ( ١ / ١٠ ) ، روح المعاني للألوسي ( ٢١ / ١٣٦ ) ، الكشاف =

﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾<sup>(٥٢)</sup>  
 وَتَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ  
 مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ. وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا  
 يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْإِنَّ وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾  
 هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي  
 الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا  
 يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾

﴿ظَلَمُوا﴾ أي: كفروا. ﴿لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ أي: لبذلته للقدية، ولكنه لا يقبل لقوله في آية  
 أخرى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ  
 يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ﴾<sup>(١)</sup> ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ﴾ أي: أخفوها؛ حذاراً من الشماتة.

وقيل: أسروا، أي: أظهروا.

قوله: ﴿فَبِذَلِكَ﴾ توكيد لقوله: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ﴾ وقد استشكلت قراءة حمزة في  
 قوله: (فلتفرحوا) بقاء معجزة<sup>(٢)</sup>، باثنتين من فوق. وجاء مثلها في الحديث: "لتأخذوا  
 مصافكم"<sup>(٣)</sup>.

= للزنجشري (٣ / ٥١٥ ، ٤ / ٢٨٦) والغمام: الشديدة من شدائد الدهر، ويكنى بها عن الداهية.

وابن حرة: كريم، وغمرات الموت: شدائده وأهواله، ويزورها: يلاقيها برغبة.

(١) سورة المائدة، الآية (٣٦).

(٢) وقرأ بها عثمان بن عفان وأبي وأنس والحسن وأبو رجاء ويعقوب ورويت عن ابن عامر، وقال ابن

مجاهد: ولم يذكر عنه في "فليفرحوا" شيء. تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٥ / ١٧٢)، الحجة

للقرء السبعة لابن خالويه (ص: ١٨٢)، الحجة لأبي زرعة (ص: ٣٣٣)، الدر المصون للسمين

الجلي (٤ / ٤٥ - ٤٦)، فتح القدير للشوكاني (٢ / ٤٥٤)، الكشاف للزنجشري (٢ / ١٩٤)،

المحتسب لابن جني (١ / ٣١٣)، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٨٥).

(٣) ذكره الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار التي في الكشاف (٢ / ١٢٧) وقال: غريب.

وروى الترمذي في سننه رقم (٣٢٣٥) عن معاذ بن جبل قال: «أبطأ عنا رسول الله ﷺ في صلاة الفجر

حتى كادت الشمس أن تطلع قال: ثم خرج وأقيمت الصلاة فصلى بنا صلاة تجوز بها فلما سلم قال:

كما أنتم على مصافكم. فثبت القوم على مصافهم ثم أقبل عليهم بوجهه فقال: إني منبتكم بطني عنكم

الغداة إني قمت من الليل فتوضأت ثم صليت ما شاء الله، وإني رأيت ربي - عز وجل - في منامي =



﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أَدَبَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾ إِلَّا إِلَهَ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا نَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ إِلَّا إِلَهَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَسْتَعِينُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطٰنٍ بِهٰذَا أْتَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِلَهَ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾

﴿ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا ﴾ هو ما جعلوا لله بزعمهم ﴿ وَمِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا ﴾ <sup>(١)</sup> وذلك مما لم يقم به البرهان. ﴿ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ ﴾ كقوله : ﴿ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ <sup>(٢)</sup> ﴿ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ ﴾ أي : من الشأن أو من القرآن أو يكون إضماراً له قبل ذكره ،

= فرأيت في أحسن صورة فقال: فيم يختصم الملائة الأعلى؟ قلت: لا أدري . قالها ثلاثا قال: فرأيت في وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين ثديي فتجلى لي كل شيء وعرفت فقال: يا محمد . قلت : لبيك رب . قال : فيم يختصم الملائة الأعلى؟ قلت : في الكفارات . قال : ما هن ؟ قلت : مشي الأقدام إلى الحسنات ، والجلوس في المساجد بعد الصلوات ، وإسباغ الوضوء حين الكريهات . قال : فيم ؟ قلت : إطعام الطعام ، ولين الكلام ، والصلاة بالليل والناس نيام ، قال : سل قل : اللهم إني أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وأن تغفر لي وترحمني ، وإذا أردت فتنة قوم فتوفني غير مفتون ، أسألك حبك وحب من يحبك ، وحب عمل يقرب إلى حبك . قال رسول الله ﷺ : إنها حق فادرسوها ثم تعلموها . وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

(١) سورة الأنعام ، الآية ( ١٣٦ ) .

(٢) سورة الصافات ، الآية ( ٨٧ ) .

وتفخيماً لشأنه ، والوقف عند قوله : ﴿وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾<sup>(١)</sup> وإلا لزم أن يكون الذي يعزب عن علم الله لا يغيب إلا في كتاب مبین ، وهو كلام فاسد ، فإذا وقفنا على قوله : ﴿وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ ويكون ﴿وَلَا أَصْغَرَ﴾ و﴿وَلَا أَكْبَرَ﴾ مستأنف ، فمن فتحهما فهما مثل قولك : لا رجل في الدار ، ومن رفعهما<sup>(٢)</sup> فهما كقوله : لا رجل في الدار (٧٨/ب) وكقول الشاعر [ من مجزوء الكامل ] :

مَنْ صَدَّ عَنْ نِيرَانِهَا فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لَا بَرَاخٍ<sup>(٣)</sup>

﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ في الآخرة ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما خلفوه ، والبشرى في الدنيا: الرؤية الصالحة يراها المؤمن أو تُرى له . الوقف على قوله : ﴿قَوْلُهُمْ﴾<sup>(٤)</sup> ولا تكون إن مكسورة بعد القول لفساد المعنى ، وإنما " إن " كسرت لابتداء كلام . ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ﴾ في عقائدهم ﴿إِلَّا الظَّنَّ﴾ والحرص: الكذب ، وأصله من حرص النخل والكرم ، وهو أن يحرز ما عليه من التمر عند تقدير جفافه ، وذلك الحرز لا بد أن يخطئ ولو بقدح .

قوله : ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ فيه ؛ كقوله : ﴿وَأَيْنَا شَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾<sup>(٥)</sup> أي : مبصراً بها . ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ والملك ينافي الولادة ، وقد بين ذلك فيما سبق . ﴿إِنْ عِنْدَكُمْ﴾ ما عندكم من حجة بهذا .

﴿مَتَّعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ ﴿٧٠﴾ ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي

(١) ينظر : منار الهدى في بيان الوقف والابتداء للأشموني ( ص : ١٧٧ ) .

(٢) قرأ حمزة " ولا أصغر من ذلك ولا أكبر " بالرفع ، وقرأ الباقون " بالنصب .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٥ / ١٧٣ ) ، الدر المصون للسمن الحلبي ( ٤ / ٤٨ ) ، السبعة لابن

مجاهد ( ص : ٣٢٨ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٣٥٥ ) .

(٣) البيت لسعد بن مالك ، ينظر في : الإنصاف لابن الأنباري ( ١ / ٣٤٢ ) ، خزانة الأدب للبغدادي

( ١ / ٤٦٧ ) ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ( ص : ٥٠٩ ) ، شرح شواهد المغني ( ص : ٥٨٢ ) ،

شرح المفصل لابن يعيش ( ١ / ١٠٩ ) ، لسان العرب ( برح ) .

(٤) ينظر : منار الهدى في بيان الوقف والابتداء للأشموني ( ص : ١٧٨ ) .

(٥) سورة الإسراء ، الآية ( ٥٩ ) .

بَيَّأْتِ اللَّهُ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ  
 أَقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ  
 أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْتَهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْفَيْ وَأَغْرَقْنَا  
 الَّذِينَ كَذَبُوا بَيَّأْتِنَا فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ  
 فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ  
 بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾  
 فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ  
 أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِنَا عِثْمًا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آيَاتِنَا وَتَكُونُ لَكُمْ  
 الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتْتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ  
 السَّحْرُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى الْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٨٠﴾

﴿مَتَّعٌ فِي الدُّنْيَا﴾ خبر مبتدأ محذوف ، أي : هو متاع . ﴿وَأَتْلُ﴾ أي : اقرأ . وقد أتى  
 بالفعل الماضي في جواب كان ، وإنما جوز ذلك دخول الشرط على كان<sup>(١)</sup> .

﴿مَقَامِي﴾ بمعنى قيامي ، والتقدير : إن شق عليكم ذلك مني فاجتهدوا على قتلي ، فإنني  
 قد توكلت على الله لا على غيره . ومن قرأ ﴿فَأَجْمَعُوا﴾ بقطع الهمزة ، فمعناه : اعزموا .

و﴿أَمْرُكُمْ﴾ منصوب مفعول معه ، ومن قرأ ( فَأَجْمَعُوا ) بألف الوصل وفتح الميم<sup>(٢)</sup> ،  
 ﴿وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ مفعول ، وجواب الشرط في قوله : ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ محذوف ، تقديره : فإن

(١) وذلك في قوله - تعالى : ﴿إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بَيَّأْتِ اللَّهُ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ ومن قواعد  
 النحو : إذا وقع خبر كان وأخواتها جملة فعلية ، فالأكثر أن يكون فعلها مضارعاً ، وقد يجيء ماضياً بعد  
 " كان وأمسى وأضحى وظل وبات وصار " والأكثر فيه إن كان ماضياً أن يقترن بـ " قد " ، وقد وقع  
 مجرداً منها ، وكثر ذلك فخبراً عن فعل الشرط ، ومنه قوله - تعالى : ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ [ المائدة :  
 ١١٦ ] ، وقوله تعالى : ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ [ الأنعام : ٣٥ ] ، وقوله تعالى في هذه الآية التي في  
 سورة يونس .

(٢) قرأ العامة " فأجمعوا " بهمزة القطع وكسر الميم ، ويروى عن نافع " فاجمعوا " بهمزة الوصل وفتح  
 الميم .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ١٧٨ / ٥ ) ، الدر المصون للسمن الحلبي ( ٥٣ / ٤ ) ، السبعة  
 لابن مجاهد ( ص : ٣٢٨ ) ، الكشاف للزنجشري ( ٢ / ٣٥٩ ) .

توليتهم فقد ظلمتم ؛ لأنني ما سألتكم من أجر على التبليغ . ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْتِيفَ﴾ جعلناه  
ومن معه يخلفون الهالكين . ﴿لِيُؤْمِنُوا﴾ هي لام الجحود مؤكدة لنفي إيمانهم . ﴿مُؤْمِنِينَ﴾  
بمعنى ظاهر ومظهر، يقال : بان الأمر وبين وأبان . ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ﴾ أي : عن الحق وبسببه  
كقوله : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ (١) .

وكقوله : ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا﴾ (٢) أي : عنهم ، والتقدير: أتقولون للحق لما  
جاءكم إنه سحر ، والهمزة في (السحر) همزة إنكار .

﴿لِتَأْتِيَنَا﴾ أي : لتصرفنا . ﴿الْكِبْرِيَاءُ﴾ الرياسة . من قرأ (السَّحْرَ) مقصوراً ، فـ ﴿مَا  
جِئْتُمْ بِهِ﴾ مبتدأ و﴿السَّحْرُ﴾ خبر . ومن قرأ (السحر) ممدوداً (٣) فهي همزة إنكار دخلت  
على لام التعريف ، فمدت ؛ كقوله : ﴿ءَأَلْتَنَ﴾ (٤) ﴿ءَأَلَلَهُ أَذِكَ لَكُمْ﴾ (٥) والخبر محذوف ،  
والتقدير: السحر هو؟

﴿فَلَمَّا آتَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَابِطٌ وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ  
﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ  
خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ  
مُوسَىٰ يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا  
فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن  
تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ  
﴿٨٧﴾ وَقَالَكَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوْا  
عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَأَشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾

(١) سورة الأحقاف ، الآية (١١) .

(٢) سورة آل عمران ، الآية (١٦٨) .

(٣) قرأ أبو عمرو وأبو جعفر " السحر " على الاستفهام ، وقرأ باقي العشرة " السحر " على الخبر .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٥ / ١٨٢ ) ، حجة ابن خالويه ( ص : ١٨٣ ) ، حجة أبي زرعة

( ص : ٣٣٥ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٤ / ٥٨ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٣٢٨ ) ،

الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٣٦٢ ) ، النشر لابن الجزري ( ١ / ٣٨٧ ) .

(٤) سورة يونس ، الآية ( ٩١ ) .

(٥) سورة يونس ، الآية ( ٥٩ ) .

وقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ﴾ يدل على أن السحر حق ؛ لأنه وعد بإبطاله بسين الاستقبال ولو كان باطلا لاستحال إبطاله ؛ لأنه تحصيل الحاصل . (٧٩/أ) وقد سحر رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup> . ومذهب الشافعي أن من قتل بسحرٍ يُقتلُ غالباً يجب عليه القصاص<sup>(٢)</sup> .

وقوله : ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾<sup>(٣)</sup> لا يدل على أن السحر كله تخييل بل ذلك الشيء فعلوه بين يدي فرعون تخييل .

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ يدل على أن السحر إفساد ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ ويظهر ويعلى . أراد بفرعون : هو ومن بايعه وأعانه ، ولهذا قال ﴿وَمَلَأْنَاهُمْ بِالْجَمْعِ﴾ .

قوله : ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ﴾ مثل قولك : إن كنت ابني فأطعني ، وهو تهديد لعزم المخاطب ، وبعث همته على التوكل على الله لا على غيره ؛ لتقديم المجرور على الفعل العامل فيه . ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي : لا تهلكنا بأيديهم فيقولوا : لو كان هؤلاء على حق لما سلطنا عليهم ، فيفتنوا بذلك . وقوله : ﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾ هذه لام العاقبة ؛ كقوله : ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾<sup>(٤)</sup> ويجوز أن تكون لام كي ، فإن الله خالق الخير والشر ومسبهما .

﴿رَبَّنَا أَطْمَسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾ امسخها ، ويوجد في آخر العمران بظاهر قرافة مصر صورة دراهم ودنانير منقوشة ، وهي حجر ، وصورة نخل وراء جبلها وهو حجر خفاف يشدونه على قبورهم . ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا﴾ الآية ، هذه الآية تدل على أن فرعون في النار ، لأنه أخبر أنه أجاب دعاءه ، ومن دعائه : أنهم لا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم ، فقد قال : ﴿فَلَمَّا يَكُنْ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾<sup>(٥)</sup> .

(١) حديث سحر النبي ﷺ ثابت رواه البخاري رقم (٥٧٦٦) ، ومسلم رقم (٢١٨٩) عن عائشة - رضي الله عنها .

(٢) ينظر : الأم للشافعي (٤٢٦/١) .

(٣) سورة طه ، الآية (٦٦) .

(٤) سورة القصص ، آية (٨) .

(٥) سورة غافر ، الآية (٨٥) .

حكى الزمخشري<sup>(١)</sup> أن جبريل عليه السلام أتاه بفتيا: ما قول الأمير في عبد لرجل أنعم عليه مولاه بأنواع من النعم ، فجعله ملكا ، فأنكر ذلك العبد مولاه وادعى الربوبية ؟ فأفتى فيها فرعون فقال : يستحق هذا العبد أن يغرق في البحر . فلما أراد الله أن يطبق عليه وعلى قومه البحر وإهلاكهم جاءه جبريل بالورقة ، وقال: أنت العبد الذي استفتى فيه .

﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمْ فَاَسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَان سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾<sup>(٨٩)</sup>  
 ﴿ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ، بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ، بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾<sup>(٩٠)</sup> ءَأَلْتَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِيَدِنَا لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِءَايَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرَبَةً ءَامَنْتَ فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾

﴿ ءَأَلْتَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ ﴾ أي : أتؤمن الآن وقد عصيت قبل .

﴿ نُنَجِّيكَ ﴾ نلقيك على نجوة مكان مرتفع من الأرض ؛ لأن بني إسرائيل قالوا : ما غرق فرعون . لما ثبت في قلوبهم من الرعب منه . فألقاه البحر على مكان مرتفع ، وكان عليه درع من ذهب ، فرآه بنو إسرائيل وعرفوه ، وأيقنوا بموته . وقيل : أراد بالبدن : الدرع . بؤأه : اتخذ له مباءة ، وهي مكان يرجع إليه . ﴿ مَبُوءًا صِدْقٍ ﴾ ( ٧٩ / ب ) أي : مبعوا كريما شريفا . ﴿ فَإِنْ كُنْتَ ﴾ أيها السامع لهذا الكلام ، كقول الخطيب : " يا ابن آدم عندك ما يكفيك ، وتطلب ما يطغيك " (٢) . لا يريد شخصا معينا ، بل كل سامع ، وكذلك قوله : ﴿ فَلَا

(١) ينظر : الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٣٦٨ ) .

(٢) ورد ذلك في حديث رواه البيهقي في شعب الإيمان ( ٧ / ٢٩٤ ) رقم ( ١٠٣٦٠ ) ، والطبراني في المعجم الأوسط ( ٨ / ٣٦١ ) رقم ( ٨٨٧٥ ) عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : " ابن آدم عندك ما يكفيك وأنت تطلب ما يطغيك ، ابن آدم لا بقليل تقنع ولا من كثير تشبع ، ابن آدم إذا أصبحت معافى في =

تَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَمَرِّينَ ﴿١٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا ﴿١٥﴾ الآية .

﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ هم قوم علم الله أنهم لا يؤمنون ﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيَةً﴾ فهلا ، أي: لم تكن قرية آمنت عند نزول العذاب . ﴿فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ روي أنهم لما رأوا العذاب اعتزلهم يونس ومن معه من المؤمنين ، ورأوا دخاناً قد أحاط بالمدينة التجأوا إلى شيخ لهم ، فقال لهم: قولوا بأجمعكم : يا حي حين لا حي ، ويا حي محيي الموتى ، ويا حي يا قيوم ، ويا حي لا إله إلا أنت . فقالوها وكرروها فرفع عنهم العذاب<sup>(١)</sup> .

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٦﴾ وَمَكَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٨﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّنَا وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١﴾ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِذَا يُرِيكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٢٤﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿٢٥﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَخُفَّكَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْخَائِفِينَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿أَفَأَنْتَ﴾ دخلت همزة الإنكار على فاعل الفعل ، ولو أنكر الفعل نفسه لقال : أفنكره الناس ، ولدخلت همزة الإنكار على الفعل . ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي : بقضائه ﴿وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ﴾ أي : العذاب .

= جسدك آمنة في سربك عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفاء .

وقال الشيخ الألباني في ضعيف الجامع رقم (٥٠) : موضوع .

(١) رواه الإمام أحمد في الزهد (١ / ٣٤) ، والطبري في تفسيره (١١ / ١٧٢) ، وزاد نسبه السيوطي في

الدر المنثور (٤ / ٣٩٣) لابن المنذر وابن أبي حاتم .

﴿ قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ من الآيات ﴿ وَمَا تُغْنِي ﴾ يجوز أن تكون " ما " نافية وأن تكون استفهاماً بمعنى الإنكار. قوله : ﴿ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ أي : لا يملك ذلك ، بل هو سبب ، والله المسبب المالك . وقيل : ما لا ينفَعك إن عبدته ، ولا يضرُّك إن تركته . قوله : ﴿ وَأَصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ ﴾ منسوخ بآية السيف .

\* \* \*



## سورة هود [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّكَنُ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ  
 وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَنِّعْكُمْ مِنْكُمْ حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ  
 فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَّا  
 إِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ  
 بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي  
 كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى  
 الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ  
 الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا  
 يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨﴾

قوله : ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ﴾ أي : من عذابه . ﴿وَبَشِيرٌ﴾ بثوابه . ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ إلى انقضاء  
 الأعمار ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أصله : وإن تتولوا . ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ أي : إلى دار جزائه من جنة أو نار  
 رجوعكم .

كانوا إذا رأوا هودًا النبي ﷺ تغطوا بثيابهم ، وجعلوا أصابعهم في آذانهم ﴿وَإِنِّي كَلَّمَا  
 دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصْبِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾ (١) ﴿بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي : المضمرة  
 ذوات الصدور . ويجوز إفراد " ذات " وجمعها كقوله : ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ حُدَابًا يُغْتَابُ بِهَا  
 بَهْجَةً﴾ (٢) ﴿مُسْتَقَرَّهَا﴾ مكانها من أصلاب الآباء ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ مكانها من أرحام  
 الأمهات . وقيل بالعكس (أ/٨٠) وقيل : المستقر في الأرض ، والمستودع في القبر . وقيل :  
 المستقر : دار الآخرة؛ كقوله : ﴿وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ (٣) ومثله في الأنعام :  
 ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ (٤) يروى أن أول ما خلق الله جوهرة فنظر إليها فذابت ثم سلط عليها

(١) سورة نوح ، الآية (٧) .

(٢) سورة النمل ، الآية (٦٠) .

(٣) سورة غافر ، الآية (٣٩) .

(٤) سورة الأنعام ، الآية (٩٨) .

الهواء فاضطربت أمواجها فحصل من الاضطراب زبد ودخان فخلق الأرض من الزبد والسماء من الدخان .

قوله : ﴿ لِيَبْلُوكُمْ ﴾ متعلق بقوله : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ ولا يتعلق بكون عرشه على الماء ؛ إذ لا مناسبة للتعليل بذلك . والأمة : المدة ؛ كقوله : ﴿ وَأَذْكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ <sup>(١)</sup> ﴿ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْسِبُهُ ﴾ استهزاء . وقوله : ﴿ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ ﴾ تقدم الظرف على خبر ليس دليل على جواز تقديم خبر ﴿ لَيْسَ ﴾ عليها ؛ لأن العامل متقدم على المعمول <sup>(٢)</sup> .

﴿ وَلَئِن أذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكْفُرُ ﴾ <sup>(٩)</sup> ﴿ وَلَئِن أذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضِرَاءٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾ <sup>(١٠)</sup> ﴿ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ <sup>(١١)</sup> ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ <sup>(١٢)</sup> ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَبَهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ <sup>(١٣)</sup>

﴿ وَلَئِن أذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ﴾ الآيتين كقوله : ﴿ إِنْ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾ <sup>(١٤)</sup> إذا مسه الشرُّ جزوعًا <sup>(٣)</sup> .

وقوله : ﴿ لَفَرِحٌ ﴾ فعل أحد أبنية المبالغة وهي : فعول وفعال ومفعال وفعل وفعليل ، ويجوز إعمال الثلاثة الأول ، وأما الرابع فقد أجاز إعماله سيويه وأبو عمر الجرمي ، ومنعه الأكثرون وأما فعليل فلم ير إعماله إلا سيويه وحده . وعلة المنع أن فعيلًا مستعمل فيما هو

(١) سورة يوسف ، الآية (٤٥) .

(٢) ذهب الكوفيون إلى أنه لا يجوز تقديم خبر " ليس " عليها وإليه ذهب المبرد والزجاج وابن السراج والسيرافي والفارسي والجرجاني وأكثر المتأخرين ومنهم ابن مالك ؛ لعدم تصرفه وذهب البصريون إلى جواز ذلك ، وهو الذي اختاره المصنف هنا وعللوا بالعلة التي ذكرت هنا في هذه الآية . وينظر تفصيل المسألة في : أسرار العربية لابن الأنباري (ص: ١٤١، ١٤٠) ، الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري (١/١٥١) المسألة (١٨) ، اللباب في علل البناء والإعراب للعكبري (١/١٦٨، ١٦٩) ، همع الهوامع للسيوطي (١/٣٧٣) .

(٣) سورة المعارج ، الآية (٢١) .

خلقة ، كالسمين والهزيل ، أو صفة ثابتة ، كالشريك والنبيل ، فإذا نقلنا راحماً إلى رحيم مبالغة فقد جعلنا وصفه بالرحمة كالخلقة . والأوصاف التي بهذه المثابة لا تعمل في المفاعيل ، فنقل راحم إلى رحيم يعطي هذه المبالغة ، فلو أعملناه لفاتت هذه المبالغة<sup>(١)</sup> . ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ هو الجنة . يقال : ضاق الشيء فهو ضائق ، وإذا بالغت قلت ضيق ، ولما ذكر الله ضيق صدر الكافر قال : ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾<sup>(٢)</sup> وقال في نبيه ﷺ : ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِيَّاكَ وَضَاقَ بِهٖ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا﴾ فأتى بلفظة ﴿وَضَاقَ﴾ التي هي أخف وقرنها بلعل ؛ ليكون الذي هو فيه من الضيق كالمشكوك فيه . ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ لأن تقولوا . ﴿لَوْلَا﴾ بمعنى هلا . استدل على فصاحة القرآن وبلاغته وإعجازه بقوله : ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ ثم عجزهم ﴿بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ مُمْتَزِنَاتٍ﴾<sup>(٣)</sup> ، ثم عجزهم ﴿بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ﴾<sup>(٤)</sup> . قال فخر الدين ابن الخطيب<sup>(٥)</sup> : ثم عجزهم بقصة من جملة آية ؛ كقوله : ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾<sup>(٦)</sup> (٨٠ / ب) .

﴿فَالَّذِينَ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ﴾<sup>(١٤)</sup> مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ

(١) ينظر رأي سيويه في إعمال " فعيل ، وفعل " في الكتاب (١٠٨ / ٤) وتنظر المسألة والخلاف فقيها في : همع الهوامع للسيوطي (٣ / ٥٨ ، ٥٩) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية (١٢٥) .

(٣) سورة هود ، الآية (١٣) .

(٤) سورة البقرة ، الآية (٢٣) .

(٥) ينظر قوله في تفسيره مفاتيح الغيب (١ / ١٣٨ ، ١٧ / ٢٠٤) وهو محمد بن عمر بن الحسين بن علي القرشي التيمي البكري أبو المعالي وأبو عبد الله المعروف بالفخر الرازي ويقال له ابن خطيب الري أحد الفقهاء الشافعية المشاهير كان فريده عصره ومتكلم زمانه رزق الحظوة في تصانيفه التي بلغت نحو من مائتي مصنف منها تفسير كبير ، سماه مفاتيح الغيب والمحصل والمنتخب وتأسيس التقديس وغيرها . توفي سنة ٦٠٦ هـ .

تنظر ترجمته في: البداية والنهاية لابن كثير (١٣ / ٥٥) ، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (٣ / ٢١) ، طبقات الشافعية للسبكي (٨ / ٨١) .

(٦) سورة الطور ، الآية (٣٤) .

كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ، وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ، وَمَن يَكْفُرْ بِهِ، مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ، فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ؕ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾ أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ يُضَعَّفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ \* مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ \*

﴿ فَأَلَّا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ ﴾ أي : فإن لم يجيبوكم ، استجاب وأجاب بمعنى واحد ، قال

الشاعر [ من الطويل ] :

وداع دعا يا من يُجيبُ إلى الندى فلم يستجبه عند ذاك مُجيب<sup>(١)</sup>

أي : فلم يجبه . ﴿ نُوفِ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا ﴾ أي : جزاء أعمالهم ؛ كما جاء في الحديث : " فإما الكافر فيطعم بجزاء ما عمل في الدنيا حتى يأتي إلى الآخرة وليس له حسنة " <sup>(٢)</sup> .

﴿ لَا يُبْخَسُونَ ﴾ لا ينقصون . ﴿ وَحِطَّ ﴾ أي : بطل .

﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾ أي : كمن ليس كذلك ؛ لأن السياق يدل عليه ؛ كقوله : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ الآية <sup>(٣)</sup> . ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ يعني : القرآن . ﴿ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ ﴾ يعني : الملائكة . ﴿ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ يعرضون أو يمنعون .

(١) البيت لكعب بن سعد الغنوي . ينظر في : الأصمعيات ( ص : ٩٦ ) ، تاج العروس ( جوب ) ، جمهرة أشعار العرب ( ص : ١٣٤ ) ، خزانة الأدب للبغدادي ( ١٠ / ٤٣٦ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ١ / ١٣٠ ) ، الكشف للزنجشيري ( ٤ / ٣٣٠ ) ، لسان العرب ( جوب ) ويروى الشطر الثاني منه : ..... فلم يستجب عند النداء مجيب والندى : الغاية ، وبعد ذهاب الصوت ، والجود .

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٣ / ٥٨٥ ) ، وعزاه لأبي الشيخ عن ميمون بن مهران .

(٣) سورة الزمر ، الآية (٢٢) .

﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ ﴾ لثقله عليهم ، كما تفعل بمن غضبت عليه: ما أستطيع أن أسمع كلامك . ﴿ وَضَلَّ ﴾ وبطل . ﴿ لَا جَرَمَ ﴾ بمعنى: حقاً. الخبت: المكان المنخفض ، ثم استعير للرجل المتواضع المتطامن من خشية الله .

﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ ﴾ الأعمى والبصير في شبههما بالكافر والبصير والسميع في شبههما بالمؤمن ، فهما مثلان لكل واحد .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَبُّكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَبُّكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّى الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَانِسِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنْزِلْ مَكُومَهَا وَأُنزِلْهَا كَرِهُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

﴿ نُوحًا ﴾ مصروف ، وخرجه الزمخشري<sup>(١)</sup> على الخلاف في هند ؛ لأن كون الوسط عارض إحدى العلتين ، وأكثر النحويين جزموا بصرفه . ﴿ إِنِّي لَكُمْ ﴾ تقديره : قائلاً ، وهذا الحال المضمرة قد عمل في قوله : ﴿ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ فهو في موضع نصب بالمصدر ، أي : قائلاً بهذا القول أن يعبدوا غير الله وعلله بقوله : ﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ ﴾ وصف اليوم بالألم ، والمراد ألم من فيه ، ومثله : ﴿ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾<sup>(٢)</sup> . قرئ (بإدئ) بالهمزة ، و ﴿ بَادِي ﴾ بغير همزة<sup>(٣)</sup> ، فالمهموز من : بدأت الأمر إذا ابتدأته ، وغير المهموز من البدو وهو الظهور ، فالتقدير على الأول : اتبعك هؤلاء الأراذل بأول وهلة من غير تأمل ولا تثبت . وعلى الثاني : اتبعوك ظاهراً ولم يفكروا في باطن الأمر وعاقبته .

(١) ينظر: الكشاف للزمخشري (١ / ١٤٥) عند قوله - تعالى: ﴿ أَهْبِطُوا مِصْرًا ﴾ [سورة البقرة: ٦١] قال: " ويحتمل أن يريد العلم وإنما صرفه مع اجتماع السببين فيه وهما التعريف والتأنيث لسكون وسطه ؛ كقوله : " ونوحا ولوطا " وفيهما العجمة والتعريف " .

(٢) سورة الأنعام ، الآية ( ١٥ ) .

(٣) قرأ جمهور العشرة " بادى الرأي " ، وقرأ الدوري عن أبي عمرو " بادئ الرأي " .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٥ / ٢١٥ ) ، الحجة لابن خالويه (ص: ١٨٦) ، الحجة لأبي زرعة (ص: ٣٣٨) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٤ / ٩١ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٣٣٢ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٢٦٥ ) ، مجمع البيان للطبرسي ( ٥ / ١٥٣ ) ، معاني القرآن للفراء ( ٢ / ١١ ) .

﴿ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ ﴾ لك ولمن آمن بك . ﴿ أَرَأَيْتُمْ ﴾ أخبروني ؛ كقوله : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴾ <sup>(١)</sup> وأمثله كثيرة ، وأتى بـ ﴿ عَلَى ﴾ في قوله ﴿ عَلَىٰ يَدَيْهِ ﴾ أي : ركبته واستعلت عليها ؛ كقولهم : فلان على البصرة ، أي : واليها .

وقوله : ﴿ فَعَمِيَّتْ عَلَيْكُمُ ﴾ تقديره : فعميتم عن تأملها ( ٨١ / أ ) وفي الحديث : " يأتي فتية عمياً بكماً صماً " ، وعكسه ﴿ وَءَايِنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً ﴾ <sup>(٢)</sup> ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً ﴾ <sup>(٣)</sup> أي : مبصراً بها . ﴿ أَنْزَلْنَاهُمْ مِمَّا كَانُوا فِيهَا ﴾ إذا تحمل الفعل ضميري مفعول جاز في ثانيها الاتصال والانفصال ، ومنه : ﴿ أَنْزَلْنَاهُمْ مِمَّا كَانُوا فِيهَا ﴾ <sup>(٤)</sup> و ﴿ زَوَّجْنَاكَهَا ﴾ <sup>(٥)</sup> ﴿ وَأَنْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ ﴾ واو الحال .

﴿ وَيَقَوْمٍ لَا اسْتَنْصَحُوا ﴾ ﴿ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْكُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَىٰ ذُكُورًا مَّجْهُولُونَ ﴾ <sup>(٢٩)</sup> وَيَقَوْمٍ مَّن يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا يَنْبُوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأَيْنَا بِمَا تَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا يُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا لَبْتَيْسَ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾

(١) سورة الملك ، الآية ( ٣٠ ) .

(٢) سورة الإسراء ، الآية ( ٥٩ ) .

(٣) سورة النمل ، الآية ( ١٣ ) .

(٤) سورة محمد ، الآية ( ٣٧ ) .

(٥) سورة الأحزاب ، الآية ( ٣٧ ) .

﴿ لَا أَشْتَكُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ أي : على التبليغ وعلل امتناعه من طرد فقراء المؤمنين بأنهم ﴿ مُلْتَفُوا رَبِّهِمْ ﴾ ولكنهم قوم يجهلون فيجعلون الرفعة والمنزلة لأصحاب الحال . نصره بمعنى منعه ، وأكثر ما يأتي معدى بـ "من" ، ونصره بمعنى قواه ، وأكثر ما يعدى بـ "على" . وقالت الكفار لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك . وقال ها هنا : ﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ ﴾ ﴿ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ ﴾ .

وطلبوا منه طرد المؤمنين ازدراءً بهم . قال : ﴿ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي ﴾ إن فعلت شيئاً من ذلك ﴿ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ .

﴿ قَالُوا يَنْبُوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ ﴾ الفاء ها هنا عارية عن الترتيب والتعقيب ؛ كقوله : ﴿ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ﴾ <sup>(١)</sup> ﴿ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ ﴾ أي : لا يأتيكم بالتعذيب إلا الله ، والأمر فيه معلق بمشيئة الله . وقد دخل الشرط على الشرط في قوله : ﴿ نُصَحِيحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ ﴾ ومثله : ﴿ وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا ﴾ <sup>(٢)</sup> وإذا قال الرجل لزوجته : أنت طالق إن ركبت إن لبست ، فركبت ثم لبست لم تطلق ، وإن عكست طلقت هذا هو الصحيح . وعند إمام الحرمين الطلاق معلق على كلا الأمرين سواء إن فعلت على ترتيب ما ذكر أو عكست <sup>(٣)</sup> ﴿ فَعَلَى ﴾ لا على غيري جزاء ﴿ إِجْرَامِي ﴾ . ابتأس : افتعل من البأس . ﴿ أَلْفُلْكَ ﴾ يجوز أن يراد المركب الذي أمر بصنعبته ، ويجوز أن يراد الجنس . ﴿ بِأَعْيُنِنَا ﴾ أي : بمراى منا وموافقا لما أوحينا إليك ، فإنه أوحى إليه أن يصنعها على مثل جؤجؤ ، أي : مثل صدر الطائر <sup>(٤)</sup> ﴿ وَلَا تَخْطِبْنِي ﴾ نجاة ﴿ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ وعلل ذلك بكونه حكم ﴿ إِنَّهُمْ مُعْرِفُونَ ﴾ . وكان الملاء من كفار قومه إذا مروا به وهو يصنعها في فلاة من الأرض تضاحكوا من ذلك ، فيقول لهم : ﴿ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ لكن العاقبة الحسنى لنا . ﴿ فَسَوْفَ نَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ﴾ يهينه .

(١) سورة الأعراف ، الآية ( ١٣٦ ) .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية ( ٥٠ ) .

(٣) تقدم ذلك في تفسير سورة الأعراف ، الآية ( ١٠٦ ) .

(٤) رواه الطبري في تفسيره ( ١٢ / ٣٤ ) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٤ / ٤١٨ ) لابن أبي

حاتم عن ابن عباس - رضي الله عنهما . والجؤجؤ : عظام صدر الطائر .

ينظر : لسان العرب (جأجا) .

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (٤٠) ﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمَرْسَهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٤١) ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ، وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنِي أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٤٢) ﴿ قَالَ سَاوِيَ إِلَىٰ جِبَلٍ يَْعَصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾ (٤٣) ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأِ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَىٰ الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٤٤) ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ، فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴾ (٤٥) ﴿ قَالَ يَنْتُوخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتَّخِذْ مَالَيْسَ لَكَ بِهِ، عِلْمٌ إِنَّيْ أَعْطَاكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (٤٦) ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ، عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٤٧) ﴿

واستمر في صنعه (٨١/ب) الفلك حتى جاء أمر الله ، وكان من علامات مجيء العذاب لهم أن يفور الماء من التنور. وروي عن علي: ﴿ وَفَارَ التَّنُّورُ ﴾ طلع الفجر. وهو غريب.

﴿ مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ فكل واحد من الزوجين قام به الازدواج ، ومنه ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴾ (١) ﴿ وَأَهْلَكَ ﴾ أي : واحمل أهلك ، واحمل من آمن .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ يجوز أن يتعلق بـ ﴿ ارْكَبُوا ﴾ أي : اركبوا فيها متبركين باسم الله ، ويجوز أن يكون خبراً لقوله : ﴿ مَجْرِبَهَا وَمَرْسَهَا ﴾ . ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ ﴾ زعم الزمخشري (٢) أن السفينة كانت مطبقة ، وأنها كانت تجرى بهم في الماء كجري السمكة في البحر ، ولم أر هذا لغيره.

﴿ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ﴾ يعني : الله - عز وجل ، ﴿ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ ﴾ رحمه الله ، ويجوز أن يكون مفعولاً ، أي : لا معصوم ، كـ ﴿ مَلَأُو دَافِقِي ﴾ (٣) بمعنى مدفوق ، و﴿ عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ (٤) بمعنى مرضية. مثل الله - سبحانه وتعالى - طاعة المخلوقات التي لا تعقل بمأمور

(١) سورة النجم ، الآية (٤٥) .

(٢) ينظر: الكشاف (٢ / ٣٩٦) .

(٣) سورة الطارق ، الآية (٦) .

(٤) سورة الحاقة ، الآية (٢١) .



مطيع بادر إلى الامتثال ، فقال : ﴿ يَتَّأْرِضُ آبِلْعَى مَاءِكِ ﴾ الآية . غاض الماء : يتعدى ، تقول : غضته ، بضاد ساقطة ، ومنه : ﴿ وَغِيضَ الْمَاءِ ﴾ .

﴿ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ فرغ من عذابهم . ﴿ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ من قوم نوح ، أو : الظالمين مطلقاً . ﴿ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴾ يريد : أعظمهم حكمة ، أو أعدلهم حكماً .

﴿ فَلَا تَسْتَلِنَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ وكان عليك أن تعلم حين سمعت ﴿ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ ﴾ أن في أهلك من يهلك ، فلا تحتج عليّ بقولك : ﴿ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي ﴾ . وجعل هذا السؤال كالذنب الذي يستغفر منه ؛ لأن مقامات الأنبياء في أدبهم مع الله في كل حركة وسكون ليس كمقام غيرهم .

﴿ قِيلَ يٰنُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَّمٌ سَنُنْتَعِبُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يٰقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيٰقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبِّيكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِ هَارُونَ وَمَا نَحْنُ بِكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَآشْهَدُوكُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَاكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَىٰ اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هِيَ آخِذٌ بِنَاصِيئِهَا إِنْ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْخَفُفْ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا إِنْ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾﴾

﴿ اهْبِطْ بِسَلَامٍ ﴾ أي : بسلامة ﴿ وَبَرَكَاتٍ ﴾ . وقوله : ﴿ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ ﴾ وقف تام<sup>(١)</sup> ؛ لأن الذي بعده ليس لهم من السلام والبركات شيء ، وهو قوله : ﴿ وَأُمَّمٌ سَنُنْتَعِبُهُمْ ﴾ .

﴿ تِلْكَ ﴾ القصة ﴿ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ ﴾ لم تكن ﴿ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ ﴾ فإتيانك بها على ما يوافق الكتب المنزلة ، مع أنك لم تحاضر العلماء دليل على أن ذلك من الله ﴿ إِنَّ الْعَقِيبَةَ ﴾

(١) ينظر : منار الهدى في بيان الوقف والابتداء للأشموني ( ص : ١٨٦ ) .

الحسنى للمتقين . ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ ﴾ معطوف على قوله : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا ﴾ .

﴿ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ ﴾ قرئ بالرفع والنصب والجر، وقد ذكر في الأعراف<sup>(١)</sup> .

﴿ مُفْتَرُونَ ﴾ كاذبون على الله . ﴿ عَلَيْهِ ﴾ أي : على التبليغ ، ﴿ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ ﴿ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ﴾ ( ٨٢ / ١ ) ثم دوموا على التوبة . ﴿ يُرْسِلِ السَّمَاءَ ﴾ أي : المطر . ﴿ مَدْرَارًا ﴾ من الدر . ﴿ وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً ﴾ في الأجساد والأموال . ولما كان المتولي قد يذهب عنك وهو مستمع لما تقول بعد ذهابه أخبر عن هؤلاء أنهم تولوا وقد ولوا هودًا الدبر . قوله : ﴿ مَا جِئْنَا بِبَيِّنَةٍ ﴾ كذب منهم وجحود لأن يكون ما يأتي به آية ، وصرحوا بالعصيان وأنهم لا يتركون آلهتهم عن قول هود . ﴿ إِنْ نَقُولُ ﴾ في شأنك ﴿ إِلَّا ﴾ أن آلهتنا أصابتك بسوء وخبل في عقلك ، لسبب إياها ، فصرح هود بأنه لا يعبا بتلك الآلهة ولا بمن عبدها ، كما قال نوح : ﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ﴾<sup>(٢)</sup> ثم علل كونه بأنه لا يعبا بهم بقوله : ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ ﴾ وأن التعليل والأخذ بالناصية كناية عن القدرة عليها .

﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ أصلها : تتولوا . وجواب الشرط محذوف ، تقديره : لم يضرني توليتكم فقد قضيت ما عليّ ﴿ وَسَنَخْلُفُ ﴾ كلام مستأنف ، وليس معطوفاً على جواب الشرط ، وكذلك : ﴿ وَلَا تَضُرُّوهُمْ ﴾ للإتيان بهما مرفوعين .

﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِبَيِّنَاتٍ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا إِنْ عَادَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا بَعْدَ إِعَادِ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا يَصَلِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا

(١) قرأ الكسائي وأبو جعفر بالجر " من إله غيره " على النعت أو البدل من " إله " ، وقرأ باقي العشرة بالرفع " من إله غيره " على النعت أو البدل من موضع " إله " ؛ لأن من مزيدة فيه ، وقرأ عيسى بن عمر " غيره " بالنصب على الاستثناء . تنظر في : إتحاف فضلاء البشر للبنا (١ / ٢٥٧) ، البحر المحيط لأبي حيان ( ٥ / ٢٣٢ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٣ / ٢٨٧) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٢٨٤) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٢٧٥ ) ، مفاتيح الغيب للرازي (١٨ / ١٠) .

(٢) سورة يونس ، الآية ( ٧١ ) .

وإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَنْقَوْمٍ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَنِي مِنهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ، فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَنْقَوْمٍ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرُ مَكْدُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَثِيمًا ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا آلَا إِنْ تَحْمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ آلَا بَعْدَ الثَّمُودِ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ عذابنا . مما أجراه - سبحانه - أنه إذا أراد إهلاك قوم أذن لنبيهم ومن معه من المؤمنين أن يخرجوا عنهم ، فبذلك نجوا . والغليظ حقيقة في الأجسام مستعار في المعاني ﴿وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾ لأن من كذب نبياً لكونه بشراً ، فقد كذب سائر المرسلين ، ومثله: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ <sup>(١)</sup> ، ﴿كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ﴾ <sup>(٢)</sup> واستفتاح الجملتين بلفظة ﴿آلَا﴾ دليل على أنه أمر يهتم بالإصغاء إليه ، والخوف من حلول مثله بمن عصا وقوله : ﴿قَوْمٍ هُودٍ﴾ يجتزئ به عن عاد الثانية؛ كقوله : ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ﴾ <sup>(٣)</sup> وفي تسميتهم ثمود وجوه ؛ قيل : مأخوذ من الثمد وهو الماء القليل . وقيل : هو اسم أبيهم وأمهم ، فإن قلنا بالأول أو الآخر لم ينصرف ، وإن قلنا بالثاني انصرف .

﴿هُوَ أَنشَأَكُمْ﴾ أنشأ أباكم . ﴿وَأَسْتَعْمَرَكُمْ﴾ أطال أعماركم . وقيل : جعلكم عمارها ، مأخوذ من العمرى ، وهي أن يجعل الدار أو الفرس للمعمر مدة عمره ، فإذا مات رجعت إلى المعمر أو إلى ورثته إن كان قد مات . ﴿كُنْتُ فِيْنَا مَرْجُوءًا﴾ نرجو فيك التقدم والرياسة ، فلما ادعيت النبوة أخلفت ما كنا نؤمله . وقيل : مرجو أي : مؤخر والتقدير : إنك لم تكن من ذوي الرياسة والرفعة بل أنت من آحاد الخلق ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ( ٨٢ / ب ) ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنِي﴾ فمن يمنعني؟

(١) سورة الشعراء ، الآية ( ١٠٥ ) .

(٢) سورة الشعراء ، الآية ( ١٢٣ ) .

(٣) سورة النجم ، الآية ( ٥٠ ) .

﴿فَمَا تَزِيدُونِي غَيْرَ تَخْوِيرٍ﴾ مني . ﴿لَكُمْ آيَةٌ﴾ نصب على الحال ، والعامل فيها ﴿هَذِهِ﴾ كأنه يقول : الناقة لله ، والأرض له ، فذروا ناقته تأكل في أرضه . ﴿وَلَا تَمْسُوهَا سُوءًا﴾ بعقر . ﴿ذَلِكَ وَعَدُوٌّ كَذُوبٌ﴾ فقد وعدناهم بعذاب قريب ، والثلاثة في حد القرب . ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ﴾ الذي لا يطاق رد ما أراد . ﴿الْعَزِيزُ﴾ الغالب ومنه : ﴿وَعَزَّيْنِي فِي الْخُطَابِ﴾<sup>(١)</sup> ﴿الصَّيْحَةُ﴾ صاح بهم جبريل . ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَثِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup> كَأَنْ لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ من قولهم : غنى بالمكان ، إذا أقام به ، والمغاني : المنازل ، ثم استفتح الجملتين بـ ﴿أَلَا﴾ التي للتنبية ، كما فعل بقوم هود . ﴿يَا بَشَرِ﴾ بالولد لإبراهيم ، وبشارته بإهلاك قوم لوط .

ومن آداب الضيافة : الإسراع بالطعام ؛ لقوله : ﴿فَمَا لَيْثَ أَنْ جَاءَ﴾ . ومن آدابها : ألا يظهر للضيف أنه يذبح له أو يهتم به ؛ لقوله : ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾<sup>(٢)</sup> ومنها : أنه يتخير أجود ما عنده ؛ لقوله : ﴿بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ .

﴿فَلَمَّارًا أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَنْخَفُ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾<sup>(٧٠)</sup> وَأَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾<sup>(٧١)</sup> قَالَتْ يَنْوِلُنِي ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾<sup>(٧٢)</sup> قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾<sup>(٧٣)</sup> فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشَرَىٰ مُجْدِلَاتًا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾<sup>(٧٤)</sup> إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾<sup>(٧٥)</sup> يٰإِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾<sup>(٧٦)</sup> وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾<sup>(٧٧)</sup> وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمَنْ قَبُلَ مِنْهُمْ لَبِئْسَ مَا يَكْمُلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَنْقُومِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾<sup>(٧٨)</sup> قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكِ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا تُرِيدُ﴾<sup>(٧٩)</sup> قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ ءَاوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾<sup>(٨٠)</sup> قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْفُتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا نَكْرًا إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾<sup>(٨١)</sup>

(١) سورة ص ، الآية (٢٣) .

(٢) سورة الذاريات ، الآية (٢٦) .

وكان الضيف ملائكة فلم يمدوا أيديهم إلى الطعام فارتاب بهم إبراهيم وكانوا إذا لم يأكل الرجل من طعامهم خافوا منه الغدر. يقال : أنكرت الشيء ونكرته . ﴿ وَأَوْجَسَ ﴾ أضمر . وكانت امرأة إبراهيم قائمة على الضيفان تخدمهم بنفسها . ﴿ فَضَحِكَتْ ﴾ تعجبا من غفلة قوم لوط والعذاب قد أظلمهم .

وقيل : ضحكت أي : حاضت ﴿ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ ﴾ وأنه يعيش حتى يأتي منه ولد يسمى يعقوب ، وفيه دليل على أن الذبيح إسحاق ؛ لأن الذبيح هو المبشر به ؛ لقوله : ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾ (١٠١) ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئُ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ ﴾ (١) ولم تبشّر إلا بإسحاق ، ومن ذكر أنه إسماعيل قال : لو كان الذبيح إسحاق لما شك إبراهيم في أنه لا يذبح ؛ لأن الله قد بشره بأن يولد من إسحاق ولد اسمه يعقوب ، فكان يعلم أنه لا يموت حتى يرزق الولد (٢) .

(١) سورة الصافات ، الآية (١٠١ ، ١٠٢) .

(٢) هذا خلاف ما ذهب إليه الحافظ ابن كثير في تفسيره ( ٤ / ١٨ - ١٩ ) حيث ذهب إلى أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام وقال : " وهو الصحيح المقطوع به " . ثم أورد كثيرا من الأقوال والآثار التي تدلل على ذلك ، ومنها ما ذكره محمد بن إسحاق قال : سمعت محمد بن كعب القرظي وهو يقول : إن الذي أمر الله - تعالى - إبراهيم بذبحه من ابنه إسماعيل ، وأنا لنجد ذلك في كتاب الله - تعالى ؛ وذلك لأن الله - تعالى - حين فرغ من قصة المذبوح من ابني إبراهيم فقال تعالى : ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ويقول الله - تعالى : ﴿ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ يقول : بابن وابن فلم يكن ليأمره بذبح إسحاق وله فيه من الموعد بما وعده ، وما الذي أمر بذبحه إلا إسماعيل ، قال ابن إسحاق : سمعته يقول ذلك كثيرا . وقال ابن إسحاق عن بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي عن محمد بن كعب القرظي أنه حدثهم أنه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وهو خليفة إذ كان معه بالشام فقال له عمر إن هذا شيء ما كنت أنظر فيه وإني لأراه كما قلت ثم أرسل إلى رجل كان عنده بالشام كان يهوديا فأسلم وحسن إسلامه وكان يرى أنه من علمائهم فسأله عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه عن ذلك قال محمد بن كعب وأنا عند عمر بن عبد العزيز فقال له عمر : أي ابني إبراهيم أمر بذبحه فقال : إسماعيل والله يا أمير المؤمنين ، وإن يهود لتعلم بذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذي كان من أمر الله فيه والفضل الذي ذكر الله - تعالى - منه لصبره لما أمر به فهم يحسدون ذلك ويزعمون أنه إسحاق لأن إسحاق أبوهم والله أعلم أيهما كان ، وكل قد كان طاهرا طيبا مطيعا لله - عز وجل - . وقال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - سألت أبي عن الذبيح هل هو إسماعيل أو إسحاق فقال : إسماعيل ، ذكره في كتاب الزهد وقال ابن أبي حاتم : وسمعت أبي يقول : الصحيح أن الذبيح إسماعيل عليه الصلاة والسلام . قال : وروى عن علي وابن عمر وأبي هريرة وأبي الطفيل وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبيرة =

وقيل : الوراثة ولد الولد<sup>(١)</sup> .

﴿وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ نصب ﴿شَيْخًا﴾ على الحال ، و ﴿بَعْلِي﴾ هو الخبر ، وليس بمحط الفائدة لأن العجب إنما هو من ولادتها وهي عجوز وزوجها شيخ ، فقالت لها الملائكة : إنما يعجب من خرق العوائد من لم ينشأ في بيوت الأنبياء وأنت من بيت النبوة ، فلا تعجبوا من تعلق قدرة الله بذلك . ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ أهل إبراهيم .

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى﴾ (١/٨٣) شرع ﴿يُجَدِّدُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ وقال : ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ الآيات<sup>(٢)</sup> ﴿مِنَ الْغَيْرِ﴾ الباقيين في العذاب . ﴿سَيِّءَ سِيمٍ﴾ ظهر على وجهه المساءة لما رأى من حسن الأضياف ، ولما علم من جرأة قومه على طلب الفاحشة . ﴿هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ أي : شديد ﴿هَتُولَاءِ بَنَاتِي﴾ حقيقة ، فتزوجوهن أو : بناتي أهل ملتي وشريعتي ، وكل نبي فهو أبو أمته . وقرئ " ﴿الَّتِي أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجَهُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ وهو أب لهم " <sup>(٣)</sup> .

﴿مِنْ حَقِّي﴾ من طلب . ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أُوَيِّئُ إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ لدفعتكم بقوتي أو بركني الشديد، وفي الحديث : " يرحم الله لوطاً ، لقد كان يأوي إلى ركن شديد " <sup>(٤)</sup> . قالوا : فما بعث الله نبياً بعد ذلك إلا في منعة من عشيرته ، كما قال في قصة شعيب : ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ وقال لهم : ﴿أَرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ .

= والحسن ومجاهد والشعبي ومحمد بن كعب القرظي وأبي جعفر محمد بن علي وأبي صالح - رضي الله عنهم - أنهم قالوا الذبيح إسماعيل . ثم قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى : " وقد تقدم أن من الناس من ذهب إلى أنه ذبح إسحاق ، وليس ما ذهبوا إليه بمذهب ، ولا لازم ، بل هو بعيد جدا ، والذي استدل به محمد بن كعب القرظي على أنه إسماعيل أثبت وأصح وأقوى ، والله أعلم " .

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ١٢ / ٧٤ - ٧٥ ) .

(٢) سورة العنكبوت ، الآية ( ٣٢ ) .

(٣) سورة الأحزاب ، الآية ( ٦ ) وقرأ بها أبي بن كعب وابن عباس . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٢١٢ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٤ / ٢٦٢ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٨١ ) ، معاني القرآن للفراء ( ٢ / ٣٣٥ ) .

(٤) رواه البخاري رقم ( ٣٢٠٧ ) ، ومسلم رقم ( ١٥١ ) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " يرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف ثم أتاني الداعي لأجبهته " .

قال قوم : من قرأ ﴿إِلَّا أَمْرًا نَّكَ﴾ بالرفع فهو فاعل يلتفت ، ومن قرأ ﴿إِلَّا أَمْرًا نَّكَ﴾ بالنصب<sup>(١)</sup> فهو مستثنى من قوله : ﴿فَأَسْرٍ﴾ ولم يسر بها ، وعلى الأول قد سرى بها لكنها التفتت ، فلزم اختلاف القراءتين المتواترتين والواقعة واحدة ، والصواب أن الاستثناء على كل حال من ﴿وَلَا يَلْنَفِتْ﴾ والاستثناء من النهي يجوز فيه الرفع على البدل ، والنصب على الاستثناء<sup>(٢)</sup> . ولما هم الكفار بمدّ أيديهم إلى الملائكة أضياف لوط طمس الله أعينهم حتى صار موضع العينين لحمًا مساويًا لحم الوجه ، فقالوا : يا لوط عندك أسحر الناس ، لتبصرن غدًا ما نصنع بك . فقال لوط للملائكة : متى تهلكون ؟ قالوا : الصبح ، قال لوط : أريد أعجل من ذلك ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ فرفع جبريل مدائنهم حتى سمعت الملائكة صياح كلابهم ، ثم أتبعها الحجارة . وقيل : بل إنما رمى بالحجارة من كان في البلاد من قوم لوط .

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُوبٍ ﴿٨٢﴾ مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَبُّكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَنْقُورِ أَتَوْا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَتْ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَنْقُورِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَيْكُمْ عَنْهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَنْقُورِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُمْ بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو " إلا امرأتك " بالرفع ، وقرأ باقي العشرة " إلا امرأتك " بالنصب .  
تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٥ / ٢٤٨ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ١٩٠ ) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٣٤٧ ) ، الدر المصون للسمن الحلبي ( ٤ / ١٢١ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٣٣٨ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٢٨٤ ) ، معاني القرآن للفراء ( ٢ / ٢٤ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٩٠ ) .

(٢) ينظر : شرح شذور الذهب لابن هشام ( ١ : ٣٤٣ ) .

﴿ سَجِيلٍ ﴾ اسم السماء الأولى . ﴿ مُسَوِّمَةٌ ﴾ معلّمة بما يدل على أنها ليست من حجارة الدنيا . ﴿ وَمَاهِي مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ الكفار .

وقيل : بمن فعل مثل قوم لوط .

﴿ مَدِينٍ ﴾ ابن إبراهيم كان قد نزل بذلك المكان فسمي به ، وبعث شعيب إليهم وإلى أصحاب الأيكة فعذبت مدين بالرجفة ، وأصحاب الأيكة بعذاب يوم الظلة ، وهي سحابة أظلتهم أووا إلى ظلها من شدة الحر ، فأمطرت عليهم ناراً ، ولا تعطوا الكيل والوزن ناقصاً ، وكان شعيب كثير الصلاة فاستهزءوا به ، وقالوا : ﴿ أَصَلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ﴾ ؟ ! وتهكموا بكونه ( ٨٣ / ب ) حليماً رشيداً . ﴿ أَرَأَيْتُمْ ﴾ أخبروني . تقول : خالفت زيدا إلى كذا ، أي : فعلت مثل فعله بعد تركه له و " مَا " في ﴿ مَا اسْتَطَعْتُ ﴾ مصدرية ، ولو أظهر المصدر لكان إما مضافاً إلى زمن أو حال ، أي : مدة استطاعتي ، أو حالة استطاعتي . وقيل : التوفيق عزيز ، ولم يأت في القرآن إلا هاهنا . فإن قيل : قوله : ﴿ إِنْ يُرِيدَ إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾ <sup>(١)</sup> .

وقوله : ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴾ <sup>(٢)</sup> في الآيتين ذكر التوفيق ، قلنا : ليس هو التوفيق المشار إليه هاهنا ؛ فإن المراد هاهنا هداية القلب إلى الصواب وتيسيره عليه ، وفي الآيتين يريد الوفاق بين المتخاصمين ، وتقدم المجرورين في " عليه وإليه " دليل الاختصاص . ﴿ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ ﴾ لا يكسبنكم . ﴿ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴾ أي : وما قريتهم بل هي قرية يمرون عليها في أسفارهم . ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوْءًا ﴾ <sup>(٣)</sup> ، ﴿ وَإِنَّكُمْ لَلْمُرُونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴾ <sup>(٤)</sup> وبالل .

﴿ وَدُوْدٌ ﴾ مبالغة في واد . وقيل : مودود بمعنى محبوب .

﴿ قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْمُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزٌّ ﴾ <sup>(١١)</sup> قَالَ يَنْقُومِ أَرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَأَتَّخِذُ مَوْهٍ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا إِنَّ

(١) سورة النساء ، الآية ( ٣٥ ) .

(٢) سورة النساء ، الآية ( ٦٢ ) .

(٣) سورة الفرقان ، الآية ( ٤٠ ) .

(٤) سورة الصفات ، الآية ( ١٣٧ ) .



رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَقَوْمٍ أَعْمَلُوا عَلَيَّ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَعِلُّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ  
يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا  
بَنَاتِنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ  
جَنِيمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۗ أَلَا بُعْدًا لِمَدِينٍ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا  
وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾

قولهم : ﴿ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ ﴾ رد قبيح كما تقول لمن تكلم بما لا يعجبك : لا أدري  
ما تقول . ﴿ وَإِنَّا لَنَرُّكَ فِينَا ﴾ ضعيف الفهم والعقل . ونبذتم جناب الله وراء ظهوركم ،  
وهو معنى قوله : ﴿ ظَهْرِيًّا ﴾ وكسر الظاء من تغيرات النسب ؛ لقوله في النسب إلى البصرة :  
بصري ﴿ عَلَيَّ مَكَانَتِكُمْ ﴾ على قدرتكم وتمكنكم . ﴿ إِنِّي عَعِلُّ ﴾ في الإبلاغ على مكاني  
وقدرتي .

وقوله : ﴿ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ ﴾ الآية إنصاف من العارف ؛ كقوله : ﴿ وَإِنَّا  
أَوْيَاتِكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (١) .

يقال في المكان : بعد يبعُدُ ، وفي الهلاك : بعد بكسر العين يبعَد بفتحها ، ومصدرهما :  
الْبُعْد ، بضم الباء ، قال الشاعر [ من الطويل ] :

يقولون لا تبعُد وهم يدفنوكهُ وما البُعْدُ إلا ما تجنُّ الصفائح (٢)

﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۗ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ  
الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ  
وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهِمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ  
وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتَابِعٍ ﴿١٠١﴾

(١) سورة سبأ ، الآية ( ٢٤ ) .

(٢) ينظر البيت في: تاج العروس للزبيدي ( بعد ) ، الكشاف للزنجشري ( ٢ / ٢٧٣ ) ، لسان  
العرب ( بعد ) ويروى: ولا بعد إلا ما توارى الصفائح . ولا تبعُد : كلمة جارية على لسانهم  
عند المصيبة تدل على شدة الجزع والصفائح : أحجار عراض يسقف بها القبر ، والمعنى : البعد  
الحقيقي هو ما يستره القبر كناية عن الموت .

﴿ فَأَتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ ﴾ ما يأمرهم به . ﴿ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ ﴾ وما شأنه وطريقه . وصفة أمره بنفي الرشاد مجاز ؛ لأن الرشيد هو فاعل الرشد لا فعله . ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ ﴾ يتقدمهم وهم وراءه ؛ كقوله : ﴿ وَيَوْمَ نَخْتَرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا ﴾ <sup>(١)</sup> وقوله : ﴿ فَأَوْرَدَهُمُ ﴾ أتى فيه بالفعل الماضي ؛ لأن أحوال القيامة جاء أكثرها بلفظ الماضي ؛ لأنها عند الله محققة الثبوت ( ٨٤ / أ ) ومنه : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ ﴾ ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى ﴾ ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ <sup>(٢)</sup> ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾ <sup>(٣)</sup> ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ ﴾ <sup>(٤)</sup> .

﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ ﴾ <sup>(٥)</sup> وأمثله كثيرة . وقال عمرو بن معدي كرب [ من الوافر ] :  
بأني قد لقيت الغولَ تسعى      بشهبٍ كالصَّحيفةِ صحَّحان  
فأضربها فأقتلها فخرت      صريعاً للبيدين وللجران <sup>(٦)</sup>

﴿ يَسَّ الرَّقْدُ الْمَرْفُودُ ﴾ بس العطاء المعطى . ﴿ ذَلِكَ ﴾ مبتدأ . ﴿ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ ﴾ عَلَيْكَ خبر بعد خبر ، ويجوز أن يكون ﴿ ذَلِكَ ﴾ منصوباً بفعل مضمرة يفسره ﴿ نَقُصُّهُ ﴾ من باب : زيدا ضربته . ﴿ فَمَا أَغْنَتْ ﴾ ما نافية ، ويجوز أن تكون استفهامية ، ومثله ﴿ مَا

(١) سورة النمل ، الآية ( ٨٣ ) .

(٢) سورة الزمر ، الآيتان ( ٦٨ ، ٦٩ ) .

(٣) سورة الأعراف ، الآية ( ٤٤ ) .

(٤) سورة الأعراف ، الآية ( ٤٨ ) .

(٥) سورة النحل ، الآية ( ١ ) .

(٦) وينسب البيت لتأبط شراً . ينظر في : الأغاني للأصفهاني ( ١٠ / ١٤٠ ) ، البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٢٨٩ ) ، تفسير القرطبي ( ١٤ / ٢٨٥ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤٦٠ ) ، روح المعاني للألوسي ( ٧ / ٢٢٧ ) ، الكشاف للزنجشيري ( ٣ / ٦٠١ ) ويروى :  
..... بسهب كالصحيفة صححان ، والغول : أنثى الشياطين ، وتهوي : تسقط ،  
والسهب : الفضاء المستوي ، والصحيفة : الكتاب ، والصححان : المستوي من الأرض ،  
والجران : مقدم عظم العنق من الحلق إلى اللبة ، وقبل هذين البيتين يقول الشاعر :

فمن ينكر وجود الغولِ      إني أخبرُ عن يقينِ بل عيانِ

والمعنى : يا من تنكر وجود الشياطين إني أخبر عن يقين أنني لقيتها تسرع في مكان متسع مستو أي : فجعلت أضربها بلا خوف فسقطت مطروحة على يديها وعنقها . ( وعدل عن الماضي إلى المضارع ليحكى الحال الماضية كأنها موجودة الآن مشاهدة فيتعجب منها وتعلم شجاعته ) .

أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿١﴾ ﴿فَمَا تَعْنِ الْأَنْذُرُ﴾ (٢) ﴿تَنْبِيْهِ﴾ تَخْسِيرٍ ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ (٣) .

الكاف في كذلك يجوز أن تكون في موضع رفع على الابتداء ، و﴿أَخَذُ﴾ خبره . ويجوز أن تكون نعت مصدر محذوف ، أي : ناخذهم أخذاً مثل ذلك .

﴿وَكَذَلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (١٠٢) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ تَجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ (١٠٣) ﴿وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾ (١٠٤) ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ (١٠٥) ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ (١٠٦) ﴿خَلْدَيْنَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ (١٠٧) ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَلْدَيْنَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَّجْدُوزٍ﴾ (١٠٨) ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَتُولَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوقِنُونَ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾ (١٠٩) ﴿

﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ أي : ظالم أهلها . ﴿النَّاسُ﴾ مفعول لم يسم فاعله بـ ﴿تَجْمُوعٌ﴾ . جعل الزفير والشهيق صادرين من أهل النار وفي قوله : ﴿سَمِعُوا لَهَا شَهِيْقًا وَهِيَ تَفُورٌ﴾ (٤) جعله من فعل جهنم ، والأمران ثابتان بالاثنين . ﴿مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ كناية عن الدوام . وقيل : المراد : سماوات الجنة وأرضها . وقرئ ﴿سَعِدُوا﴾ بضم السين (٥) مثل قولهم : مسعود ، وهو قليل ، والأكثر في سعد أنه لا يتعدى .

وقوله : ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ أي : من وقت طوافهم بين جهنم ومياه الحميم ، ومنه قوله : ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آتِينَ﴾ (٦) وفي الجنة مدة الزيادة . وقيل : ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ من تأخير

(١) سورة المسد ، الآية (٢) .

(٢) سورة القمر ، الآية (٥) .

(٣) سورة غافر ، الآية (٣٧) .

(٤) سورة الملك ، الآية (٧) .

(٥) قرأ حمزة والكسائي وحفص بن عاصم وخلف "سعدوا" ، وقرأ باقي العشرة "سعدوا" .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٥ / ٢٦٤) ، الحجة لابن خالويه (ص : ١٩٠) ، حجة

أبي زرعة (ص : ٣٤٩) ، الدر المصون للسمن الحلبي (٤ / ١٣١) ، السبعة لابن مجاهد

(ص : ٣٣٩) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٩٠) .

(٦) سورة الرحمن ، الآية (٤٤) .

العذاب بعد النفخة إلى الاستقرار في النار. وفي أهل الجنة من وقت النفخة إلى الاستقرار في الجنة. ﴿غَيْرَ مَجْدُوذٍ﴾ غير مقطوع .

﴿فَلَا تَكُ فِي مَرْيَمَ مِمَّا يَعْبُدُ﴾ بطلان عبادة ﴿هَتُولَاءِ﴾ ولا حجة لهم فيها إلا اتباع الآباء .  
﴿وَإِنَّا لَمُوفُونَ بِمَا نَصِيبُهُمْ﴾ من الجزاء ، ونقص يتعدى ومنه ﴿غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾ ، ﴿ثُمَّ لَمْ يَنْقُصْكُمْ شَيْئًا﴾<sup>(١)</sup> .

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ<sup>٤</sup> وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ<sup>٥</sup> وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكِّ مَنَّهُ مُرِيبٍ<sup>(١١٠)</sup> وَإِنْ كَلَّا لَمَّا لِيُوفِيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ<sup>٦</sup> إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ<sup>(١١١)</sup> فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ<sup>(١١٢)</sup> وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ<sup>٧</sup> ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ<sup>(١١٣)</sup> وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ<sup>٨</sup> ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ<sup>(١١٤)</sup> وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ<sup>(١١٥)</sup> فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَنهَوْكَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ<sup>٩</sup> وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ<sup>(١١٦)</sup>﴾

﴿فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾ فمن مصدق ومن مكذب كما فعل قومك . ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ (ب / ٨٤) في تأخير العذاب إلى البعث لفرغ من حسابهم .

﴿فَاسْتَقِمْ﴾ أي : قدم على ما أنت عليه من الاستقامة . ﴿ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ﴾ ثم لا تخلصون من العذاب .

﴿طَرَفِي النَّهَارِ﴾ أوله وآخره . ﴿وَزُلْفًا﴾ وقرباً ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ﴾ قيل : نزلت في نبهان التمار ، جاءت امرأة تشتري تمراً فقال لها: في البيت أجود من هذا ، فذهب بها إلى البيت ونال منها ما ينال الرجل من امرأته إلا الجماع ، ثم جاء فشكى إلى رسول الله ﷺ ، فنزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup> . وفي الحديث الصحيح: " مثل الصلوات الخمس ، كمثل نهر على

(١) سورة التوبة ، الآية ( ٤ ) .

(٢) رواه الترمذي رقم ( ٣١١٥ ) وقال : حسن صحيح ، والطبري في تفسيره ( ١٢ / ١٣٧ ) والصحابي هو أبو اليسر بن عمرو الأنصاري . وأما ما ذكره المصنف عن نبهان التمار هنا فقد ذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة ( ٤١٨ / ٦ ) في ترجمة نبهان التمار وقال : ذكر مقاتل بن سليمان في تفسيره عن الضحاك عن ابن عباس في قوله - تعالى : =

باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات ، أترون ذلك يبقي من درنه شيئاً؟ قالوا : لا ، قال : كذلك الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا" (١).

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ أي : الصابرين . وقيل : أعم من ذلك والصبر داخل فيه . ﴿ فَلَوْلَا ﴾ فهلا ، والمعنى : فلم يكن من القرون من قبلكم أولو بقية إلا قليلاً .

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ (١١٧) ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ (١١٨) ﴿ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْثَلِ الَّذِينَ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (١١٩) ﴿ وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٢٠) ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴾ (١٢١) ﴿ وَأَنْظِرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ ﴾ (١٢٢) ﴿ وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (١٢٣)

﴿ أْتَرَفُوا ﴾ نعموا ، واللام في ﴿ لِيُهْلِكَ ﴾ لام الجحود ، والواو في ﴿ وَأَهْلُهَا ﴾ واو الحال . ﴿ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ قيل : للرحمة . وقيل : خلقهم لما هم عاملون ، فإن كل موجود حادث فهو بقدره الله . ﴿ وَكَلَّا ﴾ مفعول ﴿ نَقُصُّ ﴾ . و ﴿ مَا نُثَبِتُ ﴾ بدل من ﴿ وَكَلَّا ﴾ و ﴿ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ ﴾ السورة ﴿ الْحَقُّ ﴾ . ﴿ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ﴾ على تمكنكم .

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾ الآية قال : هو نبهان التمار أته امرأة حسناء جميلة تتباع منه تمرا فضرب عجيزتها فقالت : والله ما حفظت غيبة أخيك ، ولا نلت حاجتك فسقط في يده فذهب إلى النبي ﷺ فأعلمه فقال له : إياك أن تكون امرأة غاز ، فذهب يبكي ثلاثة أيام يصوم النهار ويقوم الليل ، فأنزل الله - عز وجل - في اليوم الرابع هذه الآية فأرسل إليه فأخبره فحمد الله وأثنى عليه وشكره وقال : يا رسول الله هذه توبتي ، فكيف لي بأن يقبل شكري فأنزل الله - عز وجل : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ وهكذا أخرجه عبد الغني بن سعيد الثقفي في تفسيره عن موسى بن عبد الرحمن عن بن جريج عن عطاء عن ابن عباس مطولاً قال الحافظ ابن حجر : " ومقاتل متروك والضحاك لم يسمع من ابن عباس وعبد الغني وموسى هالكان وأورد هذه القصة الثعلبي والمهدوي ومكي والماوردي في تفسيرهم بغير سند لكن ذكر قتادة بعض هذا مختصراً وورد تسمية صاحب القصة في نزول الآية الثانية لأبي اليسر وغيره " .

(١) رواه أحمد في المسند ( ٣ / ٣٠٥ ، ٣١٧ ) ، ومسلم رقم ( ٦٦٨ ) عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما .

﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا غَابَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ﴿وَالَّذِي يَرْجِعُ الْأَمْرَ كُلَّهُ﴾ وقرئ ﴿يُرْجَعُ﴾<sup>(١)</sup>. ويجوز أن يكون خبراً بمعنى الأمر؛ كقوله: ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ ﴾<sup>(٣)</sup>.

\* \* \*

(١) قرأ جمهور القراء ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر عنه وأبو جعفر ويعقوب " يَرْجِعُ " ، وقرأ نافع وحفص عن عاصم " يُرْجَعُ " . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٥ / ٢٧٥ ) الحجة لابن خالويه ( ص : ١٩١ ) ، حجة أبي زرعة ( ص : ٣٥٣ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٤ / ١٤٩ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٣٤٠ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٠٨ ، ٢٠٩ ) .

(٢) سورة البقرة ، الآية ( ٢٢٨ ) .

(٣) سورة البقرة ، الآية ( ٢٣٣ ) .

## سورة يوسف [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَبْنَئُ لَا نَقُصُّ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ يَجْنِبُكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلْسَّابِقِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ غَضَبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٨﴾ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقُوَّةَ فِي غَيْبَتِ الْجَبِّ يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾﴾

قوله : ﴿ تِلْكَ ﴾ أي : هذه ﴿ الْقَصَصِ ﴾ بالفتح : المصدر، وبكسر القاف : جمع قصة .

﴿ بِمَا أَوْحَيْنَا ﴾ أي : بإيحائنا . ﴿ لِمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ عن معالم الشريعة .

اذكر ﴿ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ ﴾ فإذ مفعول لا ظرف . ﴿ رَأَيْتُهُمْ ﴾ نظرية . إذا بعد العهد بالعامل أعيد ذكره؛ كقوله : ﴿ أَعِيدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> وقيل : إنما أعاد ﴿ رَأَيْتُهُمْ ﴾ لأنه ذكرها أولاً مقترنا بالرؤية من غير قيد ، وذكرها ثانياً مقيدةً بكونها ساجدة ويكون السجود له . الرؤيا : ما يُرى في النوم ( ٨٥ / أ ) والرؤية بالعين ، وقد قيل في قوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ ﴾ <sup>(٢)</sup> أنها رؤية عين ، قال الشاعر [ من الطويل ] :  
مضى الليل والفضل الذي لك لا يمضي ورؤياك أحلى في فؤادي من العُمض <sup>(٣)</sup>

(١) سورة المؤمنون ، الآية ( ٣٥ ) .

(٢) سورة الإسراء ، الآية ( ٦٠ ) .

(٣) ينظر البيت في: روح المعاني للألوسي ( ١٢ / ١٧٩ ) ، لسان العرب ( رأى ) .

أي : ورؤيتك . ومثل ذلك الاصطفاء بإسجاد النيرين والكواكب ﴿ يَجْنِيكَ رَبُّكَ ﴾ .  
 ﴿ الْأَحَادِيثِ ﴾ جمع أحدىثة ، كالأضاحيك . ﴿ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾ ينتفع باجتماعنا في  
 مصالحه وكنا أحق بمحبته . ﴿ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ لفي بعد عن الحق والإنصاف . ﴿ أَوْ  
 أَطْرَحُوهُ أَرْضًا ﴾ ليس فيها قوت ولا أنيس ﴿ يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ ﴾ كأن أباهم كانت قصوده  
 منصرفة إلى يوسف وأخيه ، فإذا هلك يوسف خلا قلبه من الموانع التي تشغله عنهم .  
 والغيابة : ما يخفي فيه موضع الشيء الغائب . ﴿ لَا تَأْمَنَّا ﴾ في موضع نصب على الحال .  
 وأكدوا نصحهم له وحفظهم بأن واللام . ﴿ نَرْتَع ﴾ من رتع البهائم ، قرئ ﴿ نَرْتَع ﴾ بغير  
 ياء مجزوم بجواب الأمر ، وهو من الرعي . وقرئ ﴿ يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ ﴾ بالياء فيهما ؛ لأن  
 يوسف كان أصغر سنًا فهو أحق بنسبة الرتع واللعب إليه ، وقرئ ﴿ نَرْتَعُ وَيَلْعَبُ ﴾ <sup>(١)</sup>  
 لأنهم أقوياء قادرين على الرعي ، ويوسف يلعب .

﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ، وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴾ <sup>(١٣)</sup> قَالُوا  
 لَيْنَ أَكْلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَخَسِرُونَ <sup>(١٤)</sup> فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ، وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي  
 غَيْبَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ <sup>(١٥)</sup> وَجَاءَ وَآبَاهُمْ عِشَاءً وَبَكَوْا  
<sup>(١٦)</sup> قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكْلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ  
 لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ <sup>(١٧)</sup> وَجَاءَ وَعَلَى قَيْصِيهِ، يَدْمِرُ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ  
 جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ <sup>(١٨)</sup> ﴿

﴿ أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ ﴾ فاعل ﴿ لَيَحْزُنُنِي ﴾ والواو في ﴿ وَأَنْتُمْ ﴾ واو الحال ، وكذلك الواو  
 في ﴿ وَنَحْنُ ﴾ قيل : الواو في ﴿ وَأَجْمَعُوا ﴾ زائدة . وقيل : هي أصل ، والزائدة في قوله :  
 ﴿ وَأَوْحَيْنَا ﴾ وجواب ﴿ لَمَّا ﴾ محذوف ، أي : لما كان ذلك جرى ما لا يقدر قدره من الخطب  
 الذي يعظم شرحه ، ونظير هذه الآية قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ <sup>(٢)</sup> ﴿ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ

(١) قرأ نافع وأبو جعفر «يرتع ويلعب»، وقرأ أبو عمرو وابن عامر «نرتع ونلعب»، وقرأ ابن كثير «نرتع  
 ونلعب» وقرأ باقي العشرة «يرتع ويلعب». تنظر القراءات في: البحر المحيط لأبي حيان (٥/٢٨٥)،  
 الحجة لابن خالويه (ص: ١٩٣)، الحجة لأبي زرعة (ص: ٣٥٦)، الدر المصون للسمين الحلبي  
 (٤/١٥٩)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٣٤٥)، الكشاف للزمخشري (٢/٣٠٦)، النشر لابن الجزري  
 (٢/٢٩٣).

(٢) سورة الصافات، الآيتان (١٠٣، ١٠٤).



بِأَمْرِهِمْ ﴿ هُوَ قَوْلُهُ لَهُمْ : ﴿ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ (١) .

﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ أنه يوسف . قيل : أوحى إلى يوسف وهو في السجن ، وهو صبي بعد [ إلقائه في الحب ] وإنما جاءوا عشاء ؛ لأن التلبس في الظلمة يروج أكثر من رواجه في النهار ، ويظهر من صفحات وجه المعتذر صدقه أو كذبه .

ويحكى أن رجلاً وامرأة تحاكما إلى شريح القاضي (٢) فشكت حالها وبكت ، فقال بعض من حضر مجلسه : أظنها كاذبة ، أما تراها تبكي ؟ فقال : قد جاء إخوة يوسف عشاء يبكون وكانوا ظلمة (٣) .

﴿ يَمْؤُومِنَ ﴾ بمصدق . ﴿ يَدْمِرْ كَذِبِ ﴾ أي : مكذوب عليه . ﴿ سَوَّلَتْ ﴾ سهلت . ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ مبتدأ وصفة ، والخبر محذوف ، تقديره : أولى بي . وقيل : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ خبر ، والتقدير : فالواجب صبرٌ جميلٌ .

استعان ( ٨٥ / ب ) يتعدى بنفسه ومنه قوله : ﴿ أَلْمُتَّعَانُ ﴾ ومنه : " اللهم إنا نستعينك " (٤) .

﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ . قَالَ يَا بَشْرَى هَذَا غُلْمٌ وَأَسْرُوهُ بَضْعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٩) ﴿ وَشَرَّوهُ بِشَمْنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ (٢٠) وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِأَمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا . وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ . مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ . وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢١) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ؕ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا . وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٢٢)

(١) سورة يوسف ، الآية (٨٩) .

(٢) هو الفقيه أبو أمية شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي قاضي الكوفة . يقال : له صحبة ولم يصح بل هو ممن أسلم في حياة النبي ﷺ وانتقل من اليمن زمن الصديق . وصح أن عمر ولاء قضاء الكوفة فقيل : أقام على قضائها ستين سنة ، وقد قضى بالبصرة سنة وفد زمن معاوية إلى دمشق وكان يقال له : قاضي المصريين . توفي سنة ٧٨ هـ . تنظر ترجمته في : سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/ ١٠٠) .

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥١٢) ونسبه لابن المنذر عن الشعبي .

(٤) رواه البيهقي في سننه (٢/ ٢١٠) في حديث القنوت . ولفظه : " اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونؤمن بك ونخضع لك ونخلع ونترك من يكفرك اللهم إياك نعبد ولك نصلى ونسجد وإليك نسعى ونحفد ونرجو رحمتك ونخشى عذابك - ونخاف عذابك - الجذ إن عذابك بالكافرين ملحق " . وقال البيهقي : هذا مرسل وقد روي عن عمر بن الخطاب ﷺ صحيحاً موصولاً .

الوارد : الذي يتقدم فيحصل الماء للرفقة . ﴿ فَأَدَّيْنِ دَلْوَةٌ ﴾ أرسلها ودلاها . أخرجها فتعلق يوسف بالحبل فانسحب ، فلما رأوا حسنه البديع ، ووجهه الجميل اغتبطوا به ، وخافوا أن يشاركهم الركب فيه ، فقالوا: هذه بضاعة أعطاناها بعض أهل الماء لبيعها لهم . ﴿ يَكْبُشْرَى ﴾ كأنه قال : يا قوم بشراي . وقيل : يا بُشْرَى<sup>(١)</sup> تعالي فهذا وقتك . ﴿ وَشَرَوْهُ ﴾ أي : باعوه ﴿ بِشَمَنِ ﴾ ذي ﴿ بِخَيْسِ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ ﴾ قيل : كانت اثنين وعشرين ، خص كل واحد من الإخوة درهمان . وقيل : دراهم قليلة ؛ لأن القليل يعد والكثير يوزن ، عبّر عن قلتها بعددها .

﴿ وَكَانُوا فِيهِ ﴾ المجرور متعلق بمحذوف ، التقدير : وكانوا زاهدين فيه من الزاهدين ؛ لأن الألف واللام هاهنا موصولة ، ولا يعمل ما بعد الصلة فيما قبلها ، لا تقول : أنا زيدا الذي ضرب ، ومثله : ﴿ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿ الَّذِي اشْتَرَيْتَهُ مِنْ مِصْرَ ﴾ هو العزيز . ﴿ مَثُونَةٌ ﴾ موضع إقامته . ﴿ أَنْ يَنْفَعَنَا ﴾ فاعل ﴿ عَسَى ﴾ وهي هاهنا تامة ، بخلاف قوله : ﴿ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ ﴾<sup>(٣)</sup> فهي هناك ناقصة . ﴿ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ فعلنا ذلك . وقيل : التقدير : وفعلنا ذلك لنعلمه . وقيل : لنكرمه ونعلمه من تأويل الأحاديث . ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَيَّ ﴾ أمر يوسف ، أراد إخوته إهلاكه فسهل له أسباب العز والرفعة . وقيل : الهاء في ﴿ أَمْرِهِ ﴾ تعود إلى الله - تعالى . ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ﴾ قويت قواه ، وهو جمع شديد ، وشدُّ النهار : وسطه ؛ لأن ضوء الشمس فيه أقوى . قال عنتره [ من الكامل ] :

عَهْدِي بِهِ شَدُّ النَّهَارِ كَأَمَّا خُضِبَ الْبِنَانُ وَرَأْسُهُ بِالْعِظْمِ<sup>(٤)</sup>

﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ أي : ومثل ذلك الجزاء نجزي من أحسن عبادة الله ونشأ في

(١) قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وابن كثير " يا بُشْرَايَ " ، وقرأ عاصم وحزمة والكسائي " يَا بُشْرَى " ، وقرأ ورش عن نافع " يا بُشْرَايَ " . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٥ / ٢٩١) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٤ / ١٦٥) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٣٤٦) ، الكشاف للزنجشيري (٢ / ٤٥٢) .

(٢) سورة الشعراء ، الآية (١٦٨) .

(٣) سورة المائدة ، الآية (٥٢) .

(٤) ينظر البيت في : تاج العروس للزبيدي (شدد) ، تفسير القرطبي (٧ / ١٢٠) ، جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي (ص : ٢٢٧) ، روح المعاني للألوسي (٨ / ٥٥) ، فتح القدير للشوكاني (٣ / ٢١) ، لسان العرب (شدد) . والعظم : صبغ أحر . ينظر : لسان العرب (عظم) .

الطهارة والعفة ، وكذلك قال الله - تعالى - في حق موسى في سورة القصص (١).

﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَعَلَقَتْ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ، وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ، كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحِشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ، مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَتْ قَمِيصَهُ، قَدْ مِنْ قَبْلِ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَتْ قَمِيصَهُ، قَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ، قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿وَرَوَدَتْهُ﴾ مفاعلة من واحد ؛ لأنه لم يشاركها في المراودة ، وقالت : ﴿الَّتِي حَصَّصَ الْحَقُّ أَنَارَ رَوَدَتْهُ﴾ لما كانت الأبواب جمعاً ضعف الفعل في قوله : ﴿وَعَلَقَتْ﴾ لا تقول : غلقت الباب ، ومثله : ﴿وَيَذَّبَحُونَ أَبْنَاءَ كُمْ﴾ (٢).

﴿هَيْتَ﴾ تعال فأقبل . واللام في ﴿لَكَ﴾ لبيان مَنْ ( ٨٦ / أ ) هيئت له ، كأنها قالت : تعال ، والحديث لك ، ومثله : ﴿أُفٍّ لَكُمْ﴾ (٣) فإن معنى أفٍ : تضجرت ، أي : تضجرت والحديث لكم ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ مصدر لا يذكر فعله .

﴿إِنَّهُ رَبِّي﴾ يعني : العزيز سيدي ﴿أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ مقامي . وقيل : الضمير في ﴿إِنَّهُ﴾ عائد إلى الله تعالى . ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ خطر بباله خاطرٌ ثم صرفه عنه الله - عز وجل - ولم يزد يوسف على الهم ، وما حكى أنها راودته حتى قعد منها مقعد الرجل من المرأة فانشق الحائط وخرج منها كفٌ مكتوب عليها ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَةَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (٤) فقام هارباً فلاطفته حتى عاد لما كان عليه ، فانشق الحائط وبان منه صورة يعقوب أبيه عاضاً على إبهامه ، يقول : تزني وأنت مكتوب في ديوان المخلصين فقام هارباً ثم أدركته فلاطفته ،

(١) سورة القصص ، الآية (١٤) .

(٢) سورة البقرة ، الآية (٤٩) .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية (٦٧) .

(٤) سورة الإسراء ، الآية (٣٢) .

فقال الله : يا جبريل أدرك يوسف، فنزل جبريل فخفقه بجناحه خفقة ذهبت بها الشهوة من نفسه حتى إن أولاد يعقوب كل منهم رزق اثني عشر ولداً إلا يوسف فإنه لم يرزق إلا أحد عشر لتلك الخفقة - فهذه حكاية نعوذ بالله منها، فإنها لو حكيت عن أفجر الفجار لكان حقيقاً بالأ نسلم عليه بعد أن ظهرت له المعجزات بانشقاق الحائط وتلاوة القرآن ثم يعود . ويرد هذه الحكاية أن الله - تعالى - برأه بقوله: ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ﴾<sup>(١)</sup> ولو نظر إليها بشهوة لكان حراماً عليه ، فكيف وهو يرى الآيات ثم يأتي لمواقعها ، ثم يجلس مجلس الرجل من المرأة !؟

وبرأه الشاهد بقوله : ﴿ إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ ﴾ أو: من دبر ، وبرأه العزيز بقوله : ﴿ إِنَّهُمْ مِنْ كَيْدِكَ ﴾ وبرأه النسوة بقولهن: ﴿ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ﴾ وبرأ هو نفسه بقوله: ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴾ ولو حدق إليها مستحسناً لها لكان ذلك خيانة بالغيب ، وبرأته امرأة العزيز بقولها : ﴿ أَلَيْسَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوِدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ ﴾ ثم إن الله سبحانه لم يذكر عن نبي معصية إلا وأعقبها بذكر توبته واستغفاره ومغفرته له ، ولم يعقب ذكر يوسف بشيء من ذلك . وزعم بعضهم أن قوله : ﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾ متعلق بقوله : ﴿ لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ والتقدير : لولا أن رأى برهان ربه لهم بها ، فما هم يوسف . وهذا فاسد ؛ لأن جواب « لو » لا يتقدم عليها .

قري ﴿ الْمُخْلِصِينَ ﴾ و﴿ الْمُخْلِصِينَ ﴾ فمن قرأ بالكسر فهو من قوله : ﴿ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ ﴾<sup>(٢)</sup> ومن قرأ ﴿ الْمُخْلِصِينَ ﴾ ( ٨٦ / ب ) بالفتح<sup>(٣)</sup> فهو من قولهم : ﴿ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴾<sup>(٤)</sup> ﴿ وَالْفِيَا ﴾ وجدا . استعملت الحياء والحفز بقولها : ﴿ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا ﴾ ولم تذكر نفسها ولا يوسف، ولولا تورطها وافتضحها برؤية

(١) سورة يوسف ، الآية ( ٢٤ ) .

(٢) سورة النساء ، الآية ( ١٤٦ ) .

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب " المخلصين " ، وقرأ باقي العشرة " المخلصين " .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٥ / ٢٩٦ ) ، حجة ابن خالويه ( ص : ١٩٤ ) ، حجة أبي زرعة

( ص : ٣٥٨ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٤ / ١٧٠ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٣٤٨ ) ، الكشاف

للزغشري ( ٢ / ٣١٢ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٩٥ ) .

(٤) سورة ص ، الآية ( ٤٦ ) .

العزير على تلك الحالة لما احتاجت إلى مثل هذا الكلام، واضطر يوسف إلى أن يدفع عن نفسه ما عرضت به من قذفه، فقال: ﴿هِيَ زَوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾ ﴿شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ قيل: هو رجل كان في صحبة العزير. وقيل: صبي كان في المهد أنطقه الله ببراءته. وهذا فاسد؛ لأنه ورد في الحديث أنه لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى بن مريم، وصاحب الأخدود، وصاحب جريج<sup>(١)</sup>، وهذا ليس واحداً منها. الخاطيء فاعل الخطيئة، وهو العاصي، يقال: منه خطأ يخطأ فهو خاطيء، مثل: ضحك يضحك فهو ضاحك، وأما أخطأ يخطيء فهو المضاد للعمد.

﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُ فَتَنْهَى عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرْنَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَهَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾

﴿ قَدْ شَغَفَهَا ﴾ قد خرق حبه حجاب قلبها، والشغف: جلدة رقيقة تغشى القلب. ﴿ إِنَّا لَنَرْنَاهَا ﴾ لنعلمها. ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ ﴾ قيل: قلن هذا القول لتهيمن إياه، فلذلك سمي مكرأ. ﴿ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ ﴾ ما يتكأ عليه. ﴿ أَكْبَرْنَهُ ﴾ أعظمته. وقيل: حضن لما هاهن من جماله. وقال الشاعر [ من الطويل ]:

خَفِ اللّهُ وَإِسْرُ ذَا الْجَمَالِ يُرْقِعُ  
فَإِنْ لُحِتَ حَاضَتْ فِي الْخُدُورِ الْعَوَاتِقُ<sup>(٢)</sup>

وهذا بعيد، فإنه لا يقال: حضنه. ﴿ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ أبنتها. وقيل: جرحنها، وهو

(١) رواه البخاري برقم ( ٢٤٨٢ ، ٣٤٣٦ ، ٦٤٨٩ ) ، ومسلم برقم ( ٢٥٥٠ ) عن أبي هريرة ؓ .

(٢) البيت للمتنبي ، ينظر في : روح المعاني للألوسي ( ١٢ / ٢٢٩ ) ، الكشاف للزخشي ( ٢ / ٤٦٥ ) ، قرى

الضيف لابن أبي الدنيا ( ١ / ١٠٨ ) ، الوساطة بين المتنبي وخصومه لأبي الحسن الجرجاني ( ص : ١٥٢ ) .

الأصح . وقد احتج بعض من فضل الملك على البشر بأن هؤلاء النسوة لما عظموا يوسف جعلوه ملكاً ، فدل على أن الملك أشرف وأفضل ، وليس بحجة ؛ لأن النسوة إنما رجحن يوسف من حيث الجمال والصورة ، ونحن لا ندعي أن البشر أحسن من الملائكة ، بل ندعي أنه أفضل ، والنسوة في بعدٍ بعيد عن ذلك . ﴿ فَاسْتَعَصَمَ ﴾ فاستمسك بعصام التقوى . ﴿ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ ﴾ قدم اللام الموطئة للقسم على الشرط ، فجاء الجواب للمتقدم . ﴿ مِّنَ الصَّغِيرِينَ ﴾ الأذلاء . يجوز أن يكون ﴿ أَحَبُّ ﴾ من باب ما لا مشاركة فيه ؛ كقوله - تعالى : ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ <sup>(١)</sup> ولا خير لأهل النار في مستقر ولا مقيل ! ويجوز أن تكون من باب المشاركة ، وتكون الإشارة بالمحبة إلى ما تقتضيه البشرية من الميل (٨٧/أ) إلى مستحسنات الصور ، وإن كانت العصمة الإلهية حافظة للنبي من ذلك . ﴿ مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ من المقدمين على خلاف أمر الله غافلين عما توعد به من العقاب . ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ ﴾ لدعائه ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بإخلاصه .

﴿ ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَجُنَّهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ <sup>(٣٥)</sup> وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجَنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرِنِي أَخَصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرِنِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِثْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ <sup>(٣٦)</sup> قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأَكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ <sup>(٣٧)</sup> وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ <sup>(٣٨)</sup> يَصْحَجِي السَّجَنَ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ <sup>(٣٩)</sup> مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ لِلَّهِ ءَأَمْرٌ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ <sup>(٤٠)</sup> يَصْحَجِي السَّجَنَ ءَأَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا ءَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ ءَأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ <sup>(٤١)</sup> وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السَّجَنِ بِضْعَ سِنِينَ <sup>(٤٢)</sup> وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ <sup>(٤٣)</sup>

﴿ ثُمَّ بَدَأَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ ﴾ فاعل " بدا " بداء ، وقوله : ﴿ لَيْسَ جُنَّتَهُ ﴾ تفسير لذلك البداء . قيل : تفعل الفتيان المنامين ، ولم يكونا رأيا شيئا ، فنفذت الكلمة النبوية .

وقيل : بل رأيا ما قصه الله - عز وجل . ﴿ أَعَصِرُ ﴾ عنبا يصير بعد مدة ﴿ خَمْرًا ﴾ من تسمية الشيء بما يؤول إليه . قال المفسرون : وبعض العرب يسمي العنب خمرا . قلت : فيه نظر ؛ لأن المنقول عن العرب أنهم أطلقوا على العنب اسم الخمر ، ولم يقولوا هو مجاز عن أصل الوضع ، ولا هو حقيقة ، ونحن قد قلنا : إن تسميته خمرا مجاز عن تسمية الشيء بما يؤول إليه . ﴿ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ قيل : في عبارة الرؤيا ، يعبرها على أحسن وجه . وقيل : ﴿ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ إلى أهل السجن ، كان يذكروهم بالله ويعظمهم ويزور مريضهم . وكان يوسف عليه السلام يحدث أهل السجن بما يبعثه أهلهم إليهم من المأكول والملابس وغيرها ، ثم إن يوسف دعاهم إلى الله وأقام الدلالة على وحدانيته قبل أن يشرح لهما ما اقتضته رؤياهما تقدما للدعاء إلى الله وإقامة حجج الوحداية على ما طلباه من تفسير المنامين .

قوله : ﴿ مَا كَانَتْ لَنَا ﴾ في معنى ما ينبغي ؛ كقوله : ﴿ مَا كَانَتْ لِي أَنْ يَتَّخِذَ مِنِّي وَلَدًا ﴾ (١) .

﴿ أَمَا أَحَدُكُمْ أَيَسِقِي رَبَّهُ خَمْرًا ﴾ وهو الذي رأى نفسه يعصر العنب ، والآخر هو الذي حمل الخبز على رأسه وأكلت الطير منه ﴿ قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ فرغ مما قصصته عليكم وأنه كائن لا محالة . ﴿ وَقَالَ ﴾ يوسف ﴿ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ ﴾ وهو الساقى ﴿ أَذْكَرُنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ سيدك . ﴿ فَأَنْسَنَهُ الشَّيْطَانَ ﴾ أي : أنسى يوسف ذكر ربه ، أي : رب يوسف ، ومن قال : أنساه الشيطان يعني : الساقى ذكر ربه ، أي : تذكير سيده ﴿ فَلَبِثَ ﴾ يوسف ﴿ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ قيل : البضع من الثلاثة إلى العشرة . وقيل : إلى التسعة ، فلما أراد الله تخلص يوسف هيا سبيه ، فأرى الملك في المنام سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف مهازيل ، ورأى سبع سنبلات خضر قد التفت عليها سبع سنابل يابسات ، فقال : ﴿ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونًا فِي رُءُوسِنَا إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءُوسِ يَا تَعْبُرُونَ ﴾ (٨٧/ب) يقال : عبر الرؤيا مخففا يعبرها فهو عابر ، ومنه الحديث : " الرؤيا لأول عابر " (٢) . ودخلت اللام في قوله : ﴿ لِلرُّءُوسِ ﴾ لتقدم المفعول ؛

(١) سورة مريم ، الآية (٣٥) .

(٢) رواه ابن ماجه رقم (٣٩١٥) ، وأبو يعلى الموصلي في مسنده رقم (٤١٣١) ، والحاكم في المستدرک

(٤ / ٣٩١) ، عن أنس وفي سنده يزيد بن أبان الرقاشي ، وهو ضعيف وضعف إسناده البوصيري في

مصباح الزجاجه (٣ / ٢١٦) ، والألباني في ضعيف ابن ماجه (٨٤٩) .

كقوله : ﴿ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ (١) .

﴿ قَالُوا أَضْغَثُ أَحْلَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَمِ بِعَالِمِينَ ﴾ (٤٤) وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿ ٤٥ ﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ لُحْيٍ وَأُخْرَى يُاسْتَبَى لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿ ٤٦ ﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ ﴿ ٤٧ ﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ ﴿ ٤٨ ﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿ ٤٩ ﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتُونِي بِهِ ؟ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿ ٥٠ ﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنِ نَفْسِهِ ؟ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْفَن حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿ ٥١ ﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿ ٥٢ ﴾

﴿ قَالُوا ﴾ هذا ﴿ أَضْغَثُ أَحْلَمٍ ﴾ . ﴿ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا ﴾ يعني : الساقى ﴿ وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ بعد زمن طويل . ﴿ فَأَرْسِلُونِ ﴾ فأرسلوه ؛ فقال له الرسول : ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ ﴾ الكثير الصدق ، أو : الكثير التصديق ؛ قال الله تعالى في مريم : ﴿ وَأُمَّةٌ صِدِّيقَةٌ ﴾ (٢) وقال في حقها : ﴿ وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا ﴾ (٣) ﴿ إِلَى النَّاسِ ﴾ الملك وأصحابه ﴿ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ صدقك ويقيمون عذرَكَ .

﴿ سَبْعَ سِنِينَ دَابًا ﴾ اجتهادا ؛ بأي شيء حصد ﴿ فَذَرُوهُ ﴾ فاتركوه ﴿ فِي سُنْبُلِهِ ﴾ ليكون أكثر بقاء . ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ ﴾ ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ ﴾ سنين ذوات قحط ﴿ شِدَادٌ ﴾ على الناس ، يؤكل فيهن ما ادخرتم من الزرع في السنبل .

﴿ يُغَاثُ النَّاسُ ﴾ من الغوث ، أي : يغيثهم الله ، أو : من الغيث ، يعطرون . ﴿ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ من السمسسم الشيرج (٤) ومن الزيتون الزيت وغير ذلك . ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتُونِي بِهِ ﴾

(١) سورة الأعراف ، الآية ( ١٥٤ ) .

(٢) سورة المائدة ، الآية ( ٧٦ ) .

(٣) سورة التحريم ، الآية ( ١٢ ) .

(٤) الشِيرِجُ : الدهنُ الأبيض ، وهو دهن السمسسم ، ويقال للعصير أو النبيذ قبل أن يتغير : شِيرِجٌ أيضاً وهو تعريب شيرة ينظر : لسان العرب ( سلط ) ، المغرب في ترتيب المغرب لأبي الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي المطرزي ( ١ / ٤٣٧ ) ط . مكتبة أسامة بن زيد - حلب - الطبعة الأولى ، ١٩٧٩ - =



بيوسف ، ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ ﴾ توقف عند الخروج ، وقال للرسول : ارجع إلى سيدك ، وقل له : ﴿ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ وأراد بذلك أنه كان قد حبس على تهمة ، وكثير القول من النسوة وغيرهن في تهمة مما هو بريء منه ؛ فأراد يوسف ألا يخرج إلا بعد أن يكشف الحق وتظهر البراءة ؛ فسأل العزيز النسوة فقلن : ﴿ حَشَّ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ﴾ فقالت امرأة العزيز : ﴿ الْكُنْ حَصْحَصَ الْحَقِّ ﴾ أي : ثبت واستقر ؛ قال الشاعر يصف بعيرا [من الطويل] :

فَحَصْحَصَ فِي صُمِّ الصِّفَا ثِقَاتِهِ<sup>(١)</sup>

وإن يوسف ﴿ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ في قوله : ﴿ هِيَ زَوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي ﴾ ثم اختلف الناس في قائل ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ ﴾ فقال قوم : هو من قول يوسف ، والتقدير : ذلك التوقف عن الخروج لما طلبني الملك أول مرة ﴿ لِيَعْلَمَ ﴾ الملك ﴿ أَنِّي لَمْ أَخْنُهَا بِالْغَيْبِ ﴾ وقال بعض المفسرين تفريعا على هذا : لما قال : ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُهَا بِالْغَيْبِ ﴾ قال له جبريل : ولا حين هممت بها يا يوسف<sup>(٢)</sup> . وقال قوم : هو من قول امرأة العزيز ؛ فإنها لما قالت : ﴿ أَنَا زَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِي ﴾ قالت : ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ ﴾ أي : يوسف ﴿ أَنِّي لَمْ أَخْنُهَا ﴾ ( ٨٨ / أ ) في حال غيبته لما ذكر ، وعلى هذا يكون الكلام متصلا بعبءه ببعض ، وعلى القول الأول انقطع كلام امرأة العزيز .

﴿ وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ۗ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٥٣) وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِسُ بِيءِ اسْتَخْلَصَهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۗ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ ﴿٥٥﴾ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾

= تحقيق : محمود فاخوري وعبد الحميد مختار .

(١) هذا صدر بيت لحميد بن ثور ، وعجزه : ..... وناء بسلمى نواة ثم صمها .

ينظر في : تاج العروس للزبيدي ( حصص ) ، روح المعاني للألوسي ( ١٢ / ٢٥٩ ) ، غريب الحديث لابن سلام ( ٤ / ٣٠٢ ) ، الكشاف للزغشري ( ٢ / ٤٧٩ ) ، لسان العرب ( حصص - صمم ) والصمم : الصلبة . والثففات : كل شيء ولي الأرض من البعير إذا برك وهي الركبتان والفخذان وغيرهما ، وناء : قام متاقلا بسلمى محبوبته ، نواة : نهضة واحدة لم يتردد ، ثم صمم على السير .

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ١٣ / ٢ ) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٤ / ٥٤٨ ) لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس - رضي الله عنهما .

﴿ وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ ﴾ إلا من رحم ربي . في المثل :  
 " يستدل على الرجل بكلامه وبشعره " ، ومن هذا قوله : ﴿ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدِينَا ﴾  
 جعل العلة في مكانته عنده أنه علم من فصاحة كلامه وحسن إيرادها أنه حقيق بالمكانة ،  
 فعجل يوسف والتمس النيابة في تدبير أمر الأوقات ؛ فيقال : إنه أخر إجابته مدة ، والحق أن  
 يوسف علم من نفسه الكفاية والأمانة ، وأنه متعين لتدبير ما يطرأ على الناس من الشدة ،  
 وعلل ذلك بكونه حفيظا عليما ، وإذا تم الوصفان تعين للولاية ، ومن علم التعيين للولاية  
 وجب عليه ، ويجوز للمسلم قبول الولاية من الكافر لما يترتب عليه من المصلحة <sup>(١)</sup> .

ومثل ذلك التمكين ﴿ بَوَّأْنَا ﴾ جعلناها مباءة ينزل منها حيث يشاء .

﴿ وَلَا جُرْأِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ (٥٧) وَجَاءَ إِخْوَةَ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ  
 فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتُنُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِّنْ أَيْكُمُ الْآتَرُونَ أَنِّي  
 أَوفِي الْكَيْلِ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلاَ كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا  
 سَنُرَوِّدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا بَضْعَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا  
 انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ  
 فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَّكَتَلُ وَإِنَّا لَحَافِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُتُمْ  
 عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ وَجَدُوا  
 بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبغِي هَذِهِ بِضْعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ  
 آخَانًا وَنَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوي ( ٢٠ / ٥٦ - ٥٧ ) : " ومن هذا الباب تولي يوسف  
 الصديق على خزائن الأرض لملك مصر ، بل ومساءلته أن يجعله على خزائن الأرض ، وكان هو وقومه  
 كفاراً كما قال - تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَ كُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَ كُمْ بِهِ ﴾ الآية ،  
 وقال - تعالى - عنه : ﴿ يَصْنَعِ الْجِنَّ ءَأَزَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ  
 إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ ﴾ الآية . ومعلوم أنه مع كفرهم لا بد أن يكون لهم عادة وسنة في  
 قبض الأموال ، وصرفها على حاشية الملك ، وأهل بيته وجنده ورعيته ، ولا تكون تلك جارية على سنة  
 الأنبياء وعدلهم ، ولم يكن يوسف يمكنه أن يفعل كل ما يريد ، وهو ما يراه من دين الله فإن القوم لم  
 يستجيبوا له ، لكن فعل الممكن من العدل والإحسان ، ونال بالسلطان من إكرام المؤمنين من أهل بيته مما  
 لم يمكن أن يناله بدون ذلك ، وهذا كله داخل في قوله : ﴿ فَالْتَقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ .

﴿ وَلَا جُرْأَلَاءَ لَهُ ﴾ أكبر وأعظم مما حصل له من الولاية . ﴿ وَجَاءَ إِخْوَةَ يُوسُفَ ﴾ في طلب الميرة؛ لأن بلادهم أصابها من القحط ما أصاب الناس . ﴿ فَعَرَفَهُمْ ﴾ ولم يعرفوه ؛ لأن يوسف كان يتفحص عنهم ويتربصهم ، وكانوا يظنون بيوسف أنه هلك ، واستعبده من اشتراه ؛ ولأن زبي المملكة يورث في القلوب أبهة تمنع من استيفاء النظر . والجهاز بفتح الجيم : ما يتجهز به . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ وكان بنيامين ، وكان شقيق يوسف دون بقية إخوته ، روي أنه كان أنزلهم وأضافهم ، وإنما مدح نفسه بأنه ﴿ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾ ليرغبهم في إحضار أخيهم ولعل الله كان قد أوحى إليه بذلك ليضاعف ليعقوب الثواب على البلاء . ﴿ وَقَالَ لِفَتَاتِهِ ﴾ لأتباعه . وفي الحديث: " لا يقل أحدكم عبدي ولا أمي ، بل يقل : فتاي وفتاتي " (١) ومنه ﴿ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ (٢) ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْغِيَاءِ ﴾ (٣) وإنما رد البضاعة لعلمه بفاقة أبيه وفاقة العائلة ، ولما يعلم من دين أبيه وإخوته إذا رأوا البضاعة قد أعيدت إليهم أن يظنوا ذلك غلطا فيعودوا لإعطائها، ولهذا قال: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا ﴾ و﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ﴿ مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ ﴾ بتقدير: إن لا يحضر الأخ . ﴿ مَا نَبَغِي ﴾ ما نافية ، والبغي: تجاوز الحد ، ويجوز أن تكون ﴿ مَا ﴾ استفهامية ، أي : أي شيء نطلب ؟ ﴿ وَنَمِيرُ أَهْلِنَا ﴾ معطوف على مضمير . ﴿ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانَا ﴾ يطلق لنا الكيل (٨٨/ب) ﴿ وَنَمِيرُ أَهْلِنَا ﴾ ﴿ وَنَزِدَا ذِكْرًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ وكان يوسف لا يعطي كل رجل أكثر من حمل بعير .

﴿ قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَبْنَئِي لَأَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَلْحَمْتُمْ إِلَّا اللَّهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ

(١) رواه مسلم رقم ( ٢٢٤٩ ) ، وأبو داود رقم ( ٤٩٧٥ ) ، عن أبي هريرة ؓ .

(٢) سورة النساء ، الآية ( ٢٥ ) .

(٣) سورة النور ، الآية ( ٣٣ ) .

لَسْرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾

﴿مَوْثِقًا﴾ عهدا يتوثق به ﴿إِلَّا أَنْ يُحَاطَ﴾ إلا أن تهلكوا ، ومنه : ﴿وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ﴾<sup>(١)</sup> ﴿مُتَّفِرِّقَةً﴾ قيل : خاف عليهم العين ؛ لأنهم كانوا حسان الصور والملبس ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ لا أتوكل إلا عليه ، ولا يتوكل المتوكلون إلا عليه .

﴿إِلَّا حَاجَةً﴾ أي : ليس يدفع عنهم تفرقهم في الأبواب من مقدورهم شيئا ، لكنه يقضي عنهم ما وجب عليهم من طاعة الأب ﴿لِمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ لتعليمنا إياه .

﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ فلا يلحقك بأس ، وكانوا يكرهون بنيامين بعض الكراهة ؛ لأنه خصيصٌ بيوسف ، ويسمعونه ما يكرهه . ﴿السَّقَايَةَ﴾ صاع من فضة كان يكتال به ﴿الْعَيْرُ﴾ القافلة وكانوا جمالا . وعن مجاهد : كانوا حميرا<sup>(٢)</sup> . وقد احتج على جواز الجعالة بقوله : ﴿وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾<sup>(٣)</sup> وكان حمل البعير قدرا معلوما عندهم ، فصحَّ جعله عوضا في الجعالة ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ﴾ علق العلم بـ ﴿مَا﴾ النافية ، كما علق باللام في قوله : ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾<sup>(٤)</sup> وإنما احتجوا بعلمهم بأنهم لم يجيئوا مفسدين ولا

(١) سورة الكهف ، الآية (٤٢) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٣ / ١٨) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٥٥٩) رنسه لابن أبي

حاتم وأبي الشيخ عن مجاهد ؑ .

(٣) الجعالة : هي أن يجعل جعلاً لمن يعمل له عملاً من رد آبق أو ضالة أو بناء أو خياطة وسائر ما يستاجر

عليه من الأعمال . وقد اختلف العلماء في منعه وجوازه فقال مالك : يجوز ذلك في اليسير بشرطين :

أحدهما : أن لا يضرب لذلك أجلا . والثاني : أن يكون الثمن معلوما . وقال أبو حنيفة : لا يجوز .

وللشافعي قولان وعمدة من أجازته قوله تعالى : ﴿وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ وإجماع الجمهور

على جوازه في الإباق والسؤال . وما جاء في الأثر من أخذ الثمن على الرقية بأم القرآن . وعمدة من

منعه الغرر الذي فيه قياسا على سائر الإجازات ولا خلاف في مذهب مالك أن الجعل لا يستحق شيء

منه إلا بتمام العمل وأنه ليس بعقد لازم .

ينظر تفصيل ذلك في : بداية المجتهد لابن رشد (١ / ١٠٠١) ، المغني لابن قدامة (٦ / ٣٧٥) .

(٤) سورة البقرة ، الآية (١٠٢) .

سارقين ؛ لأنهم كانوا أول من جعل الكمام على أفواه الإبل لئلا تأكل من زرع الناس ﴿قَالُوا جَزْؤُهُ مِنْ وُجْدٍ فِي رَحْلِهِ﴾ أي: يؤخذ بجزيرته ويسترق ، وقوله : ﴿فَهُوَ جَزْؤُهُ﴾ أي: لا جزاء له غيره . وقيل : تقديره : جزاؤه مأخوذ من هذه الجملة ﴿مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزْؤُهُ﴾ فبدأ بتفتيش أوعيتهم واحدا واحدا ، وجعل رحل بنيامين آخر ، فلما وصل إليه قال : ما أظن هذا سرق شيئا ؛ ليبعد الظن عن نفسه ، قالوا : لا بد من تفتيشه .

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَّانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾ أَرْجِعُوا إِلَيَّ أَيُّكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّكَ ابْنُكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسَأَلَ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا سَفِي عَلَى يُوسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتُوا تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَبْنِي أَدْهَبُوا فَتَحَسَبُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْكٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلْنَا الضَّرُّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُرْجَلَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ هيأنا له سببا يأخذ به أخاه ، فإن إخوته أقرؤا أن جزاء السارق استرقاقه ، فلما وجد الصاع في رحل بنيامين نكس إخوته رؤوسهم حياء .

قوله : ﴿فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ يعنون يوسف ، وكان يجبي شيئا من الخبز يطعمه للمساكين . وقيل : كانت سارة عمته قد أخذت يوسف من يعقوب وربته عندها ، فطلبه

يعقوب ، فأخذت حياصة كانت لإسحاق جده ، فشدها بين أثوابه وردته إلى يعقوب ، ثم قالت: فقدت الحياصة. فوجدها في ثياب يوسف<sup>(١)</sup> فعدوا ذلك سرقة منه ، ثم استعطفوا يوسف وقالوا : ﴿ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ ﴾ ( ٨٩ / أ ) ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ ﴾ غير السارق ، فإن أخذنا غيره إنا لظالمون . ﴿ فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا ﴾ من رد يوسف أخاهم إليهم انفردوا يتشاورون سرًا فيما يصنعون ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ ﴾ أرض مصر . ﴿ وَسَأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ أي : أهلها ؛ كقوله : ﴿ وَكَاتِبِينَ مِنَ قَرْيَةٍ عَنَتِ ﴾ الآية<sup>(٢)</sup> وقيل : أسأل القرية بعينها ؛ فسينطقها الله وتخبرك ، وليس ذلك ببعيد من الأنبياء .

قال يعقوب بناء على غلبة الظن : ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ ﴾ بل سهلت وزينت ﴿ عَيْنِي ﴾ هاهنا ناقصة وفي قوله : ﴿ عَيْنِي أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ ﴾<sup>(٣)</sup> تامة لا خبر لها . وأعرض يعقوب عن بنيه إعراض المتألم والكاره لما جرى ﴿ وَقَالَ يَكْأَسْفَى ﴾ قيل : نادى الأسف وقال : تعال يا أسف فهذا وقتك . وقيل : المنادى محذوف ، والتقدير : يا قوم أسفا على يوسف .

﴿ كَظِيمٌ ﴾ كاظم غيظه وأصل الكظام : ما تشدُّ به القربة فيمنع ما فيها من الخروج والسيلان ﴿ تَأَلَّهَ ﴾ ما يقسم بالتاء إلا فيما يتعجب منه . ﴿ تَفْتَوُا ﴾ أي : لا تزال . البثُّ هو الألم ؛ لأنه سبب الشكوى والبث . ويقال : إن ملك الموت زار يعقوب فقال له يعقوب هل : قبضت روح يوسف؟ فقال : لا ، فهو معنى قوله : ﴿ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

﴿ فَتَحَسَّسُوا ﴾ اطلبوا بجواسكم كلها . ﴿ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ ﴾ من رحمته وتنفيسه الكربات . ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ ﴾ أي : على يوسف . ﴿ مُزَجَّجَةً ﴾ مسوقة يدفعها قوم إلى قوم أي : ليست بمرغوب فيها . ﴿ وَتَصَدَّقَ عَلَيْنَا ﴾ برد أخينا ؛ لأن الصدقة كانت محرمة على الأنبياء .

﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ ﴿ ٨٩ ﴾ ﴿ قَالُوا أَيْ نَتَّكُ لَأَنْتَ

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ٢٩ / ١٣ ) وفيه أنه أخذ منطقة إسحاق ، والمنطقة والنطاق والمنطق : كل ما شد به وسطه غيره . والحياصة من حاص الثوب يحوصه حوصا وحياصة : خاطه .

ينظر : لسان العرب ( حوص - نطق ) .

(٢) سورة الطلاق ، الآية ( ٨ ) .

(٣) سورة الحجرات ، الآية ( ١١ ) .

يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا يَا بَنَا آسَتِنَا مَاذَا نَأْتِنَا بِكَ كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبُوئِهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبُوئِهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رُبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْأَبْدَانِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾

ولطف بإخوته بقوله: ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ يعني: حملكم الشباب، وهوى النفس والحسد الذي يحمل على مثل ما فعلتم .

قوله: ﴿ وَهَذَا أَخِي ﴾ فيه إشارة إلى ما كانوا يعتمدونه معه من الإغلاظ في القول . ﴿ مَن يَتَّقِ ﴾ قرئ بإشباع كسرة القاف<sup>(١)</sup> فتولدت منها الياء ﴿ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ أي: أجره، وضع الظاهر موضع المضمرة. ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ ﴾ تعجباً من انتقال يوسف عما كان عليه من الحال حين باعوه بثمن بخس إلى مملكة مصر. ﴿ لَا تَثْرِيْبَ ﴾ لا لوم، و﴿ الْيَوْمَ ﴾ متعلق بـ " تثريب " ووقف بعضهم على قوله: ﴿ لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمْ ﴾ وابتدأ ﴿ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ وهو بعيد<sup>(٢)</sup> ﴿ يَأْتِ بَصِيرًا ﴾ (٨٩ / ب) وكان القميص من حرير الجنة لا يلبسه

(١) قرأ الجمهور " يتقى "، وقرأ قبل عن ابن كثير " يتقى " في الوصل والوقف .

تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان ( ٥ / ٣٤٢ )، الحجة لابن خالويه ( ص : ١٩٨ )، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٣٦٤ )، الدر المصون للسمن الحلبي ( ٤ / ٢١٢ )، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٣٥١ )، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٩٧ ) .

(٢) ينظر: منار الهدى في بيان الوقف والابتدا للأشموني ( ص : ١٩٧ ) .

مبتلى إلا عوفي<sup>(١)</sup>. ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾ من العريش قال يعقوب: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ﴾ تنسبوني إلى الفند والهرم. ﴿إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ﴾ أي: في بعدك عن الصواب.

﴿فَازْتَدَّ﴾ فعاد ﴿بَصِيرًا﴾ قال لهم: ﴿الَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ﴾ وإنما أخرج يعقوب الاستغفار إلى وقت السحر. وقيل: إلى ليلة الجمعة، دعا وقال: "اللهم اغفر لي شدة أسفي على يوسف، واغفر لبني ما جنوه عليّ وعليه، فأوحى الله - تعالى - إليه أن قد استجيب دعاؤك"<sup>(٢)</sup>.

﴿ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبُوَيْهِ﴾ ضمهما، وكان يوسف قد خرج للقاء أبيه فلتقاه في الطريق، ودخل يعقوب عليه وأراد بأبويه: أباه وخالته، وقال لهم: ﴿أَدْخُلُوا مِصْرَ﴾ فدل على أنه كان خارجاً من مصر، وكان السجود للإنسان تحية من كان قبلنا ﴿وَرَفَعَ أَبُوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ الآية. وجعل الانتقال من البدو إلى الحضرة نعمة تشبه الخلاص من السجن.

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيَّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقِّنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (١٠١) ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ (١٠٢) وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (١٠٣) وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (١٠٤) وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (١٠٥) وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (١٠٦) أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَنْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٠٧) قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٠٩) حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١١٠) لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١)

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٢ / ٥٠٣).

(٢) ينظر: الكشاف للزمخشري (٢ / ٥٠٤).



﴿ مِنْ الْمَلِكِ ﴾ من للتبعيض . ﴿ فَاطْرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ مبتدئهما على غير مثال سبق  
 ﴿ أَنْتَ وَرَبِّي ﴾ متولي أمري، وأنا متوليك . ﴿ ذَلِكَ ﴾ يجوز أن يكون في موضع نصب بفعل  
 دل عليه ﴿ نُوحِيهِ ﴾ من باب : زيدا ضربته . ﴿ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴾ فَهُمْ مِنْ مَعْرَمٍ  
 مُثْقَلُونَ ﴿ وَكَأَيِّنْ ﴾ وكم ﴿ وَهُمْ عَنْهَا ﴾ عن الاعتبار بها ﴿ مُعْرِضُونَ ﴾ . ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ ﴾  
 وما يصدق ﴿ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ معه غيره . قال الحسن : " ما بعث الله نبياً من  
 البادية ولا من النساء ولا من الجن " <sup>(١)</sup> ؛ لقوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي  
 إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ﴾ فاعترض عليه بأن الجن يسمون رجالاً ؛ قال الله سبحانه وتعالى :  
 ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ ﴾ <sup>(٢)</sup> أرسلناهم بالبينات والزبر فاستمر قومهم على  
 تكذيبهم ﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ ﴾ وظن الرسل أن قومهم الذين آمنوا قد كذبوهم وشكوا  
 فيما وعدوهم ، أو ظن قومهم المؤمنون بالرسل أن الرسل كذبوهم فيما وعدوهم به من  
 النصر.

\* \* \*

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون ( ٢ / ٣١٢ ) ، والقرطبي في تفسيره ( ٩ / ٢٣٣ ) .

(٢) سورة الجن ، الآية ( ٦ ) .

## سورة الرعد [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْمَرْءُ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَّجِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ وَصِنَوَانٌ غَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَلُ بَعْضُهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾

قوله : ﴿ وَالَّذِي أُنزِلَ ﴾ مبتدأ ﴿ الْحَقُّ ﴾ خبره ( ٩٠ / ١ ) ﴿ تَرَوْنَهَا ﴾ جملة مستأنفة .

وقيل : في موضع الوصف لـ ﴿ عَمَدٍ ﴾ أي : بغير عمد مرئية ، وقالوا : تلك العمدة هي قدرة الله - عز وجل - لأن تمام الأعمال القدرة ؛ كما أن تمام ما فوق العمدة بالعمد .

﴿ لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ يوم القيامة . ﴿ الْأَمْرَ ﴾ جنس ، وهو أبلغ من صيغة الجمع ؛ لأن استرسال اسم الجنس على ما تحته لا يشذ منه شيء ، وفي صيغة الجموع اضطراب ؛ لأنها تأتي مستغرقة وغير مستغرقة ، وإذنه للشافع أن يشفع ، أو إذنه للمشفوع فيه أن يشفع فيه .

﴿ مَدَّ الْأَرْضَ ﴾ دحاها وبسطها ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ ﴾ ثابتات ، ويقال : مثبتات ، وهو بعيد من حيث اللفظ حسن من حيث المعنى . والوقف عند قوله : ﴿ وَأَنْهَارًا ﴾ <sup>(١)</sup> ﴿ زَوْجَيْنِ ﴾ صنفين من الطعوم والألوان وغيرها . ﴿ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ ﴾ ويغشي النهار الليل ؛ فاكتفى بأحدهما ؛ كقوله : ﴿ سَرَّيْلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

قريء ﴿ وَزُرْعٍ وَنَخِيلٍ ﴾ بالجر <sup>(٣)</sup> ، وهو مشكل ؛ لأن الجنة لا تكون من الزرع ، وعند

(١) ينظر : منار الهدى في بيان الوقف والابتداء للأشموني ( ص : ٢٠٠ ) .

(٢) سورة النحل ، الآية ( ٨١ ) .

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص عن عاصم «وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ» بالرفع ، وقرأ باقي العشرة «وزرع ونخيل» بالجر. تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان ( ٥ / ٣٦٣ ) ، حجة ابن خالويه ( ص : ١٩٩ - ٢٠٠ ) ، حجة أبي زرعة ( ص : ٣٦٩ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٤ / ٢٢٥ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٣٥٦ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٣٤٩ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٩٧ ) .

الزَمْخَشَرِي وَالْأَخْفَشِ الْجَنَّةُ لَا تَكُونُ إِلَّا مِنَ النَّخْلِ<sup>(١)</sup> وَأَنْشُدُ قَوْلَ زَهِيرٍ [ مِنَ الْبَسِيطِ ] :

..... تَسْقِي جَنَّةً سَحُوقًا<sup>(٢)</sup>

أي: نخيلا طويلا ، ويرد عليه قوله - تعالى : ﴿ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ ﴾<sup>(٣)</sup>.

وكذلك قوله : ﴿ أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾<sup>(٤)</sup>.

الصنوان : هما الفرعان الناتئان من أصل واحد ، كنجختين من نواة . وتثنية الصنوا صنوان ؛ وكذلك جمعه ، إلا أن إعرابه مجموعا بالحركات على النون ، وإعرابه مثنى بالألف في الرفع ، والياء في النصب والجر ، ومثله : قنوان في التثنية والجمع .

وإعراب ﴿ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ ﴾ هو مثلٌ ضربه الله - تعالى - للقرآن نزل على قوم قلوبهم مختلفة ، فيثمر في قلوب أهل الخير المعارف الإلهية ، وينبت في قلوب أهل الزيغ التكذيب والعناد والافتراء ؛ كما أن الماء الواحد يسقي رطبا جنيا وحنظلا مرأ ، والأكل : الشيء المأكول .

﴿ وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾ ﴾

﴿ وَإِنْ تَعَجَّبَ ﴾ من شيء فقولهم : ﴿ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ مما ينبغي أن يتعجب منه الناظرون فيه ، والتعجب على الله محال ؛ لأنه رؤية ما خفي سببه ، والله

(١) ينظر : الكشاف للزَمْخَشَرِي ( ١ / ١٠٥ ، ٣ / ٣٢٧ ) .

(٢) هذا عجز بيت لزهير في أبيات يتحسر فيها على فراق محبوبته وصدرة :

كَانَ عَيْنِي فِي غَرْبِي مُقْتَلَةً      من النواضع .....

ينظر في : تاج العروس (قتل) ، تفسير القرطبي (١٣/١١٧) الكشاف للزَمْخَشَرِي (١/١٠٥) ، لسان العرب (سحق) والمعنى : كان عيني من شدة البكاء وكثرة الدموع عينان في دلوين عظيمين ممتلئتين ماء ، تحملهما ناقة مقتلة مذلة معتادة على العمل من الإبل النواضع التي يستقى عليها ، تسقي تلك الناقة جنة سحقا ، أي : نخلا طويلا جهة السماء أو بعيدة عن محل الماء فهي دائمة ذاهبة آية .

(٣) سورة الكهف ، الآية (٣٢) .

(٤) سورة البقرة ، الآية (٢٦٦) .

-تعالى- لا يخفى عليه شيء في السماوات ولا في الأرض<sup>(١)</sup> ، وقد جاء نسبه إلى الله مجازاً في قراءة حمزة<sup>(٢)</sup> ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> بضم التاء ( ٩٠ / ب ) وفي قوله : ﴿ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾<sup>(٤)</sup> . ﴿ قُلْ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ ﴾<sup>(٥)</sup> التقدير: حلوا محل من يتعجب ؛ كقوله :

(١) مذهب أهل الحق من السلف الصالح ومن تبعهم بإحسان من الخلف في مثل هذه الصفات التي أخبر الله - تعالى - بها عن نفسه ، أو أخبر عنها رسوله ﷺ: إمرار هذه الصفات كما أتت من غير تكيف ولا تعطيل ، ومن غير تشبيه ولا تمثيل ، فهو - سبحانه - ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . وقد ورد في أكثر من حديث في صحاح كتب السنة إثبات صفة العجب لله - تعالى - ومنها : ما رواه البخاري في صحيحه رقم ( ٣٠١٤٠ ) ، وأبو داود رقم ( ٢٦٧٧ ) عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال : " عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل " . وروى أحمد في المسند ( ١٥٨ / ٤ ) وأبو داود رقم ( ١٢٠٣ ) ، وابن حبان رقم ( ١٦٦٠ ) عن عقبه بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : " يعجب ربك من راعي غنم في رأس الشظية للجبل ، يؤذن للصلاة ويصلي فيقول الله : انظروا إلى عبدي هذا يؤذن ويقوم الصلاة ، يخاف مني ، قد غفرت لعبدي وأدخلته الجنة " . كما روى أحمد أيضاً في مسنده ( ٤١٦ / ١ ) ، وأبو داود رقم ( ٢٥٣٦ ) ، وابن حبان رقم ( ٢٥٥٧ ) ، والحاكم في المستدرک ( ١١٢ / ٢ ) عن ابن مسعود ؓ عن النبي ﷺ قال : " عجب ربنا من رجلين ؛ رجل ثار من وطأته ولحافه من بين حبه وأهله إلى الصلاة ، فيقول الله - جل وعلا : انظروا إلى عبدي ثار من فراشه ووطأته من بين حبه وأهله إلى صلاته ؛ رغبة فيما عندي ، وشفقة مما عندي ، ورجل غزا في سبيل الله فانهزم الناس وعلم ما عليه في الانهزام ، وماله في الرجوع ، فرجع حتى أهریق دمه ، فيقول الله للملائكة : انظروا إلى عبدي رجع رجاء فيما عندي وشفقة مما عندي حتى أهریق دمه " . وهناك أحاديث كثيرة في هذا الباب ، والصواب - وهو مذهب السلف الصالح وما عليه أئمة المسلمين - : الإيمان بهذه الصفات وإثباتها لله - تعالى - على مراد الله - تعالى - ونسأل الله - تعالى - أن يهدينا والمسلمين إلى الفهم الصحيح والعقيدة النقية الصافية .

(٢) هو حمزة بن حبيب بن عمار بن إسماعيل الإمام القدوة شيخ القراء أبو عمار التيمي الكوفي الزيات ، كان إماماً قيماً لكتاب الله قانتاً لله كثير الورع رفيع الذكر عالماً بالحديث والفرائض . توفي سنة ست وخمسين ومائة ، وكان من الأئمة العاملين . تنظر ترجمته في : سير أعلام النبلاء للذهبي ( ٩٠ / ٧ - ٩٢ ) .

(٣) سورة الصافات ، الآية ( ١٢ ) وهذه قراءة حمزة والكسائي وخلف ، وقرأ باقي العشرة ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾ . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٣٥٤ / ٧ ) ، حجة ابن خالويه ( ص : ٣٠١ ) ، حجة أبي زرعة ( ص : ٦٠٦ ) ، الدر المصون للسمن الحلبي ( ٤٩٧ / ٥ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٥٤٧ ) ، الكشاف للزنجشيري ( ٣٣٧ / ٣ ) ، النشر لابن الجزري ( ٣٥٦ / ٢ ) .

(٤) سورة البقرة ، الآية ( ١٧٥ ) .

(٥) سورة عبس ، الآية ( ١٧ ) .

﴿يَحْسِرَةٌ عَلَى الْعِبَادِ﴾<sup>(١)</sup> أي : حلوا محل من يتحسر عليه .

﴿إِذَا مَنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعَظْمًا آتِنَا﴾ يجوز إثبات الاستفهام في الشرط والجزاء ، ويجوز حذفه منهما ، ويجوز إثباته في الشرط دون الجزاء وفي الجزاء دون الشرط ، وجاء في قوله : ﴿أَفَايُن مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿أَفَايُن مَاتَ أَوْ قَتِلَ أَنْقَلَبْتُمْ﴾<sup>(٣)</sup> إثباته في الشرط ، وقرئ في هذه الآية بالوجه الأربع<sup>(٤)</sup> .

لما كان وعد الآخرة ثابتا محققا أخبر عنه بالشيء الثابت ؛ كقوله : ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾<sup>(٥)</sup> وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾<sup>(٥)</sup> وقال هاهنا : ﴿وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ .

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾<sup>(٦)</sup> وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾<sup>(٧)</sup> اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾<sup>(٨)</sup> عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾<sup>(٩)</sup> سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾<sup>(١٠)</sup>

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾ بالعقوبة استهزاء بها ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ﴾ جمع مثلة ، وهي وقائع الله بالأمم الماضية وعلمهم بذلك لمرورهم على بلاد المهلكين ينبغي أن يكون حاملا لهم على طلب الحسنة والاستغفار من السيئة ﴿عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ جملة في موضع الحال ، واحتج به ابن الخطيب<sup>(٦)</sup> على أن الله تعالى يجوز أن يعفو عن أصحاب الكبائر من غير توبة؛

(١) سورة يس ، الآية ( ٣٠ ) .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية ( ٣٤ ) .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ( ١٤٤ ) .

(٤) قرأ نافع والكسائي ويعقوب «أثدا كنا ترابا إنا» ، وقرأ ابن عامر وأبو جعفر «إذا كنا ترابا أثنا» ، وقرأ باقي العشرة «أثدا كنا ترابا أثنا» . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٥ / ٣٦٦ ) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٣٧١ ) ، الدر المصون للسمن الحلي ( ٤ / ٢٢٧ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٣٥٧ ) ، مجمع البيان للطبرسي ( ٦ / ٢٧٧ ) ، النشر لابن الجزري ( ١ / ٣٦٢ ، ٣٦٤ ، ٣٧٤ ) .

(٥) سورة الانفطار ، الآية ( ١٣ ) .

(٦) ينظر : مفاتيح الغيب للفخر الرازي ( ١٩ / ١١ ) .

توبة؛ لقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾<sup>(١)</sup> ومن كان مصرا على الكبيرة فهو ظالم لنفسه، وقد ذكر في هذه الآية أنه يغفر لهم مع أنهم ظالمون ، وقد أجرى الله عادته بأن يقرن في كتابه الوعد بالوعيد ، وذكر الجنة بذكر النار ؛ ليكون العبد على خوف ورجاء .

﴿لَوْلَا﴾ بمعنى هلا ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ قيل : هي جملة مستأنفة ؛ كقوله : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا ﴾<sup>(٢)</sup> وقيل : ﴿ هَادٍ ﴾ خبر ثان لقوله : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ ﴾ أي : وهاد لكل قوم . قيل : ﴿ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ ﴾ ما تلقيه سقطا . وقيل : الغيظ والزيادة راجعان إلى كثرة دم الحيض وقلته . والكبير المتعالى متقاربان في المعنى ؛ لأن الكبر والعلو اللذين توصف بهما الأجسام مستحيلان على الله - عز وجل<sup>(٣)</sup> ﴿ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ ﴾ تقديره : ومن هو سارب بالنهار . ويجوز إضمار الموصول ؛ كما قال حسان بن ثابت [ من الوافر ] :

فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ  
وَيَمْدَحُهُ وَيُنْصِرُهُ سَوَاءٌ<sup>(٤)</sup>

لأن المستخفي بالليل لا يكون ساربا بالنهار ، والسارب مأخوذ من السرب وهو الطريق . ( ٩١ / أ ) ، ومنه قوله ﷺ : " من أصبح معافى في بدنه ، آمنا في سربه ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها " <sup>(٥)</sup> .

(١) سورة النساء ، الآية ( ٤٨ ) .

(٢) سورة النحل ، الآية ( ٣٦ ) .

(٣) تقدم الكلام غير مرة أن عقيدة السلف الصالح من أهل السنة والجماعة هي إمرار آيات الصفات الواردة في القرآن الكريم ، وكذلك ما صح من أحاديث النبي ﷺ على ظاهرها من غير تمثيل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تكييف ، ونؤمن بها على ظاهرها في إطار قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .

(٤) ينظر البيت في : تذكرة النحاة ( ص : ٧٠ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤٤٥ ) ، الدرر اللوامع

( ١ / ٢٩٦ ) ، ديوان حسان ( ص : ٧٦ ) ، المغني لابن هشام ( ٢ / ٣٥٥ ) ، همع الهوامع للسيوطي

( ١ / ٨٨ ) .

(٥) رواه الترمذي رقم ( ٢٣٤٦ ) ، وابن ماجه رقم ( ٤١٤١ ) ، وابن حبان رقم ( ٦٧١ ) ، من حديث أبي

الدرداء .

﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيَسْبِغُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَكُوتُ مِنْ خَيْفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾ وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿١٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾﴾

﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ﴾ ملائكة يتعاقبون في الليل والنهار وأولئك ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ وهي صفة للمعقبات . ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ مفعولان من أجلهما ، والقياس فيه أن يكون فعل فاعل الفعل المعلن ، والخوف والطمع ليسا من فعل الله ؛ فقد ر بقوله : ﴿يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ فتخافون وتطمعون .

﴿السَّحَابُ﴾ اسم جنس وليس بجمع ، وقد وصفه بالجمع ؛ فهو كقوله تعالى : ﴿مُتَكِينٌ عَلَى رُقْرُقٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾<sup>(١)</sup> وكذلك قوله تعالى : ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ﴾<sup>(٢)</sup> على قراءة الجر . والرعد ملك ، وهو المسبِّح لا الصوت ، ويسمى صوته رعداً لأن نسبة الأعراض إلى الأعراض محال . ﴿يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ﴾ أي : في وحدانيته ﴿شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ أي : المماكرة . ﴿إِلَّا كَبْسِطٍ﴾ إلا كاستجابة باسط ﴿كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾ فلا يصل إليه الماء ببسط كفه ، كذلك لا يحصل لداعي الأصنام شيء مما يطلب .

سجود الكره : تفيؤ الظلال كما يسجد الجبل والشجر يتفياً ظلالهما وإن لم يريدوا ذلك . ﴿وَالْآصَالِ﴾ جمع أصيل ، وهو ما بين المغرب والعشاء .

(١) سورة الرحمن ، الآية (٧٦) .

(٢) سورة الإنسان ، الآية (٢١) وقرأ نافع وحفص عن عاصم «خُضْرٌ»، وقرأ ابن كثير وشعبة عن عاصم «خُضْرٍ». تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٨ / ٣٩٩) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٧٤٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦ / ٤٤٨ - ٤٤٩) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٦٦٤) ، الكشاف للزمخشري (٤ / ٦٧٣) ، معاني القرآن للفراء (٣ / ٢١٩) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٩٦) .

﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ومتى كان الجواب معلوماً عند السامع ساغ للمتكلم أن يجيب عن السامع .

﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ لِلْمُكَادِرِ ۗ أَمَّنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُ أَولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْعَيْثَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ۗ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَهُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۗ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾﴾

ضرب الله مثلين للإيمان والكفر، أحدهما : إنزاله الماء من السماء ، وهو مثل للقرآن والوحي ، فحملت أودية منه بقدرها ، فمنها ما حمل الكثير لسعته ، ومنها ما حمل القليل لضيقه ﴿فَاحْتَمَلَ﴾ ذلك ﴿السَّيْلُ زَبَدًا﴾ يعلو الماء ، ثم إن الزبد يتعلق بأطراف الوادي وبالأشجار والعيدان فيضمحل . والزبد مثل الشبهات فيصفو الماء عن الزبد ويحصل به النفع . والمثل الثاني: ضرب مثلاً بما يسبك من النحاس والرصاص ، فإنه يخرج منه زبد يعلو على وجهه ثم يصفو ذلك الجوهر المسبوك ويحصل به النفع ، فالجوهر من النحاس والرصاص مثل الوحي الحق ، والزبد مثل للباطل ، فمزج أحد المثليين بالآخر . ﴿جُفَاءً﴾ يقال : أجفأت القدر إذا رمت نجبتها . والوقف عند قوله : ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ (١) و﴿الْحُسْنَى﴾ الجنة .

﴿ وَمِثْلَهُ مَعَهُ ﴾ لسألوا الفدية ؛ لقوله في آية أخرى : ﴿ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا نَقِيلَ مِنْهُمْ ﴾ (٢) ( ٩١ / ب ) و﴿ سُوءُ الْحِسَابِ ﴾ المناقشة على الصغيرة والكبيرة ﴿ وَيَسَّرَ لِلْمُكَادِرِ ﴾ بس ما مهدوا ﴿ لِأَنْفُسِهِمْ ﴾ .

(١) ينظر : منار الهدى في بيان الوقف والابتداء للأشموني ( ص : ٢٠١ ) .

(٢) سورة المائدة ، الآية ( ٣٦ ) .



أكثر ما يأتي لفظ الحق بالألف واللام في صفات الله - عز وجل - وفي الحديث في دعاء النبي ﷺ: " اللهم أنت الحق ، ووعدك الحق ، وقولك الحق ، ولقاؤك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والنبيون حق " (١) فجعل الجنة والنار والأنبياء بغير ألف ولام ، وأدخلها في ذاته سبحانه وقوله ؛ لأنهما صفتا ذات .

الميثاق : ما وثق بالآيمان المؤكدة ﴿ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ﴾ يريد : صلة الأرحام .  
وقيل : هو أن يصدق بجميع الأنبياء ، ويصل تصديق هذا بتصديق هذا ، ولا يفرق بين أحد من رسله ﴿ وَيَخْشَوْنَ ﴾ عذاب ﴿ رَبِّهِمْ ﴾ ﴿ سَوْءَ الْحِسَابِ ﴾ هو المناقشة .

﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾ ولم يكونوا كما قال الشاعر [ من الكامل ] :

وتجلدي للشامتين أريهم  
أني لصرف الدهر لا أتضعع<sup>(٢)</sup>

﴿ وَيَذَرُونَ ﴾ يدفعون ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ عَقَبَى الدَّارِ ﴾ الحسنة ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ ﴾ بدل من ﴿ عَقَبَى الدَّارِ ﴾ ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ ﴾ نكرة ؛ لأنها من باب إضافة الشيء إلى صفته ، والتقدير: جنات إقامة ﴿ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴾ .

﴿ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ (٢٤) ﴿ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ، وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ (٢٥) ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴾ (٢٦) ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ﴾ (٢٧) ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (٢٨) ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَتَى ﴾ (٢٩) ﴿ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ ﴾ (٣٠) ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَ سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَى بَل لَّيْلَهُ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ (٣١)

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦٣١٧) ، ومسلم رقم (٧٦٩) عن ابن عباس - رضي الله عنهما .  
(٢) البيت لأبي ذؤيب الهذلي ، ينظر في : العين للخليل (٧٢/١) ، غريب الحديث للحربي (٩٢٨ / ٣) ،  
الكشاف للزمخشري (٥٢٥ / ٢) ، لسان العرب (ضع) ، معجم البلدان لياقوت (١٣٣/٥) .

قائلين : ﴿ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ ﴾ في موضع مصدر تقديره : قائلين هذا القول . وقوله : ﴿ بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾ أي : هذه المجازاة بالجنة بسبب صبركم .

﴿ لِمَ لَعْنَةُ ﴾ أي : عليهم ﴿ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ أي : ويضيق ﴿ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ فرح بطرٍ وأشرٍ . ﴿ إِلَّا مَتَّعُ ﴾ يتمتع به ثم يذهب ، كآثا البيت . ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ ﴾ هلا أنزل ﴿ عَلَيْهِ آيَةٌ ﴾ نقترحها لنؤمن فقل لهم : إيمانكم بتقدير ظهور الآية المقترحة غيب ، والله تعالى يقلب القلوب كيف يشاء ، فإن شاء صرفكم عن الإيمان بعد نزول الآية . وإن شاء هداكم قبل نزولها ، ونظيره ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ (١) .

﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ بدل ﴿ مَنْ ءَانَابَ ﴾ ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ﴾ وعد ﴿ اللَّهِ ﴾ وثوابه ﴿ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ .

﴿ طُوبَى لَهُمْ ﴾ قيل : هي شجرة في الجنة ، يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها (٢) . وقيل : أصلها طيبى من الطيب .

﴿ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ ﴾ (٩٢ / ١) ولم يكن بدعا من الرسل . وكانوا ينكرون اسم الرحمن ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ ﴾ (٣) .

وقيل : ليس المراد إنكار اسم الرحمن ، بل المراد أنهم يكفرون بالله ، وقدم المجرور في ﴿ إِلَيْهِ ﴾ و ﴿ عَلَيْهِ ﴾ للاختصاص . وجواب ﴿ وَلَوْ ﴾ في قوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَا سُيِّرَتْ بِهِ ﴾ محذوف التقدير : لما آمنوا إلا أن يشاء الله ، ويدل عليه قوله : ﴿ أَفَلَمْ يَأْتِئِسَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ ﴾ والآيات المذكورة في القرآن توضح هذا المعنى . وقيل : تقديره : لكان هذا القرآن .

(١) سورة الأنعام ، الآية (١٠٩ - ١١١) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٣ / ١٤٨) بهذا السياق عن وهب ، ورواه البخاري رقم (٣٠٧٩) عن

أنس بن مالك ؓ عن النبي ﷺ قال : " إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها " بدون ذكر طوبى .

(٣) سورة الفرقان ، الآية (٦٠) .

﴿ قَارِعَةً ﴾ عقوبة تفرعهم ، كالقتل يوم بدر .

﴿ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ ﴾ سرايا رسول الله ﷺ .

﴿ وَلَقَدْ آسْتَهْزَيْتُمْ بُرْسُلٍ مِّن قَبْلِكِ فَأَمَلَيْتُمُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٢٢﴾ أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَبْظَهَرُ مِنْهُ لِقَوْلِ بَل زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٢٣﴾ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ ﴿٢٤﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَثَابِ ﴿٢٦﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا وَعَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَّرِيٍّ وَلَا وَّاقٍ ﴿٢٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٢٨﴾

﴿ وَلَقَدْ آسْتَهْزَيْتُمْ بُرْسُلٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ تسلية للنبي ﷺ وتهديد للكفار المستهزئين ، وأكثر ما يجيء الأخذ في القرآن للعقوبة ﴿ فَأَخَذَهُم أَخَذَةً رَّابِيَةً ﴾ <sup>(١)</sup> ﴿ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْنَةً ﴾ <sup>(٢)</sup> ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ﴾ <sup>(٣)</sup> و ﴿ كَانَ ﴾ تامة و ﴿ عِقَابِ ﴾ فاعل ، ويجوز أن تكون ناقصة دخلت على ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ و ﴿ عِقَابِ ﴾ اسم كان ، و ﴿ فَكَيْفَ ﴾ الخبر ، وجب تقديمه لكونه استفهاماً . ﴿ أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ كمن ليس كذلك ﴿ قُلْ سَمُّوهُمْ ﴾ أي : عينوهم حتى يتبين أنهم لا يصلحون للإلهية . قرئ ( وصدوا ، وصدُّوا ، وصدوا ) <sup>(٤)</sup> ومثله في غافر ﴿ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ ﴾ <sup>(٥)</sup> ( وصدَّ وصدَّ وصدَّ ) .

(١) سورة الحاقة ، الآية (١٠) .

(٢) سورة الأعراف ، الآية (٩٥) .

(٣) سورة القصص ، الآية (٤٠) .

(٤) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ابن عامر وأبو جعفر " وصدُّوا " ، وقرأ باقي العشرة " وصدُّوا " وقرأ ابن وثاب " وصدُّوا " بالكسر . تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٣٩٥/٥) ، الحجة لابن خالويه (ص: ٢٠١) ، الحجة لأبي زرعة (ص: ٣٧٤) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٢٤٥/٤) ، السبعة لابن مجاهد (ص: ٣٥٩) ، الكشاف للزمخشري (ص: ٥٣٢/٢) ، النشر لابن الجزري (٢٩٨/٢) .

(٥) سورة غافر ، الآية (٣٧) وفيها القراءات التي في الرعد ، وينظر : الدر المصون للسمين الحلبي

﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ ﴾ صفتها العجيبة الشأن ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ هو كقولك : صفة زيد يعطي المائة من الإبل ويكرم الضيف ﴿ أَكُلُوهَا ﴾ ثمرتها لا مقطوعة بالأزمان ، ولا ممنوعة بالأثمان . ﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ﴾ كعبد الله بن سلام وأمثاله وقوله : ﴿ وَمِنَ الْأَحْزَابِ ﴾ الذين كذبوا رسول الله ﷺ أي : وكما أرسلنا الأنبياء قبلك أنزلنا إليهم الكتب والصحف ، كذلك أنزلنا القرآن حكماً عربياً .

سمى أديانهم أهواءً ؛ لأنهم كانوا يعبدون صنماً فإذا رأوا غيره أحسن منه عبدوه ، وكانوا يقولون : إن النبي ﷺ كثير التزويج ، وليس له همٌ إلا في النساء ، فأنزل الله - تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ ﴾ إلا وكانوا يقترحون عليه نزول آيات ، فأنزل عليه ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ <sup>(١)</sup> في اللوح المحفوظ .

﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ <sup>(٢٩)</sup> وَإِنْ مَا نُرِيدُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتُوفِّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ <sup>(٤٠)</sup> أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ <sup>(٤١)</sup> وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسِعَعِلْمُ الْكُفْرِ لِمَنْ عَقَبَى الدَّارِ <sup>(٤٢)</sup> وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ <sup>(٤٣)</sup>

﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ مما نسخ تلاوته ﴿ وَيُثَبِّتُ ﴾ ما لم ينسخه . وقيل : يمحو السيئات بالحسنات ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ <sup>(٢)</sup> ﴿ وَيَذَرُهُنَّ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ﴾ <sup>(٣)</sup> وقيل : يمحو الصغائر باجتنابها ، ويمحو الكبائر بالتوبة ، ولا حاجة إلى هذا ؛ لقوله - تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ <sup>(٤)</sup> والأمر متعلق بالمشيئة وكذلك في هذه الآية ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ ولم يعلقه بتوبة ولا باجتناب كبيرة .

﴿ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ اللوح المحفوظ ، كتب فيه كل ما هو كائن إلى يوم القيامة ، وهو أم الكتاب ﴿ وَإِنْ مَا نُرِيدُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ ﴾ فترى ما يسرُّك من عقوبتهم ﴿ أَوْ نَتُوفِّيَنَّكَ ﴾ قبل

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ١٣ / ١٦٩ ) بنحوه ، وذكره الماوردي في النكت والعيون ( ٢ / ٣٣٤ ) ، والزمخشري في الكشاف ( ٢ / ٥٣٤ ) قريبا من ذلك .

(٢) سورة هود ، الآية ( ١١٤ ) .

(٣) سورة الرعد ، الآية ( ٢٢ ) .

(٤) سورة النساء ، الآية ( ١١٦ ) .

ذلك فلا يعجزوننا ولا يفوتوننا ، وليس عليك إلا البلاغ ، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات .

﴿ نَقْصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ قيل : هو ما يفتحه الله من بلاد الكفار فتقص بلادهم ويزداد في بلاد الإسلام ، ويدل عليه في سورة الأنبياء بعد مثل هذه الآية ﴿ أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾<sup>(١)</sup> وهذا بعيد لأن النبي ﷺ كان عند نزول هذه السورة المكية لم يفتح عليه شيء من بلاد الكفار . وقيل : يموت علماؤها وهو بعيد ، فأى عالم تنقص الأرض بموته مع حياة رسول الله ؟! وقيل : هو نقص الثمرات بسبب الظلم ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿ لَا مَعْقِبَ لِحُكْمِهِ ﴾ يتبعه بالنقض .

﴿ وَهُوَ سَكْرِيحٌ الْحِسَابِ ﴾ أي : يأتي وقت حسابه سريعاً ﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿ لِمَنْ عَقَبَى الدَّارِ ﴾ الجنة ﴿ كَفَى بِاللَّهِ ﴾ كفى الله .

﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ جبريل . وقيل : مؤمنو أهل الكتاب ، وقرئ ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾<sup>(٤)</sup> .

\* \* \*

(١) سورة الأنبياء ، الآية ( ٤٤ ) .

(٢) سورة الروم ، الآية ( ٤١ ) .

(٣) سورة النحل ، الآية ( ٧٧ ) .

(٤) قرأ بها علي وابن السميع والحسن وابن عباس ومجاهد وابن جبير . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان

(٤٠٢/٥) ، تفسير القرطبي (٣٣٦/٩) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٢٤٨/٤) ، الكشاف للزمخشري

(٢٩٢/٢) ، المحتسب لابن جني (٣٥٨/١) ، مفاتيح الغيب للرازي (٧٠/١٩) .

## سورة إبراهيم [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ كِتَبٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ ۗ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾﴾

قوله : ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ بأمره ؛ كقوله : ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ <sup>(١)</sup> .

من قرأ اسم " الله " بالجر فهو بدل من ﴿الْعَزِيزِ﴾ ولا يقف دونها ، ومن رفع <sup>(٢)</sup> فهو مبتدأ خبره ما بعده . ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ﴾ صفة للكافرين ، و﴿عُدِّي﴾ ﴿يَسْتَحِبُّونَ﴾ بـ " على " ضمنها معنى يؤثرون ؛ كقوله : ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ <sup>(٣)</sup> ومتى كان موضع الضلال بعيداً كان الظفر بها أبعد ﴿بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾ بلغتهم ﴿أَنْ أَخْرِجَ﴾ أي : قائلًا ذلك ، أو مقولاً له ؛ فقائلاً (أ/٩٣) لقوله : ﴿وَذَكِّرْهُمْ﴾ ومقولاً له لقوله : ﴿أَخْرِجَ﴾ ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ لكل مؤمن .

وفي الحديث : " الإيمان نصفان : نصف شكر ونصف صبر " <sup>(٤)</sup> وسببه أن العبد لا يخلو من أن يكون في نعمة أو في شدة ، والمطلوب منه في النعمة الشكر ، وفي الشدة الصبر ، وليس

(١) سورة آل عمران ، الآية (١٤٥) .

(٢) قرأ نافع وابن عامر برفع لفظ الجلالة " الله " ، وقرأ الباقون " الله " .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٤٠٤/٥) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٢٥٠ / ٤) ، السبعة لابن مجاهد (ص: ٣٦٢) ، الكشاف للزمخشري (٥٣٧/٢) .

(٣) سورة الأعلى ، الآية (١٦) .

(٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان رقم (٩٧١٥) عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً ، وضعفه الشيخ الألباني - رحمه الله - في السلسلة الضعيفة رقم (٦٢٥) .

يعني بالنصف نصفاً مجرداً ، بل المراد : انقسام الإيمان إلى هاتين الجملتين ، فهو كقوله ﷻ :  
" تعلموا الفرائض فإنها نصف العلم " (١) .

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ  
يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدْحِقُونَ آيَاتِكُمْ بِسَاءِ كُفْرِكُمْ وَفِي ذَلِكَ لَكُمْ بَلَاءٌ  
مَنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّتْ رِيبِكُمْ لِيَنْ شَكَرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ وَلِيُنْكَفِّرَنَّ  
عَنْ عَذَابِي لَشَدِيدٍ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ  
يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ  
إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ  
بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَلِى اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ  
إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كُنَّا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾

﴿ يَسُومُونَكُمْ ﴾ يكلفونكم ﴿ وَيُدْحِقُونَ ﴾ بالواو يدل على أنه أمر زائد على سوء  
العذاب ﴿ وَفِي ذَلِكَ ﴾ الإشارة فيها إلى الإنجاء إن كان المراد بالبلاء النعمة ، وإن كان  
المراد به النعمة فهو إشارة إلى سوء العذاب والذبح ﴿ تَأَذَّتْ ﴾ أعلم ﴿ فَأِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ ﴾ دال  
على الجزاء المحذوف ، وليس بجزاء ؛ فإن الله غني حميد سواء كفر أو شكروا ، والتقدير : إن  
كفرت لم يعبا الله بكم ولم تضروه شيئاً ، فإنه غني عنكم محمود في السماء والأرض غني عن  
حمدكم . قال مالك - رحمه الله : " من عدنان كذب النسأبون " ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ  
مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ﴾ يعني أن النبي ﷺ مضبوط إلى عدنان . ﴿ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي  
أَفْوَاهِهِمْ ﴾ أي : ردوا أيدي الرسل إلى أفواه الرسل ليسكتوهم ، أو ردوا أيديهم في أفواه  
أنفسهم يشيرون بالسكوت ، أو ردوا أيدي أنفسهم إلى أفواه أنفسهم ، كحال من عليه  
الضحك ، يستهزئون بما قالت الرسل ، أو ردوا أيدي أنفسهم إلى أفواه الرسل ، ولا يجيء  
الرابع ، وهو ردوا أيدي الرسل إلى أفواه الكافرين وفيه قول آخر : أن المراد بالأيدي النعم ،  
أي : فردوا نعم الله ، ويبعده قوله : ﴿ فِي أَفْوَاهِهِمْ ﴾ أكدوا كفرهم بـ " إِنَّ " وَقَالُوا : ﴿ إِنَّا

(١) رواه ابن ماجه رقم ( ٢٧١٩ ) ، والحاكم في المستدرک ( ٤ / ٣٣٢ ) ، والبيهقي في السنن  
الكبرى ( ٦ / ٢٠٩ ) ، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف ابن ماجه رقم ( ٥٩٤ ) .

كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ ۖ وَهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِأَنَّهُمْ مَرْسَلُونَ ، وَلَكِنَّهُ كَقَوْلِ فِرْعَوْنَ : ﴿ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمُ لَمَجْنُونٌ ۖ ﴾ (١) .

وقوله : ﴿ مُرِيبٌ ﴾ يدل على أن الريب غير الشك ، وأن الشك يوقع في الريب ، وهو القلق والاضطراب . قوله : ﴿ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ صفة لله ، وقد فصل بين الصفة والموصوف بالابتداء ، وقوله : ﴿ عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا ﴾ يجوز أن يكون اسم كان ضمير شأن مستقر فيها ، ولا يجوز أن يكون ﴿ يَعْبُدُ ﴾ خبراً مقدماً و ﴿ ءَابَاؤُنَا ﴾ اسمها ؛ لأنه يلزم منه أن يكون في الفعل ضمير جمع ، ولا يصح أن يقال : عما كان آباؤنا يعبد .

﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١١) وَمَا لَنَا إِلَّا نَنوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصِيرَنَّ عَلَىٰ مَا ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (١٢) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُدُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٣) وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ۗ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ (١٤) وَأَسْتَفْتِحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ (١٥) مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ﴾ (١٦) يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ ۗ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۗ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ (١٧) مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۗ أَعْمَلْتُمْ كُرْمًا إِشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ۗ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ۗ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴾ (١٨) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۗ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ (١٩) وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ (٢٠) وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۗ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ سَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ ﴾ (٢١) وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۗ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۗ فَلَا تُلْهُمُونِي وَلَوْلَمْؤَا أَنفُسِكُمْ ۗ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنَا بِمُصْرِخِيكَ ۗ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ ۗ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٢٢)

السلطان : الحجة . ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ ﴾ فيصطفي من الملائكة رسلاً



ومن الناس ﴿ وَمَا كَانُوا لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ ﴾ بآية تقترحونها ﴿ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ .

وقوله : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ أبلغ من ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ لأنه أمر من دخل في حيز المؤمن أن يدوم على التوكل ويستمر عليه ؛ كقوله : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾<sup>(١)</sup> أقسموا ليكونن أحد أمرين ؛ إما الرجوع إلى دين الكفار وإما الإخراج .

﴿ ذَلِكَ ﴾ الوعد بإهلاك الظالمين وإسكان المظلومين الأرض بعدهم ﴿ ذَلِكَ ﴾ الوعد ﴿ لِمَنْ خَافَ ﴾ مقامه بين يدي ﴿ وَأَسْتَفْتَحُوا ﴾ واستنصروا ﴿ مِنْ وَرَائِهِ ﴾ أي : أمامه ؛ كقوله بعدها : ﴿ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ وكقوله : ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ ﴾<sup>(٢)</sup> أي : أمامهم، وقول الشاعر [من الوافر] :

عسى الكربُ الذي أمسيتُ فيه      يَكُونُ وَرَاءَهُ فَرَجٌ قَرِيبٌ<sup>(٣)</sup>

أي : بعده ﴿ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ ريحه . الضمير في ﴿ لَا يَقْدِرُونَ ﴾ يعود على ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ﴾ أي : بسبب إقامة الحق . ﴿ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ أطوع له منكم ﴿ وَبَرَزُوا ﴾ صاروا في أرض الموقف ، وهو براز ليس فيها جبل ولا جدار ولا حائل ، فقالت الأتباع لكبرائهم ﴿ تَبَعًا ﴾ جمع تابع ، كخدم في جمع خادم ، أو ذوي تبع إن كان مصدراً ، والمحيص : موضع الفرار والمهرب . ويروى أن إبليس ينصب له منبر من نار في جهنم فيقول ما قصه الله . ﴿ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ لما استقر أهل النار في النار ﴿ وَعَدَّ الْحَقُّ ﴾ من إضافة الشيء إلى صفته ﴿ إِلَّا أَنْ دَعَوْتَكُمْ ﴾ استثناء من غير الجنس ؛ لأن دعاءه إياهم ليس بسلطان عليهم . قرئ ﴿ بِمُصْرِحِي ﴾ بكسر الياء<sup>(٤)</sup> وهي لغة قليلة .

(١) سورة هود ، الآية ( ١١٢ ) .

(٢) سورة الكهف ، الآية ( ٧٩ ) .

(٣) البيت لهدبة بن الحشرم ، ينظر في : أسرار العربية لابن الأنباري ( ص : ١٢٨ ) ، خزانة الأدب للبغدادي ( ٩ / ٣٢٨ ) ، شرح أبيات سيويه ( ١ / ١٤٢ ) ، الكشاف للزنجشري ( ٢ / ٥٤٦ ) ، مغني اللبيب لابن هشام ( ١ / ٢٥٥ ) همع الهوامع للسيوطي ( ١ / ٤١٧ ) .

(٤) قرأ " بمصرخي " حمزة من العشرة ، وقرأ باقي العشرة " بمصرخي " . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٥ / ٤١٩ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ٢٠٣ ) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٣٧٧ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٤ / ٢٦١ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٣٦٢ ) ، الكشاف للزنجشري ( ٢ / ٣٧٤ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٩٨ ، ٢٩٩ ) .

﴿ وَأَدْخِلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾ (٢٣) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يَثِبَتْ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَبِتِسْ الْقَرَارِ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴾ (٣١) ﴿

﴿ تَحِيَّتُهُمْ ﴾ مصدر يجوز أن يكون مضافاً إلى الفاعل ، أي : يحيي بعضهم بعضاً بالسلام ويجوز أن يضاف إلى المفعول ، أي : يحيون بالسلام إمّا من بعضهم بعضاً ، وإما من الملائكة ؛ لقوله : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴾ (١) وإمّا من الله - عز وجل ؛ لقوله : ﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَجِيمٍ ﴾ (٢) .

﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ هي النخلة . وقيل : شجرة في الجنة . وقيل : شجرة مفروضة كذلك . ﴿ أَكْلَهَا ﴾ ثمرتها ﴿ كُلِّ حِينٍ ﴾ كقوله : ﴿ لَا مَقْطُوعَةَ وَلَا مَمْنُوعَةَ ﴾ (٣) ﴿ اجْتُثَّتْ ﴾ قطعت من أصلها . ﴿ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ﴾ بلا إله إلا الله . قيل : تثبيتهم في الحياة الدنيا استمرارهم على التوحيد مُدَّةَ العمر . وقيل : في القبر ، والحياة القربى مدة البرزخ . (٤/٩٤) ﴿ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ ﴾ ببعثه الرسل تكذيباً وجحوداً . و﴿ الْبَوَارِ ﴾ الهلاك .

قوله : ﴿ يُقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ حذف النون بلام أمر مقدر ، أي : ليقموا الصلاة ؛ كقول الشاعر [من الوافر] :

مُحَمَّدٌ تَفَدِّ نَفْسَكَ كُلُّ نَفْسٍ (٤)

(١) سورة الرعد ، الآية (٢٣) .

(٢) سورة يس ، الآية (٥٨) .

(٣) سورة الواقعة ، الآية (٣٣) .

(٤) هذا صدر بيت للأعشى أو لحسان بن ثابت أو لأبي طالب .

ينظر في : الدر المصون (٤ / ٢٦٩) ، شرح التسهيل لابن مالك (٤ / ٦٠) ، شرح شواهد

المغني (١ / ٥٩٧) ، الكتاب لسيويه (٣ / ٦٢٩) .

ولكنه فيما جاء في الكتاب العزيز أبين ؛ لأنه لم يأت حذف النون وإرادة لام مقدرّة إلا في ثلاثة مواضع ، هذا وقوله في " سبحان " : ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ <sup>(١)</sup> ﴿ قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ <sup>(٢)</sup> و ﴿ قُلْ لِعِبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ فلا ينتظم معنى الشرط فيه ، فجوابه: أن الأمر في هذه المواضع الثلاثة تعلق بقوم من أهل الخير والصلاح ، فإن إضافة العباد إليه يدل على ذلك ، وكذلك وصف المقول لهم بأنهم يؤمنون ﴿ لَا بَيْعٌ فِيهِ ﴾ فنشترى ما يسر ، ونجتنب ما يضر. ولا مخالفة تنفع إلا مخالفة المتقين ، ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴾ <sup>(٣٢)</sup> ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ <sup>(٣٣)</sup> ﴿ وَءَاتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ <sup>(٣٤)</sup> ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ <sup>(٣٥)</sup> ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ يَبْعِنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ <sup>(٣٦)</sup>

﴿ رِزْقًا ﴾ يجوز أن يكون " رزقاً " مصدراً ، على أن يكون قوله : ﴿ مِنْ الثَّمَرَاتِ ﴾ سدّاً مسدّد الخبر ، كأنه قال: فأخرج به بعض الثمرات لكي يرزقكم ، فيكون على هذا معمولاً لقوله : ﴿ رِزْقًا ﴾ .

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ ﴾ جعل التسخير للفلك ، وقال في أخرى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ ﴾ <sup>(٤)</sup> ثم قال: ﴿ وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ ﴾ <sup>(٥)</sup> والتسخير شامل لهما. ﴿ دَائِبَيْنِ ﴾ مستمرين. قرئ ﴿ مِنْ كُلِّ ﴾ بالتثنية <sup>(٦)</sup> و ﴿ مَا ﴾ على هذا نافية،

(١) سورة الإسراء ، الآية ( ٥٣ ) .

(٢) سورة النور ، الآية ( ٣٠ ) .

(٣) سورة الزخرف ، الآية ( ٦٧ ) .

(٤) سورة الجاثية ، الآية ( ١٢ ) .

(٥) سورة النحل ، الآية ( ١٤ ) .

(٦) قرأ بها ابن عباس والضحاك والحسن وقتادة . تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان ( ٤٢٨ / ٥ ) ،

الدر المصون للسمين الحلبي ( ٢٧٢ / ٤ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ١١٠ / ٣ ) ، الكشاف

للزنجشري ( ٣٧٩ / ٢ ) ، المحتسب لابن جني ( ٣٦٣ / ١ ) .

وعلى المشهور هي موصولة . قيل : إن إبراهيم مرَّ على مكة ولم تكن محل قرار لأحد ، فدعا الله بأن تكون بلداً ، وتكون محرماً ، ثم مرَّ بها وهي بلدٌ فقال : ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا ﴾ <sup>(١)</sup> فدعا لها بالأمن بعد أن صارت بلداً . وقيل : إنه دعا في الموضوعين بعد كونها بلداً ، ولهذا لمن رزق ولداً فلك أن تقول له : اللهم اجعله ولداً مباركاً .

﴿ أَضَلَّلَنَ ﴾ نسب الإضلال إلى الصنم وهو لم يفعل شيئاً من الإضلال ، لكن كان وجوده سبباً فيه . ﴿ فَإِنَّهُ مِنِّي ﴾ أي : محسوب من جماعتي ، فهو كالجزم مني ، وقال العلامة : " من غشنا فليس منا " <sup>(٢)</sup> وقال الشاعر [ من الوافر ] :

فإني لستُ منك ولستُ مني <sup>(٣)</sup>

﴿ وَمَنْ عَصَانِي ﴾ مع كونه موافقاً لي في الدين فاغفر له وكان ذلك قبل نهيه عن الاستغفار للكفار . ﴿ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ يؤيد قول النبي ﷺ : " اللهم إن إبراهيم حرم مكة ( ٩٤ / ب ) وإني حرمت المدينة بما حرم به إبراهيم مكة " <sup>(٤)</sup> .

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنْ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ <sup>(٣٧)</sup> رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعَلِّنُ وَمَا نُوَعِّظُ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ <sup>(٣٨)</sup> الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ <sup>(٣٩)</sup> رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ <sup>(٤٠)</sup> رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ <sup>(٤١)</sup> وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ <sup>(٤٢)</sup> مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ <sup>(٤٣)</sup> ﴿

(١) سورة البقرة ، الآية ( ١٢٦ ) .

(٢) رواه مسلم رقم ( ١٠١ ) ، وابن ماجه رقم ( ٢٥٧٥ ) بهذا اللفظ ، ورواه مسلم رقم ( ١٠٢ ) ،

وأبو داود رقم ( ٣٤٢٥ ) ، والترمذي رقم ( ١٣١٥ ) ، وابن ماجه رقم ( ٢٢٢٤ ) بلفظ :

" من غش فليس منا " . واللفظان عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة آل عمران ، الآية ( ٣٤ ) .

(٤) رواه مسلم رقم ( ١٣٧٤ ) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

﴿ فَاجْعَلْ ﴾ قلوب الناس ﴿ تَهْوَى إِلَيْهِمْ ﴾ مسرعة . ﴿ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ﴾ من الوجد بالولد إسماعيل وتخليته بوادٍ غير ذي زرع .

﴿ عَلَى الْكَبِيرِ ﴾ في موضع الحال . ﴿ اَلدُّعَاءُ ﴾ عبادة تقبل ويشاب عليها وذلك أمر زائد على كون الدعاء مستجاباً ، فدعا إبراهيم بأن يكون دعاؤه مقبولاً عند الله مثاباً عليه ، واستغفر لأبيه قبل النهي وقد سبق الاعتذار عنه في سورة التوبة<sup>(١)</sup> . يوم يقوم الناس للحساب .

وقيل: يقال: قامت السوق إذا كثر البيع والشراء . ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ ﴾ يأبها المخاطب بهذا الكلام، وهو كل سامع ، فإن رسول الله ﷺ لا يحسب الله غافلاً وهو كقول الخطيب : " ابن آدم عندك ما يكفيك وتطلب ما يطغيك " <sup>(٢)</sup> . وقيل : لا يلزم من النهي عن الشيء كونه فعل ؛ كقوله : ﴿ وَلَا تَقْرُبُوا الزَّيْفَ ﴾ <sup>(٣)</sup> ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ <sup>(٤)</sup> ﴿ مُهْطِعِينَ ﴾ مسرعين ﴿ مُقْنِعِينَ ﴾ رافعين ﴿ رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ﴾ محذقين لما يرون ، كما قال : ﴿ فَبَصُرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ <sup>(٥)</sup> أي : نظرك حادٌ محذق . ﴿ وَأَفْنَدْتَهُمْ هَوَاءً ﴾ أي : خالية ، كما قال حسان [ من المتقارب ] :

فَأَنْتَ مَجُوفٌ نُحْبُ هَوَاءً<sup>(٦)</sup>

ولا يراد به الذي يهْبُ ، فإنه إنما يسمى ريحاً ، ولا يقال : هواء .

(١) في سورة التوبة ، الآية ( ١١٤ ) .

(٢) تقدم تخريجه في سورة يونس ، الآية ( ٩٤ ) .

(٣) سورة الإسراء ، الآية ( ٣٢ ) .

(٤) سورة الأنعام ، الآية ( ١٥١ ) .

(٥) سورة ق ، الآية ( ٢٢ ) .

(٦) هذا عجز بيت لحسان يهجو أبا سفيان قبل إسلامه ، وصدوره :

ألا أبلغ أبا سفيان عني .....

ينظر في : تاج العروس للزبيدي ( جوف ) ، تفسير القرطبي ( ٩ / ٣٢١ ) ، العين للخليل

( ٤ / ١٠٤ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٥٦٣ ) ، لسان العرب ( جوف - هوا ) ومجوف ونخب

وهواء: خالي الجوف ، أو فارغ القلب من العقل والشجاعة .

﴿ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبِ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ ۖ أُولَٰئِكَ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّن قَبْلُ مَا لَكُمْ مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكَرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكَرُهُمْ وَإِن كَانَتْ مَكَرُهُمْ لِيَنْزُولٍ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفاً وَعَدِهِ ۗ رُسُلُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ ﴾

﴿ يَوْمَ ﴾ مفعول بـ ﴿ وَأَنْذِرِ ﴾ ولا يجوز أن يكون ظرفاً ؛ لفساد المعنى . ﴿ أَقْسَمْتُمْ مِّن قَبْلُ مَا لَكُمْ مِّن زَوَالٍ ﴾ كقوله تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ ﴾<sup>(١)</sup> ﴿ وَسَكَنْتُمْ فِي ﴾ بعض بلاد ﴿ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ﴾ من الكفار حتى يجمع بينه وبين قوله : ﴿ فَتِلْكَ بَيُوتُهُمْ خَاوِبَةٌ بِمَا ظَلَمُوا ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكَرَهُمْ ﴾ اللائق بمثلهم . ﴿ وَعِندَ اللَّهِ ﴾ جزاء ﴿ مَكَرُهُمْ وَإِن كَانَتْ مَكَرُهُمْ لِيَنْزُولٍ ﴾ قرئ بكسر لام كي وفتح لام الفعل ، وقرئ بفتح اللام الأول ، وتكون هي الفارقة ، ورفع لام الفعل<sup>(٣)</sup> . وقيل في ﴿ وَعَدِهِ رُسُلُهُ ﴾ : إنه من باب المقلوب ، وتقديره : مخلف رسله وعده ، وهذا ليس بمقلوب ، وهو مثل قول الشاعر [ من الطويل ] :

ترى الثورَ فيها مُدْخِلَ الظِّلِّ رَأْسَهُ      وسائرهُ بادٍ إلى الشَّمْسِ أَجْمَعِ<sup>(٤)</sup>

إنما المقلوب في المركبات كقوله : ﴿ إِنَّ مَفَاتِحَهُ لِنَنُوًا بِالْعَصْبَةِ ﴾<sup>(٥)</sup> لتنهض بالمفتاح ، ومعنى قوله ( ٩٥ / أ ) ناء بالحِمْلِ ، أي : نهض مائلاً إلى أحد شقيه ، ومثله قوله - تعالى : ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ﴾ على قراءة من قرأ كذلك<sup>(٦)</sup> .

- (١) سورة النحل ، الآية ( ٣٨ ) .  
(٢) سورة النمل ، الآية ( ٥٢ ) .  
(٣) قرأ الكسائي " لَنْزُلًا " ، وقرأ باقي العشرة " لِيَنْزُولٍ " . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٤٣٧ / ٥ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ٢٠٣ ) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٣٧٩ ) ، الدر المصون للسمن الحلبي ( ٤ / ٢٧٩ ) السبعة لابن مجاهد ( ص : ٣٦٣ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٣٨٣ ) ، المحتسب لابن الجزري ( ١ / ٣٦٥ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٠٠ ) .  
(٤) ينظر البيت بلا نسبة في : أمالي المرتضي ( ١ / ٢١٦ ) ، خزانة الأدب للبغداد ( ٤ / ٢٣٥ ) ، الدرر اللوامع ( ٢ / ١٥٦ ) ، شرح أبيات سيويه ( ١ / ١٩٢ ) ، الكتاب لسيويه ( ١ / ١٨١ ) .  
(٥) سورة القصص ، الآية ( ٧٦ ) .  
(٦) سورة الإسراء ، الآية ( ٨٣ ) وقرأ ابن ذكوان عن ابن عامر وأبي جعفر " وناء " ، =

والمقلوب في المفردات كقولهم : شاك السلاح ، بمعنى : شائك ، وجرف هار ، بمعنى : هائر . ومن المركب قولهم : أدخلت الخاتم في إصبعي .

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ۗ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِلُهُمْ مِّنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهُهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ، وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ الْوَاحِدُ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾﴾

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ ﴾ يعني : تبدل صفاتها فتدك جبالها ويسوى منخفضها بالمرتفع حتى تكون ﴿ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴾ (١) ﴿ لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴾ (٢) ومنه قولهم : ذهب بوجه وجاء بوجه غير الذي ذهب به ، ومنه : ﴿ كَلَّمَ نَضِجَتِ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ (٣) على أحد القولين . وقيل : هو تبديل على الحقيقة ، يخلق الله أرضاً غير هذه الأرض لم يعص الله عليها قط . ﴿ الْأَصْفَادِ ﴾ القيود . والقطران إذا أحرق بالنار كان شديد الحر كثير النتن فيعظم بسببه العذاب .

قيل : لكل كتاب عنوان ، وعنوان هذا الكتاب العزيز : ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ، وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ الْوَاحِدُ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ .

\*\*\*

= وقرأ جمهور القراء " ونأى " . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ٧٥ ) ، حجة ابن خالويه ( ص : ٢٢٠ ) ، حجة أبي زرعة ( ص : ٤٠٩ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٣٨٤ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٤٦٤ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٠٨ ) .

(١) سورة طه ، الآيتان ( ١٠٦ ، ١٠٧ ) .

(٢) سورة النساء ، الآية ( ٥٦ ) .

## سورة الحجر [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ رَبِّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِيهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا يَتَأْتِيهَا الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنزِلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾

قيل : إن ﴿ رَبَّ ﴾ إذا كفت بـ ﴿ مَا ﴾ تصير للتكثير بدليل هذه الآية ، فإن الكفار كلهم يتمنون لو كانوا مسلمين ومنه قول الشاعر [ من المديد ] :

رُبَّمَا أَشْرَفْتُ فِي عِلْمٍ تَرَفَعَنْ ثَوْبِي شَمَالَاتٍ<sup>(١)</sup>

والأكثر على أنها باقية للتقليل ، وفيها لغات : تخفيف الباء ، وتشديدها ، ولحوق التاء بعد الباء ، وحذفها .

قيل : إن ﴿ لَوْ ﴾ بمعنى ( أن ) ؛ كقوله : ﴿ أَيُّودُ أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿ ذَرَّهُمْ ﴾ أمر تهديد ؛ كقوله : ﴿ كُلُّوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾<sup>(٤)</sup> ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ سوء عاقبة ذلك . ﴿ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ ﴾ أي : أجل كتب في اللوح المحفوظ . ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ ﴾ بزعمه ( لولا ) هلا ﴿ تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ ﴾ يشهدون بصحة دعواك . ﴿ مَا نُنزِلُ الْمَلَكَةَ ﴾ بعد تكذيبهم بالرسول إلا بالعذاب .

تولى الله حفظ الكتاب بقوله : ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ فحفظ من التبديل والتغيير ، ووكل

(١) البيت لجذيمة الأبرش ، ينظر في : الأزهية في الحروف للهروي ( ص : ٩٤ ) ، الأغاني للأصفهاني

(٢) ( ٢٥٧ / ١٥ ) ، خزانة الأدب للبغدادي ( ٤٠٤ / ١١ ) ، الكتاب لسيويه ( ٥١٨ / ٣ ) ، مغني اللبيب

( ٢٢٤ / ١ ) ، همع الهوامع للسيوطي ( ٣٨٨ / ٢ ) ويروي : ربما أوفيت ، وهي بمعنى : أشرفت ،

وعلم : جبل ، والشمال : جمع الشمال وهي الريح التي تهب من الشمال .

(٢) سورة البقرة ، الآية ( ٢٦٦ ) .

(٣) سورة المرسلات ، الآية ( ٤٦ ) .

(٤) سورة فصلت ، الآية ( ٤٠ ) .



حفظ التوراة إلى الأحبار بقوله : ﴿ يَمَا اسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﴾ <sup>(١)</sup> فضاع وبُدِّل .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ ﴾ <sup>(١٠)</sup> وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ <sup>(١١)</sup> كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ <sup>(١٢)</sup> لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ <sup>(١٣)</sup> وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ <sup>(١٤)</sup> لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ <sup>(١٥)</sup> وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِينَ <sup>(١٦)</sup> وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ <sup>(١٧)</sup> إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ رِشَابٌ مُبِينٌ <sup>(١٨)</sup> وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ <sup>(١٩)</sup> ﴿

الشيع : الجماعات . ﴿ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ ﴾ أي : ندخله . ( ٩٥ / ١ ) ﴿ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ مكذبا مستهزئا به . ﴿ وَقَدْ ﴾ مضت عادة الله في إهلاك المكذبين . فتح الباب من السماء آية تشاهد بالبصر . وقوله : ﴿ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴾ جمع بين حسّ اللمس وحسّ البصر . ﴿ سُكَّرَتْ ﴾ سُدَّت . قيل : البروج : القصور ؛ كقوله : ﴿ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ ﴾ <sup>(٢)</sup> وقيل : هي البروج الاثنا عشر : الحمل والثور... إلى آخرها <sup>(٣)</sup> .

﴿ وَزَيَّنَّاهَا ﴾ أي : السماء ﴿ إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ ﴾ استثناء منقطع . والشهاب : شعلة نارٍ تخرج من الكوكب ، والكوكب باقٍ ، وإلا لفنيت الكواكب على زمان طول الرجم .

﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا ﴾ بعد خلق السماء ؛ لقوله : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ <sup>(٤)</sup> أي : بسطها .

﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُمْ بِرَزَاقِينَ ﴾ <sup>(٢٠)</sup> وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ <sup>(٢١)</sup> وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ <sup>(٢٢)</sup> وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِيهِ وَنُمِيتُهُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ <sup>(٢٣)</sup> وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ <sup>(٢٤)</sup> وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ <sup>(٢٥)</sup> وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ

(١) سورة المائدة ، الآية ( ٤٤ ) .

(٢) سورة النساء ، الآية ( ٧٨ ) .

(٣) وأسماؤها : الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت . ينظر : عمدة القاري للعبني ( ١٩ / ٨ ) .

(٤) سورة النازعات ، الآية ( ٣٠ ) .

مِنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُورِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ  
بَشَرًا مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ، سَاجِدِينَ  
﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾

﴿ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ له قدر ووزن ، ولا يعطف ﴿ وَمَنْ لَسْتُمْ ﴾ على قوله ﴿ لَكُمْ ﴾ لأن المضمرة المجرور لا يعطف عليه إلا بإعادة حرف الجر إلا في لغة قليلة ، كقوله [ من البسيط ] :

فما بك والأيام من عجب<sup>(١)</sup>

ولكن التقدير هنا: ومن لستم له برازقين كذلك .

﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ إلا في تصرفنا وقبضتنا ، فعبّر عن ذلك بكونه في الخزائن عنده ، وفي موضع آخر عبّر عنه بكون مفاتيح تلك الخزائن بيده بقوله : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ ﴾<sup>(٢)</sup> لَهُ، مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾<sup>(٣)</sup> . ﴿ الرِّيحَ ﴾ لاقحة للشجر منشئة لسحب المطر . أسقى بالهمز : جعله سقيا لأرضه وزرعه . وسقاه ماءً : أعطاه شيئاً شربه .

المستقدمين والمستأخرين : الأمم الخالية كلهم ، من سبق ومن لحق . وقيل : المستقدمون في الحرب ، والمتأخرون ، وهو بعيد ؛ لأن سورة الحجر مكية ، ولم يكن ثم قتال . قيل : الصلصال الذي له صوت . وقيل : هو من صلّ اللحم ، إذا أنتن . فخلقه من طين منتن . والحمأ : الطين الذي في قعر الماء . ﴿ مَسْنُونٍ ﴾ متغير ، أسن الماء إذا تغير . وقيل : مسنون : مصبوب . وفي الحديث عن عمرو بن العاص : " فإذا أنا ميتٌ فسئوا عليّ الترابَ سئاً " <sup>(٤)</sup> .

واذكر إذ قال ربك ﴿ فَقَعُوا لَهُ ﴾ أي : فبادروا إلى السجود مسرعين ، كالذي يُلق من مكان ومثله : ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴾<sup>(٥)</sup> ﴿ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾<sup>(٦)</sup> ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ ﴾<sup>(٧)</sup> .

(١) تقدم تخرجه في سورة النساء ، الآية (١) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية (٥٩) .

(٣) سورة الزمر ، الآية (٦٣) .

(٤) رواه أحمد في المسند (٤ / ١٩٩) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٤ / ٥٦) .

(٥) سورة الشعراء ، الآية (٤٦) .

(٦) سورة يوسف ، الآية (١٠٠) .

(٧) سورة الإسراء ، الآية (١٠٩) .

قيل : كان إبليس من الملائكة ، وكونه من الجن لا ينافي ذلك ، إما أنه من خزان الجنان كان ، أو لاستتارهم عن الأبصار . وقيل : لم يكن من الجن ؛ لقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَكَةِ أَهْوُلَاءِ إِنَّا كُنَّا نَعْبُدُونَ ﴾ ( ٩٦ / أ ) الآيتين<sup>(١)</sup> . تبرات الملائكة ونسبوا الفعل إلى الجن ، فلو كانت الملائكة جنًا لقال : فهم منكم . وإنما عتب إبليس والأمر للملائكة لأنه كان مغمورًا في زمرةهم ، فغلب اسمهم عليه . وقيل : إنه لم يؤمر بالسجود لآدم كل الملائكة ، بل الملائكة المقربون لم يؤمروا بذلك ؛ لقوله : ﴿ وَلَهُ يُسْجُدُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> بتقديم المجرور الدال على الاختصاص ، ويقوي ذلك قوله - تعالى : ﴿ أَشْكَبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> أي : من الملائكة الذين رفع قدرهم عن أن يسجدوا لغير الله ، وهذا بعيد ؛ لقوله : ﴿ أَلَا تَسْجُدُ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾<sup>(٤)</sup> فجعل إبليس مأمورًا وعمم بقوله : ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ عدل عن الجواب إلى قوله : ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ﴾ بين ذلك علة الامتناع ، وكان القياس في الجواب : إن الفاضل لا ينبغي أن يسجد للمفضول ، وأنا أفضل منه فلا أسجد له .

﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾<sup>(٣٢)</sup> قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلَاحٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ<sup>(٣٣)</sup> قَالَ فَأَخْرَجَ مِنْهَا فِإِنَّكَ رَجِيمٌ<sup>(٣٤)</sup> وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ<sup>(٣٥)</sup> قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ<sup>(٣٦)</sup> قَالَ فِإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ<sup>(٣٧)</sup> إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ<sup>(٣٨)</sup> قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ<sup>(٣٩)</sup> إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ<sup>(٤٠)</sup> قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ<sup>(٤١)</sup> إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ<sup>(٤٢)</sup> وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ<sup>(٤٣)</sup> لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ<sup>(٤٤)</sup>

﴿ قَالَ فَأَخْرَجَ مِنْهَا ﴾ من سماء الدنيا إلى الأرض . وقيل : من الجنة .

﴿ رَجِيمٌ ﴾ مرجوم بالشهب . وقيل : مرجوم بمعنى مطرود ﴿ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ سأل الخبيث ألا يموت ؛ لأنه لا يبقى بعد نفخة البعث موت لأحد ، فأجيب بالنظرة إلى وقت

(١) سورة سبأ ، الآيتان ( ٤٠ ، ٤١ ) والآية الثانية : ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴾ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية ( ٢٠٦ ) .

(٣) سورة ص ، الآية ( ٧٥ ) .

(٤) سورة الأعراف ، الآية ( ١٢ ) .

النفخة ليموت مع من يموت بها . ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴾ فيه ردُّ على من زعم أنه إذا جاء الوصف بجملة ومفرد قدم الوصف بالمفرد على الجملة ، وهاهنا قد قدم ﴿ مِنْهُمْ ﴾ على قوله : ﴿ الْمُخْلِصِينَ ﴾ و﴿ الْمُخْلِصِينَ ﴾ مفرد صفة لـ ﴿ عِبَادَكَ ﴾ و﴿ مِنْهُمْ ﴾ وإن لم يكن صفة فهي حال معناها معنى الوصف ، ويرد عليه قوله تعالى : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ﴾ <sup>(١)</sup> وقوله تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

﴿ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ قيل : إنه استثناء منقطع ؛ لأن إضافة العباد إلى الله تدل على اختصاصهم بخدمته ، فلا يدخل فيه الغاويون ، وإن كان متصلاً فيه استثناء الكثير وإبقاء القليل ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ <sup>(٣)</sup> ﴿ وَلَا تَحِذُوا كَثْرَتَهُمْ شَكْرِيكَ ﴾ <sup>(٤)</sup> ﴿ لَمَوْعِدُهُمْ ﴾ لموعدهم الغاوين .

﴿ إِنَّا الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ <sup>(٤٥)</sup> ﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ ﴾ <sup>(٤٦)</sup> ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾ <sup>(٤٧)</sup> ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ <sup>(٤٨)</sup> ﴿ نَبِيٌّ عَبْدِي أَيُّ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ <sup>(٤٩)</sup> ﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾ <sup>(٥٠)</sup> ﴿ وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ <sup>(٥١)</sup> ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴾ <sup>(٥٢)</sup> ﴿ قَالُوا لَا نُجَلِّ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلَيْكَ ﴾ <sup>(٥٣)</sup> ﴿ قَالَ أَبَشْرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ بَشِّرُونَ ﴾ <sup>(٥٤)</sup> ﴿ قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ ﴾ <sup>(٥٥)</sup> ﴿ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ <sup>(٥٦)</sup> ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ <sup>(٥٧)</sup> ﴿ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴾ <sup>(٥٨)</sup> ﴿ إِلَّا ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ <sup>(٥٩)</sup> ﴿ إِلَّا أُمَّرَاتَهُ قَدَرْنَا لَهَا لَعْنُ الْغَابِرِينَ ﴾ <sup>(٦٠)</sup> ﴿ فَلَمَّا جَاءَ ءَالَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴾ <sup>(٦١)</sup> ﴿ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴾ <sup>(٦٢)</sup> ﴿ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ <sup>(٦٣)</sup> ﴿ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ <sup>(٦٤)</sup> ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْنفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾ <sup>(٦٥)</sup> ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَتُولَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ ﴾ <sup>(٦٦)</sup> ﴿ وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ <sup>(٦٧)</sup> ﴿ قَالَ إِنَّ هَتُولَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴾ <sup>(٦٨)</sup> ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴾ <sup>(٦٩)</sup> ﴿ قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ <sup>(٧٠)</sup> ﴿ قَالَ هَتُولَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَعِلِينَ ﴾ <sup>(٧١)</sup> ﴿

(١) سورة الأنعام ، الآية ( ٩٢ ) .

(٢) سورة المائدة ، الآية ( ٥٤ ) .

(٣) سورة يوسف ، الآية ( ١٠٣ ) .

(٤) سورة الأعراف ، الآية ( ١٧ ) .

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ لأنهم ليسوا في نفس العيون . ﴿سَلَامٌ﴾ أي : بسلامة ، أو يحيون على الواحد والجمع ، ومنه ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا﴾ ﴿هَلْ أُنْكِحْتِ ابْنَ إِدْرِيسَ الَّذِي كَفَرَ﴾ ﴿صَافٍ إِبراهيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾<sup>(١)</sup> .

﴿قَالَ إِنَّ هَذَا لَأَخِي ضَيْفِي﴾<sup>(٢)</sup> ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾<sup>(٣)</sup> قال أصحاب علم البيان : سلام إبراهيم كان أبلغ من سلام الملائكة ؛ لأن سلام الملائكة جاء بنصب سلام على المصدر ( ٩٦ / ب ) التقدير : سلمنا سلاماً . والفعل يدل على التجدد والحدوث ، وسلام إبراهيم دالٌّ على الثبوت .

تقول للزرع في مبدأه : هذا الزرع يطول وطال ، فإذا تكامل طوله قلت : زرعٌ طويلٌ ، ولا تقول : يطول . ﴿إِنَّمَا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ خافهم لما قدم إليهم الطعام فرأى أيديهم لا تصل إليه . وقربه منهم إرادة عذر ﴿عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِي﴾ حال ؛ كقوله : ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾<sup>(٤)</sup> ﴿فِيمَ تُبَشِّرُونَ﴾ بأي شيء تقع هذه البشارة بما يستحيل عادة !

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ فما أمركم المهم الذي هو خطب . قوله : ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾ مستثنى من قوله : ﴿تُجْرِمِينَ﴾ ﴿إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ﴾ استثناء ثانٍ من المستثنى منه الأول ، وهم آل لوط ، ولما كانت الأمور العظيمة تجري على أيدي الملائكة نسب إليهم في قوله : ﴿قَدَرْنَاٰ إِنَّا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ والمقدر هو الله . ﴿قَوْمٌ مُّكَرُونَ﴾ لا نعرفكم في هذا الإقليم .

﴿يَمْتَرُونَ﴾ يشكون . ﴿وَأَتَيْنَاكَ﴾ بالبشارة الحق . ﴿يَقْطَعُ﴾ بجانب من الليل . ﴿وَأَتَّبَعْنَا أَدْبَارَهُمْ﴾ وكن على ساقتهم ﴿وَلَا يَلْتَفِتُ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ لئلا يرى ما يهوله من عذاب الله ، ولأن الله أمره بالتقدم ، والالتفات مخالف لما أمر به . وقوله : ﴿أَنْتَ دَابِرَ هَتُولَاءِ مَقْطُوعٍ مُّصْحِحِينَ﴾ تفسير لقوله : ﴿ذَلِكَ الْأَمْرُ﴾ ﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ بحصول أضياف حسان الصور .

قيل : أراد بناتي لصلي تتزوجوهن ، وكان يجوز تزويج المسلمة للكافر ، كما زوج النبي

(١) سورة الذاريات ، الآية ( ٢٤ ) .

(٢) سورة الحجر ، الآية ( ٦٨ ) .

(٣) سورة هود ، الآية ( ٦٩ ) .

(٤) سورة الرعد ، الآية ( ٦ ) .

﴿ ابنته زينب لأبي العاص بن الربيع ، وهو كافر . وقيل : أراد بقوله : ﴿ بَنَاتِي ﴾ نساء أمته ؛ لأن النبي لأمته كالوالد . وقرئ " وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَهُوَ أَبُو لَهُمْ " (١) .

﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (٧٢) فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّا لَبَسِيلٌ مُّقِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَعَآئِنَهُمْ ءَايَاتُنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآئِيَةٌ ﴿٨٥﴾ فَاصْفَحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَايَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِ وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾

﴿ لَعَمْرُكَ ﴾ قسم بحياة لوط . وقيل : بحياة النبي محمد ﷺ . ﴿ مُشْرِقِينَ ﴾ داخلين في وقت شروق الشمس . ﴿ لِّمُتَوَسِّمِينَ ﴾ المتبصرين . ﴿ وَإِنَّا ﴾ وإن قرى قوم لوط لعلى طريقهم في الأسفار . وقيل : إن عقوبة مَنْ فَعَلَ فِعْلَ قَوْمِ لُوطٍ أَن يَعَاقِبَ بِمِثْلِ مَا عَاقَبُوا بِهِ . قال بعضهم : يلقي من شاهق ويتبع بالحجارة . قيل : ﴿ الْأَيْكَةُ ﴾ الشجر . وقيل : هو نوع مخصوص من الشجر ، وكان شعيب عليه السلام قد بعث إلى أهل مدين وإلى أصحاب الأيكة ، وشعيب من أهل مدين فقال : ﴿ وَإِلَىٰ مَدِينِكَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ وقال : ( ٩٧ / ١ ) ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿ ولم يقل : أخوهم . وأهلك الله أصحاب مدين بالصيحة ، وأهلك أصحاب الأيكة بأن سلط عليهم حرًا شديدًا لا يدفعه لباس ولا بناء ، فخرجوا إلى البرية فأظلمت غمامة فاجتمعوا في ظلها يرجون برد ظلها ، فأمطرت عليهم نارًا ، وهو عذاب يوم الظلة ﴾ ﴿ وَإِنَّهُمَا ﴾ وإن المؤتفكات وأصحاب الأيكة ﴿ لِبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ لبطريق واضح . ﴿ أَصْحَابُ الْحِجْرِ ﴾ ثمود .

﴿ وَعَآئِنَهُمْ ءَايَاتُنَا ﴾ يعني الناقة وفصيلها وشربها . وقيل : كانوا طوال الأعمار فلا تبقى الدار مدة عمر أحدهم ، فكانوا ينحتون من الجبال بيوتًا ؛ لطول بقاء بيوت الجبال . ﴿ ءَامِنِينَ ﴾ من سقوطها عليهم بإتقانها وإحكامها . وقيل : آمنين من عذاب الله - عز

(١) سورة الأحزاب ، الآية ( ٦ ) وتقدم تخريجها في سورة هود ، الآية ( ٧٨ ) .

وجل - غير خائفين منه ولا مترقبين له. ﴿ مَا ﴾ في ﴿ فَأَغْنَى ﴾ يجوز أن تكون نافية ، وأن تكون استفهامية بمعنى الإنكار. ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ بسبب إقامة الحق .

﴿ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ الذي ليس معه عيب ولا إعراض . ﴿ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي ﴾ قيل : هو القرآن كله لتضمنه الثناء على الله بما هو أهله ، أو لأنه نُتِيَتْ فيه القصص والأمثال والأحكام ويدل على أن المراد الكتاب كله : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِهًا مَّثَانِي ﴾<sup>(١)</sup>.

وقيل : هي السبع الطوال : البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف وفي السابعة وجهان : أحدهما : أنها يونس . والثاني : أنهما الأنفال وبراءة وهما كالسورة الواحدة ، ولم يفصل بينهما ( بسم الله الرحمن الرحيم ) . وقيل : هي الفاتحة ، سبع آيات فيها الثناء على الله - عز وجل - وجاء في الحديث في وصف الفاتحة : " هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته " <sup>(٢)</sup> وأما الواو في قوله : ﴿ وَالْقُرْآنَ ﴾ فعلى الأول يكون من عطف الشيء على نفسه ؛ كقوله - تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً ﴾<sup>(٣)</sup>.

وعلى الثاني عطف الكل على البعض ؛ كقوله - تعالى : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ ﴾<sup>(٤)</sup> وكذلك على الثالث .

﴿ لَا تَعْدَنَّ عَيْنِكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَأخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(٨٨)</sup> وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ <sup>(٨٩)</sup> كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ <sup>(٩٠)</sup> الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ <sup>(٩١)</sup> فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَلِنَّهِنَّ أجمعين <sup>(٩٢)</sup> عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ <sup>(٩٣)</sup> فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ <sup>(٩٤)</sup> إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ <sup>(٩٥)</sup> الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ <sup>(٩٦)</sup> وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ <sup>(٩٧)</sup> فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ <sup>(٩٨)</sup> وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ <sup>(٩٩)</sup>

(١) سورة الزمر، الآية (٢٣) .

(٢) رواه أحمد في المسند (٣٥٧/٢، ٤١٢) ، والترمذي رقم (٢٨٧٥) ، وابن خزيمة في صحيحه رقم (٨٦١)

وأبو يعلى في مسنده رقم (٦٤٨٢) ، من حديث أبي بن كعب . قال الترمذي : حسن صحيح وصححه

الألباني في صحيح الترمذي رقم (٢٣٠٧) .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية (٤٨) .

(٤) سورة التحريم ، الآية (٤) .

﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنِيَكَ ﴾ نظر ﴿ عَيْنَيْكَ ﴾ . ﴿ أَزْوَاجًا ﴾ أصنافاً ، وألن جانبك للمؤمنين ، وحدث الكافرين عذاباً مثل عذاب المقتسمين . وكان كفار قريش قد اقتسموا شعاب مكة في الموسم ويقولون لكل من جاء : لا تقرب هذا الرجل ، يعنون محمداً ﷺ ( ٩٧ / ب ) فإنه كذاب أو مجنون أو ساحر ، ولم يتركوا طريقاً إلى مكة إلا جلسوا عليه ليصدوا عن النبي ﷺ ، فأهلكهم الله بعذاب من عنده .

﴿ عِضِينَ ﴾ جمع بالواو والنون جمع تعويض ، وأصله : عضة ، والعضة والعضية : الكذب . وقيل : عَضُوا القرآن عضة : جزؤوه أجزاء ، فكان يقول أحدهم : لي سورة العنكبوت ، ويقول الآخر : لي سورة البقرة ، ويقول الآخر : لي سورة الشعراء ، استهزاء منهم بالقرآن ، فجعلوه أجزاء وأعضاء<sup>(١)</sup> . ﴿ فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ أبلغه جهراً .

روي أن أعرابياً سمع هذه الآية فسجد ، فقيل له في ذلك فقال : سجدت لفصاحة قائل هذا الكلام . والمستهزئون جماعة أغراهم الإمهال بالاستهزاء بالنبي ﷺ فعوقب كل واحد منهم بعقوبة كفى الله النبي ﷺ شرهم بها .

قوله : ﴿ وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ يَصِيْقُ صَدْرُكَ ﴾ تسلية للنبي ﷺ ، وهو كقول الملك لمن بعثه في مهمة : بلغني اجتهادك وجميل سعيك ، فلا يشك السامع بأنه يكافئه على ذلك . ﴿ الْيَقِيْتُ ﴾ الموت .

\* \* \*

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ١٤ / ٦٢ ) عن عكرمة .



## سورة النحل [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَمْرٌ أَمَرَ اللَّهُ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١) يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٤﴾ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾

وُسُمِّيَ سورة النعم ، ويروى أنه لما نزل ﴿ أَمْرٌ أَمَرَ اللَّهُ ﴾ وثب النبي ﷺ وجماعة من الصحابة ، وظنوا أن القيامة قد أتت حتى نزل قوله : ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ فسكن ما بهم (١) .  
والهاء في ﴿ تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ تعود على الأمر ، أو على اسم الله ، والمعنى يختلف ، فالأول تقديره : لا تستعجلوه بالعذاب . والثاني : لا تطلبوا من الله العجلة ، والهاء في ﴿ سُبْحَانَهُ ﴾ في موضع جر ؛ لأنه لو ظهر لكان مجروراً ؛ لقوله : ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى ﴾ (٢) ولو ظهر وكان مجروراً ففي تقديره قولان : أحدهما : تنزه الله ، فيكون فاعلاً مرفوعاً ؛ لأنه عطف عليه ﴿ وَتَعَالَى ﴾ وهو فعل ماضٍ . والثاني : نصب ، تقديره : نزهت الله ، وأصل المتنزه : المكان البعيد المنفسح . وقوله ﴿ تَعَالَى ﴾ : " تنزهوا من البول " (٣) أي : تباعدوا منه . و﴿ مَا ﴾ في ﴿ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ مصدرية ، ويستغنى بذلك عن الإضمار ، فإنك إذا جعلتها موصولة كان التقدير : وتعالى عن مشابهة ما يشركونه به . سمى الله القرآن رُوحاً هاهنا وفي قوله : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾ (٤) ( ٩٨ / أ ) . وفي سورة غافر ﴿ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ (٥) لأن به حياة القلوب ، كما أن بالروح حياة الجسد . ﴿ أَنْ أَنْذِرُوا ﴾

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٥ / ١٠٧ ) ونسبه لابن مردويه عن ابن عباس - رضي الله عليهما .

(٢) سورة القصص ، الآية ( ٦٨ ) .

(٣) رواه أحمد في المسند ( ٢ / ٣٢٦ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ) ، وابن ماجه رقم ( ٣٤٨ ) ، والحاكم في المستدرک ( ١ / ١٨٣ ) عن أبي هريرة ؓ . وصححه الشيخ الألباني في إرواء الغليل ( ١ / ٣١٠ ) رقم ( ٢٨٠ ) .

(٤) سورة الشورى ، الآية ( ٥٢ ) .

(٥) سورة غافر ، الآية ( ١٥ ) .

أي أنذروا .

﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ ﴾ يستنكف من استصحابها في ثوب أو جسد ، ففاجأ بكونه خصيماً شديداً الخصومة . و ﴿ وَالْأَنْعَمَ ﴾ هي الإبل والبقر والغنم ، ومما تفرد به هذا الاسم أنك إن أفردته فقلت : النعم كانت إبلاً محضة ، وإن جمعته فقلت : أنعام . كان إبلاً وبقراً وغنماً . ﴿ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ ﴾ بأصوافها وأوبارها وأشعارها يصنع منها ما يستدفأ به . ﴿ وَمَنْفَعٌ ﴾ سوى الاستدفاء من وقاية حر الشمس . ﴿ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ أي : من لحومها ، ويجوز أن يراد ومن أجرتها إذا أوجرت ، وألبانها إذا حلبت ، وأصوافها وأشعارها إذا نسجت ، مأكلة لكم تجدون منها القوت ، كقولك : أنا إنما آكل من هذه الدار ، أي : من أجرتها . إذا جاءت النعم من المرعى يفتخر أهلها بها يقولون : هذه نعم بني فلان ، وقدم وقت الإراحة ؛ لأنها تعود حُفلاً<sup>(١)</sup> باللبن ، فالجمال بها أكثر من وقت خروجها للمرعى محلوبة .

﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ ٦ ﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ ٧ ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْإِبَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ٨ ﴿

حذف مفعول ﴿ تُرِيحُونَ ﴾ و ﴿ تَسْرَحُونَ ﴾ لدلالة الكلام عليه ، وهو دليل على أن يقال : سرحت النعم . مخففاً ، بمعنى سرحتها . ﴿ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ ﴾ لو لم يكن لكم أنعام إلا بمشقة شديدة . ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ خلق هذه الأنعام وهياها لمصالحكم .

﴿ وَالْخَيْلَ ﴾ معطوف على ﴿ وَالْأَنْعَمَ ﴾ وقد احتج به من زعم أن الخيل لا يؤكل لحمها ، ولا حجة فيه ؛ لأن لفظ الآية لا يدل على تحريم ولا تحليل<sup>(٢)</sup> .

وشرط المفعول من أجله أن يكون فعلاً لفاعل الفعل المعلن ، فإن لم يكن كذلك وجبت اللام فلما كان الركوب فعلاً لغير الخالق أتى فيه باللام في قوله : ﴿ لِتَرْكَبُوهَا ﴾ ولما كانت الزينة من فعل الله الذي خلق لم يأت باللام<sup>(٣)</sup> ومثله قوله - تعالى : ﴿ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ

(١) حفل : جمع حافل : أي ممتلئ لبنا . ينظر : لسان العرب ( حفل ) .

(٢) ينظر : بداية المجتهد لابن رشد ( ١ / ٦٥٥ ) ، بدائع الصنائع للكاساني ( ٤ / ١٤٩ ) .

(٣) المفعول له ويسمى المفعول لأجله ومن أجله وهو كل مصدر معلن لحدث مشارك له في الزمان والفاعل وذلك كقوله - تعالى : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيءِ آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوْعِ حَذَرَ الْعَوْبِ ﴾ فالحذر مصدر =

لِتَشَقَّ ۝ (٢) إِلَّا تَذَكَّرَ ۝ (١) والتذكرة من فعل الله ، والشقاوة من فعل الخلق .

﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ قيل في تفسيره أقاويل باطلة ؛ لقوله : ﴿ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ فلو صحَّ تفسيره بشيء لكان معلوماً ، وفي المثل : " إذا استأثر الله بشيء فإله عنه " (٢) .

﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ ۝ (٩) هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝ (١٠) يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ (١١) وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۗ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ (١٢) وَمَا ذَرَأْنَا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنًا ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ۝ (١٣) وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلًا مَلْبُوسًا وَنَارًا كَرِيمًا ۗ وَرَبُّكُمْ يَعْلَمُ خَيْرًا بِمَا تَكْفُرُونَ ۝ (١٤) فَضْلِهِ ۗ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ (١٤) ﴾

﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴾ أي: الطريق القصد الموصلة إليه ، ومن الطرق ﴿ جَايِزٌ ﴾ عادل عن السبيل الحق ضالٌّ ﴿ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ﴿ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ ترعاه السائمة من النعم ، تقول : أسمت النعم ، إذا أرسلتها في المرعى المباحة ( ٩٨ / ب ) ومنه قوله العلامة: " في سائمة النعم الزكاة " (٣) وهي مأخوذة من السومة ، وهي العلامة إذا أطلقت

= منصوب ذكر علة لجعل الأصابع في الأذان ، وزمنه وزمن الجعل واحد ، وفاعلهما أيضا واحد وهم الكافرون ، فلما استوفيت هذه الشروط انتصب ، فلو فقد المعلن شرطا من هذه الشروط وجب جره بلام التعليل . وقال ابن خروف : لا يشترط اتحاد فاعلي الفعل والمصدر المعلن . فلما اختلف الفاعل خفض باللام في قوله - تعالى - هنا: ﴿ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ فإن " تركبوها " بتقدير لأن تركبوها ، وهو علة لخلق الخيل والبغال والحمير ، وجيء به مقرونا باللام ؛ لاختلاف الفاعل لأن فاعل الخلق هو الله - سبحانه وتعالى - وفاعل الركوب بنو آدم وجيء بقوله جل ثناؤه : ﴿ وَزِينَةً ﴾ منصوبا ؛ لأن فاعل الخلق والتزيين هو الله - تعالى .

ينظر تفصيل ذلك في : أوضح المسالك لابن هشام ( ٢ / ٢٢٥ ) ، شرح قطر الندى لابن هشام ( ١ / ٢٢٦ ) ، مغني اللبيب لابن هشام ( ١ / ٧٣٠ ) .

(١) سورة طه ، الآيتان ( ٢ ، ٣ ) .

(٢) تقدم تحريجه في تفسير سورة الأعراف ، الآية ( ٨٤ ) .

(٣) رواه أحمد في المسند ( ١ / ١١ ، ١٢ ) ، وأبو داود رقم ( ١٥٦٧ ) ، والنسائي ( ١ / ٣٦٦ ) ، =

الإبل للرعي فيها صارت مواضع الرعي علامة أو كالعلامة، ولما كانت النخل يتفجع طلعاً أبيض ، وبلحا أخضر ، وبسراً أصفر وأحمر ، ومطرفاً وتمرّاً ورطباً ، أتى باسم النخل ، ولما كان أكثر منافع الزيتون والعنب إنما هو ثمرتها على حالة واحدة - سُمي شجرها باسم الثمرة ، وإن انتفع بالحصرم من العنب ، وهو انتفاع يسير بالنسبة إلى ثمرة العنب فلذلك سُمي شجرتها باسم ثمرتها .

وقوله : ﴿ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ يجوز أن ينوب مناب المفعول ، ويكون التقدير: وينبت لكم بعض الثمرات ، ويجوز أن يكون المفعول محذوفاً ، أي : وينبت من كل الثمرات ما يقتات وما يتفكه به . ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ ﴾ ، لتحصل مصالحكم وقوله ﴿ مُسَخَّرَاتٌ ﴾ أي: بالتسخير صارت مسخرات وهو قريب من قولك : برئت الأنوبة قلما ، وعملت الخشبة بابا .

﴿ وَمَا ذَرَأَ ﴾ أي: وخلق خلق ﴿ ذَرَأَ ﴾ بمعنى بث يريد : وطعومه وأرايحه ؛ لأن منفعة اللون تعم من أكل من الثمرة ومن لم يأكل ، ومنفعة الأرايح قليلة بالنسبة إلى ما سواها قوله: ﴿ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾ فيه إشعار بأن أطيب السمك الطري منه . ﴿ وَتَسْتَخْرِجُوهَا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ وهي اللؤلؤ والجوهر ، وقد يحتج بذلك على جواز تحلي الرجال باللؤلؤ ؛ لأن الله ذكر ذلك في معرض الامتنان<sup>(١)</sup> .

وقوله: ﴿ تَلْبَسُونَهَا ﴾ جمع للمذكر فيما أن تكون ذكوراً خاصاً أو ذكوراً وإناثاً وعلى التقديرين فالاحتجاج به حاصل ، والمراد بالفلك هاهنا الجمع لقوله : ﴿ مَوَاقِرَ ﴾ جمع ماخرة ، والماخرة التي تشق الماء . وقيل : التي يسمع لها صوت لشقها الماء .

وقيل : مواخر أي : مقلعات . ﴿ وَلِتَسْتَفْتُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ بالتجارة والاصطياد .

﴿ وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾<sup>(١٥)</sup>  
 وَعَلَّمَتِ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ<sup>(١٦)</sup> أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ<sup>(١٧)</sup> وَإِنْ تَعُدُّوا  
 نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ<sup>(١٨)</sup> وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوكُمْ وَمَا تُعْلِنُونَ<sup>(١٩)</sup>

= والحاكم في المستدرک ( ١ / ٣٩٠ ) عن أنس بن مالك - رضي الله عنه . وصححه الشيخ الألباني في الإرواء ( ٣ / ٢٦٤ ) رقم ( ٧٩٢ ) .

(١) ينظر : الأم للشافعي ( ١ / ٣٧٢ ) ، مغني المحتاج للشربيني ( ١ / ٣٨٩ ) .

وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ  
 أَيَّانَ يَبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَأَلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنْكِرَةٌ وَهُمْ مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾  
 لَا جَرَمَ أَنكُمُ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾

﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ فِي الْأَرْضِ رِوَسِيكَ ﴾ جمع راسية ، أي : ثابتة . وقوله : ﴿ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ أي :  
 كراهة أن تميد بكم ، فتكون الجبال مرسية للأرض . ﴿ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ قال قتادة :  
 " خلق الله الكواكب ليهتدى بها في ظلمات البر والبحر ، ولزينة السماء بها ، ولرجم  
 الشياطين إذا استرقوا السمع ، فمن ادعى فيها أنها تدل على ما يكون من الأمور والوقائع  
 فقد افتري على الله " (١) . وقوله : ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ﴾ أي : لا تكون الأصنام (٩٩/١)  
 مماثلة بما شبه الله ، وقد سبق نظائره ﴿ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ﴾ (٢) . ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ  
 كَالْأُنثَى ﴾ (٣) . ﴿ يَنْسَاءَ النَّبِيُّ لَسُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ﴾ (٤) لأن من أشبهك فقد أشبهته  
 و﴿ النَّعَم ﴾ اسم جنس ، ولهذا قال : ﴿ لَا تُحْصُوهُآ ﴾ أي : لا تحصوا عددها ، ثم بين سبحانه  
 تباعد ما بينه وبين الأصنام ، فقال : ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ﴾ ، ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا  
 تُعْلِنُونَ ﴾ وما تشعر الأصنام متى يكون بعثها ، وتكرر في الكتاب العزيز ﴿ لَا يُحِبُّ ﴾ ولم  
 يقل (يبغض) إلا قليلاً ، وجاء في السنة ؛ لأن اسم الفاعل من أحب لا يوهم نقصاً ، واسم  
 الفاعل من أبغض يوهمه ، فلا يجوز أن يقال لله : يا مبغض . لقوله : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى  
 فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ (٥) .

ولأن المحبة هي الإيثار ، وفعل الخير مع من تحبه ، ومواهب الله لا تنقطع عنا ، فهو محب  
 ولا خير إلا منه ، فلو قطع مداد الخير لم يتصل من جهة غيره فلزم من كونه ﴿ لَا يُحِبُّ ﴾ أن  
 يفوت جميع المصالح بخلاف قول القائل : إنني لا أحب ملك الهند ولا أبغضه . فلا يلزم من  
 بغضي له فوات مصالحته فلا يستوي ، ففي حق الأدمي قلبي : لا أحب فلانا ، وأبغضه .  
 ويستوي في حق الله - تعالى - أن الله لا يحب وأن الله يبغض .

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ١٤ / ٩١ - ٩٢ ) عن قتادة .

(٢) سورة البقرة ، الآية ( ٢٧٥ ) .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ( ٣٦ ) .

(٤) سورة الأحزاب ، الآية ( ٣٢ ) .

(٥) سورة الأعراف ، الآية ( ١٨٠ ) .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (٢٤) لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلِيسَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴾ (٢٥) قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٢٦) ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِبُهُمْ وَيَقُولُ أَيُّ شُرَكَاءِ عَالَمٍ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْتَقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (٢٧) الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا سَلَامًا مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٢٨) فَأَدْخَلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَلِيدِينَ فِيهَا فَلْيَسَّرْ مَشْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (٢٩) ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٣٠) جَنَّاتٌ عِدْنُ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٣١) الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٣٢) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (٣٣) فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (٣٤) وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ (٣٥) ﴿

﴿ ذَا ﴾ في ﴿ مَاذَا ﴾ يجوز أن تكون زائدة فيكون جوابها على المختار بالنصب فإذا قال: ماذا صنعت؟ قلت في جوابه: خيراً، أي: صنعت خيراً وقرئ ﴿ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوُ ﴾ بالنصب والرفع<sup>(١)</sup> على التأويلين، وفي هذه الآية خاصة أنه قال في حق المؤمنين ﴿ خَيْرًا ﴾ لأن التقدير: أنزل خيراً، وهم المؤمنون بالإنزال، وقال في حق الكفار ﴿ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ والتقدير: هذه أساطير الأولين ولو نصبوا ﴿ أَسَاطِيرُ ﴾ لكانوا مؤمنين بالإنزال وهم كفار به، والمؤمن تكفر سيئاته بالمصائب في الدنيا بخلاف الكافر فلذلك تبقى أوزار الكفار كاملة لم يكفر منها شيء وتحملوا مثل أوزار الذين يضلونهم إلا قبح ما يحملون.

(١) سورة البقرة، الآية (٢١٩) وقرأ جمهور القراء " قل العفو " بالنصب، وقرأ أبو عمرو البصري " قل العفو ". تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٢ / ١٥٩)، الحجة لابن خالويه (ص: ٩٦)، الحجة لأبي زرعة (ص: ١٣٣)، الدر المصون للسمين الحلبي (١ / ٥٣٧)، السبعة لابن مجاهد (ص: ١٨٢)، الكشاف للزنجشري (١ / ١٣٣)، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٢٧).

﴿ فَأَتَى ﴾ تخريب الله ، وابتداء ذلك التخريب ﴿ مِنْ أَلْقَوَاعِدِ ﴾ ﴿ يُخْرِجُهُمْ ﴾ يهينهم ﴿ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِ عَمَّ ﴾ بزعمكم ﴿ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَشْفُقُونَ ﴾ به الأنبياء والصالحين ﴿ فَأَلْقُوا السَّلَمَ ﴾ قائلين : ﴿ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ ﴾ فأجابتهم الملائكة ﴿ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ ﴾ فلتدخل كل طائفة من باب وهذه حال مقدره ؛ لأن أول الدخول ليس من الخلود في شيء .  
والمتوى : موضع الثواء وهو الإقامة ﴿ وَلِدَارُ الْأَخِرَةِ ﴾ من إضافة الشيء إلى صفته ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ ﴾ هو المخصوص بالمدح و﴿ عَدْنٍ ﴾ معرفة . وقيل : نكرة وتقديره : جنات إقامة ﴿ نُوفِّهِمُ الْمَلَائِكَةَ ﴾ لقبض أرواحهم . وقيل : للخروج من القبور يبشرونهم بالثواب ( ٩٩ / ب ) ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ ﴾ قيل : ينتظرون ﴿ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ ﴾ لقبض أرواحهم ﴿ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ ﴾ بقيام الساعة ﴿ فَهَلْ عَلَى الرَّسْلِ ﴾ استفهام معناه النفي . لما كان في البعث معنى القول جاءت أن المفسرة وهي لا تأتي مع صريح القول ولا مع ما ليس في معنى القول .

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْبِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (٣٦) إن تحرض على هديهم فإن الله لا يهدي من يضل وما لهم من نصيرين ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَىٰ وَعَدَّا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣٨) لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٤٠) وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٤٢) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَتَشَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٤٤) أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ (٤٦) أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿ (٤٧) ﴾

و﴿ الطَّاغُوتَ ﴾ كل معبود دون الله . ﴿ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا ﴾ أمر بالسبب والمسبب ﴿ عَاقِبَةُ ﴾ فاعل ، أو اسم كان ، والخبر ﴿ كَيْفَ ﴾ ﴿ إِنْ تَحَرَّضَ عَلَىٰ هُدْيَتِهِمْ ﴾ لم يفد حرصك ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ ﴾ وجمع الناصرين ردًا لظنهم ؛ لأنهم عبدوا آلهة شتى ، واعتقدوا الانتصار بها وبجماعتهم ﴿ وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (١) ولقوله : ﴿ أَمْرٌ

يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْصَرُونَ ﴿١﴾ .

قيل: من حلف بالله فقد أقسم جهد اليمين<sup>(٢)</sup> .

﴿ بَلَى ﴾ وعد ذلك ﴿ وَعَدَّا عَلَيْهِ ﴾ الوفاء ؛ لإخباره بوقوعه ، يبعثهم ﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي  
يَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾ وليفصح الكفار بعلمهم أنهم كانوا كاذبين . ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ﴾ وأوذوا أذى  
أزعجهم إلى الإخراج ﴿ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ هي المدينة<sup>(٣)</sup> ولما كان في ذلك أذى الكفار وإيلام  
لهم ، قال : ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ أي : لو علموا ذلك لما آذوا المؤمنين ، وتقديم المجرور في  
قوله : ﴿ وَعَلَى رَبِّهِمْ ﴾ للاختصاص . ولم يبعث الله رسولا إلا ذكراً لقوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ  
قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا ﴾ ﴿ فَتَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾ أصحاب الكتب القديمة<sup>(٤)</sup> .

وقوله : ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ﴾ متعلق بفعل دل عليه ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا ﴾ أي : أرسلناهم  
بالبينات والكتب . وقيل : متعلق بـ ﴿ نُوحِي إِلَيْهِمْ ﴾ ، واحتج قوم منوعوا نسخ الكتاب بالسنة  
بهذه الآية ، فإنه جعله مبينا وليس المبطل مبينا ولا حجة فيه ؛ لأن النسخ بيان انتهاء مدة  
الحكم<sup>(٥)</sup> . التخوف : النقص قال الشاعر [ من البسيط ] :

(١) سورة القمر ، الآية (٤٤) .

(٢) ذكره النسفي في تفسيره (٣/ ١٥٣) عن ابن عباس - رضى الله عنهما - بلفظ: " من قال بالله فقد جهد يمينه " .

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٤ / ١٠٧) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٥ / ١٣١) لابن المنذر عن الشعبي .

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٤ / ١٠٨) عن مجاهد .

(٥) قال العلامة العيني في عمدة القاري (١ / ٢٤٧) : " قال الإمام فخر الدين الرازي : قطع الشافعي وأكثر أصحابنا وأهل الظاهر وأحمد في إحدى روايته بامتناع نسخ الكتاب بالسنة المتواترة ، وأجازه الجمهور ومالك وأبو حنيفة - رضى الله عنهم ... " ثم قال عن هذه الآية: " المراد بالتبيين : البيان ولا نسلم أن النسخ ليس ببيان فإنه بيان لانتهاء أمر الحكم الأول ولئن سلمنا أن النسخ ليس ببيان وأن المراد منه بيان العام والمجمل والمنسوخ وغيرهما لكن نسلم أن الآية تدل على امتناع كون القرآن ناسخا للسنة " .



تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَامِكًا قَرْدًا كَمَا تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفْنُ<sup>(١)</sup>

﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَيَنْفَعِيوْا ظِلُّهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾<sup>(٤٨)</sup> **وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ** ﴿٤٩﴾ **يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴿٥٠﴾

سجود الذين يعقلون بوضع الجبهة على الأرض ، وسجود ما لا يعقل بتفيؤ الظلال عن اليمين والشمال سجداً طائعين ﴿ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾ ذليلون خاضعون .

قوله : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾ قيل : فيه استعمال المشترك في معنييه ؛ لأن سجود الملائكة حقيقة ﴿ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ عن السجود له . ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ ﴾ أن يبعث عليهم عذاباً من فوقهم ﴿ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ فحذف الياء ووصل ( ١٠٠ / أ ) الفعل فصار ما يؤمرونه ، ثم حذف الضمير المنصوب وحذفه مطرد ؛ كقوله : ﴿ أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴾<sup>(٢)</sup> .

وقيل : إن " أمر " يتعدى إلى مفعولين والمفعول الثاني هو المضمرة ، ولا يحتاج إلى تقدير الباء . ومثل هذا في قوله [ من البسيط ] :

أمرتك الخيرَ فافعل ما أمرت به فقد تركتُك ذا مالٍ وذا نَسَبٍ<sup>(٣)</sup>

(١) البيت لابن مقبل أو لذي الرمة ، أو لزهير أو لأبي كبير الهذلي في وصف ناقة أنضاهما السير ، ينظر في : الأغاني للأصفهاني ( ٦ / ٨٢ ) ، تاج العروس للزبيدي ( خوف ) ، تفسير القرطبي ( ١٠ / ٩٩ ) ، روح المعاني للألوسي ( ١٤ / ١٥٢ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٦٠٨ ) ، لسان العرب ( خوف ) .

ويروى الشطر الأول : تخوف السير منها .....

والتخوف : التنقص شيئاً فشيئاً ، والتامك : السنام المرتفع ، والقرد : الذي أكله القراد من كثرة أسفارها ، أو الذي تنقب وفسد من كثرة السفر ، والنبعة : شجر تتخذ منه القسي ، والسفن : المبرد الحديد الذي ينحت به الخشب . والمعنى : تنقص رحلها سنامها المرتفع الذي تنقب وفسد من كثرة السفر كما تنقص المبرد عود النبعة .

(٢) سورة الفرقان ، الآية (٢٥) .

(٣) البيت لعمر بن معدي كرب . ينظر في : خزانة الأدب للبغدادي ( ٩ / ٢٢٤ ) ، ديوان عمرو بن معدي كرب ( ص : ٦٣ ) ، الكتاب لسيبويه ( ١ / ٣٧ ) ، وينسب أيضاً لخفاف ابن ندبة في ديوانه ( ص : ١٢٩ ) ، وكذلك ينسب للعباس بن مرداس في ديوانه ( ص : ١٣١ ) ، وبلا نسبة في : الأشباه والنظائر للسيوطي ( ٤ / ١٦ ) ، شرح شذور الذهب لابن هشام ( ص : ٩٤ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٥٩٠ ) ، المحتسب لابن جني ( ١ / ٦١ ) ، المقتضب للمبرد ( ٢ / ٣٦ ، ٨٣ ) ، همع الهوامع للسيوطي ( ٣ / ١١ ) والشاهد فيه : النصب على حذف حرف الجر ، وأصله : " أمرتك بالخير " فلما حذف الجار انتصب " الخير " .

﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارَهُبُونَ ﴾ (٥١) وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
 وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴾ (٥٢) وَمَا يَكُومُ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ ﴿٥٣﴾  
 ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَانِنَاهُمْ فَمَتَّعُوا فَسَوْفَ  
 تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَشَتَّى لِمَا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾

قد ينهى الإنسان ولده عن صحبة فاسقين ، ويزيد مع ذلك النهي عن كل واحد ، ويجوز أن ينهاه عن الجمع بينهما ، وأن ينهاه عن الانفراد بصحبة أحدهما فنهاء هاهنا عن اتخاذ اثنين لا عن كل واحد منهما ، فإن الله وحده لا ينهى من عبده وأفرده بالوحدانية ، فلهذا قال : ﴿ إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ ليبين أن المنهى اتخاذ اثنين ﴿ فَإِنِّي ﴾ ارهبوا ﴿ فَارَهُبُونَ ﴾ وقد اشتغلت ﴿ فَارَهُبُونَ ﴾ بضميرها . قوله : ﴿ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا ﴾ أي : دائماً ، ومنه قوله : ﴿ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴾ (١) .

قوله : ﴿ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ ﴾ هذه الفاء في ﴿ فَإِلَيْهِ ﴾ جواب إذا ، وقوله : ﴿ ثُمَّ ﴾ دليل على استبعاد ما فعلوه من اعتقاد الشريك ؛ لأن الله وحده هو المتفرد بسائر وجوه الإنعام ، ولفظة ﴿ ثُمَّ ﴾ دليل عليه ؛ كقوله : ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٢) ﴿ يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللَّهِ تُنَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ ﴾ (٣) وقول الشاعر [ من الطويل ] :

ولا يكشفُ العَمَاءُ إلا ابنُ حُرَّةٍ يرى غمراتِ الموتِ ثم يزورها (٤)

﴿ إِذَا فَرِيقٌ ﴾ إذا للمفاجأة وهي جواب لـ ﴿ إِذَا ﴾ الشرطية ﴿ لِيَكْفُرُوا ﴾ اللام لام الأمر وهو تهديد كقوله : ﴿ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾ (٥) ﴿ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ إلهيته أو شركته ﴿ نَصِيبًا ﴾ من

(١) سورة الصافات ، الآية ( ٩ ) .

(٢) سورة البقرة ، الآية ( ٢٨ ) وفي الأصل " ثم إليه تجارون " وليست هذه آية ، ولعل ما أثبتناه هو الصواب .

(٣) سورة الجاثية ، الآية ( ٨ ) .

(٤) تقدم تخريجه في سورة يونس ، الآية ( ٥١ ) .

(٥) سورة فصلت ، الآية ( ٤٠ ) .

حروثهم وأنعامهم، وشرح ذلك في سورة الأنعام<sup>(١)</sup>. وقيل في القسم بالتاء في ﴿تَأْتِيهِمْ﴾ إنها لا تقع إلا فيما يتعجب من المقسم عليه ؛ كقوله : ﴿وَتَأْتِيهِمْ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾<sup>(٢)</sup> تعجب كيف تيسر له كسر أصنام الملك مع عظمة سلطانه وضعف حال النمرود.

﴿وَجَعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾<sup>(٥٧)</sup> وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَرَّى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يَوَازِئُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَفْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾

قوله : ﴿وَجَعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾ هو كقوله : ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾<sup>(٣)</sup> ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ إِنثًا﴾<sup>(٤)</sup> وليس بمعنى التصيير ؛ لأن الملائكة ما صاروا إناثا ولا صار لله البنات ! ﴿وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ من الذكور أي : يجعلون ذلك لأنفسهم .

قوله : ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ﴾ يجوز أن يكون تهكما ؛ كقوله ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾<sup>(٥)</sup> لأن ولادة الأنثى للرجل لا يبشر بها ، ويجوز أن تكون البشارة بسلامة الأم وولادة الأنثى تامة الخلق فتكون البشارة على بابها . ﴿ظَلَّ﴾ أي : صار نهاراً وزعم الزمخشري<sup>(٦)</sup> أن أكثر الولادة يقع ليلاً فيحصل التبشير بها نهاراً .

﴿كَظِيمٌ﴾ مملوء غضباً وأصل الكظام الخيط الذي ( ١٠٠ / ب ) تشد به القربة ، شبه من امتلأ غضباً . كظيم بمعنى مكظوم . ﴿يَتَوَرَّى﴾ يتستر يتروى ﴿أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ﴾ ترعى الإبل ، أم يدفنها بالحياة ؟! ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّءِ﴾ هذا كما يرد على

(١) سورة الأنعام ، الآية ( ١٣٦ ) .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية ( ٥٧ ) .

(٣) سورة الزخرف ، الآية ( ١٥ ) .

(٤) سورة الزخرف ، الآية ( ١٩ ) .

(٥) سورة آل عمران ، الآية ( ٢١ ) .

(٦) ينظر : الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٦١٢ ) .

الشاتم شتمه فيقال : جعلت لله الأدنى ، وجعلت لنفسك الأعلى ، بل لك مثل السوء والله المثل الأعلى . ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ ﴾ أتى بعد ﴿ لَوْ ﴾ بالفعل المضارع ليدل على تكرار عدم المؤاخذة ، والهاء في ﴿ عَلَيَّهَا ﴾ تعود على الأرض ، ولم يجر لها ذكر فيما قرب ؛ لأنه مفهوم من السياق ؛ كقوله : ﴿ حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾<sup>(١)</sup> يعني : الشمس ، وكذا قول الشاعر [ من الكامل ] :

حَتَّى إِذَا أَلْقَتْ يَدًا فِي كَافِرٍ وَأَجْنٌ عَوْرَاتِ الثُّغُورِ ظَلَامُهَا<sup>(٢)</sup>

أراد الشمس . والكافر : البحر . وكان بعضهم يقف على قوله : ﴿ يَسْتَخِرُونَ سَاعَةً ﴾ ويجعل قوله : ﴿ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ مستأنفاً قال : لأنه إذا جاء الأجل يستحيل الاستقدام عنه بعد أن يجيء ولا يستحيل التأخير ، وجوابه : أن جعله أجلاً مانعاً من التقدم والتأخر معاً<sup>(٣)</sup> .

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جُرْمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ ﴾<sup>(٦٢)</sup> تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ<sup>(٦٣)</sup> وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ<sup>(٦٤)</sup> وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ<sup>(٦٥)</sup> وَإِنَّ لَكُم مِّن فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ<sup>(٦٦)</sup> وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ لَتُخَذُونَ مِنْهُ سَكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ<sup>(٦٧)</sup> ﴿

﴿ مَا يَكْرَهُونَ ﴾ من البنات ﴿ وَتَصِفُ ﴾ أي : وتحكي . قرئ ﴿ الْكُذِبُ ﴾ بضم الكاف والذال ورفع الباء جمع كذوب ، كصبور وصبر وغبور وغبور ، ويكون ﴿ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى ﴾ هو المفعول ، وعلي القراءة المشهورة ﴿ الْكُذِبَ ﴾ بالنصب<sup>(٤)</sup> مفعول ، و﴿ أَنَّ لَهُمُ

(١) سورة ص ، الآية ( ٣٢ ) .

(٢) البيت للبيد ، ينظر في : تاج العروس ( كفر ) ، ديوان لبيد ( ص : ٣١٦ ) ، غريب الحديث لابن قتيبة ( ٢٤٧ / ١ ) ، مقاييس اللغة لابن فارس ( ١٩١ / ٥ ) ، لسان العرب ( كفر - يدي ) وقوله : أَلْقَتْ يَدًا فِي كَافِرٍ أَي : دخل أولها في الغور . أو بدأت في المغيب ، ويحتمل أن يكون أراد الليل ، أي : بدأت الشمس في المغيب . وأجن : ستر .

(٣) ينظر : منار الهدى في بيان الوقف والابتداء للأشموني ( ص : ٢١٧ ) .

(٤) قرأ بها ابن عباس وأبو العالية ومجاهد وابن محيصن . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان =

الْحُسْنَى ﴿١﴾ بدل منه ﴿لَا جُرْمَ﴾ مضى في سورة هود<sup>(١)</sup> ﴿وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾ بكسر الراء متجاوزون الحد ، وافتحها<sup>(٢)</sup> مقدمون إلى النار. ﴿تَاللَّهِ﴾ يمين مع تعجب ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ للبيان والهدى والرحمة . ومن قرأ ﴿تُسْقِيكُمْ﴾ فهو من سقاه إذا أعطاه شيئاً يشربه، ومن ضم النون<sup>(٣)</sup> ، فهو من أسقاه إذا جعل له شرباً. وسئل بعضهم عن التوبة الخالصة فقال: هي كما ترى اللبن خالصاً من الفرث والدم لا ترى فيه منهما أثراً.

﴿سَكْرًا﴾ وصف لفعالهم واتخاذهم ، فلا يدل على حِلِّ ولا حرمة . وقيل: يدل على الحِلِّ لأن سورة النحل مكية والخمر إنما حرمت بالمدينة فيكون تحليلها من قبل مدلولاً عليه بالكتاب.

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يُوَفِّقُكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَوَّلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعِزَّةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرِزْقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ﴿ضَرْبَ اللَّهِ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرْبَ اللَّهِ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ

= (٢٠/٦) ، تفسير القرطبي (١٠ / ١٢١) ، الدرالمصون للسمين الحلبي (٤ / ٣٣٩) ،

الكشاف للزمخشري (٢ / ٦١٤) ، المحتسب لابن جني (٢ / ١١) .

(١) سورة هود ، الآية (٢٢) .

(٢) قرأ نافع وحده " مُفْرَطُونَ " بكسر الراء ، وقرأ الباقر " مُفْرَطُونَ " بفتح الراء .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٢٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٤ / ٣٤٠) ،

السبعة لابن مجاهد (ص : ٣٧٤) ، الكشاف للزمخشري (٢ / ٦١٤) .

(٣) قرأ نافع وابن عامر وأبو بكر عن عاصم " تُسْقِيكُمْ " بفتح النون ، وقرأ الباقر " تُسْقِيكُمْ " بضم

بضم النون . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٥ / ٥٠٧) ، الدر المصون للسمين الحلبي

(٤ / ٣٤١) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٣٧٤) ، الكشاف للزمخشري (٢ / ٦١٥) .

أَحَدُهُمَا أَبَئَكُمْ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ ﴾ ألهما ، فصارت كالمخاطبة بقوله : ﴿ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ﴾ ﴿ فَاسْأَلِي ﴾ ويسر الله عليها سلوك الأماكن البعيدة والهداية إلى أماكنها بعد بعدها عنها وهو قوله : ﴿ فَاسْأَلِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ﴾ أي : مسيرة مسهلة من قولهم : دابة ذلول ﴿ فِيهِ شِفَاءٌ ﴾ ولم يقل فيه الشفاء ؛ لأن فيه شفاء بعض الأمراض دون بعض<sup>(١)</sup> .

وأرذل العمر : الهرم ( ١٠١ / أ ) وهو أن يصير كثير النسيان ، وتضعف قواه التي في بدنه كلها ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ﴾ فكما لا يشارك العبيد مواليتهم في أرزاقهم كذلك لا يشارك الصنم الذي هو مثل العبد مولاه في ذلك ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ أي : من جنسكم . الحفدة : هم الذين يسرعون في المشي حول كبيرهم ؛ لأن خطاهم قصيرة ، وخطى مواليتهم طويلة ، فيحتاج الحفدة إلى الإسراع ، ومنه ما جاء في القنوت : " وإليك نسعى ونحفد " <sup>(٢)</sup> ﴿ رِزْقًا ﴾ عامل فيه ﴿ شَيْئًا ﴾ ومثله ﴿ قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴾ ﴿ رَسُولًا ﴾ <sup>(٣)</sup> .

﴿ فَلَا تَضُرُّوهُ بِالْمَثَالِ ﴾ أي : لا تجعلوا له الأشباه . وحذف مفعول ﴿ يَعْلَمُ ﴾ و﴿ تَعْلَمُونَ ﴾ لأن المراد المصدر وثبوتة لله ونفيه عن الخلق ؛ كقوله : ﴿ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ <sup>(٤)</sup> ﴿ عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ هذه الجملة الأخيرة سيقت للذم ؛ كقوله : ﴿ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ <sup>(٥)</sup> ليس المراد تخصيص شيطان رجيم عن آخر ليس برجيم ، فالعبد لا يملك شيئاً عند الشافعي ، وقال مالك : المراد تمييز هذا العبد عن عبد يملك <sup>(٦)</sup> ﴿ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ ﴾ على من يخدمه ﴿ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ﴾ لا يستطيعه .

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ

(١) تقدم التعليق على ذلك عند تفسير سورة البقرة ، الآية ( ١٧٩ ) .

(٢) تقدم تخريجه في سورة يوسف ، الآية ( ١٨ ) .

(٣) سورة الطلاق ، الآية ( ١٠ ) .

(٤) سورة آل عمران ، الآية ( ١٥٦ ) .

(٥) سورة آل عمران ، الآية ( ٣٦ ) .

(٦) ينظر : الأم للشافعي ( ٥ / ٦٩ ) ، بدائع الصنائع للكاساني ( ٢ / ٤٩١ ) ، المغني لابن قدامة

عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ  
السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ  
السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن  
يُوتِيَكُم سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ  
وَمِنَ اصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئَةً إِلَى حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِمَّا خَلَقَ  
ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُم سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ  
تَقِيكُم بِأَسْخَمَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ  
الْبَلِغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ  
نَبَعْتُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ  
ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ  
قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُونَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِن دُونِكَ ۗ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُم  
لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَالْقَوْلُ إِلَى اللَّهِ بِيَوْمِذِ السَّلَامِ ۗ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ الَّذِينَ  
كَفَرُوا وَصَدَّوْا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ  
نَبَعْتُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۗ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ ۗ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ  
الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ  
وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۗ يَعِظُكُم  
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ  
تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۖ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ ۞

﴿ غَيْبُ السَّمَوَاتِ ﴾ علم ما فات فيهما . ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ ﴾ أفرد السمع  
وجمع الأبصار وقد ذكر ذلك في أول البقرة <sup>(١)</sup> . ﴿ الطَّيْرِ ﴾ اسم للجنس ، وواحدها طائر  
﴿ أَكْنَانًا ﴾ جمع كن ، وهو ما بقي من الحر والبرد ﴿ سَرَابِيلَ ﴾ جمع سربال . ﴿ تَقِيكُمُ  
الْحَرَّ ﴾ ولم يذكر البرد إما اكتفاء بأحد القسمين عن الآخر ، وإما لأن وقايتها من البرد أتم  
فجعل ذلك كقوله : ﴿ فَلَا تَقُلْ هُمَا أَفِي ﴾ <sup>(٢)</sup> وإما لأن بلاد العرب بلاد حارة فاحتياجهم إلى  
ما يدفع الحر أكثر ، والبأس : الحرب ، والمراد تقيكم شر ما يتقابل به في الحرب ﴿ ثُمَّ

(١) سورة البقرة ، الآية (٧) .

(٢) سورة الإسراء ، الآية (٢٣) .

يُنْكِرُونَهَا ﴿ كَقَوْلِهِ : ﴿ ثُمَّ يُصِرُّ مُنْتَكِرًا ﴾ <sup>(١)</sup> وقد ذكر من كل أمة شهيدا نبيا ﴿ ثُمَّ لَا يُؤْذِنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ في الاعتذار ﴿ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ فلا يطلب العتبي . أنكرت الأصنام أن يكون عبدتها قد عبدوها ؛ لأنها لم تعقل العبادة ﴿ أَلَسَلَّم ﴾ الاستسلام والانقياد . ﴿ زِدْنَهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ ﴾ وهو عذاب الإضلال ﴿ تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ يحتاج إليه العباد ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ﴾ هي النصفة ﴿ وَالْإِحْسَانِ ﴾ الزيادة على الإنصاف . ﴿ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى ﴾ صلة الرحم . ﴿ الْفَحْشَاءِ ﴾ كل ما قبح من المعاصي ، كالزنى في رمضان في الحرم . ﴿ وَالْمُنْكَرِ ﴾ كل ما ينكره العقل والشرع . ﴿ وَالْبَغْيِ ﴾ مجاوزة ( ١٠١ / ب ) الحد ، وأكثر ما يستعمل في مظالم العباد . ﴿ يَعِظُكُمْ ﴾ بذلك .

قوله : ﴿ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ يجوز أن يخرج مخرج الغالب ، فإن أيمان العهود يستظهر فيها بزيادة استثبات ، ويجوز أن توكيده تقويتها وتثبيتها . الواو في ﴿ وَقَدْ ﴾ واو الحال .

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبُلُوكُمْ اللَّهُ بِهِءً وَلِيَبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلِتُسَلِّنَ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَزَلَ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾

مثل حالهم في نقض العهد بمن نقضت غزلها من بعد إتمامه . وقد قيل : إنها امرأة حمقاء كانت تغزل ، وتغزل جواربها ثم تنقضه <sup>(٢)</sup> ، ولا يتعلق فرض بوجود تلك المرأة ، بل قد يمثل

(١) سورة الجاثية ، الآية ( ٨ ) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ١٤ / ١٦٦ ) ، وذكر الفراء في معاني القرآن ( ٢ / ١١٣ ) أن اسمها ربيعة ، وذكر العيني في عمدة القاري ( ١٩ / ١٧ ) عن مقاتل في تفسيره أن هذه المرأة قرشية اسمها ربيعة بنت عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة وتلقب جعرانة لحمقها ، وذكر السهيلي أنها بنت سعد بن زيد مناة بن تميم بن مرة وقال الثعلبي : « كانت اتخذت مغزلا بقدر =



بما لا يقع في الخارج ، كما يفرض في مسائل الخلطة ومسائل الفداء ، وهذه مسائل ليست واقعة في الخارج ، كقولك : ثلاثون جدّة وأربعون أخاً لأم وأشباهاها .

﴿ أَنْ تَكُونَ أُمَّةً ﴾ أي : لأن ، يريد أنكم إذا عاهدتم قوماً ثم رأيتم مخالفة غيرهم ، وترك الأولين لكثرة الآخرين وقوتهم . ﴿ أَرَبِيٍّ مِنْ أُمَّةٍ ﴾ أكثر به <sup>(١)</sup> أسباب مخالفة الآخرين .

شبه الثابت بما حلف عليه بمن استقرت قدمه فلم تزل عما اعتمدت عليه ، وهذا اللفظ بعموم يشمل من زلت قدمه في الأيمان وفي غيرها من الأعمال . ﴿ بِمَا صَدَدْتُمْ ﴾ بصدكم ويجوز أن يكون ( بصدكم ) غيركم ، أو بصدكم أنفسكم . وقال الفقهاء في تمييز الثمن عن المثلث ثلاثة أوجه : أحدها : دخول الباء فإذا قال : اشترت الجارية بالعبد ، فالعبد ثمن ، ولو قال : اشترت العبد بالجارية ، فالجارية ثمن ، ولو قال : اشترت الذهب بالجارية فالجارية ثمن والذهب مثلث ، والثاني : إن كان في العقد نقد فهو الثمن سواء أدخلت عليه أو على قسيمه . والثالث : إن كان فيه نقد فهو الثمن ، وإن لم يكن فيه نقد فلا ثمن فيه . واعلم أن كثيراً من آيات القرآن تدل على خلاف القول الأول ، ومنها : هذه الآية <sup>(٢)</sup> . وقوله : ﴿ وَأَشْتَرُوا بِهِ ثَمناً قليلاً فبئس ما يشترون ﴾ <sup>(٣)</sup> ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمناً ﴾ <sup>(٤)</sup> .

روي أن أم سلمة قالت : يا رسول الله لو كان في النساء خير لذكرن في القرآن كما ذكر الرجال ، فنزل بعد ذلك ﴿ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى ﴾ <sup>(٥)</sup> ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى ﴾ <sup>(٦)</sup> .

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً ﴾ قيل في الجنة .

= ذراع وسنارة مثل الإصبع وفلكة عظيمة على قدرهما تغزل الغزل من الصوف والوبر والشعر وتأمّر جواربها بذلك وكن يغزلن إلى نصف النهار ثم تأمرهن بنقض جميع ذلك فهذا كان دأبها .

(١) بعدها بياض بالأصل وفي النكت والعيون للماوردي ( ٢ / ٤١٠ ) أي : أكثر عدداً وأزيد مالا فتطلب بالكثرة أن تغدر بالأقل بأن تستبدل بعهد الأقل عهد الأكثر .

(٢) تقدم الحديث عن باء الثمنية في سورة التوبة ، الآية ( ٩ ) .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ( ١٨٧ ) .

(٤) سورة آل عمران ، الآية ( ٧٧ ) .

(٥) سورة آل عمران ، الآية ( ١٩٥ ) .

(٦) سورة النساء ، الآية ( ١٢٤ ) والحديث تقدم تخريجه في سورة آل عمران ، الآية ( ١٩٥ ) .

وقيل : يرزقه القناعة فلا يضيق صدره لضيق ذات اليد . وقيل : الرضا بالقضاء .

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَنٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَاتٍ آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ﴾ أي : أردت أن تقرأ ، وعلل ذلك بعدم سلطنته ( ١٠٢ / أ ) على المؤمنين المتوكلين ، وحصر سلطانه على من يتولى الشيطان والذين هم به مشركون . كان الكفار يكفرون بما نسخ ويعتقدون أنه بُدِّل ، فنزلت ﴿ وَإِذَا بَدَلْنَا ﴾ (١) .

وقوله : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ ﴾ يوافق ما قاله أهل علم البيان ﴿ إِنَّمَا ﴾ تدخل على الجملة التي لا ينكرها السامع ، فقوله : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ ﴾ هو عندهم من قبيل الأمر المحقق الذي لا نزاع فيه . وقوله : ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ إنما ذكر الأكثر ؛ لأن بعضهم كان معانداً . ﴿ رُوحُ الْقُدُسِ ﴾ روح الطهارة ، كان النبي ﷺ يجلس إلى جبر ويسار وكانا نصرانيين فسمع منهما بعض ما عندهما ، فقال الله - تعالى - حكاية عن الكفار : ﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ﴾ وأجاب عنه أن المذكورين غلف الألسنة (٢) . وإعجاز القرآن إنما هو بفصاحته (٣) .

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ١٤ / ١٧٤ ) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٥ / ١٦٧ ) لابن أبي حاتم عن السدي .

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون ( ٢ / ٤١٣ ) ونسبه لحصين بن عبد الله بن مسلم .

(٣) قال البيهقي في كتاب الاعتقاد ( ١ / ٢٥٩ ) : " واختلف أهل العلم في إعجاز القرآن منهم من قال : إعجازه من جهة البلاغة وحسن اللفظ دون النظم . ومنهم من قال : إعجازه في نظمه دون لفظه فإن العرب قد تكلمت بألفاظه . ومنهم من قال : إعجازه في إخباره عن الحوادث وإنذاره بالكوائن في مستقبل الزمان ووقوعها على الصفة التي أنبأ عنها . ومنهم من قال : إعجازه في أن الله أعجز الناس عن الإتيان بمثله وصرف الهمم عن معارضته مع وقوع التحدي وتوفير الدواعي إليه لتكون آية للنبوة وعلامة لصدقه في دعواه . وقد ذهب بعض العلماء إلى إثبات الإعجاز للقرآن من جميع هذه الوجوه ولا معنى لقول من زعم أن الإعجاز في لفظه لأن الألفاظ =

﴿ يَلْحَدُوثٌ ﴾ يميلون. ﴿ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ ﴾ للنظر في الآيات والأعمال الصالحات.

﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ (١٠٥)

مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جُرْمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَنَّهُدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾ ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ مُجَدِلٌ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوْفَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (١١١)

﴿ يَفْتَرِي الْكَذِبَ ﴾ يقتطعه ويختلقه ، أولئك هم الكاملون في الكذب . ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ ﴾ منشرح القلب بكفره ﴿ فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ ﴾ والشرط الثاني وهو قوله : ﴿ مَنْ شَرَحَ ﴾ مخصص لعموم الأول وهو قوله : ﴿ مَنْ كَفَرَ ﴾ ولهذا اتحد جوابهما .

﴿ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ أي : مطلوباتها على مطلوبات الحياة الآخرة ، وبسبب أن الله لا يهدي ﴿ الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ . وحد السمع وجمع الأبصار والقلوب وقد ذكر ذلك (١) .

= مستعملة في كلام العرب ومتداولة في خطابها لأن البلاغة ليست في أعيان الأسماء ومفرد الألفاظ وحسب دون أن تكون هذه الأوضاع معتبرة بمحالتها ومواضعها المصرفة إليها والمستعملة فيها " .

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ( ٦ / ٥٨٢ ) : " ووجه إعجاز القرآن من جهة حسن تأليفه والتتام كلماته وفصاحته وإيجازه في مقام الإيجاز ، وبلاغته ظاهرة جداً مع ما انضم إلى ذلك من حسن نظمه وغرابة أسلوبه مع كونه على خلاف قواعد النظم والنثر هذا إلى ما اشتمل عليه من الإخبار بالمغيبات مما وقع من أخبار الأمم الماضية مما كان لا يعلمه إلا أفراد من أهل الكتاب ولم يعلم أن النبي ﷺ اجتمع بأحد منهم ولا أخذ عنهم وبما سيقع فوقه على وفق ما أخبر به في زمنه ﷺ وبعده هذا مع الهيبة التي تقع عند تلاوته والخشية التي تلحق سامعه وعدم دخول الملل والسامة على قارئه وسامعه مع تيسر حفظه لتعليمه وتسهيل سرده لتاليه ولا ينكر شيئاً من ذلك إلا جاهل أو معاند ولهذا أطلق الأئمة أن أعظم معجزات النبي ﷺ القرآن ومن أظهر معجزات القرآن إبقاؤه مع استمرار الإعجاز وأشهر ذلك تحديه اليهود أن يتمنوا الموت فلم يقع ممن سلف منهم ولا خلف من تصدى لذلك ولا أقدم مع شدة عداوتهم لهذا الدين وحرصهم على إفساده والصد عنه فكان في ذلك أوضح معجزة " .

(١) في سورة البقرة ، الآية ( ٧ ) .

﴿ الْغَافِلُونَ ﴾ الكاملون في الغفلة . ﴿ لَا جُرْمَ ﴾ قد ذكر<sup>(١)</sup> . ﴿ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنَّا بَعْدَ مَا قُتِلُوا ﴾ من بعد ما صبروا على أذى المشركين وعقوبتهم وسبهم لهم ، ثم لما فرض الجهاد جاهدوا وصبروا على القتال .

قال ابن عباس : يختصم يوم القيامة الروح والجسد فتقول الروح : يا رب إن هذا الجسد استعمل فطرتي في ملاذّه من المأكّل والمشرب والملبس والجاه ولما فارقته لم أعص ، فيقول الجسد : رب إن هذه الروح استعملتني فيما أردتته ، ولما فارقتها لم أعص ، فيقول الله - تعالى - لهما : مثلكما كمثّل أعمى ومقعد دخلا حائطاً ، فالأعمى لا يبصر الثمر ، والمقعد لا يصل إليها فحمل الأعمى المقعد وأخذوا وأكلا ، العقوبة عليكما<sup>(٢)</sup> .

وقوله : ﴿ عَنْ نَفْسِهَا ﴾ أي : عن ذاتها ، ولم يرد أن للنفس نفساً .

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنَّ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ؕ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ

(١) في سورة هود ، الآية ( ٢٢ ) .

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ( ٤ / ٥٤ ) ونسبه لابن منده في كتاب الروح عن ابن عباس . ورواه محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني في كتاب " الإيمان " ( ص : ١٣٤ ) عن عكرمة عن ابن عباس ولفظه : " ما زالت الخصومة بين الناس يوم القيامة حتى خاصم الروح الجسد فقال الجسد : يا رب إنما كنت مثل الخشبة النخرة ليس لي يدٌ أبطش بها ولا عينٌ أبصر بها ولا أذنٌ أسمع بها ولا رجلٌ أمشي بها ولا عقلٌ أعقل به حتى جاء هذا فدخل في فتجني منه وخلد عليه العذاب اليوم . وقال الروح : يا رب منك الروح وأنت خلقتته إنما كنت كالشهاب لم يكن لي يدٌ أبطش بها ولا عينٌ أبصر بها ولا أذنٌ أسمع بها ولا رجلٌ أمشي بها ولا عقلٌ أعقل به حتى جئت فدخلت في هذا الجسد فخلد عليه العذاب ونجني منه اليوم . فقيل : يضرب لكما مثل مثلكما كمثّل أعمى ومقعد دخلا حائطاً دانية ثمارها فالأعمى لا يبصر الثمار فيتناول منها والمقعد يبصرها ولا ينالها فدعى المقعد الأعمى فقال : احملني حتى أسدّدك فأكل وأطعمك . فحمله وسدده فأدركا وهما كذلك فعلى أيهما يقع العذاب قال : عليهما جميعاً . قال فالعذاب عليهما " .

غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّرُوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَتْ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ أَجْتَبَنَاهُ وَهَدَيْنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنَّ عَاقِبَتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً ﴾ يعني مكة . ﴿ يُجِئُ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ فإن قيل: اللباس لا يذاق ، فكيف قال: ﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسٍ ﴾ قلنا: استعار للإحساس (١٠٢/ب) الذوق ، ولشمول العذاب اللباس ، فكأنه قال: فأصابها من الجوع والخوف ما شملها ؛ وأراد بالجوع القحط بدعائه ﷺ . ﴿ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ تهيج ﴿ وَاللِّمَّ ﴾ أي: المسفوح ﴿ وَلَحْمَ الْخِزْيِرِ ﴾ وسائر أجزاء الخنزير ، وأصل الخنزير<sup>(١)</sup> . وأصل الإهلال: رفع الصوت، وكانوا إذا ذبحوا للأصنام رفعوا أصواتهم بذكر الصوت ﴿ عَثْرَبَاغٍ ﴾ على إمامه . ﴿ وَلَا عَادٍ ﴾ حد الشبع أو حد ما يسد الرمق على اختلاف العلماء فيه . ﴿ لِنَفْتَرُوا ﴾ يشبه أن تكون لام العاقبة، ويجوز أن يكونوا فعلوا ذلك وتعمدوا الكذب على الله ﴿ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ﴾ أي: تمتعهم . ﴿ مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي: في سورة الأنعام<sup>(٢)</sup> . ﴿ بِجَهَالَةٍ ﴾ بجرأة وجهل بمقدار من عصوه، وليس المراد الجهل الذي هو ضد العلم، وهو كقول الشاعر [ من الوافر]:

(١) تقدم الكلام على ذلك عند تفسير سورة البقرة ، الآية ( ١٧٣ ) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية ( ١٤٦ ) .

ألا لا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَجَهْلٌ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ<sup>(١)</sup>

الامة : الرجل المتفرد بالدين ، كذلك كان قس بن ساعدة ، فقال ﷺ : " إنه يُبعثُ يومَ القيامةِ أمةٌ وحدهُ " <sup>(٢)</sup> . وقيل : كان يرفع من أعماله كعمل أمة .

﴿وَأَتَيْنَهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ وهو أن جميع أرباب الملل يدعونه ، ثم هاهنا ما هو أعظم من ذلك وهو أنا أمرناك باتباعه . ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ كما زعم الكفار ، فصوروا صورة إبراهيم وإسماعيل صنمين في الكعبة ، وفي أيديهما الأزام يقتسمان بها ، حتى أخرجها النبي ﷺ <sup>(٣)</sup> . ﴿الَسَّبْتُ﴾ مصدر ، سبت اليهود إذا عظمت سبتها ﴿وَجَدِلْتُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ نسختها آية القتال . ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا﴾ نزلت في شأن حمزة لما رآه رسول الله ﷺ قد مثل بأحد ، وقطعوا مذاكيره وأذنيه وشقوا بطنه ، فقال النبي ﷺ : " لئن ظفرتني الله بهم لأمثلن بسبعين منهم " <sup>(٤)</sup> فعزاه بذلك وأمره بالصبر . والله أعلم .

\* \* \*

(١) تقدم تخريجه عند تفسير سورة النساء ، الآية ( ١٧ ) .

(٢) رواه أحمد في المسند ( ١ / ١٨٩ ، ١٩٠ ) ، والحاكم في المستدرک ( ٣ / ٤٤٠ ) ، عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل .

(٣) رواه البخاري رقم ( ١٥٢٤ ) .

(٤) رواه الحاكم في المستدرک ( ٣ / ١٩٧ ) ، والواحدي في أسباب النزول ( ٢٩٠ ، ٢٩١ ) رقم ( ٥٧١ ، ٥٧٢ ) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٤ / ١٣٥ ) وعزاه لابن سعد وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن أبي هريرة وفي سننه صالح بن بشير المري وهو ضعيف كما قال الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب ( ١ / ٣٥٨ ) ، وسكت عنه الحاكم ، وقال الذهبي في تلخيص المستدرک ( ٣ / ١٩٧ ) : صالح وإ .

## سورة سبحان (الإسراء) [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾

سرى وأسرى بمعنى واحد ، ولهذا جمع بين التعديّة بالباء وبين نفسه ، وفي قوله : ﴿بِعَبْدِهِ﴾ دليل على أنه أسرى بجسده ، إذ لا يطلق على الروح اسم العبد<sup>(١)</sup> . (١٠٣ / ١)

(١) قال القاضي عياض : اختلفوا في الإسراء إلى السماوات؛ فقيل : إنه في المنام. والحق الذي عليه الجمهور: أنه أسرى بجسده. قلت: اختلفوا فيه على ثلاث مقالات؛ فذهبت طائفة إلى أنه كان في المنام مع اتفاقهم أن رؤيا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وحيٌ وحقٌّ، وإلى هذا ذهب معاوية وحكي عن الحسن، والمشهور عنه خلافة، واحتجوا في ذلك بما روي عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - : «ما فقد جسد رسول الله ﷺ» ويقول: «بينا أنا نائم». ويقول أنس: «وهو نائم في المسجد الحرام...» وذكر القصة، وقال في آخرها: «فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام» وذهب معظم السلف إلى أنه كان بجسده وفي اليقظة، وهذا هو الحق، وهو قول ابن عباس فيما صححه الحاكم، وعدد في الشفاء عشرين نفساً قال بذلك من الصحابة والتابعين وأتباعهم، وهو قول أكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمفسرين والمتكلمين، وذهبت طائفة إلى أن الإسراء بالجسد يقظة إلى بيت المقدس وإلى السماء بالروح، والصحيح أنه أسرى بالجسد والروح في القصة كلها، وعليه يدل قوله - تعالى - ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء] إذ لو كان مناماً لقال: بروح عبده. ولم يقل: بعبده. ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند الاستحالة، وليس في الإسراء بجسده وحال يقظته استحالة. وقال الطبري: «والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله أسرى بعبده محمد من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى كما أخبر الله عباده، وكما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله، أن الله حمله على البراق حين أتاه به وصلى هنالك بمن صلى من الأنبياء والرسل فأراه ما أراه من الآيات، ولا معنى لقول من قال: أسرى بروحه دون جسده. لأن ذلك لو كان كذلك لم يكن فيه ما يوجب أن يكون دليلاً على نبوته، ولا حجة له على رسالته، ولا كان الذين أنكروا حقيقة ذلك من أهل الشرك وكانوا يدفعون به عن صدقه فيه؛ إذ لم يكن منكراً عندهم ولا عند أحد من ذوي الفطرة الصحيحة من بني آدم أن يرى الرائي منهم في المنام ما على مسيرة سنة فكيف ما هو على مسيرة شهر أو أقل، وبعد، فإن الله إنما أخبر في كتابه أنه أسرى بعبده، ولم يخبرنا أنه أسرى بروح عبده، وليس جائزاً لأحد أن يتعدى ما قال الله إلى غيره.»

وذكر الليل : لأنه أراد بعض الليل . ﴿ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ من بيت أم هانئ أخت علي ابن أبي طالب <sup>(١)</sup> . ﴿ الَّذِي بَنَرْنَا حَوْلَهُ ﴾ بكثرة المياه والأشجار . وقوله : ﴿ مِنْ آيَاتِنَا ﴾ سد مسد المفعول ، أي : بعض آياتنا . ﴿ ذُرِّيَّةً مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾ من أولاده : سام وحام ويافث ؛ لقوله : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لُفْسِدُنَ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلِتَعْلَنَ اُعْلُوا كَبِيرًا ﴾ <sup>(٤)</sup> فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا <sup>(٥)</sup> ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا <sup>(٦)</sup> إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْسُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرُوا مَا عَلِمُوا تَنْبِيرًا <sup>(٧)</sup> عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدتْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا <sup>(٨)</sup> إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا <sup>(٩)</sup> وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا <sup>(١٠)</sup> وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا <sup>(١١)</sup> وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَحَوْنًا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِيَتَّبِعُوا فِضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَضْلُنَا تَفْصِيلًا <sup>(١٢)</sup> ﴿

﴿ وَقَضَيْنَا ﴾ أعلمنا ووصينا ﴿ فِي الْكِتَابِ ﴾ في التوراة <sup>(٣)</sup> ﴿ وَعْدٌ ﴾ عقوبة المرة الأولى ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ ﴾ بختنصر وأصحابه . ﴿ فَجَاسُوا ﴾ أفسدوا ﴿ خِلَالَ الدِّيَارِ ﴾ بينها ، وكان الوعد بإفسادهم ﴿ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴾ .

قيل : النفير جمع نافر ، أي : إذا نفرتم لحرب كنتم عدداً كثيراً أكثر من عدوكم ، قال علي <sup>(١)</sup> : " والله ما أحسنتُ إلى أحدٍ قط ولا أسأتُ إلى أحدٍ ثم تلا ﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ ﴾

= ينظر : تفسير الطبري (١٥/١٦-١٧) ، عمدة القاري (١٥ / ١٢٥) .

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٥ / ٢) ونقل الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار التي في الكشاف (٢ / ٢٥٩) عن البيهقي في دلائل النبوة قال : " وقد روي حديث المعراج من طرق كثيرة بأسانيد ضعيفة قال فمنها ما أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأسند إلى جوير عن الضحاك عن ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ في بيت أم هانئ راقداً وقد صلى العشاء الآخرة ... " وذكر حديثاً طويلاً .

(٢) سورة الصافات ، الآية (٧٧) .

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٥ / ٢١) عن ابن مسعود <sup>(٢)</sup> .



الآية <sup>(١)</sup> ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ﴾ عقوبة الإفساد الثانية بعث الله عليهم ملوكاً أخر فقتلوا وسبوا ودمروا البلاد وما فيها ، والمراد : وعد المرة الآخرة .

و﴿الْمَسْجِدَ﴾ هو المسجد الأقصى <sup>(٢)</sup> . والتبشير : من التكسير ومنه سُمِّي التبر ؛ لأنه يؤخذ قطعاً ، أي : يتبروا ما علوا وظهروا فوقه .

﴿وَإِنْ عُدْتُمْ﴾ إلى الإفساد عدنا إلى العقوبة . والحصير : المجلس ، مأخوذ من الحصر .

﴿يَهْدِي﴾ للطريق التي ﴿هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ﴾ بأن الذين لا يؤمنون بالآخرة معذبون ؛ لأن مساءة العدو سرور لعدوه . ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ﴾ عند الغضب على نفسه وماله .

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ﴾ قيل : وجعلنا الليل والنهار ، ويؤيده قوله : ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ﴾ وقوله : ﴿مُبْصِرَةٌ﴾ أي : يستبصر بها ؛ كقوله : ﴿وَأَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ <sup>(٣)</sup> وجميع النوق مبصرة بالحدقة <sup>(٤)</sup> . ﴿وَالْحِسَابَ﴾ وقف تام ؛ لأننا لم نعلم كل شيء فصل تفصيلاً <sup>(٥)</sup> .

﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْمَنَّا طَبْعَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ ونُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴿١٣﴾ أَقْرَأُ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نُزِرُ وَأَنْزِرُ وَزَرَّ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ رِبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَن أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كَلَّا نُمَدِّهُ هُوْلَاءَ وَهَوْلَاءَ مِن عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٢ / ٦٥٠) عن علي بن أبي طالب ؑ .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٥ / ٣٤) .

(٣) سورة الإسراء ، الآية (٥٩) .

(٤) الحدقة : السواد المستدير وسط العين ، وقيل : هي في الظاهر سواد العين وفي الباطن خرزتها ، والجمع حدق وأحداق وحداق . ينظر : لسان العرب ( حدق ) .

(٥) ينظر : منار الهدى في بيان الوقف والابتدا للأشموني ( ص : ٢٢٢ ) .

﴿ طَائِرُهُ ﴾ حَظُّهُ وَنَصِيْبُهُ ﴿ حَسِيْبًا ﴾ مَحَاسِبًا ، وَلَا تَحْمَلُ حَامِلَةٌ . ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِيْنَ ﴾ ؛ كَقَوْلِهِ : ﴿ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّنْ قَبْلِهِ ﴾ الْآيَةُ <sup>(١)</sup> . ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيْهَا ﴾ بِالطَّاعَةِ فَعَصَوْا . وَزَعَمَ الزَّمْخَشَرِيُّ <sup>(٢)</sup> أَنَّ التَّقْدِيرَ : أَمَرْنَاهُمْ بِالْفُسْقِ فَفَسَقُوا . جَعَلَ تَوْسِعَةَ الْأَرْزَاقِ عَلَيْهِمُ وَالتَّمَكِّيْنَ فِي الْبِلَادِ كَالْأَمْرِ بِالْبَطْرِ وَالفُسْقِ . قَالَ : تَقُولُ : أَمَرْتُ زَيْدًا فَعَصَى ، فَتَضْمُرُ بِالطَّاعَةِ ؛ لِذَلَالَةِ ( ١٠٣ / ب ) " فَعَصَى " عَلَيْهِ .

قَرِيءٌ ﴿ أَمَرْنَا ﴾ مِنَ الْإِمْرَةِ وَهِيَ الْوَلَايَةُ ، وَقِيلَ : ﴿ أَمَرْنَا ﴾ <sup>(٣)</sup> كَثَرْنَا ، قَالَ الْعَلَلِيُّ : " خَيْرُ الْمَالِ سِكَّةٌ مَّابُورَةٌ أَوْ مُهْرَةٌ مَّامُورَةٌ " <sup>(٤)</sup> يَعْنِي بِالسِّكَّةِ النَّخْلَ ، وَبِالْمَّابُورَةِ الَّتِي ظَهَرَتْ ثَمَرَتُهَا مِنْ كَمَامِهَا ، وَبِالْمَّامُورَةِ الْمُهْرَةَ الْكَثِيرَةَ الْوِلَادَةَ . قَوْلُهُ : ﴿ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ ﴾ تَقْيِيدٌ لِإِطْلَاقِ قَوْلِهِ : ﴿ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ﴾ <sup>(٥)</sup> وَكَثِيرًا تَرَى قَوْمًا يَسْأَلُونَ الدُّنْيَا وَلَا تَحْصِلُ لَهُمْ . وَالمَرَادُ : التَّقْيِيدُ بِهَؤُلَاءِ الْقَيْدِيْنَ .

وَالْمَدْحُورُ : الْمَطْرُودُ ، وَمِنْهُ ﴿ قَالَ أَخْرَجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَّدْحُورًا ﴾ <sup>(٦)</sup> ﴿ وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا ﴾ <sup>(٧)</sup> . أَرَادَ ﴿ سَعِيْهَا ﴾ اللَّائِقُ بِهَا . ﴿ وَمَا كَانَ عَطَاءَ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ أَي : مَمْنُوعًا .

(١) سورة طه ، الآية ( ١٣٤ ) .

(٢) ينظر : الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٦٥٤ ) .

(٣) قرأ «أمرنا» بالتشديد أبو عثمان النهدي وأبو رجاء وأبو العالية والربيع ومجاهد والحسن وقراءة الجمهور «أمرنا» بالتخفيف .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ٢٠ ) ، حجة ابن خالويه ( ص : ٢١٤ ) ، الدر المصون للسمن الحلبي ( ٤ / ٣٧٩ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٣٧٩ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٦٥٤ ) ، المحتسب لابن جني ( ٢ / ١٥ ) ، معاني القرآن للقراء ( ٢ / ١١٩ ) .

(٤) رواه أحمد في المسند ( ٣ / ٤٦٨ ) ، والبغوي في شرح السنة ( ٥ / ٥٣١ ) ، رقم ( ٢٦٤١ ) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ( ٥ / ٢٦١ ) ، وعزاه لأحمد والطبراني وقال الهيثمي : رجال أحمد ثقات ، وقال البغوي في شرح السنة : " مهرة مابورة : كثيرة التناج ، يقال : أمرها الله فهي مأمورة ، وأمرها فهي مؤمرة ، أي : كثرتها " وسكة مأمورة : السكة : الطريقة المصطفة المستوية من النخل ، والمأمورة التي قد أبرت ولقحت ، وسميت الأزقة سكا ؛ لاصطفاف الدور فيها .

(٥) سورة الشورى ، الآية ( ٢٠ ) .

(٦) سورة الأعراف ، الآية ( ١٨ ) .

(٧) سورة الصافات ، الآية ( ٨ ، ٩ ) .

﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ۗ وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ۝٢١﴾ لَا تَجْعَلْ  
 مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا ﴿٢٢﴾ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا  
 إِمَّا يَلِيغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍ وَلَا لِنَهْرِهِمَا ۚ وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا  
 كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ۚ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا  
 ﴿٢٤﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِنَّ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأُولَٰئِكَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَمَاتَ ذَا  
 الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ۚ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۚ وَلَا بُدَّ رَّبِّدِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ  
 وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ فَبِعَنَاءِ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَّهُمْ قَوْلًا  
 مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ  
 رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ  
 نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ ۚ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ  
 سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ  
 سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ ۚ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ  
 يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۚ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۚ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ ۚ إِذَا كَلَّمْتُمْ وِزْنًا بِالْقِسْطِ ۚ  
 الْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ ۚ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ  
 أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۚ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ  
 طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ۚ وَلَا  
 تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُنْقَلَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ  
 إِنثَاءً ۚ إِنَّكُمْ لَنَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُلْ لَوْ  
 كَانَ مَعَهُ ۖ إِلَهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتِغَاؤُا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحٰنَهُ ۚ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ ۚ عَلُوًا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾  
 تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوٰتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ۚ وَلٰكِن لَّا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُ  
 كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾

روي: «أن سهيل بن عمرو كان يباب عمر في جماعة من أشرف قريش المسلمين، فخرج الإذن لبلال وصهيب وعمار وفقراء المهاجرين، فتعجب أشرف قريش من تقديم هؤلاء عليهم، فقال سهيل بن عمرو: دعوا ودعينا فأجابوا وأبطأنا، ولتقدمهم في الآخرة أعظم من تقدمهم على باب عمر، ثم تلا ﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ الآية» (١).

(١) رواه الحاكم في المستدرک على الصحيحين (٣ / ٣١٨) رقم (٥٢٢٧).

﴿فَلَقَعَدَ﴾ هي من أخوات كان ، و﴿مَذْمُومًا﴾ خبرها. ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ أي : أمر وأوصى بالوالدين إحساناً . ﴿أَفِي﴾ كلمة يتضجر بها، جعل للذل جناحاً ، وجعل خفض الجناح كناية عن اللين .

وقوله : ﴿كَمَا رَبَّيَانِي﴾ الكاف للتعليل ، أي : لأجل أنهما ربياني ، كقوله : ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا﴾ ثم قال : ﴿فَاذْكُرُونِي﴾<sup>(١)</sup> أي : لأجل إرسال هذا النبي اذكروني . ﴿حَقَّهُ﴾ من صلة الرحم .

﴿إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ أي : يوافقون الشياطين على ما يوسوسون به . ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً﴾ جعل غل اليد كناية عن البخل، وبسط الكف عبارة عن العطاء. ﴿تَحْسُورًا﴾ قد أعييت ، والمحسور المعيب . ﴿وَيَقْدِرُ﴾ أي : يضيق، ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾<sup>(٢)</sup> الإملاق: الفقر ، والخطأ : المعصية، والخطأ ضد العمد . وقوله : ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ مستثنى من ﴿وَلَا نَقْتُلُوا﴾ وقيل : من ﴿حَرَّمَ اللَّهُ﴾ . ﴿فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ﴾ أي : لا يقتل غير قاتله . وكانت العرب إذا رأت رجلاً من قبيلة القاتل قتلوه . وقيل : كانوا يقولون : لا نأخذ بالواحد منا إلا عشرة منكم . وقيل : فلا يُمَثَّلُ بالقتيل . الأشد : جمع شد ، أي : حتى تقوى قوى أعضائه ، قال عنتره [ من الكامل ]:

عهدي به شدُّ النهارِ كأنما خضبَ البنانُ ورأسُه بالعظْمِ<sup>(٣)</sup>

﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ أي : عنه . وقيل : مسؤولاً ، أي : مطلوباً . وقيل : يسأل العهد [عمن]<sup>(٤)</sup> وفى به ، ومن لم يف به . ﴿تَأْوِيلًا﴾ عاقبة ، و﴿وَالْفُؤَادَ﴾ القلب ﴿وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ﴾ إن طاولتها . ﴿أَفَأَصْفَكَ﴾ ( ١٠٤ / ١ ) أعطاكم صفوة الأولاد . ﴿ذِي الْعَرْشِ﴾ صاحب العرش . قوله : ﴿وَتَعَالَى﴾ يدل على أن قوله : ﴿سُبْحٰنَهُ﴾ تنزه .

وقيل : معناها نزهت الله .

(١) سورة البقرة ، الآية ( ١٥٢ ) .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية ( ٨٧ ) .

(٣) تقدم في سورة يوسف ، الآية ( ٢٢ ) .

(٤) بالأصل : [ عن من ] .

﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِذَا ذُكِرْتِ رَبِّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ، وَلَوْ أَنَّ عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ لَمَنْعْنَا أَعْيُنَهُمْ أَنْ يَسْمَعُوا بِهِ ۖ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٤٧﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفْنًا أَهَاتَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا ۖ قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ ۖ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِنْ يَشَاءُ يَرْحَمَكُمُ أَوْ إِنْ يَشَاءُ يُعَذِّبِكُمْ ۚ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ ۚ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِنْ مِنْ قَرِيبَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾

﴿ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴾ حجاب من قدرة الله ، والقدرة مستورة عن أعين الناظرين . وقيل : مستورا بمعنى ساتر ﴿ نُفُورًا ﴾ مصدر ، وجمع نافر . ﴿ مَسْحُورًا ﴾ يأكل ويشرب في سحره قالوا : والسحر : الرئة والإنسان لا يأكل في رئته ، إلا أن الرئة مجاورة المعى . وقيل : مسحورا : ساحرا ﴿ فَضَلُّوا ﴾ يجوز أن تكون فاء التفسير ؛ لأنهم ضلوا بضرب الأمثال . ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ إلى الصواب . ﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً ﴾ أي : في الفرض والتقدير ، وليس هذا الأمر مما يمتثل . ﴿ مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ﴾ قيل هي السماوات والأرض . وقيل : الموت . ﴿ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ ﴾ إنكاراً واستهزاء ﴿ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ ﴾ عسى تامة و ﴿ أَنْ يَكُونَ ﴾ فاعلها . ﴿ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ ﴾ أي : تقومون من القبور ، أو فيما بين النفختين .

﴿ يَقُولُوا ﴾ الكلمة ﴿ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ مكلفا لهم للدخول في الإيمان نسختها آية السيف . ﴿ وَمَا آتَيْنَا دَاوُدَ ﴾ كتاباً مزبوراً ، أي : مكتوباً ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ

زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِهِ ﴿١﴾ المراد بالأمر بهذا الدعاء بيان أن الأصنام لا تنفعهم ولا تدفع عنهم ضرراً. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يعني : عيسى والملائكة وعزيراً<sup>(١)</sup>. وقيل : إن العرب عبدوا طائفة من الجن ، ثم أسلمت بعض تلك الطائفة ولم يشعر العابدون بإسلامهم فنزلت ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتُغُونَ﴾ الآية<sup>(٢)</sup>.

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾ التي اقترحوها إلا أن الأولين كذبوا بمثلها فأهلكوا ، ونحن قضينا بتأخير عذاب أمتك إلى يوم القيامة . ﴿الْثَّاقَةَ مَبْصُورَةً﴾ يستبصر بها ﴿فَطَلَمُوا﴾ فكفروا.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرِّيَاءَ الَّتِي أَرَيْتَكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحُوفُهُمْ مَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ كُنْتُ نَارًا سَمِيمًا أَلَسْ أَخْرَجْتَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَخْتِنِكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَأَسْتَفْرِزْ مِنْ أَسْطَظَّتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكِهِمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّتِهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخْصِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيَغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَنْ كَانَتْ فِي هَدْيِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِنْ كَادُوا لِيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ١٥ / ١٠٥ ) عن ابن عباس وابن زيد - رضي الله عنهم .

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ١٥ / ١٠٤ ) عن ابن مسعود .

﴿ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ﴾ فهم كالذي في قبضته .

﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ ﴾ وهي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ وعلى هذا تكون الرؤيا بمعنى الرؤية<sup>(١)</sup> . وقيل: هي الرؤيا التي رآها رسول الله ﷺ في النوم أنه يدخل الحرم هو وأصحابه آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين ، فتأخر ذلك في تلك السنة فافتتن الناس<sup>(٢)</sup> .  
﴿ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ ﴾ هي شجرة الزقوم ﴿ الْمَلْعُونَةَ ﴾ أي : الملعون أكلها . ﴿ ءَأَسْجُدُ ﴾ لمن خلقته في أول أمره ﴿ طِينًا ﴾ وقد كرر ﴿ قَالَ ﴾ والمتكلم واحد بقوله : ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ ﴾ يقال : احتنك الجراد الأرض إذا استهلك ما فيها ( ١٠٤ / ب ) .

وقوله : ﴿ جَزَاؤُهُمْ ﴾ غلب فيه الخطاب وإلا فالتقدير : فإن جهنم جزاؤك وجزاؤهم .  
﴿ بِخَلْقِكَ وَرَجْلِكَ ﴾ قالوا : كلُّ راكبٍ وماشٍ في معصية الله فهو من جنود إبليس . ﴿ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ لعبادي في دفع سلطان إبليس عنهم ﴿ يُزْجِي ﴾ يسوق ﴿ جَانِبَ الْبَرِّ ﴾ يريد البر نفسه وكان للوادي جانبان جانب بحر وجانب بر .

﴿ قَاصِفًا ﴾ التي تقصف الشجر بقوتها . ﴿ تَبِعًا ﴾ أي : تابعا يطلب لكم ما تلتمسونه .

قوله : ﴿ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ ﴾ احتج به من زعم أن الملائكة أفضل من البشر فإن مفهومه أنه قد بقي طائفة قليلة لم يفضل بنو آدم عليهم . ﴿ بِأَمْرِهِمْ ﴾ أي : بكتابهم ، ومنه ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾<sup>(٣)</sup> وقيل : ﴿ بِأَمْرِهِمْ ﴾ بقدوتهم في الاعتقاد . وقيل : الإمام جمع أم وزعموا أن الناس في الموقف يُدْعَوْنَ ، فيقال : يا ابن فلانة . وذكروا ثلاث فوائد : إظهار شرف فاطمة ، ولئلا ينحيل الأمر في دعاء عيسى ، ولئلا يفتضح أولاد الزنى<sup>(٤)</sup> .

﴿ فَأُولَئِكَ يَفْرَهُونَ كِتَابَهُمْ ﴾ والكفار أيضا يقرءون كتابهم ؛ لقوله - تعالى :

(١) رواه البخاري رقم ( ٣٦٧٥ ) ، والطبري في تفسيره ( ١٥ / ١١٠ ) عن ابن عباس - رضي الله عنهما .

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ١٥ / ١١٢ ) عن ابن عباس - رضي الله عنهما .

(٣) سورة يس ، الآية ( ١٢ ) .

(٤) روى الطبري في تفسيره ( ١٥ / ١٢٧ ) القولين الأولين ، وذكر القول الأخير الزمخشري في الكشاف ( ٢ / ٦٨٢ ) وقال عنه : ومن بدع التفاسير .

﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ ﴾ لكن جواب الشرط محذوف ، أي : يقرءون كتابهم فيجازون بما فيه .  
 ﴿ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى ﴾ أي : أشد عمى ، وهي أفعل التفضيل . ﴿ وَلَوْلَا أَنْ تَبْنَتَكَ ﴾ فيه تعظيم للنبي ﷺ فإن ﴿ لَوْ ﴾ تدل على امتناع الشيء لامتناع غيره ، و ﴿ لَوْلَا ﴾ تدل على امتناعه لوجود غيره ، فيكون التثبيت قد منع رسول الله ﷺ من أن يكاد قليلاً ما من الركون .

﴿ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ (٧٥) وَإِنْ كَادُوا لَيْسْتَغْفِرُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةٌ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَتْ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنزِلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَيْنَ شِئْنَا لَنُدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾

﴿ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ ﴾ عذاب ﴿ الْمَمَاتِ ﴾ فإن العذاب يكبر بكبر المعدب ، كما يكثر الثواب بسببه ﴿ يَلْسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ ﴾ الآيتين (١) .

قيل : إن اليهود قالوا للنبي ﷺ : إن الأنبياء كلهم من الشام أو هاجروا إلى الشام ، فإن كنت نبياً فهاجر إلى الشام (٢) . فخيم رسول الله ﷺ بظاهر المدينة يريد الشام فنزلت ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيْسْتَغْفِرُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ ﴾ (٣) .

(١) سورة الأحزاب ، الآيتان ( ٣١ ، ٣٢ ) .

(٢) هذه العبارة مكررة بالأصل .

(٣) رواه الطبري في تفسيره ( ١٥ / ١٣٢ ) عن حضرمي ، وروى أيضا في تفسيره ( ١٥ / ١٣٣ ) عن قتادة ومجاهد : «أنهم أهل قريش ، والأرض مكة» ثم قال : " وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول قتادة ومجاهد وذلك أن قوله : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيْسْتَغْفِرُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ ﴾ في سياق خبر الله - عز وجل - عن قريش وذكره إياهم ولم يجر لليهود قبل ذلك ذكر فيوجه قوله : ﴿ وَإِنْ كَادُوا ﴾ وإن كادوا إلى أنه خبر عنهم فهو بأن يكون خبراً عمّن جرى له ذكر أولى من غيره " .



دُلُوكِ الشَّمْسِ: زوالها . وقيل: غروبها. ﴿ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ ﴾ صلاة الفجر، سماها قرآنا لاشتمال الصلاة عليه ، كما سماها تسييحا ﴿ فَسَبِّحْنَ اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿ نَافِلَةٌ ﴾ أي : زيادة علي الفرائض ؛ لأن قيام الليل ( ١٠٥ / أ ) كان فرضاً علي النبي ﷺ . ﴿ مُدْخَلٌ صِدْقٍ ﴾ و ﴿ مُخْرَجٌ صِدْقٍ ﴾ أي : مدخلاً حسناً ومخرجاً حسناً . العرب إذا عظمت شيئاً وصفته بالصدق ﴿ أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ ﴾<sup>(٣)</sup> قال قتادة : " ما جالس أحد هذا القرآن إلا وقام عنه بزيادة أو نقصان ، ثم تلا ﴿ وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾<sup>(٤)</sup>.

﴿ وَتَأْتَا ﴾ وبعد ، ومن قرأ ( وِتَاءً )<sup>(٥)</sup> فمعناه : ونهض معرضاً بجانبه . قيل : الروح التي يجيا بها الجسد . وقيل : هم جند من جند الله ليسوا بآنس ولا جن ولا ملائكة وهم أكثر من هذه الأصناف الثلاثة .

﴿ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِن فَضَّلَهُ كَانَتْ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴾<sup>(٨٧)</sup> قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾<sup>(٨٨)</sup> وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾<sup>(٨٩)</sup> وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجْوَى وَعِنبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٤﴾ قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن

(١) سورة الروم ، الآية ( ١٧ ) .

(٢) سورة يونس ، الآية ( ٢ ) .

(٣) سورة القمر ، الآية ( ٥٥ ) .

(٤) رواه الطبري في تفسيره ( ١٥٣ / ١٥ ) نحو ذلك عن قتادة ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٣٣٠ / ٥ )

ونسبه لابن عساكر عن أويس القرني ﷺ .

(٥) تقدم تخريجها في آخر سورة إبراهيم .

دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَٰ وَبِكَمَا وَصَمَّا مَا وَلَّهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِعَايِنِنَا وَقَالُوا أءِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفَّتًا آءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿١٠٠﴾ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴿١٠١﴾

قوله : ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ استثناء من غير الجنس ؛ لأن رحمة الله هادية ، فهي كالمتوكله بمحصول الخير . ﴿مِنْ كُلِّ مِثْلٍ﴾ أي : من كل حكم وكل قصة هي في الغرابة كالمثل ، والمثل والمثل والمثيل بمعنى واحد .

اقترحوا علي النبي ﷺ أن يفجر لهم أنهاراً وعيوناً بأرض الحجاز ، وأن يكون له أعنابٌ وثمارٌ ، وأن يسقط السماء قطعاً ، أو أن يأتي بالله والملائكة مقابلةً ، أو يكون لك بيتٌ من ذهبٍ ، أو يرقى في السماء ولا نكتفي بذلك حتى تنزل معك كتاباً من السماء نقرؤه ، فأمره أن يجيب : بأني مأمور ولا أطلب ما لم أعط . وقد أجاب عن ذلك في سورة العنكبوت بقوله : ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ <sup>(١)</sup> فإذا صح التعجيز بمعجزة واحدة لم يبق لاقتراح المعجزات وجهٌ ، وقد أنكر الكفار أن يكون الرسول بشراً مع إجازتهم أن يكون المعبود حجراً .

﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ﴾ فهو الكامل في الهداية . وفي القيامة مواقف ففي بعضها لا يبصرون وهذه الآية دليله ، وفي بعضها يبصرون ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ <sup>(٢)</sup> وفي بعضها لا ينطقون ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ <sup>(٣)</sup> وفي بعضها يتكلمون ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ <sup>(٤)</sup> ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾ ضعف لهبها زدناها اشتعالاً ، ذلك سبب إنكارهم البعث وكفرهم . ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ أولم علموا أن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ﴿ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ﴾ <sup>(٥)</sup> .

(١) سورة العنكبوت ، الآية ( ٥١ ) .

(٢) سورة التكاثر ، الآية ( ٧ ) .

(٣) سورة المرسلات ، الآية ( ٣٥ ) .

(٤) سورة الصافات ، الآية ( ٥٠ ) .

(٥) سورة النازعات ، الآية ( ٢٧ ) .

لو تطلب الأفعال وقوله ﴿لَوْ أَنْتُمْ﴾ تقديره : لو تملكون أنتم. ﴿خَشِيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾ خشية الفقر ﴿قَتُورًا﴾ مبالغاً في التقدير خوف الفقر.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۖ فَسَأَلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾

﴿تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ (١٠٥/ب) قيل: هي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والعصا واليد البيضاء وانفراق البحر وحل العقدة من لسانه. وقيل: إن النبي ﷺ سأله اليهود عن ذلك قال: " هي ألا تغلّوا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان، وعليكم يا معشر اليهود ألا تعدوا في السبت " (١) فجعل الآيات أوامر بالخيرات.

(١) رواه أحمد في المسند (٤ / ٢٣٩، ٢٤٠)، والترمذي برقم (٢٧٣٣)، وابن ماجه رقم (٣٧٠٥)، والحاكم في المستدرک (١ / ٩) عن عبد الله بن سلمة عن صفوان بن عسال قال: «قال يهودي لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبي. فقال صاحبه: لا تقل نبي، إنه لو سمعت كان له أربعة أعين. فأتيا رسول الله ﷺ، فسألاه عن تسع آيات بينات. فقال لهم: لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان ليقتله ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تقذفوا محصنة ولا تولوا الفرار يوم الزحف، وعليكم خاصة اليهود أن لا تعدوا في السبت. قال: فقبلوا يده ورجله فقالا: نشهد أنك نبي. قال فما يمنعكم أن تبعوني؟ قالوا: إن داود دعا ربه أن لا يزال في ذريته نبي وإننا نخاف إن تبعناك أن تقتلنا اليهود». قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. قلت: وفي سنده عبد الله بن سلمة، وهو صدوق تغير حفظه كما قال الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب (٣٣٨/٤) وقد ضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الترمذي (٥١٧)، وقال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (٢ / ٢٩٣): " والحديث فيه إشكالان: أحدهما: أنهم سألوا عن تسعة وأجاب في الحديث بعشرة وهذا لا يرد على رواية أبي نعيم والطبراني لأنهما لم يذكر في السحر ولا على رواية أحمد أيضا لأنه لم يذكر القذف مرة وشك في أخرى فيبقى المعنى في رواية غيرهم أي: خذوا ما سألتهموني عنه وأزيدكم ما يختص بكم لتعلموا وقوفي على ما يشتمل عليه كتابكم. الإشكال الثاني: أن هذه وصايا في التوراة ليس فيها حجج على فرعون وقومه فأى مناسبة بين هذا وبين إقامة البراهين على فرعون؟ وما جاء هذا إلا من عبد الله بن سلمة فإن في حفظه شيئا وتكلموا فيه وأن له مناكير ولعل ذينك اليهوديين إنما سألا عن العشر كلمات فاشتبه عليه بالتسع آيات فوهم في ذلك والله أعلم " .

﴿ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾ أي: ساحراً فقال موسى له: " لقد علمت صدقي ، فيما جئتُ به " ، وهذا يدل على أن فرعون كان مكابرا ، عرف الحق وجحده ، وقرئ " لقد علمتُ " (١) والقراءة المشهورة أتم ؛ لأن موسى لا يحتج على فرعون بعلمه (٢).

﴿ مَثْبُورًا ﴾ هالكا ، ﴿ يَسْتَفْزَهُمْ ﴾ يخرجهم ﴿ مِّنَ الْأَرْضِ ﴾ من ديار مصر. ﴿ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ ﴾ قيل : مصر . وقيل : الشام .

﴿ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ (١٠٥) ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَلْنَاهُ نَزِيلًا ﴾ (١٠٦) ﴿ قُلْ ءَأَمِنُوا بِهِمْ أَوْ لَا تَأْمِنُوا إِنَّا أَنزَلْنَاهُ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾ (١٠٧) ﴿ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾ (١٠٨) ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ (١٠٩) ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ (١١٠) ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وِليٌّ مِنَ الأَذْنَانِ وَكَبِيرُهُ تَكْبِيرًا ﴾ (١١١)

﴿ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ ﴾ أي ملتبسا به. ﴿ فَرَقْنَاهُ ﴾ وفرقناه (٣): أنزلناه مفصلا ولم ينزل جملة؛ لأن المقصود أن يحفظ في الصدور ، ولهذا قال : ﴿ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَلْنَاهُ نَزِيلًا ﴾.

﴿ ءَأَمِنُوا ﴾ ليس أمراً يريد الامتثال بل هو كقوله: ﴿ فَأَصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا ﴾ (٤). ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ مِن قَبْلِهِ ﴾ من أسلم من اليهود يسرعون السجود إذا سمعوه فهو كالذي يخترُ هاوياً من مكانٍ عالٍ.

ويستحب أن يقول في سجوده هذه الآية: " سبحان من وعده مفعول " ثم يقول:

(١) قرأ الكسائي " علمتُ " بضم التاء ، بإسناد الفعل إلى موسى عليه السلام وقرأ الباقون " علمت " بإسناد الفعل إلى فرعون - لعنه الله - وتنظر في : البحر المحيط ( ٦ / ٦٩ ) ، الدر المصون للسمن الحلبي ( ٤ / ٤٢٥ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٣٨٥ - ٣٨٦ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٦٩٨ ) .

(٢) قال السمن الحلبي في الدر المصون ( ٤ / ٤٢٥ ) موجهًا معنى القراءتين: " علمتُ " بضم التاء ، بإسناد الفعل إلى موسى عليه السلام أي: أني متحقق أن ما جئتُ به هو منزلٌ من عند الله ، وقرأ الباقون " علمت " بإسناد الفعل إلى فرعون - لعنه الله - أي : أنت متحقق أن ما جئتُ به هو منزل من عند الله وإنما كفرتك عناد . وعن علي عليه السلام أنه أنكر الفتح وقال : " ما علم عدو الله قط ، وإنما علم موسى " .

(٣) سورة الأحزاب ، الآيتان ( ٣١ ، ٣٢ ) .

(٤) سورة الطور ، الآية ( ١٦ ) .

"زادني حباً ورجبةً في الطاعة ما زاد الكافرين عتواً واستكباراً" (١).

«سمع أبو جهل النبي ﷺ يقول : " يا الله يا رحمن " فقال : إن محمداً نهى عن دعاء إلهين وهو يدعو اثنين (٢) ، وهذا تجاهلٌ منه ، فإن لفظ : " الله والرحمن " اسمان لمسمى واحد ، ( ولم يكن له ولد ) يستعين به على دفع الذل ، وكذلك امتناع اتخاذ الولد والشريك ، والولي يحمد الله عليه ، وإن لم يحصل لنا منه شيء (٣) » ( ١٠٦ / أ ).

\* \* \*

(١) قال الإمام السرخسي ( من الأحناف ) في المبسوط : " وبعض المتأخرين استحسّن أن يقول فيها : ﴿ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾ لقوله - تعالى : ﴿ يَخْرُجُونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾ واستحسن أيضا أن يقوم فيسجد ؛ لأن الخرور سقوط من القيام والقرآن ورد به فإن لم يفعل لم يضر " . وقال الخطيب الشربيني ( من الشافعية ) في مغني المحتاج : " ويندب كما في المجموع عن الشافعي أن يقول : ﴿ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾ قال في الروضة : ولو قال ما يقوله في سجوده جاز أي كفى " . ينظر : بدائع الصنائع للكاساني ( ١ / ٤٤٨ ) ، المبسوط للسرخسي ( ٢ / ١٠ ) ، مغني المحتاج للشربيني ( ١ / ٢١٤ ) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ١٥ / ١٨٢ ) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٥ / ٣٤٨ ) لابن مردويه عن ابن عباس - رضي الله عنهما .

(٣) في هامش الأصل : إلى هنا انتهت قراءتي على المصنف من أول الفاتحة من النسخة التي نقلت منها . كتبه محمد . وقد أخذ من هذه العبارة من قال : إن السخاوي لم يتم تفسيره ، بل وصل فيه إلى الكهف . وقد دللنا على ضعف هذا الاستدلال ، وسقنا أدلة كثيرة وقوية تدل على صحة نسبة الكتاب كاملا إلى الإمام علم الدين السخاوي رحمه الله تعالى . والحمد لله الذي أعان ووفق على إخراجِه .

## سورة الكهف [ مكية ]

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۗ ﴿١﴾ قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۗ ﴿٢﴾ مَكَثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۗ ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ ﴿٤﴾ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۗ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۗ ﴿٥﴾ فَلَمَّا كَبُرَتْ نَفْسُكَ عَلَىٰ أَن تُصِرَّهُمْ ۗ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ۗ ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۗ ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ۗ ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۗ ﴿١٠﴾

حمد الله نفسه ، واستحمد إلى خلقه بإنزال الكتاب إذ هو كافل بمصالح الدين والدنيا .  
وقوله : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۗ ﴾ معترض بين فعل ﴿ يَجْعَلُ ﴾ ومفعوله ﴿ عِوَجًا ۗ ﴾ ﴿ قِيمًا ۗ ﴾ قائماً بمصالح العباد <sup>(١)</sup> ﴿ لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ ﴾ ولم يذكر من أنذره ﴿ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ثم ذكر إنذار الكفار فبين المنذر ولم يبين ما أنذروا به ، فقال : ﴿ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ ﴾ الآية ، وقد صرح بهما في قوله : ﴿ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا ۗ ﴾ <sup>(٢)</sup> وحذفهما في قوله : ﴿ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۗ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

وقوله : ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ إشارة إلى أنه كان يجب ألا تبرز هذه الكلمة من صدورهم ، كما جاء في الحديث : " إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يذكره " <sup>(٤)</sup> ونصب ﴿ كَلِمَةً ۗ ﴾ كما انتصب في قوله : ﴿ يَتَسَلَّلُ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ۗ ﴾ ونعم زيد رجلاً . ﴿ بَخِيعٌ ۗ ﴾

(١) قال الأشموني في منار الهدى ( ص : ٢٢٨ ) : " الوقف على " عوجا " حسن ، وبين الوقف عليه أن " قيما " منفصل عن " عوجا " .

(٢) سورة النبا ، الآية ( ٤٠ ) .

(٣) سورة نوح ، الآية ( ٢ ) .

(٤) رواه مسلم رقم ( ١٣٢ ) عن أبي هريرة قال : " جاء ناسٌ من أصحاب النبي ﷺ فسألوه : إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به . قال : وقد وجدتموه؟ قالوا : نعم . قال : ذاك صريح الإيمان " .

## تفسير سورة الكهف

نَفْسَكَ ﴿ قَاتَلَهَا ﴾ ﴿ أَسْفًا ﴾ مفعول من أجله ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ ﴾ من الناس والنبات والأنهار والثمار. ﴿ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ أكثر توقيماً للحرام أو أكثرهم ذكراً للموت واستعداداً له. ﴿ صَعِيدًا جُرُزًا ﴾ قد استهلك ما عليه من النبات بالأكل والرعي والجفاف. ولما سأل الكفار رسول الله ﷺ عن قصة فتية ذهبوا فلم يعرف لهم خبر، وتوهموا أن تلك القصة من أعجب ما يكون وأغربه، فأنكر الله ذلك بقوله: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾ (١). والرقيم: جانب الوادي. وقيل: هو لوح رقمت فيه قصتهم، وجعلت علي باب الغار حين غلب المؤمنون على أمرهم واتخذوا عليهم مسجداً.

﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ (١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴿ (١٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿ (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿ (١٤) هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿ (١٥) وَإِذْ أَعْرَزْتُمُوهُمْ وَمَا يَكْفُرُونَ إِلَّا اللَّهُ فَأَوْرَأَ إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ﴿ (١٦) وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَّوُّرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ يَجْدَلَهِ. وَلِيَا مَرشِدًا ﴿ (١٧)﴾

﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ ﴾ حجبوا عن الإدراك بالحواس فهم مشبهون بمن ضرب على حواسه بشيء يمنعها من الإحساس. كان أهل الكتاب قد تنازعوا في مدة لبثهم، وفي عددهم، فأخبر الله نبيه ﷺ بحقيقة الأمر. ﴿ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ كما قال - تعالى : ﴿ إِنْ تَقُوءُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ﴾ (٢).

﴿ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ ثبتنا قلوبهم حتى اجتهدوا في كتمان أمرهم، استعار لهم الربط حتى لا ينفلت منهم ما يدل على حالهم. اعترفوا بأن خالقهم خالق السماوات والأرض؛ لأن أحداً لا يدعي في (١٠٦ / ب) خلقهما مشاركة ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٥ / ١٩١)، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٣٥٧) لابن إسحاق وابن

المنذر وأبي نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل عن ابن عباس - رضي الله عنهما.

(٢) سورة الأنفال، الآية (٢٩).

مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ﴿١﴾ ﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ بعيداً عن الصواب، يقال شط المزار: إذا بعد ﴿وَلَا تُشْطِطُ﴾<sup>(٢)</sup> ولا تبعد عن الحق .

﴿قَوْمَنَا﴾ بدل من ﴿هَتُولَاءِ﴾ ﴿لَوْلَا﴾ هلاً ﴿يَأْتُونَ﴾ على تصحيح عبادتهم ببرهان بين فلا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ وافتري إن كانت بمعنى كذب فـ "كذباً" مصدر، وإن كان بمعنى اقتطع واختلق جاز أن يكون مفعولاً .

﴿وَإِذِ اعْتزَلْتُمُوهُمُ﴾ وإذ اعتزلتم قومكم بكفرهم . ﴿وَيَهَيِّئْ لَكُمُ﴾ ما ترتفقون به ، سمي المرفق؛ لأنه ارتفق بدخول عظم الساعد في عظمي<sup>(٣)</sup> فهياً بذلك بسط اليدين وقبضهما . قيل: إن الشمس كانت إذا طلعت تميل عنهم خاصة ذات اليمين، وإذا غربت تميل ذات الشمال ، وهذا بعيد ، بل الصواب أن باب الغار كان في مقابلة بنات نعش<sup>(٤)</sup> فكانت الشمس لا تدخل لهم بكرة ولا عشية ولا في شيء من النهار . واحتج الأولون بقوله - تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ وأجيب بأن المراد بقاؤهم ثلاثمائة سنة من غير غذاء ولا شراب وتهيئة هذا الكهف في فجوة في مكان لا تتسلط عليه الشمس . ﴿فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ الكامل الهداية .

﴿وَتَحْسَبُهُمْ آتِكَاهَ وَهُمْ رُقُودٌ وَنَقَلِبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمَّ بَاسِطٌ﴾

(١) سورة الأحقاف ، الآية ( ٤ ) .

(٢) سورة ص ، الآية ( ٢٢ ) .

(٣) كذا بالأصل ويبدو أن هنا سقطا .

(٤) بنات نعش: سبعة كواكب؛ أربعة منها نعش؛ لأنها مربعة، وثلاثة بنات نعش الواحد ابن نعش؛ لأن الكوكب مذكر فيذكرونه على تذكيره، وإذا قالوا: ثلاث أو أربع . ذهبوا إلى البنات . ويقال فيما يعرف بينات: بنات الدم بنات أهر، وبنات المسند صروف الدهر، وبنات معي البعر، وبنات اللبن ما صغر منها، وبنات النقا هي الحلقة تشبه بهن بنان العذارى، وبنات بحر سحائب يأتين قبل الصيف منتصبات، وبنات غير الكذب وبنات بشس الدواهي وكذلك بنات طبق وبنات برح وبنات أودك وابنة الجبل الصدى وبنات أعنق النساء ويقال: خيل نسبت إلى فحل يقال له: أعنق . وبنات صهال الخيل وبنات شحاج البغال وبنات الأخدردي الأتن وبنات نعش من الكواكب الشمالية، وبنات الأرض الأنهار الصغار، وبنات المنى الليل، وبنات الصدر الهموم، وبنات المثال النساء والمثال الفراش، وبنات طارق بنات الملوك، وبنات الدوحير الوحش وهي بنات صعدة أيضاً، وبنات عرجون شماريخ، وبنات عرهون الفطر، وبنات الأرض وابن الأرض ضرب من البقل، والبنات التماثيل التي تلعب بها الصبايا وبنات الليل الهموم . ينظر: لسان العرب ( بني - نعش ) .



ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعَتْ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتْ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتْ مِنْهُمْ رُجْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَلِكَ  
 بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ  
 أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا  
 فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ  
 يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ  
 لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ وَعْدُ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا  
 عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا  
 ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ  
 سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تَحْمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهَرَ وَلَا  
 تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴿

قيل: كانوا حين ضرب على آذانهم أعينهم مفتحة فظنهم الرائي أيقاظاً ﴿ وَنَقَلِبُهُمْ ذَاتَ  
 الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ﴾ حتى لا تأكل الأرض لحومهم إذا استمروا عليها.

قيل: كانوا يقلبون في كل سنة مرة. وقيل: في كل سنة مرتين<sup>(١)</sup>. وقيل: كانوا يقلبون في  
 يوم عاشوراء وهذا مما لا دليل عليه<sup>(٢)</sup>.

قوله: ﴿ بَسِطُ ذِرَاعِيهِ ﴾ اسم فاعل بمعنى المضي ، فقياسه ألا يعمل ، لكنه حكاية حال  
 ماضية<sup>(٣)</sup> والوصيد : الباب .

حكي: «أن معاوية بعث قوماً يستطلعون خبرهم، فلما دخلوا من باب الكهف بعث الله

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٣٧٣ / ٥ ) .

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف ( ٧٠٩ / ٢ ) .

(٣) يشترط جمهور النحاة لعمل اسم الفاعل أن يدل على الحال أو الاستقبال فإذا كان للمضي فلا يعمل ،  
 وأجاز ذلك بعض الكوفيين ، كالكسائي . وفي هذا يقول ابن مالك:

كَفَعَلِهِ اسْمُ فَاعِلٍ فِي الْعَمَلِ إِنْ كَانَ عَنْ مُضِيِّهِ بِمَعْرَلٍ

وأما في هذه الآية ﴿ بَسِطُ ذِرَاعِيهِ ﴾ فإنها حكاية حال كما ذكر المصنف هنا ، والمعنى: يبسط ذراعيه ،  
 بدليل ما قبله وهو ﴿ وَنَقَلِبُهُمْ ﴾ ولم يقل " وقلبناهم " .

وتنظر المسألة في: شرح الأشموني لألفية ابن مالك ( ٥٦٢ / ٢ ) ، اللباب في علل البناء والإعراب

للعكبري ( ٤٣٧ / ١ ) ، همع الهوامع للسيوطي ( ٥٣ / ٣ - ٥٥ ) .

ريحا شديدة فأخرجتهم وهم كارهون، فبلغ معاوية، فقال له بعض جلسائه: قد منع الله من هو خير منك من رؤيتهم، فقال: ﴿لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِثْتَ مِنْهُمْ رُغْبًا﴾<sup>(١)</sup>.

﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا﴾ كانوا يظنون أن الشمس غابت [ فقالوا : يوما ] فأوها لم تغب فقالوا ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ وكان معهم دراهم من ضرب دقيانوس الملك المتقدم ثم تغير ذلك الضرب تغيرات كثيرة في مدة ( ١٠٧ / أ ) الثلاثمائة سنة . ﴿أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا﴾ أرخص أو أحل . ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ وهم يظنون أن الملك دقيانوس يطلبهم . ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ إن يغلبوكم ؛ كقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أطلعنا ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَيْنَا﴾ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا<sup>(٣)</sup> وكان ملكهم في ذلك الزمان مسلماً وكان يرى بيعت الأجساد والأرواح ، وقوم ينكرون ذلك ، فأقام الملك متضرعا أن يريهم الله آية تدل على بيعت الأجسام ، فلذلك قال : ﴿أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ فلما اطلع عليهم تنازع فيهم المسلمون، فغلب الملك والمسلمون عليهم ، فبنوا عليهم مسجداً . كان ابن عباس يحلف أنه من القليل الذين يعلمون عددهم ، ويقول : هم سبعة وثامنهم كلهم<sup>(٤)</sup> فإن الله - تعالى - عقب القولين الأولين بقوله : ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ ولم يقل ذلك في قولهم الثالث .

وزعم قوم أن هذه واو الثمانية، وليس عند العرب للثمانية واو.

وأما سورة التحريم قوله: ﴿ثَبَّتْ وَأَبْكَرًا﴾<sup>(٥)</sup> فتلك الواو واجبة الدخول، سواء كان ثلاثة أو رابعة أو ما سوى ذلك؛ لأنه لو قال: ثبات أبكارا لاجتمع الضدان. وقد كان

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون ( ٢ / ٤٧٢ )، ونسبه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار التي في الكشاف ( ٢ / ٣٠١ ) للواحد في تفسيره الوسيط.

(٢) سورة الصف ، الآية ( ١٤ ) .

(٣) سورة المائدة ، الآية ( ١٠٧ ) .

(٤) رواه الطبري في تفسيره ( ١٥ / ٢٢٦ )، ونسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٥ / ٣٧٥ ) لعبد الرزاق

والفريابي وابن سعد وابن المنذر وابن أبي حاتم من طرق عن ابن عباس ، ونسب للطبراني في الأوسط بسند صحيح عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : " أنا من القليل، مكسلمينا وتخليخا وهو

المبعوث بالورق إلى المدينة ومرطوس ونيونوس ودردوتس وكفاشطهواس ومنظفواسيسوس وهو الراعي والكلب اسمه قظمير " .

(٥) سورة التحريم ، الآية (٥).

القاضي الفاضل<sup>(١)</sup> يعتقدها واو ثمانية فرد عليه أبو الجود بما ذكرته فقال: أرشدك الله يا أبا الجود<sup>(٢)</sup>.

وأما سورة الزمر وقوله: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾<sup>(٣)</sup> في صفة أهل الجنة ، فليس ذلك لأن أبواب الجنة ثمانية كما زعموا فإنه لم يسبق ذكر عدد ، وإنما هذه الواو واو الحال والتقدير: جاءوها وقد فتحت أبوابها كما تعد الدار نزلا للضيف وتكنس وتفتح أبوابها<sup>(٤)</sup>.

قوله: ﴿إِلَّا مَرَأً ظَهْرًا﴾ يدل على جواز الممارسة إذا ظهر دليلها وإن كان في لسان حملة

(١) هو الإمام العلامة البليغ القاضي الفاضل محيي الدين سيد الفصحاء أبو علي عبد الرحيم بن علي بن الحسن بن الحسن بن أحمد بن المفرج اللخمي الشامي البيساني الأصل العسقلاني المولد المصري الدار الكاتب صاحب ديوان الإنشاء الصلاحي ولد سنة تسع وعشرين وخمسمائة، انتهت إلى القاضي الفاضل براعة الترسل وبلاغة الإنشاء وله في ذلك الفن اليد البيضاء والمعاني المبتكرة والباع الأطول لا يدرك شأوه ولا يشق غباره مع الكثرة، توفى ليلة سابع ربيع الآخر سنة ست وتسعين وخمسمائة. تنظر ترجمته: في سير أعلام النبلاء للذهبي (٢١ / ٣٣٨).

(٢) هو الإمام المحقق شيخ المقرئين أبو الجود غياث بن فارس بن مكى اللخمي المنذري المصري الفرضي النحوي العروضي الضريبر مولده في سنة ثمانى عشرة وخمسمائة وتلا بالروايات على الشريف الخطيب أبي الفتوح الزيدي ، وتصدر للإقراء دهرا وانتشر أصحابه منهم الشيخ علم الدين السخاوي وعبد الظاهر بن نشوان والفقير زيادة وأبو عمرو بن الحاجب والمتجب الهمداني أقرأ الناس دهرا ورحل إليه وأكثر المتصدرين للإقراء بمصر أصحابه وأصحاب أصحابه ، وكان دينا فاضلا بارعا في الأدب حسن الأداء لفاظا متواضعا كثير المروءة ، توفى في تاسع رمضان سنة خمس وستمائة رحمه الله . تنظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢١ / ٤٧٣).

(٣) سورة الزمر ، الآية (٧٣) .

(٤) هناك أربعة مواضع في القرآن سميت الواو فيها بواو الثمانية عند بعض النحاة والأدباء والمفسرين ؛ وهي هذا الموضع من سورة الكهف ، وقوله - تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَمِيدُونَ الْحَمِيدُونَ الْمُخْلِصُونَ الرَّكَّعُونَ السَّجِدُونَ الْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ١١٢] وقوله - تعالى: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] وقوله - تعالى: ﴿ثِيَابَ وَأَبْكَارًا﴾ [التحریم: ٥] وقد عددها ابن هشام في مغني اللبيب (٥٨٢/١) وقال: "ذكرها جماعة من الأدباء كالحريري ، ومن النحويين الضعفاء كابن خالويه، ومن المفسرين كالثعلبي ، ونسب السمين الحلبي في الدر المصون إلى أبي بكر راوي عاصم أنه قال بذلك. ورد المحققون هذه التسمية ونفوا وجود هذه الواو في العربية وقالوا عن ذلك: " وهو قول لا دليل له ولا أصل له ". وينظر في ذلك : الجنى الداني للمراي (ص: ١٦٨٩)، الدر المصون للسمين الحلبي (٣ / ٥٠٨) ، الفصول المفيدة في الواو المزيده لصلاح الدين العلاتي (١ / ١٤٠ - ١٤٥) .

الشرية لا يذكرونه إلا مذموماً.

﴿ وَلَا نَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴾ (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلِيُثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لِيُثُوا لَهُ، غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾

﴿ وَلَا نَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴾ (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴿ نزلت حين قال رسول الله ﷺ للكفار: " سأخبركم غداً " ولم يقل: إن شاء الله (١). ﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ الاستثناء بالمشيئة ﴿ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ ﴾ مما نسيته ﴿ رَشَدًا ﴾ . ﴿ وَلِيُثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ ﴾ سنين بدل من ثلاثمائة .

قوله: ﴿ وَازْدَادُوا تَسْعًا ﴾ أي لما انتقل الحساب من السنة الشمسية ( ١٠٧ / ب ) إلى السنين العربية صارت الثلاثمائة الشمسية ثلاثمائة وتسعة بالعربية ، وفيها تفاوت يسير كما قال: ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ ﴾ (٢) وإنما هو شهران وثلاث .

له علم ما غاب في السماوات والأرض. ﴿ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ﴾ ما أبصر الله بما تفعلون وما أسمع ما تقولون! ﴿ وَأَتْلُ ﴾ أي: اقرأ . وقيل: واتبع كقوله: ﴿ وَالْقَمَرِ إِذَا لِلَّهَا ﴾ (٣) أي: تبعها في السير. ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ﴾ وكان عيينة بن حصن وأضرابه من المترفين يكرهون مجالسة عمار بن ياسر وخباب بن الأرت وبلال وابن مسعود ويقولون: اجعل لمجلسنا يوماً لا يحضرونه ، فهم رسول الله ﷺ بذلك حرصاً على إيمان المترفين ، فإنهم إذا آمنوا تبعهم خلق كثير ، فنهى عن طرد الفقراء ، وأمر أن يصبر نفسه معهم ، فكان إذا

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٥ / ٣٥٧ ) ونسبه لأبي نعيم في الدلائل من طريق السدي الصغير عن

الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس - رضي الله عنهما .

(٢) سورة البقرة ، الآية ( ١٩٧ ) .

(٣) سورة الشمس ، الآية ( ٢ ) .

جلس معهم لا يقوم من مجلسه حتى يبدؤوا هم بالقيام<sup>(١)</sup> .

﴿ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ ﴾ خلقنا الغفلة في قلبه وكان أمره مقدماً في الشر.

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَعِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُجْلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴿٣٢﴾ كَلَّمَا الْجِنِّينِ ءَأَنْتَ أَكْلَاهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾ ﴾

﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ مبتدأ وخبر. ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ ﴾ إذا شاء الله رب العالمين ﴿ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ إذا شاء الله رب العالمين، فلنا مشيئة نفرق بها بين الفعل الاختياري والاضطراري ولا يقع الفعل إلا بمشيئة الله - تعالى.

المُهْل: درديُّ الزيت المغلي. وقيل: الذهب والفضة إذا أذيبا. وقوله: ﴿ يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ ﴾ أي: يجعل مكان الغوث وإلا فهو ليس بغوث. ﴿ يَشْوِي الْوُجُوهَ ﴾ إذا دنا منها ويقطع الأمعاء إذا شرب، ويصب من فوق رؤوسهم فيذيب شحم بطونهم.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ مبتدأ، وخبره ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ ﴾ و﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ ﴾ جملة معترضة. وقيل: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ مبتدأ وخبره ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ وعلى هذا دخلت ﴿ إِنَّ ﴾ في خبر ﴿ إِنَّ ﴾. وقيل بجوازه؛ كقوله - تعالى - في سورة الحج: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ ثم قال: ﴿ إِنَّكَ اللَّهُ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾<sup>(٢)</sup>، وأنشدوا عليه

(١) رواه ابن ماجه في سننه رقم (٤١٢٧)، والطبري في تفسيره (١٥ / ٢٣٥)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ٣٠٥ رقم ٦٠٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧ / ٣٣٤ رقم ١٠٤٩١) ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٢٧٣) لابن أبي شيبة وأبي يعلى وأبي نعيم في الحلية وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن خباب.

(٢) سورة الحج، الآية (١٧) قال السمين الحلبي في الدر المنصور (٤ / ٤٥٢): " ويجوز أن تكون =

[من البسيط ] :

إِن الْخَلِيفَةَ إِنْ لَّهِ سَرِبَلَهُ      سِرْبَالٌ عِزُّهُ تُرْجَى الْخُسُوفَاتِيمُ<sup>(١)</sup>

﴿ جَنَّتٌ عَدْنٍ ﴾ إن كانت عدن اسم مكان مخصوص ، فهي معرفة ، وإن كانت من عدن بالمكان إذا أقام به فهي نكرة . قيل : السندس ما رقّ من الديباج . والإستبرق ( ١٠٨ / ١ ) ما غلظ منه ، ولهذا قال : ﴿ مُتَّكِبِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾<sup>(٢)</sup> ولا يعني بما غلظ من الديباج له ناقص القيمة ؛ لأنه ليس في الجنة ناقص إنما هو نوع من الحرير ينسج ثخيناً . ﴿ الْأَرَابِكِ ﴾ السرر في الحجال . ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ ﴾ ﴿ مَثَلًا ﴾ و ﴿ زَجَلِينَ ﴾ مفعولان لـ ﴿ وَأَضْرِبْ ﴾ ومعناها : صير ؛ كقولك : ضربت الطين لبنا ، وقد سبق أن الزمخشري<sup>(٣)</sup> قال : إن الجنة من النخل ، والفردوس من الكرم ، وظاهر هذه الآية يخالفه ؛ لأنه جعل الجنتين من الأعناب ، ﴿ أَكُلْهَا ﴾ أي : ثمرتها .

لَمْ تَظْلِمِمْ : لم تنقص . وكان له أموال مختلفة بثمرها . ﴿ مُحَاوِرَةٌ ﴾ يراجعه للكلام .

النفر : القوم الذين ينفرون معك إذا استدعيتهم . وقال الزمخشري<sup>(٤)</sup> : ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ ﴾ أي : التي لا جنة له سواها ، وليس له في الآخرة إلا النار ، وزعم أنه إن كان ثم آخرة فنصيبه منها وافر ، ولا دليل له على ذلك ولا باعث إلا البطر ، وسعة الرزق . جعل صاحبه إنكاره للبعث وقسمه أن جنته لا تبید ، وأنه يؤتى في الآخرة نصيباً وافراً كفوياً بالله .

﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ : أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴾<sup>(٣٧)</sup>  
لَنَكُنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا<sup>(٣٨)</sup> وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا<sup>(٣٩)</sup> فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنَّ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا

= الجملتان أعني قوله : ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ ﴾ وقوله : ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ ﴾ خبرين لـ ﴿ إِنَّ ﴾ عند من يرى

جواز ذلك ، أعني تعدد الخبر وإن لم يكونا في معنى خبر واحد .

(١) البيت لجرير ينظر في : أمالي الزجاجي ( ص : ٦٢ ) ، تذكرة النحاة ( ص : ١٣٠ ) ، خزانة الأدب

للبيدادي ( ١٠ / ٣٦٤ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٤ / ٤٥٢ ) ، ديوان جرير ( ص : ٦٧٢ ) ،

الكشاف للزمخشري ( ٣ / ١٤٨ ) ، لسان العرب ( ختم ) ، معاني القرآن للفراء ( ٢ / ١٤٠ ) .

(٢) سورة الرحمن ، الآية ( ٥٤ ) .

(٣) تقدم في تفسير سورة الرعد ، الآية ( ٤ ) .

(٤) ينظر : الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٧٢١ ) .

حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحُ مَاءً غُورًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ، طَلَبًا ﴿٤١﴾  
وَأَحِيطَ بِشَمْرِهِ فَاصْبَحَ يَقْلَبُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ بَلِّغْنِي لِمَ أَشْرِكُ بِرَبِّي  
أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ  
ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾

﴿ خَلَقَكَ ﴾ أي: خلق أصلك من تراب ، ثم جعل نسلك من سلالة من ماء مهين .  
﴿ وَلَوْلَا ﴾ بادت حين دخول جنتك فقلت: ﴿ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ .

وقيل: من أكثر قول هذه الكلمتين في بستانه تضاعف ثمره وأمن الجائحة<sup>(١)</sup> .

والحُسابان: عذاب. ﴿ غُورًا ﴾ أي: غائرًا. ﴿ وَأَحِيطَ بِشَمْرِهِ ﴾ هلك. ﴿ يَقْلَبُ كَفَيْهِ ﴾ يديه  
ندماً على خسران ﴿ مَا أَنْفَقَ فِيهَا ﴾ وجعل نفسه مشركاً بذلك من دون الله من سوى الله.  
﴿ وَمَا كَانَ مُنْصِرًا ﴾ بنفسه. ﴿ هُنَالِكَ ﴾ أي: في ذلك الوقت، أو في ذلك الزمان ﴿ الْوَلَايَةُ ﴾ بكسر  
الواو وفتحها<sup>(٢)</sup> لغتان. من رفع ﴿ الْحَقِّ ﴾ فهو صفة للولاية ومن جرّه<sup>(٣)</sup> فهو نعت لله.

﴿ وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ  
هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ  
الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسِِرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ  
تُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ  
لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا  
الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا

(١) ذكر السيوطي في الدر المنثور ( ٥ / ٣٩٢ ) نحو ذلك ونسبه لابن أبي حاتم عن أنس ؓ قال : " من رأى شيئاً من ماله فاعجبه فقال : ﴿ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ لم يصب ذلك المال آفة أبداً وقرأ ﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ ﴾ الآية " .

(٢) قرأ حمزة والكسائي وخلف " الولاية " بكسر الواو ، وقرأ الباقون " الولاية " بفتح الواو .

تنظر القراءات في: الإتحاف للبنا (٢/٢١٦)، الحجة لابن خالويه (ص: ٢٢٥)، البحر المحيط لأبي حيان (٦/١٣١)، الجامع للقرطبي (١٠/٤١١)، الدر المصون للسمين الحلبي (٤/٤٦٠)، الكشاف للزمخشري (٢/٤٦٨ - ٤٦٩)، معاني القرآن للفراء (٢/١٤٦)، النشر لابن الجزري (٢/٣١١).

(٣) قرأ أبو عمرو " الحق " بالفتح ، وقرأ الكسائي " الحق " بالرفع ، وقرأ الباقون " الحق " بالجر .

تنظر القراءات في المراجع السابقة .

﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ \* مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴿٥٢﴾

﴿ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ في حسن إقبالها وسرعة زوالها بجملة ؛ وهي أن ماء نزل من السماء إلى آخره. ﴿ فَأَخْلَطَ بِهِ ﴾ أي: اختلط التراب بالماء ، واختلطت أنواع العشب النابتة من الأرض . ﴿ نَذَرُوهُ الرِّيحُ ﴾ تحمله وتفرقه في نواح شتى .

﴿ وَالْبَقِيَّتُ الصَّالِحَاتُ ﴾ سائر الأعمال الصالحة<sup>(١)</sup> . وقيل: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله ، والله أكبر<sup>(٢)</sup> . وقيل: الصلوات الخمس<sup>(٣)</sup> (١٠٨ / ب).

﴿ وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ أي: مأمولا . ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾ ليس عليها شجر ولا نبات يستر شيئا منها . ﴿ لَا يُغَادِرُ ﴾ لا يترك، ومنه سمي الغدير؛ لأن السيل تركه لانخفاض مكانه. وقيل: سمي به لأن المسافرين يمرُّون عليه وهو ملآن، ثم إذا تهيأ عودهم يظنون أن ذلك الماء باقٍ ، فيجدون الرياح قد أذهبتة ، فكانه غدرهم. فعيل بمعنى فاعل وعلى الأول بمعنى مفعول . ﴿ وَوَجَدُوا ﴾ جزاء ﴿ مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ﴾ ووجدوه مسطورا في صحائف الأعمال . ﴿ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ قيل: اجعلوه قبلتكم . وقيل: اجعلوه إماماً تسجدون لسجوده . والصحيح اسجدوا له تعظيماً، وتختلف الشرائع في ذلك. ومنه: ﴿ وَرَفَعَ أَبُوبِهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾<sup>(٤)</sup> .

﴿ كَانَ ﴾ من خدم الجنة، وبه سمي الجن . وقيل: سمي به لاستتاره عن الأعين ، ولا يتعدى ذلك إلى الملائكة ، فهو مشتق لا يعم كالقارورة والملك والخاوية<sup>(٥)</sup> ﴿ فَفَسَقَ ﴾ فخرج والفاء لِرَدِّ السببية الباطلة ، كأنه قال : أفع فعله مع أبيكم هذا تتخذونه ولياً من دون الله .

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ١٥ / ٢٥٦ ) عن ابن زيد .

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ١٥ / ٢٥٤ - ٢٥٥ ) عن عثمان ؓ وغيره .

(٣) رواه الطبري في تفسيره ( ١٥ / ٢٥٤ ) عن ابن عباس - رضي الله عنهما وغيره .

(٤) سورة يوسف، الآية ( ١٠٠ ) .

(٥) الخاوية: هي الخب أصلها الهمزة من خبات إلا أن العرب تركت همزه قال أبو منصور: تركت العرب

الهمز في أخبيت و خبيت وفي الخاوية لأنها كثرت في كلامهم فاستثقلوا الهمز فيها.

ينظر: لسان العرب ( خباً ) .



وقوله : ﴿ وَذُرِّيَّتَهُ ﴾ احتج بها قوم على أن إبليس تزوج وولد له .

﴿ مَا ﴾ أحضرتهم ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ولا استعنت بهم في خلقهما، ومثله ﴿ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ ﴾ الآية <sup>(١)</sup> واذكر يوم يقول الله : ﴿ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمُوهُمْ شُرَكَاءَ ﴾ ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴾ أي مهلكا ، وهو سرادق جهنم . وقيل : البين بمعنى الوصل ومنه : ﴿ لَقَدْ نَقَطَعَ بَيْنَكُمْ ﴾ <sup>(٢)</sup> بالضم ، المعنى هنا : وجعلنا توصلهم في الدنيا سبباً لهلاكهم في الآخرة .

﴿ وَرَاءَ الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾ <sup>(٥٣)</sup> وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرِ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأُولِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَجَدِلَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٨﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْبِقًا ﴿٥٩﴾

﴿ فَظَنُّوا ﴾ فأيقنوا . وقيل : هو ظن على بابه ، والمواقعة مفاعلة من واحد مأخوذ من الوقوع ، فهم يقعون فيها وهي لا تقع فيهم . ﴿ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ﴾ من كل حكم أو قصة أو موعظة هي في غرابتها كالمثل .

﴿ أَكْثَرِ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ بالباطل ، وفي البخاري : « أن النبي ﷺ طرقت علياً وفاطمة بعد أن أخذتا مضاجعهما فأرادا أن يقوما فقال : على مكانكما . فجلس بينهما . قال علي : حتى وجدت برد قدميه على صدري ، ثم قال : يا علي وفاطمة ، ألا تقومان الليل ؟ فقالا : يا رسول الله ، إنما أنفسنا بيد الله ، إن شاء أن يقيمنا أقامنا ، وإن شاء أن ينيمننا أنامنا ، فلم يرجع النبي ﷺ إليهم جواباً . قال علي : ( ١٠٩ / أ ) فسمعتة وهو مول يضرب فخذه ويقول : ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرِ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ <sup>(٣)</sup> .

(١) سورة الأحقاف ، الآية ( ٤ ) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية ( ٩٤ ) وتقدم تخريج القراءة هناك .

(٣) رواه البخاري رقم ( ٤٧٢٤ ) .

﴿ وَمَا مَعَ النَّاسِ ﴾ الإيمان إلا الاستهانة بما ذكروا به من قصص الأولين . ﴿ أَوْ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴾ أي: معاينة ﴿ وَمُجَدِّدُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ الرسل ﴿ بِالْبَطْلِ لِيُدْحِضُوا ﴾ ليبتلوا ﴿ بِهِ الْحَقُّ وَأَتَّخِذُوا أَيْتِي ﴾ وإنذاري محل هزء أو مهزواً به ، أو جعله نفس الهزء مبالغة ، ولا أحد ﴿ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا ﴾ قدم من الأعمال السيئة حتى جعلته على شفا جرف من النار . الأكنة: جمع كنان ؛ كراهة أن يفقهوا أو لئلا يفقهوا . والوقر بفتح الواو: هو الثقل في الأذن، وبكسرهما الحمل ﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ﴾ فيلزم من الغفران الرحمة؛ لأن الرحمة أعم والمغفرة جزء منها قد تحصل الرحمة بكشف الشدائد وسعة الرزق وبلوغ الآمال . ﴿ بَلِ ﴾ لمجازاتهم ﴿ مَوْعِدٌ ﴾ ﴿ مَوْيلاً ﴾ أي: منجى .

﴿ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴾ (٥٩) وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتْنِهِ لَا أْبْرِحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ ءَاَيْنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَايْتَهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْتَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أَحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾ ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ (٧٥)

﴿ الْقُرَىٰ ﴾ عطف بيان أو صفة و ﴿ أَهْلَكْنَهُمْ ﴾ الخبر ، ويبعد أن يجعل ﴿ الْقُرَىٰ ﴾ خبراً عن ﴿ تِلْكَ ﴾ لقلة الفائدة فيه ، وإن كان قد جاء مثله خبراً ﴿ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا ﴾ (١) ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِبَةٌ بِمَا ظَلَمُوا ﴾ (٢) فيه إشارة إلى معاجلتهم بالعقوبة . ﴿ وَجَعَلْنَا ﴾ لوقت إهلاكهم موعداً .

(١) سورة هود ، الآية (٧٢) .

(٢) سورة النمل ، الآية (٥٢) .

روي: «أن موسى عليه السلام خطب الناس ووعظهم موعظةً بليغةً، فقال له رجل: هل تعلم أحداً أعلم منك؟ فقال: لا. فعتب الله عليه، إذ لم يرد العلم إليه، فقال: عبد لنا بجمع البحرين هو أعلم منك. فقال: يا ربّ كيف السبيل إلى لقائه؟ قال: خذ حوتاً في مكمل، فحيث فقدت الحوت فهو ثمّ، فتوجه هو ويوشع بن نون فتاه لطلبه، واتخذ حوتاً في مكمل، فلما وصلا إلى المكان توضأ يوشع من عين، فأصاب الماء الحوت المشويّ - وكان قد أكل أحد شقيه - فحى، ووقع في الماء، وصار الماء عليه مثل الطاق، ثم توجه لطلبها بقية يومهما فوجدا التعب والجوع، فقال موسى لفتاه: آتنا غداءنا. فأخبره بنجر الحوت، فقال: ذلك ما كنا نبغي. فرجعا يقصان الأثر، فوجدا الخضر. وقيل: إنهما دخلا في الماء في المكان الذي دخل فيه الحوت، فوجدا الخضر جالسا هناك، فسلم موسى عليه، فقال الخضر: أئسى بأرضك السلام؟ فقال: أنا موسى. قال: موسى بني إسرائيل؟! قال: نعم، جئتك لتعلمني مما علمت رشداً. وتأدب موسى مع الخضر لما رده بقوله: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (١٠٩/ب) فقال له: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ فركبا في سفينة، فلما توسط البحر خرق الخضر السفينة ﴿شَيْئًا أَمْرًا﴾ أي: منكراً، وكذلك ﴿تُكْرًا﴾ و﴿إِذَا﴾ وكانت الأولى من موسى نسياناً، فاعتذر عن فعله بنسيانه، فقبل عذره، ثم وجدا غلاماً صبيح الوجه، فأخذه الخضر فقتله، فأنكر موسى عليه ثانياً، واختلف في أي الأمرين أشد؟ فقيل: خرق السفينة؛ لأنه يخشى بذلك هلاك خلق كثير. وقيل: قتل الغلام؛ لأننا تيقنا ذهاب روحه بخلاف ركبان السفينة. قال له الخضر مغلظاً عليه: ﴿الرَّأَيْلُ لَكَ﴾ فزاد لفظه ﴿لَكَ﴾ في الثانية دون الأولى، فحكّمه موسى عليه وقال: ﴿إِنْ سَأَلْتِكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي﴾ قال النبي ﷺ: " وددنا لو أن موسى سكت حتى يقصّ الله علينا من خبرهما " (١).

﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتِكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ (٧٦) ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَنَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعْنَا أَهْلَهَا فَأَبْوَأْنَا أَنْ يُضَيَّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ﴾ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِمَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ

(١) رواه البخاري رقم (٤٧٢٧)، ومسلم رقم (٢٣٨٠)، وأحمد في المسند (٥ / ١١٦، ١١٨، ١١٩)،

وأبو داود رقم (٤٧٠٧)، والترمذي رقم (٣١٤٩).

سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِمَّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾

المراد بالانطلاق: الذهاب ولا يشترط فيه السرعة، وأصله من إطلاق الإنسان أو الدابة الممنوعين عن التصرف. وقوله: ﴿فَانْطَلَقَا﴾ يعني موسى والخضر، ولم يجر ذكر يوشع بعد انطلاقهما، وكملت القصة في محاوررة موسى والخضر دون يوشع.

﴿أَسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا﴾ وقد احتج بهذه الآية من أجاز السؤال عند الحاجة، فإن الخضر وموسى استطعما وردًا. وفيه دليل على أن إعطاء المسكين والسائل ضيافة.

وقوله: ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ﴾ نسبة الإرادة للجدار مجاز والمراد إشرافه على السقوط. ﴿فَأَقَامَهُ﴾ الخضر. وقوله: ﴿لَتُخَذَّتْ﴾ قرئ ﴿لَتُخَذَّتْ﴾ وهما لغتان<sup>(١)</sup> فلما استكمل موسى ثلاثة أسئلة على خلاف ما شرط عليه في قوله: ﴿فَلَا تَسْتَلْنِي عَنْ شَيْءٍ﴾ الآية قال له الخضر: وفاء بالشرط ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ وقد زعم بعضهم البين بمعنى الوصل، احتج بقوله - تعالى: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ في قراءة من ضم النون<sup>(٢)</sup>.

واحتج الشافعي في قوله: إن المسكين أكثر موجوداً من الفقير بهذه الآية<sup>(٣)</sup> فجعل لهم سفينة وسماهم مساكين. وقال بعضهم: لما جاز إرادة إفساد السفينة للمصلحة، وإن كان ضرر ظاهر نسب ذلك إلى نفسه بقوله: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أُعِيبَهَا﴾ ولما كان بقاء الكنز في مكانه لياخذه اليتيم إذا بلغ مصلحة مُجَرَّدَةٌ نسبه إلى الله - تعالى - فقال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا﴾ وقد سأل نافع الأزرق<sup>(٤)</sup> ابن عباس ؓ فقال: "كيف جاز للخضر قتل الغلام ولم يحتلم، وهو لم

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب "لَتُخَذَّتْ"، وقرأ الباقون "لَا تُخَذَّتْ".

وتنظر القراءات في: البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ١٥٢)، الحجة لابن خالويه (ص: ٢٢٨)،

الحجة لأبي زرعة (ص: ٤٢٥)، الدر المصون للسمين الحلبي (٤/ ٤٧٦)، السبعة لابن مجاهد (ص:

٣٩٦)، الكشاف للزنجشيري (٢/ ٤٩٥)، النشر لابن الجزري (٢/ ٣١٤).

(٢) تقدم تخريجها في سورة الأنعام، الآية (٩٤).

(٣) ينظر: المبسوط للسرخسي (٣/ ٢)، المغني لابن قدامة (٧/ ٣١٣).

(٤) هكذا وقع هنا نافع الأزرق، وفي كتب التخريج وفي الكشاف للزنجشيري (٢/ ٧٣٦) أن الذي سأل=

## تفسير سورة الكهف

يجر عليه قلمٌ ؟ قال ابن عباس: عَلِمَ منه أنه يكفر إذا بلغ . فقال : إذا غلب على (١١٠/أ) ظن الإنسان ذلك يجوز له أن يقتل ولم يتحقق منه جناية بعد ؟ فقال ابن عباس: إن علمت من الغلام ما علمه الخضر فاقتله " (١).

وقد قيل في الكنز: إنه لوح مكتوب فيه: "عجبت لمن أيقن بالقدر كيف يحزن، وعجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح ، وعجبت لمن رأى قلب الدنيا بأهلها كيف يطمئن إليها ، لا إله إلا الله محمد رسول الله " (٢) ، وظاهر لفظ الكنز يخالف هذا .

وقيل في الأب الصالح: إن ذلك الولد كان سابع بطن من ذريته، وقد ورد في الأثر: "إن الرجل الصالح يحفظ في السابع من ذريته" (٣) . والأشد: جمع شد، وبلوغ الأشد هو تكامل القوى. وقوله: ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ﴾ يريد أن الله أعلمه ذلك بطريق من طرق الإعلام لم يُطلع الله موسى عليه.

= ابن عباس عن ذلك هو نجدة الحروري ، وكلاهما من الخوارج ؛ أما نافع فهو ابن الأزرق الحروري من رؤوس الخوارج ذكره الجوزجاني في كتاب الضعفاء ، كان من رؤوس الخوارج وإليه تنسب الطائفة الأزارقة، وكان قد خرج في أواخر دولة يزيد بن معاوية ، وكان يخرج في سوق الأهواز ويعترض الناس بما يحير العقل ، وجعل يقرأ ﴿ لَأَنْذَرَعَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ إلى ﴿ فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ وكان يطلب العلم ، وله أسئلة عن ابن عباس مجموعة في جزء من روايته، وأخرج الطبراني بعضها في مسند ابن عباس من المعجم الكبير ، كان قتله في جمادي الآخرة سنة خمس وستين .

تنظر ترجمته في: لسان الميزان لابن حجر العسقلاني (١٤٤/٦).

وأما نجدة الحروري فهو نجدة بن عامر الحروري من رؤوس الخوارج زائع عن الحق ذكر في الضعفاء للجوزجاني ، وهو ابن عمير اليمامي خرج باليمامة عقب موت يزيد بن معاوية وقدم مكة وله مقالات معروفة وأتباع انقرضوا . ترجمته في: لسان الميزان لابن حجر العسقلاني (١٤٨/٦) .

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (٣٥٢ / ١) رقم (٣٢٩٩) ، وأبو يعلى في مسنده (٤٢٣ / ٤) رقم (٢٥٥٠) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٢٦ / ٥) ونسبه لأحمد عن عطاء قال : " كتب نجدة الحروري إلى ابن عباس يسأله عن قتل الصبيان فكتب إليه إن كنت الخضر تعرف الكافر من المؤمن فاقتلهم " . ورواه مسلم في صحيحه رقم (١٨١٢) بلفظ نحو ذلك.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٦ / ١٦) عن الحسن ، ورواه البيهقي في كتاب الزهد الكبير (٢١٥/٢) عن علي بن أبي طالب ؑ وذكره الماوردي في النكت والعيون (٥٠٣ / ٢) عن ابن الكلبي عن أنس.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٦ / ١٦) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٢٩ / ٥) ونسبه لابن أبي حاتم من طريق شيبه عن سليمان بن سليم بن سلمة قال: " مكتوب في التوراة: إن الله ليحفظ القرن إلى القرن إلى سبعة قرون وإن الله يهلك القرن إلى القرن إلى سبعة قرون " .

﴿وَسْتَلُونَا عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ  
وَأَنْبَيْتَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ  
وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَبْدَأُ الْقَرْيَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ  
نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكَرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحَسَنَىٰ وَسَنُقُولُ لَهُ  
مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطَّلِعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ  
دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ  
مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَبْدَأُ الْقَرْيَيْنِ إِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ  
فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾

وقوله - تعالى: ﴿وَسْتَلُونَا عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ وهو ملك ملك الأرض كلها، ولم يملكها إلا أربعة: مسلمان : ذو القرنين وسليمان ، وكافران : بختنصر والنمرود . واختلف لم سمي ذا القرنين ؟ فقيل : لأنه بعث إلى أمتين في مشرق الأرض ومغربها . وقيل : لأنه بلغ مسيره إلى المشرق والمغرب . وقيل : دعا قومه إلى الله فشجوا قرن رأسه ، ثم أعاد دعوتهم إلى الله فشجوا القرن الآخر . وقيل : عاش عمر قرنين ، والأمة الكبيرة تسمى قرنا ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ﴾ <sup>(١)</sup> ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ <sup>(٢)</sup> وقيل : كانت له ذؤابتان حسنتان فسميتا قرنين ، ومن العجيب قول بعضهم : إنه كان له قرنان من نحاس ، فليتي أدري كيف يمتزج النحاس باللحم والدم ، وكيف يأخذ حظه من الغذاء؟! <sup>(٣)</sup>

﴿وَأَنْبَيْتَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يستعين به على الملك ﴿سَبَبًا﴾ فإنه لم يؤت السبب إلى ملك السماوات ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ﴾ الجهة التي تلي مغرب الشمس ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ أي : في نظر عينه قرى حامية ، فالهمز يريد به كثيرة الحمأة وهي الطين ، وغير المهموز يريد شدة الحر <sup>(٤)</sup> . ﴿إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ﴾ هؤلاء القوم ، وإما أن تفعل فيهم فعلاً حسناً ، فرد عليهم الجواب

(١) سورة الإسراء ، الآية ( ١٧ ) .

(٢) سورة المؤمنون ، الآية ( ٣١ ) .

(٣) ذكر بعض هذه الأقوال الماوردي في النكت والعيون ( ٢ / ٥٠٤ ) ، وذكر بقية الأقوال السيوطي في الدر المنثور ( ٥ / ٤٣٩ ) عن وهب بن منبه اليماني ، والزنجشري في الكشاف ( ٢ / ٧٤٣ ) .

(٤) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحفص عن عاصم " حمة " بالهمز ، وقرأ الباقون " حية " غير مهموز . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ١٥٩ ) ، الدر المنثور للسمين الحلبي ( ٤ / ٤٨٠ ) ، السبعة

لابن مجاهد ( ص : ٣٩٨ ) ، الكشاف للزنجشري ( ٢ / ٧٤٤ ) .

مفصلاً فقال: ﴿أَمَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ فله كذا. ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَى﴾ ومن نصب ﴿جَزَاءً﴾ جعله مفعولاً من أجله. ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجدهَا تَطَّلَعُ عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ عُرَاةٌ ، وأنهم حين تطلع الشمس ينزلون في الماء حتى ترتفع الشمس فيخرجون .

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ أي: بين رأسي الجبلين ، وكان بينهما فرجة متسعة يخرج منها غاشية يأجوج ومأجوج (١١٠/ب) فيفسدون في الأرض ويقتلون.

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۗ﴾ (٩٥) ءَأُتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَأُتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا ۗ﴾ (٩٦) فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نُقْبًا ۗ﴾ (٩٧) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۗ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ۗ﴾ (٩٨) ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَمَجَعْنَاهُمْ مَجْعًا ۗ﴾ (٩٩) وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ۗ﴾ (١٠٠) الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ۗ﴾ (١٠١) أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ ۗ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ۗ﴾ (١٠٢) قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۗ﴾ (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسَبُونَ أَنَّهم يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۗ﴾ (١٠٤)

فسأل القوم ذا القرنين أن يسد ما بين الجبلين الذي ليس لهم طريقاً غيره، وعرضوا عليه أن يبذلوا له مالا، فقال: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ طلب منهم الآلة وهي الحديد حتى جمعوا له ما سد بين الجبلين حديداً، ثم دعا بالنحاس، فأوقد عليه النار حتى ذاب، ثم أفرغه على ذلك الحديد المرصوص، فدخل وهو حار في الخلل الذي بين الحديد، فصار كأنه قطعة واحدة. ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا﴾ أن يعلوه ولا أن ينقبوه. ﴿قَالَ هَذَا﴾ السد ﴿رَحْمَةٌ مِنِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ بمجيء الآخرة ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ أي: مذكوكاً ومن قرأ ﴿دَكَّاءَ﴾<sup>(١)</sup> بالمد والهمز أي: لا رأس له ، يقال: ناقة دكاء أي: لا سنام لها .

قوله: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ قيل: الضمير يعود إلى يأجوج ومأجوج وقيل: هو كلام مستأنف يريد به الكفار والظلمة، وشبه اختلاطهم وتظالمهم بتموج البحر فقال: ﴿يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ والصور: قرن ينفخ فيه إسرافيل، وفي ذلك القرن لوى بعدد أرواح بني آدم ، فيصل إلى كل جسد روحه بتلك النفخة . وقيل: الأرض بمنزلة الصور ينفخ فيها إسرافيل .

(١) تقدم في سورة الأعراف ، الآية (١٤٣) .

وقيل : الصُّور جمع صورة <sup>(١)</sup> أي : ينفخ في الصُّور وهو كقولك : بُوص وبوصة ، وتوتة وتوت ، وثوم وثومة . ﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ ﴾ يراها المؤمنون والكفار . لما لم يعتبروا بآيات الله التي شاهدوها في الآفاق وفي أنفسهم كمن غطيت عيناه فلم تستطع الإبصار فقال : ﴿ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي ﴾ وجعلهم في أمر السمع كالصم . ﴿ وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾ ﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَنْخِذُوا عِبَادِي ﴾ أي : ويسلمون من العقوبة جعل جهنم كالنزل المهيأ للضيف وهو تهكم بهم ، و ﴿ بِالْآخِرِينَ أَعْمَلًا ﴾ هم الرهبان ، ومن كان على خطأ يحسب أنه على هدى .

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴾ ﴿ ١٠٥ ﴾ ذَلِكَ جَزَاءُهمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوعًا ﴿ ١٠٦ ﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿ ١٠٧ ﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿ ١٠٨ ﴾ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿ ١٠٩ ﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿ ١١٠ ﴾

وقوله : ﴿ فَحَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ ﴾ ؛ كقوله : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِن عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ <sup>(٢)</sup> وقوله : ﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ ﴾ الآية <sup>(٣)</sup> .

وقوله : ﴿ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴾ قال عبيد بن عمير <sup>(٤)</sup> : " يؤتى بالرجل البدين السمين يوم القيامة فلا يزن عند الله جناح بعوضة " <sup>(٥)</sup> . ﴿ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوعًا ﴾ ( ١١١ / أ ) يهزءون بهم .

(١) قرأ بها الحسن وابن عامر . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٢٧٨ / ٦ ) ، الجامع للقرطبي ( ٢٤٤ / ١١ ) ، الدر المصون للسمن الحلبي ( ٥٤ / ٥ ) ، الكشاف للزنجشيري ( ٥٥٣ / ٢ ) ، المحتسب لابن جني ( ٥٩ / ٢ ) ، المحرر الوجيز لابن عطية ( ١١٠ / ١١ ) .

(٢) سورة الفرقان ، الآية (٢٣) .

(٣) سورة آل عمران ، الآية (١١٧) .

(٤) هو عبيد بن عمير بن قتادة الليثي الجندعي المكي الواعظ المفسر ولد في حياة رسول الله ﷺ وحدث عن أبيه وعن عمر بن الخطاب وعلي وأبي ذر وعائشة وأبي موسى الأشعري وابن عباس وطائفة وكان من ثقات التابعين وأئمتهم بمكة ، وكان يذكر الناس فيحضر ابن عمر - رضي الله عنهما - مجلسه ، توفي قبل ابن عمر بأيام يسيرة وقيل : توفي في سنة أربع وسبعين . تنظر ترجمته في : سير أعلام النبلاء ( ١٥٦ / ٤ ) .

(٥) ورد ذلك مرفوعا رواه البخاري في صحيحه رقم ( ٤٤٥٢ ) ، ومسلم رقم ( ٢٧٨٥ ) عن أبي هريرة ؓ عن رسول الله ﷺ قال : إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة ، وقال : اقرؤوا إن شئتم ﴿ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴾ .



قال بعض العلماء: لم تمدح الجنة بأحسن من قوله تعالى: ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ لأن الإنسان لو هياً قصراً من ذهب ، وجمع فيه كل ما يحبه ويملاً عينه ويسر قلبه وأقام في ذلك المكان بعينه مدة فإنه يمله ويود لو انتقل إلى هيئة أخرى من التلذذ<sup>(١)</sup>.

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا تَكْتَبُ بِهِ كَلِمَاتِ رَبِّي﴾ زاد في سورة لقمان ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾<sup>(٢)</sup> التقدير: لو كان البحر مداداً تكتب به كلمات ربي.

﴿وَنَفَذَ﴾ بكسر الفاء والذال المهملة أي : فرغ ﴿وَنَفَذَ﴾ بفتح الفاء والذال المعجمة<sup>(٣)</sup>.

فمعناه : نفذ ، تقول نفذ السهم أي : خرق إلى الجانب الآخر .

وقوله: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ قيل: نزلت في المرائين، وسماهم مشركين وفعلهم شركاً بقوله: ﴿وَلَا يَشْرِكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾<sup>(٤)</sup>.

\* \* \*

(١) ذكر نحوه ابن كثير في تفسيره (٣ / ١٠٩) .

(٢) سورة لقمان ، الآية (٢٧) .

(٣) تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ١٦٨) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٤ / ٤٨٧) ، الكشاف للزمخشري (٢ / ٧٥٠) .

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٦ / ٤٠) .

## سورة مريم عليها السلام [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ كَهَيْعَصَ ① ذَكَرْ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ② إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ③ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ④ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ⑤ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ⑥ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ⑥ ﴾

﴿ عَبْدَهُ ﴾ مفعول بـ ﴿ رَحْمَتِ ﴾ ﴿ زَكَرِيَّا ﴾ بدل ﴿ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾ أخفاه لبعده عن الرياء، أو أخفاه من بني عمه الذين خافهم، أو خاف أن يلام على طلب الولد مع الشيخوخة ﴿ وَهَنَ ﴾ الوهن : الضعف . وقيل : هو أشد الضعف ، واحتجوا بقوله - تعالى : ﴿ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا ﴾ <sup>(١)</sup> والمعطوف غير المعطوف عليه . ﴿ الرَّأْسُ ﴾ ولم يقل : رأسي اكتفاء بفهم المخاطب ، إرادة للإضافة . وعند الكوفيين : الألف واللام قامت مقام الإضافة <sup>(٢)</sup> . ﴿ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ ﴾ من عادة المحسن أن يبقى له إدلال على من أحسن إليه، وقد عكس زكريا ذلك وجعل تكرار إحسان الله إليه سببا في إدلاله وتكرار سؤاله فقال: ﴿ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ وحكي أن رجلاً قصد رجلاً فقال القاصد : أنا الذي أحسنت إليّ يوم كذا وكذا فقال : مرحباً بمن توسل بنا إلينا <sup>(٣)</sup> .

﴿ الْمَوَالِيَ ﴾ بنو العم ، وخاف تضييعهم للتوراة ولأحكام شريعتهم بعد موت زكريا فسأل ربه ولداً صالحاً يخلفه من بعده في رعاية الإسلام . العاقر: هي الرملة التي لا تنبت فشبهت المرأة التي لا تحمل بها. ﴿ وَلِيًّا ﴾ فعيل إما بمعنى مفعول، أي : تتولاه أنت أو بمعنى فاعل أي: يتولى الله . ﴿ يَرِثُنِي ﴾ بالجزم جواباً للأمر، وبالرفع <sup>(٤)</sup> على الصفة لـ ﴿ وَلِيًّا ﴾ ،

(١) سورة آل عمران، الآية (١٤٦) .

(٢) أجاز الكوفيون وبعض البصريين وكثير من المتأخرين نيابة " آل " عن الضمير المضاف إليه . تنظر المسألة في: اللباب في علل البناء والإعراب للعكبري ( ١ / ٤٩٥ ) ، مغني اللبيب لابن هشام ( ١ / ١٠٠ ) .

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٤ ) .

(٤) قرأ أبو عمرو والكسائي ﴿ يَرِثُنِي ﴾ بالجزم ، وقرأ الباقر ﴿ يَرِثُنِي ﴾ بالرفع . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ١٧٣ ) ، الدر المصون للسمن الحلبي ( ٤ / ٤٩٢ ) ، السبعة لابن مجاهد (ص: ٤٠٧) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٥ ) .

ويظهره وله - تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ﴾ بالجزم والرفع<sup>(١)</sup>.

﴿ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾ أي: النبوة، ومن زكريا الحبورة<sup>(٢)</sup>. ويعقوب هذا هو ابن إسحاق بن إبراهيم. وقيل: غيره<sup>(٣)</sup>.

﴿ يَنْزِكْرِيًّا إِنَّا نَنْشُرُكَ بِعُلْمٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَم نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ۗ ﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ۗ ﴿٨﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ۗ ﴿٩﴾

السمي فيه قولان ( ١١١ / ب ) أحدهما: أنه المثل ، ومنه قوله تعالى : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ أي : مثلاً . والثاني: أنه لم يتسم بهذا الاسم أحد ، وفيه مناسبة فإنه ولد بين شخصين كالميتين شيخ وامرأة عاقر كبيرة ، قال ﷺ : " نَحْنُ مَعَاشِيرَ الْأَنْبِيَاءِ ، مَا مِنَّا إِلَّا مَنْ عَصَى أَوْ هَمَّ بِمَعْصِيَةٍ غَيْرِ يَحْيَى بْنِ زَكْرِيَّا " <sup>(٤)</sup>.

(١) سورة القصص ، الآية ( ٣٤ ) وقرأ عاصم وحمة « يُصَدِّقُنِي » بالرفع ، وقرأ الباقون « يُصَدِّقُنِي » بالجزم . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ١٠٣ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٤ / ٤٩٢ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٤٩٤ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٥ / ٣٤٣ ) .

(٢) ذكره ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث ( ١ / ٣٠٢ ) عن ابن عباس في رواية أبي صالح عنه قال : " يرثني أي يرثني الحبورة وكان حبرا ، ويرث من آل يعقوب أي : يرث الملك " .

(٣) قال الماوردي في النكت والعيون ( ٢ / ٥١٧ ) : وهو يعقوب بن ماثان وكان فيهم الملك ، وكان زكريا من ولد هارون بن عمران أخي موسى ، قال مقاتل : ويعقوب بن ماثان هو أخو عمران أبي مريم ؛ لأن يعقوب وعمران ابنا ماثان .

(٤) قال الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير ( ٤ / ١٩٩ ) : " اشتهر في الخبر " ما منا إلا من عصى أو همَّ بمَعْصِيَةٍ إِلَّا يَحْيَى بْنُ زَكْرِيَّا " قلت : المشهور بلفظ " ما من آدمي إلا وقد أخطأ أو همَّ بخطيئة أو عملها إلا يحيى بن زكريا لم يهم بخطيئة ولم يعملها " رواه أحمد وأبو يعلى والحاكم عن ابن عباس وهذا لفظه ولفظهما " ما من أحدٍ من ولد آدم إلا قد أخطأ أو همَّ بخطيئةٍ ليس يحيى بن زكريا " وهو من رواية علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران وهما ضعيفان ، وله طريق أخرى عند البزار من رواية محمد بن عون الخراساني وهو ضعيف وفي الباب عن أبي هريرة في الطبراني في الأوسط وكامل بن عدي في ترجمة حجاج بن سليمان وأخرجه البيهقي بإسناد صحيح إلى الحسن عن النبي ﷺ مرسلا وأخرجه عبد الرزاق من طريق سعيد بن المسيب مرسلا أيضا " . قلت : وبهذا اللفظ رواه الإمام أحمد في مسند ( ١ / ٢٥٤ ) رقم ( ٢٢٩٤ ) ، وأبو يعلى في مسنده رقم ( ٢٥٤٤ ) ، والحاكم في المستدرک على الصحيحين ( ٢ / ٦٤٧ ) رقم ( ٤١٤٩ ) .

فلذلك لم يكن له مثل في هذه العصمة . فإن قيل: سأل زكريا الولد، فلما بشر به قال: أنى يكون لي ولد ، فاستبعد ذلك . وجوابه: أنه لم يستبعده، وإنما قال: هل أبقى على الشيخوخة وزوجي على العقر ، أو أتغير أنا إلى الشباب والزوجة إلى صلاح الولد ، والعتي: شدة الهرم ويبس الأعضاء ، الكاف في ﴿ كَذَلِكَ ﴾ في موضع رفع ، أي: الأمر مثل ذلك ، أو في موضع نصب ، أي : قولاً مثل ذلك . ﴿ هُوَ عَلَى هَيْئٍ ﴾ تفسير للقول ، لقوله: ﴿ أَنْتَ دَايِرَ هَتُولَاءِ ﴾ الآية تفسير لقوله: ﴿ ذَلِكَ الْأَمْرُ ﴾<sup>(١)</sup> ولم يكن شيئاً أي : لا تستبعد حصول التناج من وطئك ، فإنني أوجدتك من العدم والله على كل شيء قدير .

﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ الْأَتُّ كَلِمَ النَّاسِ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾<sup>(١٠)</sup> فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا<sup>(١١)</sup> يَبِيحِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا<sup>(١٢)</sup> وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكَاةً<sup>(١٣)</sup> وَكَانَ تَقِيًّا<sup>(١٤)</sup> وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا<sup>(١٥)</sup> وَسَلَّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا<sup>(١٦)</sup> وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا<sup>(١٦)</sup>

فسأل زكريا آية ترشده إلى أن المرأة قد حملت فقيل له: إنك لا تستطيع الكلام لكن ينطلق لسانك بالتسبيح، وإذا أراد غير التسبيح أشار لما يريد .

﴿ سَوِيًّا ﴾ أي: لا آفة بلسانك. وقد احتج قوم على أن المعدوم ليس بشيء بقوله: ﴿ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾ وعورضوا بقوله: ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿ فَأَوْحَى ﴾ فأشار. وقيل: كتب على الأرض ﴿ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ ﴿ الْكِتَابَ ﴾ التوراة. ﴿ الْحُكْمَ ﴾ العلم. وقيل: النبوة . وقيل: دعاه الصبيان للعب فقال: ما للعب خلقنا<sup>(٣)</sup>.

الحنان: الرحمة، وكان رحيماً رفيقاً بأبويه وغيرهما. ﴿ وَزَكَاةً ﴾ طهارة . وقيل: صدقة كان يتصدق على المساكين.

(١) سورة الحجر ، الآية ( ٦٦ ) .

(٢) سورة الحج ، الآية ( ١ ) .

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٥ / ٤٨٥ ) ونسبه للحاكم في تاريخه من طريق سهل بن سعيد عن

الضحاك عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: " قال الغلمان ليحيى بن زكريا : اذهب بنا نلعب ،

فقال يحيى : ما للعب خلقنا اذهبوا نصلي . "

واعلم أن للإنسان ثلاثة أحوال: حين يكون في بطن أمه ، فإذا جاءت الولادة انتقل إلى عالم لم يأنس به ولم يعلم ما فيه ، فيستوحش لفقد مكانه ، ثم يبقى في الأرض مدة عمره ، ثم يموت فينقل إلى عالم البرزخ ، وفيه ما لا يعرفه فيستوحش ، ثم يجيء البعث فيرى عالماً عظيماً وخطوباً جسيمة فيستوحش ، فسلم الله على يحيى وعيسى في هذه الأحوال التي يستوحش المرء فيها ، فقال : ﴿ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ .

قوله - تعالى: ﴿ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ ﴾ بدل اشتمال من مريم ، أي : واذكر مريم زمن انتباذها ( ١١٢ / أ ) والاشتمال تارة من المشتمل على ما اشتمل عليه كقوله - تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الثَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾ <sup>(١)</sup> والشهر مشتمل على القتال ، ويأتي بالعكس ؛ لأن زمن انتباذها مشتمل عليها.

﴿ مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾ أي: شرقي بيت المقدس، أو شرقي منزلها، وإنما انتبذت لتفلي رأسها، وقيل: لتغتسل من الحيض.

﴿ فَأَتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ <sup>(١٧)</sup> قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا <sup>(١٨)</sup> قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا <sup>(١٩)</sup> قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا <sup>(٢٠)</sup>

﴿ فَأَتَّخَذَتْ ﴾ حجاباً يسترها عن أعين الناظرين . ﴿ رُوحَنَا ﴾ جبريل ، وسمي روحاً لنزوله بالروح الذي هو القرآن ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾ <sup>(٢)</sup> ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ ﴾ <sup>(٣)</sup> . وقيل: جبريل يسمي روحاً؛ لقوله: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾ <sup>(٤)</sup> وقيل: ﴿ رُوحَنَا ﴾ إكرام وتشريف ؛ كما تقول لمن تحبه : أنت روحي.

﴿ سَوِيًّا ﴾ أي: تام الأعضاء . وقيل: تام الجمال والحسن. تمثل لها في صورة شاب أمرد جميل الصورة ، فاستعادت بالله منه ، وهذا في غاية الخشية من الله ، أن تظفر شاباً بشاب تام الخلقة فتلتجئ إلى الله في كف شره . قوله : ﴿ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴾ إن كنت ممن تنفع فيه الاستعاذة

(١) سورة البقرة ، الآية ( ٢١٧ ) .

(٢) سورة الشورى ، الآية ( ٥٢ ) .

(٣) سورة النحل ، الآية ( ٢ ) .

(٤) سورة النحل ، الآية ( ١٠٢ ) .

ويعبأ بها . وهذا جواب عن سؤال مقدر ، كأن قائلًا قال : لا يستعاذ من التقي ، إنما يستعاذ من الفاجر ، فقال لها جبريل : إنني إنما جئت من جهة الذي استعدت به . قرئ ﴿لَاهَبْ﴾ (ليهب) <sup>(١)</sup> ولما كانت الأفعال الإلهية تجري غالباً على أيدي الملائكة نسب الفعل إلى الملائكة ؛ كقوله في قصة الملائكة مع إبراهيم <sup>(٢)</sup> : ﴿إِلَّا أَمْرَاتُهُ قَدَرْنَهَا مِنَ الْغَيْرِ﴾ <sup>(٣)</sup> ﴿أَنْتِ﴾ بمعنى من أين ؟ بالغت في البعد عن الريبة بقولها : ﴿وَلَمْ يَمَسَّنِي بَشَرٌ﴾ وهو أبلغ من أن تقول : ولم يطئني ، أو لم يضاجعني .

قوله : ﴿وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا﴾ هاهنا سؤال وهو أن " فعيلًا " يأتي بمعنى الفاعل والمفعول ، فإن كانت بمعنى الفاعل دخلت تاء التأنيث فيه ، تقول : رجل رحيم ، وامرأة رحيمة ، وإن كانت بمعنى المفعول لا تدخل تاء التأنيث ، تقول : امرأة قتيل ، وطرف كحيل .

وهاهنا بغيٌّ بمعنى باغية ، فقياسه : ولم أك بغيةً ؟ والجواب : أنهم قالوا : إن أصله فعول وليس من فعيل الذي بمعنى فاعل ، ولكنه من قولهم : امرأة بغوٌ ، كما يقال : فلان نهوٌ عن السرِّ . فإن قلت : قد قال - تعالى : ﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾ <sup>(٤)</sup> وهي منطوحة لا ناطحة؟

فجوابه : أن الهاء في نطيحة وذبيحة (١١٢/ ب) للنقل من الوصفية إلى الاسمية بدليل أنك لو ذكرت اسم الشاة فقلت : شاة نطيحٌ إن أردت المفعول ، ونطيحة إن أردت الفاعل .

﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْئٍ وَلِنَجْعَلَهُ ءَايَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ ﴾

(١) قرأ جمهور القراء «لَاهَبْ» ، وقرأ أبو عمرو ويعقوب وورش وقالون بخلف عنه «ليهب» .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ١٨٠) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٢٣٦) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٤٤٠) ، الدر المصون للسمن الحلبي (٤ / ٤٩٦) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٤٠٨) ، مجمع البيان للطبرسي (٦ / ٥٠٧) ، معاني القرآن للفراء (٢ / ١٦٣) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣١٧ ، ٣١٨) .

(٢) كذا بالأصل " إبراهيم " والمعروف أن ذلك كان مع نبي الله لوط عليه السلام ، ولكن لعله يريد أنه كان في زمن إبراهيم عليه السلام ، وكانت بداية القصة مع إبراهيم عليه السلام والملائكة ، وسياق القصتين واحد كما ورد في غير موضع من القرآن الكريم .

(٣) سورة الحجر ، الآية (٦٠) وسورة النمل ، الآية (٥٧) .

(٤) سورة المائدة ، الآية (٣) .

قوله : ﴿ قَالَ رَبِّكَ ﴾ مُفسرٌ بقوله : ﴿ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾ وقد حكى لفظه يعني قال : هو عليّ ولو أراد حكاية المعنى لقال : هو عليه هين ﴿ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً ﴾ معطوف على جملة مقدره ، والتقدير : لنكرمه ولنجعلهُ ؛ كقوله : ﴿ مَكَّانًا لِيُوسَفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ ﴾<sup>(١)</sup> فتقدم جبريل إليها ونفخ في جيب درعها ، فحملت بعيسى . قيل : في ساعة واحدة . وقيل : في ثلاث ساعات . وقيل : لتسعة أشهر . وقيل : لثمان ، ولم يعش مولود لثمان غيره . ومثل هذه الأقوال تشبه التكاذب ؛ لأن الواقعة واحدة والكائن من هذه الأمور واحد<sup>(٢)</sup> .

﴿ مَقْضِيًّا ﴾ أي : مفروغا منه ، كقول الشاعر [ من الكامل ] :

وعليهما مُسْرُودَتَانِ قِضَاهُمَا      داوُدُ أَوْ صَنَعَ السَّوَابِغَ بُبْعُ<sup>(٣)</sup>

وفي الكتاب العزيز ﴿ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾<sup>(٤)</sup> و ﴿ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ ﴾<sup>(٥)</sup> ﴿ فَأَنْبَذَتْ ﴾ ذهبت ناحية به ، أي : وهو معها حمل في بطنها . ﴿ مَكَّانًا قَصِيًّا ﴾ بعيداً عن أعين الناظرين وخوفاً من الفضيحة والتعنيف .

﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا ﴾<sup>(٦)</sup>  
فَنَادَتْهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحَمُّكَ سَرِيًّا<sup>(٧)</sup>

﴿ فَأَجَاءَهَا ﴾ فألجأها ، وحقيقته جعلها تجيء . و ﴿ الْمَخَاضُ ﴾ الطلق لتمخض الولد وحركته عند قرب الولادة ﴿ إِلَى جِذْعِ ﴾ نخلة يابسة فقالت : ﴿ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا ﴾ .

فإن قلت : فقد قال النبي ﷺ : " لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل " <sup>(٦)</sup> فكيف تمته

(١) سورة يوسف ، الآية ( ٢١ ) .

(٢) تنظر الأقوال في : النكت والعيون للماوردي ( ٢ / ٥٢٠ - ٥٢١ ) .

(٣) البيت لأبي ذؤيب الهذلي ، ينظر في : تاج العروس للزبيدي ( قضى ) ، تفسير القرطبي ( ١٥ / ٣٠١ ) ، روح المعاني للألوسي ( ٢٢ / ١١٥ ) ، غريب الحديث للخطابي ( ٢ / ١٨ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٤ / ٤٤٨ ) ، لسان العرب ( صنع - قضى ) والدرع المسردة : مستديرة الخلق ، وقضاهما : فرغ من عملهما . والسوابغ : الدروع الطويلة .

(٤) سورة يوسف ، الآية ( ٤١ ) .

(٥) سورة مريم ، الآية ( ٣٩ ) .

(٦) رواه البخاري رقم ( ٥٦٧١ ) ، ومسلم رقم ( ٢٦٨٠ ) عن أنس رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : " لا يتمنين أحدكم الموت من ضربه ، فإن كان لابد فاعلا فليقل : اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي " .

مريم؟ فالجواب : أن النبي ﷺ نهى عن تمني الموت لضر نزل ، ولم تكن مريم بهذه الصورة ، وإنما خافت أن تسرع إليها التهمة ، فيحصل لخلق كثير الضرر بوقوعهم في تهمتها ، والنسيء : هو ما يهمل من أثاث البيت عند الرحيل كالعصي المكسورة والصحفة المكسورة ، وأكثر الناس يتركها مهملة ولا يستصحبها في السفر ، وتقول العرب عند السفر لغلمانهم : اجمعوا أنساءكم ، وهو جمع نسي ، كحمل وأحمال وعدل وأعدال . ﴿ فَنَادَيْنَاهَا ﴾ جبريل ، وكان قد جلس بالقرب منها في أسفل الوادي ويدل عليه قراءة من قرأ ﴿ فَنَادَيْنَاهَا مِنْ تَحْتِهَا ﴾ بكسر ميم<sup>(١)</sup> ﴿ مِنْ ﴾ وقيل المنادي عيسى ، ناداها وهو في بطنها والأول أظهر ؛ لأن عيسى لم يوجد بعد .

في السري قولان: أحدهما: أنه النهر، قال لييد بن ربيعة ( ١١٣ / أ ) [ من الكامل ]:

فَتَوَسَّطَا عُرْضَ السَّرِيِّ فَصَدَّعَا مَسْجُورَةً مُتَجَاوِرًا قَلَامُهَا<sup>(٢)</sup>

والثاني: أن السرى هو السيد ، وهو متجه إذا قلنا : إن المنادي عيسى .

وكان الحسن يقول : " كان والله عيسى سرياً " <sup>(٣)</sup> ، ومنه : سَرَاةُ النَّاسِ ، بفتح السين : سادتهم وعلى القول الأول : فكلي من الجني واشربي من السري ، وقالوا : ما للنفساء أجود من الرطب<sup>(٤)</sup> . وفي نصب ﴿ رُطْبًا ﴾ وجهان : أحدهما : أنه تمييز ، أي : تساقط هذا

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة ورويس " مَنْ تَحْتَهَا " ، وقرأ باقي العشرة " مِنْ تَحْتِهَا " .  
تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ١٨٣ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ٢٣٧ ) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٤٤١ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٤ / ٤٩٩ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٤٠٨ ) ،  
الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٥٠٧ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣١٨ )

(٢) ينظر البيت في : روح المعاني للألوسي ( ١٦ / ٨٣ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ١٣ ) ، لسان العرب ( وسط ) ، معاني القرآن للنحاس ( ٤ / ٣٢٥ ) والبيت يصف فيه الشاعر حمارا وحشيا مضى خلف أتانه نحو الماء ، فتوسطا : الحمار والأتان ، عرض السري : ناحية النهر الصغير وجانبه ، فصدعا : شقا ، ومسجورة : عينا مملوءة ، والقلام - كرم - : نوع من النبات ، ومتجاورا قلامها : كثير النبات .

(٣) رواه الطبري في تفسيره ( ١٦ / ٧٠ ) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٥ / ٥٠٢ ) لابن أبي حاتم .  
(٤) ورد في ذلك بعض الآثار منها ما رواه الطبري في تفسيره ( ١٦ / ٧٢ ) عن عمرو بن ميمون أنه قال : " ما من شيء خير للنفساء من التمر والرطب " ، وذكر السيوطي في الدر المنثور ( ٥ / ٥٠٥ ) ونسبه لعبد بن حميد عن شقيق قال : " لو علم الله أن شيئاً للنفساء خير من الرطب لأمر مريم به " . ونسب لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر عن الربيع بن خيثم قال : " ليس للنفساء عندي دواء مثل الرطب ولا للمريض مثل العسل " .



النوع من التمر . وقيل : هو مفعول بـ ﴿وَهَزَى﴾ واستبعده الزمخشري<sup>(١)</sup> ؛ لأن الرطب لا تهز وإنما يهز الجذع . وقيل : منصوبٌ بـ ﴿تُسْقَطُ﴾ بضم التاء وكسر القاف .

﴿وَهَزَى إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقَطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَأَشْرِي وَقرِي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَقَرِي عَيْنًا﴾ أي : أبشري بما منحك الله - تعالى - من هذا الولد المؤيد بالمعجزات ، وإحياء الموتى ، وقرئ ﴿تُسَاقِطُ﴾ و ﴿تَسَاقِطُ﴾ على الأصل و ﴿تَسَاقِطُ﴾ خفيفة السين بحذف إحدى التاءين و ﴿تسقط﴾ و ﴿يسقط﴾ بالياء<sup>(٢)</sup> .

قوله : ﴿وَقَرِي عَيْنًا﴾ فيه تأويلان : أحدهما : أن دمعة الفرح باردة ودمعة الحزن حارة ، فيقال للمدعو له : أقر الله عينه ، أي : جعل دمعه بارداً ، وللمدعو عليه : أسخن الله عينه . والتأويل الثاني : أنه من القرار والاستقرار ، يعني : لتستقر عينك فلا تمتد إلى غير هذه الموهبة .

ما في ﴿فَإِمَّا﴾ زائدة . ﴿صَوْمًا﴾ أي : إمساكاً . وقيل : نذرت صوماً ، وكان من شرط صحة صومهم ألا يتكلم الصائم ، وقد نهى عن ذلك في شريعتنا<sup>(٣)</sup> . ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ قيل : كانت تكلم الملائكة . فإن قلت : قد اعتذرت عن الكلام بقولها : ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ وهو كلام ، وقد قال الفقهاء : لو قال : والله لا أكلمك فتنح عني . أنه يجب عليه الكفارة لليمين ؛ لأن قوله : فتنح عني . كلام<sup>(٤)</sup> . فجوابه : أنها بينت هذا القول بالإشارة لا باللفظ . وقيل : باللفظ ، واستثني لها هذا القول .

(١) ينظر : الكشاف للزمخشري ( ٣ / ١٣ ) ونسب للمبرد جواز انتصابه بـ " هزي " .  
 (٢) قرأ حفص " تُسَاقِطُ " ، وقرأ حمزة " تُسَاقِطُ " ، وقرأ يعقوب " يَسَاقِطُ " ، وقرأ باقي العشرة " تَسَاقِطُ " ، وقرأ أبو حيوه " تُسَقِطُ " ، وقرئ كذلك " يَسْقِطُ ، وَيُسْقِطُ " . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ١٨٤ ) ، تفسير القرطبي ( ١١ / ٩٤ ، ٩٥ ) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٤٤٢ ) ، الدر المصون للسمن الحلبي ( ٤ / ٥٠١ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٤٠٩ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ١٣ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٣ / ٣٢٩ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣١٨ ) .  
 (٣) روى البخاري في صحيحه رقم ( ٦٣٢٦ ) عن عكرمة عن ابن عباس قال : " بينا النبي ﷺ يخطب إذا هو برجل قائم ، فسأل عنه ، فقالوا : أبو إسرائيل ، نذر أن يقوم ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم فقال النبي ﷺ : مره فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه " .  
 (٤) ينظر : المبسوط للسرخسي ( ٦ / ١١٣ ) ، المغني لابن قدامة ( ١١ / ٣٢٧ ) ، المهذب للشيرازي ( ٢ / ١٠٠ ) .

﴿فَأْتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ، قَالُوا يَمْرِيْمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ (٢٧) يَتَأَخْت هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ  
 أَمْرًا سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ  
 إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ  
 وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبِرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ  
 وَيَوْمَ أُمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣) ﴿

والفري مأخوذ من الفري وهو القطع ، وكانهم قالوا : جئت بشيء اقتطع عما يعهده  
 الناس . وفي هارون الذي جعلت مريم أخته قولان : أحدهما : أنه ممدوح ، والمراد أخت  
 هارون أخي موسى ، وكانت تشبهه به في عبادتها . أو رجلاً صالحاً مشى في جنازته أربعون  
 ألفاً تسموا باسمه تبركاً به . والقول الثاني : أنه مذموم ، وهو فاجر كان في بني إسرائيل ،  
 يعني : قد أشبهته في الفجور وقولهم لها في تبرئة أبيها وأمها تعريضاً بما أتت به من الأمر  
 العظيم .

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ أنه الذي يجيبكم ، فقالوا : والله ( ١١٣ / ب ) لسخريتها بنا أشد علينا  
 مما فعلت . ﴿كَانَ﴾ زائدة ، أي : مَنْ فِي الْمَهْدِ ؛ لأن أكثر الناس يرَبَّى في المهد ، وقول عيسى  
 ﷺ بأنه عبد الله ردّاً على قول من ادعى فيه الشركة .

وحكي أنه كان يرضع ، فلما أشارت إليه مريم أقبل عليهم واعتمد على يده اليسرى ،  
 وخاطبهم مجيباً بسبابة اليمنى<sup>(١)</sup> . قوله : ﴿الْكِتَابَ﴾ قيل : آتاه الله النبوة وهو يرضع . وقيل :  
 عند بلوغ سن النبوة .

وتعريف السلام في قوله : ﴿وَالسَّلَامُ﴾ لسبقه نكرة في قصة يحيى ، وأنكر بعض العلماء  
 ذلك وقال : كيف يشار في كلام أحدهما إلى كلام الآخر ؟ وكيف يقول عيسى : وذلك  
 السلام الذي سلمه الله على يحيى حاصل على ذلك المحدث عنه بهذه القصة ؟<sup>(٢)</sup> .

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٤٩٨ / ٥ ) ونسبه لعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد .

(٢) قال الزمخشري في الكشاف ( ١٦ / ٣ ) : " قيل : أدخل لام التعريف ؛ لتعرفه بالذكر قبله ؛ كقولك :  
 جاءنا رجل ، فكان من فعل الرجل كذا ، والمعنى : ذلك السلام الموجه إلى يحيى في المواطن الثلاثة موجه  
 إليّ . والصحيح أن يكون هذا التعريف تعريضاً باللعة على متهمي مريم عليها السلام وأعدائها من  
 اليهود . وتحقيقه : أن اللام للجنس ، فإذا قال : وكنس السلام عليّ خاصة ، فقد عرّض بأن ضده  
 عليكم ، ونظيره قوله تعالى : ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ أَتْبَعِ الْهُدَى﴾ يعني : أن العذاب على من كذب وتولى ،  
 وكان المقام مقام منكرة وعناد فهو مئة لنحو هذا من التعريض . "

﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ (٢٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾

قري ﴿قَوْلَ الْحَقِّ﴾ برفع اللام ونصبها ، و ﴿قَوْلَ الْحَقِّ﴾ بضم القاف ، و (قال الحق) بضم اللام والإضافة<sup>(١)</sup> ، والقول والقييل والقال بمنزلة الرهب والرهب والرهب.

﴿يَمْتَرُونَ﴾ يَشْكُونَ ، فتقول : ما كان لزيد أن يفعل ، فيحتمل وجهين : أحدهما : أن ذلك الفعل مستحيل من مثله ؛ كقوله : ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ﴾ ﴿مَا كَانَتْ لَكُمُ أَنْ تُنْتَبِئُوا شَجَرَهَا﴾<sup>(٢)</sup> . والثاني : أن يكون غير جائز شرعا وإن احتمل وجوده عقلاً ﴿وَمَا كَانَ لِنبِيِّ أَنْ يَغُلَّ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ﴾<sup>(٤)</sup> ﴿مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾<sup>(٥)</sup> وأمثلة هذا القسم أكثر. قوله : ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ بضم النون ، معطوف على ﴿يَقُولُ﴾ وعلى قراءة النصب<sup>(٦)</sup> إشكال لأنك إن نصبته جواب ﴿كُنْ﴾ كان مقولاً ، فيكون الله - تعالى - إذا أراد أمراً قال: كن. فيكون ، وهو ظاهر الفساد ، وإن حاول عطفه على ﴿يَقُولُ﴾ ف ﴿يَقُولُ﴾ مرفوعة ، ولا يعطف المنصوب على المرفوع ، وإنما يتأتى ذلك حيث يكون ﴿يَقُولُ﴾ منصوبة ، كما في قوله : ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>(٧)</sup> .

﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (٣٦) فَأَخْلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَوْلًا لِلَّذِينَ

(١) قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب " قَوْلَ الْحَقِّ " ، وقرأ باقي العشرة " قَوْلُ الْحَقِّ " ، وقرأ الحسن البصري " قَوْلُ الْحَقِّ " ، وقرأ ابن مسعود " قال الحق " . تنظر القراءات في: البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ١٨٩ ) ، تفسير القرطبي ( ١١ / ١٠٥ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ٢٣٨ ) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٤٤٣ ) ، الدر المصون للسمن الحلبي ( ٤ / ٥٠٥ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٤٠٩ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٣ / ٣٣٣ ) ، الكشاف للزنجشيري ( ٣ / ١٦ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣١٨ ) .

(٢) سورة النمل ، الآية ( ٦٠ ) .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ( ١٦١ ) .

(٤) سورة التوبة ، الآية ( ١٧ ) .

(٥) سورة يوسف ، الآية ( ٣٨ ) .

(٦) قرأ ابن عامر من العشرة " كن فيكون " ، وقرأ الباقون " فيكون " .

تنظر في : الحجة لابن خالويه ( ص : ٢١١ ) حجة أبي زرعة ( ص : ٣٨٩ ) ، الدر المصون للسمن الحلبي ( ١ / ٣٥٤ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٣٧٣ ) ، الكشاف للزنجشيري ( ٢ / ٤١٠ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٢٠ ) .

(٧) سورة النحل ، الآية ( ٤٠ ) .

كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾  
وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا  
يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾

قريء ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾ بالفتح<sup>(١)</sup>؛ كقوله: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾<sup>(٢)</sup> تقديره: ولأن ذلك كذلك فاعبدوه. ﴿الْأَحْزَابُ﴾ أمة عيسى تنقسم إلى ملكائبة ويعقوبية ونسطورية، فقوله: ﴿مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ أي: تحزبوا كذلك. ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وضع للظاهر موضع المضمرة، والقياس: فويل لهم ﴿مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ والمشهد مصدر، أي: من مشهود، ويجوز أن يكون مكاناً وزماناً. ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ تعجب وهو مستحيل على الله - تعالى - والمراد أنهم حلوا محل من يتعجب منه؛ كقوله - تعالى: ﴿يَحْسُرُ عَلَى الْعِبَادِ﴾<sup>(٣)</sup> وحلوا محل من يُتَحَسَّرُ عليه. ﴿الظَّالِمُونَ﴾ وضع للظاهر موضع المضمرة (١١٤ / أ).

﴿مُبِينٍ﴾ أي: بين أو مبين. ﴿يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ قيل: هو وقت ذبح الموت. وقيل: وقت تصادر الفريقين إلى الجنة أو النار.

وقوله: ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ حال من الضمير في ﴿وَأَنْذِرْهُمْ﴾ أي: غافلين عن إنذارك. ﴿نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ وهي كانت ملكاً له من قبل، وإنما شبه انتقال الملك إليه عن موتى بانتقال أموال الموتى إلى ورثتهم، والله - تعالى - لم يزل مالكا لما خلقه المورثون. قوله: ﴿صِدِّيقًا﴾ اختلف فيه؛ فقيل: من صدق؛ لإكثاره من الصدق وهو القياس، تقول: رجل خبير وشريب. وقيل: من التصديق، فإنه صدق بأنبياء الله وكتبه وبما جاء به النبيون.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو، وأبو جعفر ورويس " وَأَنَّ اللَّهَ " ، وقرأ باقي العشرة " وَإِنَّ اللَّهَ " .  
تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ١٨٩ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ٢٣٨ ) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٤٤٤ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٤ / ٥٠٦ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٤١٠ ) ،  
الكشاف للزخشري ( ٢ / ٥٠٩ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣١٨ ) .

(٢) سورة الجن ، الآية ( ١٨ ) .

(٣) سورة يس ، الآية ( ٣٠ ) .

قَالَ أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنِ الْهَيْتِ يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ وَأَهْجُرُنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾

أراد تبصير أبيه بما الأب عليه من الضلال بالطف بوجه، واستعطفه ب ﴿يَتَابَتْ﴾ .  
 وقوله: ﴿لَا يَسْمَعُ وَلَا يَبْصُرُ﴾ محذوف الفعل وليس مراداً بل المراد: ليس أهلاً أن يسمع ولا يبصر، ومثله قوله - تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُمَيِّتُ وَيُمَيِّتُ﴾<sup>(١)</sup> وقوله: ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً﴾ يجوز أن يكون ﴿شَيْئاً﴾ نعتاً لمصدر محذوف، أي: لا يغني عنك غناءً شيئاً. ويجوز أن يكون ﴿يُغْنِي﴾ بمعنى: ويدفع؛ كقوله: أغن عني وجهك، ويجوز في ﴿يَسْمَعُ﴾ و﴿يُبْصِرُ﴾ كذلك. ثم قال لأبيه: إني لا أدعي عليك مشيخة التعليم ولا إحاطتي بالعلوم، كأنه قال: هب أني لم أحط بالعلوم لكن جاءني شيء من العلم لم يأتك فاتبعني، ثم نبهه على أن ما هو عليه من الاعتقادات الفاسدة والأعمال القبيحة إنما هو من وسوسة الشيطان وأعوانه، فكأنه لقبوله منه عابد للشيطان.

روي: " أن عدي بن حاتم الطائي دخل على النبي ﷺ وعدي مستمراً على نصرانيته وفي عنقه صليب من ذهب، فقرأ النبي ﷺ: ﴿أَتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ﴾ الآية<sup>(٢)</sup> فقال عدي بن حاتم: إنا لم نتخذهم أرباباً، فقال النبي ﷺ: أليسوا يحلون لكم الشيء مما حرّمه الله فتحلونه، ويحرمون عليكم ما أحله الله فتحرمونه؟ فقال عدي: بلي. فقال: فتلك عبادتهم"<sup>(٣)</sup>.  
 واعلم أن العبادة غاية الذلة والخضوع، فلا تليق إلا لمن جل جلاله، فتقول: خضعت لزيد، وذللت لعمر، ولا تقول: عبدتهما.

﴿أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ﴾ إن قلت: القياس: إني أخاف أن تكون للشيطان ولياً فيمسك عذاب. قلت: رضوان الله أعظم من جنته، قال الله سبحانه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ إلى قوله: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾<sup>(٤)</sup> فإذا ثبت أن رضوانه خير من جنته ثبت أن موالة الشيطان (١١٤/ب) أشد من العذاب. ﴿أَرَأَيْبُ﴾ قدّم الخبر على رأي من يرى أنه خبر للاهتمام؛ لأنه كان عند والد إبراهيم أهم. وقيل: إن ﴿أَرَأَيْبُ﴾ مبتدأ و﴿أَنْتَ﴾ فاعل سد مسد خبر المبتدأ.

(١) سورة آل عمران، الآية (١٥٦).

(٢) سورة التوبة، الآية (٣١).

(٣) تقدم عند تفسير سورة التوبة، الآية (٣١).

(٤) سورة التوبة، الآية (٧٢).

﴿عَنْ إِلَهَتِي﴾ أي : عن عبادة آلهتي . في ﴿لَا رَجْمَ لَكَ﴾ قولان : أحدهما : لأقتلك مرجوماً بالحجارة ؛ لأنها قتلة شنيعة شديدة الألم . والثاني : أن الرجم بمعنى الطرد لا بمعنى القتل . وفي ﴿مَلِيًّا﴾ قولان : أحدهما : أنه مأخوذ من الملاءة أي : وأنت قادر على الخلاص والهرب من قبل أن أقيدك أو أحبسك . والثاني : أن ﴿مَلِيًّا﴾ بمعنى زماناً . والمليونان : هما الليل والنهار ؛ لأنهما زمانان .

﴿قَالَ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا أَعْتَزَلْتُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَدَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾

وقوله : ﴿سَلَّمَ عَلَيْكَ﴾ سلام موادعة ومفارقة ، وقال بعض أصحاب الشافعي : إن سلام المتاركة لا يجب جوابه على السامع<sup>(١)</sup> .

وقوله : ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ هي الموعدة التي وعد بها إبراهيم أباه ، وقد بسط عذره وشرح قصته في سورة التوبة<sup>(٢)</sup> . الحفي بالأمر : المهتم به ، أي : كان معتنياً بي ولطيفاً في تيسير وصول الخيرات إليّ ، ولا يضيع عند الله شيء من الأعمال الصالحة ، ولذلك قال : ﴿فَلَمَّا أَعْتَزَلْتُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ﴾ الآيتين .

﴿وَمَا تَدْعُونَ﴾ أي : ما تعبدون ؛ لقوله : ﴿فَلَمَّا أَعْتَزَلْتُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ ترك مصاحبة [ الكفار ] فعوض عنهم بالأولاد النجباء الأبرار ، ولسان الصدق هو الشاء الحسن ، قال الشاعر [ من البسيط ] :

لقد أتتني لسان لا أسيرُ بها<sup>(٣)</sup>

(١) ذكره المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير ( ٦ / ٣٨٦ ) .

(٢) تقدم في تفسير سورة التوبة ، الآية ( ١١٤ ) .

(٣) هذا صدر بيت لعامر بن الحارث أو لأعشى باهلة ، وعجزه :

وقوله في موسى : ﴿ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا ﴾ من كسر اللام جعله من قوله : ﴿ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ ﴾<sup>(١)</sup> ومن فتحها<sup>(٢)</sup> فمن قوله : ﴿ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿ مِنْ رَحْمِنَا ﴾ من أجل رحمتنا . وقيل : بعض رحمتنا . و﴿ أَخَاهُ ﴾ على هذا القول بدل ، و﴿ هَزُونِ ﴾ عطف بيان ؛ كقولك : رأيت رجلاً أخاك زيداً . قوله : ﴿ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ﴾ ليس صدق الوعد مختصاً به ، وإنما هو نشرٌ لفضائله ، كما سمي خليلاً وصديقاً .

وكان إسماعيل يبدأ بأمر أهله بالصلاة والزكاة فوصفه بذلك ، وضم إليه أنه كان مرضياً عند الله ، وأما رفعه إدريس إلى المكان العلى ففيه قولان : أحدهما : أنه في السماء ، وقد ذكر في بعض روايات ( ١١٥ / أ ) المعراج . والثاني : أن المراد رفعة المكانة والشرف .

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ فِيهَا زُرْقَةٌ فِيهَا بُكْرَةٌ وَعِشْيَاءٌ ﴿٦٢﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾

﴿ مِنَ النَّبِيِّينَ ﴾ من لبيان الجنس كقوله في سورة الفتح : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ حتى قال : ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ ﴾<sup>(٤)</sup> .

وكرر نسبتهم إلى الأنبياء واحداً بعد واحدٍ لبيان شرف أصلهم ، وأن نسبهم بالأنبياء

..... من علو لا عجب منها ولا سخر

ينظر في : إصلاح المنطق لابن السكيت ( ٢٦ / ١ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٤ / ١٥٢ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢٢ / ٣ ) ، لسان العرب ( سخر ) .

(١) سورة النساء ، الآية ( ١٤٦ ) .

(٢) قرأ حمزة والكسائي « مُخْلَصًا » بفتح اللام ، وقرأ الباقون « مُخْلِصًا » بكسرها . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ١٩٩ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٤١٠ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٢ ) .

(٣) سورة ص ، الآية ( ٤٦ ) .

(٤) سورة الفتح ، الآية ( ٢٩ ) .

الصالحين عريقاً. الخلف بفتح اللام في الخير وبسكونها في الشر<sup>(١)</sup>. وفي الغي قولان: أحدهما: أنه وادٍ في جهنم . والثاني: أنه ضد الرشاد ، أي : جزاء غي . وفي ﴿ جَنَّتِ عَدْنٍ ﴾ قولان: أحدهما: أنه علم على جنة مخصوصة ، كما جعلوا الفينة وسحر وأمس في من لم يصرفه - أعلاماً لمعاني الفينة والسحر والأمس . والقول الثاني : أن المراد جنات إقامة ، أي: أرض إقامة ، وهو علم ، ولولا ذلك لما ساغ الإبدال ؛ لأن النكرة لا تبدل من المعرفة إلا موصوفة . ﴿ مَأْتِيًا ﴾ بمعنى آتياً ، أو مَنْ أَتَاكَ فَقَدْ أَتَيْتَهُ ؛ لأنهم يأتون الجنة . قوله : ﴿ إِلَّا سَلَمًا ﴾ هو دعاء بالسلامة ، وأهل الجنة أغنياء عن الدعاء به ؛ لأنه حاصل لهم ، أي: إن قدر في الجنة كلامٌ لغوٌ فليس إلا هذا الدعاء بالسلامة . وقيل: هو استثناء منقطع.

﴿ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ يعني به الدوام ، تقول: فلان يأتينا بكرةً وعشيًّا، فلا تريد الوقتين بعينهما، بل تريد الدوام وكان المترفة من العرب وغيرهم يأكل أكلتين في النهار، فجرى الكلام على نحو ذلك . ﴿ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ ﴾ جاء في الحديث : " أنه لن يدخل أحدٌ النار حتى يرى مقعده من الجنة لو أطاع ، فيقال له : هذا مقعدك ، يعني : الجنة لو أطعت ، وعكسه في دخول الجنة " <sup>(٢)</sup>.

كانت العرب قد رحلوا إلى المدينة وسألوا أحبار اليهود عن نبوة محمد ﷺ، وقالوا لهم: أنتم أهل كتاب وعندكم علم الشرائع ، فعلمونا سؤالاً نورده على محمد لا يجد عنه جواباً ، فقالوا : نعم ، سلوه عن ثلاثة مسائل ، فإن أجاب عنها كلها فليس بنبي وإن توقف عن الجواب في الكل فليس بنبي ، والصواب الجواب عن بعضها دون بعض، والمسائل : سؤال عن فتية ذهبوا في الأرض مذاهب ، فلم يعلم لهم خبرٌ، وعن رجل طاف مشرق الأرض ومغربها ، وعن الروح ما هو؟ <sup>(٣)</sup>.

(١) قاله الزمخشري في الكشاف ( ٢٦ / ٣ ) وقال الفراء في معاني القرآن ( ١٧٠ / ٢ ) : " وقد يكون في

الردية " خَلْفٌ " وفي الصالح " خَلْفٌ " ؛ لأنهم قد يذهبون بالخلف إلى القرن بعد القرن .

(٢) رواه أحمد في المسند ( ٥١٢ / ٢ ) ، والحاكم في المستدرک علی الصحیحین ( ٤٧٣ / ٢ ) عن أبي هريرة

رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " كل أهل النار يرى مقعده من الجنة فيقول : لو أن الله هداني . فتكون

عليه حسرة ، وكل أهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول : لولا أن الله هداني . فيكون له شكر ، ثم تلا

رسول الله ﷺ : ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ ﴾ " وقال الحاكم : هذا حديث صحيح

على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

(٣) تقدم تخريجه في سورة الكهف ، الآية ( ٩ ) .



والروح لا يطلع البشر على حقيقتها، فلا يمكن الجواب ، والمسألان الأوليان يمكن الجواب ( ١١٥ / ب ) فجاء المشركون إلى أهلهم فرحين ، وجاءوا إلى رسول الله ﷺ ؟ فقال: غداً أجيب . ولم يقل : إن شاء الله ، فتأخر جبريل عن النزول عليه بالوحي بضع عشرة ليلة، حتى قالت اليهود : ودع محمداً ربه وقلاه ، فأنزل الله - تعالى : ﴿ وَلَا نَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ۖ ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۖ ۞ ﴾<sup>(١)</sup> ونزل عليه قصة أهل الكهف ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ۖ ﴿٢﴾ الْقِصَّةُ إِلَى آخِرِهَا ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ ۖ ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ ۖ ﴿٣﴾ الْقِصَّةُ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ ۖ ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ۖ ﴾ الآية<sup>(٤)</sup> وأنزل عليه ﴿ وَالصُّحْحَىٰ ۖ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۖ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۖ ﴾<sup>(٥)</sup> وقال النبي ﷺ لجبريل : أبطأت عليّ ، فأنزل الله - سبحانه وتعالى - حكاية عن مقالة جبريل : ﴿ وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ ﴾ الآية<sup>(٦)</sup>.

﴿ لَهُ، مَا بَيْنَ أَيْدِينَا ۖ ﴾ ما نصنعه في المستقبل ﴿ وَمَا خَلْفَنَا ۖ ﴾ وما خلفنا من الأعمال فحملناه على ظهورنا ﴿ وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ۖ ﴾ الحال التي نحن عليها. وقيل: ﴿ لَهُ، مَا بَيْنَ أَيْدِينَا ۖ ﴾ أي: الأرض التي نستقبلها عند النزول من السماء ﴿ وَمَا خَلْفَنَا ۖ ﴾ يعني: السماء إذا خلفناها خلف ظهورنا عند النزول ﴿ وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ۖ ﴾ الهواء الذي بين السماء والأرض . ويبيد هذا الثاني قوله بعد ذلك: ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ ﴾.

﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۗ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ۖ ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۖ ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمَّا يَكُنْ شَيْئًا ۖ ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۖ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنًا ۖ ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ۖ ﴿٧٠﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ۖ ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۖ ﴿٧٢﴾

(١) سورة الكهف ، الآية ( ٢٤ ) .

(٢) سورة الكهف ، الآية ( ١٣ ) .

(٣) سورة الكهف ، الآية ( ٨٣ ) .

(٤) سورة الإسراء ، الآية ( ٨٥ ) .

(٥) سورة الضحى ، الآيات ( ١ - ٣ ) .

(٦) رواه البخاري رقم ( ٣٢١٨ ، ٤٧٣١ ، ٧٤٥٥ ) ، وأحمد في المسند ( ١ / ٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٣٥٧ ) ، والترمذي رقم ( ٣١٥٨ ) ، والطبري في تفسيره ( ١٦ / ٧٨ ) ، والحاكم في المستدرک ( ٢ / ٦١١ ) ، والواحدي في أسباب النزول ( ٣٠٨ ، ٣٠٩ ) ، رقم ( ٦٠٦ - ٦٠٨ ) .

﴿ سَمِيًّا ﴾ فيه قولان : أحدهما: المثل ، والثاني : الشبيه . ﴿ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ ﴾ متعجباً من إحياء الموتى ، والواو في ﴿ أَوْلَا ﴾ عاطفة ، أي : يقول ذلك ولا يذكر ﴿ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَعَلَّكَ شَيْئًا ﴾ الآية ﴿ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ﴾ الذين أغووهم . والمحضر في القرآن أكثر ما يجيء في المحضر للعذاب ﴿ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾ قيل : جماعات .

وقيل : جاثين على الركب من شدة الهول . ﴿ شَيْعَةً ﴾ جماعة . ﴿ أَيُّهُمْ ﴾ أعتى وأظلم يقدم في السقوط في النار، ثم الأشبه فالأشبه . قيل : تلتقطهم النار كما تلتقط الطير الحب .

﴿ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ يعني : القيامة ، والورود : الحضور في الموقف ، ومنه : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ ﴾ <sup>(١)</sup> وقيل : الورد الدخول ، وكان بعضهم يقول : تيقنا ورود جهنم وشككنا في الخروج ، فأين البكاء ؟ وقيل : إنها يذهب حرها بدخول المؤمنين العصاة فيها ، فيقول المؤمنون بعد ( ١١٦ / ١ ) جوازهم الجسر : إنا قد وعدنا بورد جهنم فيقال لهم : أرايتهم تلك الكيمان السود ، أطفأها نور الإيمان . ويقال : إن جهنم تنادي المؤمن ، فتقول : جز يا مؤمن ، فقد أطفأ نورك هي <sup>(٢)</sup> . وقيل : الحمى الورد، وجاء في الحديث : " الحمى حظ المؤمن من النار " <sup>(٣)</sup> . وفي رواية : " الحمى من فيح جهنم " <sup>(٤)</sup> .

﴿ كَانَ عَلَى رَبِّكَ ﴾ أي : ورود عرضة القيامة . ﴿ نُجِّي ﴾ أي : نرفع ، وفيه تلويح بأن الجنة في السماء . ويدل على ذلك قوله - تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَأَوْهُ نَزَّلَ آخِرَى ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴿١٤﴾ عِنْدَ هَاجَةِ النَّوَى ﴾ <sup>(٥)</sup> وسدرة المنتهى في السماء بلا خلاف ، ووجه الاستدلال بهذه الآية أن التنجية هي الرفع ، وقال - سبحانه وتعالى - في حق فرعون : ﴿ فَأَلْيَوْمَ نُنَجِّكَ بِيَدِنَا ﴾ <sup>(٦)</sup> أي :

(١) سورة القصص ، الآية ( ٢٣ ) .

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير ( ٢٢ / ٢٥٨ ) رقم ( ٦٦٨ ) عن يعلى بن منية ، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع رقم ( ٢٤٧٤ ) .

(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ( ٢ / ٣٠٩ ) وعزاه للبخاري عن عائشة وقال : إسناده حسن . وعزاه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة ( ٤ / ١٨١٢ ) لابن أبي الدنيا في " المرض والكفارات " وابن عساكر وصححه عن عثمان بن عفان .

(٤) رواه البخاري رقم ( ٣٢٦٣ ) ، ومسلم رقم ( ٢٢١٠ ) عن عائشة - رضي الله عنها . ورواه البخاري أيضا رقم ( ٣٢٦٤ ) ، ومسلم رقم ( ٢٢٠٩ ) عن ابن عمر - رضي الله عنهما .

(٥) سورة النجم ، الآية ( ١٥ ) .

(٦) سورة يونس ، الآية ( ٩٢ ) .

## تفسير سورة مريم

أي: نلقيك على مكان مرتفع عن الماء ، وكانت بنو إسرائيل قد قالوا بعد غرق فرعون: ما يموت فرعون أبداً، لما ثبت في قلوبهم من الرعب منه ، فألقاه الموج على شاطئ البحر، وكان عليه درع من ذهب معروفة لا يلبسها إلا هو، فعرفوه وتحققوا موته.

فقوله: ﴿نُنَجِّكَ﴾ أي: نرفعك على مكان عالٍ ، وإلا فرعون ما نجا ، وفي المقامات [من البسيط ]:

وكم دعاني مُسْتَجِحٍ فحادثني وما أخلَّ ولا أخلتُ بالأدب<sup>(١)</sup>

وأراد بالمستنجي الجالس على المكان المرتفع ، ولم يكن هناك خروج خارج من قبل ولا دبر. ﴿أَتَقُوا﴾ أي: الشرك . ﴿جِحْيًا﴾ قيل : جثاة على الركب من الهول . وقيل: الجثي جمع جثوة ، وهي الجماعة ، كما قال : ﴿وَيَوْمَ نَخْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾<sup>(٢)</sup> ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾<sup>(٣)</sup>.

﴿وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًا﴾<sup>(٧٣)</sup> ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنَا وَرِيًّا﴾<sup>(٧٤)</sup>

قوله : ﴿ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ الجال فيه غير متقلة ، وهو دليل على جوازها ؛ لأن آيات القرآن دائمة البيان . وقوله : ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي : بسبب الذين آمنوا كقوله - تعالى : ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾<sup>(٤)</sup> أي : عن إخوانهم ؛ لأنهم لو قالوه لهم لقال : ما متم وما قتلتم .

﴿نَدِيًا﴾ أي: مجلساً يجتمع فيه الأكابر . ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ رد لقولهم : ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ ومعنى الكلام : أنهم تفاخروا بجمال المجلس وجمال من يحضر فيه من الأكابر، ولم يغن عنهم ذلك من الله شيئاً ولهذا قال : ﴿مَنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنَا وَرِيًّا﴾ أي: أحسن صوراً وهيئة.

﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَقَّ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾<sup>(٧٥)</sup> وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَتُ

(١) ينظر البيت في : مقامات الحريري ( ص : ٣٧٧ ).

(٢) سورة النمل ، الآية ( ٨٣ ).

(٣) سورة الزمر ، الآية ( ٧٣ ).

(٤) سورة آل عمران ، الآية ( ١٦٨ ).

الصَّلِحَتْ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ﴿٧٦﴾ أَفْرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا  
وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾

قوله: ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ ظاهره أمرٌ، ومعناه الخبر، كأنه قال: من كان في (١١٦/ب) الضلالة مد له الرحمن واستدرجه بالنعمة والنقمة، وهذا كقوله ﷺ: " إن مما أدرك الناسُ من كلام النبوة: إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت " (١) أي: صنعت ما شئت. قوله: ﴿حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ﴾ حينئذٍ ﴿مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ﴾ ناصرا وأقل عدداً، وهو أيضاً ردٌّ على قولهم: ﴿أَحْسَنُ اثْنًا وَرِيءًا﴾.

﴿وَالْبَقِيَّتُ الصَّلِحَتْ﴾ المراد به الصلوات الخمس. وقيل: المراد سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والأحسن أن يراد جميع الأعمال الصالحة، ويدخل فيه الصلاة والتسبيح؛ لأنه جمع معرف باللام فيقتضي العموم (٢). روي أن خباب بن الأرت (٣) عمل للعاص بن وائل السهمي فمأطله بالأجرة، فلما ألح عليه قال: والله لا أعطيك شيئاً حتى تكفر بمحمد، فقال: والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث فقال: وإني لمبعوث بعد الموت؟! قال: نعم، قال: فسيكون لي هناك مالٌ وأعطيك هناك، فنزلت هذه الآية ﴿أَفْرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾ (٤).

وقوله: ﴿أَطَّلَعَ﴾ دخلت فيه همزة الاستفهام على ألف الوصل، فسقطت ألف الوصل، كقوله: ﴿أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ (٥) ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ (٦) وجاء في الخبر أن " من

(١) رواه البخاري في صحيحه (٦١٢٠)، وأحمد في مسنده (١٢١/٤، ١٢٢)، وأبو داود رقم (٤٧٩٦)، وابن ماجه رقم (٤١٨٣)، وابن حبان في صحيحه (٦٠٧/٢)، عن أبي مسعود الأنصاري ﷺ.  
(٢) تقدم ذكر ذلك في سورة الكهف، الآية (٤٦).

(٣) هو خباب بن الأرت بن جندلة بن خزيمه من بني سعد، شهد بدرًا مع النبي ﷺ وكان من السابقين الأولين، وأسلم قديماً وكان من المستضعفين، أسلم سادس ستة وهو أول من أظهر إسلامه وعذب عذاباً شديداً لأجل ذلك. مات سنة ٣٧ وهو ابن ٧٣ سنة وهو أول من صلى عليه وقبره علي بن أبي طالب ﷺ حين منصرفه من صفين.

تنظر ترجمته في: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (٢/٢٥٨).

(٤) رواه البخاري في صحيحه رقم (١٩٨٥)، ومسلم رقم (٢٧٩٥).

(٥) سورة سبأ، الآية (٨).

(٦) سورة الصافات، الآية (١٥٣).

قال : اللهم إني أشهدك وأشهد ملائكتك وحمة عرشك بأنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت وأن محمداً عبدك ورسولك وأنت إن تكلمي إلى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير، وإني لا أثق إلا بعفوك ومغفرتك ، فاجعل لي عندك عهداً توفينيهِ يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد " كتب ذلك في كتاب وطبع عليه بطابع ولا يفتح إلى يوم القيامة وكان ممن اتخذ عند الله عهداً " (١) .

﴿ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾  
وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ  
ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكٰفِرِينَ تَوَزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ  
لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَقَدًّا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًّا ﴿٨٦﴾ لَا  
يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ  
جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴿٨٩﴾ ﴾

عبر عن كتابة الحفظة بكتابه بنفسه فقال : ﴿ سَنَكْتُبُ ﴾ و ﴿ وَنَمُدُّ ﴾ يجوز أن يكون مستقبلاً لعطفه على نكتب ، ويجوز أن يكون غير معطوف عليه ، وكذلك إذا وجدت مع أحد الفعلين ظرفاً أو مجروراً وشبههما، فقلت : أعطيت زيدا يوم الجمعة درهماً وعمراً ديناراً يجوز أن يكون إعطاء عمرو يوم الجمعة وأن لا يكون . ﴿ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ ﴾ من المال والولد ﴿ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾ مجرداً عما كان يباهي به . ﴿ وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً ﴾ طلباً للعزيز بهم ، وقد قال الله - تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ (٢) ( ١١٧ / ب ) وزادها هنا أن الذي قصدوه حصل نقيضه ، وهو أنهم طلبوا العزة بعبادتهم لها، ويأتوا شفعاء لهم يوم القيامة فجاءوا بالضد من ذلك وصاروا أعداء لمن عبدتهم وأنكروا عبادتهم.

الأز والهز: التحريك، أي: نزجهم إلى المعاصي إزجاجاً. ﴿ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ ﴾ أيام أعمارهم ونخصيها عليهم . وقيل: المراد: عدد الأنفاس. الوفد: الركبان ، ويعثون يوم القيامة ركباناً ، كما يؤتى بالوفد الكرام ، ويساق المجرمون سوق المجرم إذا قيد لسلطانه.

(١) رواه أبو داود رقم ( ٥٠٦٩ ) ، والترمذي رقم ( ٣٥٠١ ) ، والحاكم في المستدرک ( ٥٢٣ / ١ ) ، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الترمذي رقم ( ٦٩٣ ) .

(٢) سورة فاطر ، الآية ( ١٠ ) .

وقيل : الورد : العطاش. ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ﴾ حتى يأذن الله ، كما قال : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾<sup>(١)</sup> وقوله : ﴿إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ﴾ يجوز أن يكون المراد: لا يملك الشفاعة إلا من اتخذ ، فمن اتخذ هو الشافع ، ويجوز أن يراد: لا يملك الشفاعة إلا لمن اتخذ عند الرحمن عهداً ، وهو الإقرار بالشهادتين والإيمان بما جاء به الأنبياء فيكون من اتخذ مشفوعاً فيه لا شافعاً. والإد: هو الشيء المنكر.

﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطِرْنَ مِنْهُ وَتَنْشِقُ الْأَرْضُ وَيَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾<sup>(١٠)</sup> أن دعوا للرحمن ولداً<sup>(١١)</sup> وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً<sup>(١٢)</sup> إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً<sup>(١٣)</sup> لقد أحصاهم وعداهم عدداً<sup>(١٤)</sup> وكلهم آتية يوم القيمة فرداً<sup>(١٥)</sup> إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً<sup>(١٦)</sup> فإنما يسرناه بلسانك لتبشّر به المتقين وتذريه قوماً لداً<sup>(١٧)</sup> وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا<sup>(١٨)</sup>

﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ﴾ تسقط ، وتندك الجبال لعظم الجريمة التي أتوها ، وهي ادعائهم للرحمن ولداً . فهذه الآية دليل على أن من ملك ولداً عتق عليه<sup>(٢)</sup> ، ولا يملك الأب ابنه ، لقوله - تعالى - ها هنا : ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾<sup>(١٢)</sup> إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً ﴿فلولا أن الولادة تنافي العبودية لصار مثل قولك: زيد لا يصلح أن يكون إماماً للجامع ؛ لأنه لا يحفظ التنبية. ويجوز الإخبار عن كل بالمفرد ؛ كقوله : ﴿إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ﴾ ويجبر عنها بالجمع ؛ كقوله : ﴿وَكُلُّ أُنثَىٰ دَاخِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup> .

قوله : ﴿فَرَدًّا﴾ يشير إلى انفراده عما كان يستكثر به من المال والولد ؛ كقوله : ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى﴾<sup>(٤)</sup> وقوله : ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ مفسر بما جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال : " إن الله إذا أحب عبداً قال : يا جبريل إني أحب فلاناً فأحبه . فيحبه جبريل ، ثم ينادي في الملائكة : إن الله يحب فلاناً فأحبه . فتحبه الملائكة ، ثم يوضع له القبول في الأرض " <sup>(٥)</sup> .

(١) سورة البقرة ، الآية ( ٢٥٥ ) .

(٢) تقدم ذلك في تفسير سورة البقرة ، الآية ( ١١٦ ) .

(٣) سورة النمل ، الآية ( ٨٧ ) .

(٤) سورة الأنعام ، الآية ( ٩٤ ) .

(٥) رواه البخاري رقم ( ٦٠٤٠ ) ، ومسلم رقم ( ٢٦٣٧ ) عن أبي هريرة ؓ .

واللذُّ: جمع أَلَذُّ ؛ كقوله : ﴿ وَهُوَ أَلَذُّ الْخِصَامِ ﴾ <sup>(١)</sup> .

وقوله : ﴿ هَلْ تُحِسُّ ﴾ قرئ ﴿ هَلْ تُحَسُّ ﴾ وهي لغة في أحسَّ <sup>(٢)</sup> ، وفيها ردُّ على من زعم أن الإحساس رباعيٌّ فلا يقال: المحسوسات ؛ لأنها لا تكون إلا من الثلاثي ، وهذه القراءة تردُّ عليه . والركز: الصوت الخفي ، وهو استدلال بانتفاء الأذى على الأعلى ، والله أعلم .

\* \* \*

(١) سورة البقرة ، الآية ( ٢٠٤ ) .

(٢) قرأ عامة القراء « تُحِسُّ » من أحسَّ ، وقرأ أبو جعفر وأبو حيوة وابن أبي عبلة « تُحَسُّ » ، وقرأ بعضهم « تُحِسُّ » من حَسَّه ، أي : شعر به ، ومنه الحواس الخمسة . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ٢٢١ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٤ / ٥٣١ ) ، الكشاف للزنجشيري ( ٣ / ٤٨ ) .

## سورة طه [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ طه ١ ﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا نَذْكِرَ لِمَنْ يَخْشَى ﴿٣﴾ تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ  
الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ ﴿٥﴾

قوله تعالى : ﴿ طه ﴾ فيه الأقاويل المذكورة في الحروف التي في أوائل السور، ونزيد  
ها هنا أن ﴿ طه ﴾ معناه : يا رجل ، واحتج هذا القائل بقول الشاعر [ من البسيط ] :  
إِنَّ السَّفَاهَةَ طَهٌ مِنْ خَلْقِكَ لَمْ يَلِدْ لِقَدْسِ اللَّهِ أَرْوَاحَ الْمَلَأَعِينِ<sup>(١)</sup>

قالوا: وأثر الافتعال ظاهر على هذا البيت ، فلم تصح نسبته إلى العرب .

وكان النبي ﷺ يكثر من الصلاة بالليل حتى تورمت قدماه ؛ ف قيل له في ذلك ، فقال :  
" أفلا أكون عبداً شكوراً " ؟ ونزلت : ﴿ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾<sup>(٢)</sup> .

أي : لتكلف نفسك ما لا طاقة لها به . وقوله : ﴿ لِتَشْقَى ﴾ لا يصح أن يكون مفعولاً من  
أجله ؛ لأن علة الفعل هي التذكرة ، وهي فعل فاعل الفعل المعلل ؛ بخلاف الشقاوة ؛ فإنها  
ليست من فعله ؛ فدخلت في ﴿ لِتَشْقَى ﴾ دون التذكرة . ﴿ إِلَّا نَذْكِرَ ﴾ استثناء من غير  
الجنس ؛ لأن التذكرة ليست من الشقاوة في شيء<sup>(٣)</sup> .

وصف نفسه بكونه رحماناً ؛ لكونه خلق الأرض والسموات العلى ؛ لما في خلقهما من  
مصالح العباد ؛ فإن أكثر مصالح العالم الجسمانية متعلقة بالأرض والسماء ؛ لما في قرب  
الشمس في زمن الصيف من إنضاج الفواكه والحبوب ؛ ولما ينزل من السماء في الشتاء من

(١) ينظر البيت في: البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٢٤٤) ، تفسير القرطبي (١١ / ١٤٩) ، الدر المصون  
للسمين الحلبي (٣ / ٥) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٥٠) .

(٢) رواه البخاري رقم (٤٨٣٧) ، ومسلم رقم (٢٨٢٠) عن عائشة - رضي الله عنها .

(٣) قال الزمخشري في الكشاف (٣ / ٥٠ - ٥١) : " ويحتمل أن يكون المعنى : إنا أنزلنا عليك القرآن  
لتحتمل متاعب التبليغ ومقاولة العتاة من أعداء الإسلام ومقاتلتهم وغير ذلك من أنواع المشاق  
وتكاليف النبوة وما أنزلنا عليك هذا المتعب الشاق إلا ليكون تذكرة . وعلى هذا الوجه يجوز أن يكون  
تذكرة حالاً ومفعولاً له " .



المطر الذي هو سبب نبات الحب والتمر ؛ ولاختلاف أحوال الشمس في فصل الصيف وفي فصل الشتاء ؛ ولاختلاف أحوال الناس في النوم واليقظة ، كل ذلك من الرحمة .

قوله : ﴿ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ والسماوات والأرض والكرسي في جانب من العرش ؛ كحلقة في فلاة ؛ فإذا استوى عليه استوى على ما حواه .

﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴾ (٦) وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿٩﴾

﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ ﴾ من الملائكة والكواكب والأفلاك ﴿ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ من الأشجار والنبات والحيوانات . ﴿ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ من حيوانات الجو ومن الرعد والمطر وغير ذلك مما لا يحصى .

وقيل: إن المراد بـ ﴿ الثَّرَى ﴾ رمل تحت الأرضين السبع . وقوله: ﴿ وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ ﴾ جوابه محذوف تقديره: لم يخف على الله . وقوله: ﴿ وَأَخْفَى ﴾ فيه قولان :

أحدهما: أنها فعل ، أي: فإنه يعلم السر ، وأخفى عن عباده أحوال القيامة ووقت قيامها .

والثاني: أنه اسم ، والتقدير: يعلم السر وأخفى من السر ، فقيل: السر ما حدثت به واحدا واستكتمته ، وأخفى منه ما لم تُطلع عليه ( ١١٨ / أ ) أحدا قال الشاعر [من المتقارب]:

فَسِرُّكَ مَا كَانَ عِنْدَ امْرِئٍ وَسِرُّ الثَّلَاثَةِ غَيْرُ الْخَفِيِّ<sup>(١)</sup>

وقيل: السر ما لم تطلع عليه أحدا ، وأخفى منه ما ستحدث به نفسك غدا يعلمه الله الآن . والأسماء الحسنى قد استنبطت من الكتاب والسنة ، وجاء في الحديث : " إِنَّ لِلَّهِ - تَعَالَى - تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مَن أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ " (٢) .

وقوله: ﴿ الْحُسْنَى ﴾ في وصف الأسماء وهي جمع ، وكان قياسه الحسن ؛ كما قال :

(١) البيت للأشعري الجعفي ، ينظر في: جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري ( ١ / ٥١١ ) ، صبح الأعشى للقلقشندي ( ١١ / ٣٠٨ ) .

(٢) رواه البخاري رقم ( ٢٧٣٦ ، ٦٤١٠ ) ، ومسلم رقم ( ٢٦٧٧ ) .

﴿وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾ وهذا لأن جمع المؤنث الذي لا يعقل يعامل معاملة المفرد المؤنث أو الجمع المؤنث [تقول]: الجبال صعدها وصعدتهن ، والأسود لقيتها ولقيتهن ، وكذلك قوله : ﴿لِرَبِّكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ قياسه : الكبر.

﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ قيل: هل بمعنى قد ، والصواب أنك تقول للشخص: هل رأيت ما صنع فلان؟ والسامع يعلم ما صنع ولكنه يجعل معناه: إن من العجب خفاء هذا الأمر عنك ، ومثله قوله - تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبراهيمَ فِي رَبِّهِ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آئِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَنهَا نُودِيَ بِمُوسَى ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا آخَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿١٣﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آئِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴿١٥﴾﴾

وقول النبي ﷺ لعائشة - رضي الله عنها: " ألم تری إلى مُجَرِّزِ المَدْلِجِيِّ نَظَرَ إلى أسامة وزید قد غطيا رؤوسهما ویدت رجلاهما ، فقال : إن هذه الأقدام بعضها من بعض " <sup>(٢)</sup>.

كان موسى عليه السلام حين فرغ من عمل الإجارة ، وهي العمل عشر سنين لتزويج ابنة شعيب أعطاه شعيب غنما وسلم إليه زوجته ؛ فتوجه بالزوجة والغنم يطلب مصر ؛ ليبلغ رسالة ربه ، فأظلم الليل وأمطرت السماء ، وتفرقت أغنامه من صوت الرعد ، وأخذ زوجته الطلق ، واشتد البرد ، فلمح نارا تظهر من بعد ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا﴾ لعلني أتوجه إلى هذه النار فأقتبس منها قبسا ، وكان موسى قد تاه عن الطريق في تلك الليلة فهو قوله : ﴿لَعَلِّي آئِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ <sup>(٣)</sup> أي : أجد ما يدلني على الطريق ﴿فَلَمَّا أَنهَا نُودِيَ بِمُوسَى ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ وكانت من جلد حمار ميت بغير دباغ ؛ ولهذا قال : ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾ أي: المطهر الذي لا يندس حماه بالنجاسة . ﴿طُوًى﴾ قيل: هو اسم الجبل . ﴿وَأَنَا آخَرْتُكَ﴾ فخذ ما آتيتك بالقبول.

قوله - عز وجل : ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ لأنني اصطفتك على الناس برسالاتي وبكلامي؛

(١) سورة البقرة ، الآية ( ٢٥٨ ) .

(٢) رواه البخاري ( ٦٧٧٠ ) ، ومسلم رقم ( ١٤٥٩ ) عن عائشة - رضي الله عنها .

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم ( ٥٧٢ ) ، وأبو داود رقم ( ٤٣٥ ) .

فلذلك أمرتك بالاستماع لما أرسلتك به . ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾ أي : ذل واخضع ، والعبادة غاية الذلة والخضوع تقول ( ١١٨ / ب ) : خضعت لزيد وذلت له ، ولا يجوز أن تقول : عبدته ؛ فإن غاية الذلة والخضوع لا تكون إلا لله وحده .

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ جاء في الحديث : " وأقم الصلاة للذكرى " <sup>(١)</sup> أي : أقم الصلاة لتذكرني فيها . وقيل : وأقم الصلاة وصل الناسية إذا تذكرتها ؛ فإن ذلك وقتها .

﴿ أَكَادُ أَخْفِيهَا ﴾ قرئ ( أَكَادُ أَخْفِيهَا ) <sup>(٢)</sup> أي : أظهرها ؛ تقول : خفا الشيء بمعنى ظهر . ﴿ لِيُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسَعَى ﴾ قال بعضهم : التقدير : أكاد أخفيها من نفسي فكيف أطلعكم عليها . وكلُّ من أفاظ العموم ، فيجوز أن يستثنى الأنبياء ، ومن يأتي آتيا يوم القيامة ، فذلك يعطى الثواب ويسامح بعقوبة ذنبه .

﴿ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴾ <sup>(١٦)</sup> وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى <sup>(١٧)</sup> قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَنَازِبُ أُخْرَى <sup>(١٨)</sup> قَالَ أَلْقَاهَا يَا مُوسَى <sup>(١٩)</sup> فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى <sup>(٢٠)</sup>

﴿ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا ﴾ هو كقولك : لا أرينك هاهنا ؛ أي : لا تكن هاهنا فأراك ، ولا تكن بحيث يصدك الكفار ؛ لأن الفعل إنما ينهى عنه فاعله لا مفعوله . ﴿ فَتَرْدَى ﴾ فتهلك .

﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴾ إيناس له لما دهش بسماع كلام الله - عز وجل - وقد قيل : إن اسم الإشارة في قوله : ﴿ وَمَا تِلْكَ ﴾ أنها موصولة وما التي بيدك ؛ التقدير : وما الذي بيدك ؟ ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا ﴾ أراد موسى أن يعتذر عن إبقاء العصا بيده ؛

(١) رواه مسلم في صحيحه ( ٦٨٠ ) ، وأحمد ( ٤٢٨ / ٢ ) ، وأبو داود رقم ( ٤٣٥ ) ، والترمذي رقم ( ٣١٦٣ ) .

(٢) قرأ سعيد بن جبير ( أخفيها ) بفتح الهمزة ، وروي عنه ( أخفيها ) . قال الفراء عن قراءة الفتح : من خفيت : أظهرت ، واستدل بقول امرئ القيس :

فإن تدفنوا الداء لا نخفه وإن تبعثوا الحرب لا نقعد

يريد : لا نظهره . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٢٣٢ / ٦ ) ، تفسير القرطبي ( ١٨٢ / ١١ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ١١ / ٥ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٣٥٩ / ٣ ) ، الكشاف للزنجشري ( ٥٦ / ٣ ) ، مجمع البيان للطبرسي ( ٣ / ٧ ) ، المحتسب لابن جني ( ٤٧ / ٢ ) ، معاني القرآن للفراء ( ١٧٦ / ٢ ) .

فذكر منافعها ، وقد عد من جملتها أنه كان إذا نام قاتلت عنه الهوام ، وإذا وصلت إلى بئر ورشها طويل طالت العصا حتى تصل إلى الماء، وكان إذا اشتهى فاكهة أورقت وأثمرت تلك الفاكهة. وقيل: كانت تمشي إلى جانبه وتحادثه، والله أعلم بصحة ذلك<sup>(١)</sup>.

﴿ وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي ﴾ يعني : أرمي الأوراق اليابسة فتأكل الغنم . ﴿ وَلِي فِيهَا مَثَارِبٌ أُخْرَى ﴾ أي : حاجات ، تقول : لي في كذا ماربة.

﴿ قَالَ أَلْقَهَا يَمُوسَى ﴿١٩﴾ فَأَلْقَنَهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ ﴾ فإن قلت : جعلها في هذا المكان حية والحية: الثعبان الصغير ، وفي موضع آخر قال : ﴿ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾<sup>(٢)</sup> والثعبان: الحية العظيمة ، وفي موضع قال: ﴿ كَأَنَّهَا جَانٌّ ﴾<sup>(٣)</sup> والجنان الحية الصغيرة ؛ فكيف الجمع بين هذه الآيات ؟

الجواب من وجهين :

أحدهما : أنها كانت في أول أمرها كالجان ، وفي آخر أمرها كالثعبان .

والثاني : أن انقلاب العصا حية وقعت مرتين ؛ إحداهما في جبل الطور حين خاطب الله موسى فقلبها له حية ليعتاد انقلابها حية ؛ فلا يستوحش إذا رآها قد صارت ثعبانا كبيرا ، والمرة الثانية انقلبت ( ١١٩ / أ ) العصا حية حين حضر إلى مجلس فرعون وذلك الذي حصل من الانقلاب يراد أن يكون على أتم الوجوه ، وأما انقلابها بين يدي الله عز وجل فالمراد به تعريف جواز ذلك . وقيل : كانت في عظم الثعبان ، وفي خفة الجان في سرعة حركتها.

﴿ فَأَلْقَنَهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴿٢١﴾ وَأَضْمَمَ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ؕ آيَةٌ أُخْرَى ﴿٢٢﴾ ﴾

﴿ فَإِذَا هِيَ ﴾ فاجأه صيرورتها حية ؛ فقال الله له : ﴿ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ﴾ قيل : ولا تكن بصدد أن تفزع وتفزع ؛ فإن الخوف لا ينهي عن مثله . ﴿ سَنُعِيدُهَا ﴾ مثل ﴿ سِيرَتَهَا ﴾

(١) هذا من الإسرائيليات وقد ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٥ / ٥٥٤ ) ونسبه لأحمد في الزهد وعبد بن

حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن وهب بن منبه .

(٢) سورة الشعراء ، الآية ( ٣٢ ) .

(٣) سورة النمل ، الآية ( ١٠ ) .

الْأُولَى ﴿١١﴾ وَأَضْمَمَ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ ﴿١٢﴾ أي: تحت إبطك، وكانت العرب تكره البياض خوفاً من البرص ويكنون عنه بالحمرة، وبه سميت عائشة الحميراء<sup>(١)</sup>. وقال جميل بن معمر [من المتقارب]:

تَقُولُ بُيِّنَةً لُمَارَاتُ      قُتُوءًا مِنَ الشَّعْرِ الْأَحْمَرِ<sup>(٢)</sup>

فلذلك قال: ﴿بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ أي: البياض البريء من البرص وغيره، وجاء في موضع آخر ﴿بَيْضَاءَ لِلنَّظِيرِينَ﴾<sup>(٣)</sup> أي: بياضا يستوقف الناظرين من شدة بياضها وانتشار شعاعها.

(١) ورد هذا اللفظ في بعض الأحاديث منها الصحيح ومنها الباطل ومن الأحاديث الصحيحة ما رواه النسائي في السنن الكبرى (٣٠٧ / ٥) رقم (٨٩٥١) عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: "دخل الحبشة المسجد يلعبون فقال لي: يا حميراء أتخبين أن تنظري إليهم؟ فقلت: نعم فقام بالباب وجتته فوضعت ذقني على عاتقه فأسندت وجهي إلى خده... " الحديث. قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٤٤٤ / ٢): "إسناده صحيح ولم أر في حديث صحيح ذكر الحميراء إلا في هذا."

وروى الحاكم في المستدرک على الصحيحين (١٢٩ / ٣) عن أم سلمة - رضي الله عنها - قالت: ذكر النبي ﷺ خروج بعض أمهات المؤمنين فضحكت عائشة فقال: انظري يا حميراء أن لا تكوني أنت ثم التفت إلى علي فقال: إن وليت من أمرها شيئاً فافرق به " ومن الأحاديث المشهورة في هذا الباب وهو ضعيف وباطل حديث " خذوا شطر دينكم عن الحميراء يعني عائشة " قال المباركفوري في تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذى (٢٥٩ / ١٠): "قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: لا أعرف له إسناداً ولا رواية في شيء من كتب الحديث إلا في النهاية لابن الأثير، ولم يذكر من خرجه وذكر الحافظ عماد الدين بن كثير أنه سأل المزي والذهبي عنه فلم يعرفاه وقال السخاوي: ذكره في الفردوس بغير إسناد وبغير هذا اللفظ ولفظه " خذوا ثلث دينكم من بيت الحميراء " وبيض له صاحب مسند الفردوس ولم يخرج له إسناداً، وقال السيوطي: لم أقف عليه " وقال الزركشي في كتاب الإجابة لما استدركت عائشة على الصحابة (٥٨ / ١): "وسألت شيخنا الحافظ عماد الدين بن كثير - رحمه الله - عن ذلك فقال: كان شيخنا حافظ الدنيا أبو الحجاج المزي - رحمه الله - يقول: كل حديث فيه الحميراء باطل إلا حديثاً في الصوم في سنن النسائي... "

(٢) ينظر البيت في: الزهرة لابن داود الأصفهاني (ص: ٧٧٣) ويروى الشطر الثاني:

فُنُونًا مِنَ الشَّعْرِ الْأَحْمَرِ .....

وبعده: كَبُرَتْ جَمِيلٌ وَأُودَى الشَّبَابُ      فَقُلْتُ بُيِّنٌ أَلَا فَاقْصُرِي

وقُتُوءًا: من قَتَأَ الشَّيْءُ يَقْتَأُ: اشْتَدَّتْ حُمْرُهُ. وِلِحِيَّتُهُ قَائِنَةٌ، أي: شديدة الحمرة.

ينظر: لسان العرب (قنا).

(٣) سورة الأعراف، الآية (١٠٨).

﴿لَنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ (٢٣) ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ (٢٤) ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ (٢٥)  
 ﴿وَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ (٢٦) ﴿وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ (٢٧) ﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ (٢٨) ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾ (٢٩) ﴿هَرُونَ أَخِي﴾ (٣٠)

﴿الْكُبْرَى﴾ : يحتمل وجهين :

أحدهما: أن يريد الكبرى بمعنى الكبر ؛ تكون نعتا للآيات ؛ كقوله : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (١) والأصل : الحسن .

والثاني: أن تكون صفة للآية ، والتقدير : لنريك من آياتنا الآية الكبرى ؛ فإن جمع المؤنث يعامل معاملة المفرد المؤنث تارة ، ومعاملة الجمع المؤنث أخرى ؛ تقول : الدواب سقيتها وسقيتهن ، والجبال علوتها وعلوتهن . ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ تجاوز الحد حتى ادعى الربوبية . ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ أي: صدري لأجلي ؛ كقوله : ﴿الْمَنْشَرَحَ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (٢) وقد فضل رسول الله ﷺ على موسى عليه السلام ؛ فإن موسى سأل أن يشرح له صدره ، ونبينا ﷺ بدئ بقوله : ﴿الْمَنْشَرَحَ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (٣) من غير سؤال .

﴿وَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ سهله ﴿وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ لقصة التمرة والجمرة ؛ اختلف العلماء هل ذهبت تلك العقدة بجملتها ؟ فقال قوم : ذهبت بجملتها ؛ لأن الله - تعالى - قال لموسى بعد سؤاله : ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ أن العقدة قد انحلت . وقيل: بقيت منها بقية ؛ قال فرعون : ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ (٤) ظن بزعمه أنه أفضل من (١١٩/ ب) موسى ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ أي : لا يبين معنى كلامه لأجل العقدة التي في لسانه . ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾ (٢٩) ﴿هَرُونَ أَخِي﴾ عطف بيان .

﴿أَشَدُّ بِهِ أَرزَى﴾ (٣١) ﴿وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾ (٣٢) ﴿كَيْ نُسِجَحَكَ كَثِيرًا﴾ (٣٣) ﴿وَنَذُكْرَكَ كَثِيرًا﴾ (٣٤) ﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ (٣٥) ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ (٣٦) ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾ (٣٧) ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى﴾ (٣٨) ﴿أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَآقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ﴾ وَالْقَيْتُ

(١) سورة الأعراف ، الآية (١٨٠) .

(٢) سورة الشرح ، الآية (١) .

(٣) سورة الشرح ، الآية (١) .

(٤) سورة الزخرف ، الآية (٥٢) .

عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴿٣٩﴾ إِذ تَمْشِي أُنْحَاكَ فُلُقُوقٌ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۗ  
فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمَمِكَ كِي تَفَرَّ عَيْنَهَا وَلَا تَحْزَنَ ۗ وَقَلَّتِ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِتِينَ  
فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْوَسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَأَصْطَنَعْتَكُ لِلنَّفْسِي ﴿٤١﴾ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا  
نُبْيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَا  
إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأَنبَأَهُ  
فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ  
مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾

﴿ أَشْدُّدِيهِ = أَزْرِي ﴾ من جعل همزة ﴿ أَشْدُّ ﴾ همزة وصل جعل ﴿ وَأَشْرِكُهُ ﴾ أمراً بمعنى الدعاء والطلب ، وأشركه بفتح الهمزة . وقرئ " أخي أشدد " وجعل ألف " أشدد " ألف قطع وجزمه بجواب الأمر ، أو رفعه على الاستئناف <sup>(١)</sup> . ﴿ كِي نَسِيْحَكَ كَثِيْرًا ﴾ ﴿ وَتَذَكَّرَكَ كَثِيْرًا ﴾ جعل العلة في طلب نبوة أخيه أن يشتركا في التسييح والتقديس . ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيْتَ سُؤْلَكَ يَمْوَسَىٰ ﴾ وقوله : ﴿ قَدْ أُوتِيْتَ ﴾ ليس خبراً عن ماضٍ ، وإنما هو إنشاء للإعطاء ؛ كقولك : بعتك بكذا ؛ فهذا اللفظ هو الذي حصل به البيع ، ثم إن الله تعالى شرع في إبداء مننه على موسى فذكر حالة الرضاع وحالة وضعه في التابوت وإلقاء اليم التابوت إلى الساحل ، وأخذ فرعون له ، وتربيته في يد عدوه الذي كان يقتل الناس من أجله ، وإلقاء محبة الله لموسى في قلب كل من رآه ، وسلامته من قبل القبطي ، ثم أعاد الأمر بالرسالة بقوله : ﴿ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي ﴾ .

وهاهنا نكتة لطيفة؛ وهو أن موسى سأل من الله وزارة أخيه له ، وعلل ذلك بقوله : ﴿ كِي نَسِيْحَكَ كَثِيْرًا ﴾ ﴿ وَتَذَكَّرَكَ كَثِيْرًا ﴾ ثم إن الله - تعالى - ولاه وأعطاه ما سألته ، ثم قال : ﴿ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا نُبْيَا فِي ذِكْرِي ﴾ ولا تفترا فيه كما شرطتما على أنفسكما . وقوله : ﴿ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ مع علم الله - تعالى - بأن فرعون لا يتذكر ولا يخشى ، ولا يتأتى منه ذلك ، والمعنى : كوننا على رجاء تذكرة وخشية ؛ فإن من ذهب في أمر وهو يعلم أنه لا يُقْضَى لا يجتهد فيه ، وإن

(١) قرأ ابن عامر " أشدد " و " أشركه " بهمزة القطع والمضارعة في الفعلين ، وقرأ الباقون " أشدد " و " أشركه " بهمزة وصل الأول وفتح همزة القطع في الثاني على الطلب والدعاء . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ٢٤٠ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ١٨ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٤١٨ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٦١ - ٦٢ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢١ ) .

كان يعلم أنه يُقضى اجتهد ووسع الحيل فيه ﴿قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرَطَ عَلَيْنَا﴾ منه ضرر ﴿أَوْ أَنْ يَطْفِئَ﴾ فيذكر في حقلك ما لا يليق بجلالك . ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا﴾ .

قال ابن عطية - رحمه الله : " بُعِثَ موسى إلى فرعون في أمرين خاصة :

أحدهما: التوحيد. والثاني: تسليم بني إسرائيل إلى موسى وتخليصهم مما كان يكلفهم إياه من الأعمال الشاقة " (١) .

﴿وَلَا تُعَذِّبُهُمْ﴾ والدليل على صحة رسالتنا أنا ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ﴾ (١٢٠ / أ) والمعجزات دالة على صدق النبي. ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا﴾ استدلت المرجئة (٢) بهذه الآية، وقالوا: لا يعذب الله من قال: لا إله إلا الله أبداً، واحتجوا بقوله: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ فمن لم يكذب الرسل ولم يحصل منه التولي فلا يعذب.

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى﴾ (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَى ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴿٥١﴾ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٥٢﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴿٥٥﴾

(١) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (١١ / ٧٨) .

(٢) المرجئة - بضم الميم وكسر الجيم بعدها ياء مهموزة ويجوز تشديدها بلا همز - : نسبوا إلى الإرجاء وهو التأخير ؛ لأنهم آخروا الأعمال عن الإيمان فقالوا: الإيمان هو التصديق بالقلب فقط ولم يشترط جمهورهم النطق وجعلوا للعصاة اسم الإيمان على الكمال وقالوا: لا يضر مع الإيمان ذنب أصلاً ومقالاتهم مشهورة في كتب الأصول.

وهم ثلاثة أصناف : صنف منهم قالوا بالإرجاء في الإيمان وبالقدر على مذاهب القدرية فهم معدودون في القدرية والمرجئة كأبي شمر المرجئي ومحمد بن شبيب البصري والخالدي ، وصنف منهم قالوا بالإرجاء في الإيمان ومالوا إلى قول جهم في الأعمال والأكساب فهم من جملة الجهمية والمرجئة ، وصنف منهم خالصة في الإرجاء من غير قدر وهم خمس فرق : يونسية وغسانية وثوبانية وتومنية ومريسية . وقال الشهرستاني : والمرجئة أربعة أصناف : مرجئة الخوارج ، ومرجئة القدرية ، ومرجئة الجبرية ، والمرجئة الخالصة ، ومحمد بن شبيب والصالحي والخالدي من مرجئة القدرية وكذلك الغيلانية أصحاب غيلان الدمشقي أول من أحدث القول بالقدر والإرجاء .

ينظر عنهم بتفصيل في : الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي (١٩/١) ، الملل والنحل للشهرستاني (١/١٣٨) ط . دار المعرفة - بيروت - ١٤٠٤ هـ - تحقيق: محمد سيد كيلاني.



﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا ﴾ خاطب الاثنين ثم خص الخطاب بأحدهما وهو موسى؛ لأن موسى هو الأصل في نبوة أخيه. ﴿ ثُمَّ هَدَى ﴾ كل حيوان إلى ما يصلحه.

﴿ قَالَ ﴾ فرعون ﴿ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴾ يعني: فما جرى فيها حين كذبوا؟

﴿ قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ ﴾ يعني: اللوح المحفوظ. ﴿ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ (٥٢) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ﴿ السبل: الطرق. قوله: ﴿ مَاءً فَأَخْرَجْنَا ﴾ عدل فيه عن الغيبة إلى التكلم؛ لأن نزول المطر من السماء وخروج النبات به أمر عظيم لا يقدر عليه إلا الله.

﴿ أَرْوَجًا ﴾ أصنافاً ﴿ مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ﴾ مختلف. أي: وقلنا: ﴿ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ ﴾ وهو كقوله: ﴿ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ (١) ﴿ لَا يَتَّبِعُ لِأُولَى الْأُنْهَى ﴾ لذوي العقول.

﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ ﴾ أي: من الأرض، ثم فيه وجهان:

أحدهما: خلق أبيكم آدم من تراب. والوجه الثاني: أن الله وكل بالولد في الرحم ملكاً يأخذ من تربة الأرض التي يدفن فيها ذلك المولود فيذره على النطفة؛ فهذا خلقه من تراب (٢)، ثم فرعوا على هذا أن أصل خلقه أبي بكر وعمر مثل نشأة خلق رسول الله ﷺ؛ لأن الكل دفنوا في مكان واحد (٣)، وفي الأرض ﴿ نُعِيدُكُمْ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴾ (٥٦) قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكِ يَا مُوسَى ﴿ ٥٧ ﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴿ ٥٨ ﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴿ ٥٩ ﴾ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ﴿ ٦٠ ﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيَلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ آفَتَرَى ﴿ ٦١ ﴾ فَتَنَزَعُوا أَمْرَهُمُ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى ﴿ ٦٢ ﴾ قَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى ﴿ ٦٣ ﴾ فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتَوُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى

(١) سورة النازعات، الآية (٣٣).

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٥٨٤) ونسبه لعبد بن حميد وابن المنذر عن عطاء الخراساني.

(٣) رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول في أحاديث الرسول (١ / ٢٦٨) عن ابن سيرين - رحمه الله -

قال " لو حلفت حلفت صادقاً باراً غير شك ولا مستثن أن الله - عز وجل - ما خلق نبيه ﷺ ولا أبا

بكر ولا عمر - رضي الله عنهما - إلا من طينة واحدة ثم ردهم إلى تلك الطينة "

﴿٦٤﴾ قَالُوا يَمْوَسِيَّ اِٰمًا اَنْ تُلْقَى وَاِٰمًا اَنْ تَكُوْنَ اَوَّلَ مَنْ اَلْقَى ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ اَلْقُوا فَاِذَا جِبَاهُهُمْ وَعَصِيْبُهُمْ يُخَيَّلُ اِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ اَنَّهُ تَسْعَى ﴿٦٦﴾ فَاَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ اِنَّكَ اَنْتَ الْاَعْلَى ﴿٦٨﴾ وَاَلْقَى مَا فِي يَمِيْنِكَ نَلْقَفَ مَا صَنَعُوا اِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ اَتَى ﴿٦٩﴾ فَاَلْقَى السَّحْرَةَ سُبْحًا قَالُوا اٰمَنَّا بِرَبِّ هٰرُونَ وَمُوسَى ﴿٧٠﴾ قَالَ اٰمَنْتُمْ لَهٗ قَبْلَ اَنْ اٰدِنَ لَكُمْ اِنَّهٗ لَكَبِيْرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمْ السِّحْرَ فَلَا قَطْعَ اَيْدِيكُمْ وَاَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صُلْبَيْنَكُمْ فِي جُدُوْع النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ اَيُّنَا اَشَدُّ عَذَابًا وَاَبْقَى ﴿٧١﴾

﴿وَلَقَدْ﴾ أرينا فرعون ﴿ءَايَاتِنَا﴾ التي جاء بها موسى ﴿كُلُّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى﴾ وهذا يدل على أن فرعون كان يرعد خوفا من موسى. فهل رأيتم ساحرا غلب على إقليم فملكه بسحره واستولى على ذلك الإقليم. ﴿الْمُثَلَّى﴾ الحسنی. ﴿ثُمَّ اَثَرُوا صَفَا﴾ فإنه أهيب للعدو أن يأتي صفا. ﴿قَالَ بَلْ اَلْقُوا﴾ خيروه في أنه هل يبدأ هو بإلقاء عصاه أو يبدأوا هم؟ وهذا عادة المدلل بصنعتة. ﴿فَاِذَا جِبَاهُهُمْ﴾ أي: فاجأت حبال السحرة أنها تخيل إلى موسى أنها تسعى، وكانوا قد (١٢٠/ب) حشوا أجواف تلك الحيات المصنوعات بالزئبق، ومن شأن الزئبق أنه إذا حي فاضطربت تلك الحيات لانسداد الأعلى فبقيت تضطرب.

﴿فَاَوْجَسَ﴾ فأحس ﴿فِي نَفْسِهِ خِيفَةً﴾ ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ﴾ يعني: لا يلحقك من ذلك ضرر. ﴿اِنَّكَ اَنْتَ الْاَعْلَى﴾ الغالب القاهر لهم. ﴿وَاَلْقَى مَا فِي يَمِيْنِكَ﴾ هذا تصغير لأمر العصا، وقد سبق قوله - تعالى - له: ﴿وَمَا تِلْكَ يَمِيْنِكَ﴾ وقال له هاهنا: ﴿وَاَلْقَى مَا فِي يَمِيْنِكَ﴾ ﴿فَاَلْقَى السَّحْرَةَ﴾ كان ملقيا ألقاهم من شدة اشتغالهم بالسجود. ﴿قَالُوا اٰمَنَّا بِرَبِّ هٰرُونَ وَمُوسَى﴾ فجرى فرعون على عادة الملك، واستنكف أن يظهر أنه مغلوب فشرع في تهديد السحرة؛ فقال: ﴿فَلَا قَطْعَ اَيْدِيكُمْ وَاَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ﴾.

وقوله: ﴿مِنْ خَلْفٍ﴾ يعني به اليد اليمنى مع الرجل اليسرى، أو بالعكس، وقطع اليد والرجل من خلاف هو من وجه أشد من قطعهما من جهة؛ لأن ذلك الجنب يتعطل، وهو من وجه آخر أخف؛ لأنه بقي في كل جانب شيء من الانتفاع، فسلك فرعون أحد الطريقتين، وهو قطعهما من خلاف.

العذاب متى اجتمع فيه كونه أشد وكونه أطول مدة كان أعظم.

﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ (٧٢) ﴿ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَاتِنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ (٧٣) ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ (٧٤) ﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴾ (٧٥) ﴿ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴾ (٧٦) ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ﴾ (٧٧) ﴿ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ (٧٨) ﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴾ (٧٩) ﴿ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكَ مِنْ عَدُوِّكَ وَوَعَدْنَاكَ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ ﴾ (٨٠) ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴾ (٨١) ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾ (٨٢) ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمْوَسَىٰ قَالَ هُمْ أَوْلَاءٌ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ (٨٤) ﴿

﴿ قَالُوا ﴾ السحرة لفرعون : ﴿ لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ ﴾ فنترك ما رأينا من الآيات . قيل : إنهم رأوا الجنة والنار في سجدتهم تلك <sup>(١)</sup> . ﴿ وَالَّذِي فَطَرَنَا ﴾ يجوز أن يكون قَسَمًا ، ويجوز أن يكون معطوفا على قوله : ﴿ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا ﴾ ﴿ فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ﴾ أي : افعل فينا ما تشاء ؛ فإن لنا رجوعا إلى الله يقتص لنا ممن ظلمنا ؛ إن مدة تسلطك علينا ﴿ هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ ﴿ وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ﴾ روي أن فرعون كان يكره طائفة من الناس على تعلم السحر .

﴿ إِنَّهُ ﴾ الهاء ضمير الشأن ﴿ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ ﴾ يوم القيامة ، ولم يتب فله جهنم ﴿ لَا يَمُوتُ فِيهَا ﴾ فيستريح ﴿ وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ حياة تنفعه . وقد قالوا : إن الكافر في الآخرة يجد ألم النزع من جميع أعضائه ولا يموت قال الله - تعالى - فيه : ﴿ يَتَجَرَّعُهُ ، وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ ، وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ﴾ <sup>(٢)</sup> ﴿ تَجْرِي ﴾ من تحت أشجارها ﴿ الْأَنْهَارُ ﴾ أو من تحت غرفها ؛ لقوله : ﴿ لَهُمْ عُرْفٌ مِنْ فَوْقِهَا عُرْفٌ مَبْنِيَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ <sup>(٣)</sup> ﴿ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا ﴾ ( ١٢١ / أ ) من مقتضى الدليل أنه إذا انفلق البحر اثني عشر فرقا يكون في قعر كل فرق زلق ووحل ، لكن الله - تعالى - جعل موضع الماء صلبا يابسا لا زلق فيه ؛ تيسيرا على

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٥ / ٥٨٧ ) ونسبه لابن أبي حاتم عن القاسم بن أبي بزة .

(٢) سورة إبراهيم ، الآية ( ١٧ ) .

(٣) سورة الزمر ، الآية ( ٢٠ ) .

موسى وقومه . ﴿ لَا تَخَفْ دَرَكًا ﴾ من فرعون ﴿ وَلَا تَخَشَى ﴾ في اليم غرقاً ، أو : لا تخشى شيئاً تخافه مطلقاً ﴿ فَعَشِيَهُمْ مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ أي : أمر عظيم لا يقدر قدره ﴿ وَمَاهَدَى ﴾ إنما جيء به ؛ لأن الذي يضل قد يتفق له تارة أن يحسن ويوفي شيئاً من الأفعال ؛ لكن فرعون كان محض الضلال ولا يخالطه بشيء من الإحسان .

فهم موسى من قوله : ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ ﴾ أنه قد عتب عليه كيف تقدم قومه ولم يأت بهم معه ؟ فاعتذر بأمرين : أحدهما : أن المكان الذي فارقهم فيه قريب جداً قال : ﴿ هُمْ أَوْلَاءَ عَلَيَّ أَثَرِي ﴾ أي : ليسوا ببعيد مني .

والثاني : إنما عجلت لطلب رضاك .

﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾ (٨٥) ﴿ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدَّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴾ (٨٦)

﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ ﴾ أي : من بعد انطلاقك ﴿ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾ وقرئ في الشاذ ﴿ وَأَضَلَّهُمْ ﴾ بضم اللام (١) .

وروي أن السامري حين وصل إلى البحر مع موسى بعث الله جبريل راكباً فرس الحياة وقد خلق الله الحياة على صورة فرس ، ولا تمر بشيء ولا يجد مسها شيء إلا حيى ، وخلق الله الموت على صورة كبش أملح ؛ كما جاء في الحديث أنه " يذبح الموت يوم القيامة ، وقد جيء به على صورة كبش أملح " (٢) فرأى السامري فرس جبريل كلما وضعت حافرها على شيء من الأرض اخضر نباتها ، فقال : إن لهذا شأنًا ، وأخذ من ذلك التراب شيئاً ، وكانت بنو إسرائيل لما أمروا بالخروج من ديار مصر استعاروا حلياً من قوم فرعون ، ولم يتسع لهم الوقت أن يعيدوه إلى أربابه ، فحملوه معهم فلما تجاوز موسى البحر ، وغرق فرعون أمر الله موسى أن يختار من قومه سبعين رجلاً ليسمعهم خطابه ، فأبطأ عليهم موسى ، فأخذ السامري ما معه من تلك التربة التي وطئها حافر فرس جبريل ، وكان

(١) قرأ بها أبو معاذ القارئ . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ٢٦٧ ) ، الدر المنصور للسمن الحلبي

( ٥ / ٤٧ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٤٤٣ ) .

(٢) رواه مسلم رقم ( ٥٥٨٧ ) .

السامري صائغاً فعمل صورة عجل ، وألقى فيه من ذلك التراب فصار العجل يخور خوار الثور، وقال لهم السامري : هذا العجل الذي يخور هو إلهكم وإله موسى ، فنسي موسى وذهب يطلبه في الجبل ( ١٢١ / ب ) فرجع موسى إلى قومه وقد أعلمه الله - تعالى - بضلال السامري ومن تبعه ، فسمع أصوات عبدة العجل يصرخون ويصفقون ويرقصون ، فقال : هذا صوت الفتنة ، واشتد غضبه حتى ضرب برأس أخيه يجره إليه ، وكان موسى قد أعطاه الله - تعالى - الألواح ، وقد كتب له في التوراة ، فألقى الألواح من يده . قيل : ذهب من التوراة ستة أسباعها بإلقائها على الأرض غضباً<sup>(١)</sup> .

قال موسى لقومه : ﴿ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا ﴾ وهو أن يؤتينا الله كتاباً فيه علم ما نحتاج إليه من أمر الدين والدنيا ﴿ أَفَطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ ﴾ لمدة غيبيتي ؟ وكان قد وعده انقضاء ثلاثين ليلة ثم أتمها أربعين ليلة ﴿ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَبِّكُمْ ﴾ وقرئ ﴿ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ ﴾ أي : ينزل ، وقرئ (يحل) <sup>(٢)</sup> من مجيء وقت الشيء ، ومنه حلول الدين ﴿ غَضَبٌ مِّنْ رَبِّكُمْ ﴾ الذي غذاكم بكرمه ورباكم بنعمته .

﴿ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمِلْنَا أَوْزَارًا مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴾<sup>(٨٧)</sup> فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ<sup>(٨٨)</sup> أَفَلَا يَرَوْنَ إِلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا<sup>(٨٩)</sup> وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي<sup>(٩٠)</sup> قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ<sup>(٩١)</sup> قَالَ يَا هَرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا<sup>(٩٢)</sup> أَأَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي<sup>(٩٣)</sup> ﴿

﴿ فَأَخْلَقْتُمْ مَوْعِدِي ﴾ لذلك ﴿ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمِلْنَا أَوْزَارًا ﴾ أي : أثقالاً والوزر الثقل ، سمي الوزير وزيراً؛ لأنه يحمل عن الملك أعباء مملكته .

قوله - عز وجل : ﴿ وَلَكِنَّا حُمِلْنَا أَوْزَارًا ﴾ هو الحلبي الذي كان عندهم للقبط ﴿ فَقَذَفْنَاهَا ﴾ في صورة العجل ﴿ فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴾ ما كان عنده من الحلبي ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ ﴾ السامري

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٥٧٢ ) رقم ( ٩٠١٦ ) عن ابن عباس - رضي الله عنهما .

(٢) قرأ الكسائي والأعمش وطلحة بن مصرف ويحيى بن وثاب " يحل " ، وقرأ الباقون " يحل " .

تنظر القراءة في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ٢٦٠ ) ، حجة ابن خالويه ( ص : ٢٤٥ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤٥ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٤٢٢ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٧٩ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٢١ ) .

﴿السَّامِرِيُّ﴾ وقيل : إنه كان فيه روح كروح الحيوان . والقرآن العزيز لا يدل على ذلك . قيل : إنه كان يخور مرة بعد مرة ، وبعض المفسرين يقول : خار خورة واحدة ، ولو كان يخور كل يوم لما صلح لما نسبوه إليه من الألوهية ، وهو كقوله - تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ <sup>(١)</sup> إلى أن قال : ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا ﴾ <sup>(٢)</sup> ولو كانت لهم أرجل وأعين وآذان لما صح نسبتهم إلى الألوهية ، فكيف وهم ليسوا كذلك فقال ﴿ هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴾ موسى حتى طلبه في جبل الطور ، ثم عتفهم الله - تعالى - بقوله : ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُرْجَعُونَ إِلَىٰ إِلَهُهِمْ قَوْلًا ﴾ أي : ألا يجيب متكلماً يخاطبه .

﴿وَلَا يَمْلِكُ﴾ دفع ضرر ولا جلب نفع . ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ ﴾ (١/١٢٢) رجوع موسى ﴿ يَقْوَمُوا إِنَّمَا فُتِنْتُمْ ﴾ بعبادة هذا العجل ، ودعاهم إلى طاعته في أمره بالتوحيد ، فعصوه وقالوا : ﴿ لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَنكِفِينَ ﴾ وأكدوا النفي بـ ( لن ) الدالة على تأكيد النفي ، فأقبل موسى على هارون فقال : ﴿ يَهْرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴾ <sup>(١٢)</sup> ﴿ أَلَا تَتَّبِعُنِي ﴾ ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمْ ﴾ واستعطف أخاه بالنسبة إلى الأم لأنها أرحم ﴿ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ﴾ قيل : قد كان أخذ بأذنيه فاستدل به قوم على أن الأذنين من الرأس ، ولا حجة فيه ؛ لأنه يجوز أن يكون موسى قد أخذ بيد هارون أو بعضو آخر ولم يذكر ذلك لنا .

﴿ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ﴾ إني خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي <sup>(١٤)</sup> قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمِرِيُّ <sup>(١٥)</sup> قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي <sup>(١٦)</sup> قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ نُخْلِفَهُ ، وَأَنْظُرْ إِلَىٰ إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنْهَرِقَنَّهُ ، ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا <sup>(١٧)</sup> إِنَّكُمْ إِلَهُكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا <sup>(١٨)</sup> كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا <sup>(١٩)</sup> مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا <sup>(٢٠)</sup> خَلِيدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا <sup>(٢١)</sup> يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا <sup>(٢٢)</sup> يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا <sup>(٢٣)</sup>

﴿ إني خَشِيتُ ﴾ أن أقاتلهم أن يفرقوا شيعاً ، وهو قول موسى : ﴿ إني خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ

(١) سورة الأعراف ، الآية ( ١٩٤ ) .

(٢) سورة الأعراف ، الآية ( ١٩٥ ) .

فَرَّقَتْ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿١﴾ وكان موسى قد أوصى هارون فقال: إن رأيت من بني إسرائيل ما لا يسوغ فبالغ في اللطف؛ ليرجعوا عما هم عليه ، وإلا فالحق بي ، فأقبل موسى على السامري ، فقال : ﴿ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ﴾ يعني : قد استقر عذر أخي ونطق بما يبرئه ، فما خطبك أنت يا سامري . والخطب: الأمر الذي له قدر وجلالة عند معتقديه . ﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ﴾ وهو اخضرار الأرض تحت حافر فرس جبريل ﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ﴾ حافر فرس ﴿ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا ﴾ في العجل ﴿ وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ ﴾ أي : زينت أو سهلت .

﴿ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ ﴾ أن لا يمسك إنسان ولا تمس أنت إنسانا إلا وأخذتكما الحمى ، يعني الماس والمسوس ، فكان يخرج في الفضاء ويرفع صوته: لا مساس لا مساس . ﴿ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا ﴾ في الآخرة ﴿ لَنْ نُخْلِفَهُ ﴾ لا بد لك من الحضور فيه ﴿ وَأَنْظُرِ إِلَى إِلْهِكَ ﴾ بزعمك ﴿ الَّذِي ظَلَمْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ﴾ أي: على عبادته وتعظيمه ﴿ لَنْحَرِقْنَهُ ﴾ <sup>(١)</sup> أي: لنبردنه بالمبرد ﴿ ثُمَّ لَنْ نَسِفَنَّهُ ﴾ بعد ذلك ﴿ فِي الْيَمِّ ﴾ في البحر ﴿ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ الأصل : وسع علمه كل شيء ، ثم حول كما في قوله: ﴿ وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ <sup>(٢)</sup> أي: شيب الرأس . ومثل ذلك الاقتصاص ﴿ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ ﴾ <sup>(٣)</sup> من أخبارهم وقصصهم . ثم عظم (١٢٢/ ب) أمر القرآن بقوله: ﴿ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿١١﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ﴾ ثقبلاً ﴿ خَلِيدِينَ فِيهِ ﴾ في عذاب جزائه، وقبح ذلك الحمل حملاً .

﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ﴾ قال الحسن: الصور: جمع صورة <sup>(٤)</sup> أي : نعيد الأرواح في الأجساد . وقيل : الصور قرن ينفخ فيه إسرافيل ، ويقول : أيتها العظام البالية والأجساد المتلاشية ، والشعور المتمزقة والأوصال المتفرقة ، إن الله أمركن أن تجتمعن لفصل القضاء . وقيل:

(١) قرأ ابن جَمَّاز: ( لَنْحَرِقْنَهُ ) ، وقرأ ابن وردان: ( لَنْحَرِقْنَهُ ) ، وقرأ جمهور القراء: ( لَنْحَرِقْنَهُ ) .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ٢٧٦ ) ، تفسير القرطبي ( ١١ / ٢٤٢ ) ، الدر المصون للسمين

الحلي ( ٥ / ٥٢ ) ، الكشاف للزنجشيري ( ٢ / ٥٥٢ ) ، المحتسب لابن جني ( ٢ / ٥٨ ) ، مختصر الشواذ

لابن خالويه (ص: ٨٩) النشر لابن الجزري (٢/٣٢٢).

(٢) سورة مريم ، الآية ( ٤ ) .

(٣) سورة هود ، الآية ( ١٢٠ ) .

(٤) تقدم في سورة الكهف ، الآية ( ٩٩ ) .

الأرض كلها هي الصور ينفخ إسرائيل فيها فتصل أثر نفخته بالأجسام ، فيقومون قائلين : سبحان الله وبجمده<sup>(١)</sup> .

ومنه قوله - تعالى : ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ ﴾<sup>(٢)</sup> . قوله : ﴿ زُرْقًا ﴾ أي : عطاشاً . وقيل : عمياً ؛ لأن الأعمى تبقى في عينه زرقة . ﴿ يَتَخَفَتُونَ يَدْنَهُمْ ﴾ فإن الخوف يضعف الأصوات .

﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴾<sup>(١٠٤)</sup>

﴿ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً ﴾ أتمهم عقلاً ﴿ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴾ أرخ بالأيام وحق التاريخ أن يكون بالليالي ، لكن ذاك يكون إذا اشتمل الزمان على وقتين ليل ونهار ، وهاهنا ليس كذلك ؛ لأنهم أرادوا أنهم لبثوا بياض يوم ليس فيه شيء من الليل . ﴿ فَيَذَرُهَا ﴾ أي : فيذر مواضعها . والقاع : الأرض المستوية المتسعة ﴿ صَفْصَفًا ﴾ خالياً أو ممتداً . العوج بالكسر يكون في المعاني وبالفتح في المرثيات تقول : في دينه عوج ، وفي العصا عوج<sup>(٣)</sup> .

واعلم أن الأرض إذا مسحتها وسويتها بحيث لا يظهر لك فيها اعوجاج ، وأنت لو قستها بالمسطرة حصل لك رؤية عوج يسير لا يدركه الطرف ، فيلحق ذلك الطرف بالمعاني لكونه غير مرئي ، فإذا نفى ذلك لزم منه نفى ما هو مرئي بطريق الأولى .

﴿ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴾ أي : لا ارتفاعاً ولا انخفاضاً . ﴿ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ ﴾ هو إسرائيل ينادي : يا أيتها العظام البالية والأجسام المتلاشية ، والشعور المتمزقة والأوصال المتفرقة ، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء . فإذا قاموا من القبور قاموا ينفذون التراب عن رؤوسهم ويقولون : سبحان ربنا العظيم وبجمده<sup>(٤)</sup> ( ١٢٣ / أ ) ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ ﴾

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ٢٦ / ١٨٣ ) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٧ / ٦١١ ) عن كعب .

(٢) سورة الإسراء ، الآية ( ٥٢ ) .

(٣) قال الراغب الأصفهاني في معجم مفردات ألفاظ القرآن ( ص : ٣٦٣ ) : والعَوَجُ : يقال فيما يدرك بالبصر سهلاً كالخشب المنتصب ونحوه ، والعَوَجُ : يقال فيما يدرك بالفكر والبصيرة . وقال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر ( ٣ / ٣١٥ ) : وهو بفتح العين مختص بكل شيء مرئي كالأجسام ، وبالكسر فيما ليس بمرئي كالرأي والقول . وقيل : الكسر يقال فيهما معا ، والأول أكثر .

(٤) تقدّم تخريجه قريباً .



فَتَسْجِيْبُوْكَ بِحَمْدِهِۦ وَتَنْظُنُوْنَ اِنْ لَّبِثْتُمْ اِلَّا قَلِيْلًا ﴿١٠١﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: إن لبثتم ما بين النفختين، فإنه روي: " أن العذاب يرفع عنهم ما بين النفختين فيقومون وفي أعينهم طعم النوم " (٢)، ولهذا قال الله - تعالى - حكاية عنهم: ﴿ قَالُوْا يَنْوِيْلُنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَّرْقَدِنَا ﴾ (٣).

والثاني: إن لبثتم في الدنيا، تضاعل عندهم اللبث في الدنيا حتى عدوه ساعة؛ لأن أيام السرور قصار.

الوجه الثالث: إن لبثتم في القبور. قالوا: ولم توصف القيامة بأهول من هذا؛ فإنهم كانوا في القبور يعرض عليهم مقعدهم بالغداة والعشي بدليل قوله - تعالى -: ﴿ اَلنَّارُ يُعْرَضُوْنَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ (٤) ومع ذلك رأوا أيام المقام في القبور كأنه نعمة، فاستقصروا مدة إقامتهم في القبور.

﴿ وَيَسْأَلُوْنَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّيْ نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَا تَبْقَى فِيهَا جَبَلًا وَلَا سَائِبًا وَلَا مَشْجَانًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَ يَمْضِي أَوَّلُ يَوْمٍ فَاصِرًا ﴿١٠٨﴾ هَمَّاسًا ﴿١٠٨﴾

﴿ وَيَسْأَلُوْنَكَ عَنِ الْجِبَالِ ﴾ واعلم أن لها أحوالاً حالة تسير ﴿ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ ﴾ (٥) وتارة تذهب قوتها فتصير ﴿ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴾ (٦) وتارة تصير ﴿ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ (٧) وتارة كالرمل الذي يهال بعضه في إثر بعض ﴿ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيْرًا مَّهِيلًا ﴾ (٨) وتارة تسوى بها الأرض فلا يبقى فيها ارتفاع ولا انخفاض ﴿ لَا عِوَجَ لَهُ ﴾ أي: لا عوج لهم عنه ﴿ وَخَشَعَتِ ﴾ ذلت

(١) سورة الإسراء، الآية (٥٢).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٨ / ٢١١)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧ / ٦٣) بنحوه وعزاه لهناد في الزهد، وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري.

(٣) سورة يس، الآية (٥٢).

(٤) سورة غافر، الآية (٤٦).

(٥) سورة النبأ، الآية (٢٠).

(٦) سورة القارعة، الآية (٥).

(٧) سورة الفرقان، الآية ٢٣.

(٨) سورة المزمل، الآية (١٤).

وخضعت . ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ يعني : صوتاً خفياً . وقيل : لا يُسمع إلا صوت مشي الأقدام إلى المحشر والقيامة ، ففي بعضها ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾<sup>(١)</sup> . وفي بعضها ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصِمُونَ﴾<sup>(٢)</sup> .

﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾<sup>(١٠٩)</sup> يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ، عِلْمًا<sup>(١١٠)</sup> ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾<sup>(١١١)</sup> وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا<sup>(١١٢)</sup> وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا<sup>(١١٣)</sup> فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ، وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا<sup>(١١٤)</sup> ﴿

﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ لا تنفع الشفاعة في الآخرة إلا بعد إذن من الله للشافع أن يشفع؛ لقوله - تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾<sup>(٣)</sup> وأيضا لا تنفع الشفاعة في الآخرة إلا فيمن أذن أن يشفع فيه ممن قال لا إله إلا الله؛ لقوله - تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾<sup>(٤)</sup> وقوله: ﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾<sup>(١٠٩)</sup> يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴿فيجازيهم على حسب علمه فيهم. ﴿وَعَنَتِ﴾ خضعت وذلت، والعاني الأسير. ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ يجوز أن يراد من حمل كفرا، فلا تنفع فيه الشفاعة فيخيب، ويحتمل أن يريد مع ذلك مظالم العباد .

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ﴾ خبر مجرد ، ومن قرأ (فَلَا يَخَافُ) (١٢٣/ب) فهو نهى عن الخوف<sup>(٥)</sup> ، وكيف ينهى عنه وهو يأتي بحكم الحال ، ولا يتمكن الإنسان من دفعه عن نفسه ، وهو إما نهى عما يقتضيه النهي من المعاصي والهضم:

(١) سورة الطور، الآية (٢٥) .

(٢) سورة الزمر، الآية (٣١) .

(٣) سورة البقرة، الآية (٢٥٥) .

(٤) سورة الأنبياء، الآية (٢٨) .

(٥) قرأ ابن كثير من العشرة (فلا يخف) ، وقرأ الباقر (فلا يخاف) . تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان

(٦/٢٨١) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٢٤٧ ، ٢٤٨) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٤٦٤) ، الدر

المصون للسمن الحلبي (٥ / ٥٨) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٤٢٤) ، الكشاف للزمخشري

(٢ / ٥٥٤) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٢٢) .

النقص. يقال: هضم الكشح، أي: صغيره، ومثل هذا الإنزال ﴿أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ وقد يوجد فيه كلمات فارسية أو رومية قد عربت وهو كما يقال: هذا ثور أسود، وإن كان في بعض قوائمه عشر شعرات بيض. ﴿وَصَرَفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ﴾ ليردهم ذلك التصريف عما هم عليه من العناد. ﴿أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ﴾ تذكراً واطعاً ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ﴾ أي: جلّ عما يقوله الكفرة من دعوى الشريك والولد له.

وكان النبي ﷺ إذا قرأ جبريل عليه ما نزل عليه من الوحي يلاحق جبريل في القراءة خشية أن يتفلسف عنه بعضه، فأنزل الله - تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾<sup>(١)</sup> وهذه الآية ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ أي: من قبل أن يفرغ جبريل من قراءته، فكان النبي ﷺ بعد ذلك يسكت حتى يفرغ جبريل من قراءته، ثم يقرأها النبي ﷺ فلا يخل منها بشيء<sup>(٢)</sup>.

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنسَىٰ وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾<sup>(١١٥)</sup> وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَتَّعَدُمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ ﴿١١٩﴾

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنسَىٰ وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ لم يعد بعض المفسرين آدم من أولي العزم ولا يونس؛ لقوله تعالى: ﴿فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ قيل: جعله قبله لهم، والمراد: اسجدوا لجهته.

وقيل: اسجدوا لسجوده، أي: ليكون إماماً لكم وأنتم تقتدون به، والصحيح أنهم أمروا أن يسجدوا لآدم تعظيماً له، وذلك لا يجوز في شريعتنا، وقد جاء في يعقوب وأولاده ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾<sup>(٤)</sup> وقوله: ﴿أَبَى﴾ جملة مستأنفة، جواب لسؤال سائلٍ سأل فقال: ماذا صنع إبليس؟ فيقول له: أبى أن يسجد.

(١) سورة القيامة، الآية (١٦).

(٢) رواه البخاري رقم (٤٩٢٩)، ومسلم رقم (١٤٧، ١٤٨).

(٣) سورة القلم، الآية (٤٨).

(٤) سورة يوسف، الآية (١٠٠).

وقد اختلف فيمن أمر بالسجود لآدم؛ فقال الأكثرون: إن المأمور جميع الملائكة، لم يخرج أحد منهم من الأمر. وقيل: خرج منهم الملائكة المقربون؛ لقوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا بَلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ (١).

﴿ فَتَشَقَّى ﴾ إن قال قائل: لم لا قال: فتشقى عن آدم (١٢٤ / أ) وحواء؟

والجواب من وجهين: أحدهما: أن الذي يشقى بالنزول من الجنة هو الرجل دون المرأة فقد روي أن آدم <sup>عليه السلام</sup> أنزل له ثور من الجنة فحرث عليه حتى عرق جبينه فثبت السعي والتعب إلى آدم خاصة. وقوله: ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ ﴾ كقوله: لا أرينك هاهنا، والوجه الثاني: أنه ما قال: فتشقى لأجل تأخير رؤوس الآي وهو بعيد؛ لأن القرآن ليس محل ضرورة. ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴾ القياس أن يُقابل كل شيء لشكله، فيقال: إنك لا تجوع ولا تظمى، ولا تعرى ولا تضحى. الضحاء: ممدود [وهو] (٢) حرُّ الشمس والضحى: مقصور جمع ضحوة. والوسوسة: الصوت الخفي.

﴿ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّادِمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴾ (١٢٠)  
فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَّتْ لَهُمَا سُوءَ تَهُمَا وَطَفِيقًا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى  
﴿ ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾ (١٢٢) قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا  
يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ  
لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَد كُنْتُ بَصِيرًا  
﴿ قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْتَانَا فَتَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنسِي ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ  
وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴾ (١٢٧) أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي  
ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى ﴾ (١٢٨)

﴿ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ ﴾ قال له إبليس أو أحد ذريته: الشجرة التي نهيت عن أكلها هي شجرة من أكلها خلد في الجنة، فلو أكلت منها لتبقى خالدًا لكان خيرا لك، وكذلك إذا أكلت منها فإنه يحصل لك ملك لا يبلى ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَّتْ لَهُمَا سُوءَ تَهُمَا ﴾ تساقط اللباس الذي كان عليهما، وشرعا يأخذان من أوراق الأشجار. ﴿ فَغَوَى ﴾ الغي: ضد الرشاد

(١) سورة ص، الآية (٧٥).

(٢) ليست بالأصل.

﴿ثُمَّ اجْنَبْهُ﴾ اصطفاه واختاره فهداه إلى التوبة والرجوع إلى الله. ﴿قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا﴾ وفي موضع آخر ﴿أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾<sup>(١)</sup> المأمور بالهبوط آدم وحواء، وفي الآية الأخرى آدم وحواء وإبليس. ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ (ما) زائدة ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ شرط ﴿فَعَنِ اتَّبَعَ﴾ شرط ثان. ﴿فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ جواب للشرط الثاني، والشرط الثاني وجوابه جواب للشرط الأول. ﴿ضَنَكًا﴾ أي: ضيقة حرجة. ﴿ءَايَاتِنَا﴾ القرآن ﴿فَنَسِيَهَا﴾ فتركت العمل بها، وقد استدل بذلك على إثم من نسي القرآن بعد حفظه، ولا حجة فيه؛ فإن أصل حفظ القرآن ليس بواجب<sup>(٢)</sup>.

﴿وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنسئ﴾ تترك في العذاب؛ كقوله: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾<sup>(٣)</sup> وقوله: ﴿فَذُوقُوا يَمَّا نَسِيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾<sup>(٤)</sup> ومتى كان العذاب شديداً ولكنه قصير المدة فقد يتجلد المعذب وينتظر انقضاء الأمل القريب، أما إذا كان العذاب دون ذلك ولكن أمده متطاول أو أشد (١٢٤/ب) من الأول، فعذاب الآخرة في نفسه أشد وهو أدوم. ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ﴾ أفلم يتبين، والفاعل ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ ﴿يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ﴾ فيرون آثار المهلكين المكذبين فيعتبروا ويرجعوا ﴿النُّهَى﴾ جمع نهية وهي العقل؛ لأنه ينتهي عن الفواحش، كما سمي عقلا فإن عقال البعير يمنعه من الذهاب كيف مشى، وسمي حجراً لأنه يحجز عن المعاصي، أي: يمنعها.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسْمًى ﴿١٢٩﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ

(١) سورة البقرة، الآية (٣٨).

(٢) يستحب حفظ القرآن إجماعاً وحفظه فرض كفاية إجماعاً وهو أفضل من سائر الذكر وأفضل من التوراة والإنجيل وبعضه أفضل من بعض ويجب منه ما يجب في الصلاة ويبدأ الصبي وليه به قبل العلم فيقرأه كله إلا أن يعسر والمكلف يقدم العلم بعد القراءة الواجبة كما يقدم الكبير نفل العلم على نفل القراءة في ظاهر كلام الإمام والأصحاب ويسن ختمه في كل أسبوع وإن قرأه في ثلاث فحسن ولا بأس به فيما دونها أحياناً وفي الأوقات الفاضلة كرمضان خصوصاً الليالي اللاتي تطلب فيها ليلة القدر والأماكن الفاضلة كمكة لمن دخلها من غير أهلها فيستحب الإكثار فيها من قراءة القرآن اغتناماً للزمان والمكان ويكره تأخير الختم فوق أربعين بلا عذر ويجرم إن خاف نسيانه - قال أحمد: ما أشد ما جاء فيمن حفظه ثم نسيه. ينظر: الإتيان في علوم القرآن للسيوطي (١ / ٢٦٤)، الإقناع للبهوتي (١/١٤٨).

(٣) سورة التوبة، الآية (٦٧).

(٤) سورة السجدة، الآية (١٤).

رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ ؕ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنزِلَ وَنَخْزِي ﴿١٣٤﴾

﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ ﴾ بتأخير عذاب الكفار إلى البعث ﴿ لَكَانَ ﴾ التعذيب لازماً لهم ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ ﴾ بتأخير العذاب على من كفر إلى يوم القيامة. ﴿ وَأَجَلٌ مُسَمًّى ﴾ معطوف على ﴿ كَلِمَةٌ ﴾ أي: ولولا كلمة وأجل مسمى. ﴿ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ ﴿ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ﴾ صلاة الفجر، وقبل الغروب: صلاة الظهر والعصر ﴿ وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ ﴾ المغرب والعشاء. وآناء الليل: ساعاته. ﴿ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴾ وقرأ الكسائي وأبو بكر (لَعَلَّكَ تُرَضَى) بضم التاء<sup>(١)</sup>. ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ﴾ استحساناً إلى ما زينه أهل الدنيا من المساكن والملابس والمراكب؛ لأنهم إنما فعلوا ذلك لينظر إليه ويستحسن.

﴿ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ وقرئ ( زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) بفتح الهاء<sup>(٢)</sup> زَهْرَةَ: جمع زاهر، ككاتب وكتبة. ﴿ وَرِزْقُ رَبِّكَ ﴾ في الجنة ﴿ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ في الجنة. ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ وكان بعض السلف إذا دهمه خطب فزع إلى الصلاة وتلا هذه الآية<sup>(٣)</sup>. ﴿ وَالْعَاقِبَةُ ﴾ الحميدة ﴿ لِلتَّقْوَى ﴾ ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا ﴾ هلا ﴿ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّهِ ؕ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴾ وهو القرآن المجيد المصدق لما سبقه من الكتب ﴿ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ ﴾ أي: من

(١) قرأ الكسائي وشعبة عن عاصم " لعلك تُرَضَى "، وقرأ باقي العشرة " لعلك تُرَضَى " .

تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٢٩٠)، الحجة لابن خالويه (ص: ٢٤٨)، الحجة لأبي زرعة (ص: ٤٦٤)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٦٥)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٤٢٥)، الكشف للزمخشري (٢ / ٥٥٩)، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٢٢)

(٢) قرأ بها يعقوب، وقرأ العامة " زهرة " . تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٢٩١)، تفسير القرطبي (١١ / ٢٦٢)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٦٧)، الكشف للزمخشري (٣ / ٩٨)، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٢٢).

(٣) وورد هذا مرفوعاً للنبي ﷺ رواه البيهقي في شعب الإيمان (٣ / ١٥٣) عن عبد الله بن المبارك عن معمر بن محمد بن حمزة بن عبد الله بن سلام قال: " كان رسول الله ﷺ إذا نزل بأهله شدة - أو قال: ضيق - أمرهم بالصلاة وتلا ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ الآية " .

قبل بعثة الرسل وإنزال الكتب ﴿لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنزِلَ بِالْعَذَابِ﴾ وَنَخْزَىٰ ﴿به.

﴿قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾ (١٣٥)

﴿قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ﴾ أي: أنتم تنتظرون هلاكي ، وأنا أنتظر أن يبتليكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا. ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾ (١٣٥/أ) هو كقوله - تعالى : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (١).

\*\*\*

## سورة الأنبياء [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ  
مُحَدِّثٍ إِلَّا أَسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأَ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ  
مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾﴾

﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ عبر بالحساب عن المجازاة وكان اقترابه ما حل بهم في وقعة بدر من القتل والأسر. وقيل: أراد حساب يوم القيامة، وفي قربه وجهان:

أحدهما: أنه آتٍ، وكل ما هو آتٍ قريب.

والثاني: أن معناه أن زمان بقاء العالم قد بقي أقله وهو انقضاء أيام البقاء في الدنيا. وقوله: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ﴾ أي: اقترب منهم. ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدِّثٍ إِلَّا أَسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ المراد بقوله: ﴿يَلْعَبُونَ﴾ أي: يشتغلون بدنياهم، وقال - تعالى: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهُوَ﴾<sup>(١)</sup> وقيل: ﴿يَلْعَبُونَ﴾ أي: يلهون. وقيل: يشتغلون بالقدح فيه والاعتراض عليه. وقوله: ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ جملة حالية، وقوله: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ جملة أخرى، فالأولى حال من واو ﴿أَسْتَمَعُوهُ﴾ والثانية فيها وجهان:

أحدهما: أنها حال من واو ﴿أَسْتَمَعُوهُ﴾.

والثاني: أنها حال من الضمير في ﴿يَلْعَبُونَ﴾ فتكون الحالان متداخلتين، وعلى الأول تكونان مترادفتين.

وفي معنى ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ وجهان:

أحدهما: مشتغلين عن الذكر بالطعن في القرآن.

والثاني: مشتغلين بالباطل عن الحق.

وفيه وجه ثالث قاله المتصوفة: أنها غافلة عما يراد بها ومنها.

(١) سورة محمد، الآية (٣٦).



وقوله - عز وجل : ﴿ وَأَسْرُوا النَّجْوَى ﴾ أي : أخفوا فيما بينهم التناجي بالباطل .  
وقيل : أسروه : أظهروه . قال الماوردي<sup>(١)</sup> : وأسراً يستعمل في الإخفاء والإظهار ، وإن كان الظاهر استعماله في الإخفاء حقيقة إلا بدليل .

قوله : ﴿ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ ﴾ قيل : أفتقبلونه وأنتم تعلمون أنه سحر ؟ وقيل : أفتعدلون إلى الباطل وأنتم تعلمون الحق ؟ الواو في ﴿ وَأَسْرُوا ﴾ يجوز أن تكون دالة على جمع الفاعلين ولا تكون ضميراً . وقيل : هي على لغة من يقول : أكلوني البراغيث<sup>(٢)</sup> .

وقيل : أسروها للذين ظلموا فحذف الجار ومثله ﴿ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ ﴾<sup>(٣)</sup> والتقدير : قائلين : ﴿ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾ .

﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾<sup>(٤)</sup> بَلْ قَالُوا أَضْغَثُ أَحْلَامٍ  
بَلْ آفَرْتَهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بَيِّنَاتٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ ﴿٥﴾ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرِيْبَةٍ  
أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيْ إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ  
كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ  
صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ  
ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ  
﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحْسَسُوا بِأَسْنَانَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ  
وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّعِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَا نُوْتِلْنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾

وقوله : ﴿ أَضْغَثُ أَحْلَامٍ ﴾ أي ( ١٢٥ / ب ) تهاويل أحلام . وقيل : ما لا يفسر من الأحلام ﴿ أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾ قيل : هم أهل التوراة والإنجيل . وقيل : علماء المسلمين . وقيل : من أسلم من علماء اليهود والنصارى .

قوله - تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا ﴾ الآية قيل : معناه وما جعلنا الأنبياء قبلك أجساداً ﴿ لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ﴾ ولا يموتون كذلك ، فعلى هذا يكون الجسد ما لا يأكل ولا يشرب ، ويكون قوله : ﴿ لَا يَأْكُلُونَ ﴾ تفسيراً لـ « جسد » .

(١) ينظر : النكت والعيون للماوردي ( ٣ / ٣٧ ) .

(٢) تقدم في تفسير سورة البقرة ، الآية ( ٧١ ) .

(٣) سورة المائدة ، الآية ( ٧١ ) .

وقيل: المراد أنهم ليسوا أجساداً ، والجسد ما يأكل ويشرب ، وأفرد الجسد ؛ لأن المراد التمييز بهذا الجنس ، وهو كقوله - تعالى : ﴿ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ﴾ <sup>(١)</sup> قوله - عز وجل : ﴿ فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾ أي : شرفكم ؛ لنزوله بلغتكم أولاً ، مشتمل على ذكر مصالحكم في دينكم ودنياكم قوله : ﴿ مِّنْهَا ﴾ أي : من القرية . وقيل : من العذاب . قوله : ﴿ أَتْرَفْتُمْ ﴾ أي : نُعِمْتُمْ . قوله : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ ﴾ أي : من دنياكم شيئاً قالته الملائكة استهزاء بهم <sup>(٢)</sup> .

وقال ابن بحر <sup>(٣)</sup> : لعلكم تسألون عما كنتم تعملون من الذنوب حتى استوجبتم هذا التعذيب <sup>(٤)</sup> .

﴿ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَتُهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَمِيدِينَ ﴾ <sup>(١٥)</sup> وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِلْعَيْنِ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَّأَخَذْتَهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾

قوله - عز وجل : ﴿ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَتُهُمْ ﴾ بالثبور والويل حتى هلكوا . وقوله : ﴿ تِلْكَ دَعْوَتُهُمْ ﴾ معرفتان يجوز جعل كل واحدة منهما اسماً لـ ﴿ فَمَا زَالَتْ ﴾ والأخرى خبراً والحصيد : الاستئصال ، والخمود : الهمود ، يقال : خمدت النار إذا انطفأت ، فشبه خمود الحياة بخمود النار ، كما يقال لمن مات : قد طفئ . قوله : ﴿ لَهْوًا ﴾ قيل : ولداً . وقيل : زوجة . وقيل : المراد الداعي إلى الشهوات ، وأنشد الماوردي [ من الطويل ] :

وللهو داعٍ دائبٌ غيرُ غافلٍ <sup>(٥)</sup>

(١) سورة غافر ، الآية ( ٦٧ ) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ١٧ / ٨ ) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٥ / ٦١٨ ) لعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة .

(٣) هو ابن بحر بن بري الباسيري يروي عن ابن عيينة توفي سنة أربع وثلاثين ومائتين ( ٢٣٤ هـ ) .

تنظر ترجمته في : اللباب في تهذيب الأنساب ( ١ / ١٠٠ ) .

(٤) ذكره الماوردي في النكت والعيون ( ٣ / ٣٩ ) عن ابن بحر .

(٥) هذا عجز بيت للأحوص ، وصدرة :

ويلحيني في اللهو إلا أحبه .....

ينظر في : تفسير الطبري ( ١ / ١١٢ ) ، روح المعاني للألوسي ( ١ / ٩٥ ) ، النكت والعيون للماوردي ( ٣ / ٣٩ ) .

قوله عز وجل : ﴿ مِنْ لَدُنَّا ﴾ أي : من عندنا . قال ابن جريج<sup>(١)</sup> : أي : لا نتخذنا ولداً ونساءً من أهل السماء لا من الأرض<sup>(٢)</sup> . قوله : ﴿ إِنْ كُنَّا فَعَلِينَ ﴾ أي : لا نتخذناه من السماء بحيث يخفى علمه عليكم . قوله : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ﴾ الحق هو المشروع ، والباطل هو المدفوع . وقيل : الحق : القرآن ، والباطل : إبليس .

وقيل : الحق المواعظ ، والباطل : المعاصي ، جعل الباطل كصورة صنم سقط عليه حجر ثقيل فوصل إلى دماغه فهلك ( ١٢٦ / أ ) والشجة إذا وصلت إلى أم الدماغ وخرقتها تسمى دامغة ، جعل ذلك مثلاً لهلاك الباطل وأمن لمآثر الإسلام ، والباطل الشرك . ﴿ زَاهِقٌ ﴾ أي : هالك .

قوله : ﴿ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ لا يتعبون ولا يعيون ، يقال : حسر البعير : إذا أعيأ ، ومنه قوله : ﴿ يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾<sup>(٣)</sup> قوله : ﴿ يُنْشِرُونَ ﴾ أي : يحيون الموتى ، ومنه قوله - تعالى - : ﴿ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرُهُ ﴾<sup>(٤)</sup> وقوله : ﴿ وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِرُهَا ﴾<sup>(٥)</sup> ومعناه : أن الإله يجب أن يكون قادراً على إحياء الموتى .

﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾<sup>(٢٠)</sup> أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِي وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي بَلْ

(١) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الإمام العلامة الحافظ شيخ الحرم أبو خالد وأبو الوليد القرشي الأموي المكي صاحب التصانيف وأول من دون العلم بمكة ، كان ثقة حافظاً لكنه كان يدلّس بلفظة " عن " وقد كان صاحب تعبد وتهجد وما زال يطلب العلم حتى كبر وشاخ ، ومات سنة خمسين ومائة . تنظر ترجمته في : سير أعلام النبلاء للذهبي ( ٦ / ٣٢٥ ) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ١٧ / ١٠ ) .

(٣) سورة الملك - الآية ( ٤ ) .

(٤) سورة عبس ، الآية ( ٢٢ ) .

(٥) سورة البقرة ، الآية ( ٢٥٩ ) وهذه قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو " نشرها " بالراء ، وقرأ الباقر " ننشزها " بالزاي . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٢ / ٢٩٥ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي

( ١ / ٦٢٧ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ١٨٩ ) ، الكشاف للزنجشيري ( ١ / ٣٠٧ ) .

أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنَ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾

قوله: ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ قيل: ﴿إِلَّا﴾ بمعنى سوى . وقيل: بمعنى الواو، تقديره: لو كان فيهما آلهة إلا الله ومعهم الله لفسدتا، فعلى الأول يكون إبطالاً لاتخاذ الشريك، وعلى الثاني يكون إبطالاً لإلهية غير الله لعجزه عما يقدر الله عليه.

قوله تعالى: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ قيل: لا يُسأل عن قضائه، والخلق يُسألون . قوله: ﴿هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ﴾ أي: بإبطال الشريك ﴿وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي﴾ أهل الكتاب، يشهدون بالتوحيد . قوله: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: من أمر الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الدنيا . وقيل: ما قدموا وأخروا . وقيل: ما قدموا: ما عملوا، وما أخروا: ما لم يعملوا . قوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ﴾ أي: في الدنيا ﴿إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ﴾ وقيل: في الآخرة .

قوله: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ أي: من الملائكة ﴿إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ﴾ دون الله، احتج به قوم زعموا أن الأنبياء ليسوا بمعصومين، وكذلك قصة هاروت وماروت، وقصة إبليس وامتناعه من السجود لآدم . قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أو لم يعلم، فإنهم علموا ذلك من جهة الوحي . قوله: ﴿أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا﴾ متصلتين ففتق بين السماوات والأرض بالهواء . وقيل: كانت كل واحدة من السماوات ومن الأرضين مرتتقة متصلة، ففتق بينهما . وقيل: المعنى بفتق السماوات إنزال المطر من السماوات، وإخراج النبات من الأرض . قوله - عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ قيل: جعل حياة كل الحيوان بالماء . وقيل: جعل كل حيوان مخلوقاً من النطفة . وقيل: جعل بقاء الحيوانات بالماء وهو عام مخصوص (٢٦/ب).

﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُّعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِشَرٍّ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ

الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْكُمْ يَنْخِذُونَ إِلَّا هُزُوا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُرُونَ عَنْ وُجُوهِهِمْ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبَهِتُوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلِي مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَنْ يَكْلَأُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾

﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي﴾ أي : ثابتات. وقيل : مثبتات ، فإن الجبال هي التي أرست الأرض . ﴿أَنْ تَمِيدَ﴾ أي : تضطرب . وقيل : تزول . الفجاج : الطريق الواسعة بين جبلين . وقيل : إنها الأعلام التي يهتدى بها ، وفي السبل وجهان :

أحدهما : الطرق . والثاني : طرق الاعتبار .

قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾ أي : من أن تقع على الأرض .

وقيل : محفوظاً من الشياطين . قوله - عز وجل : ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ قيل : الفلك السماء . وقيل : هو القطب المستدير يدور بدورانه الفلك ، ثم قيل : إن السماء تستدير فتستدير بدورانها الكواكب والشمس والقمر . وقيل : السماء لا تتحرك ، إنما المتحرك هو الفلك الدائر بالنجوم والكواكب .

وقوله تعالى : ﴿وَنَبَلُوكُمْ﴾ أي : نعاملكم معاملة المختبر . قوله ﴿بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ﴾ قيل : الشدة والرخاء . وقيل : الشر : الفقر والمرض . والخير : الغنى . وقيل : الشر : غلبة الهوى على النفس . والخير : العصمة . وقيل : ما تحبون وما تكرهون ؛ ليعلم شكركم فيما تحبون وصبركم على ما تكرهون .

قوله عز وجل : ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ قيل : الإنسان آدم ، خلقه ولم ينفخ فيه الروح فسأل ربه إحياءه . وقيل : العجل الطين ، قال الشاعر [ من البسيط ] :

والنخلُ تنبتُ بينَ الماءِ والعَجَلِ<sup>(١)</sup>

قوله تعالى : ﴿ يَكَلُّوكُمْ ﴾ أي : يحفظكم ، قال الشاعر [ من المنسرح ] :

إِنَّ سُلَيْمَى وَاللَّهُ يَكَلُّوهُمَا  
ضَنْتُ بِشَيْءٍ مَا كَانَ يِرْزُوهُمَا<sup>(٢)</sup>

وظاهر الآية الاستفهام ، ومعناها النفي ، أي : لا يكلؤكم أحد . قوله - تعالى - : ﴿ وَلَا

هُمْ مَتَّايِحِبُونَ ﴾ أي : لا يجارون ، ومنه قوله : ﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾<sup>(٣)</sup> .

وقيل : يحفظون . وقيل : ينصرون . وقيل : ولا يصحبون من الله بخير .

﴿ بَلْ مَنَعْنَا هَنُؤُلَاءَ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ  
نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾<sup>(٤٤)</sup> قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ  
الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾<sup>(٤٥)</sup> وَلَئِنْ مَسَّتْهُمُ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا نَوِيلَانَا إِنَّا كُنَّا  
ظَالِمِينَ ﴾<sup>(٤٦)</sup> وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ  
حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾<sup>(٤٧)</sup> وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ  
وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾<sup>(٤٨)</sup> الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ  
﴿ ٤٩ ﴾ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾<sup>(٥٠)</sup> ﴿ ٥١ ﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ  
عَالِمِينَ ﴾<sup>(٥١)</sup> إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾<sup>(٥٢)</sup> قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا  
عَبِيدِينَ ﴾<sup>(٥٣)</sup> قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾<sup>(٥٤)</sup> قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ  
الِّلَّعِينِ ﴾<sup>(٥٥)</sup> قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِّنَ  
الشَّاهِدِينَ ﴾<sup>(٥٦)</sup> وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْرِينَ ﴾<sup>(٥٧)</sup> فَجَعَلَهُمْ جُدَاذًا إِلَّا كَبِيرًا

(١) هذا عجز بيت وصدوره :

النبعُ في الصخرة الصماءِ منبتهُ .....

ينظر في : تهذيب اللغة للأزهري ( ١ / ٣٦٩ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٣ / ٥٨٣ ) ، الكشاف

للزنجشري ( ٣ / ١١٧ ) ، لسان العرب ( عجل ) ، النكت والعيون للماوردي ( ٣ / ٤٥ ) والنبع :

شجر تتخذ منه القسي ، والصماء : الصلبة ، والعجل : الطين بلغة حمير .

(٢) البيت لابن هرمة ، ينظر في : الأغاني للأصفهاني ( ٣ / ٢٣٦ ) ، البيان والتبيين للجاحظ ( ١ / ٣٢٠ ) ،

تاج العروس للزبيدي ( كلاً ) ، تفسير القرطبي ( ١١ / ٢٥٥ ) ، لسان العرب ( كلاً ) ، النكت والعيون

للماوردي ( ٣ / ٤٥ ) .

(٣) سورة المؤمنون ، الآية ( ٨٨ ) .

لَمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾

قوله - تعالى: ﴿ نَقَضْنَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ قيل : بفتح بلاد المشركين . وقيل : بنقصان أهلها وقلة بركتها . وقيل : بموت فقهاء وعلمائها ، والقول الثاني والثالث مشكلان ، أما الثاني فلقوله : ﴿ أَوْلَتْ يَرَوَا ﴾ ولم يكن قد ظهر على المسلمين فتح بلاد ؛ لأن هاتين الآيتين من سورتين مكيتين ، ولم يحصل فتح في ذلك الزمان . وأما الثالث وهو موت الفقهاء فأى فقيه يتأثر الناس بموته مع حياة رسول الله ﷺ . ( ١٢٧ / أ )

﴿الْفُرْقَانَ﴾ في أصله مصدر فرق يفرق ، ويجوز إطلاقه على كل فرق . فقيل : هو التوراة . وقيل : هو البرهان الذي أتى به موسى ، ففرق بين حق موسى وباطل فرعون<sup>(١)</sup> . ﴿وَذِكْرَ اللَّامِتِّينَ﴾ وقيل : موعظة . وقيل : هو نصر موسى وأشياعه وهلاك فرعون وأتباعه . قوله : ﴿ ءَأَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ ﴾ هو النبوة . وقيل : هو أن أوتي العلم صغيراً ، فجادل قومه في إبطال مذهبهم بالكوكب والقمر والشمس .

قوله : ﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي : من قبل إيتاء النبوة . وقيل : من قبل موسى وهارون . ﴿ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾ وكنا بصلاحيته للنبوة وإيتاء الرشد عالمين . قوله : ﴿ جُدَاذًا ﴾ أي : قطعاً . قوله : ﴿ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ ﴾ أي : بمرأى منهم . قوله : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ أي : يشهدون بما جرى من إبراهيم من الحججة ، ومن النمرود من الجدال بالباطل .

وقيل : لعلمهم يشهدون عليه بما جرى منه من انتقاص أصنامهم . قوله - تعالى : ﴿ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ مشروط بشرط ، هو ﴿ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾ أي : إذا صلحوا للجواب عن ذلك صلحوا لكسر الأصنام . قوله - عز وجل : ﴿ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ ﴾ قيل : هو حقيقة أن فكر كل واحد في نفسه وشاور رفيقه في ذلك . وقيل : رجع بعضهم إلى بعض ؛ كقوله : ﴿ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِينِكُمْ ﴾<sup>(٢)</sup> أي : لا يخرج بعضكم بعضاً .

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ١٧ / ٣٤ ) .

(٢) سورة البقرة ، الآية ( ٨٤ ) .

قوله - عز وجل: ﴿ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ في عبادة من لا يستطيع جواباً.

﴿ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾ (٦٥) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفِي لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾

﴿ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ ﴾ رجعوا إلى الباطل بعد اعترافهم بالحق . وقيل: رجعوا إلى مجادلة إبراهيم وقالوا: ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾ وقيل: طأطأوا رؤوسهم حين وردت عليهم حجة إبراهيم، فإمّا أن يكون ذلك تعظيماً لما جاء به إبراهيم ، أو تحقيراً له .

قوله - تعالى: ﴿ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا ﴾ إن سألتموه النفع ﴿ وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾ إن تركتم عبادته. ﴿ أَفِي لَكُمْ ﴾ مذكور في سبحان<sup>(١)</sup>. قوله - تعالى: ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ تعريض بنسبتهم إلى الجهل، أي: مَنْ جادل هذه المجادلة فلا عقل له. وقال ابن عمر ومجاهد وابن جريج: القائل كان كردياً مقيماً ببلاد فارس. وقيل: إنه رجل قال ذلك فخسف الله به الأرض - قاله الماوردي - فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة<sup>(٢)</sup>. (١٢٧ / ب).

وقيل: إن إبراهيم لما أوثق ليلقى في النار قال: لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك<sup>(٣)</sup>. وقال ابن عمر: كانت كلمة إبراهيم حينئذ: حسبي الله ونعم الوكيل<sup>(٤)</sup>. وقيل: فما أحرقت النار منه إلا وثاقه<sup>(٥)</sup>. قال ابن جريج: ألقى إبراهيم في النار وعمره ست وعشرون سنة<sup>(٦)</sup>. قال الكلبي: بنوا له أتوناً وألقوه فيه بعد أن ملئ ناراً، ثم

(١) سورة الإسراء ، الآية ( ٢٣ ) .

(٢) ينظر: النكت والعيون للماوردي (٤٨ / ٣) ورواه الطبري في تفسيره ( ١٧ / ٤٣ ) عن مجاهد.

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون للماوردي ( ٣ / ٤٨ ) .

(٤) وقع في الأصل ابن عمر، وهو ما ذكره الماوردي في النكت والعيون ( ٣ / ٤٨ ) ، وذكره في السيوطي في الدر المنثور ( ٥ / ٦٣٩ ) ونسبه لابن أبي شيبة في المصنف وابن المنذر عن عبد الله بن عمرو . ورواه البخاري رقم ( ٤٢٨٨ ) عن ابن عباس قال: " كان آخر قول إبراهيم حين ألقى في النار حسبي الله ونعم الوكيل " .

(٥) رواه الطبري في تفسيره ( ١٧ / ٤٤ ) عن قتادة ، ورواه كذلك وذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٥ / ٦٣٩ ) ونسبه لابن أبي شيبة وابن المنذر عن كعب .

(٦) ذكره الماوردي في النكت والعيون ( ٣ / ٤٨ ) بهذا اللفظ، ورواه الطبري في تفسيره ( ١٧ / ٤٥ ) =



فتحوه من الغد، فإذا هو لم يحترق منه شيء ، وأرض الأتون باردة<sup>(١)</sup>.

قال أبو العالية : لو لم يقل : ﴿ وَسَلَّمَا ﴾ لأتلفته بردها ، ولو لم يقل : ﴿ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ لكانت برداً على الناس كلهم إلى يوم القيامة<sup>(٢)</sup>.

﴿ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴾ ٧٠ ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ ٧١ ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۗ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴾ ٧٢ ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَك بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ ٧٣ ﴿ وَلُوطًا ءَأَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَاتِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَسَقِينَ ﴾ ٧٤ ﴿ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا ۚ إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ٧٥ ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ۖ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴾ ٧٦ ﴿ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ٧٧ ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَمْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَثَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾ ٧٨

ولوط هو ابن أخي إبراهيم، فآمن بإبراهيم ، ومنه قوله - تعالى : ﴿ فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ ﴾<sup>(٣)</sup> وهاجر معه لوط إلى أرض الشام ﴿ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ قيل : هي مكة . وقيل : بيت المقدس . وقيل : من أرض العراق إلى أرض الشام . وفي بركتها وجوه :

أحدها : أن أكثر الأنبياء بعثوا من بيت المقدس . وقيل : بكثرة خصبها وثمر نباتها .

وقيل : بعدوبة مائها وتفرقه في الأرض من تحتها . وعن بعضهم : ما من عين تظهر في الأرض إلا وينبوعها من بيت المقدس . ﴿ نَافِلَةً ﴾ ولد الولد ، وكان يعقوب ولد ولد إبراهيم ، والمراد هاهنا ذلك . وقيل : إنها الزيادة في العطاء وإسحاق ويعقوب كلاهما نافلة ؛ لأن إبراهيم دعا بطلب الولد فأجيب دعاؤه .

قوله : ﴿ وَلُوطًا ءَأَيْنَاهُ حُكْمًا ﴾ قيل : هو القضاء بالحق . وقيل : النبوة ﴿ وَعِلْمًا ﴾ يعني

= عن شعيب الجبائي قال : " ألقى إبراهيم في النار وهو بن ست عشرة سنة " .

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون ( ٣ / ٤٨ ) .

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون ( ٣ / ٤٨ ) بهذا اللفظ . ورواه الطبري في تفسيره ( ١٧ / ٤٥ ) عن أبي العالية بنحو ذلك ، ورواه عن كعب وغيره بنحو ذلك .

(٣) سورة العنكبوت ، الآية (٢٦) .

فقهاً. قوله - تعالى: ﴿ وَنَجِّنَاهُ مِنَ الْقَرْبَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَ ﴾ قيل: هو اللواط .

وقيل: كانوا يتضارطون في مجالسهم ، ويفعلون الفاحشة التي هي اللواط بحضرة بعضهم لا يتحاشون من إظهارها<sup>(١)</sup>. ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ ﴾ أي: من قبل إبراهيم قال: ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴾ والخسف بمدائهم ورميهم بالحجارة ، ويحتمل: ونجّاه من أذى قومه بإغراقهم ، ويحتمل أن نجّاه من رؤية المعاصي في الأرض . قوله - تعالى: ﴿ وَنَصَرْتُهُ ﴾ خلصناه ، وإذا جاء معها " من " فهي للتخلص ، وإن جاء معها " على " فهي للظهور والاستعلاء . ﴿ فِي الْحَرْثِ ﴾ كان زرعاً وقعت فيه الغنم ليلاً. وقيل: كان كرمًا ظهرت عناقيده. ﴿ نَفَسَتْ فِيهِ ﴾ رعته ( ١٢٨ / أ ) والنفس: الرعي ليلاً ، والهمل: رعي النهار<sup>(٣)</sup>. قوله - تعالى: ﴿ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾ فيه قولان:

أحدهما، وهو قول الأكثرين: أن حكم داود وسليمان كان حكماً واحداً صواباً اختلف فيه الفهم، فأصاب سليمان ، وخفي الصواب عن داود ، والأنبياء لا يعصمون من الخطأ ولكن لا يقرون عليه . والثاني : أنه كان حكماً اتفقا عليه ؛ لأن الله - تعالى - أثنى عليهما .

﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَايِنَّا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾<sup>(٧٩)</sup> وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿ ٨٠ ﴾ وَلَسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿ ٨١ ﴾ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوضُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿ ٨٢ ﴾ وَأَتُوبُكَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿ ٨٣ ﴾

وقوله: ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾ فضله على داود ؛ لأن سليمان أوتي الحكم صغيراً ، وداود أوتيته كبيراً ، وكان داود قد قضى بالغنم لصاحب الزرع ، استدراكاً لما أفسدته غنمه ، وأما سليمان فرأى أن يكلف صاحب الغنم أن يزرع زرعاً ، فإذا أدرك الزرع وصار بمنزلة يوم رعي أعيدت الغنم لصاحبها ، واستقر الزرع بيد الآخر . وهذه الأحكام كانت في

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ٢٠ / ١٤٥ ) عن عائشة - رضي الله عنها .

(٢) سورة نوح ، الآية ( ٢٦ ) .

(٣) رواه الطبري في تفسيره ( ١٧ / ٥٣ ) عن قتادة .

شريعة من قبلنا فلا يلزمنا العمل بها .

قوله : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ ﴾ قيل : كان تسييحها أن تسير معه إذا سار . وقيل : صلواتها معه<sup>(١)</sup> . وقيل : هو تسييح مسموع مفهوم كان داود يسمعه ؛ لأنه أوتي علم منطق الطير . قوله - عز وجل : ﴿ صَنَعَةَ لِبُؤْسٍ ﴾ قيل : اللبوس الدروع . وقيل : آلات الحرب كلها . ﴿ لِنُحْصِنَكُمْ مِّنْ بَأْسِكُمْ ﴾ إذا حاربتم أعداءكم . ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴾ استبطاء لشكرهم ، وهو استفهام معناه الأمر . ﴿ عَاصِفَةً ﴾ شديدة . وقيل : أصلها أن الريح العاصفة تحمل التبن وتفرقه في أماكن . والعصف : اسم للتبن ، ومنه قوله : ﴿ رِيحٌ عَاصِفٌ ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾<sup>(٤)</sup> .

﴿ أَلَّتْ يَبْرُكْنَا فِيهَا ﴾ يبعث الأنبياء ؛ فإن أكثرهم مبعوث من الشام ، أو لأن سائر منابع الماء في الأرض أصله من تحت صخرة بيت المقدس . وقيل : بالخصب والبركات .

قوله - عز وجل : ﴿ وَأَيُّوبَ ﴾ كان له مال وولد فهلك جميعهم ونحل جسده ، وانقطع عنه من كان يزوره ، وسعى الدود في جسده وهو لا يقطع ذكر الله وتسييحه ، فاستشار إبليس ذريته فيما يتلي به أيوب ، فقالوا له : إنما عصى آدم من قبل ما وسوست لزوجته فافعل مثل ذلك بأيوب وكانت امرأة أيوب تتصدق من الناس وتطعم أيوب ، فجاء إبليس (١٢٨/ب) على صورة عظيمة ، فقال لها : لولا أن ربك غضب على أيوب ما ابتلاه بهذا البلاء ، اذبحوا على اسمي وأنا أبرئه لك من المرض ، فجاءت إلى أيوب وقالت : يا أيوب أين المال وأين الولد وأين لونك ؟ اذبح هذه السخلة على اسم أبي مرة . فقال لها : أتاك الشيطان ووجدك قد أصغيت إليه ، والله لئن عوفيت لأجلدتك مائة جلدة ، وحرام علي أن أكل مما تحضره شيئاً ، فانقطعت عنه وبقي ملقى على كناسة ، فسجد لله وقال : ﴿ مَسَّنِي الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴾ فأصلح الله جسده ، ورد من فقد من أولاده .

وقوله : ﴿ مَسَّنِي الضُّرُّ ﴾ قيل : هو المرض . وقيل : انقطع عنه الوحي أياماً فخشي على

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٧ / ٥٤) عن قتادة .

(٢) سورة يونس، الآية (٢٢) .

(٣) سورة الرحمن، الآية (١٢) .

(٤) سورة الفيل، الآية (٥) .

نفسه هجران ربه. وقيل: هو الشيطان؛ لقوله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ نُبَصَّ وَعَذَابٌ﴾ (١).

﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ فَاكْشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا  
وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ  
﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ  
لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ  
الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾

وأفتى الله أيوب أن يضربها بشيء من الضغث وهو الحشيش البالي، ويكون عدده مائة  
ضغثا ففعل ذلك، وأحيا الله ذريته على ما وصفنا، أحياهم بأعيانهم، ورزقه مثلهم معهم  
وقيل: أعاد له أمثالهم ولم يعدهم بأعيانهم.

قوله: ﴿وَذَا الْكِفْلِ﴾ قيل: هو نبي وهو اليسع. وقيل: ليس نبيا، بل كان قد كفل لني  
قيل: إنه اليسع بأن يقوم مقامه فوفى بذلك. وقوله - تعالى: ﴿مُغْضِبًا﴾ أي: للملك، وكان  
رجلا لا بأس به. وقيل: مغاضبا لقومه. وقيل: لربه. ﴿وَذَا النُّونِ﴾ أي: وصاحب الحوت؛  
كقوله: ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ (٢) وسبب مغاضبته لقومه أنه كان من شرعهم أن من كذب  
قتل، وكان يونس قد وعد قومه بمجيء العذاب بعد ثلاثة أيام، ثم رفع الله عنهم العذاب  
بدليل قوله: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (٣) وقيل:  
مغاضبته أنه كان في خلقه حرج فتوجه ذاهبا عن قومه من غير استئذان لربه، فكانت تلك  
معصيته. وقيل: لما حُمِّلَ النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربيع (٤) تحت الحمل الثقيل، وقال:  
﴿فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ (٥). وقوله: ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾  
أي: لن نصيق، وقرأ ابن عباس: ﴿أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ بالتشديد (٦) ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ ظلمة

(١) سورة ص، الآية (٤١).

(٢) سورة القلم، الآية (٤٨).

(٣) سورة يونس، الآية (٩٨).

(٤) الربيع: الفصيل يُنتج في الربيع، والفصيل: ولد الناقة أو البقرة بعد فطامه، انظر المعجم الوسيط  
(مادة: ربيع).

(٥) سورة القلم، الآية (٤٨).

(٦) قرأ بها ابن عباس والزهري وعمر بن عبد العزيز، وقرأ يعقوب من العشرة " يُقْدِرَ "، وقرأ باقي  
العشرة " يُقْدِرَ " تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٣٣٥)، تفسير القرطبي (١١ / ٣٣٢)، الدر  
المصون للسمين الحلبي (٥ / ١٠٥)، الكشاف للزنجشري (٣ / ١٣١)، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٢٤).

الليل والبحر وبطن الحوت. وقيل: إن حوتا ابتلع الحوت الذي فيه يونس، وأجاز الماوردي<sup>(١)</sup> أن يراد ظلمة الخطيئة والشدة والوحدة، لكن فيه حمل المشترك على معانيه، وهو لا يجوز (١٢٩/أ) على المختار ولم يكن ابتلاء يونس عقوبة؛ لأن الأنبياء لا يجوز أن يعاقبوا، بل كان تأديباً، وقد يؤدب من لا عقاب عليه، واستجابة الداعي ثواب من الله للداعي.

﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ، وَكَذَلِكَ نُشَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ٨٨ ﴿ وَزَكَرْنَا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ، رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ ٨٩ ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ، إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا، وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴾ ٩٠ ﴿

قوله - تعالى : ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ﴾ قيل: هو من ظلمة الخطيئة ، وقيل: من غم بطن الحوت، وروي أن الله - تعالى - أوحى إلى الحوت ألا يكسر له عظماً ولا يחדش له جلداً، وأني جعلت حبسه تأديباً ، وجعلت بطنك محبساً له ، ولم أجعله غذاء لك<sup>(٢)</sup>.

قيل : أقام في بطنه أربعين يوماً<sup>(٣)</sup> . وقيل : ثلاثة أيام . وقيل : من ارتفاع النهار إلى آخره<sup>(٤)</sup> . وقيل : أربع ساعات<sup>(٥)</sup> . قوله - تعالى : ﴿ وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ ﴾ قيل : كانت عاقراً فصارت ولوداً . وقيل : كانت سيئة الخلق فحسن الله خلقها له . ﴿ يُسْرِعُونَ ﴾ يبادرون ﴿ رَغَبًا ﴾ في ثوابنا ﴿ وَرَهَبًا ﴾ من عقابنا . وقيل : ﴿ رَغَبًا ﴾ يبطون الأكف ، و﴿ وَرَهَبًا ﴾ بظهورها ، ويحتمل : رغبة في الخير واستدفاعاً للشر ، قاله الماوردي<sup>(٦)</sup>.

﴿ خَشِيعِينَ ﴾ متواضعين . وقيل : هو وضع اليمين على الشمال والنظر إلى موضع

(١) ينظر: النكت والعيون للماوردي (٣ / ٥٩).

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٣ / ٥٨).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢٣ / ١٠١) ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٧ / ١٢٧) لابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن السدي عن أبي مالك .

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسير (١٠ / ٣٢٢٩) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٧ / ١٢٧) لعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم عن الشعبي قال : " الثقمه الحوت ضحى ولفظه عشية ما بات في بطنه " .

(٥) ذكر بقية الأقوال الماوردي في النكت والعيون للماوردي (٣ / ٥٨ - ٥٩) .

(٦) ينظر : النكت والعيون للماوردي (٣ / ٥٩) .

السجود في الصلاة.

﴿وَالَّتِي أَحْصَيْتَ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَنُيُوتٌ ﴿٩٤﴾ وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿أَحْصَيْتَ فَرْجَهَا﴾ بالعفاف ، فامتنعت عن الفاحشة . وقيل : منعت جيب درعها من جبريل قبل أن تعلم أنه رسول الله - عز وجل .

قوله - عز وجل : ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ أضاف الروح إليه تشريفاً . قيل : نفخ جبريل في جيب درعها فحملت لوقتها .

قوله - عز وجل : ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ لأنها حملت من غير مس ذكر ، وتكلم في المهد بالوحدانية ، وبراءة والدته عن الفاحشة ، فجعل مجموع ذلك آية ، ولو قال : آيات . لجاز . قيل : ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ دينكم ، ومعناه : أنكم كلكم أمة واحدة فلا تكونوا إلا على دين واحد . قوله - عز وجل : ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ اختلفوا في أديانهم .

قوله - عز وجل : ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ قيل : معناه : وحرام على قرية وجدناها هالكة بالذنوب أنهم لا يرجعون إلى التوبة . وقيل : لا يرجعون إلى الدنيا . ﴿فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ أي : فتح سدّهم . وعن أم سلمة : « استيقظ رسول الله ﷺ من نوم محمرة عيناه ، فقال : لا إله إلا الله ( ١٢٩ / ب ) ثلاثاً ، ويل للعرب من شرّ قد اقترب ، فُتِحَ اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه الإبهام والتي تليها»<sup>(١)</sup> . يأجوج ومأجوج من أولاد نوح ، واسمهما مشتق من : أجة النار : صوتها إذا اشتعلت . وقيل : من الماء الأجاج . وهما بعيدان ؛ لأن يأجوج ومأجوج غير مصروفين ، وهما أعجميان ، فكيف يشتق العجم من لغة العرب ؟ وكذلك قال من اشتق إبليس من الإبلان ونوحاً من النياحة وقابيل وهابيل وغيرهما من الأسماء الأعجمية .

وقيل : إنهم يزيدون على من سواهم بالضعف . الحدب : ما ارتفع من الأرض .

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم ( ٣٣٤٦ ) ، ومسلم رقم ( ٢٨٨٠ ) عن أم سلمة - رضي الله عنها .

وقيل: الحذب الفجاج والطرف وهو مأخوذ من حذب الظهر. ﴿يَنْسِلُونَ﴾ يسرعون ،  
والنسلان: ضرب من السير، وفي الذين ينسلون وجهان:

أحدهما: يأجوج ومأجوج يخرجون إذا فتح ردمهم.

والثاني: أنهم الناس يحشرون إلى الموقف.

﴿وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْوِلُنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ  
مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ  
أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴿١٨﴾ لَوْ كَانَتْ هَتُولَاءَ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٩﴾ لَهُمْ  
فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا  
مُبْعَدُونَ ﴿٢١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ  
الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ وَنَلَقْنَاهُم مَّلَئِكَةً هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾

قيل: الواو في ﴿وَأَقْتَرَبَ﴾ زائدة؛ لأنها جواب الشرط ولا مدخل للواو فيه<sup>(١)</sup>.

﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ قيل: وقودها. وقيل: حطبها، وقرأ ابن مسعود (حَصَبُ جَهَنَّمَ)  
بالضاد المعجمة الساقطة<sup>(٢)</sup> يقال: حضبت النار، إذا ألقيت فيها ما يشعلها بعد همودها  
﴿سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ﴾ قيل: الطاعة لله - تعالى - وقيل: السعادة من الله - تعالى.

وقيل: الجنة. وقيل: قبول التوبة وهو احتمال للماوردي<sup>(٣)</sup>. ﴿مُبْعَدُونَ﴾ أي: عن جهنم

(١) ذهب الكوفيون إلى أن الواو العاطفة يجوز أن تقع زائدة وإليه ذهب أبو الحسن الأخفش وأبو العباس  
المبرد وأبو القاسم بن برهان من البصريين ، وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز .

ينظر تفصيل المسألة في: الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري (١ / ٤٠٧) ، المسألة (٦٤) ،  
شرح المفصل لابن يعيش (٨ / ٩٣) ، المغني لابن هشام (١ / ٥٨١).

(٢) قرأ بها ابن عباس . تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٣٤٠) ، تفسير القرطبي (١١ / ٣٤٣) ،  
الدر المصون للسمن الحلبي (٥ / ١١٣) ، فتح القدير للشوكاني (٣ / ٤٢٨) ، الكشاف للزنجشري  
(٣ / ١٣٦) ، المحتسب لابن جني (٢ / ٦٦) ، النكت والعيون للماوردي (٣ / ٦٢).

قال الفراء : ذكر لنا أن الحضب في لغة أهل اليمن : الحطب ، ووجه إلقاء الأصنام في النار مع كونها  
جمادات لا تعقل ذلك ولا تحس به : التبكيث لمن عبدها وزيادة التوبيخ لهم وتضاعف الحسرة عليهم .

(٣) ينظر: النكت والعيون للماوردي (٣ / ٦٢).

قيل: هم عيسى والعزير والملائكة الذين عبدوا من دون الله كارهين<sup>(١)</sup>.

وقيل: هم عثمان وطلحة والزبير، رواه النعمان بن بشير عن علي بن أبي طالب<sup>(٢)</sup>.

وقيل: هي عامة في كل من سبقت له من الله - تعالى - الحسنى<sup>(٣)</sup>.

قيل: لما نزل قوله - تعالى -: ﴿إِنَّكُمْ وَمَنْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ قال المشركون: فقد عبدت الملائكة وعيسى والعزير فلاهتنا بهم أسوة، فنزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ﴾<sup>(٤)</sup>. ﴿الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ ذبح الموت. وقيل: النفخة الأخيرة. وقيل: إطباق جهنم على من فيها.

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾<sup>(١٠٤)</sup> ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أنك الأرض يرثها عبادي الصالحون<sup>(١٠٥)</sup> إن في هذا بلغاً لقوم عبيد<sup>(١٠٦)</sup> وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين<sup>(١٠٧)</sup> قل إنما يوحى إلي أنما ألهمكم الله وحده فهل أنتم مسلمون<sup>(١٠٨)</sup> فإن تولوا فقل آذنتكم على سؤاى وإن أدرى أقرب أم بعيد ما تؤعدون<sup>(١٠٩)</sup> إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون<sup>(١١٠)</sup> وإن أدرى لعله فتنة لكم ومغص إلى حين<sup>(١١١)</sup> قل رب أحكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون<sup>(١١٢)</sup>

﴿السِّجِلِّ﴾ الصحيفة تطوى على ما فيها من الكتابة، قيل: ملك يكتب أعمال العباد. وقيل: هو رجل إنسي كان يكتب لرسول الله ﷺ. ﴿الزُّبُورِ﴾ الكتب التي أنزلها الله - تعالى - على جميع الأنبياء و﴿الذِّكْرِ﴾ (١/١٣٠) التوراة وقيل: ﴿الزُّبُورِ﴾ زبور داود و﴿الذِّكْرِ﴾ توراة موسى.

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٧ / ٩٦) عن مجاهد وأبي صالح.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٦٨١) ونسبه لابن أبي حاتم وابن عدي وابن مردويه عن النعمان ابن بشير.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٧ / ٩٦).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٧ / ٩٧)، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٦٧٩) للفريابي وعبد بن حميد وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه وأبي داود في ناسخه والحاكم وصححه من طرق عن ابن عباس - رضي الله عنهما.



قوله - عز وجل: ﴿أَتَى الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ أرض الجنة<sup>(١)</sup>. وقيل: هي الأرض المقدسة<sup>(٢)</sup>. وقيل: هي أرض الدنيا ترثها أمة نبينا ﷺ<sup>(٣)</sup>.

﴿إِنَّ فِي هَذَا﴾ أي: القرآن. وقيل: التوراة ﴿لَبَلَّغْنَا الْقَوْمَ عَكِيدِينَ﴾ يشبثهم عن المعاصي ويرغبهم في الطاعة. عابدون: مطيعون. وقيل: عالمون. ﴿رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ هي الهداية والتوفيق. وقيل: هي ما رفع عن هذه الأمة من عذاب الاستئصال.

فإن قيل: من المراد بالرحمة؟ قلنا: إن كان المراد بالهداية الرحمة فالمراد الخصوص، وهم المؤمنون. وإن كان المراد ما رفع عنهم من عذاب الاستئصال فهو باقٍ على عمومته. قوله - تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي: عن الرسول، أو عن القرآن. قوله - تعالى: ﴿عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ أي: على استواء في الإعلام به، والهاء في ﴿لَعَلَّهُ﴾ تشير إلى تأخير العذاب. ﴿فِتْنَةً﴾ أي: هلاك. وقيل: امتحان. ﴿وَمَنْعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ قيل: المراد إلى القيامة. وقيل: إلى الموت. وقيل: إلى أن يحكم الله فيهم بما يشاء.

قوله - عز وجل: ﴿قَلِيلٌ مَّا تَصِفُونَهُ بِالْحَقِّ﴾<sup>(٤)</sup> أي: عجل الحكم بالحق. وقيل: افصل بيننا وبين المشركين بما تظهر به الحق للجميع.

﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ قيل: على ما تكذبون. وقيل: على ما تكتمون.

\*\*\*

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٧ / ١٠٤) عن ابن عباس وغيره.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٧ / ١٠٥).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٧ / ١٠٥).

(٤) قرأ حفص عن عاصم (قال) بالماضي، وقرأ عامة القراء (قل) بالأمر. تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٣٤٥)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ١١٩)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٤٣١ - ٤٣٢)، الكشاف للزنجشيري (٣ / ١٤٠).

## سورة الحج [ فيها مكي وفيها مدني ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبِّكُمْ إِنَّا زَلَزَلْنَا السَّاعَةَ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عِلْقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُؤْتِي وَيُمْسِكُ مِمَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾

قوله - عز وجل: ﴿إِنَّا زَلَزَلْنَا السَّاعَةَ﴾ قيل: هي زلزلة تقع في الدنيا، وهي من أشرط الساعة. وقيل: إن زلزلة الساعة تكون في وقت النفخ في الصور. ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا﴾ أي: لغير فطام وتضع كل ذات حمل حملها لغير تمام.

﴿مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾ أي: في دينه بالباطل. وقيل: يردُّ النصُّ بالقياس. قيل: نزلت هذه الآية في النصر بن الحارث<sup>(١)</sup>. ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ﴾ فاعلموا أنا قادرون على أعجب منه وهو صيرورة المني منتقلاً إلى علقة ثم مضغة، والمضغة: قدر ما يمضغ من اللحم. ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ أي: أطفالاً. وقوله: ﴿مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ﴾ المخلقة التي (١٣٠/ب) تكامل خلقها، وغير المخلقة ما دفعته الأرحام من غير تمام خلق. وقيل: مصورة وغير مصورة. وقيل: المخلقة التي تمت أشهر حملها، وغير المخلقة ما لم يكمل ذلك منها. ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ كيف بداية خلقه وانتقاله في الأطوار. ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى تمام خلقه.

قوله - تعالى: ﴿لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ تفسير الأشد مذكور في سورة يوسف<sup>(٢)</sup>. ﴿وَمِنْكُمْ مَّن يُؤْتِي﴾ أي: قبل أن يبلغ أزدل العمر. وقيل: قبل بلوغ الأشد ﴿أَرْدَلِ﴾

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٧/١١٥)، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٦/٨) لابن أبي حاتم.

(٢) سورة يوسف، الآية (٢٢).

الْعُمْرِ ﴿ قِيلَ: هُوَ الْهَرَمُ. وَقِيلَ: إِلَى مِثْلِ حَالِهِ حِينَ خَرُوجِهِ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ فِي الضَّعْفِ. وَقِيلَ: ذَهَابَ الْعَقْلُ ﴿ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ قِيلَ: لَا يَسْتَذَكُرُ وَيَنْسَى مَا كَانَ عَالِمًا بِهِ. وَقِيلَ: لَا يَعْقِلُ بَعْدَ عَقْلِهِ الْأَوَّلِ شَيْئًا. ﴿ هَامِدَةٌ ﴾ يَابَسَةٌ لَمْ تَنْبِتْ. وَقِيلَ: الدَّارِسَةُ، وَالْهَامِدُ: الدَّارِسُ. ﴿ أَهْتَزَّتْ ﴾ اسْتَبْشَرَتْ. وَقِيلَ: اهْتَزَّتْ نَبَاتُهَا. ﴿ وَرَبَّتْ ﴾ قِيلَ: مَعْنَاهُ: أضعف نباتها. وَقِيلَ: انْتَفَخَتْ لظُهُورِ نَبَاتِهَا فَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ يَكُونُ فِي الْكَلَامِ تَقْدِيمٌ وَتَأخِيرٌ، وَتَقْدِيرُهُ: فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ رَبَّتْ وَاهْتَزَّتْ، وَعَلَى الْأَوَّلِ لَا تَقْدِيمَ فِيهِ وَلَا تَأخِيرَ. وَالزَّوْجُ: الصَّنْفُ، أَي: أَنْبَتَ أَصْنَافًا مُخْتَلِفَةً. ﴿ بَهِيحٌ ﴾ يَعْنِي: حَسَنَ الصُّورَةِ.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِي عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ مُّبِينٌ وَتَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نَفْعَ لَهُ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا لَمَن ضُرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَكَيْسَ الْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾

قوله - تعالى: ﴿ ثَانِي عِطْفِهِ ﴾ أي: لا وعنه إعرافاً عن الله - تعالى - ورسوله ﷺ. وقيل: عادل جانبه كبراً عن الإجابة، والجانب يسمى عطفاً، يقال: فلان ينظر في أعطافه، أي: في جوانبه. ﴿ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أي: بتكذيبه للرسول وإعراضه عن القبول. وقيل: كانت له قينة وكان إذا رأى شخصاً قد مال إلى الإسلام أحضره طعامه وشرابه وغنته مغنيته، ويقول له: هذا خير لك مما يدعوك إليه محمد ﷺ<sup>(١)</sup>. ﴿ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾ أي: على شك. وقيل: على طمع. وقيل: على ضعف في العبادة كالقائم على حرف ﴿ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ﴾ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن قوماً من المنافقين آمنوا بالسنتهم ثم ارتدوا بعد إسلامهم . والثاني: ناس

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٥٠٤) ونسبه لجوير عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «أنزلت في النضر بن الحارث ...» فذكره.

ممن حول المدينة قالوا: نأتي محمداً، ونعتبر أحواله فإن ظهر لنا صدقه اتبعناه وإلا رجعنا إلى أماكننا (أ/١٣١) فالرجوع على العقب - على القول الأول - هو الردة، وعلى الثاني: رجوعهم إلى أهلهم. وقيل: إن ناساً كانوا يسلمون ويتنظرون ما يتجدد فإن ولدت امرأة الرجل غلاماً وولدت فرسه مهرة وتجت ماشيته - استمر على دين الإسلام، وقال: هذا دين مبارك. وإن ولدت امرأته أنثى وفرسه مهراً وقل نفع ماشيته من درها ونسلها رجع إلى مكانه الأول ولم يستقر على دين الإسلام<sup>(١)</sup>.

المولى والعشير: المراد بهما الصنم، والعشير: المعاشر، ومنه سمي الزوج عشيراً، قال النبي ﷺ في النساء: «إِنَّهُمْ يُكْثِرُونَ اللَّعْنَ وَيَكْفُرُونَ الْعَشِيرَ»<sup>(٢)</sup>.

﴿مَنْ كَانَتْ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ﴾<sup>(١٥)</sup> وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ<sup>(١٦)</sup> إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ وَالنَّصْرِيَّةَ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ<sup>(١٧)</sup> أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾ هَذَانِ خَصْمَانِ أَخَصِمُوا فِي رَيْبِهِمُ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ نِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾

قوله - عز وجل: ﴿أَنْ لَّن يَنْصُرَهُ﴾ الضمير في ﴿يَنْصُرُهُ﴾ المراد به الرسول ﷺ. وقيل: ﴿لَنْ يَنْصُرَهُ﴾ لن يرزقه، يقال: أرض منصورة إذا مُطِرَتْ<sup>(٣)</sup>. والضمير على (من ظن) وقيل: لن ينصر الله أرضه: أي: لن يمطرها، والنصر في غير هذا المكان في الدنيا هي الغلبة، وفي الآخرة بظهور الحجة ﴿مَنْ كَانَتْ يَظُنُّ﴾ الآية ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ بجبل ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾ ذات الكواكب ﴿ثُمَّ لِيَقْطَعْ﴾ الوحي عن أن ينزل على النبي ﷺ إن استطاع ذلك. وقيل: فليمدد بجبل إلى سماء بيته وهو سقفه فليعلق نفسه فيه ثم ليقطع الجبل، فإن ذلك لا يفيد فيما

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٤٤٦٥)، والطبري في تفسيره (١٧ / ١٢٢).

(٢) رواه البخاري رقم (٣٠٤)، ومسلم رقم (١٣٢ - ٧٩).

(٣) يقال: نصر الغيث الأرض نصراً غائها وسقاها وأنبها، ونصر الغيث البلد إذا أعانه على الخصب والنبات. قال ابن الأعرابي: النُّصْرَةُ المَطْرَةُ الثَّامَّةُ. قال أبو عبيد: نُصِرَتِ البلاد إذا مُطِرَتْ فهي مَنصُورَةٌ أي: مَمطُورَةٌ ونُصِرَ القوم إذا غِيثُوا. ينظر: لسان العرب (نصر).

طلب ، ولا يزيل غضبه فيما غضب لأجله . قوله - عز وجل : ﴿ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ ﴾ أي : فيدخله النار ﴿ فَمَالَهُ مِنْ مُكْرِمٍ ﴾ ينجيه ويدخله الجنة . وقيل : يكرم من يشاء يجعله في ديوان أهل السعادة ﴿ فَمَالَهُ مِنْ مُكْرِمٍ ﴾ ينقله إلى ديوان السعادة . ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ أي : من ثواب وعقاب .

وقيل : يهين من يشاء بالانتقام ويكرم من يشاء بالإنعام .

الخصمان هاهنا فريقان ، نزلت في المشركين والمسلمين حين اقتتلوا ببدر . وقيل : نزلت في الذين بارزوا يوم بدر ، وهم ثلاثة من المسلمين قاتلوا يوم بدر ، برز إليهم علي وحمزة وعبيدة بن الحارث ، وبارزهم عتبة وشيبة والوليد ابن عم رسول الله ﷺ ، فقتل علي وحمزة خصمهما ، واختلف ابن الحارث وغريمه ضربتين فقطع عبيدة يد خصمه وكرّ علي وحمزة على الخصم الباقي فقتلاه بعد أن انقطعت رجله فتفاخر أقرباؤهم ، فنزلت الآية<sup>(١)</sup> .

وهذا القول يدل على أن هذه الآية مدنية ، والمشهور أن السورة مكية . وقيل : نزلت في المسلمين وأهل الكتاب (١٣١/ب) قال أهل الكتاب : كتابنا ونبينا أسبق ، فقال المسلمون : نبينا خاتم الأنبياء وكتابنا يقضي على كتابكم فنزلت<sup>(٢)</sup> . وقيل : نزلت في الكفار غير أهل الكتاب لاختلافهم في البعث والجزاء<sup>(٣)</sup> .

وقيل : اختصمت الجنة والنار ، فقالت النار : خلقت لعقوبة من كفر بالله ورسوله ، وقالت الجنة : خلقت لثواب أهل البر وأولياء الله<sup>(٤)</sup> . ﴿ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ ﴾ أحاطت بهم كإحاطة الثوب بلبسه . ﴿ الْحَمِيمُ ﴾ الماء الحار ، قال الشاعر [من المتقارب] :

كَأَنَّ الْحَمِيمَ عَلَى مَثْنِهَا      إِذَا اغْتَرَفْتَهُ بِأَطْسَانِهَا  
جُمَانٌ يُجُولُ عَلَى فِضَّةٍ      جَلَّتْهُ حَدَائِدُ دُوَاسِهَا<sup>(٥)</sup>

والتعذيب بالماء الحار غير التعذيب بالنار ؛ لأن الماء الحار ينضج لحومهم والنار تحرقها .

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٧ / ١٣١) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٧ / ١٣٢) .

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٧ / ١٣٢) .

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٧ / ١٣٣) .

(٥) تقدم في سورة يونس ، الآية (٤) .

﴿ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴾ (٢٠) وَهُمْ مَقْتَمِعٌ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهَدُّوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهَدُّوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَاكِ يُلْطَمُ نُدْقُهُ مِنْ عَذَابِ الْعَذَابِ ﴿٢٥﴾

﴿ يُصْهَرُ ﴾ أي : يذاب . وقيل : ينضج . ﴿ الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ لا إله إلا الله .

وقيل : الإيمان . وقيل : القرآن . وقيل : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ﴿ وَهَدُّوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾ قيل : هو لا إله إلا الله . وقيل : هو الإسلام .

﴿ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ ﴾ فقوله : ﴿ وَالْمَسْجِدِ ﴾ يريد به المحيط بالكعبة ، وجعله للناس ، أي : قبله لهم ومنسكاً للحج . وقيل : جعلناه للناس سواءً في شرعية الطواف واستقبال القبلة . وقيل : الناس سواءً في دور مكة لا يجوز بيعها وهو مذهب أبي حنيفة . وقيل : الناس سواءً في تحريم صيد الحرم وعضد شجره <sup>(١)</sup> . والإلحاد : الميل عن الحق والباء في ﴿ بِالْحَكَاكِ ﴾ زائدة ؛ كزيادتها في قوله : ﴿ تَبَّتْ بِالذُّهْنِ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

قيل : ومن خواص الحرم : أنه يؤاخذ الإنسان بما يريد أن يفعله من المعاصي ، فيؤاخذ بإرادتها ، وظاهر الآية الأول ، قال الشاعر في زيادة الباء [ من الرجز ] :

نحنُ بنو جَعْدَةَ أَصْحَابُ الفَلَجِ      نُضْرِبُ بالسَّيْفِ وَنُرْجُو بِالْفَرَجِ <sup>(٣)</sup>

أي : نرجو الفرَج . الإلحاد بالظلم : الشرك بالله - تعالى - وقيل : هو استحلال الحرام فيه . وقيل : هو احتكار الطعام بمكة .

( ١ ) ينظر : المغني لابن قدامة ( ٣ / ٣٥١ ) ، مغني المحتاج للشربيني ( ٢ / ٣٥ ) .

( ٢ ) سورة المؤمنون ، الآية ( ٢٠ ) .

( ٣ ) البيت للناطقة الجعدي ، ينظر في : أدب الكاتب لابن قتيبة ( ص : ٥٢٢ ) ، الإنصاف في مسائل

الخلافة لابن الأنباري ( ١ / ٢٦١ ) ، خزانة الأدب للبغدادي ( ٩ / ٥٢٠ ) ، رصف المباني ( ص : ١٤٣ ) ،

شرح شواهد المغني ( ١ / ٣٣٢ ) ، مغني اللبيب لابن هشام ( ١ / ١٨٥ ) ، ملحق ديوان الناطقة الجعدي

( ص : ٢١٦ ) ، النكت والعيون للماوردي ( ٣ / ٧٤ ) والفلج : موضع لبني نجدة بن قيس بنجد .

وقيل: نزلت هذه الآية في أبي سفيان بن حرب ومن معه من المشركين ، صدوا رسول الله ﷺ عن عمرته عام الحديبية<sup>(١)</sup> .

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٦٦﴾﴾

قوله - عز وجل: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ أي: عرفناه مكانه ، بأن بعث الله سبحانه (أ/١٣٢) فوقفت حيال موضع الكعبة ، وقيل لإبراهيم: ابن علي ظلها .

وقيل: بعث الله ريحا فكنت موضع الكعبة خاصة<sup>(٢)</sup> . ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ﴾ أي: من الشرك. وقيل: من الفرث والدم ، وكانوا يقون ذلك في المسجد إذا ذبحوه قربانا للكعبة وقيل: من قول الزور. قوله - عز وجل: ﴿وَالْقَائِمِينَ﴾ أي: في الصلاة .

وقيل: المقيمون بمكة والركوع والسجود في الصلاة. وفي هذه الآية تلويح بأن الصلاة في البيت جائزة. وقيل: ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي﴾ يعني: قلبك. وقيل: وطهره بالقيام بحجج الله - تعالى - وإبطال الشبه عنها<sup>(٣)</sup> . ﴿وَأَذِّنْ﴾ أي: أعلم ، فروي أن إبراهيم صعد جبل أبي قيس وقال: يا أيها الناس إن الله قد بنى بيتاً فحجُّوه ، فلا يحجه إلى يوم القيامة إلا من أجاب دعوة إبراهيم<sup>(٤)</sup> . وقيل: أول من أجابه أهل اليمن فهم أكثر الناس حجاً<sup>(٥)</sup> .

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾

(١) روى هذه الأقوال ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧ / ١٤١ - ١٤٢) ، والسيوطي في الدر المنثور (٦ / ٢٧ - ٢٩) وقال ابن جرير الطبري: « وأولى الأقوال التي ذكرناها في تأويل ذلك بالصواب القول الذي ذكرناه عن ابن مسعود وابن عباس من أنه معني بالظلم في هذا الموضع كل معصية لله وذلك أن الله عم بقوله: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَاكِ يُلْطَمِ﴾ ولم يخصص به ظلم دون ظلم في خبر ولا عقل ، فهو على عمومه » .

(٢) روى هذه الأقوال ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧ / ١٤٣) والسيوطي في الدر المنثور (٦ / ٣٠ - ٣١) .

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٣ / ٧٥) .

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٧ / ١٤٥) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٣٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٥) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٣ / ٧٥) .

﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾

وقيل : الخطاب في قوله : ﴿ وَأَذِّنْ ﴾ لنبينا محمد ﷺ ، أمر أن يُعرف الناس بوجوب الحج عليهم<sup>(١)</sup> . ﴿ يَا تُؤَكِّدُ رَجَالًا ﴾ أي : مشاة ، والرجال : جمع راجل .

﴿ وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ ﴾ أي : ركبانا على كل جمل مهزول ، وهو المراد بالضامر ؛ لأنه لا يصل البعير إليه حتى يصير ضامراً . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ كُلِّ فَيْحٍ ﴾ أي : طريق ﴿ عَمِيقٍ ﴾ أي : بعيد . ﴿ مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ قيل : هو شهود المواقف وقضاء المناسك . وقيل : هي مغفرة الذنوب . وقيل : هي التجارة في الدنيا والأجر في الآخرة . قوله - عز وجل : ﴿ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ ﴾ قيل : إنها عشر ذي الحجة وآخرها يوم النحر ، وهو مذهب الشافعي .

وقيل : هي أيام التشريق الثلاثة . وقيل : هي يوم التروية ويوم عرفة ويوم النحر<sup>(٢)</sup> . ﴿ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ﴾ أي : على ما رزقهم من تحليل ذبائح الأزواج الثمانية من بهيمة الأنعام .

قوله - عز وجل : ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا ﴾ قيل : الأكل والإطعام واجبان . وبه قال أبو الطيب بن سلمة<sup>(٣)</sup> . وقيل : مستحبان . وبه قال الشافعي رحمه الله ، فإن أطعم جميعه جاز وإن أكل الكل لم يجزه ، وهذا كله في الدماء المستحبة ، أما ما كان فدية لشيء من محظورات الحج لا يحل أكل شيء منه ، بل يفرق جميعه على الفقراء<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) ذكره الماوردي في النكت والعيون ( ٧٥ / ٣ ) قال العيني في عمدة القاري ( ١٢٨ / ٩ ) : « والتوفيق بين القولين أن النبي ﷺ إنما أمره الله بذلك إحياء لسنة إبراهيم عليه الصلاة والسلام » .  
( ٢ ) ينظر : بدائع الصنائع للكاساني ( ٤٥٨ / ١ ) ، المغني لابن قدامة ( ٢٤٥ / ٢ ) ، مغني المحتاج للشربيني ( ٥٠٥ / ١ ) .

( ٣ ) هو الإمام أبو الطيب محمد بن الفضل بن سلمة بن عاصم البغدادي واشتهر بأبي الطيب بن سلمة نسب إلى جده . قال الخطيب البغدادي : كان من كبار الفقهاء ومتقدميهم . قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله : كان أبو الطيب هذا معروف النسب في الفضل والأدب وصنف كتباً عدة وتوفي في الحرم سنة ثمان وثلاثمائة . تنظر ترجمته في : تهذيب الأسماء للنووي ( ٥٢٦ / ٢ ) .

( ٤ ) ينظر : الأم للشافعي ( ٣٤٨ / ٢ ) ، بدائع الصنائع للكاساني ( ٢١٩ / ٤ ) ، المغني لابن قدامة ( ١٠٩ / ١١ ) .



﴿الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ قيل: الفقير: الزَّيْنُ<sup>(١)</sup>. وقيل: الفقير: الذي به ضر الجوع .

وقيل: الذي يستنكف (١٣٢/ب) من مجالسته.

﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطَّوَفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمَ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، عِنْدَ رَبِّهِ وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾

﴿تَفَثَهُمْ﴾ التفت: مناسك الحج.

وقيل: حلق الرأس . وقيل: رمي الجمار . وقيل: إزالة الأجرام من تقليم ظفر وأخذ شعر واستعمال طيب. ﴿وَلِيَطَّوَفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ طواف الركن ، ويسمى طواف الإفاضة ، ركن من أركان الحج ، فمن تركه بقي على إحرامه إلى أن يأتي به ، وأما طواف القدوم فسنة ، كتحية المسجد إذا دخله بركعتين ، وأما طواف الوداع ففيه قولان مشهوران للشافعي<sup>(٢)</sup> .

وسُمِّي البيت عتيقاً لأن الله - تعالى - أعتقه من استيلاء الجبابرة. وقيل: عتق من الغرق في الطوفان؛ لأن الله - تعالى - رفعه إلى سمائه قبل الطوفان. وقيل: لأنه قديم ، وهو أول بيت وضع للناس ، بناه آدم وأعاداه إبراهيم عليه السلام بعد الطوفان . قوله - تعالى - ﴿وَمَنْ يُعْظَمَ حُرْمَتِ اللَّهِ﴾ أي: ففعل ما أمر به وانتهى عما نهى عنه .

قوله - تعالى - ﴿إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ أي : تحريمه من المنخقة والموقوذة وما بعدها .

وقيل: من البحائر والسوائب<sup>(٣)</sup> . ﴿الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ هو عبادتها ، أي: اجتنبوا عبادة الأوثان. وقيل: معناه : اجتنبوا الأوثان ، فإنها من الرجس .

﴿قَوْلَ الزُّورِ﴾ قيل: هو الشرك . وقيل: هو شهادة الزور ، وفي الحديث : « عدلتُ

(١) الزمن : ذوالزمانة والزمانة : العاهة . ورجل زمن أي : مبتلى بين الزمانة ، والجمع : زمنون وزمنى ينظر : لسان العرب ( زمن ) .

(٢) ينظر: الأم للشافعي (٢ / ٢٧٣) ، بدائع الصنائع للكاساني (٢ / ٣٣٢) ، المبسوط للسرخسي (٣٤ / ٤) .

(٣) تقدم تعريف البحائر والسوائب في سورة الأنعام ، الآية (١٣٨) .

شهادة الزور الإِشْرَاقَ بِاللَّهِ» (١) وتلا هذه الآية . وقيل : هو الكذب . وقيل : هو أعياد المشركين . وقيل : هو النفاق ؛ لأن المنافق يقول بلسانه ما ليس في قلبه وهو كذب .

﴿ حُنْفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۗ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهَوَّى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ (٣١) ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمَ شَعْتِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنْفَعٌ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِنَّهُمْ كَانُوا إِتْقَانًا وَالْحَقُّ لِلَّهِ وَأَنْذَرْنَا أُمَّةً أَنْ تَكُونَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَالْبَدَنَتِ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعْتِيرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾

﴿ حُنْفَاءَ لِلَّهِ ﴾ أي : مسلمين لله . وقيل : مخلصين . وقيل : حجاجا .

﴿ غَيْرَ مُشْرِكِينَ ﴾ أي : غير مرأين بأعمالكم . وقيل : هو نهى عما كانت العرب تقول في التلبية ، يقولون : ليك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك .

قوله - عز وجل : ﴿ وَمَنْ يُعْظِمَ شَعْتِيرَ اللَّهِ ﴾ أي : فرائضه . وقيل : معالم دينه ، فقيل : هي مناسك الحج ، وهي البدن المشعرة ، وتعظيمها : استحسانها واستسمانها . وقيل : هي دين الله كله ، وتعظيمها : التزامها . ﴿ مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ أي : من إخلاصها .

قوله - تعالى : ﴿ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ إن أريد الهدى فالأجل النحر ، وإن أريد الحج فالمراد التحلل . ﴿ ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ (١/١٣٣) أي : محل ذبحها .

قوله - عز وجل : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا ﴾ والمنسك في كلام العرب : الموضع المعتاد ، ومناسك الحج مواضع معتادة يتردد إليها الحاج . ﴿ لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنه الهدي ، إذا قيل : المنسك الحج . والثاني : الأضاحي إذا قيل المنسك العيد .

(١) رواه أحمد (٤ / ١٧٨ ، ٢٣٣ ، ٣٢٢) ، والترمذي رقم (٢٢٩٩) وقال : غريب . وضعفه الألباني

في ضعيف الترمذي رقم (٣٩٩) .

قوله - عز وجل : ﴿ وَيَشْرِي الْمُخْبِتِينَ ﴾ قيل : المطمئنين . وقيل : المتواضعين .

وقيل : الخاشعين ، والفرق بين الخشوع والتواضع أن الخشوع في الأبدان ، والتواضع في الأخلاق . وقيل : المخلصين . وقيل : المجتهدين في العبادة . وقيل : هم الذين لا يظلمون ، وإن ظلموا لم ينتصروا . ﴿ وَالْبُدْنَ ﴾ المشهور أنها الإبل . وقيل : الإبل والبقر وقيل : هي الإبل والبقر والغنم وهو شاذ ، حكاه الماوردي<sup>(١)</sup> عن ابن شجرة<sup>(٢)</sup> .

وعن بعض المتصوفة أن البدن : تطهير بدنك من المعاصي ، والشعائر : استشعار تقوى الله - تعالى - وطاعته<sup>(٣)</sup> . ﴿ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ﴾ قيل : أجر . وقيل : منفعة ، إن احتاج إلى ظهرها ركب أو إلى لبنها شرب .

قوله : ﴿ صَوَافٍ ﴾ وهي قراءة الجمهور معناها : قائمة تُصَفُّ بين أيديها بالقيود .

وقيل : معقولة . ومن قرأ ( صوافي ) أراد الصِّفَاءَ من الشَّبه ، ومن قرأ ( صوافن )<sup>(٤)</sup> فهي القائمة على ثلاثة من الخيل الصَّافنات الجياد . قوله - تعالى : ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا ﴾ أمر استحباب عند الجمهور ، وقال ابن سلمة : هو للوجوب<sup>(٥)</sup> ﴿ الْقَانِعِ ﴾ السائل ﴿ وَالْمُعْتَرِّ ﴾ المتعرض

(١) ينظر : النكت والعيون للماوردي ( ٣ / ٨١ ) .

(٢) هو الشيخ الإمام العلامة الحافظ القاضي أبو بكر أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة البغدادي تلميذ ابن جرير الطبري ، ولد سنة ستين ومائتين ، كان من العلماء بالأحكام وعلوم القرآن والنحو والشعر والتواريخ وله في ذلك مصنفات ولي قضاء الكوفة . قال الدارقطني : كان متساهلا ربما حدث من حفظه بما ليس في كتابه وأهلكه العجب كان يختار لنفسه ولا يقلد أحدا . توفي ابن شجرة سنة خمسين وثلاثمائة وله تسعون سنة . تنظر ترجمته في : سير أعلام النبلاء للذهبي ( ١٥ / ٥٤٤ - ٥٤٥ ) .

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون للماوردي ( ٣ / ٨١ ) .

(٤) قرأ الحسن والأعرج ومجاهد وزيد بن أسلم وأبو موسى الأشعري « صوافي » ، وقرأ ابن مسعود وابن عمر وابن عباس وأبو جعفر ومحمد بن علي « صوافن » . والصوافي : الخوالص لله ، لا يشركون في التسمية على نحرها أحداً ، والصوافن : جمع صافنة وهي التي قد رفعت إحدى يديها بالعقل ؛ لئلا تضطرب . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ٣٦٩ ) ، تفسير القرطبي ( ١٢ / ٦١ ) ، الدر المصون للسمن الحلبي ( ٥ / ١٤٩ - ١٥٠ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٣ / ٤٥٤ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ١٥٨ ) ، المحتسب لابن جني ( ٢ / ٨١ ) ، معاني القرآن للفراء ( ٢ / ٢٢٦ ) .

(٥) ينظر : الأم للشافعي ( ٢ / ٣٦٣ ) ، بدائع الصنائع للكاساني ( ٢ / ٣٨٨ ) ، بداية المجتهد لابن رشد

( ١ / ٦٠٨ ) ، المبسوط للسرخسي ( ٤ / ٢١ ) ، المغني لابن قدامة ( ١١ / ١٠٩ ) .

الذي لا يسأل . وقيل : القانع الجالس في بيته لا يسأل ، والمُعْتَرِّ الذي يسأل .

﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤَهَا وَلَكِنَّ يَنَالُهُ النُّقُوعُ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُمْ وَيَشِيرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٢٨﴾ أُوذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدَمَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾

قوله - عز وجل : ﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا ﴾ أي : لن يصعد إليه لحومها ﴿ وَلَا دِمَآؤَهَا ﴾ وكانوا في الجاهلية إذا نحرروا الهدايا استقبلوا بدمائها الكعبة ولطخوا بدمائها الكعبة ، فأراد المسلمون أن يفعلوا مثل ذلك فنهوا عنه .

قوله - عز وجل : ﴿ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ ﴾ أي : ذللناها لكم ﴿ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ ﴾ أي : لتذكروا اسمه عند الذبح ﴿ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ ﴾ أي : أرشدكم إليه من حجكم ﴿ وَيَشِيرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ أي : بالقبول . وقيل : بالجنة . قوله - عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ أي : بنور السنة ظلمات البدعة . قوله - عز وجل : (١٣٣/ب) ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ﴾ يعني : المشركين بالمسلمين . وقيل : ولولا دفع الله - تعالى - عن الدين بالمجاهدين وقيل : ولولا دفع الله بشهادة الشهود عن الحدود . وقيل : ولولا دفع الله عن النفوس بالقصاص . وقيل : ولولا دفع الله المنكر بالمعروف . الصَوَامِعُ للرهبان . وقيل : مصلى الصابئة ، وسميت صومعة لانضمام طرفها والمنضم : المنضم ﴿ وَيَبِيعُ ﴾ قيل : هي متعبد النصارى . وقيل : كنائس اليهود ، والبيعة اسم أعجمي عُرِّبَ . والصلوات كنائس اليهود ، يسمونها صلوات . وقيل : وتركت صلوات المساجد للمسلمين ، ومعنى الدفع أنه لولا دفع الله الكفار بالمجاهدين لاستولى الكفار على بلاد المسلمين وهدموا مساجدهم . وقيل : هُدِّمَتِ صوامع في أيام شريعة موسى ، وبيع في أيام شريعة عيسى ، ومساجد في أيام شريعة محمد ﷺ ، ويكون المراد : هُدِّمَ في كل شريعة الموضع الذي يعبد الله - تعالى - فيه .

﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَنَّتْهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ

فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَكَايْهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾

البئر المعطلة: قيل: هي التي غار ماؤها. وقيل: هي الخالية من أهلها هلاكهم.

وقيل: لعدم الرشاء والسقاء<sup>(١)</sup>. المشيد: الحصين. وقيل: عالي البناء. وقيل: المشيد المخصص، وتقديره: وقصر مشيد معطل، وأصحاب القصور ملوك الحضرة، وأصحاب الآبار ملوك البدو، أي: وأهلكنا هؤلاء وهؤلاء ﴿قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ فيه دليل على أن محل العقل هو القلب<sup>(٢)</sup>. ﴿يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ أخبار الأمم المكذبين المهلكين. ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾ أي عن الهدى. ﴿وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ﴾ عن الاهتداء. وقيل: لا تعمي الأبصار عن الاعتبار، ولكن القلوب عن الانزجار. وقيل: نزلت في ابن أم مكتوم الأعمى، وهو عبد الله بن زائدة<sup>(٣)</sup>.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾ أي: يستبطنون نزوله بهم استهزاء منهم. ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ أي: لن يؤخر عذابه عن وقته. قوله - عز وجل: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾ أي: من الأيام التي خلق الله فيها السماوات والأرض. وقيل: إن طول يوم من أيام الآخرة كطول ألف سنة (١٣٤/أ) من أيام الدنيا. وقيل: إن التعذيب في يوم من أيام الآخرة كالف سنة من التعذيب في الدنيا، أي: في الشدة.

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ ﴿٥١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ

(١) الرشاء: الحبل الذي يستخرج به الماء من البئر، والسقاء: ظرف الماء من الجلد ويجمع على أسقية.

ينظر: النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٢ / ٣٨١).

(٢) وهو قول الجمهور، وقيل: محله الدماغ. وفي المسألة قول ثالث: أنه مشترك بينهما. قاله العيني في عمدة القاري (٢ / ١٤٤).

(٣) تقدمت ترجمته في تفسير سورة النساء، الآية (٩٥).

رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّيَ أَلْقَى الشَّيْطَانَ فِي أُمْنِيَّتِهِ، فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا﴾ أي : بتكذيب القرآن وعنادهم في الدين. قوله - عز وجل :  
﴿مُعْجِزِينَ﴾ أي : مثبتين لمن أراد اتباع النبي ﷺ ومن قرأ ﴿مُعْجِزِينَ﴾<sup>(١)</sup> أي : مشاقين .  
وقيل : مسارعين . وقيل : معاندين .

قوله - عز وجل : ﴿إِذَا تَمَنَّيَ أَلْقَى الشَّيْطَانَ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ أي : إذا حدث نفسه بشيء ألقى  
الشیطان في أمانيه . وقيل : ﴿إِذَا تَمَنَّيَ﴾ أي : قرأ ألقى الشيطان في قراءته ، قال الشاعر [ من  
الطويل ] :

تَمَنَّى كِتَابَ اللَّهِ أَوَّلَ لَيْلَةٍ      وَأَخْرَهَا لَأَقِي حِمَامَ الْمَقَادِرِ<sup>(٢)</sup>

وروي أن النبي ﷺ لما نزل عليه سورة ﴿وَالنَّجْمِ﴾ قرأها النبي ﷺ في المسجد ، فلما انتهى  
إلى قوله : ﴿وَمَنْوَةٌ ثَالِثَةٌ الْآخِرَى﴾<sup>(٣)</sup> ألقى الشيطان على لسانه « تلك الغرائق العلى ، وإن  
شفاعتهن لترتجى » حتى ختم وسجد ، وسجد معه المسلمون والمشركون ، ورفع الوليد بن  
المغيرة تراباً إلى وجهه فسجد عليه ، وكان شيخاً كبيراً لا يقدر على السجود ، ورضي بذلك  
كفار قريش ، فأنكر جبريل عليه السلام على النبي ﷺ ما قرأه من الزيادة ، وشق ذلك عليه ، فأنزل  
الله - تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّيَ أَلْقَى الشَّيْطَانَ فِي أُمْنِيَّتِهِ  
فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾<sup>(٤)</sup> أي : يرفعه ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ﴾ أي : يثبتها ، وما

(١) قرأ جمهور القراء « معاجزين » ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو « معجزين » .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ٣٧٩ ) ، حجة ابن خالويه ( ص : ٢٥٤ ) ، حجة أبي زرعة ( ص :  
٤٨٠ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ١٥٩ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٤٣٩ ) ، معاني القرآن  
للغراء ( ٢ / ٢٢٩ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٢٧ ) .

(٢) البيت لكعب بن مالك يرثي عثمان بن عفان - رضي الله عنهما - ينظر في : تاج العروس للزبيدي  
( مني ) ، تفسير القرطبي ( ٢ / ٨ ) ، الفائق للزمخشري ( ٣ / ٣٩٢ ) ، العين للخليل ( ٨ / ٣٩٠ ) ،  
فتح القدير للشوكاني ( ١ / ١٦٣ ) ، الكشاف للزمخشري ( ١ / ١٥٧ ) ، لسان العرب ( مني ) .

(٣) سورة النجم ، الآية ( ٢٠ ) .

(٤) رواه الطبري في تفسيره ( ١٧ / ١٨٧ ) ، والواحدي في أسباب النزول ( ٣١٩ رقم ٦٢٣ ) ، وذكره  
السيوطي في الدر المنثور ( ٤ / ٣٦٧ ) ، ونسبه لابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي العالية وغيره .

قرأه النبي ﷺ كان على وجه السهوه . وقيل : قرأه في نعاسه . وقيل : إن بعض المنافقين قرأه فتخيل الناس أنه من قراءة النبي ﷺ . وقيل : إنما قال : كالغرائيق العلى يعنى : الملائكة ، شَبَّهَهُنَّ بهن ، وإن شفاعتهن لترتجى ، أي : في اعتقادكم<sup>(١)</sup> .

قوله - عز وجل : ﴿ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيِّ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن المعنى في اللفظين سواء ، وإنما جمع بينهما ؛ لأن الأنبياء من البشر خاصة والرسول يكونون من الملائكة ومن الناس . وقيل : معناهما مختلف وأن الرسول أعلى منزلة

= وكل طرقة مرسله ومنقطعة . وهو حديث ضعيف ومنكر وباطل . ينظر نقده والكلام عليه في : كتاب الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لمحمد محمد أبي شهبة ( ص ٣١٤-٣٢٢ ) ، نصب المجانيق لنسف قصة الغرائيق للشيخ الألباني - ط . المكتب الإسلامي - بيروت - ١٩٩٦م .

( ١ ) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ( ٨ / ٤٣٩ - ٤٤٠ ) : « وكلها سوى طريق سعيد بن جبير إما ضعيف وإلا منقطع لكن كثرة الطرق تدل على أن للقصة أصلا مع أن لها طريقين آخرين مرسلين رجالهما على شرط الصحيحين » . ثم نقل الحافظ ابن حجر عن ابن العربي تضعيفه ورده للقصة وقال معقبا : « وجميع ذلك لا يتمشى على القواعد فإن الطرق إذا كثرت وتباينت فخرجها دل ذلك على أن لها أصلا وقد ذكرت أن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح وهي مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض وإذا تقرر ذلك تعين تأويل ما وقع فيها مما يستنكر وهو قوله : ألقى الشيطان على لسانه تلك الغرائيق العلى وأن شفاعتهن لترتجى ؛ فإن ذلك لا يجوز حمله على ظاهره لأنه يستحيل عليه ﷺ أن يزيد في القرآن عمدا ما ليس منه وكذا سهوا إذا كان مغايرا لما جاء به من التوحيد لمكان عصمته ، وقد سلك العلماء في ذلك مسالك فليل : جرى ذلك على لسانه حين أصابته سنة وهو لا يشعر فلما علم بذلك أحكم الله آياته وهذا أخرجه الطبري عن قتادة ، ورده عياض بأنه لا يصح لكونه لا يجوز على النبي ﷺ ذلك ولا ولاية للشيطان عليه في النوم . وقيل : إن الشيطان أجهل إلى أن قال ذلك بغير اختياره ورده ابن العربي بقوله - تعالى - حكاية عن الشيطان ﴿ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ الآية قال فلو كان للشيطان قوة على ذلك لما بقي لأحد قوة في طاعة . وقيل : كان النبي ﷺ يرتل القرآن فارتصده الشيطان في سكتة من السكتات ونطق بتلك الكلمات محاكيا نعمته بحيث سمعه من دنا إليه فظنها من قوله وأشاعها ، قال : وهذا أحسن الوجوه ويؤيده ما تقدم في صدر الكلام عن ابن عباس من تفسير تمنى بـ « تلا » وكذا استحسّن ابن العربي هذا التأويل وقال قبله : إن هذه الآية نص في مذهبنا في براءة النبي ﷺ مما نسب إليه قال : ومعنى قوله في أمنيته أي في تلاوته فأخبر - تعالى - في هذه الآية أن سنته في رسله إذا قالوا قولاً زاد الشيطان فيه من قبل نفسه فهذا نص في أن الشيطان زاده في قول النبي ﷺ لا أن النبي ﷺ قاله . قال : وقد سبق إلى ذلك الطبري لجلالة قدره وسعة علمه وشدة ساعده في النظر فصوب على هذا المعنى وحوم عليه . »

من النبي فالرسول من أتاه الوحي (١٣٤/ب) على لسان ملك، ولا يشترط في الملك ذلك، والنبي هو الذي يوحى إليه في منامه . وقيل: إن الرسول هو المبعوث إلى أمة. وقيل: الرسول هو المبتدئ بوضع الشرائع والأحكام. والنبي هو الذي يحفظ شريعة غيره.

﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ٥٣ ﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٥٤ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ٥٥ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ٥٦ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ٥٧ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ٥٨ لِيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ٥٩ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ٦٠ ذَلِكَ يَأْتِي اللَّهُ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ٦١ ذَلِكَ يَأْتِي اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ٦٢ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ٦٣ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ٦٤ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ٦٥ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ٦٦ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعْنَكَ فِي الْأَمْرِ وَأَدْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٍ ٦٧ وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ٦٨ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ٦٩ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ٧٠ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ٧١ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتَلَوْنَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ ذَلِكُمْ النَّارُ وَعَدَّهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَسَّ الْمَصِيرُ ٧٢ ﴾

﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ فِتْنَةً ﴾ قيل: محنة . وقيل: اختباراً ﴿ لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾



وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ﴿٦٤﴾ والذين في قلوبهم مرض: المنافقون، و﴿وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ الكفار. ﴿فِي مَرِيَّةٍ مِّنْهُ﴾ أي: في شك. ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ﴾ قيل: هي القيامة.

وقيل: ساعة موتهم. ﴿يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ أي: يوم القيامة. وقيل: وقعة بدر، والعقيم قيل: هو الشديد. وقيل: الذي لا مثل له ولا عديل لقتال الملائكة فيه. قوله عز وجل: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾ قيل: نزلت في قوم من المشركين لقوا جماعة من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم، فحملوا عليهم فناشدهم المسلمون الله ألا يقاتلونهم في الشهر الحرام فأبوا، فأظهر الله - تعالى - المؤمنين عليهم<sup>(١)</sup>. وقيل: مثل المشركون بمن قُتِلَ في وقعة أحد من المسلمين ففعل بهم رسول الله ﷺ مثل ذلك<sup>(٢)</sup>.

قوله - عز وجل: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ الحق هو الله - تعالى - وقيل: معناه أن الله ذو الحق. وقيل: معناه أن عبادته حق. ﴿وَأَنَّ مَا يُدْعَوْنَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ قيل: هو إبليس. وقيل: الأوثان. ﴿مَنْسَكًا﴾ أي: عيدا. وقيل: مواضع الحج والعمرة. وقيل: المذبح. وقيل: المنسك: المتعبد في سائر أنواعه وأماكنه.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مِثْلٍ فَأَسْتَمِعُوا لَهُ﴾ إِيَّاكَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ. وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٢﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِمَّنِ النَّاسِ إِيَّاكَ اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

قوله - عز وجل: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مِثْلٍ﴾ المراد به ما يأتي من سلب الذباب ما على الأصنام من الطيب. وقيل: ليس هاهنا مثل مضروب، ومعنى الكلام: أنهم ضربوا الله

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٧ / ١٩٥)، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٧١) لابن أبي حاتم.

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٣ / ٨٨).

مثلاً في عبادة غيره ، قاله الأخفش<sup>(١)</sup> وهو بعيد ؛ لقوله : ﴿ فَاسْتَمِعُوا لَهُ يَا الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ قيل : هم الأصنام . وقيل : هم كبرائهم ، وهم الذين أطاعتهم السفلة في التكذيب . وقيل : الشياطين الموسوسون بالضلال . وإنما خص الذباب بالذكر لحقارته واستقذاره ، وأنه إذا ذُبَّ آبَ ( ١ / ١٣٥ ) فإذا كان بهذه المثابة في الحقارة ولم يقدر كبرائهم على استنقاذ ما أخذه الذباب منهم ، فكيف تعبدون غير الله !؟ ﴿ ضَعُفَكَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ قيل : الطالب : الآلهة ، والمطلوب : ما استنقذه الذباب . وقيل : الطالب : هو الذي استنقذ منه الذباب والمطلوب : هو المسلوب . قوله - عز وجل : ﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ أي : ما عظموه حق عظمتهم . وقيل : ما عرفوه حق معرفته .

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي : من أمر الآخرة ﴿ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ أي : من أمر الدنيا .

وقيل : ﴿ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ من أمور السماء ﴿ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ من أمور الأرض . ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ أي : اعملوا لله - تعالى - حق عمله . وقيل : أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر .

وقوله : ﴿ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ كقوله - تعالى : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾<sup>(٢)</sup> .

قيل : نسخت بقوله - تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾<sup>(٣)</sup> وقيل : هي محكمة ، والمراد فيما استطاعوا . ﴿ اجْتَبَيْكُمْ ﴾ اختاركم لدينه ﴿ مِنْ حَرْجٍ ﴾ أي : من ضيق . جاء في الحديث : « بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ »<sup>(٤)</sup> فوسع أمر المعاصي بالتوبة ، وأمر الأيمان بالكفارة . وقيل : هو

(١) ينظر : معاني القرآن للأخفش ( ٢ / ٦٣٧ ) وعبارته : « فإن قيل : فأين المثل ؟ قلت : ليس هاهنا مثل ؛ لأنه - تبارك وتعالى - قال : ضرب لي مثل فجعل مثلاً عندهم لي فاستمعوا لهذا المثل الذي جعلوه مثلي في قولهم ، واتخاذهم الآلهة ، وإنهم لن يقدروا على خلق ذبابة ولو اجتمعوا له ، وهم أضعف لو سلبهم الذباب شيئاً فاجتمعوا جميعاً ليستنقذوه منه لم يقدروا على ذلك ، فكيف تضرب هذه الآلهة مثلاً لربها وهو رب كل شيء ، الواحد الذي ليس كمثله شيء وهو مع كل شيء ، وأقرب من كل شيء ، وليس له شبيه ولا مثل ولا كفاء وهو العلي العظيم الواحد الرب الذي لم يزل ولا يزال » .

(٢) سورة آل عمران ، الآية ( ١٠٢ ) .

(٣) سورة التغابن ، الآية ( ١٦ ) .

(٤) رواه أحمد في المسند ( ٥ / ٢٦٦ ) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ( ٥ / ٢٧٩ ) من حديث أبي أمامة ولفظه : « إني لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية ولكني بعثت بالحنيفية السمحة والذي نفسي بيده =

قصر الصلاة والفطر في الصوم في السفر، والصحيح العموم في جميع ذلك . قوله - تعالى - : ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي : وسَّعَ عليكم في الدين كما وسَّعَ على أبيكم إبراهيم في الدين . وقيل : ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ﴾ كفعل أبيكم إبراهيم . وقيل : إن دين إبراهيم لازم لأمة محمد ﷺ وداخله في دينه قوله - تعالى - : ﴿هُوَ سَمَنُكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي : من قبل نزول القرآن . ﴿وَفِي هَذَا﴾ أي : وفي هذا القرآن يشير به إلى قوله : ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ (١) .

قوله - عز وجل : ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ أي : في إبلاغ الرسالة ﴿وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ بأنكم بلغتكم إليهم ما بلغتكم الرسل . وقيل : ليكون الرسول شهيداً عليكم بأعمالكم ، وتكونوا شهداء على الناس بأن الرسل قد بلغوا إليهم ما بلغتهم من الرسالة .

قوله - عز وجل : ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ﴾ أي : امتنعوا بالله . وقيل : تمسكوا بدين الله - تعالى . ﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾ (١٣٥/ب) أي : مالكم . وقيل : متولي أموركم .

قوله - عز وجل : ﴿فَنِعْمَ الْمَوْلَى﴾ حين لم يمنعكم الرزق بالمعاصي . ﴿وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ حين أعانكم لما أطمعتموه ، والله أعلم بالصواب .

\* \* \*

= لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ولمقام أحدكم في الصف خير من صلاته ستين سنة . وقال : رواه أحمد والطبراني ، وفيه علي بن يزيد الألهاني وهو ضعيف . لكن صححه الألباني في السلسلة الصحيحة ( ٢٩٢٤ ) .

وله طريق آخر عن جابر ضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته رقم ( ٢٣٣٦ ) .

(١) سورة البقرة ، الآية (١٢٨) .

## سورة المؤمنون [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتَانَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾

قوله - عز وجل: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ الفلاح البقاء ، قال لبيد [من السريع] :

لَوْ كَانَ حَيٌّ مُدْرِكُ الْفَلَاحِ      أَدْرَكَهُ مُلَاعِبُ الرِّمَاحِ<sup>(١)</sup>

قيل: أراد بقاءهم في الجنة. وقيل: بقيت لهم أعمالهم فلم تبطل. وقيل: الفلاح الفوز بالجنة. وروى عمر رضي الله عنه قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي يُسْمَعُ عند وجهه دويٌّ كدوي النحل، فأنزل عليه مرة، فلما سُرِّيَ عنه استقبل القبلة ورفع يديه، وقال: اللهم زدنا ولا تُنقصنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وأكرمنا ولا تُهتأ، وآثرنا ولا تُؤثر علينا، وأرضنا وارضنا علينا، ثم قال: لقد أنزل عليَّ عشر آياتٍ مَنْ أقامهنَّ دخل الجنة، ثم قرأ ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ إلى قوله: ﴿ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿ خَاشِعُونَ ﴾ قيل: خائفون. وقيل: خاضعون. وقيل: غضُّ البصر وخفض الجناح. وقيل: أن يجعل نظره إلى موضع سجوده، ولا يجاوزه. وفي محل الخشوع قولان: أحدهما: القلب. والثاني: القلب والبصر معاً.

﴿ اللَّغْوِ ﴾ الباطل. وقيل: الكذب. وقيل: الشتم، وكان كفار مكة يشتمون المؤمنين فأمر المؤمنين بالإعراض عن شتمهم<sup>(٣)</sup>. قوله - عز وجل: ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴾ روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « ما مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ لَهُ مَنْزِلَانِ: مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ، فَإِنْ مَاتَ وَدَخَلَ

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة، الآية (٥).

(٢) رواه أحمد في المسند (٣٤/١)، والترمذي رقم (٣١٧٣)، والحاكم في المستدرک (٣٩٢/٢) وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي رقم (٦٢٠).

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٩٣/٣) عن النقاش.

النار ورث أهل الجنة منزله ، وإن مات ودخل الجنة ورث منزله ، فذلك قوله - عز وجل: ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴾ ثُمَّ بَيَّنَّ مَا يَرِثُونَ فَقَالَ: ﴿ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ ﴾<sup>(١)</sup> الْفِرْدَوْسُ: اسم من أسماء الجنة. وقيل: هو أعلى الجنان. وقيل: جبل في الجنة تتفجر أنهار الجنة من تحته. وقيل: هو البستان، وهو روميٌّ عُرِّبَ. وقيل: هو الكَرَم وهو عربيٌّ<sup>(٢)</sup>.

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾<sup>(١٢)</sup> ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾ قيل: أراد آدم خلقه من تراب . ( ١٣٦ / أ ) وقيل: المراد كل إنسان؛ لأنه يرجع في نسبه إلى آدم وهو من التراب. وقيل: لأن كل إنسان استل من نطفة أبيه. والسلالة من كل شيء: صفوته التي تستل منه.

وقال الزجاج<sup>(٣)</sup> السلالة: القليل مما ينسل، وحكى الكلبي أن السلالة: الطين الذي إذا اعتصرته بين أصابعك خرج منه شيء . وقيل: السلالة: التراب<sup>(٤)</sup>. قال أمية بن أبي الصلت [ من الكامل ]:

خَلَقَ الْبَرِيَّةَ مِنْ سُلَالَةٍ مُنْتِنٍ      وَإِلَى السُّلَالَةِ كُلِّهَا سَتَعُودُ<sup>(٥)</sup>

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً ﴾ النطفة هي بعض ماء الذكر المصبوب في الرحم، وقد ينطلق اسم النطفة على كل ماء . والقرار: الرحم، والمكين أي: قد هيئ لاستقراره فيه.

(١) رواه ابن ماجه رقم (٤٣٤١) وقال البوصيري في مصباح الزجاجه (٣/٣٢٧): إسناده صحيح، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/٩) وعزاه لسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان وابن مردويه في تفسيره عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) روى هذه الأقوال الطبري في تفسيره (١٨ / ٦) والماوردي في النكت والعيون (٣ / ٩٣).

(٣) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٤/٨).

(٤) ذكر هذه الأقوال الماوردي في النكت والعيون (٣ / ٩٤) عن الكلبي ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٩٠) ونسبه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٥) ينظر البيت في: النكت والعيون للماوردي (٣/٩٤).

العَلَقَةُ: الدمُّ الطريُّ الذي خلق من النطفة ، سمي علقَةً ؛ لأنه أول أحوال العلوق ، وإنما عرفنا الله - تعالى - كيفية انتقال الولد في الأطوار ؛ ليعلمك عظيم النعمة في إيجادك ونقلك من حال إلى أكمل منها . ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴾ أي : بنفخ الروح فيه . وقيل : بنبات الشعر . وقيل : بأنه ذكر أو أنثى . وقيل : بتكامل أسنانه . وقيل : بالعقل والتمييز . وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس ؓ : أنه لما نزلت هذه الآية إلى قوله - تعالى - ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴾ قال عمر ؓ : فتبارك الله أحسن الخالقين فنزل قوله - تعالى - ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ (١) .

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيْتُونَ ﴾ (١٥) ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ (١٦) ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴾ (١٧) ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴾ (١٨) ﴿ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاحٍ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ (١٩) ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٍ لِلَّذِينَ لَا يَكِلِينَ ﴾ (٢٠) ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُسْقِيَهُمْ مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ (٢١) ﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾ (٢٢) ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (٢٣) ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ ﴾ (٢٤) ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فترَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ (٢٥) ﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبُونَ ﴾ (٢٦) ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ووَحِينَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴾ (٢٧) ﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢٨) ﴿

﴿ سَبْعَ طَرَائِقَ ﴾ أي : سبع سماوات ﴿ طَرَائِقَ ﴾ قيل : مطابق بعضها فوق بعض .

وقيل : لأن مدارات الأفلاك متعددة ، ولكل واحد طريقة في سيره . ﴿ غَافِلِينَ ﴾ أي : من سقوط السماء عليهم . قوله - عز وجل : ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ ﴾ هي شجرة الزيتون ، خصَّها بالذكر لعموم منافعها في الاستصباح والأدهان والائتداف بها .

(١) ذكره بهذا السياق الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار التي في الكشاف (٢ / ٤٠١) ونسبه لابن مردويه في تفسيره عن ابن جبير وابن عباس ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٩٤) ونسبه للطبراني وابن مردويه عن ابن عباس ، وذكره في (٦ / ٩٢) ونسبه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر عن صالح أبي الخليل ، مرفوعا وفي آخره قال ؓ : «والذي نفسي بيده إنها ختمت بالذي تكلمت يا عمر» .

﴿ سَيْنَاءَ ﴾ هي البركة، فكأنه قال: شجرة مباركة. وقيل: هي الحسنة المنظر.

وقيل: الكثيرة الشجر. وقيل: اسم الجبل الذي كلم الله - تعالى - عليه موسى .

وقيل: المرتفع<sup>(١)</sup> مأخوذ من قولهم: هذا سيني، أي: مرتفع القدر؟ وسيناء أعجميٌّ مُعَرَّبٌ، أو عربيٌّ؟ فيه وجهان. قوله: ﴿ وَصَبَّغُوا لِبَاسَهُمْ ﴾ أي: يأتدون به قوله - عز وجل: ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا ﴾ (١٣٦/ب) قيل: ما سمعنا بمثل دعوته. وقيل: ما سمعنا بمثله بشيرا أتى برسالة ربه، وفي قوله ﴿ الْأُولَى ﴾ وجهان: أحدهما: أنه أول أب<sup>(٢)</sup>؛ لأنه أول أب ولدك. والثاني: أنه الأدنى؛ لأنه أقرب فصار هو الأول.

قوله - عز وجل: ﴿ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ إلى أن يستبين جنونه. ﴿ التَّنُورُ ﴾ تنور الخبز. وقيل: طلوع الفجر. وقيل: هو مثل ضربه الله - تعالى، ولا فوران ثم ولا تنور، وكذلك قول النبي ﷺ: «الآن حين حمي الوطيس»<sup>(٣)</sup> والوطيس التنور وكقولهم: قامت الحرب على ساق، ولا ساق ثم.

﴿ وَقُلْ رَبِّ أُنزِلْنِي مُنْزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾ (٢٩) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيقَاتِهِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِن أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَعْبَدْتُمُ اللَّهَ وَإِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَتَّاتِ هَتَّاتِ لِمَا تُوْعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبَعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا نُوحًا تَرَاكُلًا مَّا جَاءَ أُمَّةً رَسُولًا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِّلْقَوْمِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾

(١) روى هذه الأقوال الطبري في تفسيره (١٨ / ١٣).

(٢) في النكت والعيون للماوردي (٣ / ٩٦) أنه الأب الأبعد؛ لأنه أول أب ولدك.

(٣) رواه مسلم في صحيحه رقم (١٧٧٥) في حديث غزوة حنين.

فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾

﴿مُنزلاً﴾ بضم الميم بمعنى المصدر، أي: نزولاً، ومن فتح الميم<sup>(١)</sup> أراد موضع النزول.

قوله - عز وجل: ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ قيل: إن نوحاً عليه السلام قال ذلك حين ركب في السفينة فدعا بالبركة والسلامة. وقيل: قاله عند نزوله من السفينة ودعا بحصول الماء والشجر والبركة فيه.

﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ يموت قوم ويحيا قوم . وقيل : يموت قوم ويولد قوم . وقيل : فيه تقديم وتأخير، ومعناه : ونحيا ونموت ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ ﴿عُثَاءً﴾ هلكى ، والغشاء : البالي من الشجر . وقيل : ورق الشجر إذا ابتلَّ وجفَّ . وقيل : هو ما احتمله الماء من الزبد والوسخ . قوله - عز وجل : ﴿فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ وضع المظهر وهو ﴿الظَّالِمِينَ﴾ موضع المضمر، وتقديره : فبعدا لهم من الرحمة . وقيل : المراد بالبعد : الزيادة في العذاب والهلاك . قوله - عز وجل : ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ﴾ قيل : هم قوم صالح أرسل إليهم صالحاً . وقيل : قوم هود أرسل إليهم هودا .

﴿تَتَرَا﴾ أي : يتبع بعضهم بعضاً . وقيل : منقطعين بين كل اثنين زمن طويل وتترى مشتق من الوتر، وهو الفرد . وقيل : من وتر القوس لاتصاله بمكانه . وقيل : هو من التواتر . قوله - عز وجل : ﴿عَالِينَ﴾ أي : متكبرين . وقيل : قاهرين . وقيل : ظالمين .

﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِدُونَ﴾ مطيعون . وقيل : خاضعون . وقال الحسن : كان بنو إسرائيل يعبدون فرعون ، وفرعون يعبد الأصنام<sup>(٢)</sup> .

الربوة: ما ارتفع من الأرض، ولا تسمى ربوة إلا إذا اخضرت بالنبات، وإن لم تنبت قيل

(١) قرأ عاصم في رواية أبي بكر عنه «مُنزلاً»، وقرأ الباقون «مُنزلاً». تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان

(٤٠٢/٦)، الدر المصون للسمين الحلبي (١٨٠/٥)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٤٤٥)، الكشاف

للزمخشري (٣/١٨٥)، النكت والعيون للماوردي (٣/٩٧).

(٢) ذكره بهذا السياق الماوردي في النكت والعيون (٣/٩٨)، ورواه الطبري في تفسيره (٩/٢٥) بنحوه.



لها نشز. (١٣٧/أ) وقيل: الربوة الرملة. وقيل: دمشق. وقيل: بيت المقدس. وقيل: مصر<sup>(١)</sup>.  
 ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ أي: ذات ثمار. وقيل: ذات معيشة تستقرون بها فيها وقيل: ذات منازل.  
 المعين: الجاري. وقيل: الظاهر المرئي بالعين وهو مشتق من الإمعان، إذا قيل إنه عبارة  
 عن الجري. وقيل: مشتق من الماعون.

﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ٥١﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ  
 أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ٥٢ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ٥٣  
 فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ٥٤ أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنٍ ٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ  
 لَا يَشْعُرُونَ ٥٦ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشِيَةِ رَبِّهِمْ تُشْفِقُونَ ٥٧ وَالَّذِينَ هُمْ بِثَابِتٍ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ٥٨  
 وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ٥٩ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ٦٠  
 أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ٦١ وَلَا تَكْلَفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ  
 وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ٦٢ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمَرَةٍ مِنْ هَذَا وَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ٦٣ حَتَّىٰ إِذَا  
 أَخَذْنَا مَتْرَفِهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ ٦٤ لَا تَجْتَرُوا الْيَوْمَ إِنكُمْ مِنَّا لَا تُنصِرُونَ ٦٥ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي  
 تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ آعْقَابِكُمْ تُنكِرُونَ ٦٦﴾

﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ﴾ أي: فرقوا دينهم وكانوا شيعا ﴿زُبُرًا﴾ أي: قطعاً. وقيل: كتباً أي:  
 أخذ كل قوم كتاباً آمن به وكفر بما سواه. ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ أي: بما اختاروه من الكتب. وقيل:  
 بأموالهم وأولادهم. ﴿فِي غَمَرَتِهِمْ﴾ أي: في ضلالتهم ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي: إلى الموت. وقيل: إلى  
 وقعة بدر.

﴿أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنٍ﴾ رجاء مسارعة لهم في الخيرات؟ ليس الأمر كذلك،  
 ولا يعلمون أنه استدراج. قوله - عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ﴾ أي: الزكاة.

وقيل: أعمال البر. ﴿وَجِلَةٌ﴾ خائفة. قوله - عز وجل: ﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ أي:  
 يخافون عقوبة ربهم. وقيل: يخافون ألا يتقبل عملهم، روته عائشة - رضي الله عنها -  
 مرفوعاً<sup>(٢)</sup>. ﴿يُسْرِعُونَ﴾ يسابقون. وقيل: يستكثرون من عمل البر. ﴿وَهُمْ لَهَا﴾ أي: إلى الجنة

(١) روى ذلك الطبري في تفسيره (١٨ / ٢٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٦ / ١٠١ - ١٠٢).

(٢) رواه الترمذي في سننه رقم (٣٠٩٩)، وابن ماجه رقم (٤٣٢٧) عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت =:

﴿سَيَقُولُونَ﴾ وقيل: إلى فعل البر سابقون. ﴿فِي غَمْرَقٍ﴾ أي: غطاء.

وقيل: في غفلة ﴿مَنْ هَذَا﴾ أي: من هذا القرآن. وقيل: من هذا الحق. ﴿وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ أي: من دون الحق. ﴿مُتَرَفِّهِمْ﴾ (المترفون) الموسع عليهم بالخصب.

وقيل: بالمال والولد. ﴿يَجْحَرُونَ﴾ يرفعون أصواتهم بالاستصراخ. وعن قتادة: نزلت هذه الآية في قتلى بدر<sup>(١)</sup> ﴿عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ نَكِصُونَ﴾ راجعين عما كنتم عليه من الكفر.

﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سِمِرًا تَهَجَّرُونَ﴾ ٧٧ ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأُولِينَ﴾ ٧٨  
 أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ ٧٩ ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ  
 كَارِهُونَ﴾ ٨٠ ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ  
 بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُّعْرِضُونَ﴾ ٨١ ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَجَ رَيْكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ  
 ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ٧٣ ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَيِّبُونَ  
 ﴿٧٤﴾ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَّجُوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ٧٥ ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ  
 بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْضَعُونَ﴾ ٧٦ ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ  
 مُبْلِسُونَ﴾ ٧٧ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ ٧٨ ﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ  
 فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ٧٩ ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ  
 ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾ ٨١ ﴿قَالُوا أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذْنَا لَمَبْعُوثُونَ  
 ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وَعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ٨٣ ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ  
 فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ٨٤ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ٨٥ ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ  
 السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ٨٦ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا لِنُقُوتٍ﴾ ٨٧ ﴿قُلْ مَنْ مِنْ يَدِيهِ مَلَكُوتُ  
 كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحْيِي وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ٨٨ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى  
 تُسْحَرُونَ﴾ ٨٩ ﴿بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ٩٠ ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ

= سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءًا تَرَاءَوْ قُلُوبَهُمْ حِطَّةً﴾ قالت عائشة: هم الذين يشربون  
 الخمر ويسرقون؟ قال: لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون  
 ألا يقبل منهم أولئك الذين يسارعون في الخيرات». وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترمذي  
 (٢٥٧٣).

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦ / ١٠٧) ونسبه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

إِلَهُ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَلِيمِ  
الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيئُنِي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا  
تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَدِيرُونَ ﴿٩٥﴾

﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ﴾ أي: بالحرم<sup>(١)</sup>. السمر: الحديث ليلاً، والسمر: ضوء القمر.

قوله: ﴿تَهْجُرُونَ﴾ أي: تهجرون الحق بالإعراض عنه. وقيل: تهجرون بالقول القبيح من الكلام<sup>(٢)</sup>، وفي المعنى قولان: أحدهما: إنكار تسامرهم بالإزراء على الحق في ظهوره لهم. والثاني: إنكار أمنهم حتى تسامروا في ليلهم والخوف أحق بهم.

﴿بِالْحَقِّ﴾ الحق هو الله - تعالى، قاله الأكثرون. وقيل: (١٣٧/ب) إنه التنزيل، أي: لو نزل القرآن بما يريدون لفسدت السماوات والأرض. قوله - عز وجل: ﴿لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ لأنها مخلوقة بالحق، فالباطل أفسد لها.

قوله - عز وجل: ﴿بَلْ أَتَيْنَهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ أي: بشرفهم؛ لأن القرآن نزل بلغتهم والرسول ﷺ منهم. وقيل: بتذكيرهم وموعظتهم. ﴿لَنَكْبِتُنَّهُمْ﴾ أي: لمعرضون قوله - عز وجل: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ نصرته المؤمنين على الكفار بيد. ﴿ذَرَأًا كَثْرًا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: خلقكم. وقيل: خلقكم ونشركم.

قوله - عز وجل: ﴿وَلَهُ أُخْتَلَفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي: الطول والقصر. قوله - عز وجل: ﴿قُلْ مَنْ يَدِينُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: خزائنه، والملكوت مبالغة في الملك.

﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ أي: يمنع ولا يُمنع منه في الدنيا ولا في الآخرة.

قوله - عز وجل: ﴿فَأَنِّي تُسْحَرُونَ﴾ أي: فمن أي وجه تُصرفون عن التصديق بالبعث.

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٨ / ٣٨) عن ابن عباس قال: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ﴾ مستكبرين بحرم البيت أنه لا يظهر علينا فيه أحد.

(٢) وهذا على قراءة «تُهْجِرُونَ» وقرأ بها نافع وابن محيصن وابن عباس، وتنظر القراءة في: الإتحاف للبنا (٢ / ٢٨٦)، البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٤١٣)، الجامع للقرطبي (١٢ / ١٣٧)، الدر المصون للسمن الحلبي (٥ / ١٩٦)، الكشاف للزمخشري (٣ / ٣٦)، المحتسب لابن جني (٩٦ / ٢)، معاني القرآن للفراء (٢ / ٢٣٩)، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٢٨).

وقيل: فكيف تكذبون فيخيل إليكم الكذب حقاً.

﴿ادْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ (٩٦) وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ أَخْشَوْا فِيهَا وَلَا تَكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَاْمَنَّا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِحْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوَكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَٰكِرُونَ ﴿١١١﴾

قوله - تعالى: ﴿ادْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي: بالإغضاء عن إساءة المسيء. وقيل: ادفع الفحش بالسلام. وقيل: ادفع المنكر بالموعظة. وقيل: امح السيئة بالحسنة، وهذه الآية وإن كانت خاصة بالنبي ﷺ فالمقصود به جميع الأمة.

قوله - عز وجل: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ أي: من وسوستهم.

وقيل أذاهم بالصرع. ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ﴾ أي: من قدامهم. ﴿بَرْزَخٌ﴾ حاجز، ومنه قوله: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾<sup>(١)</sup> والمراد بالحاجز: ما بين الموت والبعث. وقيل: بين الدنيا والآخرة. وقيل: بين الميت ورجوعه إلى الدنيا. وقيل: هو ما بين النفختين، وهو أربعون سنة<sup>(٢)</sup>. ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: لا يتعارفون؛ لشدة الهول ﴿وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ أي: لا يسأل أحد أحدًا أن يعينه. وقيل: لا يسأل أحد أحدًا عن خبره لاشتغاله بنفسه. قوله - عز وجل: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ

(١) سورة الرحمن، الآية (٢٠).

(٢) روى البخاري في صحيحه رقم (٤٦٥١) عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين النفختين أربعون. قال: أربعون يوماً. قال: آبيت. قال: أربعون شهراً. قال: آبيت. قال: أربعون سنة. قال: آبيت. قال: ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة».

عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ﴿ فيها وجهان :

أحدهما: الهوى ( ١٣٨ / أ ) . الثاني: حُسْنُ الظن بالنفس وسوء الظن بالخلق .

الخاسئ: الصاغر الذليل . وقيل: المبعد . ﴿ وَلَا تَكَلِّمُونِ ﴾ أي: في رفع العذاب عنكم .  
وقيل: إنهم زُجِرُوا عن الكلام غضبا عليهم . قال الحسن: فهو آخر كلام يتكلم به أهل النار<sup>(١)</sup> . ﴿ سِخْرِيًّا ﴾ بالضم من التسخير، وبكسر السين من الاستهزاء، وقد قرئ بهما<sup>(٢)</sup> .

﴿ قَدْ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴾ ١١٤ ﴿ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْئَلِ الْعَادِينَ ﴾ ١١٣  
قَدْ لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿ ١١٤ ﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا  
لَا تُرْجَعُونَ ﴿ ١١٥ ﴾ فَتَعَلَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ ﴿ ١١٦ ﴾ وَمَنْ يَدْعُ  
مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿ ١١٧ ﴾ وَقُلْ رَبِّ  
أَغْفِرْ وَأَرْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿ ١١٨ ﴾

﴿ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ أي: في مدة حياتكم في الدنيا . استقصروها؛ لشدة عذاب الآخرة .  
وقيل: سؤال عن لبثهم في القبور .

﴿ الْعَادِينَ ﴾ قيل: هم الملائكة . وقيل: الحُساب . قوله - عز وجل: ﴿ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ  
رَبِّهِ ﴾ أي: إن حسابهم على الله - تعالى . وقيل: إن مكافأتهم على ربهم، ومنه قولهم:  
حسبي الله، أي: كفاني . والله أعلم .

\*\*\*

( ١ ) ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ١٢٠ ) ونسبه لعبد بن حميد عن الحسن .

( ٢ ) قرأ نافع وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف « سُخْرِيًّا » ، وقرأ باقي العشرة « سِخْرِيًّا » . تنظر في:  
البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ٤٢٣ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ٢٥٨ ) ، حجة أبي زرعة  
( ص : ٤٩١ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٢٠٣ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٤٤٨ ) ، الكشاف  
للرغزباني ( ٣ / ٤٤ ) ، معاني القرآن للفراء ( ٢ / ٢٤٣ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٢٩ ) .

## سورة النور [ مدنية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (١)

قوله - عز وجل: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا﴾ خصها بهذا الافتتاح؛ لأن المقصود بها الزجر، فافتتحت بجلد الزاني وحد القاذف ولعان الزوج إذا لم يكن له بينة على قذفها، فابتدئت بالأغظ كما في قوله - تعالى: ﴿بِرَاءةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (١) وقيل: بُدئ بها تشريفاً للنبي ﷺ ببراءة زوجاته مما قذفن به.

والسورة اسم للمنزلة الشريفة قال الشاعر [ من الطويل ]:

ألم تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً تَرَى كُلَّ مَلِكٍ دُونَهَا يَتَدَبَّبُ (٢)

قريء ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ بالتشديد والتخفيف (٣)، فمن قرأ بالتشديد فمعناه التكثير فيما فرض فيها، ومن قرأ بالتخفيف فمعناه التقدير، كقوله - تعالى: ﴿فَنَصِفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ (٤).

وقيل: أراد بالتخفيف ما فرض فيها من الأحكام، وفصل من الحلال والحرام.

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَشَهَادَةٌ عَلَيْهِمَا إِذَا طَافَا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣)

وبدأ بذكر الزانية؛ لغلبة الشهوة على النساء، أو لأنه من النساء أقبح وأضر؛ لما يخشى من

(١) سورة التوبة، الآية (١).

(٢) البيت للناطقة الذبياني، ينظر في: تاج العروس للزبيدي (سور)، تفسير القرطبي (١ / ١٠٢)،

روح المعاني للألوسي (١ / ٣٤)، صبح الأعشى للقلقشندي (٢ / ٦٤)، فتح القدير للشوكاني

(٤ / ٥)، لسان العرب (سور)، النكت والعيون للماوردي (٣ / ١٠٧).

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو «وَفَرَضْنَاهَا» وقرأ الباقون «وَفَرَضْنَاهَا».

تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٤٢٧)، حجة ابن خالويه (ص: ٢٥٩)، حجة أبي زرعة

(ص: ٤٩٤)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢٠٨)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٤٥٠)،

الكشاف للزمخشري (٣ / ٤٦)، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٣٠).

(٤) سورة البقرة، الآية (٢٣٧).

الحبل وإلحاق الولد . جلدُ مائةٍ حدُّ الزاني البكر، وأضافت إليه السنَّةُ التغريب، ولم توجهه على الثيب. ومنع أبو حنيفة من ثبوت الجلد على البكر؛ لأن الله - تعالى - اقتصر على مائة جلدة والزيادة على النص نسخ عنده<sup>(١)</sup>، والحجة في نفي الجلد عن الثيب أن النبي ﷺ رجم ماعزا والغامدية ولم يجلدتهما، ورجمت الصحابة بعده ولم يجلدوا<sup>(٢)</sup> (١٣٨/ب) قوله - عز وجل: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أي: تنفذون حكم رسول الله ﷺ. قوله - عز وجل: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قيل: أقلهم أربعة، قاله مالك والشافعي. وقيل: ثلاثة فصاعداً، قاله الزهري. وقيل: اثنان، قاله عكرمة. وقيل: واحد، قاله الحسن، وهو ضعيف؛ لأن الواحد لا يُسمى طائفة<sup>(٣)</sup>. قوله - عز وجل: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ الآية، قيل: نزلت مخصوصة في رجلٍ معيّنٍ من المسلمين استأذن رسول الله ﷺ في امرأةٍ يقال لها أم مهزول، وكانت بغياً، وكان لها راية، فنهاه النبي ﷺ عن ذلك، وشرطت له أن تنفق عليه، فأنزل الله هذه الآية فيه<sup>(٤)</sup>.

وقيل: نزلت في أهل الصُّفَّةِ، كانوا في صفة المسجد، وهم نحو من أربعمئة رجلٍ، وكان بالمدينة بغايا معلنات بالفسق، فالتمسوا أن يتزوجوا منهن ليأووا في مساكنهن ويأكلوا من طعامهن، فنهاها عن ذلك<sup>(٥)</sup>. وقيل: معناه: أن الزاني لا يزني إلا بزانية، والزانية لا يزني بها إلا زان. وقيل: كان ذلك حكماً في أول الإسلام فنسخ بقوله - تعالى: ﴿فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾<sup>(٦)</sup>. وقال الحسن: المراد: الزانية والزاني المحدودين فلا ينكح المحدود غير محدودة،

(١) ينظر: الأم للشافعي (٧ / ٢٨٦)، بداية المجتهد لابن رشد (١ / ١٢٣٢)، المبسوط للسرخسي (٥ / ٤٣).

(٢) تقدم الحديث عن ذلك وتخريج الحديث في تفسير سورة النساء، الآية (١٦).

(٣) نقل هذه الأقوال الماوردي في النكت والعيون (٣ / ١٠٨).

وينظر: الأم للشافعي (٦ / ٢١٥)، بدائع الصنائع للكاساني (٥ / ٥٢٨)، بداية المجتهد لابن رشد (١ / ١٢٣٢)، المغني لابن قدامة (١٠ / ١٣٣).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٨ / ٧١)، و الحاكم في المستدرک على الصحيحين (٢ / ٢١١)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦ / ١٢٧) ونسبه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦ / ١٢٧) ونسبه لابن أبي حاتم عن مقاتل.

(٦) سورة النساء، الآية (٣).

ولا تنكح المحدودة غير محدودٍ ، روي ذلك مرفوعاً<sup>(١)</sup>.

قوله - عز وجل: ﴿وَحَرَّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ قيل: الزنى . وقيل: نكاح الزواني .

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٤) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَمِيسَةَ أَنْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ يعني بالزنى ، وحدُّ القذف بالزنى ثمانون ، وهو حق للآدمي يسقط بعفوه عند الشافعي رحمه الله ، وقال أبو حنيفة : هو من حقوق الله - تعالى . وقيل: هو مشترك بين حق الله - تعالى - وحق الآدمي<sup>(٢)</sup> . والتوبة من القذف تدفع الفسق ولا تسقط الحد ، قال مالك والشافعي والجمهور: إذا تاب القاذف قبلت شهادته قبل الحدِّ وبعده لارتفاع فسقه . وقال القاضي شريح: لا تقبل شهادته أبداً لا قبل الحدِّ ، ولا تقبل بعده . وقال النخعي<sup>(٣)</sup>: تقبل شهادته بعد الحد ولا تقبل (١٣٩/أ) قبله .

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦ / ١٣٠) ونسبه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد عن الحسن . والمرفوع رواه أبو داود رقم (٢٠٥٢) ، وذكره السيوطي في الدر (٦ / ١٣٠) وزاد نسبه لابن المنذر وابن عدي وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - ﷺ - : « لا ينكح الزاني المحدود إلا مثله » . وعند أبي داود « المجلود » . قال الطبري في تفسيره (١٨ / ٧٥): « وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال عني بالنكاح في هذا الموضع الوطاء وأن الآية نزلت في البغايا المشركات ذوات الرايات وذلك لقيام الحجة على أن الزانية من المسلمات حرام على كل مشرك وأن الزاني من المسلمين حرام عليه كل مشركة من عبدة الأوثان ، فمعلوم إذا كان ذلك كذلك أنه لم يعن بالآية أن الزاني من المؤمنين لا يعقد عقد نكاح على عفيفة من المسلمات ولا ينكح إلا بزانية أو مشركة ، وإذا كان ذلك كذلك فبين أن معنى الآية الزاني لا يزني إلا بزانية لا تستحل الزنى أو بمشركة تستحله ، وقوله: ﴿وَحَرَّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: وحرم الزنى على المؤمنين بالله ورسوله ، وذلك هو النكاح الذي قال - جل ثناؤه: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾ .

(٢) ينظر: بدائع الصنائع للكاساني (٥ / ٥٣٠) ، المبسوط للسرخسي (٦ / ١١٩) ، المغني لابن قدامة (١٠ / ١٧٨) .

(٣) هو إبراهيم بن يزيد النخعي يكنى أبا عمران كوفي ثقة ، وكان مفتي الكوفة هو والشعبي في زمانهما ، وكان رجلاً صالحاً فقيهاً متوقياً قليل التكلف . مات سنة ٩٦ هـ .  
تنظر ترجمته في: الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة للذهبي (١ / ٢٢٧) ط . دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة - ١٩٩٢ م - تحقيق: محمد عوامة .



## تفسير سورة النور

وقال الشَّعْبِيُّ<sup>(١)</sup>: تقبل توبته ولا تقبل شهادته<sup>(٢)</sup>. والتوبة من القذف أن يندم على ما فرط فيه، ويصلح أعماله ولسانه. وقيل: توبته إكذابه نفسه<sup>(٣)</sup> وهو ضعيف؛ لأنه قد يكون صادقاً في قذفه، فإذا أكذب نفسه فإكذابه نفسه كذب. وأبيح للزوج إذا قذف زوجته أن يلاعن فيسقط الحد عن نفسه وتبين منه المرأة، وفي سبب ذلك قولان:

أحدهما: أنها نزلت بسبب هلال بن أمية جاء إلى النبي ﷺ فقال: «جئت إلى أهلي فوجدت مع امرأتي رجلاً، رأيتُ بعيني وسمعتُ بأذني، فنزلت هذه الآية<sup>(٤)</sup>».

والثاني: أنها نزلت بسبب عويمر العجلاني قال: يا رسول الله رجل وجد مع امرأته رجلاً أيقضه فتقتلونه به؟ أم كيف يصنع؟ فنزلت هذه، فقال النبي ﷺ: «قد أنزل الله - عزَّ وجلَّ - فيك وفي صاحبك فتلاعنا»<sup>(٥)</sup>.

ثم قيل: اللعان يمين، عبر بالشهادة عن القسم، ولو كان شهادة ما جاز أن يشهد لنفسه.

﴿وَيَذَرُوهَا عَنهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعٌ شَهِدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَمِيسَةَ أَنْ غَضَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ، وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِنْ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا نَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ أَمْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ﴾

(١) هو أبو عمرو عامر بن شراحيل الشَّعْبِيُّ، ثقة مشهور فقيه فاضل، أدرك خمسمائة من الصحابة وقال: ما كتبت سوداء في بيضاء قط، ولا حدثني رجل بحديث فأحببت أن يعيده علي، ولا حدثني رجل بحديث إلا حفظته، قال مكحول: ما رأيت أفقه منه. مات سنة ثلاث ومائة أو أربع أو سبع أو عشر. تنظر ترجمته في: تقريب التهذيب لابن حجر (١ / ٢٨٧)، طبقات الحفاظ للسيوطي (١ / ٤٠).

(٢) ذكر هذه الأقوال الماوردي في النكت والعيون (٣ / ١١٠) وينظر: الأم للشافعي (٧ / ٥٣)، بداية المجتهد لابن رشد (١ / ١٢٣٧)، المبسوط للسرخسي (٦ / ٣٦٣)، المغني لابن قدامة (١٢ / ٧٥).

(٣) وروى ذلك الشافعي في الأم (٧ / ٨٩) قال: أخبرنا ابن عيينة قال: سمعت الزهري يقول: زعم أهل العراق أن شهادة القاذف لا تجوز فأشهد لأخبرني - ثم سُمِّي الذي أخبره - أن عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - قال لأبي بكر: تب تقبل شهادتك، أو إن تبت قبلت شهادتك، قال سفيان: شككت بعد ما سمعت الزهري يسمي الرجل فسألت، فقال لي عمر بن قيس: هو سعيد بن المسيب، فقيل لسفيان: شككت في خبره؟ فقال: لا هو سعيد إن شاء الله تعالى.

(٤) رواه البخاري في صحيحه رقم (٤٤٧٠).

(٥) رواه البخاري في صحيحه رقم (٤٤٦٨).

وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ تَوَلَّى إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ تَوَلَّى جَاءَ وَعَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾

وقال أبو حنيفة: اللعان شهادة فرد لعان الكافر والعبد، ولو كانت شهادة ما جاز أن يشهد لنفسه، فإذا لاعنت المرأة سقط حد الزنى عنها<sup>(١)</sup> لقوله - تعالى: ﴿وَيَذَرُوا﴾ أي: يدفع ﴿عَنِ الْعَذَابِ﴾ الآية، قيل: ﴿الْعَذَابِ﴾ الحد. وقيل: الحبس.

قوله - عز وجل: ﴿وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ﴾ قيل: المراد بـ ﴿فَضَّلَ اللَّهُ﴾ الإسلام، وبـ ﴿وَرَحْمَتَهُ﴾ القرآن. وقيل: المراد بـ ﴿فَضَّلَ اللَّهُ﴾ منته، ﴿وَرَحْمَتَهُ﴾ نعمته. قوله - عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإفْكِ﴾ أي: بالكذب. وقيل: الإثم. العصبية: المراد هاهنا زعماء الإفك الذين خاضوا فيه، وهم حسان بن ثابت الشاعر، ومسطح بن أثاثة، وعبد الله بن أبي بن سلول، وزيد بن رفاعه، وحمنة بنت جحش<sup>(٢)</sup>. وفي المراد بقوله: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ﴾ قولان:

أحدهما: يا عائشة وصفوان<sup>(٣)</sup> لأنهما المقدوفان. والثاني: أن المراد به النبي ﷺ وأبو بكر وعائشة - عليهما السلام<sup>(٤)</sup>. قوله: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾ الكبر بضم الكاف: معظم الشيء، وبكسر الكاف<sup>(٥)</sup> مآثمه. وفي الذي تولى كبره قولان:

أحدهما: أنه عبد الله بن أبي بن سلول والعذاب العظيم: جهنم<sup>(٦)</sup>. والثاني: أنه مسطح

(١) ينظر: الأم للشافعي (١٩٤/٥)، بدائع الصنائع للكاساني (٣/٣٧٦)، المبسوط للسرخسي (٥٣/٥)، المغني لابن قدامة (٥/٩).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٨/٨٦) عن عروة بن الزبير، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٦/١٥٢) لابن أبي حاتم والطبراني عن سعيد بن جبیر.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/٢٥٤٤) عن سعيد بن جبیر.

(٤) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٦/١٥٠) للطبراني عن ابن عباس - رضي الله عنهما.

(٥) قراءة العامة «كبره» بكسر الكاف، وقرأ أبو رجاء والحسن والزهري وتروى عن أبي عمرو والكسائي «كبره» بضم الكاف. تنظر في: البحر المحیط لأبي حيان (٦/٤٣٦)، الدر المنثور للسمين الحلبي (٥/٢١٢)، الكشاف للزمخشري (٣/٢١٧).

(٦) رواه البخاري رقم (٤٤٧٩)، ومسلم رقم (٢٤٧٠) في حديث الإفك.

ابن أثاة والعذاب العظيم: ذهاب بصره في الدنيا<sup>(١)</sup>. ﴿لَوْلَا جَاءُوا﴾ أي: هلاً جاءوا- لو كانوا صادقين- بأربعة شهداء يشهدون بما قالوه (١٣٩/ ب).

قال بعض المفسرين: لم يحد رسول الله ﷺ أحداً من أهل الإفك؛ لأن الحدود إنما تقام بإقرار أو بينة، وأما إخبار الله - تعالى - بإفكهم فلا يقام به الحد، وإن كان العلم فيه قطعاً، كما لا يقتل المنافق وإن أخبر الله بنفاقه.

وقال آخرون: حد رسول الله ﷺ في الإفك عبد الله ومسطح بن أثاة وحسان بن ثابت وحملة بنت جحش ول بعضهم في ذلك [من الطويل]:

لَقَدْ ذاقَ حَسَّانُ الَّذِي كَانَ أَهْلُهُ وَحَمَلَةُ إِذْ قَالَا هَجِيرًا وَمِسْطَحٌ<sup>(٢)</sup>

﴿إِذْ تَلَقَوْهُ بِالْسِنْتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هِينًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾<sup>(١٥)</sup> وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ<sup>(١٦)</sup> يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ<sup>(١٧)</sup> وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ<sup>(١٨)</sup> إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ<sup>(١٩)</sup> وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رءُوفٌ رَحِيمٌ<sup>(٢٠)</sup> يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ<sup>(٢١)</sup> وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا

(١) هكذا بالأصل «مسطح» وهو ما ذكره الماوردي في النكت والعيون (٣ / ١١٤)، وذكر السيوطي في الدر المنثور (٦ / ١٥٨) ونسبه لمحمد بن سعد عن محمد بن سيرين أن عائشة كانت تأذن لحسان بن ثابت وتدعو له بالوسادة وتقول: لا تؤذوا حسان فإنه كان ينصر رسول الله ﷺ بلسانه وقال الله: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وقد عمي والله قادر أن يجعل ذلك العذاب العظيم عماء. قال ابن جرير الطبري (١٨ / ٨٩): «وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال الذي تولى كبره من عصابة الإفك كان عبد الله بن أبي وذلك أنه لا خلاف بين أهل العلم بالسير أن الذي بدأ بذكر الإفك وكان يجمع أهله ويحدثهم عبد الله بن أبي بن سلول وفعله ذلك على ما وصفت كان توليه كبر ذلك الأمر».

(٢) ينظر في: تفسير القرطبي (١٢ / ١٧٦)، روح المعاني للألوسي (١٨ / ١١٦)، النكت والعيون للماوردي (٣ / ١١٥) وذكر الماوردي هذه الأقوال.

ويروى الشطر الأول: لقد ذاق عبد الله ما كان أهله .....

وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾

قوله - عز وجل: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ أي: تشيعون ذكره في المجالس حتى ينتشر. وقيل: تتلقونه بالقبول إذا حدث به ولا تنكرونه، وروي عن عائشة - رضي الله عنها - أنها كانت تقرأ ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ﴾ بكسر اللام وتخفيف القاف<sup>(١)</sup>، ومعناه: ترددونه وهو مأخوذ من الولق، وهو الإسراع، أي: تسرعون في الكذب وغيره. ﴿خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ آثاره. وقيل خطاياها. وقيل: يُخْطِي الشيطان الإنسان من الطاعة إلى المعصية.

قوله - عز وجل: ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ أي: لا يقصر. وقيل: لا يحلف، من قوله: ﴿لِلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِنْ نَسَائِهِمْ﴾<sup>(٢)</sup> أي: يحلف. وقرئ (وَلَا يَتَأَلَّ)<sup>(٣)</sup> أي: لا يحلف.

وفي الحديث: «مَنْ يَتَأَلَّ عَلَى اللَّهِ يُكذِّبُهُ»<sup>(٤)</sup> وهذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق ؓ كان ينفق على مسطح بن أثاثة، فلما خاض في الإثم ونشره حلف أبو بكر ؓ أن لا يبره، وكان ابن خالته، فنزلت الآية، فقال أبو بكر: «والله إني أحب أن يغفر الله لي» فعاد إلى بره وكفر عن يمينه<sup>(٥)</sup>.

﴿الْخَيْثَاتُ لِلْخَيْثِينِ وَالْخَيْثُوتُ لِلْخَيْثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾<sup>(٦)</sup>

قوله - عز وجل: ﴿الْخَيْثَاتُ لِلْخَيْثِينِ﴾ الآية فيه ثلاثة أقوال:

(١) تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٤٣٦)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢١٣)، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢١٩).

(٢) سورة البقرة، الآية (٢٢٦).

(٣) قرأ « يتأل » أبو جعفر من العشرة، وقرأ الباقر « يأتل ». تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٤٤٠)،

الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢١٤)، الكشاف للزمخشري (٣ / ٥٦)، المحتسب لابن جني

(٢ / ١٠٦) معاني القرآن للفراء (٢ / ٢٤٨)، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٣١).

(٤) رواه ابن السري في كتاب الزهد (١ / ٢٨٦ رقم ٤٩٧) عن عبد الله بن مسعود من خطبة طويلة له.

(٥) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦٣٠١).

أحدها: الخيئات من النساء للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء، والطيبات من النساء للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من النساء. والثاني: الخيئات من الأعمال للخبيثين من الناس، والخبيثون من الناس للخبيثات من الأعمال، والطيبات من الأعمال للطيبين من الناس، والطيبون من الناس للطيبات من الأعمال. الثالث: أن الخيئات من الكلام للخبيثين من الناس، والخبيثون من الناس للخبيثات من الكلام (١٤٠/ أ) والطيبون من الكلام للطيبين من الناس، والطيبون من الناس للطيبات من الكلام. ﴿أُولَئِكَ﴾ إشارة إلى الطيبين، أو إلى أهل البيت .

وقالت عائشة - رضي الله عنها: « أُعْطِيتُ تِسْعاً مَا أُعْطِيَتْهُنَّ امْرَأَةٌ: نَزَلَ جَبْرِيْلُ بِصُورَتِي فِي رَاحَتِهِ حِينَ أَمَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَتَزَوَّجَنِي بِكَرَامٍ، وَتَوَفَّى وَرَأْسُهُ فِي حَجْرِي، وَقُبِرَ فِي بَيْتِي، وَحَفَّتْ بِهِ الْمَلَائِكَةُ فِي بَيْتِي، وَكَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِ وَهُوَ مَعِي فِي لِحَافٍ، وَإِنِّي لَابْنَةُ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَدِيقِهِ، وَنَزَلَ عَذْرِي مِنَ السَّمَاءِ، وَخَلَقْتُ طَيْبَةً عِنْدَ طَيْبٍ، وَوَعَدْتُ مَغْفِرَةً وَرِزْقًا كَرِيْمًا » (١).

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢٧)

﴿تَسْتَأْنِسُوا﴾ من الاستئناس نقيض الاستيحاش؛ لقوله - تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ (٢) وقيل: هو بمعنى الاستعلام والاستكشاف، استفعل من قولهم: أنس بالشيء. إذا علمه ظاهراً منكشفاً؛ كقوله: ﴿فَإِنَّ ءَانَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ (٣) ﴿ءَانَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾ (٤). تقول: استأنست فلم أر أحداً. أي: حتى يظهر لكم الإذن، ويجوز أن يراد أن يتعرّف هل ثم إنسان؟

وروي « أن يتكلم بكلمة أو يتنحّم فيظهر له أن ثم إنسان » (٥) والتسليم يستحب فيه أن

(١) رواه أبو يعلى في مسنده رقم (٤٦٢٦)، ونسبه له الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٤١) وقال: وفي

الصحيح وغيره بعضه وفي إسناد أبي يعلى من لم أعرفهم .

(٢) سورة الأحزاب، الآية (٥٣).

(٣) سورة النساء، الآية (٦).

(٤) سورة القصص، الآية (٢٩).

(٥) ذكر السيوطي في الدر المنثور (٦ / ١٧١) ونسبه لابن أبي شيبة والحكيم الترمذي وابن أبي حاتم =

يكون ثلاث مرات. وروي أن النبي ﷺ قال: «الاستئذان ثلاث»<sup>(١)</sup>.

و«استأذن رجل على النبي ﷺ فقال: أألج؟ فأشار إلى امرأة يقال لها روضة: قومي إلى هذا فعلميه كيف يستأذن يقول: السَّلامُ عليكمُ أَدْخُلُ؟»<sup>(٢)</sup>.

وكان الرجل في الجاهلية إذا جاء منزل قومٍ يقول: حيتم صباحاً، وحيتم مساءً. فجاء الإسلام بالاستئذان والسلام، وهذا باب من آداب الشريعة قد أهمله الناس.

وروي أن رجلاً قال للنبي ﷺ: «إن أُمي ليس لها خادمٌ غيري، أأستأذن عليها؟ قال: أتحب أن تراها عريانة؟ قال الرجل: لا، قال: فاستأذن»<sup>(٣)</sup>.

﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ آرْجِعُوا فَآرْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾

قوله - عز وجل: ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا﴾ لأنه تصرف في ملك الغير بغير إذنه. قوله - عز وجل: ﴿فَآرْجِعُوا﴾ أي: لا تُلحُّوا في طلب الإذن، ولا تقفوا على الأبواب تنتظرون الإذن؛ فإنَّ ذلك يشق على أصحاب الإذن، ومنه قوله - تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾<sup>(٤)</sup> فإنَّ عرض عارض من حريق أو ظهور منكر أو سارق فهذا مستثنى بالدليل.

ثم توعَّد المخاطبين بهذه الأحكام بأنه أعلم بما يقولون (١٤٠/ب) وبما يذرون فيجازيهم استثنى من البيوت المسكونة الخانات والفنادق والربط، فأجاز دخولها بغير

= والطبراني وابن مردويه عن أبي أيوب قال: قلت: «يا رسول الله، أرايت قول الله ﴿حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا﴾ وَتُكَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ هذا التسليم قد عرفناه فما الاستئناس؟ قال: يتكلم الرجل بتسيحة وتكبيرة وتحميدة ويتنحج فيؤذن أهل البيت».

(١) رواه البخاري رقم (٦)، ومسلم رقم (٢١٥٣) عن أبي موسى الأشعري ؓ.

(٢) رواه بهذا السياق الطبري في تفسيره (١٨/١١٠)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/١٧٢) عن عمرو بن سعيد الثقفي، ورواه أبو داود رقم (٥١٧٧) بنحوه.

(٣) رواه الإمام مالك في الموطأ (٢/٩٦٣) رقم (١٧٢٩)، والطبري في تفسيره (١٨/١١١).

(٤) سورة الحجرات، الآية (٤).

استئذان، والمتاع: الانتفاع والاستكنان من الحر والبرد وصيانة المتاع عن المطر والثلج، و﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِنْ أَبْصَرِهِمْ﴾ مزيدة عند الأخفش دون سيبويه<sup>(١)</sup> ومع ذلك احترز به عن أول نظرة، وعن استعراض الجارية في البيع، ورؤية الوجه واليدين في المعاملة، وغير ذلك مما استثنى، وقال أبو زيد: كل ما في القرآن من حفظ الفرج المراد به الصيانة عن الزنى إلا هاهنا، فإن المراد هاهنا التستر<sup>(٢)</sup>.

والنساء مأمورات بغض الأبصار. وروي: «أن النبي ﷺ دخل عليه ابن أم مكتوم وعنده

(١) قال الأخفش في معاني القرآن (١ / ٩٨ - ٩٩) عند قوله - تعالى - في سورة البقرة، الآية (٦١) ﴿فَأَذَعْنَا لِنَارِكَ يُمُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا﴾: «دخلت فيه «من» كنحو ما تقول في الكلام: أهل البصرة يأكلون من البر والشعير. وتقول: دعيت فأصبت من الطعام، تريد: شيئاً، ولم تذكر الشيء، كذلك: يخرج لنا مما تثبت الأرض شيئاً، ولم تذكر الشيء. وإن شئت جعلته على قولك: ما رأيت من أحد. تريد: ما رأيت أحداً. وهل جاءك من رجل؟ تريد: هل جاءك رجل؟ فإن قلت: إنما يكون هذا في النفي والاستفهام! فقد جاء في غير ذلك، قال: ﴿وَيُكْفِّرُ عَنْكُمْ مِّنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١] فهذا ليس باستفهام ولا نفي. وتقول: «زيد من أفضلها» تريد: هو أفضلها. وتقول العرب: قد كان من حديث فخل عني حتى أذهب، يريدون: قد كان حديث ونظيره: قولهم: هل لك في كذا وكذا، ولا يقول: حاجة، ولا عليك، يريدون: لا بأس عليك.»

وقال سيبويه في الكتاب (١/٣٨): «ولست عن وعلى هاهنا بمنزلة الباء في قوله: «وكفى بالله شهيداً» و«ليس بزید»؛ لأن عن وعلى لا يفعل بها ذاك، ولا بـ «من» في الواجب. ونقله عن سيبويه ابن يعيش في شرح المفصل (٧ / ١٣)، ونقل عن الأخفش جواز زيادتها في الواجب.

قال العكبري في «اللباب في علل البناء والإعراب» (١ / ٣٥٥ - ٣٥٦) - معللاً رأي سيبويه ومؤيداً له - : «ودليلنا أن «من» حرف، والأصل في الحروف أنها وضعت للمعاني اختصاراً من التصريح بالاسم أو بالفعل الدال على ذلك المعنى كالمهمزة، فإنها تدل على الاستفهام، فإذا قلت: أزيد عندك؟ أغنت المهمزة عن «أستفهم»، وأخذت من المال، أي: بعضه. وما قصد به الاختصار لا ينبغي أن يجيء زائداً؛ لأن ذلك عكس الغرض، وإنما جاز في مواضع لمعنى من توكيد ونحوه. ولا يصح ذلك المعنى هنا. ثم رد على الأخفش ومن وافقه احتجاجه بقوله - تعالى: ﴿وَيُكْفِّرُ عَنْكُمْ مِّنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١] و﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٣١] والمراد: الجميع. ثم قال العكبري: والجواب: أن «من» هنا للتبويض، أي: بعض سيئاتكم؛ لأن إخفاء الصدقة لا يحى كل السيئات. وأما «من ذنوبكم» فالتبويض أيضاً؛ لأن الكافر إذا أسلم قد يخفى عليه ذنب وهو مظالم العباد الدنيوية. أو تكون «من» هنا لبيان الجنس. اهـ من اللباب للعكبري.

وينظر في ذلك أيضاً: أسرار العربية لابن الأنباري (ص: ٢٦٠)، الجنى الداني للمرادي (ص: ٣١٧ - ٣١٨)، شرح المفصل لابن يعيش (٧ / ١٣)، المغني لابن هشام (١ / ٣٢٣ - ٣٢٤)، همع الهوامع للسيوطي (٢ / ٣٧٩ - ٣٨٠).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٨ / ١١٦) عن أبي العالية.

ميمونة وأخرى من نساء النبي ﷺ وذلك بعد أن أمر بالحجاب، فدخل علينا فقال: احتجبا، فقلنا: يا رسول الله: أليس أعمى لا يبصرنا؟ قال: أفعميا وان أتما؟ ألستما تُبصرانه؟<sup>(١)</sup> وقدّم النهي عن النظر ومدّ البصر على حفظ الفرج؛ لأنه وسيلة إلى الزنى، وأكثر الوقوع في الزنى إنما هو بسبب النظر.

﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَا يَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾<sup>(٢١)</sup>

قوله: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ الزينة: ما يُتَزِينُ به، فإن كانت العورة تظهر بظهوره فهو حرام، وإلا فلا يحرم، كالقراميل<sup>(٢)</sup> وهي ما يعمل في الشعر من العقاص المذهبة، وقدم النهي عن الزينة مطلقاً ولم يفصل، ليعلم أن النساء مأمورات بزيادة التحفظ، فإذا نهين عن الزينة فالموضع الذي تقع عليه الزينة أولى بالتحفظ، ألا ترى أن الزينة لو وقعت على الأرض ولم ينكشف شيء من العورة فلا مقال في حله.

وقوله: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ أي: ما جرت العادة بظهوره. كانت جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن، وكن يسدلن الخمار من ورائهن، فأمرن أن يسدلنه من أمامهن، قالت عائشة: «رحم الله نساء الأنصار لما سمعن بنزول هذه الآية قطعن من خمرهن ما سدلنه من أمامهن وسترن الصدور والنحور»<sup>(٣)</sup>. وقرئ (جُيُوبِهِنَّ) بكسر الجيم<sup>(٤)</sup> لأجل

(١) رواه أحمد (٢٩٦ / ٦)، وأبو داود (٤١١٢)، والترمذي (٢٧٧٨)، وفي سننه نيهان مولي أم سلمة وهو مجهول وضعفه الشيخ الألباني في الإرواء (١٨٠٦ / ٦).

(٢) القراميل من الشعر والصوف: هي ما تصل به المرأة شعرها ليطول، وما تشده المرأة في شعرها. ينظر: لسان العرب (قرمل).

(٣) رواه البخاري (٤٧٥٩)، وأحمد (١٨٨ / ٦)، وأبو داود (٤١٠٠، ٤١٠٢، ٤١٠٣)، عن عائشة.

(٤) قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وابن ذكوان «جُيُوبِهِنَّ» بالكسر، وقرأ الباقر «جُيُوبِهِنَّ» بالضم.

تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٤٤٨ / ٦)، الدر المصون للسمين الحلبي (٢١٦ / ٥)،

الكشاف للزمخشري (٦٢ / ٣)، النشر لابن الجزري (٢٢٦ / ٢).



الياء، كالبيوت والعيون، وعن ابن عباس رضي الله عنه: لا يجلب لامرأة مسلمة أن تتكشف بين يدي كافرة؛ عملاً بقوله - تعالى: ﴿أَوْ نَسَاءِ هُنَّ﴾<sup>(١)</sup> أي: نساء المؤمنات. وأجازه آخرون قياساً.

قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ وأباح للمرأة (أ/١٤١) أن تُظهِرَ عليها عبدها، وقالت عائشة لعبيدها ذكوان: «إذا دفنتني وتركتني في القبر فأنت حر»<sup>(٢)</sup>. وهناك من منع من ذلك لحصول الفتنة فيه. وروي: «أن معاوية دخل على زوجته ميسون بنت بحدل الكلابية ومعه خصي، فسترت الزوجة منه، فقال معاوية لها: هو خصي، فقالت: أترى المثلة به تحلل ما حرم الله؟»<sup>(٣)</sup>.

ومنع أبو حنيفة من بيع الخصيان واستخدامهم، ولم ينقل عن أحد من السلف إمساكهم، واحتج أبو حنيفة بأنه إذا خصي العبد ازداد في ثمنه للدخول على النساء، فيكون الخصاء سبباً في المثلة، فمنع منه<sup>(٤)</sup>.

فإن قيل: روي أنه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم خادم فقبله<sup>(٥)</sup>.

قلنا: الحديث ضعيف، وإن صح فهو محمول على أنه قبله ليعتقه<sup>(٦)</sup>.

﴿الْإِرْبَةِ﴾ الحاجة، يعني: الذين يتبعونك ليصيوا من طعامك، ولا حاجة بهم إلى النكاح. وقيل: الشيوخ الهرمون، وقرئ (غَيْرَ) بنصب الراء على الاستثناء أو الحال، وبالجر<sup>(٧)</sup> على الوصفية.

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٧٧ / ٥) ونسبه لسعيد بن منصور والبيهقي بنحوه.

(٢) رواه عبد الرزاق في مصنفه رقم (٣٨٢٤) بلفظ: «إذا غيبي أبو عمرو ودلاني في حفرتي فهو حر».

(٣) ذكر هذه القصة ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (٧٠ / ١٣٠) في ترجمة ميسون وقال عنها: ميسون بنت بحدل بن أنيف الكلبية، زوج معاوية بن أبي سفيان وأم يزيد بن معاوية، روت عن معاوية، وروى عنها محمد بن علي وكانت امرأة لبية.

(٤) ينظر: الأم للشافعي (٦ / ١٤١)، بدائع الصنائع للكاساني (٤ / ٢٩٣).

(٥) رواه الحاكم في المستدرک على الصحيحين (٤ / ٤١) عن مصعب بن عبد الله الزبيري قال: ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم مارية بنت شمعون، وهي التي أهداها إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المقوقس صاحب الإسكندرية، وأهدى معها أختها سيرين وخصيا يقال له مأبور فوهب رسول الله صلى الله عليه وسلم سيرين لحسان بن ثابت... الحديث.

(٦) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٣ / ٢٣٢).

(٧) قرأ ابن عامر وشعبة عن عاصم وأبو جعفر «غَيْرَ» بالفتح، وقرأ الباقر «غَيْرِ» بالكسر. تنظر في: =

﴿لَمْ يَظْهَرُوا﴾ قيل: المراد لم يقووا، من قوله: ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾<sup>(١)</sup> أو من ظهر على الشيء: اطلع عليه، كأنهم لا يفرقون بين العورة وبقية الجسد، من قوله - تعالى: ﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾<sup>(٢)</sup> أي: وأطلعه. قيل: لم يذكر العم والحال؛ لأنهما قد يصفانه لابنيهما، وذلك ليس بمحرم، لكنه قد يدعو إلى ما لا يحل، وهو مما أمر النساء به لزيادة التحفظ. وقيل: كانت المرأة تضرب بإحدى رجليها الأخرى ليعلم ذلك، فنهين عنه.

واعلم أن أوامر الله - تعالى - ونواهيها لا يقدر العبد الضعيف على أن يوفيقها حقها من التحفظ؛ فلذلك وصى المؤمنين جميعاً بالتوبة والاستغفار. قوله - عز وجل: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ﴾ التوبة واجبة بهذا الأمر، قال بعضهم: يجب على الإنسان كلما ذكر المعصية أن يجدد التوبة؛ لأن الاستمرار على الندم على المعصية واجب.

وقرئ (أيه المؤمنون) بضم الهاء<sup>(٣)</sup>.

﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَانَ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>

﴿الْأَيْمَانُ﴾ جمع أيم، وهي التي لا زوج لها، والنكاح مستحب، وأوجبه داود. والأحاديث والآثار تشهد لاستحبابه، فمن ذلك قوله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّنِي فَلَيْسَتْ بَسْتِي»<sup>(٥)</sup> ولأنه قضاء لذة تصبر النفس عنها فلم تجب، كأكل الطيب، ولبس الناعم، وربما كان (١٤١/ب) واجب الترك إذا أدى إلى معصية أو مفسدة. وواجب الفعل إذا دعت المرأة إلى تزويجها من كفاء فيجب على الولي إيجابتها<sup>(٥)</sup>. فإن قيل: لم خص الصالحين في قوله:

= البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٤٤٩)، تفسير القرطبي (١٢ / ٢٣٦)، الحجة لابن خالويه (ص: ٢٦١)، حجة أبي زرعة (ص: ٤٩٦) الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢١٧)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٤٥٥)، الكشاف للزمخشري (٣ / ٦٢)، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٣٢).

(١) سورة الصف، الآية (١٤).

(٢) سورة التحريم، الآية (٣).

(٣) قرأ «أيه» ابن عامر، وقرأ باقي العشرة «أيها». تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٤٥٠)، حجة أبي زرعة (ص: ٤٩٧)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢١٧)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٤٥٥)، الكشاف للزمخشري (٣ / ٦٣)، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٤٢).

(٤) رواه عبد الرزاق في مصنفه رقم (١٠٣٧٨)، وأبو يعلى في مسنده رقم (٢٧٤٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧ / ٧٧) عن عبيد بن سعد عن النبي ﷺ قال: «من أحب فطرتي فليستن بسنتي ومن سنتي النكاح». وضعفه الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة رقم (٢٥٠٩).

(٥) ينظر: بدائع الصنائع للكاساني (٢ / ٤٨٢)، بداية المجتهد لابن رشد (١ / ٦٧٠)، المغني لابن قدامة =

﴿وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ﴾؟ قلت: ليحصن دينهم، ويحفظ عليهم صلاحهم.

قوله - عز وجل: ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ ذو سعة ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن ييسر الرزق له.

﴿وَلَيْسَتَعَفِيفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُمْ مِمَّا لِلَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيْبَتُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِنَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣٣)

﴿وَلَيْسَتَعَفِيفٌ﴾ وليجتهد في العفة ﴿لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ أي: استطاعة تزوج ويجوز أن يراد بالنكاح: ما ينكح به من المال.

﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ﴾ يطلبون الكتابة، وفي إعراب «الَّذِينَ» قولان: الرفع [على الابتداء] والنصب بإضمار فعل يدل عليه قوله: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾ ﴿وَأَتُوهُمْ﴾ وفي المأمور بإيتائه قولان:

أحدهما: الزكاة؛ لقوله - تعالى: ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾<sup>(١)</sup> أو يحط عن المكاتب بعض ما عليه وذلك واجب عند الشافعي، ويجوز عند أبي حنيفة إن كان على مال حال ومؤجل، ومنجّم وغير منجّم؛ لأن الله - تعالى - أطلق جواز الكتابة. وعند الشافعي لا بد من تأجيله، وأقل آجاله نجمان فصاعداً، وإجابة المكاتب إلى الكتابة سنة. وقيل بوجوبها<sup>(٢)</sup>.

قوله - عز وجل: ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ أي: قدرة على الكسب. وقيل: أمانة، ويجوز للسيد أن يأخذ من المكاتب ما تصدق به عليه.

وكان لعبد الله بن أبي رأس النفاق ست جوار يُكْرِهُهُنَّ على البغاء، وضرب عليهن ضرائب فشكت ثنتان منهن إلى النبي ﷺ، فنزلت<sup>(٣)</sup>. وكنى بالفتى والفتاة عن العبد والأمة،

= (٣٣٤ / ٧)، النكت والعيون للماوردي (٣ / ١٢٥)، المهذب للشيرازي (٢ / ٤٢٣).

(١) سورة التوبة، الآية (٦٠).

(٢) ينظر: الأم للشافعي (٣٧ / ٨)، بدائع الصنائع للكاساني (٣ / ٥٩٧)، بداية المجتهد لابن رشد

(١ / ١١٧٤)، المغني لابن قدامة (١٢ / ٣٣٩)، النكت والعيون للماوردي (٣ / ١٢٧).

(٣) رواه مسلم رقم (٣٠٢٩) نحو ذلك دون ذكر عدد الجواري. وله روايات كثيرة عند الطبري في

تفسيره (١٨ / ١٣٢ - ١٣٣).

وفي الحديث : « لا يَقُلْ أَحَدُكُمْ عَبْدِي وَلَا أَمْتِي ، فَإِنَّ كُلَّكُمْ عبيدُ اللَّهِ »<sup>(١)</sup> . وإنما زاد قوله : ﴿إِنَّ أَرْدَنَ مَحْصَنًا﴾ فإن الإكراه على البغاء لا يتصور مع إرادتهن له . ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لهم . قيل : لهم ولهن .

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٢٤)</sup> ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُورٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾<sup>(٢٥)</sup>

﴿آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ﴾ أي : آيات هذه السورة ، أو آيات القرآن . وقرئ ﴿مُّبِينَاتٍ﴾ بكسر الياء<sup>(٢)</sup> . ﴿وَمَثَلًا﴾ من أمثال من قبلكم أو قصة عجيبة من قصصهم .

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ﴾ أي : هادي من في السماوات والأرض . وقيل : خالق نورهما من شمس وقمر ، والأول أظهر ؛ لقوله : ﴿مِثْلُ نُورِهِ﴾ و﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ﴾ وقد جعل نفسه نوراً مبالغة ، ونظير هذه الآية : زيد جود محض يعين الفقير ، ويجبر الكسير ( ١٤٢ / أ ) شبه الحق في ثبوته وظهوره بالنور ﴿مِثْلُ نُورِهِ﴾ أي : صفة نوره العجيبة الشأن في الإضاءة ﴿كَمِشْكُورٍ﴾ كصفة مشكاة ، وهي الكوة في الجدار غير النافذة ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ سراج ضخم ثاقب . ﴿الزُّجَاجَةُ﴾ شديدة الصفاء شبيهة بالدراري الكبار كالمشترى والزهرة والمريخ وسهيل .

﴿يُوقَدُ﴾ هذا المصباح ﴿مِن شَجَرَةٍ﴾ أي : أن ماءه من شجرة مباركة . يعني : كثيرة المنافع ، أو لأنها تنبت في الأرض التي بارك الله فيها . يتعاقب عليها الشمس والقمر وهو أضوأ لدُهنها . وقيل : ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها فقط أو غروبها فقط بل تصيبها بالغداة والعشي جميعاً ، يعني أن هذا النور قد اجتمع فيه صغر المشكاة وانسداد صدرها ، وصفاء الزجاج فصار كالكوكب ، وصفاء الزيت بحيث ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ فإذا اجتمعت هذه الأوصاف صلح أن يُشَبَّه به نور الله في القلب ، فهو تشبيه مفرد بمركب ،

( ١ ) رواه مسلم رقم ( ٢٢٤٩ ) ، وأبو داود رقم ( ٤٩٧٥ ) ، عن أبي هريرة ؓ .

( ٢ ) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص عنه وخلف « ميّنات » ، وقرأ الباقون « ميّينات » . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ٤٥٣ ) ، حجة أبي زرعة ( ص : ٤٩٨ ) الدر المصون للسمن الحلبي ( ٢ / ٣٣٦ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٢٣٠ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٤٨ ) .

ومن لم يتدبر فهو كالأعمى .

وعن علي عليه السلام: نشر الله فيها الحق وبثه فأضاءت بنوره ، أو نور قلوب أهلها به <sup>(١)</sup> .  
وعن أبي بن كعب : مثل نور من آمن به <sup>(٢)</sup> . وقرئ ( رَجَا جَةٌ ) بفتح الزاي <sup>(٣)</sup> وقرئ ( دِرِّيَّ ) بكسر الدال والهمز <sup>(٤)</sup> ، أي : دفاع للظلمة ؛ كقوله : ﴿ وَيَذَرُوا عَنْهَا الْعَذَابَ ﴾ <sup>(٥)</sup> أي : يدفعه . ﴿ فِي بُيُوتٍ ﴾ يتعلق بما قبله ، أي : كمشكاة في بعض بيوت الله ، وهي المساجد .  
وقيل : متعلق بما بعده ، أي : يُسَبَّحُ له في بيوت . قوله - عز وجل : ﴿ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ ﴾ أي : يرفع بناؤها ؛ كقوله : ﴿ بَنَاهَا ﴾ <sup>(٦)</sup> ﴿ رَفَعَ سَمَكَهَا ﴾ <sup>(٦)</sup> ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ﴾ <sup>(٧)</sup> .  
وعن الحسن : ما أمر الله أن ترفع بالبناء ولكن بالتعظيم <sup>(٨)</sup> .

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذَكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ ، يُسَبَّحُ لَهُ ، فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ <sup>(٣٦)</sup>

﴿ وَيَذَكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ ﴾ قيل : يُتْلَى فيها كتابه ، وقرئ ( يُسَبَّحُ ) بفتح الباء <sup>(٩)</sup> على البناء للمفعول ، ويسند الفعل إلى أحد الظروف الثلاثة أي : له ، وفيها ، وبالغدو . و﴿ رِجَالٌ ﴾

(١) ذكره بهذا اللفظ الزمخشري في الكشاف ( ٢٤٢ / ٣ ) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ٣٦ / ١٨ ) .

(٣) قرأ بها ابن أبي عبلة ونصر بن عاصم وابن مجاهد .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٤٥٦ / ٦ ) ، تفسير القرطبي ( ٢٦١ / ١٢ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٢٢٠ / ٥ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٦٨ / ٣ ) ، المحتسب لابن جني ( ١٠٩ / ٢ ) .

(٤) قرأ أبو عمرو والكسائي « دِرِّيَّ » ، وقرأ حمزة وشعبة عن عاصم « دُرِّيَّ » ، وقرأ الباقون « دُرِّيَّ » .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٤٥٦ / ٦ ) ، تفسير القرطبي ( ٢٣٦ / ١٢ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ٢٦٢ ) ، حجة أبي زرعة ( ص : ٤٩٩ ) الدر المصون للسمين الحلبي ( ٢٢٠ / ٥ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٤٥٦ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٦٨ / ٣ ) ، النشر لابن الجزري ( ٣٣٢ / ٢ ) .

(٥) سورة النور ، الآية ( ٨ ) .

(٦) سورة النازعات ، الآيتان ( ٢٧ ، ٢٨ ) .

(٧) سورة البقرة ، الآية ( ١٢٧ ) .

(٨) رواه الطبري في تفسيره ( ١٤٥ / ١٨ ) وقال : « وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب القول الذي قاله مجاهد وهو أن معناه أذن الله أن ترفع بناء ؛ كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ﴾ وذلك أن ذلك هو الأغلب من معنى الرفع في البيوت والأبنية » .

(٩) قرأ ابن عامر وشعبة عن عاصم « يَسْبَحُ » ، وقرأ الباقون « يَسْبَحُ » . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٤٥٨ / ٦ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ٢٦٢ ) ، حجة أبي زرعة ( ص : ٥٠١ ) الدر المصون للسمين الحلبي ( ٢٢١ / ٥ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٤٥٦ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٦٨ / ٣ ) ، النشر لابن الجزري ( ٣٣٢ / ٢ ) .

مرفوع بما دل عليه ﴿يُسَيِّحُ﴾ أي: يسبحه رجال. ﴿وَالْأَصَالِ﴾ جمع أصيل، وهو العشي وقرئ (بالإيصال) <sup>(١)</sup> وهو الدخول في الأصيل. التجارة: صناعة التاجر، وهو الذي يبيع ويشترى للربح، ويجوز أن يريد: لا يشتغلون بالتجارة؛ لأنه لا مال لهم فيتجرون به، ويحتمل أن يشتغلوا (١٤٢/ب) بالتجارة، ولكن لا يشغلهم ذلك عن ذكر الله.

﴿رِجَالٌ لَا نُلْهِمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَلْقَبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ۗ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلَهُمْ كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَقًّا إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۗ﴾

﴿وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾ أصله: إقامة الصلاة. وتقلب القلوب والأبصار أي: زاغت عن محلها كقوله: ﴿وَإِذَا زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ <sup>(٢)</sup> ويحتمل أن يقال: صارت بصيرة بعد أن كان مغشياً عليها، والقلوب صارت مبصرة بعد أن كانت مختوماً عليها. ﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ أي: أحسن جزاء أعمالهم. ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا﴾ أي: يخافون عقابه. السراب: ما يرى وقت الهجرة، كأنه ماء يتسرب على وجه الأرض. والقيعة: بمعنى القاع، أو جمع قاع، وهو المنبسط المستوي من الأرض، كالجيرة في جمع جار، وقرئ (بقيعات) بقاء ممدودة <sup>(٣)</sup> كديمات وقيمات، شبه ما يعمله من لا يتبع الإيمان، ولا يعتقد الحق من الأعمال الصالحة التي يحسبها تنفعه عند الله، وتنجيه من عذابه، ثم يخيب في العاقبة أمله، ويلقى خلاف ما قدر - بسراب يراه الكافر بالساهرة، وقد غلبه عطش يوم القيامة فيحسبه ماءً، فيأتيه فلا يجد ما رجا، ويجد زبانية الله عنده فيعتلونهم إلى جهنم، فيسقونه الحميم والغساق، وهم الذين قال الله - تعالى - فيهم: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ <sup>(٤)</sup> ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِن عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ <sup>(٥)</sup> ﴿أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ <sup>(٦)</sup> فقييل: نزلت في

(١) قرأ بها ابن مجلز وسعيد بن جبير. تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٤٥٨)، الكشاف للزمخشري (٣ / ٦٨)، المحتسب لابن جني (٢ / ١١٣).

(٢) سورة الأحزاب، الآية (١٠).

(٣) قرأ بها مسلمة بن محارب. تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٤٦٠)، تفسير القرطبي (١٢ /

٢٨٣)، الدر المصون للسمن الحلي (٥ / ٢٢٢)، فتح القدير للشوكاني (٤ / ٣٩)، الكشاف

للزمخشري (٣ / ٦٩)، المحتسب لابن جني (٢ / ١١٣).

(٤) سورة الكهف، الآية (١٠٤).

(٥) سورة الفرقان، الآية (٢٣).

(٦) سورة إبراهيم، الآية (١٨).

عتبة بن ربيعة كان قد تنصّر في الجاهلية ولبس المسوح ، وطلب الدين الحق ، فلما جاء النبي ﷺ كفر به (١) .

﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرِ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ، مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ، سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُهُ، لَمْ يَكْذِبْنَهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَفَّتْ كُلُّ قَدِّعِلْمٍ صَلَاتَهُ، وَتَسْبِيحَهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ، ثُمَّ يُجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ، وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِزَابًا فِيهَا مِن بُرْرٍ فَيُصِيبُ بِهِ، مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ، عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ، يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾﴾

اللجج: العميق الكثير الماء، وفي ﴿أَخْرَجَ﴾ ضمير الواقع فيه دل عليه السياق، كقوله: ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ (٢) يعني الشمس ، ولم تذكر قبل ﴿لَمْ يَكْذِبْنَهَا﴾ أي: لم يرها ولا قُرْبَ من رؤيتها ، شبه أعمالهم أولاً في فوات نفعها وحصول ضررها بسرابٍ لم يجده من خدعه من بعيد شيئاً ، ثم وجد الزبانية عنده ، فألقوه في النار، وشبهها ثانياً في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة ، وفي خلوها عن نور الحق - بظلمات متراكمة من لجج البحر والأمواج والسحاب . وقرئ ﴿سَحَابٌ﴾ بالرفع والتنوين و﴿ظُلُمَاتٌ﴾ بالجر والتنوين (٣) بدل من قوله ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ﴾ .

قوله - عز وجل: ﴿كُلُّ قَدِّعِلْمٍ﴾ (٤٣/١) أي: قد علم الله صلاة ذلك الطائر وتسيحه.

وقيل: كل طيرٍ قد علم ما وظف عليه من التسيح والصلاة فقام به ولم يؤخره، والله - تعالى - أهم هذه الحيوانات تعظيمه كما أهمها مصالحها.

﴿يُزْجِي﴾ يسوق ﴿رُكَامًا﴾ بعضه فوق بعضٍ و﴿الْوَدْقَ﴾ المطر ، و﴿يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٣ / ١٣٤) وفيه « شبيهة » بدل عتبة .

(٢) سورة ص ، الآية (٣٢) .

(٣) قرأ قبل « سحابٌ ظلماتٍ » ، وقرأ البزي « سحابٌ ظلماتٍ » ، وقرأ جمهور العشرة « سحابٌ ظلماتٌ » .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٤٦٢) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٢٦٣) ، حجة أبي زرعة (ص : ٥٠٢) الدر المصون للسمن الحلبي (٥ / ٢٢٣) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٤٥٧) ، الكشاف للزنجشيري (٣ / ٧٠) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٣٢) .

على زيادة الباء ؛ كقوله : ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَىٰ﴾<sup>(١)</sup> فإن قلت : متى رأى رسول الله ﷺ تسبيح من في السماوات والأرض والطير ودعاءه ، وتنزيل المطر من جبال برد في السماء حتى قيل له : ﴿الزتر﴾ ؟ قيل : علم ذلك من جهة الوحي .

فإن قلت : ما الفرق بين ﴿مِنْ﴾ الأولى والثانية والثالثة ؟ قلت : الأولى لابتداء الغاية ، والثانية للتبويض ، والثالثة لبيان الجنس . وقوله : ﴿مِنْ جِبَالٍ﴾ يجوز أن يخلق الله - تعالى - في السماء جبالات من برد ، كما خلق في الأرض جبالات من حجر ، ويحتمل أن يراد بالجبل الكثرة ، تقول : عند فلان جبال من ذهب .

﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾<sup>(٤٤)</sup> وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَىٰ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾

ولما كان اسم الدابة يقع على من يعقل ومن لا يعقل غلب ما يعقل في قوله : ﴿فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ﴾ و﴿مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ﴾ وهما لا يعقلان ، فقال فيهما : ﴿مَّن﴾ والقياس : ما يمشي .

وخلق الله - سبحانه وتعالى ﴿مِّن مَّاءٍ﴾ هو النطفة ؛ كقوله : ﴿يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَحِدٍ وَنُفَّضَلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ﴾<sup>(٢)</sup> وسمى الزحف على البطن مشياً استعارة ؛ كقولك : مشى هذا الأمر . وقوله : ﴿وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ إشارة إلى القائلين : (آمنا وأطعنا) أو إلى المعرضين منهم ، وعرف المؤمنين إشارة إلى أنهم ليسوا بالكاملين في الإيمان المطيعين للأوامر . معنى ﴿إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي : إلى رسول الله - ﷺ - كقولك : أعجبني زيد وكرمه ، أي : كرمُ زيد ، ومنه قوله [ من الرجز ] :

عَجِبْتُ مِنْ نَفْسِي وَمِنْ إِشْفَاقِهَا<sup>(٣)</sup>

(١) سورة البقرة ، الآية (١٩٥) .

(٢) سورة الرعد ، الآية (٤) .

(٣) ينظر بلا نسبة في : غريب الحديث لابن قتيبة (١ / ٢٦٣) وتكملته ومناسبه قال ابن قتيبة :



وروي أنها نزلت في بشر المنافق خاصم رجلاً من اليهود ، فطلب اليهودي المحاكمة عند النبي ﷺ وطلب المنافق عند كعب بن الأشرف ؛ لعلمه أن كعباً يقبل الرشا<sup>(١)</sup>.

﴿ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾<sup>(٤٩)</sup> أَيْ قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ أَرْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ. بَلْ أَوْلِيَتْكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَوْلِيَتْكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾

قوله تعالى: ﴿يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ الجار والمجرور متعلق بـ «يَأْتُوا» وأتى وجاء سُمِعَا متعددين. وقيل: متعلق بـ «مُذْعِنِينَ». قسم الأمر في إعراضهم بين أن يكونوا مرتابين في قلوبهم مرض، أو يخافوا منك الحيف عليهم، ثم إنه أبطل خوفهم وبين أن تأخرهم (ب/١٤٣) عن طاعته ما كان إلا ظلماً بقوله: ﴿بَلْ أَوْلِيَتْكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قرئ بالرفع والنصب<sup>(٢)</sup> على اسم كان وخبرها، والنصب أفصح؛ لأن قوله: ﴿أَنْ يَقُولُوا﴾ أدخل في التعريف؛ لأنه لا يمكن تنكيره.

فإن قلت: ما فاعل «لِيَحْكُمَ»؟ قلت: هو إيقاع الحكم؛ كقولك: فرق بينهما وجمع بينهما ومثله ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ في قراءة النصب<sup>(٣)</sup> أي: أوقع التقطيع. ﴿وَيَتَّقَهُ﴾ قرئ بكسر الهاء ليتولد منها ياء، وقرئ بحذف الياء، وقرئ بسكون القاف<sup>(٤)</sup> شبه «تَقَهُ» بـ

= ومثل قول الأعرابي - وكان يطرد الطير عن زرع في سنة جذب [من الرجز] - :

عجبت من نفسي ومن إشفاقها  
ومن طراذي الطير عن أرزاقها  
في سنة قد كشفت عن ساقها  
حمراء تبرى اللحم عن عراقها  
والموت في عنقي وفي أعناقها

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة النساء، الآية (٦٠).

(٢) قرأ جمهور القراء «قول» بالنصب، وقرأ علي والحسن وابن أبي إسحاق «قول» بالرفع، وذلك على أنه الاسم و«أن» المصدرية وما في حيزها: الخبر. تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٤٦٨)، تفسير القرطبي (١٢ / ٢٩٥)، الحجة لابن خالويه (ص: ٢٦٤)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢٢٨)، الكشاف للزنجشري (٣ / ٧٢)، المحتسب لابن جني (٢ / ١١٥).

(٣) تقدم تخريجها في سورة الأنعام، الآية (٩٤).

(٤) قرأ أبو عمرو البصري وشعبة «يَتَّقَهُ» وقرأ حفص عن عاصم «يَتَّقَهُ» وقرأ ابن كثير وورش وابن ذكوان وخلف عن حمزة وعن الكسائي «يَتَّقَهُ» مع إشباع الهاء. تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان =

«كَيْفَ» فسكن أوسطه ، كـ«كَيْفَ» في «كَيْفَ» وقال الشاعر [ من الرجز ] :

قالت سُلَيْمَى اشتر لنا سويقاً<sup>(١)</sup>

وعن ابن عباس: « ومن يطع الله في فرائضه، ورسوله في سننه، ويخش الله على ما مضى من ذنوبه، ويتقه فيما يستقبل<sup>(٢)</sup> ».

وسأل بعض الملوك عن آية كافية ، فقيل له هذه .

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

قوله - عز وجل: ﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أي: بلغوا الجهد فيها، ومن قال: بالله فقد وفى باليمين جهده. وأصله: أقسم بجهد نفسه في اليمين جهداً وحكم. قوله: ﴿جَهْدًا﴾ أي: جاهداً حال من فعل مضمر، أي: أقسم جاهداً.

قوله - عز وجل: ﴿طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ﴾ ذلك كذب؛ لأنهم يفعلون ما لا يوافق قولهم من المخالفة. وقيل: هو من كلام الله ، أي: طاعة معروفة صحيحة خير لكم من الافتراء.

= ( ٤٦٨ / ٦ ) ، حجة ابن خالويه (ص : ٢٦٣ ) ، حجة أبي زرعة (ص : ٥٠٣ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٢٢٨ / ٥ ) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٤٥٧ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٧١ / ٣ ) ، النشر لابن الجزري ( ١ / ٣٠٦ - ٣٠٧ ) .

( ١ ) هذا صدر بيت لرجل من كندة وعجزه :

..... وهاتِ خبز البرِّ أو دقيقاً .

ويروى : قالت لُبَيْبَى ..... وهاتِ بُرِّ البخسِ .....

ينظر في: تاج العروس للزبيدي (بخس) ، تفسير القرطبي (١/ ٤٤٠) ، روح المعاني للألوسي (١٨/ ١٩٩) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٢٤٩) ، لسان العرب (بخس) والسويق: ما كانت تعمله العرب من الحنطة والشعير. والبخس: الأرض التي تنبت من غير سقي.

( ٢ ) ذكره الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٢٥٠ ) .

وقرأ اليزيدي ( طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ ) بالنصب<sup>(١)</sup> على معنى: فأطيعوا، صرف الكلام عن الغيبة إلى الخطاب التفاتاً وهو أبلغ في تبيكيتهم . ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ ﴾ فإن توليتم فما ضررتموه، وإنما ضررتم أنفسكم، فإنه ما على الرسول سوى إبلاغ ما حُمِّلَ ، وما له نفع في قبولكم في طلب عَرَضٍ من أعراض الدنيا . ومعنى كون البلاغ مبيناً أنه قامت على تصديقه الحجج والبيانات ، وأن يمكن الدين المرتضى .

قوله - عز وجل: ﴿ مِنْكُمْ ﴾ لبيان الجنس، كالتي في آخر سورة الفتح<sup>(٢)</sup> وقوله: ﴿ لَيْسَتْ خَلْفَتُهُمْ ﴾ اللام فيها جواب قسم محذوف، أي: والله ليست خلفتهم. وقيل: جعل وعده بذلك بمنزلة المقسم عليه فتلقى باللام كما يتلقى القسم. ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ ﴾ النبي والصحابة، أي: أن يجعلهم خلفاء الأرض، ويذهب عنهم ما كانوا عليه من خوفٍ ، فإن الصحابة كانوا بمكة في خوفٍ ، وكذلك في أوائل قدومهم إلى المدينة لا يخلون من لباس السلاح ، فقال رجل: أترى (١٤٤/أ) يخلص لنا يوم نسلم فيه من لباس السلاح ، فقال النبي ﷺ: « لا يمضي عليكم إلا زمنٌ قليلٌ حتى يجلس أحدكم في ملاءٍ عظيمٍ ينصر الحق وأهله<sup>(٣)</sup> . وصدق الله وعده، وأعطاهم ملك الأكاسرة، وملكوا خزائنهم.

وقوله: ﴿ يَعْبُدُونِي ﴾ يجوز أن يكون مستأنفاً لا موضع له من الإعراب، ويجوز أن يكون حالاً، أي: وعدهم بذلك عابدين غير مشركين ﴿ وَمَنْ كَفَرَ ﴾ أي: هذه النعم. ﴿ الْفَاسِقُونَ ﴾ الكاملون في الفسق. وفي هذه الآية دليل على أن الخلفاء الأربعة داخلون في هذا الوعد. أو: هم المقصودون به ؛ فإن الله - تعالى - استخلفهم ومكنهم فعدلوا .

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٥٦) لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ مِنَ النَّارِ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾

﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾<sup>(٤)</sup> أن أحداً يعجز الله، أو لا يحسبن الذين كفروا

(١) وقرأ بها أيضاً زيد بن علي على المصدر لفعل محذوف أي: أطيعوا طاعةً، وقراءة الجمهور « طاعةً معروفةً » تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٤٦٨) ، الدر المصون للسمن الحلبي (٥ / ٢٣١) ، فتح القدير للشوكاني (٤ / ٤٦) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٧٣) .

(٢) في قوله - تعالى: ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ، الآية (٢٩) .

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٢١٥) ونسبه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن أبي العالية .

(٤) قرأ حمزة وابن عامر « يحسبن » بياء الغيبة، وقرأ باقي العشرة « تحسبن » بقاء الخطاب . تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٤٧٠) ، حجة ابن خالويه (ص: ٢٦٣) ، حجة أبي زرعة (ص: ٥٠٤) ، الدر

المصون للسمن الحلبي (٥ / ٢٣٢) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٥٢) .

أنفسهم معجزين.

أمر بأن يستأذن العبيد. وقيل: العبيد والإماء والصغار ثلاث مرّات في اليوم واللييلة؛ لأنها أوقات نوم، وربما دخل في شيء من هذه الأوقات فتبينت له بعض عورة النائم، فأمروا بالتحفظ، وسُمّي كلُّ وقت من هذه الأوقات عورة لخللها، والعورة الخلل، ثم بين العذر في جواز الدخول للمذكورين فيما سوى هذه الثلاثة بقوله: ﴿طَوَّفُونَ عَلَيْكُمْ﴾ يعني: أن بكم وبهم حاجة إلى الدخول؛ لأنهم طوافون عليكم.

روي أن مدلج بن عمرو كان غلاماً أنصاريّاً أرسله رسول الله - ﷺ - وقت الظهر إلى عمر ﷺ، فدخل عليه وهو نائم، وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر ﷺ: لوددت أن الله - عز وجل - نهى آباءنا وأبناءنا وخدمنا عند الدخول علينا هذه الساعة إلا بإذن، ثم انطلق معه إلى النبي ﷺ فوجده وقد أنزلت عليه هذه الآية<sup>(١)</sup>، وهي إحدى الآيات الثلاثة المنزلة بسبب عمر<sup>(٢)</sup>.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَشْفِزِينَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّفُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَشْفِزُوا كَمَا اسْتَشْفِزَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾

﴿الْحُلُمُ﴾ بسكون اللام<sup>(٣)</sup> وقرئ (ثلاث عورات) بالنصب بدلاً عن ﴿ثلاث مرّات﴾ أي

(١) رواه الواحدي في أسباب النزول (٣٣٩) (٦٤٨)، والماوردي في النكت والعيون (٣ / ١٤٠)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٥٥) لابن أبي حاتم.

(٢) روى البخاري في صحيحه رقم (٣٨٧) عن أنس قال: قال عمر: « وافقت ربي في ثلاث؛ فقلت: يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فنزلت ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥] وآية الحجاب قلت: يا رسول الله لو أمرت نساءك أن يحتجبن فإنه يكلمهن البر والفاجر فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه فقلت لهن: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ﴾ [التحریم: ٥] فنزلت هذه الآية.»

(٣) قرأ بها الحسن وأبو عمرو في رواية. تنظر في: البحر لأبي حيان (٦ / ٤٧٢)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢٣٤)، الكشاف للزخشري (٣ / ٢٥٣).

أوقات ثلاث عورات. وعن الأعمش<sup>(١)</sup> (عَوْرَاتٍ) بفتح الواو علي لغة هذيل ومحل ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ﴾ علي قراءة (ثلاث عَوْرَاتٍ) بالرفع<sup>(٢)</sup> الرفع علي الوصف، وإذا نصبت لم يكن له محل، وكان كلاماً مقررراً للأمر بالاستئذان في تلك الأحوال خاصة.

وقوله: ﴿بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ ويجوز أن يرتفع ﴿بَعْضُكُمْ﴾ بـ (يطوف) مضمراً لدلالة ﴿طَوَّفُوكَ﴾ عليه (١٤٤/ب) ﴿الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ﴾ أي: من الأحرار دون المماليك.

﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ بلغوا الحلم من قبلهم أو الذين ذكروا من قبلهم في قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ الآية<sup>(٣)</sup> وهذه الآيات مما الناس عنه في غفلة، وهو عندهم كالشريعة المنسوخة، وعن ابن عباس: «ثلاث آيات جحدهن الناس: الإذن كله، وقوله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ﴾<sup>(٤)</sup> فقال الناس: أعظمكم بيتا، وقوله: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ﴾<sup>(٥)</sup>.

﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٦)</sup> لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَنْفُسِ كُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا

(١) هو سليمان بن مهران الإمام شيخ الإسلام شيخ المقرئين والمحدثين أبو محمد الأسدي الأعمش، كان من النساك وكان محافظا على الصلاة في جماعة وعلى الصف الأول وهو علامة الإسلام، له قراءة شاذة ليس طريقها بالمشهور، مات الأعمش في ربيع الأول سنة ثمان وأربعين ومائة بالكوفة. تنظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء للذهبي (٦ / ٢٢٦).

(٢) قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية شعبة عنه وخلف «ثلاث» وقرأ باقي العشرة «ثلاث» وقرأ الأعمش «عورات». تنظر في: البحر المحيط لأبني حيان (٦ / ٤٧٢)، حجة ابن خالويه (ص: ٢٦٤)، حجة أبي زرعة (ص: ٥٠٥)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢٣٥)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٤٥٩)، الكشاف للزغشري (٣ / ٧٥)، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٣٣).

(٣) سورة النور، الآية (٢٧).

(٤) سورة الحجرات، الآية (١٣).

(٥) سورة النساء، الآية (٨) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥ / ١٠٢)، وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس - رضي الله عنهما.

مَلَكَكُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١﴾

﴿وَالْقَوَاعِدُ﴾ أي: عن الحيض والولد غير طامعات في التزويج. ﴿وَأَنْ يَسْتَغْفِرَ﴾ أي: عن وضع الثياب، وأراد بالتبرج إظهار ما يجب إخفاؤه والبرج: سعة العين. كان المسلمون يذهبون بالضعفاء وأصحاب العاهات إلى منازلهم ليصيبوا من طعامهم. وقيل: كانوا يذهبون بأصحاب العاهات إلى منازل أقاربهم فيأكلوا من طعامهم، فخاف الآكلون أن يلحقهم حرج في ذلك فنزلت<sup>(١)</sup>.

وقيل: كان الرجل يسافر ويدع على منزله واحداً من هؤلاء، وترك بعضهم رجلاً يقال له: مالك ابن زيد في بيته، فلما جاء صاحب المنزل وجد مالكا مهزولاً فقال: ما أصابك؟ فقال: لم يكن عندي شيء، ولا يحل أكل مالك بغير إذنك، فنزلت<sup>(٢)</sup>.

وقيل: ليس على هؤلاء حرج في ترك الجهاد. فإن قلت: ما وجه دخول ترك الجهاد في هذه الآية؟ قلت: هما يشتركان في نفي الحرج. وقيل في القول الأول: إن مجالسة هؤلاء وقت الأكل قد تكره، أما الأعمى فلأنه قد تسبق يده إلى ما سبقت إليه عين غيره، وأما الأعرج فلأنه يتفجع في جلوسه، وأما المريض لا يخلو من رائحة من فيه أو أذنه أو جرح يسيل في باطنه. فإن قلت: لِمَ لَمْ يذكر الأولاد؟ قلت: قد دخلوا في قوله: ﴿مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ لأن ولد الرجل بعضه، وحكمه حكم نفسه.

﴿مَلَكَكُمْ مَفَاتِحَهُ﴾ أي: إذا كان ماله تحت يدك ومفاتيحه عندك فلا جناح عليك أن تشرب من لبن ماشيته، وتأكل من ثمرة بستانه. وقيل: بيوت المماليك؛ لأن مال العبد لمولاه. قوله - عز وجل. ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ أي: أصدقاؤكم. والصديق والرفيق يخبر به عن الواحد والجمع، ومنه قوله - تعالى: ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾<sup>(٣)</sup> ولم يقل: رفقاء.

(١) روى ذلك الطبري في تفسيره (١٨ / ١٦٩)، والماوردي في النكت والعيون (٣ / ١٤٢).

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٢٢٥) ونسبه للثعلبي عن ابن عباس، وفيه «خالد بن زيد» بدل «مالك».

(٣) سورة النساء، الآية (٦٩).

ويحكى عن الحسن: «أنه دخل (١٤٥/أ) داره فوجد جماعة من أصدقائه قد أخرجوا سلالاً من تحت سريره فيها أنواع من الحلوى وهم مكبون يأكلون، فتغرغرت عيناه وقال: هكذا وجدناهم، هكذا وجدناهم» يعني: كبار الصحابة. وكان الرجل منهم يدخل دار صديقه وهو غائب فيسأل جاريتة عن كيسه فيأخذ ما شاء منه، فإذا حضر مولاهما فأخبرته أعتقها سروراً بذلك<sup>(١)</sup>. وقالوا إذا دلت قرينة الحال على الإذن قام ذلك مقام الإذن الصريح، وربما قبح الاستئذان واستكره كمن قُدِّمَ إليه طعامٌ فاستأذن صاحبه في الأكل منه. قيل: كان بنو الليث بن عمرو من كنانة يتخرجون أن يأكل أحدهم وحده، فربما قعد منتظراً نهاره إلى الليل، فإن لم يجد من يؤاكلة أكل ضرورة. وقيل: في قوم من الأنصار إذا نزل بهم ضيف لا يأكلون إلا مع ضيفهم. وقيل: تخرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الأكل، وزيادة بعضهم على بعض<sup>(٢)</sup>.

فإذا دخلتم بيتاً من هذه البيوت فسلموا على أهلها ﴿تَحِيَّةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ مشروع من جهته وعن أنس بن مالك قال: «أوصاني رسول الله - ﷺ - بثلاث خصال؛ أن أسلم على من لقيته من المسلمين، وإذا دخلت بيتي أن أسلم عليهم يكثر خير أهل البيت وبصلاة الضحى فإنها صلاة الأوابين». وإذا لم يكن في البيت أحد فليقل: السلام علينا من ربنا، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، السلام على أهل البيت ورحمة الله<sup>(٣)</sup>. وعن ابن عباس: «إذا دخلت المسجد فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»<sup>(٤)</sup>.

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣ / ٢٥٧).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٨ / ١٧٣) وقال: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن يقال: إن الله وضع الحرج عن المسلمين أن يأكلوا جميعاً إذا شاءوا أو أشتاتاً متفرقين إذا أرادوا وجائز أن يكون ذلك نزل بسبب من كان يتخوف من الأغنياء الأكل من الفقير وجائز أن يكون نزل بسبب القوم الذين ذكر أنهم كانوا لا يطعمون وحدانا وبسبب غير ذلك ولا خبر بشيء من ذلك يقطع العذر ولا دلالة في ظاهر التنزيل على حقيقة شيء منه والصواب التسليم لما دل عليه ظاهر التنزيل والتوقف فيما لم يكن على صحته دليل».

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٢٢٧) ونسبه للبزار وابن عدى والبيهقي في شعب الإيمان.

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٨ / ١٧٤)، والحاكم في المستدرک على الصحيحين (٢/٤٣٦)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٢٢٧) ونسبه لعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي. قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٣﴾ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ۚ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٤﴾ ۚ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۗ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾﴾

بَيِّن - سبحانه - عظم الذنب في القيام عن مجلس رسول الله ﷺ بغير إذنه، وذلك بتقديم «إنما» الدالة على الحصر، وقرن ذلك الوصف بالإيمان بالله والرسول، ثم أعاده على نمط آخر بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ والامر الجامع: الذي يجتمع الناس عليه، فجعل الامر جامعاً مجازاً والامر المهم اجتماع الكبراء في قصد عدو، أو في نقض عهد. وقيل: نزلت في حفر الخندق، وكان قوم يتسللون ذاهبين بغير إذن وقالوا: كذلك ينبغي أن يكون الناس (١٤٥/ب) مع أئمتهم، ولا يذهبون عنهم بغير إذنه، ولا ينادوه باسمه، فيقولوا: يا محمد، بل: يا رسول الله، ويا نبي الله، أو: لا تهملوا وجوب حضوركم إليه ودعائه إياكم ﴿كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ إن شئتم أجبتهم، وإن شئتم تركتم. ومعنى ﴿الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ أي: يصدون، تقول: خالفت الرجل إلى المنزل أي: ذهبت إليه ولم يذهب هو. وقوله: ﴿عَنْ أَمْرِهِ﴾ الضمير عائد إلى الله. وقيل: إلى الرسول.

وقوله - عز وجل: ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ دخلت (قد) للتكثير. كما إذا دخلت ﴿مَا﴾ على (رُبَّ) صارت للتكثير. ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوِ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقول الشاعر [ من البسيط ]:

قَدْ أَتْرَكَ الْقِرْنَ مُصْفَرًا أُنَامِلُهُ .....<sup>(٢)</sup>

[ ومن الطويل ]:

(١) سورة الحجر، الآية (٢).

(٢) تقدم في تفسير سورة البقرة، الآية (١٤٤).



(١) .....

وقد أعتدي والطير في وكناتها

لم يُرد القلة في شيء من ذلك.

\*\*\*

## سورة الفرقان [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (١) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ  
دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ  
مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾

البركة: الخير وزيادته، وفيه معنيان: أحدهما: تكاثر خير الذي نزل الفرقان.

والثاني: تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله.

و﴿الْفُرْقَانَ﴾ مصدر فرق؛ كالغفران والشكران، وسمي به القرآن؛ لأنه فرق بين الحق  
والباطل، أو لأنه نزل مفرقا مفصلاً؛ لقوله: ﴿وَقَرَأْنَا مَا فَرَقْتَهُ﴾ الآية (١).

وقرئ (على عبادِهِ) (٢) يعني النبي ﷺ وأُمَّته؛ لقوله: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا﴾ (٣)  
﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ (٤). ﴿لِيَكُونَ﴾ الرسول أو القرآن، ويعضد عوده إلى القرآن  
قراءة من قرأ "على عبادِهِ".

﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ الجن والإنس ﴿نَذِيرًا﴾ بمعنى: منذراً، أي: مخوفاً أو إنذاراً كالنكير بمعنى  
الإنكار، ومنه ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ (٥) ﴿الَّذِي لَهُ﴾ رفع على الإبدال من ﴿الَّذِي نَزَّلَ﴾  
أو على المدح، أو نصب عليه، وجاز الفصل بين البديل والمبدل منه؛ لأنه ليس بأجنبي. فإن  
قلت: في الخلق معنى التقدير فكيف قال بعده: ﴿فَقَدَرَهُ﴾؟

(١) سورة الإسراء، الآية (١٠٦).

(٢) قرأ بها عبد الله بن الزبير. تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٦/٤٨٠)، الكشاف للزمخشري

(٣/٢٦٢)، المحتسب لابن جني (٢/١١٧)، النكت والعيون للماوردي (٣/١٤٨).

(٣) سورة الأنبياء، الآية (١٠).

(٤) سورة البقرة، الآية (١٣٦).

(٥) سورة القمر، الآية (١٦).

قلتُ: الخلق فيه معنى التقدير فكأنه قال: قدر كل شيء، يعني: أحدث كل شيء على مقتضى الحكمة أي: أوجده غير متفاوتٍ . وقيل: معناه فقدر له مدة لبقائه. ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾ لا تقدر على جلب نفع ولا (أ/١٤٦) دفع ضرر ولا إيجاد مخلوق.

﴿وَلَا يَمْلِكُونَ﴾ إحياء ولا إماتة.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾<sup>(٤)</sup> وَقَالُوا اسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَبَهَا فِيهِ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾

﴿قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ اليهود. وقيل: عدّاس مولى حويطب بن عبد العزى، ويسار مولى العلاء بن الحضرمي، وأبو فكيهة الرومي قال ذلك النضر بن الحارث<sup>(١)</sup>. جاء وأتى يستعملان بمعنى فعل فيعديان تعديته، ويجوز أن يكون بمعنى ورد ظلماً، تقول: جئت المكان، ويجوز أن يحذف الجار، أي: جاءوا بظلم وزور، وظلمهم أن جعلوا أفصح العرب يتلقى من الرومي وقد أتاهم بكتاب أعجز العالم بفصاحته، والزور: نسبتهم إياه إلى الافتراء الذي هو بريء منه.

﴿اسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أحاديث سطرها المتقدمون، كأحاديث رستم واسفنديار<sup>(٢)</sup>، جمع أسطورة، كأحدثة. ﴿أَكْتَبَهَا﴾ أي: استدعى كتابتها لنفسه، وقرئ (اكتُبَهَا) على البناء للمفعول<sup>(٣)</sup> أي: كتبها له كاتب؛ لأنه كان أمياً لا يكتب ﴿تُمْلَى عَلَيْهِ﴾ أي: تلقى عليه ليحفظها؛ لأن صورة الإلقاء على الحافظ كصورة الإلقاء على الكاتب.

وعن الحسن أنه قول الله - سبحانه - يكذبهم، وإنما يستقيم أن لو فتحت الهمزة على الاستفهام في معنى الإنكار<sup>(٤)</sup> كقول الشاعر [ من المنسرح ]:

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٨ / ١٨٢).

(٢) من ملوك الفرس.

(٣) قرأ بالبناء للمجهول طلحة بن مصرف.

تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٤٨٢)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢٤٣)، فتح القدير

للسوكاني (٤ / ٦١)، الكشاف للزنجشيري (٣ / ٢٦٤)، المحتسب لابن جني (٢ / ١١٧).

(٤) قاله الزنجشيري في الكشاف (٣ / ٢٦٤).

أَفْرَحُ أَنْ أُرْزَأَ الْكِرَامَ وَأَنْ أُرْزَقَ ذَوْدًا شَصَائِصًا نَبِيلاً<sup>(١)</sup>

﴿ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾<sup>(٦)</sup> وَقَالُوا مَا لِي هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا<sup>(٧)</sup> أَوْ يُنْفِثُ إِلَيْهِ كَنْزًا أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا<sup>(٨)</sup> أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلِ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا<sup>(٩)</sup> تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا<sup>(١٠)</sup> ﴿

﴿ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي: يعلم كل سر خفي فيهما، ومنه كيدهم برسول الله ﷺ وتمحلهم للطعن في الدين.

فإن قلت: كيف طابق قوله: ﴿ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ هذا المعنى؟ قلت: من عاداته - سبحانه وتعالى - أن يقرن الوعد بالوعيد أو: غفور رحيم لم يعاجل بالعقوبة على ما صنعتوه، لكنه أمهل وما أهمل.

﴿ مَا لِي هَذَا ﴾ وقع في المصحف فصل اللام عن الهاء، والأصل وصلها، وخط المصحف سنة لا تغير. وقولهم " ما لهذا " : فيه تحقير واستهانة بجانب النبوة ومثله قوله - تعالى: ﴿ أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ ﴾<sup>(٢)</sup> وتسميته بالرسول سخرية منهم، ومنه قول فرعون: ﴿ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾<sup>(٣)</sup>.

و ﴿ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ لطلب المعاش، يعنون أنه كان يجب أن يكون ملكاً مستغنياً عن ذلك، ثم نزلوا فقالوا: ﴿ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴾ (١٤٦ / ب).

قوله - عز وجل: ﴿ وَقَالَ الظَّالِمُونَ ﴾ وضع للظاهر موضع المضمرة والنصب في " فَيَكُونُ " جواب ﴿ لَوْلَا ﴾ التي للتحضيض. القائلون كفار قريش؛ النضر بن الحارث وعبد

(١) البيت لحضرمي بن عامر يخاطب جزء بن سنان حين اتهمه بسروره بأخذ دية أخيه المقتول.  
ينظر في: تاج العروس للزبيدي (شخص)، تهذيب اللغة للأزهري (١١ / ٢٦٣)، جهرة اللغة (ص: ٣٧٩)، العين المنسوب للخليل (٨ / ٣٢٩)، الكشاف للزنجشيري (٣ / ٢٦٤)، لسان العرب (شخص)، مقاييس اللغة (٥ / ٣٨٣) ويروى " أورث " بدل " أرزق ". أي: أفرح أن أعطى قطيعاً من الإبل بعد موتهم، والذود: ما بين الثلاثة إلى العشرة وعبر بها عن الدية استقلالاً وتحقيراً لها، والشصائص: جمع شصوص وهي الناقة قليلة اللبن، والنبل: جمع النبل وهو الصغير من الإبل.

(٢) سورة الأنبياء، الآية (٣٦).

(٣) سورة الشعراء، الآية (٢٧).

الله بن أبي أمية ونوفل بن خويلد ومن ضامهم. ﴿مَسْحُورًا﴾ سَجِرَ فَعُلِبَ على عقله، أو ذا سَحَر وهو الرثة، عنوا أنه بشر لا ملك.

﴿ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ﴾ أي: قالوا فيك تلك الأقوال ﴿فَضَلُّوا﴾ عن طريق الحق فلا يجدون طريقاً إلى سلوكه. جاء بكل بركة ﴿الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا﴾ وقرئ (ويجعل) بالرفع عطفاً على ﴿جَعَلَ﴾ لأن الشرط إذا كان ماضياً جاز في جزائه الجزم والرفع<sup>(١)</sup> وقرئ بالنصب<sup>(٢)</sup> على أنه جواب الشرط بالواو.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ (١١) إِذَارَاتُهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا (١٢) وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا (١٣) لَا نَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا (١٤)

﴿بَلْ كَذَّبُوا﴾ أي: أتوا بما هو أشد من ذلك كله وهو تكذيبهم بالبعث ﴿سَعِيرًا﴾ النار الشديدة الاستعار. وقيل: هو اسم من أسماء جهنم. ﴿إِذَارَاتُهُمْ﴾ من قولك: دورهم تترأى أي: تتقابل، ومنه قوله ﷺ: "لا تراءى ناراهما"<sup>(٣)</sup>.

كان بعضها يرى بعضاً على سبيل المجاز، والمعنى: إذا قربت منهم سمعوا صوت غليانها، وشبهه بصوت المتغيظ والزافر ويجوز أن يراد: إذا رأتهم زبانتها تغيظوا وزفروا غضباً. والكرب مع الضيق كما أن الفرج مع السعة، ولهذا قال ﴿مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ ووصف الله الجنة

(١) ينظر: الإنصاف لابن الأنباري (٢ / ٦٢٨)، شرح ابن عقيل للألفية (٤ / ٣٥)، المغني لابن هشام (١ / ٥٠٥).

(٢) قرأ ابن كثير وابن عامر وشعبة عن عاصم (ويجعل) وقرأ الباقر (ويجعل). وقرأ عبد الله بن موسى وطلحة بن سليمان (ويجعل).

تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٤٨٤)، حجة ابن خالويه (ص: ٢٦٤)، حجة أبي زرعة (ص: ٥٠٨)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢٤٤)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٤٦٢)، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٦٦)، معاني القرآن للفراء (٢ / ٢٦٣)، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٣٣).

(٣) رواه أبو داود في سننه رقم (٢٦٤٥)، والترمذي رقم (١٦٠٤) عن جرير بن عبد الله قال: "بعث رسول الله ﷺ سرية إلى خثعم فاعتصم ناس منهم بالسجود فأسرع فيهم القتل، قال: فبلغ ذلك النبي ﷺ فأمرهم بنصف العقل وقال: أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين قالوا: يا رسول الله لم؟ قال: لا تراءى ناراهما". وقال الشيخ الألباني في صحيح أبي داود رقم (٢٣٠٤): صحيح دون جملة العقل.

بأن عرضها السماوات والأرض. جمع الله للكفار ضيق محلهم حتى قيل: إنه يزوج الكافر في جهنم كما يزوج الودد في الحائط، وهم مغلون في أعناقهم وفي أرجلهم الأصفاد، وهي القيود وقد قرنت أيديهم مع أعناقهم. وقيل: قرن كل إنسان مع شيطانه في الدنيا بالسلاسل.

الثبور: الهلاك، ودعاء الثبور أن يقال: واثبورا، أي: تعال يا ثبور، فهذا حينك وزمانك. ﴿لَا نَدْعُوا﴾ أي: يقال لهم ذلك، أو هم أحقاء بأن يدعوا الويل والثبور وإن لم يكن ثم قول، ومعنى ﴿وَأَدْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ أي: ليس ثبوركم ثبورا واحداً، بل هو متعدد إما لتعدد أسبابه، أو لتعدد أنواع العذاب، أو لأنه كلما بدلوا جلودا غير الأول تضاعفت عقوبتهم، وكثر ثبورهم والضمير الرابط في قوله: ﴿الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ﴾ محذوف، أي: وعدها.

﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَمَا كَانَتْ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعَدًّا مَسْئُولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَعَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾﴾

قوله: ﴿جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾ ذكر المصير في الجنة (١٤٧/أ) ولم يذكره في النار؛ لأن السرور التام إنما يحصل لموافقة المسكن الغرض وسلامته من الغثاثة، فذكره من جزاء الخير وعداً من الله، حقه أن يسأل، وقد سأله الملائكة والصالحون من الإنس، قالت الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾<sup>(١)</sup> وقال الصالحون: ﴿رَبَّنَا وَعَآبَاءَنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾<sup>(٢)</sup> وقرئ (يَحْشُرُهُمْ) بكسر الشين، و(يَحْشُرُهُمْ) و(نَقُولُ) بنونين<sup>(٣)</sup>. وجائز ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يريد: المعبودين من الملائكة والمسيح وعزير<sup>(٤)</sup>. وعن الكلبي: يُنطق

(١) سورة غافر، الآية (٨).

(٢) سورة آل عمران، الآية (١٩٤).

(٣) قرأ ابن كثير وحفص عن عاصم وأبو جعفر ويعقوب (يحشرهم) وقرأ الباقر (يحشرهم). وقرأ ابن عامر (فنقول) وقرأ الباقر (فيقول). تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٤٨٧)، حجة ابن خالويه (ص: ٢٦٥)، حجة أبي زرعة (ص: ٥٠٨)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/٢٤٦)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٤٦٣)، الكشف للزخشي (٣/٢٦٨)، النشر لابن الجزري (٢/٢٣٣).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٨ / ١٨٩) عن مجاهد.

الله الأصنام ويسألها<sup>(١)</sup>. ويجوز أن يعم الجميع، وإذا اجتمع ما يعقل وما لا يعقل غلب العاقل، ولهذا قال: ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ وذكر الفاعل لأنه ليس الإنكار على الفعل فإن عبادة الأصنام قد وقعت، وإنما السؤال عن فاعلها فيبته وتنقطع حجته فيبادرون إلى الإنكار، ويقولون: بل أنت يا ربنا متعتهم بالأموال والبنين حتى نسوا الذكر وهلكوا بسبب ذلك. والبوار: الهلاك، والبور: الهالكون، فإذا تبرأت الملائكة وصلاح الإنس والجن عن ذلك بهت الكفار وقالوا: أنت الذي أنعمت عليهم فبطروا وجعلوا بدل الشكر كفرانا.

وقوله: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تعجب منهم مما قيل لهم. وقرأ أبو جعفر المدني ﴿أَنْ تَتَّخِذَ﴾ بضم النون وفتح التاء والخاء<sup>(٢)</sup> ﴿الذِّكْرَ﴾ ذكر الله والإيمان به، أو القرآن.

﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ تَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾<sup>(١٩)</sup> وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَكْسِبُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا<sup>(٢٠)</sup>

وقرئ (يَمَا يَقُولُونَ) بالياء والتاء، و(فَمَا يَسْتَطِيعُونَ) بالتاء والياء<sup>(٣)</sup> صرف العذاب عنكم ولا تخلصاً. الجملة الواقعة بعد إلا محذوفة وهي في موضع مفعول، والتقدير: وما أرسلنا قبلك أحداً من المرسلين إلا إنهم؛ كقوله: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾<sup>(٤)</sup> أي: وما منا أحد.

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣ / ٢٦٨)

(٢) قرأ بها أبو جعفر وأبو الدرداء وزيد بن ثابت وأبو رجاء والحسن، وقرأ الباقون "تتخذ".

تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٤٨٩)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢٤٧)، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٧٠)، المحتسب لابن جني (٢ / ١١٩)، معاني القرآن للفراء (٢ / ٢٦٤)، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٣٣).

(٣) قرأ حفص عن عاصم (تستطيعون)، وقرأ الباقون (يستطيعون). تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٤٩٠)، حجة أبي زرعة (ص: ٥٠٩)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢٤٨)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٤٦٣)، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٧١)، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٣٤).

(٤) سورة الصافات، الآية (١٦٤).

وقرى: (يَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ) <sup>(١)</sup> أي: تمشيهم حوائجهم، أو يمشيهم الناس. وقيل: هذا ردُّ علي من قال: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾.

﴿فِتْنَةً﴾ محنة وابتلاء وهذا تصبير لرسول الله ﷺ على ما قالوه. الرجاء يكون بمعنى الخوف، كقول الشاعر في رجل يجني العسل فتلسعه زناير العسل [من الطويل]:

إِذَا لَسَعَتْهُ الدَّبْرُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَهَا <sup>(٢)</sup>

أي: لم يخف، ويراد به رجاء الخير (١٤٧/ب) كقوله - تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾ <sup>(٣)</sup> ويجوز أن يراد الأمران: أمل الخير وخوف الشر.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ <sup>(٢١)</sup> يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾

﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلٰٓئِكَةُ﴾ فيخبرونا بصدقك يا محمد ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ عياناً فيخبرنا بصدقك، وسواء كانوا عالمين بأن الله لا يبعث الملائكة إلا لقضاء الأمر ونزول عذاب أو لا يعلمون ذلك فهم على كل حال يسعون في إبطال الرسالة.

ومعنى قوله: ﴿فِي أَنفُسِهِمْ﴾ أنهم أنكروا الرسالة، ومنعهم كفرهم واستكبارهم من طاعة النبي، كما قال: ﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرًا مَّا هُمْ بِبٰلِغِيهِ﴾ <sup>(٤)</sup> ﴿وَعَتَوْا﴾ تجاوزوا الحد في الظلم، وهذه الجملة وهي قوله: ﴿لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾ فيها تعجيب من حالهم بغير صيغة التعجب، كأنه قال: ما أشد استكبارهم.

وقوله: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ﴾ ظرف، العامل فيه ﴿لَا بُشْرَىٰ﴾ وقيل: العامل فيه ما دلَّ عليه ﴿لَا

(١) هذه قراءة علي وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود. وقراءة الجمهور "يَمْشُونَ".

تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٤٩٠/٦)، الدر المصون للسمين الحلبي (٢٤٩/٥)، فتح القدير

للسوكاني (٩٨/٤)، الكشاف للزمخشري (٨٧/٣)، المحتسب لابن جني (١٢٠/٢).

(٢) تقدم تخريجه في سورة يونس، الآية (٧).

(٣) سورة الإسراء، الآية (٥٧).

(٤) سورة غافر، الآية (٥٦).



بُشْرَى ﴿ كَأَنَّهُ قَالَ : يَوْمَ يَرُونَ الْمَلَائِكَةَ يُضْعَوْنَ أَوْ يَعْذَمُونَ الْبَشْرَى . وَيَجُوزُ أَنْ يَنْتَسِبَ قَوْلُهُ : ﴿ يَوْمَ يَرُونَ ﴾ بِقَوْلِهِ «اذكُر» فَيَكُونُ مَفْعُولًا بِهِ لَا ظَرْفًا .

وقوله: ﴿لِلْمُجْرِمِينَ﴾ يريد: لا بشرى لهم ، أو لا بشرى لأحدٍ من المجرمين . ويدخل في هؤلاء ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا﴾ وقال سيويه<sup>(١)</sup>: حجر من المصادر المتروك إظهار عاملها قال الراجز:   
قَالَتْ فِيهَا حَيْدَةٌ وَدُعْرُ عَوْدٌ بَرِيٌّ مِنْكُمْ وَحُجْرٌ<sup>(٢)</sup>

وأصل الحجر: المنع، ووصفه بكونه محجوراً مبالغة في المنع ، كما قالوا : ذيل ذليل ، ومعناه : حرام محرم عليكم المغفرة والجنة ، تقوله الملائكة عند الموت ، أو يوم القيامة ولا بشرى لهم يومئذ .

وقوله: ﴿وَقَدِمْنَا﴾ أي: قصدنا، والهباء: ما يظهر من الكوة مع ضوء الشمس، وصفه بكونه ﴿مَنْشُورًا﴾ تحقيراً له، ونحوه ﴿كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾<sup>(٣)</sup> لم يكتف بتشبيههم بالعصف حتى جعله مأكولاً، ولا بأعمالهم بالهباء حتى جعله منشوراً، وأصل همزة هباء واو، لقولهم: الهبوة.

روي أنه يفرغ من الحساب في مقدار نصف يوم فلا يجيء وقت القيلولة إلا وقد فرغ منه ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ فيه إشارة إلى ما اشتمل عليه مقيل أهل الجنة من المحاسن التي يقصر الوصف عنها.

﴿ وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّمِ وَنُزِلَ الْمَلَكُ تَنْزِيلًا ﴿٢٥﴾ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾

وقرى ( تَشَقَّقُ )<sup>(٤)</sup> وأصله: تشقق، فحذف بعضهم التاء وبعضهم أدغمها ولما كان

(١) ينظر: الكتاب لسيويه ( ١ / ١٦٣ ) .

(٢) ينظر بلا نسبة في: تاج العروس للزبيدي ( عوذ ) ، تهذيب اللغة للأزهري ( ٣ / ١٤٧ ) ، ديوان الأدب

( ١ / ١٥٢ ) ، الكشاف للزنجشيري ( ٣ / ٢٧٤ ) ، لسان العرب ( عوذ ) ، المخصص لابن سيده ( ١٢ /

٢٩٩ ) والحيدة : الصدود ، وذعر : فزع ، والعود : التعود ، وحجر : امتناع وتحصن .

(٣) سورة الفيل، الآية (٥).

(٤) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب (تَشَقَّقُ) وقرأ الباقر (تَشَقَّقُ) .

انشقاق السماء بسبب نزول الملائكة جعل الغمام كأنه الذي (١٤٨/أ) شقها، ونظيره قوله: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾<sup>(١)</sup> والمعنى: أن السماء تفتتح بغمام يخرج منها، وفي الغمام الملائكة معهم صحف أعمال العباد. وقيل: هو غمام أبيض رقيق كالضباب، ولم يكن إلا لبني إسرائيل في التيه. ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ الثابت في أن كل ملك غير ملك الله، فإن مفهوم قوله: ﴿عَلَى الْكٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ أنه يسير على المؤمنين، ومثله: ﴿يَقُولُ الْكٰفِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

عض اليدين كناية عن شدة الغضب. وقيل: إن عقبة بن أبي معيط كان يكثر مجالسة رسول الله ﷺ. وقيل: صنع ضيافة فدعا رسول الله ﷺ أن يأكل منها فأبى حتى ينطق عقبة بالشهادتين، فتلفظ بهما فعتب على ذلك فقال: استحييت منه حيث لم يأكل من طعامي فأجبتة، وكان أبي بن خلف صديقه فقال له: وجهي من وجهك حرام إن لم تأت محمداً فلم تطأ قفاه، ولم تبصق في وجهه، فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال رسول الله ﷺ: « لا ألقاك خارجا من مكة إلا علوت رأسك بالسيف » وقدم ليقتل يوم بدر فقال: يا محمد لمن الصبية؟ وطعن رسول الله ﷺ أيبا بأحد فرجع إلى مكة ومات<sup>(٣)</sup>.

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا ﴾<sup>(٢٧)</sup> يَنْوَلْتَنِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا<sup>(٢٨)</sup> لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا<sup>(٢٩)</sup> وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا<sup>(٣٠)</sup> وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا<sup>(٣١)</sup> وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا<sup>(٣٢)</sup>

واللام في ﴿الظَّالِمُ﴾ يراد به المعهود، وهو عقبة، أو للجنس. تمنى أن لو صحب الرسول وسلك معه طريق الحق. فلان: كناية عن اسمه العلم، فإن أريد بـ ﴿الظَّالِمُ﴾ عقبة كان كناية عن اسمه، وإن أريد به الجنس فكل واحد منهم اسم علم، ففلان كناية عن ذلك الاسم.

= تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٦/٤٩٤)، الحجة لابن خالويه (ص: ٢٦٥)، حجة أبي زرعة (ص: ٥١٠)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/٢٥١)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٤٦٤)، الكشف للزمخشري (٣/٢٧٥)، النشر لابن الجزري (٢/٣٣٤).

(١) سورة المزمل، الآية (١٨).

(٢) سورة القمر، الآية (٨).

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/٢٥٠) ونسبه لأبي نعيم من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن

## تفسير سورة الفرقان

﴿عَنِ الذِّكْرِ﴾ ويجوز أن يريد نطقه بشهادة الحق و﴿الشَّيْطَانُ﴾ إشارة إلى خليله أو إلى إبليس، أو الجنس، أو كل من تشيطن من الجن والإنس، وهذا الكلام من كلام الظالم أو كلام مستأنف.

﴿الرُّسُولُ﴾ محمد ﷺ وقومه قريش حكى شكاية رسول الله ﷺ من قومه وكان الأنبياء إذا التجأوا إلى الله فيمن ظلمهم عذبوا ولم يمهلوا، ثم سلاه فقال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾ (١) أي: قبلك أعداء ﴿مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿مَهْجُورًا﴾ أعرضوا عنه وهجروه . وقيل: المهجر هو (١٤٨/ب) الكلام القبيح . جعل القرآن محلاً للتكذيب، أي: مهجوراً فيه ؛ كقوله : ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَافِيهِ﴾ (٢) وقيل: قالوا: إنه أساطير الأولين ومفترى . والعدو: يجوز أن يكون واحداً وجمعاً ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي﴾ (٣) ﴿نَزَلَ﴾ هاهنا بمعنى أنزل ، قالوا: لم نزل متفرقا ، ولم ينزل جملة كالتوراة والإنجيل والزبور؟ والقائلون قريش . وقيل : اليهود . أي: كذلك أنزل مفرقا لتحفظه وتقرأه على الناس على مكث ، وكان رسول الله ﷺ أمياً لا يحسن الكتابة ، ولو كان كاتباً لارتاب به المبطلون ، وكان ينزل بحسب الحوادث ، وبعضه ينسخ بعضاً . وذلك لا يتأتى إلا فيما نزل مفرقا، ومعنى نزوله سورة بعد سورة وآية بعد آية.

وقيل: أمرنا بترتيبه إذا قرئ، والترتيل مأخوذ من ترتيل الأسنان، وهو تفليجها، يقال: ثغر رتل، ويفسر بنور الأحقوان في تفليجه.

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (٢٣) الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا (٢٤) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا (٢٥) فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا (٢٦) وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (٢٧)

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ﴾ بسؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة التي كأنها مثل في البطلان ، ووصف السبيل بالضلال من الإسناد المجازي ، فإن الضالَّ سالكه . الوزارة لا تنافي النبوة؛ فقد كان

(١) سورة الأنعام ، الآية (١١٢).

(٢) سورة فصلت ، الآية (٢٦).

(٣) سورة الشعراء ، الآية (٧٧).

يبعث في الزمن الواحد أنبياء ، ويؤمنون أن يؤازر بعضهم بعضاً ، والمعنى : فذهبوا إليهم فكذبوهم .

﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾ كقوله : ﴿أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ﴾<sup>(١)</sup> ﴿لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ﴾ إما لأن كل من كذب نبياً فهو كمن كذب الأنبياء كلهم ، أو كانوا كالبراهمة<sup>(٢)</sup> لا يعتقدون جواز بعثة نبي .

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾ وجعلنا إغراقهم أو قصتهم . ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾ لقوم نوح ، أو للعموم ، وعطف (عاداً) على (هم) في قوله : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾ أو على (الظالمين) لأن المعنى : ووجدنا الظالمين .

﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرِّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾<sup>(٣٨)</sup> ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَاهُ الْأَمْثَلُ وَكُلًّا تَبَرْنَا تَبِيرًا﴾<sup>(٣٩)</sup> ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوِيًّا أَفْكَمَ يَكُونُوا يَكُونُوهَا بَلَّ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾<sup>(٤٠)</sup> ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِذَا يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾<sup>(٤١)</sup> ﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾<sup>(٤٢)</sup>

(١) سورة الشعراء، الآية (٦٣).

(٢) البراهمة: قبيلة بالهند فيهم أشرف أهل الهند ويقولون: إنهم من ولد برهمي. ملك من ملوكهم قديم ولهم علامة ينفردون بها وهي خيوط ملونة بجمرة وصفرة يتقلدون بها تقلد السيوف وهم يقولون بالتوحيد على نحو قولنا إلا أنهم أنكروا النبوات. وعمدة احتجاجهم في دفعها أن قالوا: لما صح أن الله - عز وجل - حكيم وكان من بعث رسولا إلى من يدري أنه لا يصدقه فلا شك في أنه متعنت عابث فوجب نفي بعث الرسل عن الله - عز وجل - لنفي العيب والعتب عنه وقالوا أيضا: إن كان الله - تعالى - إنما بعث الرسل إلى الناس ليخرجهم بهم من الضلال إلى الإيمان فقد كان أولى به في حكمته وأتم لمراده أن يضطر العقول إلى الإيمان به قالوا: فبطل إرسال الرسل على هذا الوجه أيضا ومجيء الرسل عندهم من باب الممتنع . وقد رد العلامة ابن حزم في كتابه الفصل في الملل على هذه الحجج الواهية لهم وأورد قول الحق لأهل السنة والجماعة الذين يرون أن الإيمان بالرسل أحد أصول الإيمان التي لا يصح ولا يقبل إلا بالإيمان بها جميعا. وينظر عنهم وعن عقائدهم الباطلة: تلبيس إبليس لابن الجوزي (١ / ٨٧) ط. دار الكتاب العربي - بيروت - ١٩٨٥ م - تحقيق: د. السيد الجميلي ، الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (١ / ٦٣) ط. مكتبة الخانجي - القاهرة، الملل والنحل للشهرستاني (٢ / ٢٤٩).

وقرى (وَتَمُودَ) بغير تنوين<sup>(١)</sup> بتأويل القبيلة، وأما صرفه فعلى تأويل الحيّ أو الأب الأكبر.

قيل في «أصحاب الرّس» إنهم قوم من عبدة الأوثان، أصحاب آبار ومواش. وقيل: هم بقية من قوم شعيب. وقيل: هم أصحاب النبي حنظلة بن صفوان<sup>(٢)</sup>، وكان عندهم العنقاء، سميت به لطول عنقها، وكانت تنقض على أولادهم فتأخذهم لتهلكهم، فدعا عليها حنظلة فهلكت وانهارت بهم البئر. وقيل: رسوه في البئر، أي: دفنوه فيها. وقيل: هم أصحاب الأخدود، والرّس هو الأخدود (أ/١٤٩) وقيل: الرس بأنطاكية، قتلوا فيها حبيبا النجار<sup>(٣)</sup>.

﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي: بين أولئك المذكورين. ﴿ضَرَبْنَاهُ الْأَمْثَلَ﴾ بينا له القصص العجيبة. والتّشبير: التكسير والتفتيت، ومنه التّبر، وهو كسار الذهب والفضة، و﴿وَكُلًّا﴾ الأول منصوب بما دل عليه ﴿ضَرَبْنَاهُ الْأَمْثَلَ﴾ وهو أنذرنا أو حذرنا أو منصوب بـ «تَبَرْنَا» لأن الفعل مفرغ له. أراد بـ ﴿الْقَرْيَةَ﴾ سدوم، وهي إحدى قرى قوم لوط، وكانت خمسا، أهلك الله أربعا بأهلها وبقيت واحدة.

قوله - تعالى: ﴿أَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾ إمّا القرية وإمّا أهلها، ولذلك جاء ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾<sup>(٤)</sup> ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾<sup>(٥)</sup> وكانت قريش كثيرا ما تمر على تلك الآثار. ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَكُونُونَهَا﴾ في مرارٍ مرورهم، بلى مرّوا ونظروا ولكن كانوا لا يؤمنون بالبعث فلم ينفعهم نظر العين. ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَتَّخِذُونَ﴾ أي: لا يؤمنون خيرا، ولا يخافون عاقبة.

﴿إِنْ يَتَّخِذُونَكَ﴾ ما يتخذونك ﴿إِلَّا هُزُوا﴾ أي: مهزوءا به، أو محلا للهزاء، أو نفس الهزاء مبالغة. وقوله: ﴿أَهَذَا الَّذِي﴾ استصغار، وقولهم: ﴿إِنْ كَادَ لِيُضِلَّنَا﴾ إن مخففة من الثقلة واللام هي الفارقة، وفي الكلام دليل على مبالغة رسول الله ﷺ في دعائهم حتى كادوا

(١) قرأ حفص عن عاصم وحمزة ويعقوب (وتمود)، وقرأ الباقر (وتمودا). تنظر في: إتحاف فضلاء البشر للبنا (١ / ٣٢٩)، الدر المصون للسمن الحلبي (٤ / ١١١)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٣٣٧)، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٨٠)، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٨٩ - ٢٩٠).

(٢) قال العيني في عمدة القاري (١٧ / ٧٢): " من الأنبياء في الفترة حنظلة بن صفوان نبي أصحاب الرس قال ابن عباس: كان من ولد إسماعيل عليه السلام وكان في فترة ".

(٣) ذكر هذه الأقوال للزمخشري في الكشاف (٣ / ٢٨٠).

(٤) سورة الأعراف، الآية (٨٤).

(٥) سورة هود، الآية (٨٢).

أن يطيعوه مع شدة شكيمتهم في الكفر.

﴿لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا﴾ ثبتنا على ديننا. ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا بد لهم من العقوبة على كفرهم. وقوله: ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ كالجواب عن قولهم: ﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾.

﴿أَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا﴾ (٤٣) أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعيم بل هم أضل سبيلاً (٤٤) ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً (٤٥) ثم قبضناه إلتنا قبضاً يسيراً (٤٦) وهو الذي جعل لكم الليل لباساً والنوم سباتاً وجعل النهار نشوراً (٤٧) وهو الذي أرسل الريح بشراً بين يدي رحمتيه وأنزلنا من السماء ماءً طهوراً (٤٨) لنحیی به بلدة ميتاً وشقیه مما خلقنا أنعاماً وأناسی كثيراً (٤٩)

﴿أفأنت﴾ تجبر هذا الكافر على الإسلام، وهو مطبوع على قلبه؟ كقوله: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ (١) ﴿أم﴾ هذه منقطة، أي: هذه المذمة أشد مما قبلها، وقدم المفعول الثاني وهو ﴿إلهه﴾ للعناية. وقوله: ﴿أَنْ أَكْثَرُهُمْ﴾ ولم يقل: كلهم؛ لأنه كان فيهم من لا يرده عن الدخول في الإسلام إلا الكبر، وجعلوا أضل من الأنعام؛ لأن الأنعام تنقاد لأربابها وتجتنب ما يضرها بخلاف هؤلاء.

﴿ألم تر إلى ربك﴾ ألم تنظر إلى صنيع ربك؟ وجعل الظل يمتد وينبسط لیتفجع الناس به. ﴿ولو شاء لجعله ساكناً﴾ في أصل كل مظلل من جبل أو شجر أو غيرهما، والظل تتصرف الشمس فيه بالزيادة والنقصان.

﴿ثم قبضناه﴾ الظل (١٤٩/ب) بالتقلص يسيراً يسيراً حتى صار في مكانه ضوء الشمس. ﴿جعل لكم الليل لباساً﴾ أي: كاللباس الذي يغشى الجسد، و(السبت) القطع، يقال: سبت رأسه إذا حلقها، وسمي يوم السبت؛ لأن الله - تعالى - فرغ من المخلوقات في آخر ساعة من يوم الجمعة ولم يخلق شيئاً يوم السبت، وجعل القيام من النوم كالقيام من القبور. ﴿نشوراً﴾ إحياء، و(نشراً) جمع نشور، وهي المحية للأرض بعد موتها ويسها. قوله - عز وجل: ﴿بين يدي رحمتيه﴾ أي: بين يدي المطر. ﴿طهوراً﴾ بليغاً في طهارته. وقيل: هو الطاهر في نفسه المطهر لغيره. قوله: ﴿بلدة﴾ وإن كان مؤنثاً لفظاً فهو أيضاً بلد مذكر، ولهذا قال: ﴿ميتاً﴾ ولم يقل: ميتة.

وقرى ( وَنُسْقِيهِ ) بفتح النون<sup>(١)</sup> وسقى وأسقى بمعنى. وقيل: سقاه أعطاه ماءً ليشربه، وأسقاه: جعل له سقياً لأرضه ودوابه، قال الله - تعالى: ﴿ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ ﴾<sup>(٢)</sup> (الأناسي) أصلها أناسين وقوم من العرب يقلبون النون ياءً، ويحذفونها تخفيفاً فيقولون: أناسي وأناسي بالتشديد والتخفيف.

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۝٥٠ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ۝٥١ فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ۝٥٢ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ۝٥٣ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۝٥٤ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ۝٥٥ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٥٦ ﴾

قوله - عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ ﴾ يعني: القرآن في الكتب المنزلة كلها. ﴿ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ فقالوا: مطرنا بنوء كذا ونوء كذا، وعن ابن عباس: « ما من عامٍ أقل مطراً من عامٍ ولا أكثر، ولكن الله - تعالى - قسم ذلك بين عباده على ما شاء، وتلا هذه الآية<sup>(٣)</sup>. فإن قلت: هل يكفر من ينسب الأمطار إلى الأنواء؟

قلت: إن كان لا يراها إلا من الأنواء، ويجحد أن تكون هي والأنواء من خلق الله - تعالى - فهو كافر، وإن كان يرى أن الله خالقها وقد نصب الأنواء دلائل وأمارات عليها - لم يكفر.

﴿ وَلَوْ شِئْنَا ﴾ لخففنا عنك أعباء الرسالة فبعثنا ﴿ فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴾ لكنا عظمتناك وجعلناك رسولاً إلى الجميع فقابل ذلك بالتشدد ﴿ فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ ﴾ فيما يقترحون عليك ﴿ وَجَاهِدْهُمْ ﴾ بالقرآن ومجججه وجعل الجهاد به كبيراً؛ لما يتحمل فيه من المشقة الشديدة. سُمِّي كلُّ واحدٍ من المائين الكثيرين بحراً، والفرات: الشديد الحلاوة، والأجاج:

(١) قرأ بها أبو عمرو وعاصم في رواية عنهما، وقراءة الباقيين " وَنُسْقِيهِ " .

تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٥٠٥)، الدر المصون للسمن الحلبي (٥ / ٢٥٧)، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٨٥)، مجمع البيان للطبرسي (٧ / ١٧١).

(٢) سورة الحجر، الآية (٢٢).

(٣) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٣ / ٣٦٣)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٢٦٤) ونسبه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه عن ابن عباس - رضي الله عنهما.

الشديد المرارة، ومرجهما (أ/١٥١) خلاهما متجاورين، وبينهما حاجز من قدرة الله - تعالى - يمنعهما التمازج والاختلاط.

﴿وَجِجْرًا تَحْجُورًا﴾ هي الكلمة التي قالتها الملائكة لمن وقع في شدة لا يجد منها مخلصاً والمعنى: كأن كل واحدٍ من البحرين يتعوذ من صاحبه أن يبغى عليه، ومنه قوله - تعالى - : ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾<sup>(١)</sup> أراد قسمة البشر قسمين : ذكوراً وإناثاً من نطفة واحدة، وهو كقوله : ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾﴾<sup>(٢)</sup>. الظهير والمظاهر كالعوين والمعاون، والمعنى : أن الكافر يظاهر الشيطان على ربه بالعداوة . قيل: نزلت في أبي جهل<sup>(٣)</sup>.

ويجوز أن يراد بالظهير الجمع، كما جاز في الصديق والعدو، ومنه قوله - عز وجل : ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾<sup>(٤)</sup> أي : ظهراء، ويجوز أن يراد بالظهير ما خلف خلف الظهر فلم يُعبأ به؛ كقوله : ﴿لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾<sup>(٥)</sup> مثال قوله : ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ﴾.

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾

والمراد فعل من شاء أن يتخذ، واستثنى به عن الأجر قولُ ذي شفقةٍ عليك قد سعى لك في تحصيل مال: ما أطلب منك ثواباً على ما سعت إلا أن تحفظ هذا المال ولا تضيعه، فيجعل حفظه ثواباً وليس بثواب، ولكنه صورته بصورة الثواب، فأفاد ذلك أمرين:

أحدهما: أنه قد أنهى السعي في حفظ المال نهايته .

والثاني: سرورهم ببقائه لك، حتى جعله كأنه حاصل له ثواباً . وقيل: المراد النفقة في

(١) سورة الرحمن، الآية (٢٠).

(٢) سورة النجم.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٩ / ٢٧)، وذكره السيوطي في الدر المشور (٦ / ٢٦٧) ونسبه لابن

مردويه عن ابن عباس، ولابن أبي حاتم عن الشعبي، ولابن المنذر عن عطية .

(٤) سورة التحريم، الآية (٤).

(٥) سورة آل عمران، الآية (٧٧).



سبيل الله. أمره بأن يتوكل على الله ويثق به، وعرفه بأن الحي الذي لا يموت حقيق بأن يتوكل عليه وحده، فإنه إذا مات من يتوكل عليه فانت مقاصد التوكل. ﴿وَكَفَىٰ بِهِ ذُنُوبًا عِْبَادُهُ خَيْرًا﴾ مطلعاً على أعمالهم وأقوالهم. ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ مقدار ستة أيام.

وقيل: ستة أيام من أيام الآخرة، وكل يوم ألف سنة، والأول أظهر. وعن مجاهد: أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة<sup>(١)</sup>. ووجهه أن يسمي الله - تعالى - لملائكته تلك الأيام المقدرة بهذه الأسماء، فلما خلق الشمس وأدارها جرت التسمية على هذه الأيام.

وعن سعيد بن جبير: خلقها في ستة أيام مع قدرته على خلقها في لحظة، ليعلم عباده الثابت. وقيل: اجتمع خلقها يوم الجمعة فجعله الله عيداً للمسلمين<sup>(٢)</sup> ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ مبتدأ و﴿الرَّحْمَنُ﴾ خبره، أو هو صفة لـ ﴿الْحَيِّ﴾ و﴿الرَّحْمَنُ﴾ خبر (١٥١/ب) مبتدأ محذوف، أو بدل عن المستتر في ﴿أَسْتَوَى﴾.

وقرئ (الرَّحْمَنُ) بالجر<sup>(٣)</sup> صفة لـ ﴿الْحَيِّ﴾. الباء في ﴿بِهِ﴾ كقوله: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾<sup>(٤)</sup> وقد تكون (عن) صلته في نحو قوله: ﴿ثُمَّ لَنُنشِئَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾<sup>(٥)</sup>.

وقيل: تقديره: فاسأل عنه رجلاً يخبرك بصفاته، أو فاسأل بسؤاله خبيراً؛ كقولك: رأيت به أسداً، أو حالاً عن الهاء، يريد فاسأل عنه عالماً بكل شيء، و﴿الرَّحْمَنُ﴾ اسم من أسماء الله - تعالى - وهو مذكور في الكتب القديمة والصحف المنزلة، أي: فاسأل عن هذا الاسم من أهل الكتاب يخبروك بأنه موجود في كتبهم، ولم يتسم بهذا الاسم أحد، وكانوا يقولون لمسيمة: رحمان اليمامة. وقيل: كانوا ينكرون إطلاق اسم الرحمن على الله.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾﴾

(١) ذكره النسفي في تفسيره (٣ / ١٧٤).

(٢) ذكر هذه الأقوال الزنجشري في الكشاف (٣ / ٢٨٨)، وذكر قول ابن جبير العيني في عمدة القاري في شرح صحيح البخاري (٢٥ / ١٤٤).

(٣) قرأ بها زيد بن علي، على أنه نعت للحي، أو الموصول. وقراءة الجمهور (الرحمن).

تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٦/٥٠٨)، الدر المصون للسمن الحلبي (٥ / ٢٦٠)، الكشاف للزنجشري (٣ / ٢٨٩).

(٤) سورة المعارج، الآية (١).

(٥) سورة التكاثر، الآية (٨).

﴿لَمَّا تَأْمُرُنَا﴾ للذي تأمرناه ؛ كقوله [ من البسيط ]:

أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ<sup>(١)</sup>

وقرئ ( يَا مُرْنَا ) بالياء<sup>(٢)</sup> أي: لما يأمرنا محمد ﴿وَزَادَهُمْ﴾ ذكر اسم الرحمن ﴿نُفُورًا﴾ البروج: منازل الكواكب السيارة ، مأخوذ من التبرج وهو الظهور ؛ كقوله: ﴿وَلَا تَبَرَّجْ﴾<sup>(٣)</sup> وسميت بروجاً ، مأخوذ من تسمية القصور بروجاً ؛ كقوله: ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾<sup>(٤)</sup> لأنها منازل للكواكب ، كالقصور للإنس والجن .

﴿ نَبَارِكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾<sup>(٥)</sup> وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۢ أَرَادَ أَنۢ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا<sup>(٦)</sup>

وقرئ ( سُرُجًا ) وهي الشمس والكواكب الكبار معها. ومن قرأ ﴿سِرَاجًا﴾<sup>(٥)</sup> أراد به الشمس، وقرأ الأعمش والحسين ( وَقُمَرًا )<sup>(٦)</sup> وهو جمع ليلة قمرء، كأنه: وذا قُمَرٍ منيراً ؛ لأن الليالي تكون قُمراً به فأضافها إليه ، ومثله قول حسان [ من الكامل ]:

بَرَدَى يُصَفِّقُ بِالرَّحِيقِ السُّلْسَلِ<sup>(٧)</sup>

(١) تقدم تخريجه في سورة النحل، الآية (٥٠).

(٢) قرأ حمزة والكسائي ( يأمرنا ) ، وقرأ الباقون ( تأمرنا ) .

تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ٥٠٩ ) ، حجة ابن خالويه ( ص : ٢٦٦ ) ، حجة أبي زرعة ( ص : ٥١١ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٢٦٠ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٤٦٦ ) ، الكشاف للزنجشيري ( ٣ / ٢٨٩ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٣٤ ) .

(٣) سورة الأحزاب ، الآية ( ٣٣ ) .

(٤) سورة النساء ، الآية ( ٧٨ ) .

(٥) قرأ حمزة والكسائي وخلف ( سُرُجًا ) ، وقرأ الباقون ( سِرَاجًا ) .

تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ٥١١ ) ، حجة ابن خالويه ( ص : ٢٦٦ ) ، حجة أبي زرعة ( ص : ٥١٢ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٢٦١ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٤٦٦ ) ، الكشاف للزنجشيري ( ٣ / ٢٩٠ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٣٤ ) .

(٦) تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ٥٠٩ ) ، تفسير القرطبي ( ١٣ / ٦٥ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٢٦١ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٤ / ٨٥ ) ، الكشاف للزنجشيري ( ٣ / ٢٩٠ ) .

(٧) هذا عجز بيت لحسان يذكر أيام ملوك الشام الغسانيين ، وصدده:

يُسْقَوْنَ مِنْ وَرْدِ الْبَرِيصِ عَلَيْهِمْ .....

أي: ماء بردى ولا يبعد أن يكون القمر لغة في القمر، كالرشد والرشد، والعرب والعرب. الخلفة: من خلف، كالركبة من ركب، أعني: الحال التي هو عليها، أي: جعلهما ذوي خلفه، يذهب هذا ويأتي هذا. وقيل: يخلفه: يقوم مقامه في أداء الوظائف من فاته ورده بالليل قضاء بالنهار، أو بالنهار قضاء بالليل. ﴿لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ﴾ لأنه إذا رأى حركتهما علم أن لهما محركاً قادراً عالماً بالمصالح وشكر الله - تعالى - على النعمة بهما.

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾  
 ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّكَ عَذَابُهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ مبتدأ خبره آخر السورة، وهو ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾ ويجوز أن يكون خبره ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ﴾ وأضافهم إلى ﴿الرَّحْمَنِ﴾ تخصيصاً وتفضيلاً.

وقرئ ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾<sup>(١)</sup> ﴿هَوْنًا﴾ أي: يمشون مشياً ليناً، إلا أن في وضع المصدر (١٥٢/أ) موضع الصفة مبالغة، والهون: الرفق واللين، وفي الحديث: "أحبب حبيك هوناً ما عسى أن يكون بغضك يوماً ما"<sup>(٢)</sup>. وقوله: "المؤمنون هينون لينون"<sup>(٣)</sup>.

= ينظر في: تاج العروس للزبيدي (صفق)، خزانة الأدب للبغدادي (٤ / ٣٨١)، ديوان حسان (ص: ١٢٢)، شرح المفصل لابن يعيش (٦ / ٢٥)، لسان العرب (برد)، همع الهوامع للسيوطي (٢ / ٤٢٩) والبريص: اسم واد، وبردى: علم لنهر بدمشق، أو جبل بالحجاز، أو بحر، ويصفق: يمتزج. والرحيق: الصافي، والسلسل: السهل المساغ. والمعنى: أن كل من ورد عليهم البريص يسقونه ماء بردى ممتزجا بالرحيق الصافي.

(١) قرأ بها اليماني. تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٥١٢)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢٦٢)، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٩١).

(٢) رواه الترمذي رقم (١٩٩٧)، والخطيب البغدادي في تاريخه (١١ / ٤٢٧) وابن حبان في المجروحين (١ / ٣٥١) عن أبي هريرة ؓ.

قال الترمذي: غريب لا نعرفه بهذا الإسناد إلا من هذا الوجه وقد رواه الحسن بن أبي جعفر بإسناده عن علي عن النبي ﷺ وهو ضعيف أيضاً والصحيح أن هذا عن علي موقوفاً. وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم (١٧٨).

(٣) رواه القضاعي في مسند الشهاب (ص: ١٣٩)، والعقيلي في الضعفاء الكبير (٢ / ٢٧٩)، من حديث عبد الله بن عمر، ورواه القضاعي في مسند الشهاب (ص: ١٤٠)، وابن المبارك في كتاب الزهد (ص: ٣٨٧)، عن مكحول مرسلاً. وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٩٣٦).

وفي المثل: " إذا عز أخوك فَهَنْ " <sup>(١)</sup>، أي: إذا عسّر فيسر، أي: يمشون بسكينة ووقار وتواضع. وكره بعض العلماء الركوب في الأسواق؛ لقوله: ﴿وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ <sup>(٢)</sup> ﴿سَلَمًا﴾ أي: لا نستعمل الجهل معكم فيسلمون بذلك عن الإثم والجهل والسفه، قال عمرو بن كلثوم [ من الوافر ]:

ألا لا يجهلن أحدٌ علينا  
فجهلٌ فوق جهلِ الجاهلينا <sup>(٣)</sup>

وعن أبي العالية: نسختها آية القتال ، ولا حاجة إلى ذلك ، لأن الأمر بحسن الخلق ومقابلة الغليظ من القول باللين محمود في الشرع والعقل والمروءة ، وأبعد عن الوقوع في الحرج <sup>(٤)</sup>. يقال: بات فلان عند فلان إذا أدركه الليل عنده نمت أولم تنم . قالوا: من قرأ شيئاً من القرآن في صلاة وإن قلَّ بات ساجداً أو قائماً. وقيل: هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء <sup>(٥)</sup> ، والظاهر أنه أراد وصفهم بإحياء الليل أو أكثره ، يقال : فلان يظل صائماً ويبيت قائماً <sup>(٦)</sup>.

﴿غَرَامًا﴾ هلاكاً مُلِحاً لازماً، ومنه الغريم لإلحاحه. وصفهم بإحياء الليل ساجدين وقائمين وهم مع ذلك خائفون من الله يبتهلون إليه بصرف العذاب عنهم.

﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقْرَأً وَمُقَامًا﴾ <sup>(٦٦)</sup> ﴿سَاءَتْ﴾ مثل يئست، وفيها ضمير مبهم يفسره ﴿مُسْتَقْرَأً وَمُقَامًا﴾ والمخصوص بالذم محذوف، تقديره: جهنم، ويجوز أن تكون ﴿سَاءَتْ﴾ بمعنى أحزنت، وفيها ضمير اسم إنَّ و﴿مُسْتَقْرَأً﴾ حال أو تمييز، والتعليان

(١) ينظر المثل في: تهذيب الأسماء للنووي ( ٣ / ٢٠٤ ) ، لسان العرب ( عز ) ونقلنا عن ثعلب في كتابه الفصيح أن معناه : إذا تعظم أخوك شامخاً عليك فالترزم له الهوان ، قال أبو إسحاق : هذا خطأ من ثعلب إنما هو فهن بكسر الهاء معناه : إذا اشتد فهن من هان يهين إذا صار هيئاً لنا فإن العرب لا تأمر بالهوان لأنهم أعزة أباة للضميم .

(٢) سورة الفرقان ، الآية ( ٢٠١ ) ويروى هذا القول عن الإمام أحمد بن حنبل ، ذكره أبو نعيم في ترجمة الإمام أحمد في حلية الأولياء ( ٩ / ١٨٤ ) ، وابن الجوزي في صفة الصفوة ( ٢ / ٣٤٨ ) .

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة النساء، الآية (١٧).

(٤) هذا قول الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٢٩١ ) .

(٥) هذا قول الفراء في معاني القرآن ( ٢ / ٢٧٧ ) .

(٦) هذا قول الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٢٩٢ ) .

يصحُّ أن يكونا متداخلين أو مترادفين، وأن يكونا من كلام الله - تعالى - حكاية لقولهم.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾

﴿يَقْتُرُوا﴾ بكسر التاء وضمها و﴿يَقْتُرُوا﴾ بتخفيف التاء وتشديدها<sup>(١)</sup>، وهي نقيض الإسراف الذي معناه مجاوزة الحدِّ في الإنفاق، وهو كقوله - تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾<sup>(٢)</sup> وقيل: الإسراف إنما هو في المعاصي، فأما في القرب فلا إسراف. وقال قائل: لا خير في السرف، فقيل له: لا سرف في الخير. وقيل: أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا لا يأكلون طعاماً للتنعم واللذة (١٥٢/ب) ولا يلبسون ثوباً للجمال والزينة، ولقد كانوا يأكلون ما يسد جوعتهم، ويعينهم على عبادة ربهم، ويلبسون ما يستر عوراتهم، ويكنهم من الحرِّ والقرِّ.

وقال عمر رضي الله عنه: «كفى سرفاً ألا يشتهي الرجل شيئاً إلا اشتراه وأكله»<sup>(٣)</sup>.

والقوام: العدل بين الشئيين لاستقامة الطرفين وقرئ (قواماً) بالكسر<sup>(٤)</sup>، وهو ما يقام به الشيء ﴿بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ يجوز أن يكونا خبرين لكان، وأن يجعل «بين ذلك» لغواً،

(١) قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر (يُقْتُرُوا)، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب (يَقْتُرُوا)، وقرأ باقي العشرة (يَقْتُرُوا)، وقرأ العلاء بن سيابة واليزيدي (يُقْتُرُوا). تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٥١٤/٦)، حجة ابن خالويه (ص: ٢٦٦)، حجة أبي زرعة (ص: ٥١٣)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/٢٦٣)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٤٦٦)، الكشاف للزمخشري (٣/٢٩٢)، معاني القرآن للفراء (٢/٢٧١)، النشر لابن الجزري (٢/٣٣٤).

(٢) سورة الإسراء، الآية (٢٩).

(٣) ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٢/٤٦٧) ونسبه لعبد الرزاق، كما نسبه له السيوطي في الدر المنثور (٦/٢٧٥) عن الحسن عن عمر رضي الله عنه.

(٤) قرأ "قواماً" حسان بن عبد الرحمن، وقراءة الجمهور "قواماً". تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٥١٤/٦)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/٢٦٤)، فتح القدير للشوكاني (٤/٨٦)، الكشاف للزمخشري (٣/٢٩٣)، المحتسب لابن جني (٢/١٢٥).

و«قَوَامًا» مستقرا ، وأن يكون الظرف خبراً و«قَوَامًا» حال مؤكدة ، وأجاز الزجاج<sup>(١)</sup> أن يكون ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ اسم كان، على أنه مبني لإضافته إلى غير متمكن ، كقول الشاعر [من البسيط] :

لم يمنع الشربَ منها غيرَ أنْ نطقتُ حَمَامَةً....<sup>(٢)</sup>

وهو حسن من جهة الإعراب، ولكن المعنى ليس بقوي؛ لأن ما بين الإسراف والتقتير قوام لا محالة، فليس في الخبر الذي هو معتمد الفائدة فائدة<sup>(٣)</sup>. ﴿حَرَّمَ اللَّهُ﴾ أي: حرّم قتلها، و﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ متعلق بهذا القتل المحذوف، أو بـ ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ﴾. وذكر نفي هذه القبائح بعد وصفهم بتلك المحاسن العظيمة تعريض بالكفار؛ كأنه قال: وعباد الرحمن الفاعلون للخير المبرؤون مما نسب إلى هؤلاء، و﴿يَقْتُلُونَ النَّفْسَ﴾ يدخل فيه الوأد وغيره. وقرئ (يلقى) بإثبات الألف<sup>(٤)</sup>. والآثام: جزاء الإثم. ﴿يَلْقَى آثَامًا﴾ أي: جزاء آثام. وقرأ ابن مسعود (أياما)<sup>(٥)</sup> أي: شدائد. يقال: يوم ذو أيام، لليوم العصيب.

(١) في الأصل: الزجاج ، والصواب المثبت كما في الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٩٣) وهذه عبارته ، وكلام الفراء في معاني القرآن (٢ / ٢٧٢ - ٢٧٣) ولم أجده في معاني القرآن للزجاج ، فلعله سبق قلم من الناسخ أو وهم .

(٢) هذا صدر بيت لأبي قيس بن الأسلت يصف ناقة ، وعجزه:

..... في غصون ذات أوقال

ينظر في : الإنصاف لابن الأنباري (١ / ٢٨٧) ، الدرر اللوامع (٣ / ١٥٠) ، ديوان أبي قيس ( ص : ٨٥ ) ، شرح أبيات سيويه (٢ / ١٨٠) ، شرح شواهد المغني (١ / ٤٥٨) ، شرح المفصل لابن يعيش (٣ / ٨٠) ، الكتاب لسيويه (٢ / ٣٢٩) ، الكشاف للزمخشري (٢ / ٤٢٢) ، مغني اللبيب لابن هشام (١ / ١٥٩) ، همع الهوامع للسيوطي (٢ / ١٧٣) والشرب - بالكسر: النصيب من الماء، وبالضم: المصدر من شرب ، والأوقال : جمع وقل وهي الحجارة ، أو بقايا جذع الشجرة بعد تقليم بعض أغصانها . والشاهد فيه : نصب " غير " حيث أضيف إلى " أن " فبنيت ، وهذا جائز ، ويروى " غير " بالضم على الفاعلية ، ولا يكون فيه شاهد حينئذ .

(٣) هذا كلام الزمخشري في الكشاف (٣ / ٢٩٣).

(٤) قرأ بها ابن مسعود وأبو رجاء. تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٥١٥) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢٦٤) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٩٤).

(٥) وقرأ بها أيضا الحسن البصري. تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٥١٥) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢٦٤) ، فتح القدير للشوكاني (٤ / ٨٨) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٩٤).

﴿يُضَعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيُخْلَدُ فِيهِ مُهَانًا﴾ (٦٦) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِثَابِتٍ رَبِّهِمْ لَمْ يُخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾

﴿يُضَعَفُ﴾ بدل من ﴿يَلْقَى﴾ لأنهما بمعنى واحد، وقرئ (ويُخْلَدُ) على البناء للمفعول، مخففاً ومثقلاً<sup>(١)</sup> ومعنى مضاعفة العذاب تكثيره لاختلاف موجباته من الكفر والمعاصي.

﴿يُبَدِّلُ﴾ ما كانوا عليه من التقصير بما وفقهم له من التوبة النصوح واستدل أصحاب السوء بأصحاب الخير، واستبدال السيئات بالحسنات. ﴿فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: يرجع إليه مرجعاً حسناً، وهو الذي يحب التوابين ويحب المتطهرين. ﴿لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ أي: لا يحضرون مواضع الفسق والفجور؛ صيانة لدينهم عما يثلمه، ولذلك امتنعوا من حضور أعياد المشركين. ﴿وَإِذَا مَرُّوا﴾ بمن يتكلم باللغو والفاحشة أعرضوا عنه وأكرموا أنفسهم أن يحضروا مثل ذلك المكان. ﴿لَمْ يُخِرُّوا عَلَيْهَا﴾ ليس للخروج وإنما هو إثبات له (أ/١٥٣) ونفي للصمم والعمى، كما تقول: لا يلقاني زيدٌ مسلماً. هو نفي للسلام لا للقاء، والمعنى: مسارعتهم إلى الخور ومبادرتهم إليه بأذان سامعة وقلوب واعية، وقرئ (قُرَّاتٍ أَعْيُنٍ)<sup>(٢)</sup> سألوا ربهم أن يرزقهم ذرية صالحة عاملين لله وليس شيء أقر لعين المسلم من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله.

وقيل: سألوا أن يلحق الله بهم أزواجهم وذريتهم في الجنة ليتم لهم سرورهم. أراد أئمة

(١) قرأ (يُخْلَدُ) أبو عمرو في رواية عنه، وغلطها الفارسي من جهة روايتها. وقرأ (ويُخْلَدُ) أبو حيوة.  
تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٥١٥/٦)، الحجة لأبي زرعة (ص: ٥١٤)، الدر المصون للسمين الحلبي (٢٦٤/٥)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٤٦٧)، الكشاف للزنجشري (٢٩٤/٣)، النشر لابن الجزري (٣٣٤/٢).

(٢) قرأ بها ابن مسعود وأبو الدرداء وأبو هريرة.

تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٥١٧/٦)، الدر المصون للسمين الحلبي (٢٦٦/٥)، الكشاف للزنجشري (٢٩٦/٣)، معاني القرآن للفراء (٢٧٤/٢).

فاكتفى بالواحد في قوله: ﴿إِمَامًا﴾ لدلالته على الجنس، ولعدم اللبس؛ كقوله: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾<sup>(١)</sup> أو اجعل كل واحد منا إماماً، أو أراد جمع أم، كصائم وصيام، أو أراد واجعلنا إماماً واحداً لاتحادنا واتفاق كلمتنا، وفيه دليل على أن الرياسة ينبغي طلبها قيل: نزلت الآية في العشرة المبشرين بالجنة<sup>(٢)</sup>.

﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِنْ أَزْوَاجِنَا﴾ يجوز أن تكون للبيان، كأنه قال: هب لنا قرّة أعين، ثم بين ذلك في الذرية والأزواج، كقولك: رأيت منك أسداً، وأن تكون لابتداء الغاية، أي: هب لنا من جهة الأزواج والذرية، وإنما نكر القرّة لأنها مضافة إلى النكرة، وذكر جمع القلة؛ لأن المتقين قليل بالإضافة إلى غيره؛ لقوله - تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا مَنَاجِبَ وَسَلَامًا﴾<sup>(٧٥)</sup> خَلِيدٌ فِيهَا حَسَنَاتٌ مَّسْتَقَرًّا وَمُقَامًا<sup>(٧٦)</sup> قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا<sup>(٧٧)</sup>

وقوله: ﴿يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾ اكتفى فيه بالواحد للدلالة على الجنس؛ كقوله: ﴿وَهُمْ فِي الْغُرْفَاتِ ءَامِنُونَ﴾<sup>(٤)</sup> ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ أي: بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى أذى الكفار ومجاهدتهم وعلى الفقر.

وقرىء ﴿وَيُلَقَّوْنَ﴾ كقوله: ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً﴾<sup>(٥)</sup> وقرىء (يُلَقَّوْنَ)<sup>(٦)</sup> مخففاً؛ كقوله: ﴿يَلْقَى أَثَامًا﴾.

(١) سورة غافر، الآية (٦٧).

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون (١٦٨/٣)، والزنجشيري في الكشاف (٢٩٦ / ٣).

(٣) سورة سبأ، الآية (١٣).

(٤) سورة سبأ، الآية (٣٧).

(٥) سورة الإنسان، الآية (١١).

(٦) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية حفص عنه وأبو جعفر ويعقوب (وَيُلَقَّوْنَ)، وقرأ حمزة والكسائي وشعبة عن عاصم وخلف (وَيُلَقَّوْنَ).

تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٥١٧/٦)، حجة ابن خالويه (ص: ٢٦٧)، حجة أبي زرعة (ص:

٥١٥)، الدر المصون للسمين الحلبي (٢٦٦/٥)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٤٦٨)، الكشاف

للزنجشيري (٢٩٧ / ٣)، النشر لابن الجزري (٣٣٥ / ٢).



التحية: دعاء بالحياة وطول العمر، والسلام: دعاء بالسلامة.

تقول: ما عبأت به، أي: ما تحملت عنه ولا اكرثت به. لولا أنه دعانا إلى الإسلام والخير. ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ أي: إذا كنت لا أعبأ إلا بدعائكم فقد كذبتهم وأبطلتم الطريق الموصلة إلى الاكتراث بكم.

وقيل: ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة؟ والخطاب للمؤمنين والكفار جميعاً، خوطبوا بما وجد في جنسهم من العناد والتكذيب ﴿فَسَوْفَ﴾ أي: فسوف يكون العذاب ﴿لِزَامًا﴾ أي: لازماً.

وقرئ (لِزَامًا) بالفتح<sup>(١)</sup> بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت (١٥٣/ب).

\*\*\*

(١) قرأ (لِزَامًا) بفتح اللام أبو السمال وأبان بن تغلب، وقراءة الجمهور (لِزَامًا) بكسر اللام. تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٥١٨ / ٦)، الدر المصون للسمين الحلبي (٢٦٦ / ٥)، الكشاف للزنجشري (٢٩٧ / ٣)، مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ١٠٥).

## سورة الشعراء [ مكية ، وفيها مدني ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طَسَرَ ١﴾ نِكَ ءَايَتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَخِيعٌ نَفْسِكَ إِلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لِمَا خَضَعِينَ ﴿٤﴾

بتفخيم الألف وإمالتها وإظهار النون وإدغامها ﴿ءَايَتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ الظاهر إعجازه والمراد به السورة أو القرآن . ﴿بَخِيعٌ﴾ قاتل بقطع البخاع، وهو عرق مستبطن للقفأ . و"لعل" للإشفاق ، يعني : أشفق على نفسك ، ولا تقتلها غمًا بسبب تأخرهم عن الإيمان . وقرئ ﴿بَخِيعٌ نَفْسِكَ﴾ (١) .

﴿نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ﴾ أراد آية ملجئة إلى الإيمان ؛ كنتق الجبل فوق رؤوسهم كالظلة . ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ﴾ معطوف على الجزاء ؛ لأنه لو قيل : أنزلنا . لكن صحيحاً ونظيره : ﴿فَأَصَدَّقَ وَأَكُنْ﴾ (٢) كأنه قيل : أصدق . وقرئ ( فتظلُّ أَعْنَاقُهُمْ ) (٣) .

فإن قيل : ما وجه ﴿خَضَعِينَ﴾ بجمع السلامة والأعناق لا تعقل ؟ قلنا : الأصل فظلُّ أصحاب الأعناق كقولك : ذهبت أهل اليمامة ، كان الأهل غير مذكور .

وقيل : إنما خص الأعناق ؛ لأنها محل الخضوع . وقيل : أعناق الناس رؤساؤهم ، كما قيل لهم : الرؤوس والنواصي والصدور، قال الشاعر [ من البسيط ] :

فِي مَحْفَلٍ مِنْ نَوَاصِي النَّاسِ مَشْهُودٌ<sup>(٤)</sup>

وقيل : جماعة من الناس ، تقول : أتانا عنق ، أي : جماعة . وعن ابن عباس : نزلت هذه

(١) قرأ قتادة وزيد بن علي " باخيعُ نفسك " على الإضافة ، وقراءة الجمهور " باخيعُ نفسك " .  
تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٥ / ٧ ) ، الدر المصون للسمن الحلبي ( ٤ / ٤٣٤ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٤ / ٩٣ ) ، الكشاف للزغشري ( ٣ / ٢٩٨ ) .

(٢) سورة المنافقون ، الآية ( ١٠ ) .

(٣) قرأ بها طلحة . تنظر في : الدر المصون للسمن الحلبي ( ٥ / ٢٦٧ ) ، الكشاف للزغشري ( ٣ / ٢٩٩ ) .

(٤) هذا عجز بيت لأم قيس الضبية ، وصدرة : ومشهد قد كفيت الناطقين به .....

ينظر في : الدر المصون للسمن الحلبي ( ٥ / ٢٦٧ ) ، روح المعاني للألوسي ( ١٢ / ١٣٨ ) ، الفائق للزغشري ( ٣ / ٤٣٤ ) ، الكشاف للزغشري ( ٢ / ٤٢٨ ) .

الآية فينا وفي بني أمية ، ستكون لنا عليهم الدولة ، فتذل لنا أعناقهم بعد صعوبة ، ويلحقهم هوانٌ بعد عزة<sup>(١)</sup> .

﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثًا إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءٌ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦﴾ أُولَئِكَ يَرَوْنَ إِلَى الْأَرْضِ كَمَا أَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾

﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ ﴾ وما يجدد الله لهم بوحيه موعظةً وتذكيراً إلا أعرضوا عنه ، وخالف بين الألفاظ والغرض واحد وهي الإعراض والتكذيب والاستهزاء ، والغرض وإن تقارب فهو مختلف ؛ لأنهم حين أعرضوا فقد كذبوا ، ولما كذبوا شرعوا في الاستهزاء . ﴿ فَسَيَأْتِيهِمْ ﴾ تهديد معناه : سيعلمون في الآخرة خبر ما كذبوا به ، وهو القرآن ، فإنه الفصل الحق الذي لا محيد عنه . ﴿ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ الكريم : وصف لكل ما يحمد ويُرضى به ، تقول وجه كريم : مرضي في جماله ، وكتاب كريم : مرضي في معانيه وفوائده .

وقال [ من المنسرح ] : حَتَّى يَشُقَّ الصُّفُوفَ مِنْ كَرَمِهِ<sup>(٢)</sup>

أي : من كونه مرضياً في شجاعته وبأسه . والنبات الكريم : المرضي فيما يتعلق به من المنافع . ﴿ إِنَّ فِي ﴾ إنبات تلك الأصناف ﴿ لآيَةً ﴾ دليلاً على أن مُنِيَّتَهَا قَادِرٌ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى ، وقد علم الله أن أكثرهم مطبوعٌ على قلوبهم غير مرجو إيمانهم .

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ ﴾ الغالب ﴿ الرَّحِيمُ ﴾ من آمن وعمل صالحاً ( ١٥٤ / ١ )

فإن قيل : ما معنى الجمع بين كل وكم ؟ ولو قيل : كم أنبتنا فيها من زوج كريم ؟

قلنا : قد دل " كل " على الإحاطة بأزواج النبات على سبيل التفصيل ، ودلت " كم " على أن هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة ، ونبه بذلك على كمال قدرته ، ووصف الزوج بالكرم يحتمل وجهين :

أحدهما : أن النبات على قسمين : نافع وضار ، فذكر النافع وترك الضار .

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٢٩٩ ) .

(٢) هذا عجز بيت لرجل من حمير يمدح قومه ، وصدده : ولا يجيم اللقاء فارسهم .....

ينظر في : ديوان الحماسة ( ١ / ١٢٣ ) ، روح المعاني للألوسي ( ١٩ / ٦٢ ) ، الفائق للزمخشري

( ٣ / ٣٦٢ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٣٠٠ ) ولا يجيم : لا يجبن عن اللقاء . ومن كرمه : من

شجاعته وجراته .

والثاني : أن يريد جميع النبات من نافع وضار ؛ لأنه تعالى حكيم ما يفعل شيئاً إلا بمقتضى حكمة ولا بد في النوع الضار من منفعة ، إما بقتل طاغية من الطفاعة أو يستعمل اليسير منه للأمراض الخطرة وغير ذلك .

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ ﴿١٣﴾

قوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ﴾ ولم يقل : لآيات ، مع أن النبات متكرر لوجهين :

أحدهما : أن المراد إن في كل واحد لآية .

والثاني : أن يكون الضمير عائداً على الإنبات ، إن في إنبات ذلك .

سجل عليهم بالظلم بأن وصفهم به أولاً ، ثم عطفهم على ﴿ الظالمين ﴾ عطف البيان كأن حقيقة الظالمين إنما هي هؤلاء ، وكأنهما لفظان مترادفان ، إن شئت فسمهم بالقوم الظالمين ، وإن شئت فسمهم بقوم فرعون ، وهم ظلمة من وجهين :

أحدهما : شركهم ؛ لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (١٣) ﴿١﴾ .

والثاني : ظلمهم بني إسرائيل لاستعبادهم .

قوله : ﴿ أَلَا يَتَّقُونَ ﴾ قرئ بكسر النون أصله : يتقونني ، فحذفت إحدى النونين لاجتماع المثلين تخفيفاً ، وقوله : ﴿ أَلَا يَتَّقُونَ ﴾ كلام مستأنف . لما وصف قوم فرعون بالظلم فعجب الناس من جرأتهم على الله وأنهم لا يخافون عقابه ، ومن قرأ ( أَلَا تَتَّقُونَ ) (٢) فهو التفات عن الغيبة إلى الخطاب ، وأجرى الوحي إلى موسى بذلك مجرى خطاب الكفار به وكم آية أنزلت في حق الكفار والقصد بها تسميع المؤمنين .

﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ﴾ (١٣) ﴿١٤﴾ وَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٥﴾

(١) سورة لقمان ، الآية ( ١٣ ) .

(٢) قرأ " تتقون " بالخطاب عبيد بن عمير وأبو حازم ، وقرأ الجمهور " يتقون " بالغيبة .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٧ ) ، تفسير القرطبي ( ١٣ / ٩٢ ) ، الدر المصون للسمين

الحلي ( ٥ / ٢٦٩ ) ، الكشاف للزخشري ( ٣ / ٣٠١ ) ، المحتسب لابن جني ( ٢ / ١٢٧ ) .

قرئ ﴿ وَيَضِيقُ ﴾ ﴿ وَيَطْلِقُ ﴾ بالرفع فيهما ؛ [ لأنهما معطوفان ] <sup>(١)</sup> على خبر " إن " وقرئ بالنصب <sup>(٢)</sup> لعطفهما على صلة أن ، والفرق بينهما في المعنى أن الرفع يفيد أن فيه ثلاثة علل : خوف التكذيب ، وضيق الصدر ، وامتناع انطلاق اللسان ، والنصب على أن خوفه متعلق بهذه الثلاثة . فإن قلت : في النصب تعليق الخوف بالأمور الثلاثة ، وفي جملتها نفي انطلاق اللسان ، وحقيقة الخوف إنما هو غمٌ يلحق الإنسان لأمرٍ سيقع وذلك (١٥٤/ب) كان واقعاً ، فكيف جاز تعليق الخوف به ؟

قلتُ : قد علق الخوف بتكذبيهم وبما يحصل له بسببه ، وضيق الصدر والحبسة في اللسان زيادة على ما كان به ، على أن الحبسة التي في لسانه قد زالت بدعوته .

وقيل : بقيت منها بقية يسيرة . فإن قلت : اعتذارك هذا يردده الرفع ؛ لأن المعنى : إني خائف ، ضيق الصدر ، غير منطلق اللسان !

قلت : يجوز أن يكون هذا قبل الدعوة بإطلاق لسانه واستجابتها ، ويجوز أن يريد القدر اليسير الذي بقي منها ، ويجوز ألا يكون مع حل العقدة من لسانه من الفصحاء ، فإن العقدة انحلت بعضها وبقي منها بقية ، ولذلك قال فرعون عن موسى : ﴿ وَلَا يَكَادُ بَيْنُ ﴾ <sup>(٣)</sup> أي : لا يفصح عما يريد أن يتكلم به .

﴿ فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ﴾ أرسل إليه جبريل واجعله نبياً ، وهذا اختصار للقصة ؛ كقوله : ﴿ فَكُنَّا أَهْبَاءً إِلَىٰ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴾ <sup>(٤)</sup> فاقصر على ذكر طرفي القصة . فإن قيل : كيف ساغ لموسى أن يعتذر بعد أمر الله له بمشاركة هارون في النبوة وهي رتبة عظيمة ؟ قلتُ : موسى لم يعتذر ، وإنما قصد إزاحة علته وأن موسى رجلٌ واحدٌ فقيرٌ ، وغريمه فرعون بلغ من كبره أنه ادعى الإلهية ، وكفى بطلبه العون بأخيه دليلاً على أنه قبل ولم يعتذر .

(١) في الأصل : لأنه معطوف . والمثبت هو الصحيح .

(٢) قرأ يعقوب من العشرة " ويضيق صدري ولا ينطلق لساني " وقرأ الباقر " ويضيق صدري ولا ينطلق لساني " . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٧ ) ، تفسير القرطبي ( ١٣ / ٩٢ ) ، الدر المصون للسمن الحلي ( ٥ / ٢٧٠ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٣٠٢ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٣٥ ) .

(٣) سورة الزخرف ، الآية ( ٥٢ ) .

(٤) سورة الفرقان .

أراد بالذنب قتله القبطي ، أي : ولهم عليّ تبعه ذنب ، وهي قَوْدُ القتل<sup>(١)</sup> سُمِّيَ جزاءُ التبعة ذنباً مجازاً ، وأراد أنه خائف أن يقتل قبل أداء الرسالة ، فيفوت القصد

﴿ قَالَ كَلَّا ۗ فَآذْهَبَا بِمَا بَيْنَنَا ۗ إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴾<sup>(١٥)</sup> فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ  
الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾

وقوله : ﴿ كَلَّا ﴾ أي : ليس يقدر على قتلك . وقوله : ﴿ فَآذْهَبَا ﴾ إجابة لموسى في جعل هارون نبياً معه وزيراً . قوله عز وجل : ﴿ مَعَكُمْ ﴾ و ﴿ مُسْتَمِعُونَ ﴾ خبر لـ " إن " وهذا من مجاز الكلام يعني : إني أشاهد ما يجري منكما وأنا قادر على دفعه عنكما .

ومن صفات الله تعالى السميع ، ولكن لا يسمى مستمعا ؛ لأن المستمع هو المصغي ، والاستماع من السمع ، كالنظر من الرؤية ، فإن قيل : لم أفرد ﴿ رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ وقال في موضع آخر : ﴿ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾<sup>(٢)</sup> ؟ قيل : أراد بالإفراد المصدر ، كأنه قال : إنا ذويًا رسول ربك ، فأفرد كما يفرد المصدر ؛ كقوله [ من المتقارب ] :

أَلِكُنِي إِلَيْهَا وَخَيْرُ الرَّسُولِ لِعَلَّمُهُمْ بِنُوحِي الْخَبْرُ<sup>(٣)</sup>

وكقوله ( أ / ١٥٥ ) [ من الطويل ] :

لَقَدْ كَذَبَ الْوَاشُونَ مَا فَهَتُ عِنْدَهُمْ بِزُورٍ وَلَا أَرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولٍ<sup>(٤)</sup>

(١) القود : قتل النفس بالنفس ، والقود : القصاص ، وأقوت القاتل بالقتيل : قتلته به .

ينظر : لسان العرب ( قود ) .

(٢) سورة طه ، الآية ( ٤٧ ) .

(٣) البيت لأبي ذؤيب الهذلي ينظر في : شرح أشعار الهذليين ( ص : ١١٣ ) ، الكشاف للزمخشري

( ٣ / ٣٠٤ ) ، لسان العرب ( لوك ) ، المخصص لابن سيده ( ١٢ / ٢٢٥ ) وألكني : أرسلني .

والرسول هنا مصدر فجاز إفراده مع تعدد معناه ، ولذلك عاد إليه ضمير الجمع في " أعلمهم " ، وشبه

الخبر بمكان ذي جهات على الاستعارة المكنية .

(٤) البيت لكثير عزة ينظر في : تهذيب اللغة للأزهري ( ١٢ / ٣٩١ ) ، ديوان كثير ( ص : ١١٠ ) ،

الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٣٤٤ ) ، لسان العرب ( رسل ) ، النكت والعيون للماوردي ( ٣ / ١٧٢ )

ويروى : ما بحت عندهم بسر ..... والواشون : الذين يخلطون الصدق بالكذب ويحرفون الكلم عن

مواضعه ، ورسول : رسالة .

## تفسير سورة الشعراء

وقيل: أفرده لأن هارون وزيراً لموسى يشثوران على أمرٍ واحد ويعزمون عليه (١٥٥/أ) .

﴿ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ۖ قَالَ أَلَمْ تُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ۗ ﴿١٧﴾ وَفَعَلْتَ فَعَلَتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۗ ﴿١٨﴾ ﴾

﴿ أَنْ أَرْسِلَ ﴾ بمعنى : أي أرسل ؛ لتضمن الرسول معنى الإرسال ، وهي قوله يُفَسِّرُ بِأَيٍّ وَمَعْنَى الْإِرْسَالِ هُنَا التَّخْلِيَةُ وَالْإِطْلَاقُ ، وَيُمْكِنُهُمْ أَنْ يَذْهَبُوا مَعَ مُوسَى إِلَى فِلَسْطِينَ وَيُرَوَّى أَنَّهُمَا انْطَلَقَا إِلَى بَابِ فِرْعَوْنَ وَلَمْ يُوْذَنَ لِهَٰمَا سَنَةً ، حَتَّى قِيلَ لِفِرْعَوْنَ : إِنْ هُنَا إِنْسَانًا يَزْعَمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ، فَقَالَ : ائْذَنْ لِي لَعَلَّنَا نَضْحَكُ مِنْهُ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَأَدَّى الرِّسَالَةَ ، فَعَرَفَ فِرْعَوْنُ مُوسَى ، فَإِنَّهُ تَرَبَّى فِي حَجْرِهِ ، فَقَالَ : ﴿ أَلَمْ تُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا ﴾ الوليد الصبي لقرب عهده بالولادة ، وقرئ بسكون الميم من ﴿ عُمُرِكَ ﴾ (١) .

قوله : ﴿ سِنِينَ ﴾ قيل : مكث عندهم ثلاثين سنة وفر منهم على إثرها .

عدد فرعون على موسى نعمته عليه بالتربية ، ووجهه بقتل خبازه ، وعظم ذلك بقوله : ﴿ وَفَعَلْتَ فَعَلَتِكَ ﴾ ويجوز أن يكون قوله : ﴿ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ جملة حالية ، أي : وأنت من الكافرين بنعمتي ، ويجوز أن يكون كلاماً مستأنفاً نسب به فرعون موسى إلى الكفر ، وقد افتري عليه ؛ فإن الأنبياء معصومون من الكفر ، أو : كافر بأمر فرعون ، أو كان ممن يكفر بإلهية فرعون ، فقد قيل : إنه كان لهم أصنام يعبدونها ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴾ (٢) .

﴿ قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ۗ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۗ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ۗ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ۗ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ۗ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ۗ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ۗ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ۗ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ۗ ﴿٢٨﴾ ﴾

فأجاب موسى : بأني إنما قتلت القبطي وأنا جاهل بالحكم .

(١) قرأ بها أبو عمرو البصري . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ١٠ ) ، الدر المنصور للسمين

الخلي ( ٥ / ٢٧٠ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٤٧١ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٣٠٥ ) .

(٢) سورة الأعراف ، الآية ( ١٢٧ ) .

وقرأ ابن مسعود ( مِنْ الْجَاهِلِينَ )<sup>(١)</sup> أي : فعلت فعل أولي الجهل والسفه ، كما قال يوسف لإخوته : ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> أو المخطئين ، أي : لم أتعمد القتل ، بل كنت مخطئاً أو الناسين ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾<sup>(٣)</sup> ثم كرر موسى على إبطال ما عدد فرعون عليه من النعيم ، يعني إن هذا الذي عدده نعمة هو نقمة على التحقيق ، فإنه ما أكرم من أهين قومه . ﴿ وَعَبَدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ اتخذتهم عبيداً . وقوله : ( إِذْنٌ ) جزاء وجواب فما وضعه وقوله : ﴿ وَفَعَلتَّ فَعَلتَكَ ﴾ كأنه قال : وجازيتني على حسن التربية قتلت خبازي ، وأما الجواب فهو حاصل .

وأفرد في قوله : ﴿ تَمَنَّا ﴾ وفي ﴿ مِنْكُمْ ﴾ جمع ، وكذلك ( ١٥٥ / ب ) قوله : ﴿ خِفْتُمْ ﴾ لأن الخوف والفرار لم يكونا من فرعون وحده ، ولكن منه ومن ملئه ﴿ إِنَّكَ الْعَمَلَاءُ يَأْتِمُرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾<sup>(٤)</sup> وأما الامتنان والتعبيد فمن جهة فرعون خاصة .

قوله : ﴿ وَتِلْكَ ﴾ إشارة إلى خصلة شنعاء مبهمة لا تعرف إلا بتفسيرها ، وقد فسرها بقوله : ﴿ أَنْ عَبَدتَّ ﴾ . وقال الزجاج<sup>(٥)</sup> : إنما ألقى موسى في اليم للخوف عليه حين كان يبقي الغلمان ، ويقتل الذكور ، فلو لم تفعل ذلك لكفاني أهلي .

وقول فرعون : ﴿ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ سؤال عن حقيقة ذاته ، فأجاب موسى بأن الذي يعرف من صفات الله مخلوقاته وآثاره ، فأما ذاته سبحانه تعالى فلا سبيل إلى معرفتها إنه شيء لا كالأشياء ، ومعنى سؤال فرعون إنكاراً أن يكون للعالمين إله سواه .

تعجب فرعون والحاضرون من جواب موسى ، حيث نسب الربوبية إلى غيره ، ولما ثبت موسى على التعريف بآثار الله ومخلوقاته جننه فرعون وقال : ﴿ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ

(١) وقرأ بها أيضا ابن عباس .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ١١ ) ، تفسير القرطبي ( ١٣ / ٩٥ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٩٦ / ٤ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٣٠٥ ) ، معاني القرآن للفراء ( ٢ / ٢٧٩ ) .

(٢) سورة يوسف ، الآية ( ٨٩ ) .

(٣) سورة البقرة ، الآية ( ٢٨٢ ) .

(٤) سورة القصص ، الآية ( ٢٠ ) .

(٥) ينظر : معاني القرآن للزجاج ( ٤ / ٨٧ ) .



لَمَجْنُونٌ ﴿٢٠﴾ وأعاد موسى الجواب بمثل ذلك فقال: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ولوح موسى بالجواب عن إساءة فرعون بنسبة موسى إلى الجنون فقال: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ يعني: أنتم أحق أن تنسبوا إلى الجنون.

قيل: كان حوله خمسمائة رجل في أيديهم الأساور، وكانت للملوك خاصة - أعني الأساور - وعم بقوله: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ فلم خص بعد ذلك الآباء؟ لأن أقرب المنظور إليه أبو الإنسان وخاصته، ثم خصص المشرق والمغرب؛ لأن تعاقبهما بالشروق والغروب يدل على قادرٍ يحركهما عالم بالمصلحة في ذلك، وهو مما لا يستطيع البشر المشاركة فيه، ولظهور هذا الدليل انتقل إبراهيم الخليل عن الاستدلال بالإحياء والإماتة إلى قوله: ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ (١) فلاينهم، فلما أغلظوا له في القول ونسبوه إلى الجنون قابل ذلك بقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ و﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

﴿قَالَ لَيْنٍ أَخَذَتْ إِلَيْهَا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ (٢١) قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٢٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢١﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤﴾

قال له فرعون: ﴿لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ ولم يقنع بأن يقول: لأسجننك وأراد ﴿مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ الذين عرفت خبرهم، وكان من عادته أن يلقي المسجون في هوة ذاهبة في الأرض وحده لا يسمع ولا يرى. الواو في قوله: ﴿أَوْلَوْ جِئْتُكَ﴾ (أ/١٥٦) واو الحال دخل الاستفهام عليها، أي: أتفعل بي ذلك ولو جئتك بحجة ظاهرة وآية بينة؟

وقوله: ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ محذوف الجزاء، أي: إن كنت من الصادقين فأت به.

﴿ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ أي: ظاهرٌ كونه ثعباناً، وليس كالمصنوع المزور. روي أنها انقلبت حية ورفعت رأسها إلى السماء قدر ميل ثم انحطت وقصدت فرعون، وقالت لموسى: مرني بما شئت، فقال فرعون لموسى: أسألك بالذي أرسلك إلا أخذتها فأخذها فعادت عصا (٢).

(١) سورة البقرة، الآية (٢٥٨).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٩ / ٧١)، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٥١١) لأبي الشيخ عن المنهال.

﴿لِلنَّظِيرِينَ﴾ يدل على أن بياضها كان شديداً يستوقف النظر؛ لتعجبهم منه لخروجه عن البياض المعتاد . قيل : كان لها ليده شعاع يغشى الأبصار ويسد الأفق و﴿حَوْلَهُ﴾ منتصب بوجهين : أحدهما : أنه ظرف ، وفي الظرف ضمير هو صاحب الحال .

والثاني : النصب على الحال ، ولقد تحير فرعون لما أبصر الآيتين وبقي لا يدري أي طرفيه أطول ؟ حتى زل عنه ذكر دعوى الإلهية ، ورعدت فرائضه حتى احتاج إلى مشاورة الذين هو إلههم بزعمه . قوله : ﴿لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾ قول باهت قد انقطعت حججه .

﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ (٣٥) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدْيَنِ حَاشِرِينَ (٣٦) يَا تَوَكُّبِكُ كُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ (٣٧) فَجَمَعَ السَّحْرَةَ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (٣٨) وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ (٣٩) لَعَلَّنا نَتَّبِعُ السَّحْرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (٤٠) فَلَمَّا جَاءَ السَّحْرَةَ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَيْنَ لَنَا أَجْرٌ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (٤١) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٢) قَالَ لَهُمْ مُوسَى الْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ (٤٣) فَالْقُوا جِبَاهَهُمْ وَعَصِيَّتَهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ (٤٤) فَالْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (٤٥) فَالْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ (٤٦) قَالُوا ءَأَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٧) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (٤٨) قَالَ ءَأَمِنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَأْذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (٤٩) ﴿

﴿تَأْمُرُونَ﴾ من المؤامرة وهي المشاورة ، أو من الأمر ضد النهي ، جعل العبيد أمرين وإلههم مأمور لما لحقه من الدهش و﴿فَمَاذَا﴾ منصوب ، إما لكونه في معنى المصدر ، وإما لكونه مفعولاً به كقوله [ من البسيط ] : أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ ..... (١)

أرجأته وأرجيته إذا أخرته ، وهم لغتان ومنه المرجئة وهم الذين لا يقطعون بوعيد الفساق ويقولون : هم مرجئون لأمر الله (٢) . والمعنى : أخره ومناظرته ليجتمع السحرة .

وقيل : احبسهما . ﴿حَاشِرِينَ﴾ شُرُطاً يجمعون السحرة . وأتوا بلفظة ﴿بِكُلِّ﴾ وبلفظ ﴿سِحْرٍ﴾ للمبالغة في تطمين نفس فرعون . ﴿لِمِيقَاتِ يَوْمٍ﴾ هو يوم الزينة ﴿هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾ استبطاء لإجابتهم ﴿نَتَّبِعُ السَّحْرَةَ﴾ إن غلبوا موسى ، وليس القصد إلا الطمع في أن يغلب فرعون موسى . قوله : ﴿إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ جزاء وجواب .

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة النحل ، الآية ( ٥٠ ) .

(٢) تقدم الحديث عن المرجئة في تفسير سورة طه ، الآية ( ٤٨ ) .

أقسموا بعزة فرعون ، ولا يجوز القسم بغير الله ولو كان معظماً في الشرع ، كالنبي والكعبة ، فكيف بفرعون ( ١٥٦ / ب ) وعزته ؟! وقد استحدث الناس جاهلية؛ يحلف أحدهم بالله وبصفاته فلا يقبل منه حتى يحلف برأس سلطانه ، فهي عندهم جهد اليمين<sup>(١)</sup> .

﴿ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ ما يقلبونه عن الحق بالسحر والتخييل . أو : ما يكذبون ، جعل أفعالهم كذباً مجازاً . ﴿ فَأَلْقَى السَّحْرَ ﴾ لأنهم لم يتمالكوا حين رأوا ما رأوا أن أسرعوا في السقوط .

﴿ سَاجِدِينَ ﴾ فاعل إلقائهم هو الله الذي قذف في قلوبهم الإيمان ، أو إيمانهم ، أو ما رأوه من الآيات . ﴿ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ وبال ما فعلتم .

﴿ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴾ ٥٠ ﴿ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَاتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ٥١ ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ ﴾ ٥٢ ﴿ فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾ ٥٣ ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾ ٥٤ ﴿ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِطُونَ ﴾ ٥٥ ﴿ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ﴾ ٥٦ ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ ٥٧ ﴿ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ ٥٨ ﴿ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ ٥٩ ﴿ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴾ ٦٠ ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾ ٦١ ﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ ٦٢ ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ ٦٣ ﴿

﴿ لَا ضَيْرَ ﴾ أي : لا ضرر علينا في ذلك بل هو أعظم نفع ، وهو نصره دين الحق . أو لا ضير علينا فيما تعذبنا به ؛ لأنه لا بد من لقاء الله حتى يأخذ كل ذي حق حقه ، وخبر ﴿ لَا ضَيْرَ ﴾ محذوف ، أي : لا ضير علينا في ذلك ﴿ أَنْ كُنَّا ﴾ لأن كنا ، وكانوا أول جمع أسلموا حينئذ .

وقيل : أول جمع من قوم فرعون أو من المشهد ، وقرئ ﴿ أَنْ كُنَّا ﴾ بالكسر<sup>(٢)</sup> ، وهو من الشرط الذي يقوله من يدل بمجصوله ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي ﴾<sup>(٣)</sup>

(١) قاله الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٣١٢ ) ومثل هذا ما يقع من بعض الجهال من القسم بالطلاق والشرف وغير ذلك ، وقد يكون عنده وعند من يقسم له أن القسم بذلك أشد وأكد من القسم بالله تعالى ولا حول ولا قوة إلا بالله وهذا من الطامات التي أصيب بها المسلمون ، ومن المعلوم أن القسم لا يكون إلا بالله كما قال النبي ﷺ : " من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليسكت " وورد في ذلك الكثير من الأحاديث تنظر في كتب الحديث .

(٢) قرأ بها أبان بن تغلب وأبو معاذ . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ١٦ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٢٧٣ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٣١٣ ) ، المحتسب لابن جني ( ٢ / ١٢٧ ) .

(٣) سورة الممتحنة ، الآية ( ١ ) .

ويقول الصانع بعد فراغه مما استأجر عليه : إن كنت عملت لك فأعطني حقي .

﴿ إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ ﴾ معناه : يتبعكم فرعون وقومه ، فأغرقهم وأنجاكم ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ ﴾ محكي بعد قول مضمرة ﴿ لِيُثْرِمَهُ ﴾ جماعة قليلة ، وثوب شرادم ، أي : منقطع ، ووصفهم بالقللة مع ذلك ، وجمعهم جمع سلامة وهو دليل القلة ، وأراد فرعون بهذا القول ألا تضعف حرمة فرعون عند الرعايا بما جرى له مع موسى من العصا واليد البيضاء .

سمى ما أخرجهم منه كنزاً ؛ لأنه لم ينفق في طاعة الله . ﴿ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ أي : المنابر . وقيل : السُرُرُ . وقيل : المنازل الحسنة ﴿ كَذَلِكَ ﴾ في محل الكاف ثلاثة أوجه :

أحدها : النصب ، أي : أخرجناهم إخراجاً مثل ذلك . والثاني : الجرُّ على الصفة لمقام . والثالث : الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف ، أي : الأمر كذلك . ﴿ فَاتَّبَعُوهُمْ ﴾ فلحقوهم ﴿ مُشْرِقِينَ ﴾ داخلين في وقت شروق الشمس . ﴿ سَيَّهِدِينَ ﴾ إلى طريق النجاة .

﴿ تَرَاءَ الْجَمْعَانِ ﴾ أبصر كل فريق أصحابه ( ١٥٧ / أ ) قرئ ﴿ إِنَّا لَمَذْرُكُونَ ﴾ بتشديد الدال وكسر الراء<sup>(١)</sup> من أدرك الشيء : إذا تابع وهلك . قرئ ( كل فلق )<sup>(٢)</sup> والفلق والفرق بمعنى واحد ، والطود : الجبل العظيم .

﴿ وَأَزَلَفْنَا ثُمَّ الْآخِرِينَ ﴾ ٦٤ ﴿ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴾ ٦٥ ﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴾ ٦٦ ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ٦٧ ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ ٦٨ ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ ٦٩ ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ ٧٠ ﴿

﴿ وَأَزَلَفْنَا ثُمَّ ﴾ حيث انفلق البحر ﴿ الْآخِرِينَ ﴾ قوم فرعون ، أي : قربناهم من بني إسرائيل . وقرئ ﴿ وَأَزَلَفْنَا ﴾ بالقاف<sup>(٣)</sup> ، أي : أزللنا أقدامهم ، ويحتمل أن يكون الله تعالى جعل البحر لبني إسرائيل طريقاً ييساً ، ولفرعون وأصحابه زلقاً . قيل : كان جبريل بين صفي موسى وفرعون فكان يقول لبني إسرائيل : ليلحق آخركم أولكم ، ويقول لأصحاب فرعون :

(١) قرأ بها الأعرج وعبيد بن عمرو . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٢٠ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٢٧٥ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٣١٦ ) ، مختصر الشواذ لابن خالويه ( ص : ١٠٧ ) .  
(٢) تنظر في : الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٢٧٦ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٣١٦ ) .  
(٣) قرأ بها أبي وابن عباس وعبد الله بن الحارث ، والمعنى : وأذللنا وأهلكنا . وقراءة الجمهور " وأزلفنا " . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٢٠ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٢٧٦ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٣١٦ ) ، المحتسب لابن جني ( ٢ / ١٢٩ ) .

دونكم يلحق آخركم أولكم ، فلما وصل موسى إلى البحر قال له مؤمن آل فرعون : أين أمرت فهذا البحر أمامك والعدو خلفك ، وقد غشيك آل فرعون قال : أمرت بالبحر ، ولا يدري موسى ما يصنع ، فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فصار فيه اثنا عشر طريقاً ، لكل سبط طريق<sup>(١)</sup> .

وروي أن موسى لما أجاب يوشع خاض يوشع في البحر تصديقا لقول موسى ، فلما انفلق البحر بضرب العصا وجدوا يوشع في موضع الماء الذي خاض فيه لم يتبل له ثوب ولا عدة فرس<sup>(٢)</sup> ، وهذا البحر بحر القلزم . وقيل : بحر من وراء مصر يقال له : إساف<sup>(٣)</sup> .

قوله عز وجل : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ أي : آية عظيمة . كان إبراهيم يعلم أنهم عبدة أوثان ، وإنما سألهم ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ ليبيحتهم .

﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عِزِّينَ﴾ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنْفَعُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤) قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَامُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢)﴾

فإن قيل : هم سئلوا عن المعبود فكان يكفي في الجواب أن يقولوا : أصناماً ؛ كقوله : ﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَبِرًا﴾ (٤) وكقوله : ﴿مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ (٥) وكقوله : ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ﴾ (٦) قلنا : هؤلاء أتوا بالقصة على وجهها ، ولهذا قالوا : ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عِزِّينَ﴾ كما لو قلت لرجل : ما تلبس من الثياب ؟ فيقول : البرد الأثحمي<sup>(٧)</sup> فأجره بين

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ١ / ٢٧٨ ) ونسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ٣٠٤ ) لابن عبد الحكم وعبد بن حميد عن مجاهد .

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ١٩ / ٨٠ ) .

(٣) رواه الطبري في تفسيره ( ٢٠ / ٧٨ ) .

(٤) سورة النحل ، الآية ( ٣٠ ) .

(٥) سورة البقرة ، الآية ( ٢١٩ ) .

(٦) سورة سبأ ، الآية ( ٢٣ ) .

(٧) الأثحمي : ضرب من البرود . ويقال تُحِمَّت الثوب إذا وشَّيته . وفرس مُتَحَمُّ اللَّوْنِ إلى الشُّقْرَةِ كأنه شبه بالأثحمي من البرود وهو الأحمر ، وفرس أثحمي اللون ، وروي عن الفراء قال : التَّحْمَةُ البرود المخططة بالصُّفْرَةِ . ينظر : لسان العرب ( تحم ) .

جوارى الحي ، وذلك يدل على ابتهاجه بهذا اللباس ، وعلى ابتهاج قوم إبراهيم بعبادة الأصنام . وإنما قالوا : نضل . لأنهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل .

لا بد في ﴿يَسْمَعُونَكُمْ﴾ من تقدير ، وهو هل يسمعون دعاءكم ؟ فإنك لو قلت : سمعتُ زيدا . لم يستقم حتى تقول : سمعته يقول أو يحدث . وقرئ ﴿يَسْمَعُونَكُمْ﴾ بضم الياء<sup>(١)</sup> ، أي : هل يسمعونكم جواباً ؟ وجاء بـ ﴿يَسْمَعُونَكُمْ﴾ فيما مضى متكرراً دعاؤكم (١٥٧/ب) إياهم ، ولم يجيبوا قط في حال من الأحوال ، فلما أجابوا إبراهيم باتباع التقليد قال لهم : انتهوا بالتقليد إلى غاياته ، وهو تقليد الأقدمين من آبائكم وصور المحاكمة في نفسه فقال : ﴿فَأَتَتْهُمْ عُدُوِّي﴾ كأنه قال : وجدت عبادتي للشيطان متابعة لعدو ، وقد أخبرنا الله بعبادته لنا ، وهذه نصيحة بدأت فيها بنفسي . العدو : واحد أتى به في موضع الجمع كما في المصادر ﴿إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ قيل : هو استثناء منقطع معناه لكن ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ هدى كل حيوان إلى مصالحه .

وقال : ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ﴾ ولم يقل : أمرضني ؛ لأن أكثر الأمراض تحصل من سوء تصرف العبد في زيادة أكل أو نقصه أو في جنس الطعام . وقيل : استعمل الأدب مع الله تعالى ، فنسب الأمراض إلى نفسه ونسب العافية إلى الله .

قوله : ﴿خَطِيئَتِي﴾ ما ينذر وقوعه من الأنبياء عليهم السلام من الصغائر . وقيل : هو قوله : ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup> وقوله للقمر : ﴿هَذَا رِيِّي﴾<sup>(٣)</sup> وقوله لسارة : هي أختي ، وما هذه إلا معاريض ، فهي حق وليست كذباً ، والصغائر تقع مكفرة باجتناّب الكبائر عند المعتزلة وعندنا أمرها راجع إلى المشيئة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(٤)</sup> وإنما استغفر إبراهيم عند المعتزلة تواضعاً وتعليماً لأُمَّته ، وطلب المغفرة يوم الدين والمغفرة ممكنة في الدنيا ؛ لأن ظهور أثر المغفرة إنما يظهر في الآخرة<sup>(٥)</sup> .

(١) قرأ بها قتادة . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٢٣) ، الدر المصون للسمن الحلبي (٥ / ٢٧٦) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٣١٨) ، المحتسب لابن جني (٢ / ١٢٩) .

(٢) سورة الصافات ، الآية (٨٧) .

(٣) سورة الأنعام ، الآية (٧٦) .

(٤) سورة النساء ، الآية (٤٨) .

(٥) تقدم الحديث عن ذلك في سورة النساء ، الآية (٣١) .

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ (٨٣) ﴿ وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾ (٨٤)  
 ﴿ وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴾ (٨٥) ﴿ وَأَغْفِرْ لِأَيِّئِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٨٦) ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾ (٨٧) ﴿ يَوْمَ لَا  
 يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾ (٨٨) ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٨٩) ﴿

﴿ حُكْمًا ﴾ أي : حكمة . وقيل : سأل الإصابة في الحكم بين الخلق . وقيل : النبوة .  
 والإلحاق بال صالحين : أن يوفقه لعمل ينتظم به في جملة الصالحين . ﴿ وَلَا تُخْزِنِي ﴾ ولا تُهني ، أو  
 لا تجعلني مستحيًا . ﴿ يُبْعَثُونَ ﴾ فيه ضمير إلى العباد أو إلى الضالين ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾  
 إلا حال من أتى الله ، وهو كقوله [ من الوافر ] :

تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ (١)

كما تقول : هل لفلان مال ؟ فيقال : ماله سلامة قلبه ، مرادك : نفي المال عنه ، ويجوز  
 أن يراد : إلا غنى من أتى الله . وقيل : إلا مال من أنفق ماله في الخير وأولاد من علمهم  
 الخير والقرآن . وقيل : السليم الملسوع تألماً على ما سلف منه من التقصير ، وهو من بدع  
 التفاسير (٢) .

رتب إبراهيم الكلام مع الكفار فاستفهم عما يعبدونه وهو يعلم أنهم يعبدون الأصنام  
 ثم أبطل إلهية ( ١٥٨ / أ ) أصنامهم بأنها لا تنفع ولا تضر ، ورد تقليد آبائهم الأولين ، ثم  
 عدد نعم الله عليه بالهداية والإطعام والسقي والشفاء من المرض وغير ذلك ، ثم تضرع إلى  
 الله أن يلحقه بال صالحين ، وأن يجعل له ذكراً جميلاً إلى يوم القيامة ، ثم وصله بذكر يوم  
 القيامة .

﴿ وَأَزَلَفْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُنْقِبِينَ ﴾ (٩٠) ﴿ وَبَرَزْتَ الْجَحِيمَ لِلْغَاوِينَ ﴾ (٩١) ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴾ (٩٢) ﴿ مِنْ دُونِ  
 اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصُرُونَ ﴾ (٩٣) ﴿ فَكَبِّكُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴾ (٩٤) ﴿ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴾ (٩٥) ﴿ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا

(١) البيت لعمر بن معدي كرب ، و صدره : وخيل قد دلفت لها بخيل .....

ينظر في : خزانة الأدب للبغدادي ( ٥٣ / ٤ ) ، الخصائص لابن جني ( ٣٥ / ٤ ) ، ديوان عمرو بن  
 معدي كرب ( ص : ١٣٧ ) ، شرح أبيات سيويه ( ٣٦٥ / ١ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٦٠ / ١ )  
 ( ٣ / ٣٢٠ ) ، المقتضب للمبرد ( ٢٠ / ٢ ) أي : وأصحاب خيل تقدمت لها بمثلها ، والتحية بالضرب  
 الوجيع على سبيل التهكم .

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٣٢١ ) .

﴿الْأَزْدَلُونَ﴾ يريد الأحقرين واسترذلوهم لفقرهم . وقيل : لصناعتهم الدنية كالحاكة والأساكفة<sup>(١)</sup> .

﴿قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ١١٤ ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَو تَشْعُرُونَ﴾ ١١٣ ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ١١٤ ﴿إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ١١٥ ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهِ يَنْتُحِ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ ١١٦ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾ ١١٧ ﴿فَأَفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ١١٨ ﴿فَأَنْجِنَهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَكَ الْمَشْحُونِ﴾ ١١٩ ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ﴾ ١٢٠ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ ١٢١ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ١٢٢ ﴿كَذَبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾ ١٢٣ ﴿إِذْ قَالَ لَهُم أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ ١٢٤ ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ ١٢٥ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ ١٢٦ ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ١٢٧ ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾ ١٢٨ ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ ١٢٩ ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطْشَتُمْ جَبَّارِينَ﴾ ١٣٠ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ ١٣١ ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ ١٣٢ ﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾ ١٣٣ ﴿وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ ١٣٤ ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ١٣٥ ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ ١٣٦ ﴿

قوله : ﴿وَمَا عَلِمِي﴾ يريد انتفاء علمه بثبوت إيمانهم وأنه ليس مسؤولاً (١٥٨/ب) عن ذلك ، وإنما عليه البلاغ . ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ﴾ طمعاً في إيمانكم ، وإنما عليّ الإنذار ، وأقنع ممن يتابعني بالإيمان الظاهر .

﴿فَأَفْتَحْ﴾ أي : فاحكم . والفتاحة : الحكم ﴿الْفَلَكَ﴾ السفن يطلق على الواحد والجمع ، ونظيره الهجان والدلاص<sup>(٢)</sup> للواحد والجمع . ﴿الْمَشْحُونِ﴾ المملوء .

والريع بكسر الراء وفتحها<sup>(٣)</sup> المكان المرتفع ، ومنه قولك : كم ريع أرضك ؟ أي : كم ارتفاعها ؟ و﴿لَآيَةً﴾ العلم ، وكانوا يهتدون بالنجوم في أسفارهم ، فاتخذوا في طرقهم

= (٣١/٧) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢٨٠) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٣٢٤) ، المحتسب

لابن جنبي (٢ / ١٣١) ، معاني القرآن للفراء (٢ / ٢٨١) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٣٥) .

(١) الحاكة : جمع حائك وهم الذين ينسجون ويخيطون الثياب ، والأساكفة : جمع الإسكاف وهو الصانع أيًا كان وخص بعضهم به النجار . ينظر : لسان العرب (حيك - سكف) .

(٢) الدلاص من الدروع : اللينة ودرع دلاص براءة ملساء لينة بيّنة الدلص والجمع دلص . وقد يكون الدلاص جمعاً مكسراً وليس من باب جئب لقولهم : دلاصان . حكاه سيويه قال : والقول فيه كالقول في هيجان وحجر دلاص شديد الملوسة ويقال : درع دلاص وأدرع دلاص الواحد والجمع على لفظ واحد . ينظر : لسان العرب (دلص) .

(٣) قال الزمخشري في الكشاف (٣ / ٣٢٥) : وقرئ بالفتح والكسر .



يَخْصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَأْتِيهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّبُكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَبَتْ قَوْمٌ نُوْحَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَنْتَ مِنْ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَالُونَ ﴿١١١﴾ ﴿١١١﴾

﴿الْجَنَّةُ﴾ تكون قريبة من موقف السعداء ، وهو معنى قوله : ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ ﴾ أي : قربت للمتقين ، وقال : ﴿ فَكَبِّكُوا ﴾ وهذه الصيغة كرر فيها الكب ، ونحوه الصلصلة لتكررها ، جعل التكرير في اللفظ دليلاً على التكرير في المعنى .

﴿ وَجَنُودِ إِبْلِيسَ ﴾ متبعوه من شياطين الإنس والجن ، يجوز أن ينطق الله الأصنام فيختصموا مع عابديها ، ويجوز أن يكون المراد العصاة ممن عبد ﴿ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴾ بأنهم تبين لهم أنهم مفترون في كون آلهتهم تشفع لهم ، فأخبر عنهم أنهم لا يشفعون ولا ينفعون ، وما لا ينفع فهو في حكم المعدوم . الْحَمِيمُ : هو الذي يهمله ما أهمك أو من الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص ، وجمع الشفعاء وأفرد الصديق لكثرة الشفعاء وقلة الصديق ، فمن وقع في شدة يستشفع بالصديق وغير الصديق .

وسئل بعضهم عن الصديق فقال : اسم لا معنى له ، ويجوز أن يراد بالصديق الجمع كما في العدو . الْكَّرَّةُ : الرجعة إلى الدنيا و﴿ فَلَوْ ﴾ ها هنا للتمني كأنهم قالوا : يا ليتنا نرد ويجوز أن تكون " لَوْ " على بابها ويحذف الجواب ، أي : لو أن لنا كرة لأطعنا .

﴿ قَوْمٌ ﴾ مؤنثة وتصغيرها : قومية . ونظير قوله : ﴿ الْمُرْسَلِينَ ﴾ والمراد نوح وحده قولك : فلان يركب الدواب ويلبس البرود ، وما له إلا دابة وبرد .

قوله عز وجل : ﴿ أَخُوهُمْ ﴾ أي : في الدين لا في النسب ، وكذلك قولهم : يا أخا بني تميم ﴿ وَأَطِيعُوا ﴾ فيما أدعوكم إليه . ﴿ عَلَيْهِ ﴾ أي : على هذا الأمر ، وكرر الأمر بالتقوى ليؤكد عليه ؛ ولأنه علل الأمر الأول بكونه أميناً ، وفي الثاني حسم طمعه عنهم .

وقرى ﴿ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَالُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> جمع تابع ، والواو للحال ، و " قد " بعدها مضمرة

(١) هذه قراءة يعقوب من العشرة . وقراءة الجمهور " واتبعتك " . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان =

﴿الْأَزْدَلُونَ﴾ يريد الأحقرين واسترذلوهم لفقرهم . وقيل : لصناعتهم الدنية كالحاكة والأساكفة<sup>(١)</sup> .

﴿قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ١١٢ ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ ١١٣ ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ١١٤ ﴿إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ١١٥ ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ يَنْتُحِ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ ١١٦ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾ ١١٧ ﴿فَأَفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ١١٨ ﴿فَأَنْجِنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَكَ الْمَشْحُونِ﴾ ١١٩ ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ﴾ ١٢٠ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ ١٢١ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ١٢٢ ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾ ١٢٣ ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ ١٢٤ ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ ١٢٥ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ ١٢٦ ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ١٢٧ ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾ ١٢٨ ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ ١٢٩ ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطْشَتُمْ جَبَّارِينَ﴾ ١٣٠ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ ١٣١ ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ ١٣٢ ﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾ ١٣٣ ﴿وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ ١٣٤ ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ١٣٥ ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ ١٣٦ ﴿

قوله : ﴿وَمَا عَلِمِي﴾ يريد انتفاء علمه بثبوت إيمانهم وأنه ليس مسؤولاً (١٥٨/ب) عن ذلك ، وإنما عليه البلاغ . ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ﴾ طمعاً في إيمانكم ، وإنما عليّ الإنذار ، وأقنع ممن يتابعني بالإيمان الظاهر .

﴿فَأَفْتَحْ﴾ أي : فاحكم . والفتاحة : الحكم ﴿الْفَلَكَ﴾ السفن يطلق على الواحد والجمع ، ونظيره الهجان والدلاص<sup>(٢)</sup> للواحد والجمع . ﴿الْمَشْحُونِ﴾ المملوء .

والريع بكسر الراء وفتحها<sup>(٣)</sup> المكان المرتفع ، ومنه قولك : كم ريع أرضك ؟ أي : كم ارتفاعها ؟ و﴿لَآيَةً﴾ العلم ، وكانوا يهتدون بالنجوم في أسفارهم ، فاتخذوا في طرقهم

= (٣١/٧) ، الدر المصون للسمن الحلي (٥ / ٢٨٠) ، الكشاف للزنجشري (٣ / ٣٢٤) ، المحتسب لابن جني (٢ / ١٣١) ، معاني القرآن للفراء (٢ / ٢٨١) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٣٥) .

(١) الحاكة : جمع حائك وهم الذين ينسجون ويخيطون الثياب ، والأساكفة : جمع الإسكاف وهو الصانع أياً كان وخص بعضهم به النجار . ينظر : لسان العرب (حيك - سكف) .

(٢) الدلاص من الدروع : اللينة ودرع دلاص برآقة ملساء لينة بينة الدلص والجمع دلص . وقد يكون الدلاص جمعاً مكسراً وليس من باب جئب لقولهم : دلاصان . حكاه سيويه قال : والقول فيه كالقول في هيجان وحجر دلاص شديد الملوسة ويقال : درع دلاص وأدرع دلاص الواحد والجمع على لفظ واحد . ينظر : لسان العرب (دلص) .

(٣) قال الزنجشري في الكشاف (٣ / ٣٢٥) : وقرئ بالفتح والكسر .

أعلاماً طوالاً فنسبوا إلى العبث ؛ لأنهم كانوا مستغنين بالنجوم عن العلامات .

وقيل : أراد بيوت الحمام . وقيل : القصور المشيدة والحصون ﴿ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ ترجون الخلود في الدنيا ، أو يشبه حالكم حال من يخلد . وقرئ ﴿ تَخْلُدُونَ ﴾ بضم التاء مشدداً ومخففاً <sup>(١)</sup> والبطش بالسيف والصوت من الجبروت والعلو . وقيل : الجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب . وقيل : تبادرون عند الغضب إلى البطش من غير تثبتٍ ونظرٍ في العواقب ، واستشهد بعلمهم بما أنعم به عليهم ، وقرن الأولاد بالنعم ؛ لأنهم الذين يعينون آباءهم على اقتنائها .

﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴾ <sup>(١٣٧)</sup> وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكَنَّهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَنَاهَا ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنجِحُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُوتًا فَرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بَيِّنَاتٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ هَآءَا شَرِبَ وَلَكِّرَ شَرِبَ يَوْمَ مَعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾

من قرأ ﴿ خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴾ بالفتح فمعناه : إن ما جئت به اختلاق الأولين ، ومن قرأ بضم الخاء واللام <sup>(٢)</sup> فالمراد : عادة الأولين ، قام فيهم قوم ادعوا النبوة فلم يثبت لهم أمر .

وقوله : ﴿ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴾ لأنهم طلبوا أن الرسل لا يصلح أن يكونوا من الواعظين ، فهو أبلغ من قولهم : أو لم تعظ . قوله : ﴿ أَتُتْرَكُونَ ﴾ إنكار أن يخلدوا في

(١) قرأ " تُخْلِدُونَ " بالتشديد قتادة ، وقراءة الجمهور " تُخْلِدُونَ " بالتخفيف . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٣٢ / ٧ ) ، الدر المصون للسمن الحلبي ( ٢٨١ / ٥ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ١٢٢ / ٣ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣٢٦ / ٣ ) ، المحتسب لابن جني ( ١٣٠ / ٢ ) .

(٢) قرأ أبو عمرو والكسائي وابن كثير وأبو جعفر ويعقوب " خَلَقُ " ، وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمة والكسائي وخلف " خُلُقُ " . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٣٣ / ٧ ) ، حجة ابن خالويه ( ص : ٢٦٨ ) ، حجة أبي زرعة ( ص : ٥١٨ ) ، الدر المصون للسمن الحلبي ( ٢٨٢ / ٥ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٤٧٢ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣٢٧ / ٣ ) ، النشر لابن الجزري ( ٣٣٥ / ٢ ) .

نعيمهم ، ويجوز أن يكون إنكاراً لتركهم لا يجازون أجمل النعم في قوله : ﴿ مَا هَهُنَا ﴾ ثم فسرها بقوله : ﴿ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ قوله : ﴿ وَنَخْلٍ ﴾ هو داخل في قوله : ﴿ جَنَّاتٍ ﴾ يجوز أن يكون من عطف الخاص على العام ويجوز أن يراد بالجنات ما سوى النخل ثم يعطف عليه النخل ، والهضم : الضامر ، وطلع الإناث من النخل أطف وألين من طلع الفحال ، ويجوز أن يريد أن هذه النخيل أصابت أرضاً طيبة ، فحملت الحمل الكثير ، وإذا أكثر الحمل ضمراً . الفراهة : الكيس والنشاط .

وقوله : ﴿ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ ( ١٥٩ / أ ) يريد أن فسادهم لا ينفع فيه شيء من الصلاح . ﴿ الْمَسْحَرِينَ ﴾ الذي سحر كثيراً فغلب على عقله . وقيل : هو من السحر وهو الرثة .

الشرب : النصيب من الماء . سألوا صالحاً أن يخرج لهم من هضبة ناقة عشراء وتلد سقبا فصلى صالح ركعتين ودعا الله ، فتمخضت الهضبة وانشقت عن ناقة لا يعلم قدرها إلا الله ، ثم تمخضت فتجت سقبا يقاربها في العظم <sup>(١)</sup> ﴿ وَلَا تَمْشُوا بِسُوءٍ ﴾ بنحر أو بعقر أو غيرهما ، وعظم اليوم والمراد تعظيم ما وقع فيه .

﴿ فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدِيمِينَ ﴾ ١٥٧ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿ ١٥٨ ﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿ ١٥٩ ﴾ كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطَ الْمُرْسَلِينَ ﴿ ١٦٠ ﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا نُنْقِونَ ﴿ ١٦١ ﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿ ١٦٢ ﴾ فَانقُوتُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿ ١٦٣ ﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ ١٦٤ ﴾ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿ ١٦٥ ﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْزَاقِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿ ١٦٦ ﴾ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿ ١٦٧ ﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿ ١٦٨ ﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿ ١٦٩ ﴾ فَنجَّيناهُ وأهله أجمعين ﴿ ١٧٠ ﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿ ١٧١ ﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ ﴿ ١٧٢ ﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴿ ١٧٣ ﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿ ١٧٤ ﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿ ١٧٥ ﴾ كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿ ١٧٦ ﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ٢٢٦ / ٨ ) والسقب : ولد الناقة ، وقيل : الذكر من ولد الناقة بالسین لا غير

وقيل : هو سقب ساعة تضعه أمه . قال الأصمعي : إذا وضعت الناقة ولدها فولدها ساعة تضعه سليل

قبل أن يعلم أذكر هو أم أنثى ، فإذا علم فإن كان ذكرا فهو سقب وأمه مسقب .

ينظر : لسان العرب ( سقب ) .

أَلَا تَنْفَقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴿١٨٠﴾ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِيلَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ ﴿١٩١﴾

وقوله: ﴿فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ ﴿فندموا على ما فعلوا من مخالفة صالح ، ولم يكن ندمهم توبة ؛ لأنهم ما ندموا على العصيان ، وإنما ندموا على فساد رأيهم ، واللام في ﴿الْعَذَابُ﴾ إشارة إلى عذاب يوم عظيم . أراد بـ ﴿الْعَالَمِينَ﴾ الناس مع كثرتهم وغلبة إناثهم على ذكورهم في الكثرة والعالمون على هذا كل ما ينكح من الحيوان

و ﴿مِنْ﴾ في قوله : ﴿مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ لبيان الجنس أو للتبويض . ويراد بـ ﴿مَا خَلَقَ﴾ العضو المباح منهن . وقرئ " مَا أَصْلَحَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ " (١) وكانهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم ﴿قَوْمٌ عَادُونَ﴾ قد تجاوزوا الحد في العصيان بل أنتم عادون في جميع المعاصي . ﴿لَئِنْ لَّمْ تَنْتَهَ﴾ عن إنكارك لما نحن عليه لتكونن من جملة من أخرجناه من المدينة . قوله : ﴿مِنَ الْقَالِينَ﴾ أبلغ من أن يقول : إني قال لعمركم . والقلبي أشد البغض ، كأنه يقلبي الفؤاد بحرقته .

﴿مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ من إتيان الذكران . وقيل : أمدني بالعصمة . قوله : ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾ استثناها لأنها هلكت لرضاها بفعل قومها . قيل : إنها هلكت مع من خرج من القرية بما أمطر عليهم من الحجارة .

وكان أصحاب الأيكة أصحاب شجر ملتف ، وشجرهم الدوم . ﴿بِالْقِسْطَاسِ﴾ الميزان . وقيل : العدل ، ونهاهم عن الفساد في الأرض وقطع الطريق و ﴿وَالْجِيلَةَ﴾ الخلقة ، ودخلت الواو في قوله : ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ﴾ ولم تدخل في قصة صالح ، فإذا دخلت كانوا قد أنكروا أمرين ، وإذا لم تدخل كانوا لأمر واحد ، والسما : السحاب ، أو المظلة . وإنما طلبوا ذلك

(١) قرأ بها ابن مسعود . تنظر في : تفسير القرطبي ( ١٣ / ١٣٢ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٣٣٠ ) .

إفحاماً لشعيب وتعجيزاً له ، لو تصوروا صورة سقوطها لما أخطر ذلك بياهم ( ١٥٩ / ب ) يروى أنه حبس عليهم الريح سبعا فخرجوا إلى البرية ، فأظلمت سحابة ، فأووا إلى بردها ، فأمطرت عليهم ناراً . وكرر في أول كل قصة وآخرها ما كرره من المواعظ الحسنة لعلها ، لعله أن يفتح آذاناً صمماً ، وقلوباً غلفاً ، وهكذا فائدة التكرير .

﴿ وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾  
بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أُولَئِكَ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَتُوا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ  
نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ  
الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ  
﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفِعْدَابِنَا يُسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ  
جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ ﴿٢٠٧﴾

وقوله : ﴿ وَإِنَّهُ لَنَزِيلٌ ﴾ أي : ذو تنزيل ﴿ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ أي : لتحفظه . ﴿ بِلِسَانٍ ﴾ إما أن يتعلق بـ ﴿ الْمُنذِرِينَ ﴾ أي : من المنذرين باللسان العربي ، وهم خمسة : هود وصالح وشعيب وإسماعيل ومحمد صلوات الله عليهم . وإما أن يتعلق بـ ﴿ نَزَلَ ﴾ أي : نزل به بلسان عربي قوله : ﴿ وَإِنَّهُ ﴾ أي : وإن ذكره ﴿ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴾ أي : كتبهم . وقيل : إن معانيه فيها ﴿ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴾ احتج به أبو حنيفة على جواز قراءة القرآن بالعجمية <sup>(١)</sup> .

وقيل : الهاء في ﴿ وَإِنَّهُ ﴾ عائد إلى النبي ﷺ .

قرئ ﴿ يَكُنْ ﴾ بالتذكير ، و ﴿ آيَةٌ ﴾ بالنصب على أنها خبره ﴿ أَنْ يَعْلَمَهُ ﴾ هو الاسم ، وقرئ ﴿ يَكُنْ ﴾ بالتأنيث <sup>(٢)</sup> ، وجعلت ﴿ آيَةٌ ﴾ اسماً و ﴿ أَنْ يَعْلَمَهُ ﴾ خبراً ، وليست كالأولى ؛ لوقوع النكرة اسماً والمعرفة خبراً ، وقد خرج لها وجه آخر للتخلص من ذلك ، فقيل في ﴿ يَكُنْ ﴾ ضمير القصة و ﴿ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ ﴾ جملة واقعة موقع الخبر ، ويجوز على هذا أن تكون ﴿ لَهُمْ آيَةٌ ﴾ هي جملة الشأن و ﴿ أَنْ يَعْلَمَهُ ﴾ بدلاً عن ﴿ آيَةٌ ﴾ ويجوز مع نصب الآية تأنيث

(١) ينظر : بدائع الصنائع للكاساني ( ١ / ٢٩٦ ) ، المبسوط للسرخسي ( ١ / ٣٥ ) .

(٢) قرأ ابن عامر من العشرة " تكن " بالتاء للمؤنث ، وقرأ الباقون " يكن " بالياء للمذكر .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٤١ ) ، حجة ابن خالويه ( ص : ٢٦٨ ) ، حجة أبي زرعة ( ص : ٥٢١ ) ، الدر المصون للسمن الحلبي ( ٥ / ٢٨٧ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٤٧٣ ) ، الكشاف للزخشري ( ٣ / ٣٣٥ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٣٦ ) .

(تَكُنْ) كقوله : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ﴾ (١)

و ﴿ عَلِمُوا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ من آمن منهم كعبد الله بن سلام ﴿ سَلَكَ نَهْرًا ﴾ أدخلناه ومكناه مكذبا. ودخلت الفاء في قوله : ﴿ فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً ﴾ يعني يترتب هذا على هذا ، ولم يرد أنه يقع عقبيه ﴿ مَا ﴾ في قوله : ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ ﴾ أي : لم يغن عنهم .

﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴾ (٢٠٨) ذِكْرِي وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا نَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرِيءٍ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أَنْبَيْتُكُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ نَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾

وقوله ها هنا : ﴿ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴾ وقال في الحجر : ﴿ إِلَّا لَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴾ (٢) فأثبت الواو، إنما كان ذلك ؛ لأن الأصل حذف الواو ؛ لأن الجملة بعدها صفة للنكرة ، والأصل في الصفات ألا تعطف بالواو (٣).

قوله : ﴿ فَلَا نَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾ المراد به كل سامع ، وروي أنه لما نزل قوله ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ صعد النبي ﷺ على الصفا فنادى قبائل العرب بطنا بطناً ، فاجتمعوا إليه ( ١٦٠ / أ ) فذكرهم وحذرهم فقال أبو لهب : تبت يداك ألهذا جمعتنا ؟ فنزلت ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ (٤).

الطائر إذا أراد أن ينحط للوقوع خفض جناحه ، وإذا أراد أن يطير نشره ، فقليل له :

(١) سورة الأنعام ، الآية ( ٢٣ ) .

(٢) سورة الحجر ، الآية ( ٤ ) .

(٣) قال أبو حيان في البحر المحيط ( ٧ / ٤٤ ) : " وإنما تدخل الواو في الصفات جوازا إذا عطف بعضها

على بعض وتغاير مدلولها نحو : مررت بزيد الشجاع والشاعر " .

وينظر : الدر المصون للسمن الحلبي ( ٥ / ٢٩٠ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٣٣٨ - ٣٣٩ ) .

(٤) سورة المسد ، الآية ( ٤ ) والحديث رواه البخاري رقم ( ٤٩٧١ ) ، ومسلم رقم ( ٢٠٨ ) .

﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ أي : ألن جانبك ، وكانت المتكاهنة كشق وسطيح يسمعون إلى الملائكة الأعلى وينزلون بأخبار السماء ، فعزلوا عن ذلك ، ومنعوا من استراق السمع .

وقرأ عيسى بن عمر<sup>(١)</sup> «والشُعْرَاءَ» بالنصب<sup>(٢)</sup> ، بإضمار فعلٍ .

قال أبو عبيد<sup>(٣)</sup> : كان الغالب عليه حُبُّ النصبِ ، قرأ «حَمَّالَةَ الْحَطَبِ»<sup>(٤)</sup> و «السَّارِقِ وَالسَّارِقَةَ»<sup>(٥)</sup> و «سُورَةَ أَنْزَلْنَاهَا»<sup>(٦)</sup> .

وقرئ «يَتَّبِعُهُمْ» بسكون العين<sup>(٧)</sup> تشبيها له بـ " عضد " .

(١) هو عيسى بن عمر الثقفي ، أبو عمرو ، من أئمة اللغة ، وهو شيخ الخليل وسيبويه وابن العلاء ، أول من هذب النحو ورتبه ، كان يكثر من استعمال الغريب ، له مصنفات من أشهرها الجامع والإكمال . مات سنة ١٤٩ هـ . قال بعض الشعراء فيه :

بطل النحو جميعا كله غير ما أحدث عيسى بن عمر

ذاك إكمال وهذا جامع فهما للناس شمس وقمر

تنظر ترجمته في : خزانة الأدب للبغدادي ( ١ / ١١٦ ) ، وفيات الأعيان ( ٣ / ٤٨٦ )

(٢) تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٤٨ ) ، تفسير القرطبي ( ١٣ / ١٥٢ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٢٩٣ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٤ / ١٢١ ) ، الكشاف للزنجشيري ( ٣ / ٣٤٤ ) .

(٣) نقله عنه الزنجشيري في الكشاف ( ٣ / ٣٤٤ ) .

(٤) سورة المسد ، الآية ( ٤ ) وقرأ بها عاصم ، وقرأ الباقر " حمالة " . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٨ / ٥٢٦ ) ، حجة ابن خالويه ( ص : ٣٧٧ ) ، حجة أبي زرعة ( ص : ٧٧٧ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٦ / ٥٨٦ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٧٠٠ ) ، الكشاف للزنجشيري ( ٤ / ٢٩٧ ) ، معاني القرآن للفراء ( ٣ / ٢٩٨ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٤٠٤ ) .

(٥) سورة المائدة ، الآية ( ٣٨ ) وقرأ عيسى بن عمر وابن أبي عبله " والسارق والسارقة " بالفتح ، وقرأ الجمهور " والسارق والسارقة " بالرفع . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٣ / ٤٧٦ ) ، تفسير القرطبي ( ٦ / ١٦٦ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٢ / ٥٢٠ ) ، الكشاف للزنجشيري ( ١ / ٣٧٧ ) (٦) سورة النور ، الآية ( ١ ) وقرأ " سورة " بالنصب عيسى بن عمر الثقفي ومجاهد وأبو حيوة ، وقرأ الجمهور " سورة " تنظر في : البحر المحيط لأبي المحيط ( ٦ / ٤٢٧ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٢٠٧ ) ، الكشاف للزنجشيري ( ٣ / ٢٠٨ ) .

(٧) قرأ بها الحسن ورويت عن أبي عمرو ، وقرأ " يَتَّبِعُهُمْ " نافع ، وقرأ الباقر " يَتَّبِعُهُمْ " .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٤٨ ) ، حجة ابن خالويه ( ص : ٢٦٩ ) ، حجة أبي زرعة ( ص : ٥٢٢ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٢٩٣ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٤٧٤ ) ، الكشاف للزنجشيري ( ٣ / ٣٤٤ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٧٤ ) .



﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾

ذكر الوادي والهيوم لذهابهم في كل شعب ، ومدحهم من لا يستحق حتى يفضلوا أجبن الناس على عنتره ، وأجمل الناس على حاتم .

وعن الفرزدق أن سليمان بن عبد الملك سمع قوله [ من الوافر ] :

فِي تَنْبِجَانِيٍّ مُصَرَّعَاتٍ      وَبَيْتٍ أَفْضُرُ أَغْلَاقِ الْخِتَامِ<sup>(١)</sup>

فقال : قد وجب عليك الحدُّ . فقال : يا أمير المؤمنين ، قد درأ الله عني الحد : ﴿ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> . قوله : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ لما استثنى المؤمنين من الشعراء المذمومين ، وهم الذين لا يقولون شعرا يكسبون فيه إثماً ، وينظمون الحكم والآداب وينافحون عن النبي ﷺ وهم أربعة : عبد الله بن رواحة ، وحسان بن ثابت ، وكعب بن زهير ، وكعب بن مالك .

﴿ وَأَنْتَصَرُوا ﴾ على من ظلمهم وهجاهم من الكفار .

ختم الله هذه السورة بتهديد بليغ وهو ما في السين من قوله : ﴿ وَسَيَعْلَمُ ﴾ وعم ﴿ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ وما منا إلا من عصا ربه وظلم ، فعلى العاقل أن يجعل هذه الآية نصب عينيه ، والله سبحانه وتعالى أعلم . ( ١٦٠ / ب )

\* \* \*

(١) البيت للفرزدق ، ينظر في : الأغاني للأصفهاني ( ١٠ / ٣٧٥ ) ، تاج العروس للزبيدي ( غلق ) ، تفسير القرطبي ( ١٣ / ١٣٧ ) ، روح المعاني للألوسي ( ١٩ / ١٥٢ ) ، الكشاف للزنجشيري ( ٣ / ٣٤٤ ) ، لسان العرب ( غلق ) .

(٢) ذكر القصة للزنجشيري في الكشاف ( ٣ / ٣٤٤ ) .

## فهرس الجزء الأول

الصفحة	الموضوع
٥	نبذة عن تفسير السخاوي
٦	تقديم للشيخ عبد السلام بن حبوس
٨	مقدمة التحقيق
٢٩	تفسير القرآن العظيم لعلم الدين السخاوي
٣٨	منهج السخاوي في تفسيره
٣٩	نسخ الكتاب وأماكن وجودها ومنهج التحقيق
٤٧	سند المحقق للعلامة علم الدين السخاوي
٤٨	مقدمة المصنّف
٤٩	تفسير سورة الفاتحة
٥٢	سورة البقرة
١٣٠	سورة آل عمران
١٦٥	سورة النساء
٢١٤	سورة المائدة
٢٤٣	سورة الأنعام
٢٧٤	سورة الأعراف
٣١٠	سورة الأنفال
٣٢٥	سورة التوبة
٣٥٥	سورة يونس
٣٧٦	سورة هود
٣٩٨	سورة يوسف
٤١٧	سورة الرعد
٤٢٩	سورة إبراهيم
٤٣٩	سورة الحجر
٤٤٨	سورة النحل
٤٧٠	سورة الإسراء
٤٨٥	سورة الكهف
٥٠٥	سورة مريم
٥٢٧	سورة طه
٥٥١	سورة الأنبياء
٥٦٩	سورة الحج
٥٨٧	سورة المؤمنون
٥٩٧	سورة النور
٦٢٥	سورة الفرقان
٦٤٩	سورة الشعراء
٦٧٢	فهرس المحتويات